

# مجلة كامبريدج للبحوث العلمية

مجلة علمية محكمة تصدر عن  
مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات في مملكة البحرين

العدد ٢١ آيار ٢٠٢٣

CJSP

ISSN-2536-0027



# د. حفصة محمد الخريب رئيس مجلس الإدارة والمشرف العام

## الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد أبو زياد الأمير

أ.د. دينا المولى

أ.د. محمد عيسى عبد الله

أ.د. حسن فضاله موسى التميمي

## نائب رئيس التحرير

أ.م.د. ريم محمد فرج

## سكرتير التحرير

د. صباح جمعة الباوي

مجلة كامبريدج

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات

ISSN-2536-0027

[www.camb-magazine.com](http://www.camb-magazine.com)

## هيئة التحرير

| البلد    | مكان العمل                                  | الاسم                                | ت   |
|----------|---|--------------------------------------|-----|
| مصر      | جامعة الأزهر الشريف                         | أ.د ألفت إبراهيم جاد الرب            | ١.  |
| البحرين  | جامعة البحرين                               | أ.د جهان عيسى أبو راشد العمران       | ٢.  |
| العراق   | الجامعة العراقية                            | أ.د رقية أحمد العاني                 | ٣.  |
| لبنان    | الجامعة اللبنانية                           | أ.د هلا العريس                       | ٤.  |
| الجزائر  | جامعة البلدة                                | أ.د. رشيد حميد زغير                  | ٥.  |
| العراق   | جامعة الكوفة                                | أ.د. هاشمية حميد جعفر                | ٦.  |
| العراق   | جامعة تكريت                                 | أ.د سهيلة طه محمد البياتي            | ٧.  |
| العراق   | أستاذة علم الدلالة في الجامعة المستنصرية    | أ.د فائزة عباس حميدي                 | ٨.  |
| الأردن   | الكلية الجامعية العربية للتكنولوجيا         | أ.د رائف غنيمات                      | ٩.  |
| أستراليا | المعهد الأسترالي العربي للشؤون الاستراتيجية | د عايد الظفيري                       | ١٠. |
| السعودية | جامعة الملك فيصل                            | أ.د وفاء عمر السبيعي                 | ١١. |
| السودان  | جامعة أم درمان الإسلامية                    | د. هدى دياب أحمد الصالح              | ١٢. |
| لبنان    | الجامعة اللبنانية                           | أ.م.د. عباس يوسف جابر                | ١٣. |
| العراق   | جامعة كربلاء                                | أ.د.سلي عبد الرزاق عبد لايد الشبلاوي | ١٤. |
| لبنان    | جامعة بيروت العربية                         | د. ترتيل تركي الدرويش                | ١٥. |
| العراق   | وزارة التعليم العالي والبحث العلمي          | أ.د حازم جري الشمري                  | ١٦. |
| العراق   | وزارة التعليم العالي والبحث العلمي          | أ.د عامر فياض                        | ١٧. |
| لبنان    | الجامعة الإسلامية - بيروت                   | أ.م.د محمد هاني فرحات                | ١٨. |
| فلسطين   | مركز ابن العربي للبحوث                      | د. أحمد دلول                         | ١٩. |
| العراق   | جامعة القادسية                              | أ.م.د مسار عربي جاسم                 | ٢٠. |
| العراق   | جامعة الامام جعفر الصادق                    | م.د. حوراء عبد صبر                   | ٢١. |
| العراق   | دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية    | م.د. هدى صيهود العمري                | ٢٢. |
| العراق   | كلية الآداب - جامعة ذي قار                  | أ.د. صادق جعفر عبد الحسين            | ٢٣. |
| العراق   | ذي قار                                      | م.م. د محمود كاظم الغزي              | ٢٤. |
| العراق   | القادسية                                    | د. نوفل رحمن الجبوري                 | ٢٥. |
| العراق   | كلية الآداب / جامعة ذي قار                  | أ. د. أحمد علي حنين                  | ٢٦. |
| العراق   | العلوم السياسية/ الإدارة العامة             | أ.د. برهان الدين حسان الخطيب         | ٢٧. |

## شروط النشر في المجلة:

١. أن يكون البحث أكاديمياً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية.
٢. أن يكون مطبوعاً على الحاسوب بنظام (office Word) على قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد، وتزود هيئة التحرير بثلاث نسخ ورقية.
٣. أن لا تزيد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة، مطبوعة بحجم الخط ١٤، ونوع الخط Simplified Arabic للغة العربية وخط Times News Roman للانكليزية.
٤. يكتب الاسم ومكان العمل باللغتين العربية والانكليزية.
٥. يكتب ملخص للبحث باللغتين العربية والانكليزية، وتدرج الكلمات المفتاحية بعد كل ملخص.
٦. يدخل البحث نظام كشف الاستدلال الإلكتروني على وفق برنامج (Turnitin).
٧. يُفضل أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية، ويُراعى ألا تتجاوز أبعاد الأشكال والجداول حجم الصفحة (١١) سم.
٨. أن يكون البحث ملتزماً بدقة التوثيق، وحسن استعمال المصادر والمراجع، وتثبيت هوامش البحث ومراجعته في نهاية البحث .
٩. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى.
١٠. تحتفظ المجلة بحقوقها في إخراج البحث وإبراز عناوينه بما يتناسب وأسلوبها في النشر.
١١. ترسل البحوث على الايميل: [KKrz00@yahoo.com](mailto:KKrz00@yahoo.com).
١٢. يلتزم الباحث بدفع أجور النشر المحددة .
١٣. يدفع الباحث دولاراً واحداً عن كل صفحة إضافية تزيد عن ٢٥ صفحة.
١٤. لا يجوز الاعتراض على التقويم، ولا يجوز المطالبة بكشف اسم المقوم.
١٥. لا تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تخل بشرط من هذه الشروط.

في هذا العدد

| ٧         | بقلم رئيس التحرير  | كلمة العدد  |
|-----------|--|---|
| ٣٢ - ٨    | م.د احمد سامي حمد<br>مديرية تربية النجف الاشرف   | قواعد فقه المسائل المستحدثة<br>(دراسة منهجية)   |
| ٥٠ - ٣٣   | عبد الخالق عبد الحميد طوبان<br>جامعة الفراهيدي / كلية القانون  | عقوبة القاصر بين الشريعة والقانون العراقي   |
| ٦٣ - ٥١   | الباحث/ هيثم كامل حسين<br>المشرف.دكتورة.زهراء الشيخ<br>جامعة الجنان / كلية الآداب  | العدول الأسلوبية في الألفاظ النبوية من كتاب:<br>«التوشيح شرح الجامع الصحيح» للسيوطي<br>(ت ٩١١هـ)        |
| ٨٠ - ٦٤   | أ.م.د نهلة نعيم عبدالعالي<br>جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية  | الخلافة القاجاري - العثماني حول دفن الموتى في<br>كربلاء ١٧٩٦-١٩٢٥                                       |
| ١٠٠ - ٨١  | أ.م.د. خليل كاظم غيلان/الباحثة: علياء طالب<br>مشيغل/كلية الآداب، جامعة ذي قار  | الثنائيات الضدية على مستوى الموضوع في<br>شعر مهيار الديلمي  |
| ١١٨ - ١٠١ | الباحث م. م. خالد رحيم بابش<br>المشرف أ. د. صادق جعفر عبد الحسين<br>جامعة ذي قار / كلية الآداب                               | جماليات البنية البسيطة والبنية المركبة في كتاب<br>( ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ) للزمخشري<br>(ت ٥٣٨ هـ) |
| ١٣٢ - ١١٩ | أ. د. مصطفى لطيف عارف<br>الباحثة: هديل علي مزعل<br>جامعة ذي قار - كلية التربية للعلوم الإنسانية                              | العتبات النصبية في المجموعة الشعرية<br>"ما غادره الموج وأطفاه الهديل" للشاعر حيدر<br>عبد الخضر          |
| ١٥٠ - ١٣٣ | طالبة الماجستير سوسن محمد حمزة<br>المشرف أ. م. د رولا عبد الاله<br>جامعة البصرة / كلية الفنون الجميلة                        | نظرة تاريخية للحركة التشكيلية<br>الروسية من الطليعية حتى السوبرماتزم                                    |
| ١٦٩ - ١٥١ | م.د سامي كريم موشي<br>كلية الآداب/ جامعة ذي قار / العراق   | انطولوجيا الذات...قراءة نقدية في مشروع رواد<br>النهضة العربية الفكري                                    |
| ١٨٠ - ١٧٠ | د. رنا محمد بخيت الايوبى/ الباحثة: همام حسن<br>علي/جامعه الجنان /كلية التربية /اختصاص طرق<br>وتدريس                          | دور مديري المدارس في الحد من<br>ظاهرة التمرن الوظيفي لدى المعلمين                                       |
| ١٩٨ - ١٨١ | د. عفاف الناظر/ الباحثة شيماء جمعة خلف<br>الجبوري/ جامعة الجنان / كلية التربية قسم<br>مناهج وطرائق التدريس                   | درجة استيعاب المتعلمين لعمليات<br>تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية                                     |
| ٢٠٩ - ١٩٩ | م. رشا قاسم فياض<br>جامعة ذي قار /كلية الزراعة والأهوار  | جدلية الشخصية العجائبية في رواية ( تطريز<br>بخيط اسود )   |
| ٢٢٠ - ٢١٠ | الباحثة: منى حسن كريم / طالبة دراسات عليا -<br>الماجستير/جامعة البصرة - كلية الفنون الجميلة<br>/قسم الفنون المسرحية -الاعراج | توظيف عناصر الفكاهة في<br>عروض مسرح الطفل   |
| ٢٤١ - ٢٢١ | م.م.علاء حسين مكطوف الصبر<br>المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار  | الانزياح الدلالي في الأساليب النحوية عند<br>الدارسين المحدثين مثل من القصص القرآني                      |
| ٢٥٧ - ٢٤٢ | د. رولا الجمل/ الباحثة تقوى خالد يوسف/<br>جامعة الجنان / كلية التربية قسم مناهج وطرائق<br>التدريس                            | أثر القصة في تنمية التفكير الإبداعي لدى تلاميذ<br>الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية          |
| ٢٧٤ - ٢٥٨ | م.م احمد فاضل سلمان العجيلي<br>المديرية العامة لتربية بابل   | الاسلوب الموجه ودوره في تطوير رأس المال<br>الفكري: دراسة ميدانية  |



|           |  |  |
|-----------|--|--|
| ٣٠٨ - ٢٧٥ | ا.د. عماد جاسم حسن / جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ                            | الأوضاع الصحية في البحرين ١٨٩٢ - ١٩٣٩ دراسة لواقعتها والإجراءات الحكومية لمعالجتها |
| ٣٢١ - ٣٠٩ | أ.م.د. مرتضى جليل جعيلان / جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية                                    | التأثيرات السياسية للرؤيا والتنقيب خلال العصر الأموي والعباسي                      |
| ٣٣٥ - ٣٢٢ | الباحث غزوان عباس فاضل مصطفى الخزعلي<br>الباحث نور غازي جاسم محمد الخزاعي<br>المشرف أ.د. إبراهيم موسى زادة | المؤسسات السياسية والإدارية في النظام القانوني في الجزائر                          |
| ٣٥٢ - ٣٣٦ | الباحث عثمان زكريا يحيى / المشرف د. ليال الرفاعي / جامعة الجنان / كلية التربية قسم مناهج وطرائق التدريس    | فاعلية استخدام إستراتيجية الكرسي الساخن في التحصيل الدراسي وتنمية الدافعية للتعلم  |
| ٣٦٢ - ٣٥٣ | فضيلة حسين راضي / أ.د عبد الرسول شهيد عجمي / جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية                  | الأقلية الامازيغية في الجزائر  |
| ٣٧٣ - ٣٦٣ | أ.م.د. كاظم فاخر حاجم الخفاجي / الباحثة ديار حبيب موحان / جامعة ذي قار - كلية الآداب                       | الموت العبثي في خطاب رعد زامل الشعري   |

## العدد ٢١ المبارك....

تعد المجلات العلمية الميدان الحقيقي لتجليات العلم ، لأنها منصة العلماء ، وزاد الباحثين ، تنبأرى عنده أرقامهم ، وتتلاقح فيه أفكارهم ، وتأتي مجلة كامبريدج للبحوث العلمية في عددها ٢١ لتكون إضافة حقيقية لما تقدمها من جهد علمي رصين ، ونافذة تطل على الماضي ، وبوابة مفتوحة على الحاضر ، وطريقا معبدا نحو ازدهار المستقبل ، بضمها أكبر قدر ممكن من التخصصات الفاعلة ، في تحريك عجلة الفكر ، وإنماء الحياة ، وبما نرجو أن يضعها في المكانة المتميزة في قائمة المجلات العلمية العالمية الرصينة .

لم يكن هذه المجلة أن ترى النور ، لولا وجود عقول جبارة ، وأساتذة أكفاء نذروا أنفسهم من أجل إبراز العلم في أسمى حلة ، وأزكى مداد ، فوقفوا وقتهم وجهدهم من أجل وضع لبنة من لبنات الرقي ، والتقدم في طريق العالم ، والمتعلم على السواء .

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أبارك لكل العاملين بها متمنيا لها أن تأخذ دورها الحقيقي ، ونصيبها المتميز في إثراء الحركة العلمية ، وبما ينسحب بالخير على حياة البشرية أجمع ، ولا يفوتني في الوقت نفسه أن أثنى على جهود القائمين عليها مكبرا فيهم الهمة العالية من أجل النهوض بهذه المهمة ، التي لا يقدر على إنجازها ، واستمرارها إلا أفاض الرجال ، والله الموفق .

هيئة التحرير



مُعتمِدة في التّرقّيات العلميّة حسب كتاب وزارة التّعليم العالِي والبعث  
العلمي / دائرة البعث والتّطوير الرقم ب ت ٤ / ١١١٧٦ في ٢٧ / ١١ / ٢٠١٩



## قواعد فقه المسائل المستحدثة

### (دراسة منهجية)

م.د احمد سامي حمد

مديرية تربية النجف الاشرف

#### الملخص

تراثنا الحضاري صفحات مشرقة تواكب مسيرة التطور الانساني وتتطلق مع التقدم البشري في مجالات كافة.

وكان فتح باب الاجتهاد عند الامامية اثره الفاعل في تحرير قضايا الانسان المعاصر من ربة الجمود والتفوق الفكري فسير بين يديه جملة ما يحتاج اليه من التشريع الذي يلبي حاجاته الانية المستقبلية وقد سجل لذلك سبقا علميا متحضرا واحرز نصرا اكاديميا متظورا

#### Abstract

Our cultural heritage is bright pages that keep pace with the march human development with human progress in all fields.

The opening of the door ijihad at the front had an effective impact in liberating the issues of contemporary man from the stagnation and intellectual and isolation.

So it will pass between its hands all that it needs in terms of legislation that meets its immediate and future needs.

#### المقدمة

تشغل المسائل المستحدثة حيزاً مهماً من دائرة البحث الفقهي، فهي مسائل محل ابتلاء يكثر السؤال عنها، وهي متجددة دائماً؛ لارتباطها بالتطور العلمي والتقني الذي تعيشه البشرية اليوم، وقد يعبر عنها بالمسائل المستجدة أو النوازل الفقهية.

وجرياً على العادة، لا بد لنا - أولاً - من التعرّض للتعريف المطروح لهذه المسائل؛ فقد عرفت المسائل المستحدثة بأنها: «كلّ موضوع جديد يُطلب له حكم شرعي سواء لم يكن في السابق أو كان لكن تغيرت بعض قيوده، فالأول من قبيل النقود الاعتبارية التي لم تكن من قبل، والثاني من قبيل اعتبار المالية لبعض الأعيان النجسة والتي لم تكن لها مالية في الماضي» [١].

لكنّ رأياً آخر يحتفظ على هذه التوسعة في ضابطة المسألة المستحدثة، ويخص ذلك بكون الموضوع مما لم يعقل وجوده خارجاً في عصر النص كي يبحث عن شموله له، وذلك مثل ترقية اليد وتركيبها على فاقدها، فإنه لم يكن أمراً متصوراً، أعني ممكناً في أنظارهم [٢]؛ فالمدار في هذه الضابطة هو عدم المعقولية بمعنى عدم الإمكان أو قل: استحالة ذلك.

وبناء على هذا التضييق، فإن المسائل التي لا تكون متعارفة الوقوع في الأزمان السابقة لا ينبغي حسابها مسألة مستحدثة بعدما كان موضوعها بحيث لو وجد في السابق أو رآه بعض أهل تلك الأزمنة لعبر عنه بالتعبير الوارد في النص، والذي هو الضابط في الاندراج تحت المطلقات.

إن نظر هذا القائل لما كان إلى ملاحظة إطلاق الأدلة اعتبر أن الضابطة في الحقيقة - وإن لم يُصرَح بذلك - هو الاندراج تحت إطلاقات الأدلة وعدمه؛ فإذا اندرج تحت إطلاقات الأدلة امتنع عدّه من المسائل المستحدثة.

ولعلّ ما يؤخذ على هذا الكلام أنّه لما كان ناظراً إلى إطلاقات الأدلة امتنع عليه إدراج كثير من المسائل تحت عنوان المسائل المستحدثة، ولأجل ذلك اعتبر أن مثل إعطاء وحدات الدم للإنسان أو السفر بالوسائط الحديثة ليس من المسائل المستحدثة، لكن هل من الصحيح اعتبار الاندراج تحت إطلاقات الأدلة وعدمه معياراً؟ وكيف يصحّ ذلك إذا كان إرجاع كلّ المسائل المستحدثة لا بد وأن يكون إلى الأدلة الشرعية لتشملها بإطلاقاتها؟

والطريق الصحيح للخروج بضابطة ما هو أن نلاحظ ما بحثه الفقهاء تحت عنوان كونه من المسائل المستحدثة، وهذا الضابط ببساطة تامّة هو عبارة عن كلّ ما لم يتعرّض له الفقهاء من موضوعات مستحدّة، سواء دخل تحت إطلاقات الأدلة أو لا، والبحث في المسائل المستحدثة يكون عن تحديد دخوله تحت الإطلاقات أو فقل: بيان حكمه من خلال ملاحظة الأدلة الشرعية؛ ولأجل ذلك نجد أن السيد الخوئي! يُعلّل رفضه لبعض دعاوى الإجماع والاتفاق بين الفقهاء بكون المسألة مستحدثة لم يتعرّض لها الفقهاء [٣]، كما يُدرج بعض المسائل تحت عنوان كونها مُستحدثة من جهة عدم الابتلاء بها في الأزمنة السابقة، كمسألة العجز عن الذبح في منى [٤].

#### المطلب التمهيدي

#### مصطلحات ملازمة لنظرية المستحدثات

هذا، وقد تمّ تداول مصطلحين في الأبحاث الفقهية حول المسائل المستحدثة وهما: (التخريج الفقهي) و (التكليف الفقهي)، والمصطلح الأول هو الأكثر رواجاً في مدرسة الفقه الإمامي. ونشرح هذين المصطلحين باختصار:

١- **التخريج الفقهي:** تمّ تعريفه بأنّه «استخراج شيء من مذاق أحوال الأدلة والمدارك وغوامضها بالنظر التعقبي (النظر الدقيق البرهاني) بعد النظر الاقتضائي (الأولي)، واستنباط حكم جزئي بخصوصه خفيّ من دليل بعينه من الأدلة، كتاب أو سنة مثلاً، غير منسحب الحكم على ذلك الجزئي في ظاهر الأمر، وجليل النظر بتدقيق النظر الفحصي فيه ليستبين اندراج هذا الجزئي في موضوعه. وهذا معنى قولهم: تعدية الحكم من المنطوق إلى المسكوت عنه من غير أن يكون قياس» [٥].

لا يبتعد تعريف التخريج الفقهي في الحقيقة عن عملية الاستنباط؛ لأنها تعرّف أيضاً باستخراج الأحكام من الأدلة الشرعية [٦]، لكن لعلّ استخدام هذا المصطلح كان لأنّ المسائل المستحدثة فيها نوعٌ من الخفاء أشدّ مما هو في المسائل التي بحثت من قبل الفقهاء السابقين.

٢- **التكليف الفقهي:** وهو مصطلح مستخدم قانونياً أيضاً، ويعنون به تحديد طبيعة العلاقة القانونية [٧]، والتعريف القانوني الأكثر تفصيلاً له هو أنه «تحديد القاضي الطبيعة القانونية للعلاقة ذات العنصر الأجنبي المعروضة أمامه بغية إخضاعها لقاعدة الإسناد التي تعيّن القانون الواجب التطبيق بالنسبة لها» [٨].

أمّا في الاصطلاح، فالتكليف الفقهي هو تحرير المسألة وبيان انتمائها إلى أصل معيّن معتبر [٩]. وعرقه آخرون بأنه «إلحاق عقد بعقدٍ معيّنٍ شبيهه به من العقود التي عرقها الشارع، وعندئذ يعطى العقد الملحق الحكم الذي رتبّه الفقهاء على العقد الملحق به من صحّة أو بطلان وفساد» [١٠].

وهذا التعريف يحدّد التكييف الفقهي بدائرة المعاملات، لكن استخدامهم لهذا المصطلح أوسع دائرةً من ذلك؛ ولذا يعرفه القرضاوي بأنه: «تطبيق النص الشرعي على الواقعة العملية» [١١].

### المطلب الأول

#### منهج البحث في المسائل المستحدثة

يعتمد البحث في المسائل المستحدثة - ضمن ما هو موجود - على البحث في الأدلة لمعرفة حكم الواقعة، ولكن لما كانت خصوصية المسألة المستحدثة أنها ليست منصوصة بالنص الجلي، بل كان سعي الفقهاء في البحث عنها إلى استنتاج النصوص والأدلة الشرعية.. كان سير البحث فيها يعتمد على المنهجية التالية:

أولاً: البحث عن الحكم الأولي للواقعة المستجدة.

ثانياً: البحث عن الحكم الثانوي للواقعة المستجدة.

ثالثاً: البحث عن الحكم الولائي للواقعة المستجدة.

وهذا التقسيم هو الذي سوف يُشكل العناوين الرئيسة لهذه السطور، على أنّ ممّا لا بد منه هو البحث عن تحديد هذه الأنواع الثلاثة للحكم مقدّمة للبحث.

أمّا الحكم الأولي، فهو الحكم المجعول للشيء بواقعه من دون ملاحظة ما يطرأ للشيء من عوارض [١٢]، وهو الذي ينقسم إلى الواقعي والظاهري، وإلى التكليفي والوضعي.

وأمّا الحكم الثانوي فهو الحكم المجعول للشيء بلحاظ العناوين الطارئة عليه، وهي عناوين خاصّة بحثها الفقهاء، كالأضرار والإكراه والعسر والجرح وغير ذلك.

وقد اختلفت أنظار الفقهاء في بيان العلاقة بين الأحكام الأولية والأحكام الثانوية، فتنبّى بعض الفقهاء - كالسيد الخوئي [١٣] - كونها علاقة التخصيص؛ فالأحكام الثانوية تخصّص الأحكام الأولية، وبعضهم ذهب إلى كون الأحكام الثانوية حاكمة على الأحكام الأولية.

وأمّا الحكم الولائي، وهو المعبر عنه بالحكم الحكومي، فهو عبارة عن الحكم الصادر من الحاكم من جهة كونه ولياً وحاكماً، أي لمن له ولاية الأمر والنهي.

#### القسم الأول: قواعد الحكم الأولي في المسائل المستحدثة

لا بد وأن نعالج هذه القواعد ضمن نقطتين؛ وذلك لأنّ قسماً من المسائل المستحدثة يرتبط بالعقود والمعاملات ذات الطابع التعاقدية، فيما لا يرجع قسمٌ آخر منها إلى ذلك. ولاختصاص الأولي بقواعد محدّدة كان المنهج الصحيح هو الفصل بينها.

#### الحالة الأولى: المسائل المستحدثة التي لا ترتبط بالعقود

إن سير عملية استنباط الحكم الأولي لهذه الحالات من المعاملات المستجدة يمكن توضيحه ضمن النقاط التالية:

#### النقطة الأولى: تحديد الموضوع في المسألة المستحدثة

يعتمد البحث في المسائل المستحدثة بدايةً على الخروج بتصوّر عن موضوع المسألة وتحديد جميع خصوصياته، ولا يخفى أنّ ذلك له الدور الأساس في تحديد الفقيه للحكم الفقهي المرتبط بهذا الموضوع، من هنا قد يُسجّل على بعض الباحثين في هذه الموضوعات الإخفاق في تحديد الموضوع بما أدى إلى تحديد حكم غير دقيق للمسألة المستحدثة.

ولأهمية هذه النقطة بالذات نقدم نموذجين لذلك:

النموذج الأول: تحديد حقيقة العملة الورقية

يبحث الفقهاء عن أحكام متعدّدة ترتبط بالعملية الورقية، وأهمّ هذه الأبحاث مسألة ضمان القيمة الشرائية لهذه الأوراق لو انخفضت قيمتها، لا سيّما في مسألة الدّين؛ فلو استدان شخصٌ من آخر مبلغ مائة ألف، ثم أراد أن يرجعها له في الأجل، وقد سقطت القيمة الشرائية لهذا النقد سقوطاً فاحشاً، فكيف يكون أداء هذا الدين؟ اتّجه البحث في هذه المسألة إلى تحديد حقيقة العملة الورقية أو النقد، فمنهم من بنى على أن العملة الورقية من المثليات<sup>[١٤٤]</sup>، وضمن المثلي إنما يكون بمثله سواء انخفضت قيمته أو ارتفعت. إذ لا يكون الملاحظ في المثليات القدرة الشرائية حتى تكون مضمونة، ومن المحاولات اعتبار الأوراق النقدية مجرد وسيلة مبادلة فهي ليست سلعة ولا منفعة استهلاكية لها؛ ولذا يكون ضمانها بقيمتها لا بمثلها<sup>[١٤٥]</sup>، ومن المحاولات اعتبار النقود عبارة عن القيمة والمالية المحضة، فحقيقة النقد كونه قيمة محضة للأموال الأخرى فيكون ضمانه قيمياً، ومن المحاولات أنّ النقد وإن كان مثلياً لكنّ حقيقة النقدية تتقوم بالقوة الشرائية والقيمة التبادلية، ومن المحاولات اعتبار أن حبيثة النقد التي يكون بها قوامه وحقيقته تتمثل في قيمته التبادلية، فهنا يحافظ على كونه مثلياً، لكن تعتبر قوته الشرائية مقومة له، وذلك في خصوص ما إذا كان هبوط أو ارتفاع قوته الشرائية مرتبطاً بتغيّر سعر النقد نفسه.

تُظهر لنا هذه المحاولات جميعها مدى ارتباطها بتحديد الموضوع، فما هي حقيقة العملة الورقية أو النقود؟ والاختلاف بين الفقهاء في تحديد حكم هذه المسألة المستحدثة يرتبط بشكل وثيق بتحديد الموضوع الموجود خارجاً.

#### الأمّودج الثاني: الزيادة الحكيمة بين الربح والفائدة

في مسألة ارتفاع القيمة السوقية دون أن تكون هناك زيادة عينية، وهو ما يعبر عنه بالزيادة الحكيمة، التزم بعض الفقهاء بتعلق الخمس بهذه الزيادة؛ وذلك لصدق الربح والفائدة - وهو موضوع وجوب الخمس - وإن لم يحصل بيع هذا المال خارجاً؛ لأن الاستفادة في نظر العقلاء منوطة بزيادة القيمة<sup>[١٤٦]</sup>، لكن قد يقال بالمنع من وجوب الخمس فيها؛ لعدم صدق حصول الفائدة، إذ لا فائدة في الحقيقة إذا كانت تلك الزيادة راجعة إلى هبوط قيمة النقد لا ارتفاع قيمة السلعة التجارية لعدم صدق الربح والفائدة<sup>[١٤٧]</sup>.

#### النقطة الثانية: تحديد الموضوع في الأدلة الشرعية

من الواضح أنّ الأحكام الواردة من الشارع قد انصبت على عناوين، وهذه العناوين تشكل موضوعات لهذه الأحكام. ومما ينبغي ملاحظته عند البحث عن أحكام المسائل المستحدثة هو تحديد عناوين هذه الموضوعات بدقة لئلا يقع الفقيه في مشكلة إدراج الموضوع تحت عنوان من هذه العناوين، فيما يشكل التدقيق في هذا العنوان مانعاً من إدراج الموضوع المستحدث تحته، ونماذج ذلك:

#### الأمّودج الأول: التخدير في العقوبات الجسدية

قد يقال في مسألة حكم التخدير عند إجراء العقوبات الجسدية بجواز ذلك في بعضها كقطع اليد أو إزهاق الروح أي الإعدام، وذلك باعتبار أن العقوبة هي عبارة عن نفس القطع أو إزهاق النفس وفقدان الجاني للعضو المقطوع كاليد في حدّ السرقة أو للروح في عقوبة الإعدام. وهذا لعله يظهر من ملاحظة أن الموضوع الوارد في أدلة حد السرقة أو الجنابة بالقتل هو مجرد فقدان الجاني للعضو المقطوع.

لكنّ أعمال التدقيق في موضوع هذا الحدّ يمنع من الحكم بالجواز؛ وذلك باعتبار أن الموضوع ليس هو ما تقدّم من مجرد فقدان العضو، بل هو عبارة عن العذاب الحاصل بنفس القطع، فالموضوع هو القطع أو القتل مع الإيلام<sup>[١٤٨]</sup>.

ولعلّ المسألة تغدو أكثر وضوحاً في أبواب القصاص؛ فإن نفس عنوان القصاص كافٍ - بعد تحكيم مناسبات الحكم والموضوع المركوزة عرفاً وعقلانياً - في التوصل إلى النتيجة عينها<sup>[١٤٩]</sup>.

**الأنموذج الثاني: التضخم النقدي والربح**

من المسائل المستحدثة مسألة التضخم النقدي، أي ارتفاع قيمة النقد، فلو حصل التضخم بما أدى إلى ارتفاع قيمة مال التجارة دون أن يكون لهذا الارتفاع أي سبب سوى هذا التضخم النقدي، فهل يجب خُمس هذه الزيادة؟

قد يلتزم بعض الفقهاء بأن هذه الزيادة مما يجب فيها الخمس؛ وذلك لأن الخمس واجب في كل زيادة. لكن التدقيق في موضوع وجوب الخمس يظهر أن الحكم بوجوب الخمس قد تعلق بعنوان الربح والغنيمة، وفي حالات التضخم وإن كانت قيمة مال التجارة قد شكّلت رقماً أكبر، لكن ذلك لما كان بسبب هبوط قيمة النقد في جميع السلع الحقيقية فلا ربح للتاجر؛ إذ الربح والفائدة ليس قوامه بالرقم العددي والقيمة الإسمية للنقود، بل بواقع ماليّتها وقوتها الشرائية، وهي لم ترتفع بحسب الفرض (٢٠).

**الأنموذج الثالث: المثلة والتشريح**

في مسألة جواز تشريح الميت، أورد الفقهاء بعض الروايات الواردة في حكم المثلة أي التمثيل بالميت، وذلك كرواية مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله % قال: «إن النبي - كان إذا بعث أميراً على سرية، أمره بتقوى الله في خاصّة نفسه، ثم في أصحابه عامّة، ثم يقول: أغز بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا ولا تغلّوا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليدًا» (٢١).

لكنّ الفقهاء أعملوا التدقيق في عنوان التمثيل ومنعوا من صدق هذا العنوان على عملية التشريح الطبيّة؛ لأنّ التمثيل لا يصدق على مجرد شقّ الجسد وخرقه، بل هو ما كان من القطع بغاية التكميل والتعذيب بحيث يصير عبرة لغيره (٢٢).

**الأنموذج الرابع: مسألة التلقيح الصناعي**

استدلّ بعض الفقهاء على تحريم هذا العمل إذا كان بنطفة من رجل أجنبي برواية علي بن سالم عن أبي عبد الله % قال: «إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة رجلاً أقرّ نطفته في رحم يحرم عليه» (٢٣)؛ وذلك لأنّ موضوع المنع هو إقرار الرجل ماءه في رحم يحرم عليه من غير دخلٍ للمباشرة بحسب المتعارف فيه، ولذا استدلّوا بالحديث على وجوب العزل في الزنا؛ لأنه دلّ على أن الإقرار محرّم آخر زائد على أصل الجماع (٢٤)، أو يقرب ذلك بأنّ مجرد كون العادة في إقرار النطفة هو الوطء، لا يجعل الموضوع مختصاً بذلك؛ ولذا لو أخذ الزاني نطفته بيده حرم عليه إدخالها في رحم المزني بها زانداً على حرمة الزنا (٢٥).

لكنّ من الفقهاء من لم يبيّن هذا الرأي، بل التزم بأنّ موضوع المنع في هذه الرواية هو خصوص الزنا، وأنّ المراد منه المباشرة فقط (٢٦).

**الأنموذج الخامس: مسألة موضوع السفر الموجب للقصر في الصلاة**

ثمّة محاولة قد تقول بأنّ موضوع السفر الموجب للقصر هو السفر الملازم - بشكل نوعي - للتعب والمشقة؛ ولذا لا ينبغي الحكم بوجوب القصر في الصلاة في بعض أقسام السفر في هذا العصر، حيث يتمّ بالوسائل المتطورة كالمطائرات ونحوها. لكنّ آخرين يتوقفون أمام هذه المحاولة باعتبار أن مجرد وجود ملازمة نوعية بين التعب والمشقة والسفر في عصر المعصوم، لا يعني إطلاقاً أن يكون الموضوع الشرعي للقصر محدداً بهذا الملازم النوعي، بل حتى تكون الملازمة موجبة لتضييق دائرة الموضوع لا بد وأن تكون ملازمة دائمية وفي جميع أعصار ثبوت الحكم (٢٧).

**الأنموذج السادس: مسألة تحريم بيع شيءٍ لحرمة ما يناسبه**

فالدّم مثلاً تحريمه هل كان بعنوانه أو بعنوان الأكل الذي كان استعمالاً متعارفاً له آنذاك؟ من هنا يمكن التأسيس لقاعدة وهو أنّ المحرم هل هو الشيء كالدّم بعنوان كونه مشيراً إلى الفعل المناسب كالأكل، وهذا معناه حرمة الأكل فقط وجواز نقل الدم إلى الحي وبيعه بهذا الغرض، أو أنّ المحرم هو الشيء بعنوان كونه موضوعاً، فالمحرم هو الدم ولو تبدّل الفعل المناسب له حرّم ذلك الفعل فالمناسب في كلّ عصر من الاستعمالات هو المحرم؟ [٢٢٨].

يبقى أن تحديد هذا الموضوع في غالب مواردّه يخضع لاستظهار الفقيه من النصّ الذي يشكّل دليلاً، والاتّفات إلى حيثيات هذا النص، وليس أمراً خاضعاً للتقيد أو التقيّن. نعم هذا الاستظهار يخضع لعوامل متعدّدة نذكر منها: مناسبات الحكم والموضوع، التدقيق العرفي وعدم الاعتماد على التسامحات العرفية، ملاحظة الملازمات النوعية للموضوع، تحديد أن الموضوع الذي انصبّ عليه الحكم هل هو عنوان موضوعي أو مشير؟

**النقطة الثالثة : تحديد الأصل العملي**

يعمد الفقهاء - بدايةً - إلى تحديد الأصل العملي في المسألة المستحدثة، والأصل العملي يُشكّل المرجع عند عدم إمكانية الوصول إلى أيّ دليل اجتهادي سواء ارتبط بالحكم الأولي أو الثانوي، ومثاله التمسك بالاحتياط في مسألة الفروج لإثبات حرمة التلقيح الصناعي؛ وذلك أنا علمنا من طريقة الشارع وتحذيره وتشديده في أمر الفروج ومبدأ تكوّن الولد أنها لا تستباح إلا بإذن شرعي؛ فمجرد احتمال الحرمة كافٍ في وجوب الكفّ والاحتياط [٢٢٩].

**النقطة الرابعة: البحث عن العمومات المحلّلة أو المحرمة لموضوع المسألة المستحدثة**

تشكّل الإطلاقات في الأدلة اللفظية عنصراً أساسياً لمعرفة حكم المسائل المستحدثة، وفي هذه النقطة موضوعات للبحث:

أولاً: هل تملك الأدلة اللفظية إطلاقات تشمل الموضوعات المستحدثة؟ لقد أسس البحث الأصولي لمقولة كون الأدلة الشرعية وردت بنحو القضايا الحقيقية لا الخارجية، أي بمعنى أنها تشمل الأفراد التي كانت موجودة في عصر النص وما سيوجد إلى يوم القيامة، وهذا هو الأساس في شمول هذه الأدلة للموضوعات المستجدة.

ثانياً: يشكّل إلغاء خصوصية الوارد في النصّ أحد عوامل تعميم الحكم، ويعتمد إلغاء الخصوصية هذا على عوامل متعددة، كتثقيح المناط، وتعطيل خصوصية الأحكام، وخروج الحكم مورد التمثيل، ومنصوص العلة، والأولوية العرفية [٢٣٠].

ثالثاً: قد يختلف الفقهاء في الالتزام بتعميم النصّ للمسألة المستحدثة وعدمه، وهذا الأمر يخضع للاستظهارات العرفية من النصوص الشرعية، ونماذج ذلك:

الأنموذج الأول: مسألة التلقيح الصناعي، فقد تمسك بعض الفقهاء لإثبات الحرمة لجميع أنواع التلقيح الصناعي أو بعضها بقوله تعالى: <ويحفظوا فروجهم>، وقوله تعالى: <ويحفظن فروجهن>؛ وذلك باعتبار أن الآية فيها إطلاق، وذلك لعدم ورود متعلق فيها؛ فتدلّ على حفظ العضو من كلّ شيء حتى التلقيح، واعتبار أن لا انصراف في الآية لخصوص الزنا؛ لأنّ مجرد الأغلبية لا يكفي لانصراف الدليل عن عمومها وإطلاقه [٢٣١].

لكنّ بعض الفقهاء منع من التمسك بعموم هذه الآية؛ وذلك باعتبار أنّ مراد الآية الثانية حفظ الفرج من الغير، ولا يعمّ ذلك إفراغ المرأة مني الأجنبي في رحمها مباشرةً أو بأداةٍ صناعية، وأنّ المراد من الآية الأولى حفظ الفرج من خصوص النكاح [٣٢١].

رابعاً: إنّ إعمال التحليل في بعض الموضوعات المستحدثة قد يُدخلها تحت بعض العمومات، وبعبارةٍ أخرى: إنّ البحث كما يقع عن بعض العمومات المباشرة يقع أيضاً عن بعض العمومات غير المباشرة التي قد تتدرج تحتها هذه الموضوعات المستجدة، وهذا ما تختلف درجته من ناحية الوضوح والخفاء، ومن نماذج ذلك:

الأنموذج الأول: مسألة تشريح الميت، حيث التزم بعض الفقهاء بتحريمه لانطباق عنوان هنك حرمة الميت عليه، وقد وردت النصوص بلزوم احترام الميت، فعن أبي عبد الله %: «حرمته ميتاً كحرمته وهو حي»، أو قول أبي جعفر %: «إنّ الله حرّم من المؤمنين أموالاً ما حرّم منهم أحياء» [٣٣١].

الأنموذج الثاني: عموم «المؤمنون عند شروطهم» الذي يؤدّي دوراً أساسياً في حلّ حكم بعض الحقوق المستحدثة، وذلك كالحقوق المعنوية كحقّ التأليف، بتقريب أن البائع يشترط على المشتري أن لا يطبع هذه النسخة؛ لأنّ الطبع من منافعها، فهذا الشرط بمنزلة قوله: بعنك هذه النسخة مسلوبة المنفعة، واشترط بقاء هذه المنفعة على ملك المالك الأول [٣٤١].

خامساً: اتجه بعضهم لإثبات عموم الإطلاقات للموضوعات المستجدة بوجهٍ لا يخلو من غرابة، حيث اعتبر أن من وجوه العموم وجود أشياء مناسبة لهذه المصاديق الجديدة في عصر التشريع والسابق عليه، بحيث لم يكن المصداق الجديد غريباً عن الأذهان بالمرّة. وإن كانت تلك الأشياء وجدت بإعجاز ونحوه أو بصورة طبيعية إلا أنّه يساعد على شمول الإطلاقات لمثله حيث وجد.

وذلك مثل الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي صرح به القرآن، ومثّل طيّ الأرض وبساط سليمان الذي كان يطير به مع جمع، فإنها تتناسب إطلاق نصوص السفر للسفر بالوسائل الحديثة السريعة أضعاف ما كان يقع السير بحسب المتعارف والعادة، ومثّل إحياء الموتى بإذن الله فإنه يناسب مسألة ترفيع العضو، وإطلاق دليل طهارة الحي لجزئه الترقيعي.. ومثّل وجود يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يساعد على إطلاق اليوم والنهار لما إذا كان النهار في مكان قريباً من عشرين ساعة.

إلى أن يقول: «وان شئت فعبّر عن هذا الوجه بتقريب آخر وهو أن الاعتقاد بوقوع المعاجز والكرامات بل والسحر ونحوه يعطي عدم البناء على عدم انحصر سنة التكوين الإلهي فيما هو المتعارف من الأسباب والعلل الطبيعية» [٣٥١].

وغرابة هذا الكلام تظهر في أن هذه المصاديق التي حصلت بنحو الإعجاز لا تدخل تحت العمومات؛ لأنّ المرجع في العمومات إلى العرف، والعرف لا يلحظ هذه المصاديق ضمن الإطلاقات، فمثلاً عند الأمر بالقصر في السفر لا يدخل في ذهن العرف على الإطلاق مسألة الإسراء والمعراج، وأغرب من ذلك أن يقال: إنّ كلمة اليوم لمّا كانت تصدق على ما كان مقداره خمسين ألف سنة تقرّب إطلاق اليوم على ما كان يستمرّ إلى عشرين ساعة، فهل المراد أن هذا يوجب صدق وجوب الصوم على يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ وبعبارةٍ أخرى: إنّ السامع العرفي لإطلاقات الأدلة لو سئل عن الصلاة في حالة الإسراء والمعراج أو طي الأرض أو بساط سليمان فإنه لن يتمكن من إدراجها تحت هذه الإطلاقات، بل يتوقف في ذلك.

ولأجل ذلك، حكم بعض الفقهاء - كالسيد الخوئي والسيد الحكيم - بأنّ النهار الذي يستمرّ لسنة أشهر - وكذلك الليل - خارجٌ عن الأدلة المتكفلة لوجوب الصلوات الخمس في كل يوم وليلة؛ وذلك لأنه لا يُطلق

عليه اليوم عرفاً، بل المنسب إلى العرف هو اليوم الذي يكون جزءاً من السنة، والذي قد يكون نهاره أطول من ليله وقد يكون أقصر وقد يستويان (٣٦٦).

سادساً: إنه لا بد عند البحث عن حكم المسألة المستحدثة من البحث عن حيثيات الموضوعات المستجدة؛ وذلك لأنّ بعض العناوين المحرمة قد لا تنطبق على هذه الموضوعات. ولكن قد ينافي الحكم بالحلية مثلاً واجبٌ آخر، وأنموذج ذلك مسألة تشريح الميت، فإنه وإن لم ينطبق على عملية التشريح عنوان المثلة أو هناك حرمة الميت، لكن بعض الفقهاء اعتبر أن الحكم بالمنع ينطلق من خلال ملاحظة الروايات الأمرة بوجود تجهيز الميت ودفنه على نحو الفورية. والذي يحدّد مصداق الفورية هو العرف والتشريح المتوقف على مضي أيام ينافي الفورية العرفية (٣٧٦).

سابعاً: بالإمكان التمسك بالعمومات في الموضوعات المستجدة وإن لم تكن هذه الموضوعات متعارفة في عصر صدور النص؛ وذلك لأنّ انحصار مصداق الموضوع في عصر صدور هذه العمومات في فردين أو أفراد لا يمنع من انطباق المفهوم على ما استجدّ من مصاديق، بل يعمّ المفهوم كلّ ما ينطبق عليه، وأنموذج ذلك الروايات الواردة بأن من لا تحبل مثلها لا عدة عليها؛ ففي رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر % قال: «التي لا تحبل مثلها لا عدة عليها» (٣٨١)، وقد استدلّ بعض الفقهاء بهذه الرواية وأمثالها لإثبات عدم وجود عدة لمن لا رحم لها أو التي تُجرى لها عملية نزع الرحم باعتبار أن انحصار مصداق الرواية في عصر النص بالصغيرة التي لم تبلغ أو من جازت سنّ المحيض لا يعني انحصار المفهوم فيهما (٣٩٦).

ثامناً: لا بدّ من البحث عن دور العرف في التصرف بإطلاقات الأدلة الأولية، ويمكننا أن نذكر دورين للعرف في المسائل المستحدثة:

أحدهما: دور العرف في إيجاد موضوع تنطبق عليه إطلاقات الأدلة الأولية، ومثال ذلك مسألة الحقوق المعنوية كحقّ التأليف، حيث يُقال: إننا نتلقى الموضوعات من العرف والأحكام من الشرع، والشارع حرّم الظلم والتجاوز على الحقوق وأما الموضوع أي التجاوز على الحقوق، فهو موضوع يُرجع فيه إلى العرف، وجميع عقلاء العالم يرون في هذه المسألة حقاً (٤٠١)؛ وعليه فكل حقّ جديد إذا اعتبره العرف فقد أوجد موضوعاً للأحكام الأولية (٤١٦)، أو من خلال اعتبار أن العرف يعتبر التأليف مالا مملوكاً للغير ولا يجوز التصرف في مال الغير بغير رضاه (٤٢٦).

ثانيهما: دور العرف في انصراف الأدلة الأولية عن الموضوعات المستجدة؛ فقد يُقال بأن العرف لا يرى محلاً لهذه الأدلة الأولية في بعض المسائل المستحدثة؛ وذلك لأن الارتكاز العرفي يمنع من شمول الأدلة الأولية لها، ومثال ذلك مسألة حرمة النظر إلى العورة، أو حرمة هناك حرمة المؤمن المستلزم للقول بحرمة التشريح، وهي ما يُسمى بالأحكام الاحترامية، وذلك بالالتزام بأن هذه الأحكام منصرفة عن صورة كون التشريح أو النظر إلى الأجنبية بهدف إنقاذ المجتمع الإسلامي، والتقريب العلمي لذلك اعتبار أن الارتكاز العرفي هذا يكون بمثابة المخصّص المتصل، ولعلّ هذا الوجه جدير بأن يُولى الاهتمام في فقه المسائل المستحدثة؛ من هنا قد تستحضر الشواهد المتعدّدة لإثبات مثل هذا الارتكاز الموجب لانصراف الأدلة الأولية، كأهمية تعلّم الطب الذي فيه حفظ المسلمين وهو يتوقف على التشريح، أو كما لو ادّعي على بنت باكر بالزنا وقام الشهود على ذلك وأنكرت هي ذلك، وأمكن فحصها لإثبات أنها بكر، فهل يُقال: إنّه ولأجل حرمة النظر إلى هذه الفتاة عليها أن تتحمل الحد، إن الفهم العرفي الاجتماعي لا يقبل ذلك، بل يرى أن حرمة النظر إلى عورتها من قبل الطبيب ليست إلا لاحترامها. وهذا لا محلّ له إذا كان لرفع تهمة الزنا عنها (٤٣٦).



**النقطة الخامسة: البحث عن الارتكازات المتشرعية أو العقلانية التي تنطبق على الموضوعات المستجدة**  
وضمن هذه النقطة جهات من البحث:

**أولاً: في حجية السيرة المستحدثة**

هل قيام سيرة عقلانية على بعض الأمور يوجب البناء عليه بوصفه دليلاً على الحكم الشرعي؟ يلتزم بعض الفقهاء - كالسيد الخوئي! - بأن حجية السيرة ترتبط بوجود تطبيق فعلي لهذه السيرة في عصر المعصوم؛ وذلك لأن حجية السيرة تتوقف على الإمضاء الشرعي من قبل المعصوم، وهذا الأمر لا يمكن إحراره إلا إذا كان هناك عمل بمرأى ومسمع من المعصوم [٤٤]؛ ولذا فإن هذه السير العقلانية المستحدثة لا تشكل دليلاً يمكن الاعتماد عليه لإثبات حكم شرعي.

لكن العديد من الفقهاء يبتئ مقولة الاعتماد على الارتكاز العقلاني حتى مع عدم وجود أيّ مصداق لهذا الارتكاز في عصر المعصوم؛ فقد ذكر الشهيد الصدر! بحثاً تحليلياً تعليقاً على كلام أستاذه السيد الخوئي! في مسألة عدم الاعتماد على الارتكاز بعد أن أورد نقضاً على السيد الخوئي في المسألة بأن اشتراط وجود تطبيق فعلي للارتكاز في عصر المعصوم يستلزم الاستشكال في تملك الكهرياء والغاز؛ لأنها لم يكن لها تطبيق فعلي آنذاك، وهذا البحث التحليلي للشهيد الصدر! يرجع إلى ملاحظة ملاك استكشاف الإمضاء وعدم الردع؛ فهل يرجع إلى وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فإنه إذا كان كذلك كان لا بد من الإقتصار على التطبيق الفعلي والسيرة العملية، أو أنه يرجع إلى ملاحظة حال المعصوم ووظيفته كمشرع ومقنن؟ فانه إن كان كذلك كان عدم الردع كاشفاً عن الإمضاء حتى للارتكازات المتشرعية أو العقلانية [٤٥].

ونجد هنا نموذجاً آخر للتمسك بالارتكاز العقلاني، وهو ما ذكره الإمام الخميني! في كتاب الاجتهاد والنقل؛ فقد استدلّ لإثبات مشروعية التقليد بالسيرة العقلانية القائمة على رجوع الجاهل إلى العالم، وبعد أن طرح الإشكال المعروف بينهم من عدم معرفية الاجتهاد - بمعناه الذي عليه الآن - في عصر المعصوم؛ لأنه أصبح الآن من الأمور النظرية.. يبحث في مسألة حجية الارتكاز العقلاني، وللإمام الخميني! طريق آخر لإثبات حجية هذا الارتكاز، وهو يرجع إلى ملاحظة وظيفة المعصوم لـ: «أن الأئمة قد علموا بأن علماء الشيعة في زمان الغيبة وحرمانهم عن الوصول إلى الإمام، لا محيص لهم من الرجوع إلى كتب الأخبار والأصول والجوامع، كما أخبروا بذلك، ولا محالة يرجع عوام الشيعة إلى علمائهم بحسب الارتكاز والبناء العقلاني المعلوم لكل أحد، فلولا ارتضاؤهم بذلك لكان عليهم الردع، إذ لا فرق بين السيرة المتصلة بزمانهم وغيرها، مما علموا وأخبروا بوقوع الناس فيه، فإنهم أخبروا عن وقوع الغيبة الطويلة، وأن كفيل أيتام آل محمد - صلى الله عليه وعليةم - علماءهم، وأنه سيأتي زمان هرج ومرج يحتاج العلماء إلى كتب أصحابهم، فأمرؤا بضبط الأحاديث وثبتها في الكتب» [٤٦].

وهنا نجد أن الإمام الخميني! يسوق؛ لإثبات شمول وظيفة المعصوم وملاحظة حاله، شواهد وردت عنهم، وهذه التوسعة من ملاحظة السيرة لها دور أساسي في كثير من المسائل المستحدثة.

**ثانياً: التوسع في الارتكاز أو في مصاديق الارتكاز**

إنّ ما يمكن للارتكاز الحجّة أن يُثبتته من أحكام إنما يرتبط بالموضوعات المستجدة التي تشكل مصاديق جديدة لهذا الارتكاز، دون ما يشكل توسعة في نفس الارتكاز، ولأجل توضيح الفكرة نذكر أنموذجين لذلك: الأنموذج الأول: مسألة الحيازة بالأدوات الحديثة الصناعية فإنّ كون الحيازة من أسباب التمليك من المرتكزات العقلانية الممضاة من المعصوم، لكنّ هذه الحيازة كانت تتمّ في عصر المعصوم بأدوات يدوية،

وشمول هذا الارتكاز لوسائل الحيابة الحديثة لا مانع منه؛ لأنّ هذا من التوسعة في مصاديق الحيابة لا في مفهومها بنحو يوجب توسعة في الارتكاز الذي كان ممضى من قبل المعصوم (٤٧).  
 الأنموذج الثاني: الحقوق المعنوية مثل حقّ الطبع والنشر وجميع الحقوق الأدبية أو حقوق الابتكار، فقد يقال: إن مثل هذه الحقوق لا تثبت عبر التمسك بالارتكاز العقلاني؛ لأنه ارتكازٌ حديث لم يكن في زمن المعصوم كي يدلّ عدم الردع على إضائه والتوسّع الجديد في الارتكازات لا يثبت إضائه بعدم الردع. وقد يناقش في هذا الكلام باعتبار أن الاعتماد على الارتكاز العقلاني في إثبات هذه الحقوق المعنوية هو من التوسعة في تطبيقات ومصاديق الارتكاز العقلاني على أساس اعتبارها نوعاً من أنواع الصنع المعنوي ويقابله الصنع المادي (٤٨).

وعلى أيّ حال، فمرجع المسألة إلى تحديد أن هذه التوسعة هل هي من التوسعة في الارتكاز، أو في مصداق هذا الارتكاز؟ مع الحفاظ على أن المثبّع هو ما كان من التوسعة في المصداق دون الارتكاز عينه.  
**النقطة السادسة: البحث عن العلل المنصوصة أو المستنبطة**

تشكل علل الأحكام أداةً رئيسة لتعميم الأحكام، سواء فيما يرجع إلى الموضوعات التي لم يصل فيها نصّ وإن كانت غير مستجدة، أو الموضوعات المستجدة، واعتماد الفقهاء على العلة باعتبار أن النص المعلل يدلّ على أن تمام الموضوع هو العلة دون المعلل في خصوص النص المتضمّن للعلة. وحيث انحصر بحثنا في خصوص الموضوعات المستجدة، نستحضر بعض نماذج ذلك:

#### الأنموذج الأول: عدّة من لا رحم لها

توصل الطبّ الحديث إلى إجراء عمليات نزع للرحم عند الإصابة بمرض ما، ونتيجة ذلك استحالة الحمل للمرأة التي تُجرى لها هذه العملية، وهنا وقع البحث حول ثبوت العدة على مثل هذه المرأة وعدمه، ومما وقع الاستدلال به هو التمسك بعلة ثبوت العدة وإثبات انتفاء هذه العلة في من لا رحم لها؛ وذلك لأن العديد من الروايات ورد لبيان علة الاعتداد من الطلاق، كقول أبي جعفر الثاني%: «فلاستبراء الرحم من الولد»، وقول الباقر%: «وإنما يستبرأ رحمها بثلاثة قروء»، فإذا استبرأ الرحم هو علة الحكم بالعدة؛ فإذا كان هذا الاستبراء من الولد حاصلًا قطعاً من أول الأمر فليس لوجوب الاعتداد عليها وجه (٤٩).

نعم، تمت مناقشة كون علة الاعتداد هو مسألة استبراء الرحم، إمّا من خلال عدم استظهار كون العلة هي مجرد الاستبراء، أو من جهة ما ثبت في موارد أخرى منصوصة من لزوم الاعتداد مع وجود الأمن من اختلاط الأنساب.

#### الأنموذج الثاني: المسافة الشرعية للتقصير في هذا العصر

ورد في بعض الروايات أنه إذا ذهب بربداً ورجع بربداً فقد شغل يومه وأن كلّ يوم بعد هذا فهو كسابقه، فلو لم يوجب مسيرة يوم للتقصير لما أوجب مسيرة ألف سنة (٥٠)؛ وعلى أساس هذا التعليل يمكن أن يقال: إنّ الموضوع ليس هو الفراسخ الثمانية دائماً، بل العبرة بمقدار من المسافة يشغل يوماً، حيث يقع السير بالوسائل المتعارفة، فالعبرة في كلّ عصر بوسائل النقل المتعارفة في ذلك العصر (٥١).

إذن، تخضع الاستفادة من التعليل؛ لإثبات حكم الموضوعات المستجدة، لأمرين:

١- استظهار العلة من النص، فإن من النصوص ما صرّح فيه بالعلة بنحو يتفق عليه الجميع، ومنه ما يخضع لاستظهار الفقهاء.

٢- تحديد كون العلة منحصرةً أو لا، ولذا لا بدّ من استقرار البحث حول علل الأحكام، نعم الظهور الأولي للعلة هو كونها هي العلة دون غيرها ولو كان منشأ ذلك الإطلاق.

**النقطة السابعة: البحث عن الأولويات المعترية شرعاً**

استثنى فقهاء الإمامية من التزامهم بعدم حجية القياس قياس الأولوية، فالتزموا بحجيتهم، وهذه الأولوية من القواعد التي تقيد في تحديد أحكام بعض الموضوعات المستجدة، ومثال ذلك: مرض الأيدز وفسخ عقد النكاح، حيث ورد النصّ على عيوب محدّدة تعطي للزوجة الحقّ في فسخ النكاح، وكذلك الحال للزوج، ولكن هل يتعدّى حكم الفسخ هذا إلى المرض المنتشر في هذا الزمان وهو الأيدز؟ حيث تكون العلاقة الجنسية من موجبات انتقال العدوى إلى الآخر، وقد تسجّل محاولة للالتزام بذلك من جهة أنّ جواز الفسخ حيث كان ورد النصّ به في جذام أحد الزوجين أو برصهما، وكانت العلة في جواز الفسخ هي العدوى بهذين المرضين غير الميتين؛ فيكون جواز الفسخ في الأيدز المعدي المميت أولى [٥٢].

#### الحالة الثانية: العقود والمعاملات المستحدثة

فرض تطوّر الحياة الإنسانية تطوراً في أنواع المعاملات القائمة بين الناس، بحيث أصبحنا نشهد تعداداً من المعاملات التي لم تكن معهودة سابقاً، وهي تشهد رواجاً بل أصبحت تشكل ضرورةً في حياتنا الاجتماعية، كعقود التأمين.

والبحث عن شرعية هذه العقود، وكيفية تخريجها فقهيّاً، أخذ حيّزاً مهماً من الدراسات الفقهية التي تناولت المسائل المستحدثة، ومنهج البحث الفقهي يعتمد على أسلوب الاستنباط لمعرفة حكم هذه المعاملات، وتقصيل ذلك ضمن نقاط:

#### النقطة الأولى: طرق التخريج الفقهي للعقود المستحدثة

تعتمد عملية البحث عن حكم هذه العقود المستحدثة على الخطوات التالية:

#### الخطوة الأولى: الاندراج تحت عنوان من العقود المعروفة

البحث عن دخول العقود المستحدثة تحت واحد من الصيغ المعروفة للعقود هو أوّل ما يتمّ العمل عليه، ونماذج ذلك متعدّدة:

أ - عقود التأمين: وهو اتفاق بين المؤمن (الشركة أو الدولة) وبين المؤمن له (شخص أو أشخاص) على أن يدفع المؤمن له مبلغاً معيناً شهرياً أو سنوياً نصّ عليه في الوثيقة (المسمى بقسط التأمين) لقاء قيام المؤمن بتدراك الخسارة التي تحدث في المؤمن عليه على تقدير حدوثها.

ذهب بعض الفقهاء - كالسيد الخوئي ! - إلى أن عقد التأمين بمنزلة الهبة المعوّضة، فإن المؤمن له يهب مبلغاً معيناً من المال في كلّ قسط إلى المؤمن، ويشترط عليه ضمن العقد أنّه على تقدير حدوث حادثة معينة نصّ عليها في الاتفاقية، أن يقوم بتدراك الخسارة الناجمة له [٥٣].

وذهب بعض آخر من الفقهاء إلى اندراجها تحت الضمان المعاملي، بمعنى أن الشركة قد أنشأت تعهداً بتحمّل الخسارة وتداركها على تقدير وقوعها بشروط، فإذا قبل طالب التأمين ذلك تحقق عقد الضمان بينهما [٥٤].

وذهب آخرون إلى اعتبار التأمين عقداً مستقلاً.

#### الخطوة الثانية: الاندراج تحت صيغة مركبة

قد لا تندرج بعض العقود المستجدة تحت صيغة واحدة من الصيغ المعروفة للمعاملات، لكنها تندرج ضمن صيغ متعدّدة من صور المعاملات المعروفة؛ وذلك يتمّ عبر القيام بعملية تفكيك أجزاء العقد المستحدث الواحد إلى أجزاء متعدّدة، ينطبق على كلّ جزء منه معاملة مستقلة من المعاملات المعروفة. ومثال ذلك التكيف الشرعي المذكور لبطاقات الائتمان، وهي عبارة عن سند يعطيه مصدره لشخص طبيعي أو اعتباري بناء على عقد بينهما، يُمكنه من شراء أو بيع السلع أو غيرها ومن الحصول على الخدمات أو تقديمها.

ويتم تحليل هذه البطاقات إلى ما تحمله من عمليات، وتكييف كل عملية تتم فيه بالنحو المطابق له شرعاً، وقد ذكر لهذه البطاقات العمليات التالية: ١- رسم العضوية: وتكييفه بأنه أجر على عمل أو منفعة تؤديه الشركة المصدرّة للبطاقة، ولو كانت هي منفعة التمكين من الشراء. ٢- رسم التجديد للاشتراك وهو كالسابق أي يرجع إلى الإجارة على العمل. ٣- أخذ البنك نسبة من ثمن البضاعة أو الخدمة. وهنا ذكرت العديد من التكييفات الفقهية كتصويره بأنه قرض من مصدرّ البطاقة للعميل وعمولة من التجار، أو تصويره بأنه عمولة على تحصيل الثمن من العميل لدفعه إلى أصحاب المحلات، أو أجر على قبول البنك لضمان العميل، أو أجر على قبول البنك للحوالة من العميل على البنك للمحتال، وهو التاجر.. [٥٥].

#### الخطوة الثالثة: الاندراج تحت عمومات باب المعاملات والعقود

اختلف في العمومات الواردة في باب المعاملات، كقوله تعالى: <أوفوا بالعقود>، وقوله: <تجارة عن تراض>، وقوله: <أحلّ الله البيع>، فهل تشمل هذه العمومات المعاملات المستحدثة أو لا؟ وتعتمد النظرية التي تلتزم التعميم على ما تقدّم سابقاً من كون القضايا الشرعية بنحو القضايا الحقيقية، فالحكم فيها انصبّ على موضوع معين، ومتى وجد هذا الموضوع وجد حكمه، وهذه العمومات موضوعها العقد العرفي، فيجب الوفاء بكلّ عقد عرفي ولو لم يكن معروفاً في عصر الشارع، وقد التزم الإمام الخميني! بهذا الرأي مشدداً التكرير على من يرفضه، قال: «فإنّ دعوى قصر العمومات على العهود المتداولة في زمن الوحي والتشريع خلاف المفهوم منها وتضييقٌ لدائرتها، حيث إنّ تلك القضايا العامة تأبى عن مثل هذا الجمود والتحرّج المخالف للشريعة السمحة السهلة، ولا أظنّ أنّه يختلج ببال أحد من العرف - العارف باللسان العاري الذهن عن الوسوس - أنّ قوله تعالى: <أوفوا بالعقود> الوارد في مقام التقنين المستمرّ إلى يوم القيامة منحصراً في العهود المعمول بها في ذلك الزمان، فإنّ مثل هذا الجمود مستلزم للخروج عن دائرة الفقه، بل عن ربة الدين، نعوذ بالله من ذلك» [٥٦].

والتمسك بهذه الخطوة عند البحث عن حكم العقود المستحدثة قد يصدر من بعض الفقهاء ابتداءً، من جهة أنهم لم يروا أيّ داعٍ لبحث اندراج العقود المستحدثة تحت العقود بصيغها المعروفة، وقد يصدر من بعض الفقهاء بعد عدم إمكان تخريج العقود المستحدثة تحت واحدٍ من العقود المعروفة.

#### ملاحظات عامة في حكم العقود المستحدثة

##### الملاحظة الأولى: تطابق التخريج الفقهي مع العقد الخارجي

بناءً على تخريج العقود المستحدثة - كالتأمين - ضمن أيّ واحدٍ من العقود المعروفة، لا بدّ من ملاحظة تطابق العقد المستحدث مع الصيغة المعروفة للعقود من ناحية الشروط. ولذلك يعمد الفقهاء - بعد تبني اندراج العقد المستحدث تحت صيغة محدّدة من العقود المعروفة - إلى البحث عن عملية التطابق هذه، فمثلاً تخريج عقد التأمين على أنّه من عقود الضمان المعاملي يستدعي البحث عن شمول أدلة الضمان لهذا النوع من الضمان؛ لأنه من ضمان الأعيان، والروايات قد وردت في ضمان الذمم، أو رفع الإشكال الوارد بأنّ الضمان عبارة عن نقل الحقّ من ذمّة إلى أخرى؛ فلا ينطبق على الضمان بمعنى نقل العين إلى العهدة أو الإشكال عليه أنّه ضمان ما لم يجب [٥٧].

##### الملاحظة الثانية: شروط الصحة وعدم المانع

بناءً على تخريج العقود المستحدثة تحت عمومات أبواب المعاملات كأوفوا بالعقود، لا بد من البحث عن أمرين: أحدهما أن يكون هذا العقد المستحدث مشتملاً على الشروط العامة لصحة العقود. وثانيهما أن يكون خالياً من الموانع المعهودة مانعاً عن صحة العقود العامة.

أما الأمر الأول، فمن الشروط العامة لصحة العقود الرضا القلبي؛ فلا يصحّ تصحيح العقود المستحدثة إذا كانت تشتمل على الإكراه. ومثال ذلك عقود الإذعان، وهي عبارة عما يجري في شركات التأمين وشركات الغاز والمياه ومصالح البريد وغيرها، فقد وقع البحث في صدق الإكراه المبطل للعقد على هذه المعاملة؛ وذلك لأن القبول بهذا العقد ليس سوى إذعان لما يمليه عليه الموجب (٥٨).

وأما الأمر الثاني، فلا بدّ من البحث عن عدم اشتغال المعاملة على موانع الصحة كالجهالة والغرر والربا، ولذلك نماذج، مثل عقد التأمين؛ فقد يقال بعدم صحته من جهة اشتماله على الغرر؛ وذلك بناءً على تحليله إلى معاوضة بين ما يدفعه المؤمن له وبين ما يدفعه المؤمن عند وقوع الخسارة؛ وذلك لعدم معلومية الخسارة التي قد ترد، ويُجاب عن ذلك بأن التأمين معاوضة بين ما يدفعه المؤمن وبين التعهّد وقبول المسؤولية، أو من جهة معلومية الخسارة عند الشركة التي تتكفل بالتأمين (٥٩).

#### الملاحظة الثالثة: البحث عن العناوين المنهي عنها في المعاملات

إن التخريج أو التكييف الفقهي للعقود - سواء كان من خلال إدراجها تحت واحدة من الصيغ المعروفة، أو تحت العمومات - لا بدّ وأن يتمّ فيه استقصاء عدم انطباق إحدى المعاملات التي أبطلها الشارع عليه، ومثال ذلك عقود التوريد، وهي عبارة عن عقد بين طرفين على توريد سلعة أو مواد محدّدة الأوصاف في تواريخ معيّنة لقاء ثمن يُدفع على أقساط، فقد وقع بحث هنا عن انطباق عنوانين من المعاملات التي أبطلها الشارع على هذه العقود، وهما صدق بيع الدين بالدين أو صدق بيع الكالي بالكالي (٦٠)، وهما من المعاملات التي نهى عنها الشارع، فإذا انطبق أحد العنوانين عليها لم يمكن الحكم بصحتها.

#### الملاحظة الرابعة: آثار اختلاف التخريج الفقهي للعقود المستحدثة

يظهر أثر اختلاف التخريج الفقهي للعقود من ناحية الآثار والأحكام، وبعبارة أخرى: إن اختلاف الفقهاء في التخريج الفقهي للعقود المستحدثة وإدراج بعض الفقهاء له ضمن عقد ما، وإدراج آخرين له ضمن عقد آخر، له أثره من ناحية الأحكام والشروط، ومثال ذلك عقد التأمين، فإنه - كما تقدم - قد أدرج من جانب بعض الفقهاء ضمن الهبة المعاوضة، أو ضمن الضمان؛ فمن أحكام الهيئة المعاوضة الخاصة توقّف صحتها على القبض، وجواز الرجوع قبل القبض فيها، فإذا لا بدّ وأن يشترط من يتبنّى إدراج التأمين في الهبة المعاوضة ذلك، وأما من يدرجه تحت عقد الضمان، فلا بدّ وأن يلتزم بجريان أحكام الضمان عليه.

#### الملاحظة الخامسة: ملاحظة الآثار العامة للعقود

يستدعي تخريج العقود المستحدثة ضمن العمومات - كأقوا بالعقود - ترتيب آثار العقود العامة عليها، ونماذج هذه الآثار:

١- اللزوم، فالمعاملات المستحدثة تكون لازمة لا يجوز فيها الفسخ من قبل أحد الطرفين مع عدم وجود المسوّغ الشرعي لذلك، ومثال ذلك عقود التوريد؛ فهي لازمة إمّا من جهة انطباق قوله تعالى: <أوفوا بالعقود> عليها، وهو يدلّ على اللزوم، أو من جهة استصحاب بقاء العقد أي الملك، وذلك لأنّ عقد التوريد بعد انعقاده وحصول الاتفاق بين الطرفين فيه يقتضي ملكيّة كلّ طرفٍ لما في ذمّة الآخر، ومع فسخ أحد الطرفين يحصل الشك في زوال هذه الملكية، فيجري استصحاب بقائها، ونتيجة ذلك لزوم المعاملة (٦١).

٢- ثبوت الخيارات في الجملة: وتوضيح ذلك أن الخيارات التي بحثها الفقهاء على أنواع ثلاثة:  
النوع الأول: الخيار الذي يختصّ بالبيع كخيار المجلس، حيث ذكر الفقهاء بأنّه يختص به، وعليه فجرى هذا الخيار في العقود المستحدثة يتوقف على إدراج العقد المستحدث تحت عنوان البيع.

**النوع الثاني:** الخيار الذي يجري في كلِّ عقد، كخيار الشرط؛ حيث صرَّح الفقهاء بجريانه في جميع العقود، وهذا يعني جريان خيار الشرط في العقود المستحدثة لانطباق عنوان العقد عليها، ومثال ذلك عقود التوريد؛ حيث يلتزم بجريان خيار الشرط فيها.

**النوع الثالث:** الخيار المختلف فيه فقهيًا، وأتَّه هل يختصّ بالبيع أو يجري في جميع العقود؟ وذلك يتبع ما يتم لدى الفقيه من الدليل المثبت لهذا الخيار، ومثاله خيار الغبن، فإن مدركه إن كان هو الإجماع اختصّ بالبيع، بل بقسم خاص منه وهو البيع المبني على التدقيق، وإن كان حديثاً لا ضرر، شمل جميع العقود والمعاضات<sup>[٦٢]</sup>؛ وعليه تدرج العقود المستحدثة ضمن ذلك، ومثاله عقد التأمين؛ فإذا وقع عقد التأمين على مال بأقل من قيمته الواقعية أو زاد المؤمن له في قيمة المال ثبت للطرف الآخر خيار الغبن<sup>[٦٣]</sup>. نعم، لا بدّ من الإشارة إلى أمر مهم، وهو أن الالتزام بجريان بعض الخيارات لا بدّ وأن يُبنى على ملاحظة شروط جريان الخيار وتوفره في العقود المستحدثة، ونموذج ذلك عقود التوريد فهي لا يمكن جريان خيار الرؤية فيها وإن اعتبرناها داخلة ضمن البيع؛ وذلك لأن مورد خيار الرؤية هو العين الشخصية الغائبة إذا بيعت بالوصف وتبيّن خلاف ذلك دون بيع الكلي، فإذا كان عقد التوريد قد وقع على الكلي لم يمكن إجراء خيار الرؤية فيه<sup>[٦٤]</sup>.

#### الملاحظة السادسة: ضرورة تطابق التخرّيج الفقهي مع حقيقة العقود المستحدثة

وذلك لأن الملاحظ من خلال تتبّع الدراسات والبحوث التي تناولت المسائل المستحدثة وجود منهجين في تناول هذه المسائل وموضوعاتها المستحدثة:

**المنهج الأول:** وهو ما يمكن تسميته بالمنهج الردي أو التحليل التناظري<sup>[٦٥]</sup>، ويعتمد على السعي إلى نحو من الحصر لجميع المعاملات ضمن الصور التي كانت سابقاً، ومحاولة تطبيق جميع المعاملات المستحدثة ضمن إطار هذه المعاملات. وما يمكن أن يُسجل نقداً على هذا المنهج:

**أولاً:** إن الملاحظ هو أن بعض التخرّيجات الفقهية والتكليفات المذكورة لبعض العقود المستحدثة لا يتطابق مع العقود المتعارفة بين الناس الذين يخوضون هذه المعاملات، ولعل الإشكال يصبح أكثر وضوحاً وجلاء إذا بُنيت عملية التخرّيج الفقهي للمعاملة على النحو المركّب من أكثر من صورة من صور المعاملات السابقة.

والأنموذج الذي نوردّه لتوضيح ذلك عقود الصيانة، وهي في العرف عقد يتعهّد بمقتضاه أحد المتعاقدين بصيانة شيء لفاء أجر يتعهّد به المتعاقد الآخر، وقد ذكر بعض الباحثين لتخرّيج عقد الصيانة هذا وجوهاً متعدّدة، وعدّها بعضهم أربعة، وهي أن يكون إجارةً أو جعالةً أو تأميناً أو عقد استصناع<sup>[٦٦]</sup>، واختار كونها إجارة، ولكن توقف آخر أمام ذلك من جهة أن العرف لا يرى عقد الصيانة داخلاً في باب الإجارة؛ لأن الإجارة متقوّمة بحصول سلطنة فعلية منجّزة على المنفعة، من هنا فقطة الإشكال الأساسية هي أن مجرد الإمكان العقلي لإنشاء عقد الصيانة على نحو الإجارة لا يغيّر نظر العرف ولا الواقع في الخارج من عدم وقوع عقد الصيانة بهذه الصياغة<sup>[٦٧]</sup>.

**ثانياً:** لعلّ بالإمكان تقديم صيغة علمية للإشكال السابق؛ وذلك أنّ الفقهاء أسسوا لقاعدة تقضي بتبعيّة العقود للقصد، وعلى أساس ذلك اعتبروا القصد ركناً من أركان العقد، ومع عدم تحقق المطابقة بين التخرّيج الفقهي الذي يؤسسه الفقهاء وبين النحو الذي تسير عليه المعاملات في الخارج، فإنّ القصد من المكلفين بشكل عام لن يتمّ على طبق التخرّيج الفقهي، بل على طبق ما هو متداول في الخارج، ولو أردنا أن نعتبر هذا إشكالاً تطبيقياً فإنّ بالإمكان تقديم الإشكال بصورة ثالثة، وهي أن المتعبّد بالشرع لو أراد أن يطبق هذا

التخريج الفقهي على معاملة، فقصده الهبة المعوضة من عقد التأمين مثلاً نتيجة اختيار مقلده لهذا الرأي فيما اختار الطرف الآخر من المعاملة الضمان ائباعاً منه لرأي مقلده، فما هي حقيقة هذه المعاملة؟ هل تقع هبة معوضة أو ضماناً؟ لا سيما مع ملاحظة ما ذكرناه سابقاً من أن ثمره اختلاف التخريج الفقهي للمعاملة يظهر في الأحكام، وأحكام الهبة المعوضة تختلف عن أحكام الضمان.

**ثالثاً:** اقتصر الأبحاث الفقهية على تقديم التخريج الفقهي لهذه المعاملات المستحدثة دون استكمال البحث في الكيفية التي يتم من خلالها ائباعها تنفيذ المعاملة بنحو تضع صورة كاملة للمعاملة أمام المكلفين.

**المنهج الثاني:** ويعتمد على اعتبار هذه المعاملات عقوداً مستقلة، وهذا يؤدي إلى تقديم صورة أكثر تطابقاً مع واقع المعاملات المستحدثة؛ ذلك أن العقود أمورٌ اعتبارية يتبع حقيقتها الاعتبار الموجود في الخارج وكيفية الإنشاء، وليست لها حقائق منفصلة، ومجرد تشابه عقدين في بعض الأركان لا يجعلهما يحملان عنواناً واحداً (٦٨).

#### الملاحظة السابعة: ضرورة تحديد حقيقة المعاملة المستحدثة

لا بدّ وأن يمتلك الفقيه صورةً تامةً للمعاملة المستحدثة؛ وذلك حفظاً لسلامة الاستدلال على حكمها، والصورة الخاطئة للمعاملة قد تؤدي إلى إطلاق حكم خاطئ عليها؛ ومثال ذلك عقود الصيانة، حيث قيل في توجيه عدم صحتها بأنها توجب الغرر، وذلك بتصور أن متعلق العقد هو الصيانة الخارجية، ولكن توهم حصول الغرر في هذا العقد يرتفع إذا لوحظ أن متعلق العقد هو عبارة عن استعداد الشركة أو الشخص للقيام بخدمات الصيانة، وهو أمر معلوم لدى العرف لا جهالة فيه (٦٩).

#### الملاحظة الثامنة: ضرورة هيمنة مقاصد الشريعة على فقه المستحدثات

لابدّ وأن تخضع الدراسات والأبحاث الفقهية التي تتناول الموضوعات المستحدثة - لا سيما في المعاملات القائمة بين الناس - لمقاصد الشريعة. وهذه المقاصد هي عبارة عن الخطوط التشريعية العامة التي ينبغي للفقيه استحضارها عند استنباطه للأحكام، ولعل بعض هذه المقاصد تملك درجة من الوضوح عند بعض الفقهاء فيما لا يراها آخرون على تلك الدرجة، ولما كان البحث عن هذه المقاصد يحتاج إلى تفصيل لا مجال له هنا، فنقتصر على ملاحظة كلمات بعض من لاحظ دور هذه المقاصد وحاكميتها على عملية الاستنباط؛ فقد ذكر الإمام الخميني! في كتاب البيع عندما وصل إلى البحث عن وجوه الحيل التي ذكرت للتخلص من الربا، قال: «نعم، هنا كلام يجب التعرض له - وإن كان خارجاً عن محطّ البحث - لأهميته، وعدم تحقيق الحقّ فيه، وهو أن الربا مع هذه التشديدات والاستنكارات، التي وردت فيه في القرآن الكريم والسنة من طريق الفريقين؛ مما قلّ نحوها في سائر المعاصي، ومع ما فيه من المفسدات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؛ مما تعرض لها علماء الاقتصاد، كيف يمكن تحليله بالحيل الشرعية، كما وردت بها الأخبار الكثيرة الصحيحة، وأفتى بها الفقهاء إلا من شدّ منهم؟! وهذه عويصة بل عقدة في قلوب كثير من المفكرين، وإشكالاً من غير منتحلي الإسلام على هذا الحكم، ولا بد من حلها» (٧٠).

وعلى هذا كانت فتوى الإمام الخميني! قال: «ذكروا للتخلص من الربا وجوهاً مذكورة في الكتب، وقد جدّدت النظر في المسألة فوجدت أن التخلص من الربا غير جائز بوجه من الوجوه» (٧١).

وكذلك لو أردنا ملاحظة ما سجّله الشهيد السيد محمد باقر الصدر! في كتابه اقتصادنا، والمبادئ التي عمل على اكتشافها من ملاحظة أحكام متعدّدة فأسس للاقتصاد مبادئ ثلاث أساسية هي: مبدأ الملكية المزدوجة،

مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود، ومبدأ العدالة الاجتماعية (٧٢).

وقد حدّد الشهيد الصدر! طريقةً لتحديد هذه القواعد التشريعية العامة، وتقوم على دراسة عددٍ كبير من الأحكام الشرعية لملاحظة كونها تشترك جميعها في اتجاه واحد؛ فنكتشف بذلك قاعدةً عامّة في التشريع [٧٣].

إلى هنا، نكون قد وضعنا النقاط الرئيسية لقواعد فقه المسائل المستحدثة فيما يرجع إلى تحديد الحكم الأولي. القسم الثاني: قواعد الحكم الثانوي للمسائل المستحدثة

تشكل العناوين الثانوية تخريجاً لحكم بعض الموضوعات المستحدثة، ولعلّ الانتقال إلى مرحلة التمسك بالعناوين الثانوية إنما يكون متى اصطدم الحكم الأولي ببعض العناوين الثانوية التي تكون ملازمةً للمسائل المستحدثة، ولهذا نماذج متعدّدة تقدّم البحث بطرح واحدٍ منها وهو الاستسناخ، فقد فرض التطور العلمي في موضوع علم الهندسة الوراثية التوصل إلى ما أطلق عليه الاستسناخ، وهو عبارة عن «دمج نواة خلية جسدية مع سيتوبلازم بيضة منزوعة النواة ليأتي جنين بدون عملية جنسية يطابق صاحب النواة تماماً»، وذكر الأطباء له فوائد، كعلاج حالات العقم، أو نزع الجنين المريض الوراثي وإيداله بجنين صحيح.

وهذه العملية لا محذور شرعي فيها بعنوانها الأولي؛ لأننا لو أردنا ملاحظتها ضمن ما قدّمناه من قواعد استنباط حكم المسائل المستحدثة فهي لا تندرج تحت واحدٍ من العمومات المحرّمة، ولا يشملها أي ارتكاز شرعي أو عقلائي ممضى من الشارع على الحرمة، ولا تشملها أي علة منصوصة تثبت بها الحرمة؛ ولذا أفتى الفقهاء بجواز هذه العملية بعنوانها الأولي [٧٤].

نعم، لوحظ العنوان الثانوي من جهة كون عملية الاستسناخ تقتزن - إذا توسّعت - بعنوان ثانوي محرّم، وهو الإخلال بالنظام، ففي النكاح مثلاً يختلط الأمر بين الزوجة والأجنبية وبين المحرم وغيره، ولا يمكن التمييز في المعاملات وفي القضاء والشهادات ولا تمييز المدعي عن المدعى عليه [٧٥].

#### النقطة الأولى: العناوين الثانوية في المسائل المستحدثة، ونماذج تطبيقية

**الأول: الضرورة أو الاضطرار، الضرورة من العناوين الثانوية التي توجب تبدل الحكم الأولي، وهي كسائر الأحكام الثانوية يتعلّق الحكم بها بعنوانها ويقدر الحكم بقدرها، فمتى ارتفعت الضرورة ارتفع الحكم الثانوي؛ ومثال ذلك من الموضوعات المستحدثة مسألة التشريح؛ حيث إن الحكم الأولي فيها يقتضي الحرمة، إما لانطباق عنوان هناك حرمة الميت أو نحو ذلك، ولكن لما كان التشريح من الأمور الضرورية في هذا العصر لعلم الطب، وكان علم الطب من العلوم الضرورية التي يتوقف عليها حفظ النفوس، كان - أي التشريح - جائزاً [٧٦].**

**الثاني: العسر والحرج، وهما أيضاً من العناوين الثانوية الرافعة للأحكام الأولية، وقد يكون الحكم الأولي لبعض الموضوعات المستحدثة هو التحريم مثلاً، لكنّ العسر والحرج يوجب تبدل هذا العنوان إلى الإباحة، ومثال ذلك، مسألة التلقيح الصناعي؛ حيث إنّ انطباق بعض العمومات عليه موجب للالتزام بحرمة كعمومات حرمة النظر واللمس للأجنبي، ولكن يُقال: إن عدم التلقيح الصناعي قد يكون فيه نوعٌ من الحرج على الزوجين إذا ابتليا بمشكلة عدم الإنجاب.**

**الثالث: الضرر والضرار المنفي في الشريعة، اعتمد الفقهاء على العديد من الروايات لإثبات قاعدة نفي الأحكام الضرورية، وعلى أساس هذه الروايات أسس الفقهاء القاعدة المعروفة بقاعدة لا ضرر ولا ضرار، وهذا العنوان قد ينطبق على بعض الموضوعات المستحدثة بنحو تكون هذه المسألة المستحدثة دائماً من مصاديق الضرر، وعليه يفتي الفقهاء بحرمة هذا الفعل المُدرج تحت هذه المسألة، ومثال ذلك مسألة زراعة الأعضاء، فإن عنوان الضرر - وهو من العناوين الثانوية - يصدق دائماً على عملية بذل الأعضاء لتزرع لأخرين إذا كان من الحي، فقطع الأعضاء للترقيع غير جائز وإن وجدت الدواعي العقلانية لذلك [٧٧].**



وكذلك يمكن التمسك بقاعدة لا ضرر لإثبات ضمان النقود الورقية حيث يقال: إنّ النقد حيث كان قوامه وحقيقته بقيمته التبادلية السوقية حيث لا منفعة أخرى فيه فيصدق الإضرار عرفاً بمجرد نقصان ماليته في زمان الأداء عن زمان الأخذ [٧٨].

وقد ينطبق عنوان الضرر على بعض الموضوعات المستجدة أيضاً، ومثال ذلك مسألة الحقوق المعنوية كحقّ التأليف؛ حيث يطبق عليها قاعدة لا ضرر من جهة أن التجاوز عن هذا الحقوق فيه إضرار بالغير [٧٩].

**الرابع: حفظ النظام،** بنى الفقهاء على اعتبار حفظ النظام من العناوين التي تحمل إلزاماً وجوباً على كلّ فعل يؤدي إليه، كما أن عنوان الإخلال بالنظام يحمل إلزاماً تحريمياً على كلّ فعل يؤدي إليه. ومن تطبيقات هذه العنوان الثانوي ما ذكرناه في مسألة الاستساخ، وهو ما يأتي أيضاً في موضوع آخر من الموضوعات المستجدة وهو الاستنتمام، والذي هو عبارة عن إيجاد توائم صناعية تحصل من التحام الجدار المتمزق للخلية الجنسية الملقحة المنقسمة، بحيث تصبح كلّ خلية منقسمة خلية قابلة للانقسام لتولد جنيناً مستقلاً لوحدها، وحيث لا عنوان أولي موجب لحرمة هذا العمل كان لابدّ من ملاحظة العناوين الثانوية كالإخلال بالنظام، وذلك فيما لو وزعت الفليحة إلى عدّة أجنّة، واستعملت في وقت واحد ضمن عدّة أرحام، فأوجب ذلك عدم التشخيص بين التوائم بينما التمايز والاختلاف بين أبناء البشر ضرورة للمجتمعات الإنسانية اقتضتها حكمة الله سبحانه [٨٠].

#### القسم الثالث: قواعد الحكم الولائي للمسائل المستحدثة

الحكم الولائي أو الحكم الحكومي هو الحكم الصادر من الفقيه بصفته حاكماً وولياً، وقد شكّل هذا الحكم منطلقاً في بعض الدراسات الفقهية لحلّ بعض الموضوعات المستجدة والمسائل المستحدثة، ونماذج ذلك:

**النموذج الأول:** الحقوق المعنوية كحقوق التأليف والابتكار والاسم التجاري، فبعد أن انسدت باب الالتزام بثبوت هذه الحقوق - سواء بالعنوان الأولي أو الثانوي - لوحظ أنّه قد يشكّل العنوان الولائي طريقاً لتحديد الموقف، ولذلك إذا وجد الولي الفقيه أن المصلحة الاجتماعية تقتضي حماية هذه الحقوق، يحكم بشرعيّتها وعدم جواز التعديّ عليها [٨١].

**النموذج الثاني:** الاستساخ، فإنّ لوليّ الأمر تحريم هذه العملية إذا كانت المصلحة الإسلامية تقتضي ذلك، ولهذا نجد أن بعض الدول الغربية قد التزمت بالتحريم [٨٢].

**النموذج الثالث:** مسألة التسعير أو تحديد الأسعار، فإنّ الأدلة الأولية تُفيد أن لكلّ مالكٍ لمالٍ أن يبيع ماله بأيّ قيمة شاء، ولكن المصلحة العامة ورعاية السير الاجتماعي المتوازن يقتضي تدخل الولي الفقيه في هذه المنطقة، وذلك ضمن حقّه في التدخل في المسائل الحكومية [٨٣].

**النموذج الرابع:** ثبوت الزكاة في النقود الورقية، حيث لا دليل أولي يُمكن من خلاله إثبات لزوم الزكاة فيها، ولكن يُقال: إننا إذا التزمنا بكون الزكاة حكماً ولائياً يكون تشخيصها في كلّ زمان ومكان بيد ولي الأمر وإن كان أصل الزكاة - على الإجمال - حكماً إلهياً [٨٤].

#### الخاتمة ونتائج البحث

- ١- يتميز الفقه الامامي عن غيره من المذاهب الاسلامية الاخرى، باب الاجتهاد فيه مفتوح حتى يستطيع مواكبة التطور البشري مع مرور الزمن.
- ٢- اغتناء المكيبة العربي بجمهرة من الفه الحضاري واثراء الحياة المعاصرة بكوكبة من فقه الحضارة.

- ٣- تعد المسائل المستحدثة التي تستجد حديثا مع التطور الذي يعيشه العالم الانساني ، تعد محل للابتلاء، فلا بد من تخريج فقهي لهذه المسائل حتى يستطيع المكلف تجاوزها.
- ٤- كثرة المسائل المستحدثة وارتباطها الوثيق في حياة الانسان ، اعد الفقهاء والمحققون قواعد واسس ومنهج خاص لهذه المسائل المستحدثة.
- ٥- اهم واكثر ما يحتاج الى التكييف الفقهي لهذه المسائل هم المغتربين والمهاجرين او الذين يخوضون غمار الحياة في الدول الاوربية والبلدان الاجنبية.
- ٦- اتسم الفقه الامامي بالشمولية ، حيث اتسع لكافة المجالات المعاصرة والمتطورة، فدخل في مجال الطب وكذلك في مجال الاقتصاد والشؤون المالية وكذلك دخل في مختلف المجالات مثل السفر الى الدول الاجنبية والاطعمة والاشربة وكذلك الملابس والمسكن والتعامل والوظيفة وغير ذلك من جوانب الحياة المتطورة التي يحتاجها المغترب.
- ٧- قد تطلق تسميات كثيرة على مصطلح المسائل المستحدثة منها النوازل الفقهية والفتاوى الشرعية الحديثة وايضا المسائل المستجدة المستمرة وغيرها من التسميات الاخرى.
- ٨- قد تكون المسائل المستحدثة ملحقة بالرسائل العملية بالفقهاء او منفردة عن الرسائل العملية، بطبيعة الحال لأنها استجدت في مرور التطور الزمني او بالأحرى في تأليف جديد.
- ٩- يجب على المكلف متابعة العالم والفقهاء المجتهدين في الاحكام الشرعية للمسائل المستحدثة ، حتى يمكن العمل به ومواكبة التطور الحضاري

#### الهوامش

- [١] الشيرازي، ناصر مكارم، المسائل المستحدثة، مجلة فقه أهل البيت، العدد الرابع، ١٩٩٧.
- [٢] القائيني، الشيخ محمد، المبسوط في فقه المسائل المعاصرة ١: ١٩، مركز فقه الأئمة الأطهار.
- [٣] الخوئي، الاجتهاد والتقليد: ١٦٨، ط الأولى.
- [٤] المصدر نفسه.
- [٥] ميرداماد، الرواشح السماوية: ١٦٢ - ١٦٣، دار الحديث، ١٤٢٢هـ.
- [٦] الدكتور أحمد فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٥٠، ط أولى، ١٩٩٥م، الدمام.
- [٧] الفاروقي، حارث سليمان، المعجم القانوني: ١٢٠، ق ١، مكتبة لبنان، ١٩٩١.
- [٨] كرم، عبد الواحد، معجم مصطلحات الشريعة والقانون: ١٣٠.
- [٩] قلنجي، محمد، معجم لغة الفقهاء: ١٤٣، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٨.
- [١٠] الحفيف، علي، شهادات الاستنثار: ١١، هدية مجلة الأزهر، ربيع الثاني، ١٤١٧.
- [١١] القرضاوي، الفتاوى: ٧٢، نقلاً عن كتاب: التكييف الفقهي للوقائع المستجدة وتطبيقاته الفقهية، د. محمد عثمان شبير، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤.
- [١٢] فتح الله أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ١٦٦؛ والمشكيني، اصطلاحات الأصول: ٧٣.
- [١٣] الخوئي، السيد أبو القاسم، التنقيح في شرح العروة ٩: ٣٥٨، ط الأولى.
- [١٤] الخرازي، السيد محسن، الأوراق النقدية، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٢٦: ١٦.
- [١٥] الهاشمي، السيد محمود، قراءات فقهية معاصرة ٢: ١٧٣، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، ٢٠٠٣.

- [١٦] الخوئي، المستند في شرح العروة، ج ٢٥ من موسوعة الإمام الخوئي: ٢٣٣؛ والحكيم، السيد محسن، مستمسك العروة ٩: ٥٢٨.
- [١٧] الهاشمي، السيد محمود، قراءات فقهية معاصرة ٢: ١٩٧.
- [١٨] المصدر نفسه ١: ١٨.
- [١٩] المصدر نفسه: ٢٤.
- [٢٠] المصدر نفسه ٢: ١٩٧، وكذلك للمؤلف كتاب الخمس ٢: ١٩٢، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٠هـ.
- [٢١] الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، وسائل الشريعة، الباب ١٥ من أبواب جهاد العدو، حديث ٣.
- [٢٢] الشيرازي، ناصر مكارم، التشريح، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١: ٨٦؛ والخرازي، السيد محسن، حكم التشريح: ٩٠، مجلة فقه أهل البيت، العددان ٥ و ٦.
- [٢٣] الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن. وسائل الشريعة، باب ٤ من النكاح المحرم، ح ١.
- [٢٤] حرم بناهي، الشيخ محسن، التلقيح الصناعي، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٠: ٧٠.
- [٢٥] القائيني، الشيخ محمد، المبسوط في فقه المسائل المعاصرة ١: ٣٨٠.
- [٢٦] الروحاني، السيد محمد، المسائل المستحدثة: ٩، دار الكتاب، الطبعة الرابعة، قم؛ واليزدي، الشيخ محمد، التلقيح الصناعي: ١٢٠، مجلة فقه أهل البيت، العددان ٥ و ٦.
- [٢٧] القائيني، الشيخ محمد، المبسوط في فقه المسائل المعاصرة ١: ٣٢.
- [٢٨] المصدر نفسه: ٤٨.
- [٢٩] السيد محمد صادق الروحاني، المسائل المستحدثة: ٩؛ والخرازي، السيد محسن، التلقيح، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٦: ١١٤.
- [٣٠] راجع مقالة للكاتب تحت عنوان «إلغاء الخصوصية عند الفقهاء»، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٢٧.
- [٣١] مغنية، محمد جواد، مجلة رسالة الإسلام، السنة العاشرة، العدد ٣: ٢٥٨؛ وخرازي، السيد محسن، التلقيح، فقه أهل البيت، العدد ١٦: ١٢٦.
- [٣٢] حرم بناهي، الشيخ محسن، التلقيح الصناعي، مجلة فقه أهل البيت، العدد العاشر: ٦٨.
- [٣٣] الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، وسائل الشريعة، باب ٢٤ من ديات الأعضاء، ح ٣.
- [٣٤] سند، الشيخ محمد، فقه البنوك والحقوق الجديدة: ٢٨٥.
- [٣٥] القائيني، الشيخ محمد، المبسوط في فقه المسائل المعاصرة ١: ٩٢.
- [٣٦] الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، المستند في شرح العروة الوثقى، كتاب الصوم ٢٢: ١٤٥، من موسوعة الإمام الخوئي؛ وكذلك راجع: مستمسك العروة الوثقى ٨: ٤٨٠.
- [٣٧] الخزازي، السيد محسن، حكم التشريح، فقه أهل البيت، العددان ٥ و ٦: ٩٠.
- [٣٨] الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، وسائل الشريعة، باب ٣ من أبواب العدد، ح ٢، ج ٢٢: ١٨٢.
- [٣٩] المؤمن، الشيخ محمد، عدّة من لا رحم لها، فقه أهل البيت، العدد ٢: ٧٢.
- [٤٠] هذه المقولة هي للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، راجع مجلة (فقه) الفارسية، العدد ٣٧ و ٣٨: ٨٢ مقالة لعبد الله شفائي بعنوان: حق التأليف.
- [٤١] سند، الشيخ محمد، فقه البنوك والحقوق الجديدة: ٢٧٨.
- [٤٢] الروحاني، المسائل المستحدثة: ٢٢٣.

- [٤٣] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٢: ٣٥٩، دار الذخائر.
- [٤٤] الخوئي، السيد أبو القاسم، التفتيح في شرح العروة الوثقى، كتاب الطهارة ١: ٣٢٩، ط الأولى.
- [٤٥] الصدر، السيد محمد باقر، بحوث في شرح العروة الوثقى ٢: ١٢٩.
- [٤٦] الخميني، السيد روح الله الموسوي، الاجتهاد والتقليد: ٨٠، مؤسسة تنظيم ونشر آثار.
- [٤٧] الصدر، السيد محمد باقر، بحوث في شرح العروة الوثقى ٢: ١٢٩، نشر مكتب الإعلام الإسلامي.
- [٤٨] الحائري، السيد كاظم، فقه العقود ١: ١٦٠.
- [٤٩] المؤمن، الشيخ محمد، العدة، فقه أهل البيت، عدد ٢: ٨٣.
- [٥٠] الحر العاملي، وسائل الشيعة، باب ١ من أبواب صلاة المسافر، حديث ١، ج ٨: ٥٤١.
- [٥١] القائيني، الشيخ محمد، المبسوط في فقه المسائل الطبية: ٣١،
- [٥٢] الجواهري، الشيخ حسن، مرض الايدز وما يترتب عليه من أحكام فقهية، مجلة الفكر الإسلامي، العدد ١١: ٧٨.
- [٥٣] الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، منهاج الصالحين ١: ٤٢١، ط ٢٨.
- [٥٤] الفياض، محمد إسحاق، أحكام البنوك: ٥٥.
- [٥٥] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ١: ٢٥٢.
- [٥٦] الخميني، السيد روح الله الموسوي، التأمين، تقرير محمدي الجبلاني، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٨: ١.
- [٥٧] الروحاني، السيد محمد صادق، المسائل المستحدثة: ٦٧؛ والخرازي، السيد محسن، التأمين، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٧: ٥٩.
- [٥٨] الجواهري، الشيخ حسن، عقود الإذعان، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٣٤: ١٦٤.
- [٥٩] الخرازي، السيد محسن، التأمين، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٧: ٦٥.
- [٦٠] الجواهري، الشيخ حسن، عقود التوريد والمناقصات، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٢١: ٧٣ - ٧٤.
- [٦١] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٣: ٧٨.
- [٦٢] الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، التفتيح في شرح المكاسب، تقرير الميرزا علي الغروي ٣٨: ٤٠٧، موسوعة الإمام الخوئي.
- [٦٣] الخرازي، السيد محسن، التأمين، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٧: ٤٧ - ٤٨.
- [٦٤] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٣: ٧٨.
- [٦٥] الزهراني، محمد بن حسن بن سعد، الأزمة المنهجية لفقه المعاملات العصرية: ١٥١، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السنة ٦، العدد ٢٤.
- [٦٦] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٣: ٢٣٩.
- [٦٧] التسخيري، الشيخ محمد علي، عقود الصيانة وتكليفها، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد ١١، سنة ١٩٩٨.
- [٦٨] المصدر نفسه.
- [٦٩] المصدر نفسه: ١٢٨.
- [٧٠] الخميني، السيد روح الله الموسوي، كتاب البيع ٢: ٥٤٠ - ٥٤١، مؤسسة نشر آثار، ١٤٢١هـ.
- [٧١] الخميني، السيد روح الله الموسوي ١: ٥٣٨، دار الكتب العلمية، ١٣٩٠هـ.
- [٧٢] الصدر، السيد محمد باقر، اقتصادنا: ٣٧٥، ط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٢٥هـ.

- (٧٣] الصدر، السيد محمد باقر، المعالم الجديدة للأصول: ١٦٢، ط مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٥م.
- (٧٤] استفتاءات السيد السيستاني وملاحظة من تبني هذا الرأي.
- (٧٥] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٣: ١٢٨.
- (٧٦] الشيرازي، ناصر مكارم، المسائل المستحدثة في الطب، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٩: ١٤٦.
- (٧٧] الخرازي، السيد محسن، زراعة الأعضاء، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٩: ٨٦.
- (٧٨] الهاشمي الشاهرودي، السيد محمود، قراءات فقهية معاصرة ٢: ١٨٧.
- (٧٩] التسخيري، الشيخ محمد علي، الحقوق المعنوية، مجلة التوحيد، العدد ٤٠: ١٢٠.
- (٨٠] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٣: ١٢٣.
- (٨١] التسخيري، الشيخ محمد علي، الحقوق المعنوية، مجلة التوحيد، العدد ٤٠: ١٢٠.
- (٨٢] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٣: ١٣٠.
- (٨٣] التسخيري، الشيخ محمد علي، مسألة تحديد الأسعار، مجلة التوحيد، العدد ٤٣: ٨٤.
- (٨٤] الحائري، السيد كاظم، الأوراق المالية الاعتبارية، مجلة رسالة الثقلين، العدد ٨: ٣٤.

#### المصادر والمراجع

- (١] الشيرازي، ناصر مكارم، المسائل المستحدثة، مجلة فقه أهل البيت، العدد الرابع، ١٩٩٧.
- (٢] القائيني، الشيخ محمد، المبسوط في فقه المسائل المعاصرة ١: ١٩، مركز فقه الأئمة الأطهار.
- (٣] الخوئي، الاجتهاد والتقليد: ١٦٨، ط الأولى.
- (٤]
- (٥] ميرداماد، الرواشح السماوية: ١٦٢ - ١٦٣، دار الحديث، ١٤٢٢هـ.
- (٦] الدكتور أحمد فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٥٠، ط أولى، ١٩٩٥م، الدمام.
- (٧] الفاروقي، حارث سليمان، المعجم القانوني: ١٢٠، ق ١، مكتبة لبنان، ١٩٩١.
- (٨] كرم، عبد الواحد، معجم مصطلحات الشريعة والقانون: ١٣٠.
- (٩] قلججي، محمد، معجم لغة الفقهاء: ١٤٣، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٨.
- (١٠] الحفيظ، علي، شهادات الاستئثار: ١١، هدية مجلة الأزهر، ربيع الثاني، ١٤١٧.
- (١١] القرضاوي، الفتاوى: ٧٢، نقلاً عن كتاب: التكييف الفقهي للوقائع المستجدة وتطبيقاته الفقهية، د. محمد عثمان شبير، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤.
- (١٢] فتح الله أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ١٦٦؛ والمشكيني، اصطلاحات الأصول: ٧٣.
- (١٣] الخوئي، السيد أبو القاسم، التفتيح في شرح العروة ٩: ٣٥٨، ط الأولى.
- (١٤] الخرازي، السيد محسن، الأوراق النقدية، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٢٦: ١٦.
- (١٥] الهاشمي، السيد محمود، قراءات فقهية معاصرة ٢: ١٧٣، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، ٢٠٠٣.
- (١٦] الخوئي، المستند في شرح العروة، ج ٢٥ من موسوعة الإمام الخوئي: ٢٣٣؛ والحكيم، السيد محسن، مستمسك العروة ٩: ٥٢٨.
- (١٧] الهاشمي، السيد محمود، قراءات فقهية معاصرة ٢: ١٩٧.
- (١٨]

- (١٩)
- (٢٠)
- (٢١) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، الباب ١٥ من أبواب جهاد العدو، حديث ٣.
- (٢٢) الشيرازي، ناصر مكارم، التشريح، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١: ٨٦؛ والخرازي، السيد محسن، حكم التشريح: ٩٠، مجلة فقه أهل البيت، العددان ٥ و ٦.
- (٢٣) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن. وسائل الشيعة، باب ٤ من النكاح المحرم، ح ١.
- (٢٤) حرم بناهي، الشيخ محسن، التلقيح الصناعي، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٠: ٧٠.
- (٢٥) القائني، الشيخ محمد، المبسوط في فقه المسائل المعاصرة ١: ٣٨٠.
- (٢٦) الروحاني، السيد محمد، المسائل المستحدثة: ٩، دار الكتاب، الطبعة الرابعة، قم؛ واليزدي، الشيخ محمد، التلقيح الصناعي: ١٢٠، مجلة فقه أهل البيت، العددان ٥ و ٦.
- (٢٧) القائني، الشيخ محمد، المبسوط في فقه المسائل المعاصرة ١: ٣٢.
- (٢٨)
- (٢٩) السيد محمد صادق الروحاني، المسائل المستحدثة: ٩؛ والخرازي، السيد محسن، التلقيح، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٦: ١١٤.
- (٣٠) راجع مقالة للكاتب تحت عنوان «إلغاء الخصوصية عند الفقهاء»، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٢٧.
- (٣١) مغنية، محمد جواد، مجلة رسالة الإسلام، السنة العاشرة، العدد ٣: ٢٥٨؛ وخرازي، السيد محسن، التلقيح، فقه أهل البيت، العدد ١٦: ١٢٦.
- (٣٢) حرم بناهي، الشيخ محسن، التلقيح الصناعي، مجلة فقه أهل البيت، العدد العاشر: ٦٨.
- (٣٣) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، باب ٢٤ من ديات الأعضاء، ح ٣.
- (٣٤) سند، الشيخ محمد، فقه البنوك والحقوق الجديدة: ٢٨٥.
- (٣٥) القائني، الشيخ محمد، المبسوط في فقه المسائل المعاصرة ١: ٩٢.
- (٣٦) الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، المستند في شرح العروة الوثقى، كتاب الصوم ٢٢: ١٤٥، من موسوعة الإمام الخوئي؛ وكذلك راجع: مستمسك العروة الوثقى ٨: ٤٨٠.
- (٣٧) الخرازي، السيد محسن، حكم التشريح، فقه أهل البيت، العددان ٥ و ٦: ٩٠.
- (٣٨) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، باب ٣ من أبواب العدد، ح ٢، ج ٢٢: ١٨٢.
- (٣٩) المؤمن، الشيخ محمد، عدّة من لا رحم لها، فقه أهل البيت، العدد ٢: ٧٢.
- (٤٠) هذه المقولة هي للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، راجع مجلة (فقه) الفارسية، العدد ٣٧ و ٣٨: ٨٢ مقالة لعبد الله شفائي بعنوان: حق التأليف.
- (٤١) سند، الشيخ محمد، فقه البنوك والحقوق الجديدة: ٢٧٨.
- (٤٢) الروحاني، المسائل المستحدثة: ٢٢٣.
- (٤٣) الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٢: ٣٥٩، دار الذخائر.
- (٤٤) الخوئي، السيد أبو القاسم، التلقيح في شرح العروة الوثقى، كتاب الطهارة ١: ٣٢٩، ط الأولى.
- (٤٥) الصدر، السيد محمد باقر، بحوث في شرح العروة الوثقى ٢: ١٢٩.
- (٤٦) الخميني، السيد روح الله الموسوي، الاجتهاد والتقليد: ٨٠، مؤسسة تنظيم ونشر آثار.
- (٤٧) الصدر، السيد محمد باقر، بحوث في شرح العروة الوثقى ٢: ١٢٩، نشر مكتب الإعلام الإسلامي.

- [٤٨] الحائري، السيد كاظم، فقه العقود ١: ١٦٠.
- [٤٩] المؤمن، الشيخ محمد، العدة، فقه أهل البيت، عدد ٢: ٨٣.
- [٥٠] الحر العاملي، وسائل الشيعة، باب ١ من أبواب صلاة المسافر، حديث ١، ج ٨: ٥٤١.
- [٥١] القائيني، الشيخ محمد، المبسوط في فقه المسائل الطبية: ٣١،
- [٥٢] الجواهري، الشيخ حسن، مرض الايدز وما يترتب عليه من أحكام فقهية، مجلة الفكر الإسلامي، العدد ١١: ٧٨.
- [٥٣] الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، منهاج الصالحين ١: ٤٢١، ط ٢٨.
- [٥٤] الفياض، محمد إسحاق، أحكام البنوك: ٥٥.
- [٥٥] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ١: ٢٥٢.
- [٥٦] الخميني، السيد روح الله الموسوي، التأمين، تقرير محمدي الجيلاني، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٨: ١.
- [٥٧] الروحاني، السيد محمد صادق، المسائل المستحدثة: ٦٧؛ والخرازي، السيد محسن، التأمين، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٧: ٥٩.
- [٥٨] الجواهري، الشيخ حسن، عقود الإذعان، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٣٤: ١٦٤.
- [٥٩] الخرازي، السيد محسن، التأمين، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٧: ٦٥.
- [٦٠] الجواهري، الشيخ حسن، عقود التوريد والمناقصات، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٢١: ٧٣ - ٧٤.
- [٦١] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٣: ٧٨.
- [٦٢] الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، التتقيح في شرح المكاسب، تقرير الميرزا علي الغروي ٣٨: ٤٠٧، موسوعة الإمام الخوئي.
- [٦٣] الخرازي، السيد محسن، التأمين، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٧: ٤٧ - ٤٨.
- [٦٤] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٣: ٧٨.
- [٦٥] الزهراني، محمد بن حسن بن سعد، الأزمة المنهجية لفقه المعاملات العصرية: ١٥١، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السنة ٦، العدد ٢٤.
- [٦٦] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٣: ٢٣٩.
- [٦٧] التسخيري، الشيخ محمد علي، عقود الصيانة وتكليفها، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد ١١، سنة ١٩٩٨.
- [٦٨]
- [٦٩]
- [٧٠] الخميني، السيد روح الله الموسوي، كتاب البيع ٢: ٥٤٠ - ٥٤١، مؤسسة نشر آثار، ١٤٢١هـ.
- [٧١] الخميني، السيد روح الله الموسوي ١: ٥٣٨، دار الكتب العلمية، ١٣٩٠هـ.
- [٧٢] الصدر، السيد محمد باقر، اقتصادنا: ٣٧٥، ط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٢٥هـ.
- [٧٣] الصدر، السيد محمد باقر، المعالم الجديدة للأصول: ١٦٢، ط مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٥م.
- [٧٤] استفتاءات السيد السيستاني وملاحظة من تبني هذا الرأي.
- [٧٥] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٣: ١٢٨.
- [٧٦] الشيرازي، ناصر مكارم، المسائل المستحدثة في الطب، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٩: ١٤٦.
- [٧٧] الخرازي، السيد محسن، زراعة الأعضاء، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٩: ٨٦.

- [٧٨] الهاشمي الشاهرودي، السيد محمود، قراءات فقهية معاصرة ٢: ١٨٧.
- [٧٩] التسخيري، الشيخ محمد علي، الحقوق المعنوية، مجلة التوحيد، العدد ٤٠: ١٢٠.
- [٨٠] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٣: ١٢٣.
- [٨١] التسخيري، الشيخ محمد علي، الحقوق المعنوية، مجلة التوحيد، العدد ٤٠: ١٢٠.
- [٨٢] الجواهري، الشيخ حسن، بحوث في الفقه المعاصر ٣: ١٣٠.
- [٨٣] التسخيري، الشيخ محمد علي، مسألة تحديد الأسعار، مجلة التوحيد، العدد ٤٣: ٨٤.
- [٨٤] الحائري، السيد كاظم، الأوراق المالية الاعتبارية، مجلة رسالة الثقلين، العدد ٨: ٣٤.





## عقوبة القاصر بين الشريعة والقانون العراقي

عبد الخالق عبد الحميد طوبان

جامعة الفراهيدي / كلية القانون

toban\_2015@yahoo.com

### ملخص البحث:

إن موضوع القاصر من المواضيع المهمة التييج على طالب الفقه أن يكون على علم بها، والإسلام اهتم اهتماماً بالغاً بالقاصر من حيث تربيته ورعايته ومعاملته معاملة طيبة وضمان حياة كريمة له، حتى يكون عضواً نافعاً في المجتمع.

جاء التركيز في هذا البحث على مفهوم عقوبة القاصر في الشريعة والقانون العراقي، ثم تناول البحث الأحكام الشرعية على نفس القاصر وتطبيقاتها في المحاكم الشرعية والقانون الوضعي، وذلك للعمل على علاج المشاكل المتوقعة، ولتفعيل هذه الاجراءات يتعين تخصيص نصوص شرعية وقانونية تتعلق بالقاصر وتقوم على رعايته ووضع في أيدي أمينة لتحفظه.

ملخص البحث باللغة الإنكليزية:

The issue of the minor is one of the important topics that the student of jurisprudence must be aware of, and Islam has taken great care of the minor in terms of his upbringing, caring for him, treating him well and ensuring a decent life for him, so that he can be a useful member of society.

The focus in this research was on the concept of punishment for a minor in Sharia and Iraqi law, then the research dealt with Sharia rulings on the same minor and their applications in Sharia courts and positive law, in order to work on the treatment of expected problems. And put it in safe hands to keep it.

### المبحث الأول

#### مفهوم العقوبة في الشريعة والقانون

- المطلب الأول: مفهوم العقوبة.

أولاً: تعريف العقوبة لغة.

العقوبة مصدر للفعل (عقب): يقال: (العقابُ والمُعاقبةُ أن تُجْزِيَ الرجلَ بما فعلَ سوءاً، والاسمُ العُقُوبَةُ، وعاقبه بذنبه مُعاقبةً وعقاباً أَخَذَهُ به) (١).

ثانياً: تعريف العقوبة اصطلاحاً.

هي: (جزاء بالضرب أو القطع أو الرجم أو القتل، سمي بها؛ لأنها تتلو الذنب، من تعقبه) (٢).

وهي: جزاء فعل محظور أو ترك مأمور<sup>(٣)</sup>. وهي في حد ذاتها أذى لمن وقع عليه العقاب، وفي الوقت ذاته مصلحة في حق غيره، وإنما يستحق الجاني العقوبة لأنه بفعله المحظور، أو بتركه المأمور يكون مصدر إزعاج وأذى للأمة، فإذا لم ينزل به العقاب تمادى في غيّه، فأكثر في البلاد الفساد، فاستحق العقاب<sup>(٤)</sup>. والعقوبات الشرعية (كلها ليست مطلوبة لكونها مفسدة بل لكونها المقصودة من شرعها، كقطع السارق، وقطع الطريق، وقتل الجناة، ورحم الزناة وجلدهم وتغريبهم، وكذلك التعزيرات، كل هذه مفسدة أوجبها الشرع لتحقيق ما رتب عليها من المصالح الحقيقية)<sup>(٥)</sup>.

والحدود (زواج وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر، وترك ما أمر به لما في الطمع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة، فجعل الله تعالى من زواج الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذرا من ألم العقوبة، وخيفة من نكال الفضيحة؛ ليكون ما حظر من محارمه ممنوعا، وما أمر به من فروضه متبوعا، فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم)<sup>(٦)</sup>. فالعقوبة تعتبر أداة تهديد، وأما بعد وقوع الجريمة، فتعتبر أداة زجر لعموم الناس، وتأديب لمن وقعت منه الجريمة.

وجاءت كلمة العقوبة في القرآن الكريم مرادفة لكلمة العقاب، قال تعالى: {أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}<sup>(٧)</sup>، وهذا خبر يتضمن الوعيد. والعقاب مأخوذ من العقب، كأن المعاقب يمشي بالمجازاة له في آثار عيّه<sup>(٨)</sup>. وقال تعالى: {وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}<sup>(٩)</sup>، (المراد منه التهديد والوعيد، يعني اتقوا الله ولا تستحلوا شيئا من محارمه إن الله شديد العقاب، لا يطيق أحد عقابه)<sup>(١٠)</sup>.

### ثالثا: تعريف العقوبة في القانون العراقي.

عرّف أغلب علماء القانون الجنائي العقوبة في العصر الحديث بأنها الجزاء الذي يوقع على مرتكب الجريمة لمصلحة المجتمع.

وهي: (النتيجة القانونية المترتبة كجزاء على مخالفة النصوص التجريبية والتي تطبق بإتباع الإجراءات الخاصة بالدعوى الجنائية وبواسطة السلطة القضائية على من ثبتت مسؤوليته عن الجريمة)<sup>(١١)</sup>. أما في القانون العراقي: (العقوبة هي جزاء وارد بقانون العقوبات، ويوقع على من ارتكب فعلا أو امتناعا يعتبره الشارع جريمة من الناحية الجنائية).

والغاية من العقاب: هو حماية مصالح المجتمع من المجرم ومن غيره ممن ينزعون إلى الشر)<sup>(١٢)</sup>.

### - المطلب الثاني: أدلة مشروعية العقوبة والحكمة منها.

لقد حرصت الشريعة الإسلامية على مصالح المسلمين، واستقرار أحوالهم، ولذلك كان من الطبيعي أن تشمل الشريعة على عقوبات تزر وتردع بها من يرتكبون الجرائم في حق المجتمع ويتسببون في اضطرابه والإضرار به، ولقد تضافرت الأدلة التي تؤكد مشروعية العقوبات في الإسلام سواء في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ، على النحو التالي:

### أولاً الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}<sup>(١٣)</sup>، ففي هذه الآية عقوبة كل من الزانية والزاني الغير محصنين الجلد، لما صنع وأتى من معصية الله<sup>(١٤)</sup>.

٢- قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}<sup>(١٥)</sup>، أي: (ومن سرق من رجل أو امرأة فاقطعوا يدا ولاة الأمور والقضاة والحكام يده من الكف إلى

الرّسغ، لأن السرقة تحصل بالكف مباشرة، والساعد والعضد يحملان الكف كما يحملهما معهما البدن، والتي تقطع أو لا هي اليمنى لأن التناول غالباً يكون بها<sup>(١٦)</sup>.

٣- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(١٧)</sup>، أي: (أن من قذف محصناً أو محصنة بالزنا فقال له: يا زاني أو يا زانية أو زנית فيجب عليه جلد ثمانين إن كان القاذف حراً وإن كان عبداً يجلد أربعين وإن كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير)<sup>(١٨)</sup>.

فهذا العقاب المترتب على قذف النساء العفيفات الطاهرات، وهو الجلد ثمانين جلدة، وعدم قبول شهادتهم، ووصفهم بالفاسقين لهو دليل على شرعية العقوبات، وأنها ما وضعت إلا علاجاً ناجعاً للمخالفين العصاة. ثانياً: الأدلة على مشروعية العقوبة من السنة.

١- عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْفِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ». قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال صلى الله عليه وسلم: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عَصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»<sup>(١٩)</sup>. والحديث واضح في إثبات العقوبة ومشروعيتها في حق من يعتدون على الحرمات.

٢- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ»<sup>(٢٠)</sup>. وهنا أيضاً رتب الشارع الحكيم عقوبة السرقة وهي قطع اليد، وهذا يثبت أنه لا عقوبة إلا بعد اقرار ذنب، مما يؤكد شرعية العقوبة من السنة الكريمة.

٢- عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لماعز بن مالك: «أَحَقُّ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ»، قال وما بلغك عني؟ قال صلى الله عليه وسلم: «بَلَغَنِي أَنَّكَ وَقَعْتَ بَجَارِيَةَ آلِ فُلَانٍ»، قال: نعم، قال: فشهد أربع شهادات ثم أمر به فرُجم<sup>(٢١)</sup>.

ثالثاً: مشروعية العقوبة من المعقول.

فمن حكمته صلى الله عليه وسلم أن شرع العقوبات في الجنايات الواقعة على النفس والأبدان والأموال والأعراض بين الناس بعضهم مع بعض، فأحكم الله تعالى وجوه الزجر الرادعة على هذه الجنايات، وشرعها على أكمل الوجوه المتضمنة لمصلحة الردع والزجر، مع عدم مجاوزة الحد لما يستحقه الجاني<sup>(٢٢)</sup>.

رابعاً: الحكمة من العقوبة:

خلق الله تعالى الإنسان، وزوده بكثير من الشهوات، ووجوه من الطبايع والانفعالات، وركب فيه أنواعاً من الغرائز والميول والرغبات، ثم أعطاه القدرة والاختيار، وركب فيه العقل، فجاء هذا الإنسان بطبعه مجبولاً على الخير والنشر، ورتب الثواب على الطاعات، والأعمال الصالحات، ورتب العقاب على من ارتكب المعاصي والمخالفات، قال تعالى: ﴿إِمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(٢٣)</sup>.

كما جاء عدم التسوية بين المحسن والمسيء في العمل فلا يستويان في الثواب، فكان من الطبيعي أن يجعل الله للمفسدين والمعتمدين على حقوق الغير عقاباً عاجلاً في الدنيا لكبح هذه النفوس، صيانة للجماعة من شيوخ الفساد، وتفشي الإجرام.

وأما في الآخرة فالعذاب لما مات على عصيانه أشد وأكبر، والنكال به أتم وأعظم، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون<sup>(٢٤)</sup>.

وخلاصة القول: بأن تشريع العقوبات لمن لم ينتفع بالوسائل التربوية والخلقية وبالعبادات، ولم يمنعه إيمانه من الإفساد في الأرض، وظلم العباد، فيلزم عقلاً وشرعاً الوقوف بوجه الفساد حتى يسلم من آثار تلك

الجرائم كل العباد. فشرع الله العقوبات رحمة للناس أجمعين، وما هي إلا تهذيب للنفوس وتصفيتها من الشر وإصلاح المعتدين، وتطهير لهم، ونهيبهم عن الاقتراب من المحرمات.

\*\*\*\*\*

### المبحث الثاني

#### مفهوم القاصر في الشريعة الإسلامية والقانون العراقي

- المطلب الأول: مفهوم القاصر.

أولاً: تعريف القاصر لغة.

القاصر من مصدر فعل (قصر)، (القَصْرُ والقَصْرُ في كل شيء خلافُ الطُّول، وقَصَرْتُ عن الشيء قصوراً: عجزت عنه ولم أبلِّغهُ)<sup>(٢٥)</sup>، وقيل: (قَصَرَ عنه تَقْصيراً: تَرَكَهُ وهو لا يَقْدِرُ عليه، وأقْصَرَ: تَرَكَهُ وكَفَّ عنه وهو يَقْدِرُ عَلَيْهِ)<sup>(٢٦)</sup>.

ثانياً: تعريف القاصر اصطلاحاً.

القاصر هو: كل شخص لم يبلغ الحلم، كما يطلق عليه تسميات أخرى كالصبي أو الصغير أو الطفل، وذلك لقوله تعالى: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}<sup>(٢٧)</sup>.

وهو (القاصر عن التصرف السليم)<sup>(٢٨)</sup>.

وعرِّفت بأنها: (من لم يستكمل أهلية الأداء، سواء أكان فاقداً لها كغير المميز أم ناقصها كالمميز)<sup>(٢٩)</sup>.

ثالثاً: تعريف القاصر في القانون العراقي.

المشرع العراقي لم يعرف مصطلح القاصر في القانون المدني رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١م، رغم تناوله الولاية والوصاية والأهلية وحكم التصرفات القانونية للصغير في نصوصه، وقد سلك نفس المسلك في قانون رعاية القاصرين رقم (٧٨) لسنة (١٩٨٠م)، إذ خلا نصوصه من أي تعريف للقاصر، كل ما في الأمر ذكر المشرع الأشخاص الذي يسري عليهم القانون الأخير في المادة (٣/أولاً)، وفي الفقرة (٣/ثانياً) عدّد الأشخاص الذين يعتبرون قَصْرًا. إذ جاء في المادة (٣):

(أولاً: يسري هذا القانون على:

أ- الصغير الذي لم يبلغ سن الرشد.

ب- الجنين.

ج- المحجور الذي تقرر المحكمة أنه ناقص الأهلية أو فاقدها.

د- الغائب المفقود.

ثانياً: يقصد بالقاصر لأغراض هذا القانون الصغير والجنين ومن تقرر المحكمة أنه ناقص الأهلية أو فاقدها والغائب والمفقود، إلا إذا دلت القرينة على خلاف ذلك).

ومن خلال قراءة نص المادة أعلاه يفهم بأن القاصر هو: كل إنسان لم يستكمل أهليته لعراض من عوارض الأهلية، أو كان فاقداً للأهلية أصلاً، إذ أن مصطلح القاصر وفق هذه المادة لا يقصد به الصغير فقط، بل يشمل الجنين، أو مجنون، أو معتوه، أو سفيه، أو ذي الغفلة، كما أن مصطلح القاصر يشمل كلاً من المفقود والغائب<sup>(٣٠)</sup>، ليس لوجود قصور في أهليتهما، وإنما مجازاً<sup>(٣١)</sup>، ولعجزهم عن الدفاع عن مصالحهم بسبب غيابهم<sup>(٣٢)</sup>.

وبموجب المادة (٣/أولاً/أ) من قانون رعاية القاصرين التي سبق وأن أُشير إليها، فإن الصغير هو الشخص الذي لم يبلغ سن الرشد، وحسب الفقرة نفسها وكذلك المادة (١٠٦) من القانون المدني فإن سن الرشد هي

تمام الثامنة عشرة من العمر، وتعبير القانون المدني هي ثماني عشرة سنة كاملة. أي أن البلوغ وسن الرشد هو نفسه لدى المشرع العراقي الذي هو إكمال الثامنة عشرة من العمر. وعليه، فإن المشرع العراقي لا يعتمد على علامات البلوغ التي يعتمد عليها الفقه الإسلامي.

- **المطلب الثاني: أهلية القاصر ومن في حكمه.**

درست الأهلية في علم أصول الفقه، وأُفرد لها الحنفية مكانها المناسب فيه، باعتبارها عماداً باب المكلف أو المحكوم عليه شرعاً<sup>(٣٣)</sup>. وقد توسّع الحنفية في كلامهم فخصّوها ببيان أحكامها وما تفرع عن كل قسم. فنظروا في حديث رسول الله ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ، أَوْ يُفِيقَ»<sup>(٣٤)</sup>. واستنبطوا منه أحوال انعدام الأهلية للخطاب الشرعي<sup>(٣٥)</sup>.

وقد عني الأحناف ببيان أحكام الأهلية في فروع الفقه جميعاً من عبادات ومعاملات وعقوبات. وبحثوا في أهلية الحد والقصاص، وميّزوها عن أهلية الضمان وغيره<sup>(٣٦)</sup>. و«الأهلية صلاحية الشخص لثبوت الحق له أو عليه، وكما تختلف الحقوق في أنواعها، تختلف الصلاحية لكل نوع منها، فتتعدد الأهليات بتعدد أنواع الحقوق المتعلقة بها»<sup>(٣٧)</sup>.

وتثبتت الحقوق جميعاً بمقتضى الأحكام الشرعية، والحكم الشرعي، في اصطلاح الأصوليين، «هو خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين طلباً (بمعنى ما اقتضى الشرع فعله أو تركه) أو تحييراً (بين الفعل والترك) أو وضعاً (فيتضمن الفرض، المنسوب المحرم المكروه المباح)»<sup>(٣٨)</sup>. فهو بهذا المعنى يشبه القاعدة القانونية مع بعض الاختلاف.

وإذا ما تمت المسألة بين أهلية الوجوب شرعاً وقانوناً.

١- من حيث الماهية، تبيّن لنا:

أ- في الشريعة الإسلامية: يرى فقهاء الشريعة الإسلامية أن معنى أهلية الوجوب: صلاحية الإنسان لوجوب الحقوق المشروعة له وعليه<sup>(٣٩)</sup>.

ب- في القانون الأهلية هي: صلاحية الشخص لاكتساب الحقوق والتحمل بالالتزامات<sup>(٤٠)</sup>. ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّه لا خلاف بين فقهاء الشريعة والقانون في مفهوم أهلية الوجوب. ومن الجدير بالذكر أن نقول إن القانون سار على نهج الشريعة في مفهوم أهلية الوجوب.

٢- من حيث المناط<sup>(٤١)</sup>:

أ- في الشريعة الإسلامية: يرى فقهاء الشريعة أنّ مناط أهلية الوجوب هو الحياة، فأثبتوها لكل إنسان حي، إلا أنّهم اختلفوا في مسألة التفريق بين أهلية الوجوب والذمة<sup>(٤٢)</sup>.

ب- في القانون: يرى فقهاء القانون أنّ مناط أهلية الوجوب هو الحياة، وبالتالي اتفق القانون مع الشريعة في مفهوم مناط أهلية الوجوب<sup>(٤٣)</sup>.

ولكن اختلفوا في مسألة التفريق بين الشخصية القانونية وأهلية الوجوب والراجح أنهما أمر واحد.

٣- من حيث التقسيم:

أ- في الفقه الإسلامي: يرى فقهاء الشريعة الإسلامية أنّ أهلية الوجوب تنقسم إلى قسمين: أهلية وجوب ناقصة، وأهلية وجوب كاملة، ولكل قسم أحكام تتعلق به<sup>(٤٤)</sup>.

ب- في القوانين الوضعية: إتفق علماء القانون مع فقهاء الشريعة على ذلك<sup>(٤٥)</sup>.

المسألة الثانية: المقارنة بين أهلية الأداء شرعاً وقانوناً:

١- من حيث الماهية:

أ- في الشريعة الإسلامية: عرّف فقهاء الشريعة أهلية الأداء بأنها: صلاحية الإنسان لصدور الفعل منه على وجه يُعدّ به شرعاً<sup>(٤٦)</sup>.

ويرى علماء القانون أن مناط أهلية الأداء هو (التمييز العقلي)<sup>(٤٧)</sup>. وعند المقارنة بين رؤية فقهاء الشريعة وعلماء القانون لمفهوم أهلية الأداء، ومناطقها، يظهر أنهم مُتفقون في هاتين المسألتين<sup>(٤٨)</sup>.

## ٢- من حيث التقسيم:

أ- في الشريعة الإسلامية: قسّم فقهاء الشريعة الإسلامية أهلية الأداء إلى قسمين: أهلية أداء قاصرة، وأهلية أداء كاملة، ولكل قسم من هذين القسمين أحكام، وآثار تتعلق به<sup>(٤٩)</sup>.

ب- في القانون: قسّم فقهاء القانون أهلية الأداء إلى ثلاثة أقسام: أهلية أداء معدومة، وأهلية أداء قاصرة، وأهلية أداء كاملة. فأثبتوا للمجنون أهلية الأداء المعدومة، وأثبتوا للصبي المميز أهلية الأداء القاصرة، وأثبتوا للبالغ الراشد أهلية الأداء الكاملة<sup>(٥٠)</sup>.

وما يلاحظ أنّ التقسيم الذي ذهب إليه فقهاء الشريعة هو الأولي بالقبول إذ لا حاجة لإحداث التقسيم الأول الذي أطلقوا عليه أهلية الأداء المعدومة، والتي أثبتوها للمجنون، طالما أنهم اعتبروا أنّ مناط أهلية الأداء هو (التمييز العقلي) والمجنون لا يمتلك أدنى مقومات التمييز<sup>(٥١)</sup>.

## أولاً: أهلية الأداء وأحكامها.

**أهلية الأداء:** فتختص بالعبادات والحقوق الواجبة كالصلاة والزكاة والنفقة على الزوجة والأولاد وغير ذلك ويجوز له التبرّع حيث تدعو الحاجة. وإذا جنى على غيره في نفس أو مال أو عرض أخذ بجنايته وعوقب عليها. فأهليّة الأداء مسؤوليته عن فعله وأساسها التمييز بالعقل. لذلك فالمجنون والصغير فاقدٌ لهذه الأهلية<sup>(٥٢)</sup>.

وهذه الأهلية تكون ناقصة أو كاملة.

### ١- أهلية الأداء الناقصة:

وهذه مرحلة التمييز أو ما يسمى بالصغير المميز من السابعة حتى البلوغ. ومرحلة عدم التمييز أو ما يسمى بالصغير غير المميز.

### ٢- أهلية الأداء الكاملة:

وتثبت للشخص اعتباراً من بلوغه وتستمر معه إلى الوفاة، إلا إذا طرأ عليه عارضٌ يفقده عقله، أو اختلال جزء منه<sup>(٥٣)</sup>.

فإن فقدان الأهلية يُعدّ نقصاً في العقل وهو عارض في حياة (الصغير والمجنون والمعتوه)<sup>(٥٤)</sup>.

## فما هي عوارض الأهلية؟

أ- في اللغة: العوارض جمع عارض بمعنى المانع<sup>(٥٥)</sup>.

ب- في الاصطلاح: عوارض الأهلية: هي: (خصالٌ أو آفات لها تأثير في الأحكام بالتغيير أو الإعدام)<sup>(٥٦)</sup>.

### ٢- أنواع عوارض الأهلية: تقسم عوارض الأهلية إلى قسمين هما:

أ- العوارض السّمّويّة: وهي ما ليس للعبد فيها اختيار واكتساب<sup>(٥٧)</sup>، وعرّفها بعضهم بأنها: هي التي تثبت من قبل صاحب الشرع بدون اختيار الإنسان، وسبب نسبتها للسماء: لأنّ الإنسان لا دور له في مسائل الجنون، والعتة<sup>(٥٨)</sup>، والمرض، والإغماء.

ب- العوارض المكتسبة: وهي التي تكون لكسب العبد مدخل فيها بمباشرة الأسباب كالسكر والتدخين والخوف، والإدمان وغيرها<sup>(٥٩)</sup>.

«حصر الفقهاء العوارض السّماويّة بما يأتي:

الجنون، والصغر، والعتة، والنسيان، والنوم، والإغماء، والمرض»<sup>(٦٠)</sup>  
والعوارض السّماويّة تؤثر على الأهليّة فتعدمها أو تُنقصُها، وليس لها تأثير على أهليّة الوجوب سوى الموت الذي تنتهي به أهليّة الوجوب، أما أهليّة الأداء فتؤثر عليها هذه العوارض السّماويّة<sup>(٦١)</sup>.  
أما عن المشرع العراقي فقد نص في المادة (٩٣) من القانون المدني على: (كل شخص أهل للتعاقد ما لم يقرر القانون عدم أهليته أو يحدّ منها)، بمعنى أن كل شخص بلغ سن الرشد يكون كامل أهلية الأداء، إلا إذا اعتبره القانون عديم الأهلية كالمجنون المصاب بالجنون المطبق أو الصغير غير المميز، أو ناقص (محدود) الأهلية كالسفيه أو الصغير المميز، وهذا ما تناوله المشرع في المادة (٩٤): (الصغير، والمجنون، والمعتوه، ومحجورون لذاتهم)، وجعل المشرع أحكام الأهلية في المادة (١٣٠/٢) من القانون المدني من النظام لا يجوز مخالفتها.

ثانياً: أهلية السفيه وذو الغفلة.

تعريف السفه لغة: السّفه والسّفاه والسّفاهة: ضدّ الحلم، وهي مصادر سَفَهَ سَفَهً، مِنْ بَابِ تَعَبَّ، وَهُوَ تَقْصُّ فِي الْعَقْلِ أَصْلُهُ الْحَقُّ وَالْحَرَكَةُ. قَالَ تَعَالَى: {كَمَا أَمَّنَ السُّفَهَاءُ} (٦٢) أي (أهل الجهل)<sup>(٦٣)</sup>.

تعريف السفه اصطلاحاً:

يعرّف السفه بأنه: (عبارة عن خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب فتحمله على العمل، بخلاف طور العقل، وموجب الشرع)<sup>(٦٤)</sup>.

- ويعرّف عند فقهاء الحنفية: (تبذير المال وتضييعه على خلاف الشرع)<sup>(٦٥)</sup>.

- وعند المالكية: السّفية هو الذي يتلف ماله<sup>(٦٦)</sup>.

- وعند الشافعية: (السّفية هو المبذر لماله)<sup>(٦٧)</sup>.

- وعند الحنابلة: المضيع والمبذر لماله<sup>(٦٨)</sup>.

ومن خلال هذه التعريفات، يتضح أن هناك وجه شبه لتعريف السفه عند فقهاء المذاهب الأربعة وهو: عدم القدرة على المحافظة على المال وضياعه من قبل شخص ما، وهذا ما يطلق عليه مصطلح السفه أو السفيه.

الأحكام المتعلقة بالسفه:

١- أحوال السفه:

وللسفه حالتان:

الأولى: استمرار السفه بعد بلوغ الإنسان أو إفاقة من الجنون.

الثانية: طروءه بعد البلوغ والرشد.

ففي الأولى: ذهب جمهور الفقهاء إلى استمرار الحجر<sup>(٦٩)</sup> على السفيه بمنعه من التصرف في ماله، إذ الحجر على الصبي والمجنون متفق عليه، فإن بلغ الصبي أو أفاق المجنون وهما مبذران لمالهما استمر الحجر عليهما ومنعا من التصرف<sup>(٧٠)</sup>.

قال أبو حنيفة: لا يحجر عليه بعد البلوغ، ولو بلغ غير رشيد إلا أنه يمنع وليه من دفع ماله إليه، ولا يمنعه من أن يتصرف بماله ببيع أو عتق أو نحوهما، ولا يدفع إليه ماله إلا أن يبلغ عمره خمسا وعشرين سنة، فإذا بلغها دفع إليه ماله سفه أو رشد<sup>(٧١)</sup>.

والقائلون بالحجر على السفيه بالسفه المستمر بعد بلوغ الصبي وإفاقة المجنون، أو الذي حصل بعد بلوغه وإفاقة رشيداً، استدلوا بقوله تعالى: {وَأَبْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا

إِلَيْهِمْ أَمْوَالُهُمْ} <sup>(٧٢)</sup>، ووجه الاستدلال بها أن الله تعالى أمرنا بدفع أموال اليتامى بعد البلوغ مع إيناس الرشد، لا في غير هذه الحال.

الاستدلال بها أن الله تعالى (أمر باختبار اليتامى في حفظ أموالهم، بأن يدفع لهم شيء من أموالهم، لمعرفة خبرتهم في التصرفات، فإن آنس منهم الرشد قبل البلوغ، سلموا أموالهم، فدل النص على منع دفع أموالهم إليهم، قبل الرشد، وحجرهم عنها، حتى لا يتصرفوا فيها) <sup>(٧٣)</sup>.

وبقوله تعالى: {وَلَا تُوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} <sup>(٧٤)</sup>. ووجه الاستدلال بها: أن الله ينهى عن إيتاء المال السفهاء ولم يرخص للأولياء إلا برزقهم منها أكلاً ولبساً. ويدل على أن إضافة المال إلى الأولياء ليس المراد به مال الولي بل مال السفه، قال تعالى: {وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ} <sup>(٧٥)</sup> لأنه لا يرزق ولا يكسى إلا من ماله <sup>(٧٦)</sup>.

وأما الثانية: فهي أن يبلغ الصبي أو يفيق المجنون رشدين، ثم يطرأ السفه عليهما بعد ذلك، فهل يحجر عليهما؟ ذهب جمهور الفقهاء إلى لزوم الحجر بالسفه الطارئ، في الأمور التي يبطلها الهزل لا الأمور التي لا يبطلها الهزل؛ لأن السفه في معنى الهازل يخرج كلامه عن نهج كلام العقلاء لاتباع الهوى ومكابرة العقل لا لنقصان في عقله، فكذلك السفه <sup>(٧٧)</sup>، وذهب أبو حنيفة إلى عدم جواز الحجر عليه ومنعه من ماله <sup>(٧٨)</sup>.

#### أهلية ذي الغفلة:

##### الغفلة في اللغة:

الغفلة هي (غَيْبَةُ الشَّيْءِ عَنِ بَالِ الْإِنْسَانِ، وَعَدَمُ تَذَكُّرِهِ لَهُ) <sup>(٧٩)</sup>، (ورجلٌ مُعَفَّلٌ على لفظ اسم المفعول من التَّعْفِيلِ، وهو الَّذِي لَا فِطْنَةَ لَهُ) <sup>(٨٠)</sup>.

##### الغفلة في الاصطلاح:

الغفلة هي: من لا يهتدي صاحبها إلى التصرفات الراجعة أو بقبوله، فاحش الغبن في تصرفات <sup>(٨١)</sup>، بسبب البساطة وسلامة القلب مما يؤدي إلى غيبه في المعاملات المالية <sup>(٨٢)</sup>.

وذو الغفلة: (هو الذي لا يهتدي إلى التصرفات النافعة ويغبن في البياعات لضعف إدراكه فيأخذ حكم السفه) <sup>(٨٣)</sup>.

ومن خلال التعريفات السابقة، فالسفيه هو المفسد لماله بالقصد والاختيار لتغلب الشهوات الفاسدة عليه واتباعه الغي والهوى، أما ذو الغفلة فهو لا يفسد ماله قصداً ولا ينقاد لشهوته، ولكنه يخدع بسهولة فيستطيع الناس أن يغبنوه في ماله.

##### الأحكام المتعلقة بذو الغفلة:

اختلف الفقهاء في الحجر على ذي الغفلة على أقوال: فمنهم من ذهب إلى الحجر عليه لغفلة، ومنهم من ذهب إلى عدم الحجر عليه مطلقاً، ومنهم من ذهب إلى عدم الحجر عليه ما لم يصل في غفلة إلى حد السفه <sup>(٨٤)</sup>.

اتفق الفقهاء في الجملة على أنه يشترط في قبول الشهادة: الحفظ والضبط. فالمغفل أي من لا يستعمل القوة المنبهة مع وجودها لا تقبل شهادته، كما لا تقبل شهادة من كان معروفاً بكثرة الغلط والنسيان؛ لأن الثقة لا تحصل بقوله؛ لاحتمال أن تكون شهادته مما غلط فيه. واستثنى المالكية من هذا الحكم ما لا يختلط فيه من البديهيات، كرأيت هذا يقطع يد هذا، أو يأخذ مال هذا <sup>(٨٥)</sup>.

ثالثاً: الأهلية في القانون العراقي.



يفرق في الحكم لتحديد القانون الواجب، التطبيق بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء، فالأولى القانون الواجب التطبيق فيها يكون بحسب طبيعة العلاقة التي يكون الشخص طرف فيها، فأهلية الوارث في الميراث تمنح إلى القانون الشخصي للمورث، وأهلية الموصي له في المال الموصى به تخضع للقانون الشخصي للموصي، بينما أهلية الأجنبي في تملك عقار في دولة ما يخضع لقانون تلك الدولة وأهلية مباشرة، حق التقاضي تخضع لقانون المحكمة المقام أمامها الدعوى، وهكذا تجد القانون الذي يحكم أهلية الوجوب ليس واحد، إنما متعدد بحسب طبيعة العلاقة، كما أن هذا القانون يسري وبأثر فوري ومباشرة وقت التصرف أو وجوب الحق، وتلحق بأهلية الوجوب أهلية بعض الأشخاص ممنوعين من التصرف لصفة في الموضوع محل التصرف، أو للشخص المتصرف، مثال ذلك: منع عمال القضاء من شراء الحقوق المتنازع عليها فتخضع هنا أهليتهم لقانون المحكمة المقام أمامها النزاع، ومنع الطبيب من تلقي تبرع من مريضه مرض الموت فتخضع أهليته لقانون المتبرع، كما تخضع أهلية القاصر والمحجور عليه من في حكمهم لقانون من تجب حمايته لا لقانون دولة المحكمة، أما اجراءات تنصيب وصي عليه فتخضع لقانون المحكمة التي يطلب منها تلك الإجراءات، وقد أشارت إلى هذا الحكم المادة (٢٠) من القانون المدني العراقي ضمنا بدلالة المادة (٢٨) مدني ومقابل ذلك تخضع أهلية الأداء إلى قانون واحد وهو القانون الشخصي للشخص.

وهذا القانون اعتمده جميع التشريعات العربية بوصفة القانون الواجب التطبيق في أهلية الأداء ونذكر على سبيل المثال المادة (١/١١) من القانون المدني المصري، والمادة (١١) من القانون المدني الليبي، وهكذا بالنسبة لقانون تنظيم العلاقات ذات العنصر الأجنبي الكويتي رقم (٥ لسنة ١٩٦١)، كما كان ذلك موقف القانون المدني العراقي في المادة (١/١٨) التي تنص على (أن يسري على الأهلية قانون الدولة التي ينتمي إليها الشخص بجنسيته) ويعتد بهذا القانون وقت وجوب الحق أو إجراء التصرف إذا كانت الأهلية شرط من شروط إجراء التصرفات، أما إذا كانت صفة في الشخص فتخضع لقانون محل إجراء التصرف فتأخذ الأهلية في الوضع الأخير حكم أهلية الوجوب.

وتختلف القوانين حول سن البلوغ فبعض القوانين تحدد سن (٢١ سنة) مثل فرنسا ومصر والكويت، والبعض الآخر يحدد سن (٢٥) مثل المكسيك، في حين يكون سن الرشد في العراق في المادة (١٠٦) من القانون المدني العراقي هو ثماني عشرة سنة كاملة.

وفيما يتعلق بموقف المشرع العراقي من أهلية الوجوب، نلاحظ من قراءة نصوص القانون المدني وقانون الأحوال الشخصية، وكذلك قانون رعاية القاصرين أنه لم ينص بعبارة صريحة على تمتع الشخص بأهلية الوجوب الكاملة لكون ذلك من المسائل البديهية التي لا خلاف فيها بين الفقهاء والمشرعين والباحثين، لكنه في الوقت نفسه نص على الوقت الذي يبدأ وينتهي فيه شخصية الإنسان والذي يكون الشخص فيه كامل أهلية الوجوب، إذ نص المشرع العراقي في المادة (٣٤/١)، من القانون المدني على: (تبدأ شخصية الإنسان بتمام ولادته وتنتهي بموته)، ويرى البعض أن أهلية الوجوب للإنسان لا تنتهي بوفاته وإنما يكون بعد مراسيم الدفن ودفع ديونه ومن ثم تصفية تركته، وهذا ما يوافق موقف المشرع العراقي إذ ورد في المادة (٨٧) من قانون الأحوال الشخصية على: (الحقوق التي تتعلق بالتركة بعد وفاة المورث أربعة مقدم بعضها على بعض هي: تجهيز المتوفي على الوجه الشرعي، قضاء ديونه وتخرج من جميع ماله، تنفيذ وصاياه وتخرج من ثلث ما بقي من ماله، إعطاء الباقي إلى المستحقين)، وعليه، فرغم وفاة الشخص إلا أن ذمته المالية (أهلية الوجوب) باقية ويجب الوفاء بحقوقه والتزاماته.

أما بالنسبة لأهلية الأداء، فعن موقف المشرع العراقي فقد نص في المادة (٩٣) من القانون المدني على: (كل شخص أهل للتعاقد ما لم يقرر القانون عدم أهليته، أو يحدّ منها)، بمعنى أن كل شخص بلغ سن الرشد يكون كامل أهلية الأداء إلا إذا اعتبره القانون عديم الأهلية كالمجنون المصاب بالجنون المطبق أو الصغير غير المميز، أو ناقص (محدود) الأهلية كالسفيه أو الصغير المميز، وهذا ما تناوله المشرع في المادة (٩٤): (الصغير والمجنون والمعتهو محجورون لذاتهم)، وغيرها، كما أن المشرع جعل أحكام الأهلية في المادة (١٣٠/٢) من القانون المدني من النظام العام لا يجوز مخالفتها.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى أهم النتائج التالية:

- ١- العقوبة في الشريعة الإسلامية هي المؤاخذة والجزاء المستحق على ارتكاب فعل محرم أو ترك واجب، وهي متنوعة بحسب جسامة الجرم وخطورته.
- ٢- ليس المقصود من العقوبة في التشريع الإسلامي الإيذاء المجرد، وإنما الحفاظ على نظام الحياة الذي يسير عليه المجتمع عند التعدي، وردع المجرم وزجره من التفكير في تكرار الجريمة والإقدام عليها.
- ٣- تطبيق العقوبة فيه امتثال لأمر الله والنزول عند طاعته سبحانه، وفي هذا كفاية لحماية المجتمع من العقاب الإلهي.
- ٤- من خلال تعريف القاصر اصطلاحاً، تبين بأنه في الأصل يقصد به الصغير، لكن فيما بعد شمل غيره أيضاً كالمجنون.
- ٥- يتفق القانون مع الشريعة الإسلامية أن رعاية القاصر هي قيام مسؤولية متولي الرعاية بحفظ نفس ومال القاصر وتولي مسؤولياته المدنية والجنائية.
- ١- عدم التهاون في تطبيق العقوبة بالإلغاء أو المحاباة، حتى لا تفقد معناها والهدف الذي من أجله شرعت.
- ٢- الإحتكام إلى الدولة والقانون عند وقوع الجريمة.
- ٣- حماية القاصر ضرورة شرعية وقانونية يتولى القيام بها كل من تتوفر فيهم الشروط الضرورية ويقع على عاتق القضاة المختصين القيام بالإشراف والرقابة على النواب الشرعيين خصوصاً في التصرفات التي تستوجب الإذن.

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، أبو الفضل (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط ١، د. ت، مادة (عقب)، ٦١٩/١٨.

(٢) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر (ت ١٢٥٢هـ)، رد المحتار على الدر المختار، بيروت: دار الفكر، ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ٣/٤.

(٣) ينظر: عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي مقارناً بالقانون الوضعي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٦٠٩/١.

- (٤) ينظر: أبو زهرة، محمد، **العقوبة في الفقه الإسلامي**، بيروت: دار الفكر العربي، د. ط، د. ت، ص ٨-١١.
- (٥) ابن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م، ١٤/١.
- (٦) **الماوردي**، علي بن محمد حبيب، أبو الحسن (ت ٤٥٠هـ)، **الأحكام السلطانية**، القاهرة: دار الحديث، د. ط، د. ت، ص ٣٢٥.
- (٧) سورة البقرة، الآية ١٩٦.
- (٨) **القرطبي**، محمد بن أحمد، أبو عبدالله (ت ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن** (تفسير القرطبي)، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- (٩) سورة المائدة، الآية ٢.
- (١٠) **الفخر الرازي**، محمد بن عمر، أبو عبد الله (ت ٦٠٦هـ)، **تفسير الرازي = مفاتيح الغيب**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٢٨٣/١١.
- (١١) سلامة، مأمون محمد، **قانون العقوبات (القسم العام)**، بيروت: دار الفكر العربي، ط ٤، د. ت، ص ٦١٥.
- (١٢) **كامل**، مصطفى، **شرح قانون العقوبات العراقي القسم العام في الجريمة والعقاب**، بغداد: مطبعة المعارف، ط ١، ١٩٤٩ م، ص ٢٥٣-٢٥٤-٢٥٥.
- (١٣) سورة النور، الآية ٢.
- (١٤) ينظر: **الطبري**، محمد بن جرير، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٩٠/١٩.
- (١٥) سورة المائدة، الآية ٣٨.
- (١٦) **المراغي**، أحمد بن مصطفى، (ت ١٣٧١هـ)، **التفسير**، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د. ط، د. ت، ١١٢/٦-١١٣.
- (١٧) سورة نور، الآية ٤.
- (١٨) **الخازن**، علاء الدين علي ابن محمد، أبو الحسن (ت ٧٤١هـ)، **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني**

- التنزيل، بيروت: دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ٤٩/٥.
- (١٩) مسلم بن الحجاج، أبو الحسين (ت ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت، كتاب الأثرية، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، ١٥٨٧/٣، حديث (٢٠٠٢).
- (٢٠) البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله (ت ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، تحقيق: مصطفى البغا، بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط ٣، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، كتاب الحدود، باب لعن السارق إذا لم يسم، ٢٤٨٩/٦، حديث (٦٤٠١).
- (٢١) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، ١٣٢٠/٣، حديث (١٦٩٣).
- (٢٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت ٧٥١ هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ٧٣/٢، بتصرف.
- (٢٣) سورة الجاثية، الآية ٢١.
- (٢٤) ينظر: الحصري، أحمد السياسة الجزائرية في فقه العقوبات المقارن، بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ٢٥٥/٣.
- (٢٥) ابن منظور، لسان العرب، ٩٥/٥، مادة (قصر).
- (٢٦) مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، أبو الفيض (ت ١٢٠٥ هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت: دار الهداية، د. ط، د. ت، ٤٢٥/١٣، مادة (ق ص ر).
- (٢٧) سورة النور، الآية ٥٩.
- (٢٨) قلنجي، محمد رواس، وفتيبي حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، بيروت: دار النفائس، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ٣٥٤.
- (٢٩) الزحيلي، وهبه بن مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق: دار الفكر، ط ٤، د. ت، ١٠/ ٦٨.
- (٣٠) ينظر: النعمان، ضحى محمد سعيد النعمان، عمر رياض أحمد، حفظ أموال القاصر وفقاً لأحكام القانون العراقي والفقه الإسلامي، المجلة العلمية لجامعة جيهان - السليمانية، المجلد (١)، العدد (١)، ٢٠١٧ م، ص ٧٨-١٠٠.
- (٣١) ينظر: آل ربيعة، ساهرة حسين كاظم، الأولياء في القانون العراقي، موقع المرجع الإلكتروني للمعلوماتية،

تاريخ ٢٠١٩/٦/١٠، ٢٢:١١م.

(٣٢) ينظر: تترخان، عبد الرحمن حسن، نائب رئيس محكمة استئناف منطقة دهوك سابقاً، مراسلة، دهوك، ٢٠١٩/١١/٢٨.

(٣٣) ينظر: البخاري، عبد العزيز بن أحمد، (ت ٧٣٠هـ)، كشف الأسرار شرح أصول البيهقي، بيروت: دار الكتاب الإسلامي، د. ط، د. ت، ٢٦٤/٤، و ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد (ت ٨٦١هـ). فتح القدير. بيروت: دار الكفر، د. ط، د. ت، ٣٦٤/٢.

(٣٤) ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله (ت ٢٧٥هـ). سنن ابن ماجه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، فيصل عيسى البابي الحلبي: دار إحياء الكتب العربية، د. ط، د. ت، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، ١/ ٦٥٨، حديث (٢٠٤١)، والحاكم، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، (ت ٤٠٥هـ). المستدرک علی الصحیحین. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، كتاب البيوع، باب أحاديث معمر بن راشد، ٦٧/٢، حديث (٢٣٥٠). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». واللفظ لابن ماجه والنسائي.

(٣٥) ينظر: الكاساني، أبو بكر بن مسعود (ت ٥٨٧هـ). بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ٦٢/٧.

(٣٦) ينظر: الكاساني. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. ٦٧/٧، و ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، أبو العباس (ت ٩٧٤هـ). تحفة المحتاج في شرح المنهاج. روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، د. ط، ١٣٥٧هـ - ١٩٨٣م، ٢٤٢/٥.

(٣٧) مرقص، سليمان. المدخل للعلوم القانونية. الإمارات: دار الكتب القانونية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٣٠٩.

(٣٨) خلاف، عبد الوهاب (ت ١٣٧٥هـ)، علم أصول الفقه و خلاصة تاريخ التشريع، مصر: مطبعة المدني، د. ط، د. ت، ص ٩٤.

(٣٩) ينظر: التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (ت ٧٩٣هـ). شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه. تحقيق: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٣٣٠/٢ وما بعدها، وأمير حاج، محمد بن محمد، أبو عبدالله (ت ٨٧٩هـ). التقرير والتحبير. ط ٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ -

١٩٨٣م، ٢٠٨/٣ وما بعدها.

(٤٠) ينظر: السنهوري، عبد الرزاق. الوسيط في شرح القانون المدني. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢،

١٣٩٢هـ- ١٩٧٣م، ٢٨٢ / ١ وما بعدها.

(٤١) الأهلية: بمعناها المتقدم مناطها أي محلها الإنسان، من حيث الأطوار التي يمرّ بها، فإنّه في البداية يكون جنيناً

في بطن أمّه، فتثبت له أحكام الأهلية الخاصة بالجنين، وبعد الولادة إلى سنّ التمييز يكون طفلاً، فتثبت له أحكام

الأهلية الخاصة بالطفل، وبعد التمييز تثبت له أحكام الأهلية الخاصة بالميز إلى أن يصل به الأمر إلى سنّ

البلوغ، فتثبت له الأهلية الكاملة، ما لم يمنع من ذلك مانع، كطروء عارض يمنع ثبوت تلك الأهلية الكاملة له.

ينظر: خلاف. علم أصول الفقه. ص ١٣٠.

(٤٢) ينظر: السرخسي، محمد بن أحمد (ت ٤٨٣هـ). أصول السرخسي. بيروت: دار المعرفة، د. ط، د. ت، ٢

٣٣٣/، والبخاري. كشف الأسرار عن أصول البيهقي. ٢٣٧ / ٤.

(٤٣) ينظر: أبو السعود، رمضان محمد أحمد. الوسيط في شرح مقدمة القانون المدني. بيروت: الدار الجامعية

للطباعة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ٩٢ / ١.

(٤٤) ينظر: البخاري. كشف الأسرار. ٢٣٨ / ٤. وخلاف. علم أصول الفقه. ص ١٣٦.

(٤٥) ينظر: أبو السعود. الوسيط في شرح مقدمة القانون المدني. ٤٨ / ١.

(٤٦) ينظر: التفتازاني. شرح التلويح على التوضيح. ٣٣٧ / ٢.

(٤٧) ينظر: الجمال، مصطفى محمد، والجمال، عبد الحميد محمد. النظرية العامة للقانون. بيروت: الدار الجامعية،

د. ط، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ص ١٩٠.

(٤٨) ينظر: الجمال. النظرية العامة للقانون. ص ١٩٠.

(٤٩) ينظر: البخاري. كشف الأسرار. ٢٣٧ / ٤، والزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته ٤ / ٢٩٦٥.

(٥٠) ينظر: عبد الودود يحيى ونعمان جمعة. دروس في مبادئ القانون. جامعة القاهرة، ط١، ١٤١٢٥هـ- ١٩٩٥م،

ص ٢٧٨.

(٥١) ينظر: البخاري. كشف الأسرار. ٢٤٩ / ٤، وابن أمير حاج، التقرير والتحبير، ١٧٣ / ٢.

(٥٢) ينظر: الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٢٣٧ / ٤.

(٥٣) ينظر: التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح، ٣٤٢/٢، والزحيلي، محمد، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، دمشق: دار الخير، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ٤٩٣/١.

(٥٤) ينظر: البخاري، عبد العزيز بن أحمد، (ت ٧٣٠هـ)، كشف الأسرار شرح أصول البيزدي، بيروت: دار الكتاب الإسلامي، د. ط، د. ت، ٢٦٤/٤. وخلاف، علم أصول الفقه و خلاصة تاريخ التشريع، ص ١٢٩.

(٥٥) ينظر: الفيومي، أحمد بن محمد، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت: المكتبة العلمية، د. ط، د. ت، ٤٠٢/٢، مادة (عرض)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٦٤٦، مادة (عرض).

(٥٦) أمير حاج، التقرير والتحبير، ١٧٢/٢.

(٥٧) ينظر: التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح، ٣٤٨/٢. وابن أمير حاج، التقرير والتحبير، ٣٦/١.

(٥٨) لفته لغة: نقص العقل. ينظر: ابن سيده. المحكم والمحيط الأعظم. ص ١٢٢ والجرجاني. التعريفات. ص ١٩٠. واصطلاحاً هو: (اختلال في العقل، بحيث يختلط كلامه فيشبه مرةً كلام العقلاء ومرةً كلام المجانين). الجرجاني. التعريفات. ص ١٤٧، والبركتي، محمد عميم الإحسان المجددي. التعريفات الفقهية. بيروت: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ١٤٣.

(٥٩) ينظر: التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، ٣٧٧/٢.

(٦٠) البخاري، كشف الأسرار شرح أصول البيزدي، ٢٦٣/٤.

(٦١) ينظر: أمير بادشاه، محمد أمين بن محمود (ت ٥٩٧٢هـ)، تيسير التحرير، مصر: مصطفى البادي الحلبي، د. ط، ١٣٥١-١٩٣٢م، ٢٥٨/٢.

(٦٢) سورة البقرة، الآية ١٣.

(٦٣) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٩٣/١.

(٦٤) الجرجاني، التعريفات، ص ١١٩.

(٦٥) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ١٤٧/٦.

(٦٦) الباجي، سليمان بن خلف أبو الوليد (ت ٤٧٤هـ)، المنتقى شرح الموطأ، مصر: مطبعة السعادة ط١، ١٣٣٢هـ -

١٩١٣م، ١٥٥/٦.

(٦٧) الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد (ت ٩٧٧هـ)، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، التحقيق: مكتب البحوث والدراسات، بيروت: دار الفكر، د. ط، د. ت، ٣٠٠/٢.

(٦٨) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، أبو محمد (ت ٦٢٠هـ)، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤، ٥٥١/٤.

(٦٩) الحجر في اللغة: مصدر الفعل (حجر) وهو المنع والحرام، وسمي العقل حجراً لأنه يمنع من القبائح، قال تعالى: حِجْرٌ مِّنْ مَّاءٍ نَّزَّلْنَا فِي سُورَةِ الْفَجْرِ [أي: (الذي عقل)]. البغوي، الحسين بن مسعود، أبو محمد (ت ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الله النمر وآخرون، السعودية: دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ٤١٧/٨، والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ٤٢٤/٤.

الحجر في الاصطلاح: عند الحنفية: (هو منع عن التصرف قولاً لا فعلاً بصغير ورق)، لأن الفعل بعد وقوعه لا يمكن رده، نقول: الكلام في منع حكمه لا منع ذاته، ومثله القول، لا يمكن رده بذاته بعد وقوعه بل رد حكمه. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، (٩٧٠هـ)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، بيروت: دار الكتاب الإسلامي، ط ٢، ٨٨/٨، وينظر: ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ١٤٢/٦.

وعرقه المالكية: (صفة حكمية توجب منع موصوفها من نفوذ تصرفه في الزائد على قوته أو تبرعه بماله). الصاوي، أحمد بن محمد، أبو العباس (١٢٤١هـ)، بلغت السالك لأقرب المسالك = حاشية الصاوي على الشرح الصغير، بيروت: دار المعارف، د. ط، د. ت، ٣٨١/٣.

وعرقه الشافعية والحنابلة: المنع من التصرف في المال، سواء أكان المنع قد شرع لمصلحة الغير كالحجر على المفلس للغرماء وعلى الراهن في المرهون لمصلحة المرتهن، وعلى المريض مرض الموت لحق الورثة في ثلثي ماله وغيرها، أم شرع لمصلحة المحجور عليه كالحجر على المجنون، والصغير، والسفيه. ينظر: الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد (ت ٩٧٧هـ)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، بيروت: دار العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ١٣٠/٣، والبهوتي، منصور بن يونس (ت ١٠٥١هـ)، كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: هلال مصيلحي ومصطفى هلال، بيروت: دار الفكر، د. ط، ٥١٤٠٢-١٩٨٢م، ٤١٦/٣.

(٧٠) ينظر: ابن مودود الموصلي، عبد الله بن محمود، أبو الفضل (ت ٦٨٣هـ)، الاختيار لتعليل المختار، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة (من علماء الحنفية ومدرس بكلية أصول الدين سابقاً)، القاهرة: مطبعة الحلبي،



- د.ط، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م، ٩٦/٢، وابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد، أبو الوليد (ت ٥٩٥هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القاهرة: دار الحديث، د.ط، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ٦٣/٤-٦٥، والبُجَيْرَمِيّ، سليمان بن محمد (ت ١٢٢١هـ)، تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، بيروت: دار الفكر، د.ط، د. ت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ٨٢/٣، وابن مفلح، إبراهيم بن محمد، أبو إسحاق (ت ٨٨٤هـ)، المبدع في شرح المقنع، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ١٤٧/٨.
- (٧١) ينظر: ابن مودود الموصلّي، الاختيار لتعليل المختار، ٩٥/٢-٩٦، والصاوي، بلغة السالك لأقرب المسالك، ٣٨٣/٣، والخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ١٤٠/٣، وابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، ٣١٣/٤-٣١٤، وأمير بادشاه، تيسير التحرير، ٣٠٠/٢.
- (٧٢) سورة النساء، الآية ٦.
- (٧٣) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٢٨٠/٦.
- (٧٤) سورة النساء، الآية ٥.
- (٧٥) سورة النساء، الآية ٥.
- (٧٦) ينظر: الطبري، جامع البيان، ٤٠٠/٦.
- (٧٧) ينظر: البخاري، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام اليزدوي، ٥١٩/٤، بتصريف. وينظر: ابن أمير الحاج، التقرير والتحبير، ٢٠١/٢.
- (٧٨) ينظر: بدر الدين العيني، محمود بن أحمد، أبو محمد، (ت ٨٥٥هـ)، البناية شرح الهداية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م، ٩١/١١.
- (٧٩) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٤٤٩/٢.
- (٨٠) المَطْرَزِيّ، ناصر بن عبد السيد، أبو الفتح (ت ٦١٠هـ)، المُعْرَب في ترتيب المعرب، بيروت: دار الكتاب العربي، د. ط، د. ت، ص ٣٣٩.
- (٨١) ينظر: زيدان، عبد الكريم، نظرات في الشريعة الإسلامية، ص ٣٧٨-٣٧٩.
- (٨٢) ينظر: منكور، محمد سلام، المدخل للفقه الإسلامي، ص ٤٥٧.
- (٨٣) شلبي، محمد مصطفى، أحكام الأسرة في الإسلام، ص ٨٠٣.

- (٨٤) ينظر: ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ١٤٧/٦-١٤٨، والقرافي، أحمد بن إدريس، أبو العباس (ت ٦٨٤هـ)، الذخيرة، تحقيق: محمد بو خبزة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، ٢٠١/١٠، الزيلعي، عثمان بن علي (ت ٧٤٣هـ)، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، ط١، ١٣١٣هـ-١٨٩٥م، ١٩٢/٥، وابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، ٣٠٤/٨،
- (٨٥) ينظر: ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ٤٧٧/٥، وابن عرفة، محمد بن أحمد (ت ١٢٣٠هـ)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، بيروت: دار الفكر، د. ط، د. ت، ١٦٨/٤، والنووي، المجموع شرح المهذب، ٢٢٦/٢٠، والبهوتي، كشف القناع عن متن الإفتاح، ٤١٨/٦.



## العدول الأسلوبي في الألفاظ النبوية من كتاب: «التوشيح شرح

### الجامع الصحيح» للسيوطي (ت ٩١١هـ)

الباحث/ هيثم كامل حسين

المشرف.دكتورة.زهراء الشيخ

جامعة الجنان / كلية الآداب

#### المخلص

يعدُّ العدول ظاهرة انتشرت في كلام العرب، وهي الانحراف باللفظ عما يقتضيه السياق، ولجؤوا إليها اعتماداً على فهم السامع؛ كون العدول من سنن العرب في الكلام. وكانت العلة البيانية هي الوجه البلاغي الجمالي الذي يسوّغ العدول عما يقتضيه السياق، مما ينتمي إلى علوم البيان، وتقوم عليه فصاحة الكلام من عدمه. فقد تناولت الدراسة العدول في الألفاظ النبوية من خلال كتاب (التوشيح شرح الجامع الصحيح) للسيوطي فهو من كتب شروح الحديث التي تهتم بالقضايا اللغوية والبيانية، فجاء البحث في تمهيد ومبحثين؛ تناول التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث؛ العدول وأسلوب الخبر والإنشاء، وتناول المبحث الأول: العدول من الاستفهام إلى الأمر. وتناول المبحث الثاني: العدول من الخبر للاستفهام. وخرج البحث بأهم النتائج وهي: \* توجه الحديث النبوي إلى العدول في الخبر والإنشاء؛ إذ حلَّ كل منهما محل الآخر، نحو العدول من الاستفهام إلى الأمر وكان ذلك لمسوّغ بياني، مفاده لفت انتباه السامع، وإشراكه في القضية محل الطرح، أو تقريرها وتثبيتها في ذهن حال عدول المتكلم إلى الخبر. \* لجوء المتكلم، في عدة مواضع، التحول من الخبر إلى الاستفهام، وكان ذلك لمسوّغ بياني؛ هو رغبة المتكلم في قرعه بالسؤال وثبوته في ذهن المتكلم حال لجوئه إلى الاستفهام، أو التركيز عليه حال عدوله إليه، وهو ما نوع في أساليب الحديث النبوي الشريف، وأثرها من الناحية الأسلوبية.

#### Abstract

The deviation is considered a phenomenon that has spread in the speech of the Arabs. It refers to the deviation of the speech or text from what the context requires. They resorted to it depending on the understanding of the listener for the fact that deviation is one of the Arabs' norms of speech. The explanatory reasons behind using deviation were rhetorical and aesthetic and they justify the linguistic deviation from what the context requires. Its study belongs to the science of rhetoric. Its use determines whether the speech or text is eloquent or not. The current study investigates the stylistic deviation in the prophetic expressions in the book, "Al-Tawsheeh Sharh Al-Jami Al-Sahih" by Al-Suyuti (died in 911 AH). It is one of the books of commentaries on hadith that deal with linguistic and rhetorical issues. So, the research is divided into an introduction and two chapters. The introduction deals with the definition of research terms;

deviation and the two declarative and constructive styles. Chapter one deals with the deviation from interrogative to imperative. The research concludes that Hadiths resorted to deviation in interrogative and imperative where each one replaced the other. The reasons behind using deviation from interrogative to imperative in Hadiths were rhetorical to attract the attention of the listeners, make them participate in the conversation's topic, or make them understand it using declarative. Rhetorically, the speaker resorts, in several places, to deviation from declarative to interrogative to attract the listener's attention to the question or to concentrate on it using deviation. Stylistically, the use of the types of deviation presented diversity in the style of Hadiths with its different purposes.

#### المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

أما بعد:

فإنّ كلام النبيّ -صلى الله عليه وسلم- هداية للناس، فقد بُعث -صلى الله عليه وسلم- في أمة ناطقة بالضاد مشهورة بالبلاغة والبيان، فكان لا بدّ من أن يكون مميزاً من سائر قومه الذين بُعث فيهم، وكيف لا يكون ذلك وهو المعلم المبشّر لهذه الأمة، ففي كلام النبيّ -صلى الله عليه وسلم- بيان وبلاغة تُعدّ خطوةً مباركة لا تخلو من صعوبة، لا يَشعُر بها إلّا من أراد دراسة كلام النبيّ -صلى الله عليه وسلم- لأنّه كلام انتهت إليه البلاغة والفصاحة.

ومن خلال حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نستطيع أن نعبر عن بلاغة الأسلوب في ظاهرة العدول الأسلوبي في اللغة والذي نتوقف عليه من خلال كتاب: «التوشيح شرح الجامع الصحيح» للإمام السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ).

#### إشكالية البحث وتساؤلاته:

إن ظاهرة عدول الألفاظ التي تعد من أبرز الظواهر الأسلوبية في النقد الحديث موجودة في تراثنا البلاغي، فإبراز هذه الحقيقة التي من خلالها الوقوف على مصطلح العدول الأسلوبي وإبراز ضلاله وآلياته الفنية في بلاغتنا التراثية، لا أنها وافدة من النظريات الغربية. وتبلورت مشكلة البحث في التساؤل الرئيس وهو: هل وقعت ظاهرة العدول الأسلوبي في كتاب التوشيح شرح الجامع الصحيح وما أثر ذلك في البيان النبوي؟ وينبثق عنه عدة تساؤلات فرعية كالآتي:

- ما هي ظاهرة العدول الأسلوبي ومدى تواجدها في تراثنا اللغوي.
- ما مدى إسهام ظاهرة العدول الأسلوبي في تطوير الدلالة لمعالم إبداع الألفاظ المعدولة.
- ما هي نواتج العدول في الأسلوب الإنشائي والخبري؟
- ما هي المعاني المتوخاة بتجاوز الاستعمال من الألفاظ المعدول عنها إلى المعاني المعدول لها.

- ما المسالك الصرفية والنحوية والدلالية التي تحقق دقة المعنى وتنوع الأساليب، من الاستعمال الدقيق والمتنوع للأسلوب الإنشائي والخبري، والتي تولد للمسات البيانية والعناصر الجمالية في النص؟

#### أهداف البحث:

تكمّن أهداف البحث في النقاط التالية:

- (١) الوقوف على مفهوم العدول الأسلوبي وإبرازها في تراثنا الأدبي لاسيما النبوي منه وأثرها في النقد الحديث.
- (٢) بيان إسهام ظاهرة العدول الأسلوبي في تطوير الدلالة لمعالم إبداع الألفاظ المعدولة.
- (٣) إبراز العدول في الأسلوب الإنشائي والخبري بالمعاني المعدول لها.
- (٤) معرفة للمسات البيانية والعناصر الجمالية في النص من العدول الصرفي والنحوي والدلالي في النص النبوي.

#### أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

يظهر أهمية الموضوع في النقاط التالية:

- (١) كونه يتناول موضوعاً من موضوعات الحديث النبوي، وإظهار ما يحمل الحديث النبوي من جمال التعبير، وبلاغة البناء، وسمو اللغة، ورقة البيان.
- (٢) الكشف عن جهود السيوطي في إبراز البلاغة النبوية ومزايا البيان اللغوي.
- (٣) احتواء كتاب التوشيح على موضوعات متنوعة منها ما يتعلق بعلم التعبير اللغوي والبلاغة البيانية.

#### الدراسات السابقة:

بعد البحث وسؤال أهل التخصص وبخاصة أساتذتي منهم، ومطالعة محركات البحث لم أفق على دراسة تناولت العدول الأسلوبي في كتاب التوشيح للسيوطي، ولكنني وقفت على الدراسات والأبحاث التي تناولت ظاهرة العدول الأسلوبي في سياق خاص أو كتاب خاص، وجاءت الدراسات مرتبة من الأقدم للأحدث كالآتي:

- (١) «الانحراف الأسلوبي "العدول" في شعر إبراهيم ناجي (١٨٩٨ - ١٩٥٣م)». بحث مُحكم مقدم من الباحث: يوسف، أمال يوسف سيد، منشور بمجلة: كلية الآداب، الناشر: جامعة الإسكندرية - كلية الآداب، ٧٦٤، مصر، ٢٠١٥م.

هدفت الدراسة إلى تناول ظاهرة العدول في شعر إبراهيم ناجي، وتنقسم الدراسة إلى قسمين:- القسم التطويري، ويتناول مفهوم الأسلوب قديماً وحديثاً، وتحديد مجالاته، ومفهوم مصطلح العدول من حيث أنه لغة جديدة ليست مألوفة، وأن التركيب اللغوي فيه لا يكون كما اعتاد أصحاب اللغة عليه إضافة إلى كسر وانتهاك العلاقة التقليدية بين الدوال والمدلولات. - والقسم التطبيقي، ويتناول ظواهر الانحراف الأسلوبي (العدول) في شعر إبراهيم ناجي من خلال ثلاثة موضوعات، الموضوع الأول الانحراف الأسلوبي (العدول عن الأصل)، وهذا الموضوع يشمل الانحراف عن أصل الكلام الوضعي لغرض بلاغي، كالاعتماد على المجاز والاستعارة والتمثيل، والانحراف عن النسق النحوي؛ كالتلقات والتقديم والتأخير والحذف والعدول عن استخدام أدوات الربط والموضوع الثاني يتعلق بالسياق الأسلوبي أو النموذج اللغوي المنكسر بعنصر غير متوقع، ويتناول التكرار النقابلي والتكرار النمطي وأزمة الفعل.

(٢) «العدول البلاغي والأسلوبي وجمالياته في الحديث النبوي الشريف». بحث مُحكم مقدم من الباحث: فرفوري، ياسين، منشور بمجلة: جيل الدراسات الأدبية والفكرية، الناشر: مركز جيل البحث العلمي، ع٢١٤، لبنان، ٢٠١٦ م.

هدف البحث إلى بيان محاولة لتتبع العدول البلاغي والأسلوبي واستكناه جمالياته في نماذج من الأحاديث الشريفة، من أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، ألا وهو صحيح الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - وإنّ البلاغة النبوية و أسلوب النبي - صلى الله عليه وسلم - يخاطب كل قوم بلغتهم وعلى مذهبهم ثم لا يكون إلا أفصحهم وأبينهم قولاً، وما كان ذلك كذلك إلا باختراق جمالي لأصول لغتهم وقواعدها ومحاكاة لفطرتهم والطبيعة التي يعيشون فيها وجبلوا عليها.

(٣) «العدول الأسلوبي في الألفاظ والتراكيب القرآنية: دراسة تطبيقية على جزئي قد سمع وتبارك». رسالة دكتوراه مقدمة من الباحثة: الغويري، لينة عبد الكريم، إشراف: شطناوي، يحيى بن ضاحي علي، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، الأردن، ٢٠١٦ م.

هدفت هذه الدراسة إلى النظر في العدول الأسلوبي في الألفاظ والتراكيب القرآنية، وقد تناولت جزئي قد سمع وتبارك أنموذجاً، وانطلقت الدراسة من قاعدة رائدة، ذهبت إلى أن العدول الأسلوبي هو خروج التعبير عن السائد، أو المتعارف عليه قياساً في الاستعمال، رؤية ولغة وصياغة وتركيباً، وعلى أن العدول الأسلوبي إبداع فني يقوم على تأسيس الشيء على الشيء، للخروج بشيء جديد من عناصر موجودة سابقاً، وهو إعجاز بياني يقوم على تطوير الدلالات اللغوية وتوظيفها، بما يخدم المعنى ويوضحه، مع الإشارة إلى أن هذه الظاهرة لا تحمل على الوهم والخطأ، فلو كان كذلك لاستبعدنا أسلوب القرآن وهو أفصح اللغات وأبلغ الأساليب. وقد اعتنت الدراسة ببيان هذه الظاهرة الأسلوبية، على اعتبار أن علوم البلاغة الثلاث تشكل كل منها صورة من صور العدول الأسلوبي، وذلك لارتباط هذه الظاهرة بالبلاغة العربية وفنونها وأساليبها. فتناول الفصل التمهيدي تعريف بالعدول الأسلوبي في القرآن الكريم، وصور هذا العدول ومعياره وجماليته، ثم شرعت في الفصل الأول ببيان الصورة الأولى للعدول الأسلوبي في علم المعاني، وبيان تلك الصورة من الخبر والإنشاء وغيرها من مباحث علم المعاني، وذلك بنماذج مدروسة من جزئي قد سمع وتبارك، ثم تناول الفصل الثاني الصورة الثانية المتمثلة بعلم البيان، ودراسة تلك الصورة بفصولها، من التشبيه والمجاز والكناية، مع الاستشهاد بسور من جزئي قد سمع وتبارك، ثم انتهت في الفصل الثالث إلى بيان صورة العدول الأسلوبي في علم البديع، ودراسة المحسنات المعنوية واللفظية، وأوجه العدول الأسلوبي فيها، وتطبيق ذلك على جزئي قد سمع وتبارك، وقبل أن اذهب للخاتمة ذكرت القيم الفنية التي خرجت بها الدراسة، للعدول الأسلوبي في الألفاظ والتراكيب القرآنية.

(٤) «ظواهر من العدول الأسلوبي في شعر الخنساء: التشبيه أنموذجاً». بحث مُحكم مقدم من الباحث: أبو زيادة، ميس خليل، منشور بمجلة: جامعة الأقصى - سلسلة العلوم الإنسانية، الناشر: جامعة الأقصى، مح٢١، ع١٤، فلسطين، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.

هدفت الدراسة إلى بيان بعضاً من ظواهر العدول الأسلوبي في شعر الخنساء، وذلك من خلال دراسة التشبيه الذي يعد سمة من سمات الإبداع ومظهراً محسوساً لانفعال داخلي من خلال الخروج عن الأنساق المألوفة، مما يكشف عن أهميته في خلق علاقات لغوية جديدة تصدم القارئ وتثيره، وقد وجدت الدراسة أن هذا المنحي الأسلوبي قد أضفي على النص جماليات مهمة أسهمت في تقديمه برؤية خاصة خدمت دلالات النص، وقد حاولت الدراسة تطبيق هذه الظاهرة الأسلوبية على ديوان الخنساء كونها تمثل قمة النضج الفني، إذ تتعمق فيها التجربة التي عاشتها الشاعرة من خلال مقتل أخيها "صخر" و"معاوية"،

وبخاصة أخوها "صخر" الذي كانت تحبه حباً شديداً فقد فجر شاعريتها، من خلال أنهر من الحزن والأسى، فعاطفتها نابغة من أحاسيس صادقة وقد عبرت الشاعرة عن تجربتها من خلال خروجها عن المألوف لتضفي على فنها جمالاً خاصاً يتمثل في بناء جمالي يحكم عناصر الصورة ويشدها إلى الإبداع والتميز.

(٥) «العدول الأسلوبي في التراث البلاغي والنقدي». بحث مُحكم مقدم من الباحث: أبو شوفة، بشير إبراهيم محمد، منشور بمجلة: السائل، الناشر: جامعة مصراتة، س١٣، ٢١٤، ليبيا، ٢٠١٩.

هدفت الدراسة إلى بيان ظاهرة العدول في المباحث الأسلوبية تحت مسميات مختلفة كالانزياح والانحراف والتجاوز... وبينت أن العدول هو انحراف من الأديب عن المألوف للوصول إلى درجة من الإبداع، ومن مظاهر العدول الذي يعتمد على المستوى الإبداعي في النص: التعريف والتكبير، والذكر والحذف، والتقديم والتأخير... والعدول في الدراسات الأسلوبية الحديثة يتقاطع مع الانحراف فهو انتهاك يحدث في الصياغة يمكن به التعرف على طبيعة الأسلوب، وقد وردت في التراث البلاغي والنقدي إشارات إلى العدول، فحديث الجرجاني عن نظرية النظم إنما هو محاولة للخروج عن المألوف وهو لب فكرة العدول والانزياح.. والتراث البلاغي العربي يزخر بنماذج كثيرة للعدول فالتقديم والتأخير مثلا إنما هو في حقيقته كسر لتراتبية الجملة وانتهاك لمعياريتها بما لا يخالف قواعد النحو، واختلاف أضرب إلقاء الخبر حسب حالة السامع يبرز حالة الاختلاف والتباين التي يكون عليها المتكلم والمتلقي مما يجعل هذا العدول عن الأصل أمراً مبرراً ومحموداً.

(٦) «ظاهرة التحول الأسلوبي بالعدول عن المقابل والمماثل في السياق القرآني: دراسة بلاغية». بحث مُحكم مقدم من الباحث: محمد، رمضان عاشور أبو زيد، منشور بمجلة: بحولية كلية اللغة العربية بجرجا، الناشر: جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بجرجا، ٢٢٤، ج٣، مصر، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

هدفت الدراسة إلى النظر والتأمل في الأسلوب القرآني - خاصة في الحديث عن الصور المتقابلة- لفت نظري خروج الأسلوب عما تقتضيه المقابلة، وما يترقبه السامع أو القارئ، وما يستدعيه ظاهر النظم من المجيء على صورة يتحقق بها التقابل، فإن النظم يتحول من هذا الأسلوب المرتقب، ويعدل إلى أسلوب آخر غير متوقع، وكذلك عندما يكون المتوقع والمترقب والمنتظر في السياق أن يأتي الأسلوب في صورة مماثلة لما جاء عليه النظم في الصورة الأولى لاشتراك بين الصورتين، تجد التحول في الأسلوب والعدول عن المماثلة في النظم، والخروج عما يقتضيه الظاهر، وتستجوبه المماثلة. وإذا اتفقنا أن التحول الأسلوبي بالعدول عن المقابل أو المماثل ظاهرة أسلوبية، فإن الظاهرة تتطلب في منهج دراستها المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقف على الظاهرة ويصفها ويحللها بالوقوف على الأسلوب الذي عدل إليه، وسر إثاره واختياره عن الأساليب البديلة المعدول عنها، وبيان ما يحمله هذا الأسلوب المختار الذي جاء على خلاف المترقب والمتوقع من دلالات ومقاصد لا يمكن أن يؤديها الأسلوب الأول المعدول عنه، وهذا هو المنهج الذي سار عليه القدماء في دراستهم للأساليب المختارة من بين البدائل المتاحة والمطروحة، والمنتقل فيها من أسلوب إلى آخر، وهو المنهج ذاته الذي ستسير عليه الدراسة في هذا البحث.

**التعقيب على الدراسات السابقة بإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بينه وبين بحثي:**

اتفق هذه الدراسات مع دراستي في تناول العدول الأسلوبي لكنها اختلفت في موضوع التناول وهو الذي تغاير مع الدراسات فقد تناولت ظاهرة العدول الأسلوبي في كتاب التوشيح للسيوطي.

**منهج البحث:**

اتبعت في بحثي هذا المنهج الوصفي التحليلي، حيث نرصد ظاهرة العدول، ونكشف غوامض ومحاسن الألفاظ وصولاً إلى فهم بلاغة الحديث الشريف، بتحليل الألفاظ والوقوف على معانيها.

### خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس. اشتملت على مشكلة البحث وتساؤلاته، وأهدافه، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول: العدول من الاستفهام إلى الأمر.

المبحث الثاني: العدول من الخبر للاستفهام.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الفهارس: واشتملت على:

(أ) فهرس المصادر والمراجع.

(ب) فهرس المحتويات.

(ت) التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث

أولاً: العدول في اللغة والاصطلاح:

تعريف العدول:

لغة: يعود أصل اللفظ إلى الجذر اللغوي (عدل)، و"العين والذال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج" (ابن فارس، ١٩٧٩، ص ٢٤٦) أي: انحراف واعتدال على غير المتوقع مما اقتضاه الاستواء الأول، و"العَدْلُ أن تُعَدَلَ الشيء عن وجهه فتميله" (الخليل، دت، ج ٢، ص ٣٩).

اصطلاحاً: هو الانتقال من صيغة الألفاظ إلى صيغ أخرى لخصوصية معينة تقتضي ذلك (ابن الأثير، دت، ج ٢، ص ١٤٥).

ودلت التعريفات اللغوية والاصطلاحية على أن العدول يختص بالانتقال مما يتوقعه السامع إلا غير ما يتوقعه، مما يقتضيه اللفظ في سياق التركيب، ويكون ذلك لعدة بقصد المتكلم.

وقد تناول البلاغيون ظاهرة العدول في كلام العرب، ومن ذلك ما أورده (المقري)، فذكر أن "هذا من التوسع في العبارة، والقدرة على التقنن في أساليب الكلام، وهو أمر صعب إلى الغاية، وأرى أنه أشق مما يُحكى عن واصل بن عطاء أنه ما سمعت منه كلمة فيها راء... وهذا كثير في كلام العرب، فإذا أراد العدول عن لفظ (فرس)، قال: جواد أو ساع أو صافن، أو العدول عن (رمح)، قال: قناة أو صعدة أو يزني، أو غير ذلك، أو العدول عن لفظ (صارم)، قال: حسام أو لهزم، أو غير ذلك" (التلمساني، ١٩٦٨، ج ٣، ص ٥٦٥).

وتشير الفقرة إلى أن العدول ظاهرة بلاغية تتعلق باللفظ والتركيب، مما يكسبها طبيعة فنية خاصة، بحيث لا يقف عليها إلا أهل اللغة، فضلاً عن الوقوف على مراميها.

وقد تعددت مسميات العدول عند أهل اللغة القدماء، ومن ذلك: الخروج على مقتضى الظاهر، وهو ما نبّه إليه (المراغي) موضحاً طبيعة العدول، ووروده تحت أبواب معينة في كتب التراث، فيقول: "فعلى المخاطب أن يبحث عن سبب العدول مستعيناً بالقرائن، ويسمى ذلك: الخروج عن مقتضى الظاهر، وقد



سبق ذكر شيء من أحواله نبهناك عليه في حينه، كنتزيل العالم منزلة الجاهل، والمعقول منزلة المحسوس... (المراغي، ١٩٩٣، ص ١٤٠).

وتشير الفقرة إلى أن العدول عن مقتضى الظاهر يعبر عن مخالفة ما يقتضيه ظاهر السياق والتركيب، وله صور كثيرة، مما مثل له المراغي، كنتزيل العالم منزلة الجاهل، والمعقول منزلة المحسوس، وهو ما يربط العدول بالمجاز أحياناً، بحيث يستعير المتكلم ما للشيء أو الإنسان لغيره، فإذا قال المتكلم: افترسه الحزن، فقد عدل عن مقتضيات السياق التي تنسب الافتراض للوحش عادة، فنسبه إلى الحزن، وهو ما قصده المراغي بتزليل المعقول، وهو الحزن، منزلة المحسوس، وهو الوحش المفترس.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ سَوَاعِدُ بَيْعٍ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ...﴾ (قرآن، الحج، ٤٠) فجعل الهدم في حق الصلوات، وقصد بها المساجد من باب التجوز عن المحل بالحال فيه، وهو ضرب من العدول؛ لبيان وقوع الضرر المباشر من هدم المساجد، وهو امتناع إقامة الصلاة، على قول من قال: إن المقصود بها المساجد لا الكنائس (الزمخشري، ١٤٠٧، ج ٣، ص ١٦٠).

من هنا، ارتبط النص بتقاليد خاصة، تسمح للكاتب بالتوسع في اللغة، وذلك من باب التجوز، ومن هذه التقاليد ظاهرة (العدول)، و"القسم الذي يكون العدول فيه، عن الحقيقة إلى المجاز؛ لغير مشاركة بين المنقول، والمنقول إليه، فذلك لا يكون إلا لطلب التوسع في الكلام، وهو سبب صالح؛ إذ التوسع في الكلام مطلوب" (ابن الأثير، دت، ج ٢ ص ٦٤).

وقصد بقوله: لغير مشاركة بين المنقول والمنقول إليه؛ إي لغير ما يقتضيه السياق، مما يعد ضرباً من التوسع في اللغة على نحو ما أورد الجاحظ: «وكل بيضة في الأرض فإن اسم الذي فيها والذي يخرج منها فرخ، إلا بيض الدجاج فإنه يسمى فرجاً. ولا يسمى فرخاً، إلا أن الشعراء يجعلون الفروج فرخاً على التوسع في الكلام. ويجوزون في الشعر أشياء لا يجوزونها في غير الشعر" (الجاحظ، ١٤٢٤، ج ١، ص ١٣١).

وأكد قول الجاحظ أعلاه ما أوردناه من اقتران العدول بالتوسع في الكلام، وإقامة المفرد أحياناً مقام الجمع، وهو منحي شائع في كلام العرب، لاسيما الشعر الذي يبيح هذا الاتساع. ويكون الغرض من العدول مرتبطاً بغرض المتكلم، ومن ثم، فقد مقروناً بعلّة بلاغية بيانية، وهو ما سنتناوله في المبحث التالي، بإذن الله تعالى.

#### ثانياً: التعريف بأسلوب الخبر والإنشاء:

الخبر هو: ما احتمل الصدق أو الكذب من الكلام (ابن قتيبة، دت، ص ٧) ويأتي في الكلام للتقرير والتأكيد. أورد القزويني: "قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما نفس الحكم، كقولك: زيد قائم لمن لا يعلم أنه قائم، ويسمى هذا: فائدة الخبر.

أما كون المخبر عالماً بالحكم، كقولك لمن زيد عنده، ولا يعلم أنك تعلم ذلك: زيد عندك، ويسمى هذا: لازم فائدة الخبر" (القزويني، دت، ج ١، ص ٦٦).

ونفهم من كلام القزويني أن الأسلوب الخبري يلجأ إليه المتكلم للتقرير والثبوت، مما عبّر عنه القزويني بقوله: زيد قائم، فلزم من المتكلم أن يكون قد عين زيدا وهو قائم على نحو لا يقبل الاحتمال أو التشكيك.

والإنشاء هو "ما يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب" (حبنكة، ١٩٩٦، ج ١، ص ٢٢٨).

وأما أقسامه، فهي: "الأمر والنهي والاستفهام والتمني والتعجب والنداء، نحو: احفظ لسانك، ولا تؤذ جارك، وما أحسن الوفاء، ويا أيها الرجل" (السراج، ١٩٨٣، ص ١٦١).

ومدار الكلام كله على الخبر والإنشاء، مما أورده صاحب (الدرء المصون): "الخبر أحد قسمي الكلام؛ لأنه ينقسم إلى الخبر والإنشاء، وجميع معانيه، إذا حُقِّقَتْ، راجعة إلى هذين القسمين" (السمين، دت، ج ٨، ص ٦٢٣).

وسوف نتناول العدول، فيما أورده السيوطي في هذا الباب، على النحو الآتي:

#### المبحث الأول: العدول من الاستفهام إلى الأمر

تعددت مواضع العدول من الاستفهام إلى الأمر في الكتاب محل الدراسة، ومن ذلك ما أورده السيوطي (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرِيهِ، قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرِيهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا).

(أرأيتُمْ): استفهام تقرير متعلق بالاستخبار، أي: "أخبروني هل يبقى؟" (السيوطي، ١٩٩٨، ج ٢، ص ٥٨٣).

ووقع العدول في قول المتكلم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَرَأَيْتُمْ؛ إذ عدل عن الاستفهام إلى الطلب؛ بغرض استخبار الجلوس، مما ورد على صيغة الاستفهام، وقصد به الأمر للالتماس، والتقدير: أعلموني وأخبروني، وهو ما أشار إليه قول السيوطي: "استفهام تقرير متعلق بالاستخبار، أي: أخبروني هل يبقى؟" مما اشتمل على علة بيانية مفادها رغبة السامع لفت انتباه المسؤول إليه، وتنبهه إلى إعمال عقله في إجابة السؤال.

وشاع هذا العدول في كلام العرب، مما أورده المعاجم العربية، ويدل على فهم السامع مقصد المتكلم؛ إذ أورد الزبيدي: " (أرأيت) بمجرى (أخبرني)، فتدخل عليه الكاف، وتترك التاء على حالته في التنثية والجمع والتأنيث، ويُسَلِّطُ التَّغْيِيرَ عَلَى الْكَافِ دُونَ التَّاءِ " (الزبيدي، دت، ج ٣٨، ص ١٠٩).

وأورد سيبويه: "وتقول: أَرَأَيْتَكَ زَيْدًا أَبُو مِنْ هُوَ؟ وَأَرَأَيْتَكَ عَمْرًا أَعْنَدَكَ هُوَ أَمْ عِنْدَ فُلَانٍ، لَا يَحْسُنُ فِيهِ إِلَّا النَّصَبُ فِي زَيْدٍ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: أَرَأَيْتَ أَبُو مِنْ أَنْتَ، أَوْ أَرَأَيْتَ أَزِيدٌ تَمْ أَمْ فُلَانٍ، لَمْ يَحْسُنْ؛ لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَى (أَخْبَرْتَنِي) عَنْ زَيْدٍ " (سيبويه، ١٩٨٨، ج ١، ص ٢٣٩).

وكثر استعمال هذه الصيغة في آيات الذكر الحكيم، في قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (قرآن، الأنعام، ٤٠)

فأتى السياق القرآني بالفعل (أرأيتكم)، في معرض استخبار المخاطب؛ ليقرَّ بأن الله هو وحده هو من يقصده الإنسان في الشدائد، ومن ثم، جاء الاستفهام مقصودًا به الطلب المقترَّب بفعل الأمر: أخبروني على أحد قولين أوردهما الفراء، أحدهما "أَنْ تَقُولُ: أَرَأَيْتَكَ، وَأَنْتَ تَرِيدُ: أَخْبَرْنِي" (الفراء، دت، ج ١، ص ٣٣٣).

وفي خطبة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى أَمْرَاءِ الْأَمْصَارِ، قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: أَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَمْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رِعْيَةِ فَادُبَ بَعْضَ رِعْيَتِهِ إِنَّكَ لَتَقْصُئُهُ مِنْهُ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ" (صفوت، دت، ج ١، ص ٢١٩).

فوقع العدول عن طلب الرؤية إلى الاستخبار، أي: طلب الخير، على نحو ما ورد في الحديث محل الدراسة.

ومن ذلك ما أورده السيوطي، عن حَرِيْزُ بْنُ عُمَانَ، أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بَسْرٍ صَاحِبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَرَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ شَيْخًا؟ قَالَ: كَانَ فِي عُنُقَيْهِ شَعْرَاتٌ بِيضٌ.

والعَفَقَةُ: "مَا بَيَّنَّ الشَّقَّةَ السُّقْلَى وَالذَّقْنَ مِنْهُ لِحَقَّةٍ شَعْرَهَا، وَقِيلَ: الْعَفَقَةُ مَا بَيَّنَّ الذَّقْنَ وَطَرَفَ الشَّقَّةِ السُّقْلَى، كَانَ عَلَيْهَا شَعْرٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَقِيلَ: الْعَفَقَةُ مَا نَبَتَ عَلَى الشَّقَّةِ السُّقْلَى مِنَ الشَّعْرِ" (ابن منظور، ١٤١٤، ج ١٠، ص ٢٧٧).

(أرأيت): يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: أَخْبِرْنِي، فَالِنَبِي مَرْفُوعٌ اسْمُ كَانٍ قَدَمٌ أَوْ اسْتِفْهَامٌ عَنِ رُؤْيَيْهِ لَهُ، فَالِنَبِي مَفْعُولُهُ. (السيوطي، ١٩٩٨، ج ٥، ص ٢٢٦٩).

ووقع العدول في قول المتكلم: أرأيت، على أحد تأويلين أوردهما السيوطي: الاستفهام من المتكلم بمعنى السؤال عن الرؤية، ومن ثم، فلا عدول فيه؛ للزومه معنى الاستفهام والسؤال، أو بمعنى طلب الخبر، وهو ما يقع فيه العدول من الاستفهام إلى الأمر، بمعنى: أخبرني، مما اشتم على علة بيانية بنائية تشير إلى رغبة السائل في لفت انتباه المسؤول، وإعمال عقله وذاكرته في إجابة السؤال؛ إذ "العرب تقول: أرأيتك، في معنى: أخبرني، ومنهم من يقول: أرأيتك في معناها، فإذا قالوا: أرأيت، فهو على ضربين: رؤية العين، ورؤية العلم" (الباوردي، ٢٠٠٢، ص ٣٠٩) وهو ما طلب المتكلم الاستخبار عنه، سواء كان بالرؤية أو بعلم المخاطب المتحصّل بالرواية والسماع.

ومن ذلك قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ} (قرآن، يونس، ٥٠).

والتقدير: أخبروني إن وقع عليكم العذاب (البيضاوي، ١٤١٨، ج ٣، ص ١١٥) فطلب الإجابة لإعمال عقل المخاطب المعاند وخياله في تصوّر نزول العذاب ووقوعه؛ لأن العرب كانوا يمرّون بمنازل الأمم السابقة التي نزل عليها العذاب في رحلاتهم التجارية. (مقاتل، ١٤٢٣، ج ٣، ص ٦١٨).

ومما رود بصيغة الاستفهام (أرأيت)، مما احتمل معنى الاستخبار، قول النابغة الذبياني (النابعة، ١٩٩٦، ص ٨٦):

أرأيتَ، يومَ عَكاظَ، حينَ لَقِيتَني \*\*\* تحتَ العِجَاجِ، فما شَققتَ عِباري

فأتى بالاستفهام عن الرؤية مما عدل فيه إلى الاستخبار، مما اتفق مع الحديث محل الدراسة، وكأنه يذكر المهجور: زرعة بن عمرو بما كان يوم عكاظ (الشتنمري، ١٩٦٣، ج ١، ص ٢١٠)؛ ليطلب منه تذكره على سبيل الهجاء له ولقومه.

المبحث الثاني: العدول من الخبر للاستفهام

تعددت مواضع العدول من الاستفهام إلى الأمر في الكتاب محل الدراسة، ومن ذلك ما أورده السيوطي (قديم عبد الرحمن بن عوف المدينة فأخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وكان سعد ذا غنى، فقال لعبد الرحمن: أفاسمعك مالي نصفين وأزوجك، قال: برك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فما رجع حتى استفضل أقطاً وسمناً، فأتى به أهل منزله، فمكثنا يسيراً أو ما شاء الله، فجاء وعليه وضر من صفرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: مهيم، قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار.

(مهيم)، قال ابن مالك: هي اسم فعل بمعنى: أخبر، وقال غيره: كلمة استفهام، أي: ما شأنك؟ أو: ما هذا؟ مبنية على السكون، وهل هي بسيطة أو مركبة؟ قولان) (السيوطي، ١٩٩٨، ج ٤، ص ١٤٩٨).

ووقع العدول في قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: مهيم، على أحد قولين أوردهما السيوطي: اسم فعل أمر بمعنى: أخبر، فيكون العدول من الخبر إلى الأمر، أو كلمة استفهام، بمعنى: ما شأنك أو خطبك؟ فيكون العدول من الخبر إلى الاستفهام، ويتفق الاحتمالان في العلة البيانية التي تشير إلى اندهاش المتكلم مما ورد

في سياق الكناية عن تغيير حال الصحابي عما اعتاد النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رؤيته عليه؛ لأنه "رأى به لطفًا من خلق أو طيب له لون، فسأله عنه، فأخبره أنه تزوج" (الأزهري، ٢٠٠١، ج ١٢، ص ٤٢) فكان الاستفهام؛ لنهي "النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يترعرع الرجل فأنكرها، ويشبه أن يكون ذلك شيئًا يسيرًا، فرخص له فيه لِقَلْبِهِ" (الخطابي، ١٩٣٢، ج ٣، ص ٢١٠).

ومن ذلك ما ورد في استنشاد والد بثينة لكثير عزة، فلما أنشده فهمت بثينة ما أراده كثير من تذكيرها بيوم اللقاء الأول بينها وبين حبيبها (جميل)، فلما فرغ كثير الإنشاد "ضربت بثينة جانب الخدر، وقالت: اخسأ، فقال لها أبوها: مهيم يا بثينة" (ابن قتيبة، ١٤٢٣، ص ٤٢٧) فلم يفهم أبوها ما فهمته، وتعجب من ضربها الخدر، فكأنه يسألها: ما خطبك؟ أو: ما السبب؟

عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبِيَّةً، وَلَمْ يُعْطِ مَخْرَمَةَ مِنْهَا شَيْئًا، فَقَالَ مَخْرَمَةَ: يَا بَنِيَّ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَقَالَ: ادْخُلْ، فَادْعُهُ لِي، قَالَ: فَدَعَوْتُهُ لَهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْهَا، فَقَالَ: خَبَأْنَا هَذَا لَكَ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: رَضِيَ مَخْرَمَةَ.

(رضي مخرمة؟)، قال الداودي: هو من قول النبي، صلى الله عليه وسلم، على جهة الاستفهام؛ أي: هل رضيت (السيوطي، دت، ج ٤، ص ١٧٨٤).

ووقع العدول في قول النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: رضي مخرمة؛ إذ ورد بصيغة الخبر، وأراد المتكلم منه الاستفهام عن مدى رضى (مخرمة) من عدمه، وهو ما اشتمل على علة بيانية تشير إلى توقع المتكلم أن يرضى مخرمة؛ لحصوله على قسمه، ورغبته في التأكد من ذلك على سبيل الاستبراء، فعدل عن الخبر إلى الاستفهام، ولم يصدر العبارة بأحد أدواته؛ لإشعار السامع بهذا المعنى. وتتعدد المواضع التي أراد بها العرب الإنشاء، فأتوا به في صورة الخبر، وهو الأسلوب الخبري لفظًا الإنشائي معنى.

ومن ذلك قول الشاعر: (ابن عبد ربه، ١٤٠٤، ج ٦، ص ٣٥١)

لا عَفَرَ اللهُ لِلْحَجِيجِ إِذَا \*\*\* كَانِ حَبِيبِي إِذْ نَأَوْنَا مَعَهُمُ

فأتى بالخبر (لا عفر)، وقصد لا تغفر يا الله، فعدل عن النهي إلى الخبر.

ومنه قول الشاعر: (شيخو، ١٩١٣، ج ١، ص ٢٧)

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ \*\*\* عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

فعدل عن معنى الخبر، في قوله: جزى الله، وقصد: اللهم اجز، بمعنى الأمر؛ لأنه في مقام دعاء وتضرع في هذا البيت وما قبله.

وكذلك ما ورد في الحديث محل الدراسة، من العدول عن الخبر للاستفهام؛ للغرض الذي أوردناه آنفًا.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد، فقد تناولنا موضوع العدول الأسلوبية في الألفاظ النبوية من خلال كتاب: «التوشيح شرح الجامع الصحيح» لجلال الدين السيوطي، وناقشنا مفهوم العدول، مما شمل بالدراسة: العدول في الأساليب، مع إيراد نماذج تطبيقية من الكتاب محل الدراسة.

## توصلت الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:

- (١) أن كتاب (التوشيح شرح الجامع الصحيح) للسيوطي من كتب شروح الحديث التي تهتم بالقضايا اللغوية والبيانية كنظيراتها من الشروح، إلا أن مؤلفه راعى فيه الاختصار، وعدم التطويل، فأفاد من تأخره الزمني عن السابقين (ت ٩١١هـ)، ومن ثم، جاء الكتاب مركزاً من الناحية الفنية.
- (٢) لوحظ توجه الحديث النبوي- بالكتاب محل الدراسة- إلى العدول في الخبر والإنشاء؛ إذ حل كل منهما محل الآخر، نحو العدول من الاستقهام إلى الأمر وكان ذلك لمسوغ بياني، مفاده لفت انتباه السامع، وإشراكه في القضية محل الطرح، أو تقريرها وتثبيتها في ذهن حال عدول المتكلم إلى الخبر.
- (٣) لجوء المتكلم، في عدة مواضع، العدول من الخبر إلى الاستقهام، وكان ذلك لمسوغ بياني؛ هو رغبة المتكلم في قرعه بالسؤال وثبوته في ذهن المتكلم حال لجوئه إلى الاستقهام، أو التركيز عليه حال عدوله إليه، وهو ما نوع في أساليب الحديث النبوي الشريف، وأثرها من الناحية الأسلوبية.

## فهرس المصادر والمراجع

- (١) ابن الأثير، دت، نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي- بدوي طبانة، دط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.
- (٢) الأزهرى، ٢٠٠١، محمد بن أحمد بن الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٣) الباوردي، ٢٠٠٢، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، حقق: حقه وقدّم له: محمد بن يعقوب التركستاني، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، المدينة المنورة.
- (٤) البيضاوي، ١٤١٨، عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٥) التلمساني، ١٩٦٨، أحمد بن محمد، تفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت.
- (٦) الجاحظ، ١٤٢٤، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى، الحيوان، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٧) حبنكة، ١٩٩٦، عبد الرحمن بن حسن، البلاغة العربية، دار القلم، ط١، دمشق، الدار الشامية، بيروت.
- (٨) الخطابي، ١٩٣٢، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، معالم السنن (وهو شرح سنن أبي داود)، ط١، المطبعة العلمية، حلب.

- ٩) الخليل، دت، بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي - وإبراهيم السامرائي، دط، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ١٠) النابغة، ١٩٩٦، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرة بن عوف بن سعد، الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ١١) الزبيدي، دت، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دط، دار الهداية.
- ١٢) الزمخشري، ١٤٠٧، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٣ط، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٣) السراج، ١٩٨٣، محمد علي، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، ط١، دار الفكر - دمشق.
- ١٤) السمين، دت، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دط، دار القلم، دمشق.
- ١٥) سيبويه، ١٩٨٨، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ١٦) السيوطي، ١٩٩٨، عبد الرحمن بن أبي بكر، التوشيح شرح الجامع الصحيح، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ط١، مكتبة الرشد، الرياض.
- ١٧) الشنتمري، ١٩٦٣، أبو الحجاج الأعم، يوسف بن سليمان بن عيسى، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ط٣.
- ١٨) شيخو، ١٩١٣، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب، مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.
- ١٩) صفوت، دت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، دط، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- ٢٠) ابن عبد ربه، ١٤٠٤، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.
- ٢١) ابن فارس، ١٩٧٩، أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الفكر، بيروت.
- ٢٢) الفراء، دت، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي - محمد علي النجار - عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- ٢٣) ابن قتيبة، دت، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، دط، مؤسسة الرسالة.
- ٢٤) ابن قتيبة، ١٤٢٣، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار الحديث، دط، القاهرة.
- ٢٥) القزويني، دت، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت.

- ٢٦) المراغي، ١٩٩٣، أحمد بن مصطفى، علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع، ط٣، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- ٢٧) مقاتل، ١٤٢٣، بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث، بيروت.
- ٢٨) ابن منظور، ١٤١٤، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت.



## الخلاف القاجاري - العثماني حول دفن الموتى في كربلاء

١٩٢٥-١٧٩٦

أ.م.د. نهلة نعيم عبدالعالي

جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية

Email: nahla-n@utq.edu.iq

### ملخص البحث

يعد موضوع البحث من المواضيع التاريخية المهمة؛ وتكمن أهميته في كون المراقد المقدسة عامل جذب فاعل للرعايا الإيرانيين، نظراً إلى العمق العقائدي الراسخ لأتباع مدرسة آل البيت (عليهم السلام)، واعتقادهم بأن الهجرة إلى المراقد المقدسة - سواء أكانت للزيارة أم الاستقرار بجوارها أم الوفود لدفن الأموات بالقرب منها - وسيلة للتقرب منهم؛ وقد استند في هذه العقيدة إلى القرآن الكريم والسنة الطاهرة الواردة عن النبي وآل بيته (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم).

وقد أرتأينا أن نتناول في بحثنا هذا عمليات دفن الموتى الإيرانيين في المناطق المقدسة في العراق وما اكتنفها من مشاكل ومعوقات وملابسات؛ ونسلط الضوء على أسباب الخلاف القاجاري - العثماني التي نوقشت في مؤتمر أرضروم الذي عقد إثر ارتكاب العثمانيين لمذبحة كربلاء في ١٣ كانون الثاني ١٨٤٣؛ ففي هذا المؤتمر طرحت وجهتا النظر العثمانية والقاجارية في القضايا المختلفة بما فيها حماية الزائرين الإيرانيين وكيفية التعامل معهم. وكذلك بينا كيف تحولت تلك المسألة ذات البعد الإنساني العاطفي إلى مسألة دبلوماسية تبادل فيها الجانبان القاجاري والعثماني الاتهامات؛ وما قدماه من الحجج والأدلة بصددها. وقدمنا دراسة مقتضبة لموضوع البحث، وتحليلاً لبعض التفاصيل المتعلقة بهذا الموضوع، مستنديين إلى مصادر تارة، وإلى قرائن عقلية تاريخية تارة أخرى.

### Summary

The Ottoman-Qajar dispute about the burial of the dead in Karbala.

The subject of this research is one the important historical topics, and its significance lies in the fact that the holy shrines are an effective attraction factor for the Iranian nationals due to the deep-rooted ideological depth of the followers of the Aal al-Bayt (the prophet family) {peace be upon them} school, and their belief that immigration to the holy shrines whether for visits, settling next to them, or delegations to bury the dead near them, a way to get closer to them; this belief was based on the Holy Qur'an and the pure Sunnah of the Prophet and his family (peace be upon them).

In this research, we decided to address burials of Iranians dead in the holy sites in Iraq and the problems, obstacles and circumstances surrounding them shed light on the causes of the Ottoman-Qajar dispute, which were discussed at the Erzurum Conference held after the Ottomans committed



the Karbala massacre on January ١٣, ١٨٤٣, In this conference ,the Ottoman and Qajar points of view were presented on various issues including the protection of Iranian visitors and how to deal with them, and we also showed how this human emotional issue has become a matter of diplomacy in which both Qajar and Ottoman sides exchanged accusations and presented evidences.

### المقدمة

تعد هذه الدراسة محاولة جادة لفهم تأثير قضية إنسانية عقديّة في العلاقات بين الدولة القاجارية والدولة العثمانية، والكشف عن بعض العوامل التي أسهمت في تأجيج الخلافات بينهما، إذ قدمت هذه الدراسة نموذجاً واضحاً عن طبيعة الصراع بين الدولتين الإسلاميتين القاجارية والعثمانية في جانب من جوانب التعامل بشأن القضايا المشتركة التي تهم الجانبين، ومنها موضوع بحثنا هذا، وهو قضية "دفن الموتى الإيرانيين في كربلاء" وسياسة العثمانيين تجاهها، وكيفية تعامل السلطات العثمانية مع رعايا الدولة القاجارية، وشكوى الجانب القاجاري من سوء التعامل معهم، وتأجج خلافات بين الدولتين جراء ذلك، من دون إغفال الدراسة للدور الأوربي في التعامل السياسي مع الأزمة، ومن ثم تسويتها.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي الموضوعي والمنهج التحليلي في رصد الأحداث التاريخية وتحليلها، ملتزمة وحدة الموضوع في السياق التاريخي العام، بهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية قدر المستطاع. ولم يهمل البحث أبداً من الظروف والمعطيات الموضوعية المؤثرة في الحدث التاريخي الذي تناولته، الأمر الذي تطلب الرجوع إلى المزيد من المصادر، فضلاً عن القرائن العقلية المستقاة من أحداث الواقع. وقد استند البحث إلى مجموعة من المصادر الفارسية والعربية والمجلات التي تضمنت دراسات وثائقية.

وتجدر الإشارة إلى أن شحة المعلومات التي تخص موضوع البحث سببت صعوبة في التوصل إلى الحقيقة، فضلاً عن أن الدراسات الأكاديمية المتخصصة في هذا المجال، الصادرة عن الجامعات العراقية، نادرة؛ ولذا اعتمدت المصادر الفارسية بالدرجة الأساس في الحصول على المعلومات المطلوبة لإنجاز الدراسة.

وبغية عرض موضوع البحث بطريقة علمية وفقاً للأطر الأكاديمية، تضمنت الدراسة مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة تضمنت المصادر المعتمدة في كتابتها. وقد تناولت الدراسة مدخلاً معرفياً لأسباب الخلاف القاجاري - العثماني حول مسألة دفن الجثث، ومن ثم دراسة طريقة نقل الجثث حتى وصولها إلى المراقد المقدسة.

وقد تطرقت الدراسة إلى الظروف والمتغيرات التي حصلت بعد انعقاد مؤتمر باريس، الذي كانت أولى قراراته إنشاء محطات الحجر الصحي؛ وبينت دور كل من الدولتين في التنسيق الصحي، وآليات عملية النقل وسائر الإجراءات المتعلقة بالموضوع.

### المبحث الأول

#### أسباب الخلاف القاجاري - العثماني حول مسألة دفن الموتى

كانت لعودة الحكم العثماني المباشر إلى العراق في العام ١٨٣١<sup>(١)</sup>، وتولي نجيب باشا ولاية بغداد (١٨٤٢-١٨٤٩)، واحتلاله كربلاء وما رافق ذلك من عنف وأعمال قتل كان أبرزها (مذبحة كربلاء)<sup>(٢)</sup>؛ بداية

لسياسة عثمانية جديدة أثرت تأثيراً ملحوظاً في ازدياد حدة التوتر في العلاقات بين الدولتين القاجارية والعثمانية، وقد انعكس ذلك جلياً في تعامل السلطات العثمانية مع الزوار الإيرانيين بالتضييق عليهم ومنعهم من دفن الموتى في مقبرة كربلاء، مع أن الإيرانيين قد دأبوا منذ العهد الصفوي على دفن موتاهم قرب المراقد المقدسة في العراق.

وقد أدى الاهتمام البالغ؛ الذي أولاه الساسة الإيرانيون عموماً والقاجاريون خصوصاً؛ ببناء المراقد المقدسة والمشاهد المشرفة وتشبيدها وصيانتها<sup>(٣)</sup> إلى تزايد الزائرين الوافدين إلى المراقد المقدسة في العراق، وانتشار ظاهرة دفن الموتى حولها.

ومقابل إصرار الوفود الإيرانية على استمرار دفن جثث موتاهم قرب المراقد المقدسة في العراق، كان هناك تعنت من السلطات العثمانية في منعهم من ذلك؛ الأمر الذي أدى إلى خلق أزمة بين الدولتين؛ بعد أن تملكت الدولة القاجارية من توظيف الدولة العثمانية للجانب الصحي واستعماله أداة لخدمة أهداف سياسية واقتصادية؛ ومن ذلك تلويح الأخيرة باتباع إجراءات صارمة تتعلق بمسألة انتشار الأمراض والأوبئة التي تخلفها عملية نقل الجثث، معللة ذلك بعدم التزام الإيرانيين بشروط المعايير الصحية في عمليات نقلها، وأخذ الخلاف القاجاري - العثماني يتصاعد حول هذا الجانب، حتى وصل إلى مرحلة حدوث صراع بين مسؤولي الدولتين<sup>(٤)</sup>.

#### كيفية نقل الجثث

قبل الخوض في موضوع الخلاف القاجاري - العثماني لابد من الوقوف على كيفية نقل الجثث من إيران إلى مقبرة كربلاء. فقد كانت عمليات النقل هذه تجري بواسطة متعهدين يقومون بجمع أكبر عدد ممكن من الجثث من مختلف المدن الإيرانية، قاطعين بذلك مسافات طويلة. وكانت كل قافلة تحمل ما لا يقل عن (٥٠ - ٦٠) جثة؛ بعضها يوتى به من الهند إلى إيران، والبعض الآخر إلى مقبرة كربلاء<sup>(٥)</sup>. وكان هناك الكثير من القبائل في مدينة أذربيجان تمنهن نقل الجثث، وتقوم بإيداعها في مسجد أو مقام، وهو ما يسمى بـ(الأمانة)؛ وقد تصل مدة الأمانة إلى حوالي شهر كامل<sup>(٦)</sup>. وكمثال على ذلك، عندما توفي محمد خان القاجاري (١٧٩٦ - ١٧٩٧)<sup>(٧)</sup> دفنت جثته في مدينة شوش بعنوان "أمانة"، وبقيت هناك عاماً كاملاً قبل أن تنقل إلى مرقد "شاه عبد العظيم"، ثم أقيمت في المرقد الشريف لمدة أسبوع، ونقلت بعد ذلك إلى العراق لدفنها<sup>(٨)</sup>. وكان المتعهدون يقومون بوضع الجثث في أماكن بعيدة عن القرى بحوالي خمسة أو ستة كيلومترات؛ وعلى الرغم من بعد المسافة إلا أن الرائحة كانت تنتقل إلى سكان القرى عبر الرياح المتجهة من مواضع الدفن نحوهم، لاسيما في أوقات الليل؛ وكثيراً ما تتعرض بعض الجثث المودعة للنبش من الحيوانات، وهذا ما حدث في منطقة (بى بى دختران) في مدينة شيراز في العام ١٨٨٢<sup>(٩)</sup>؛ وقد تسبب ذلك في انتشار الكثير من الأمراض في المدينة، مما دفع السلطات الإيرانية إلى منع هذه الظاهرة وتحديد مدة معينة لنقل الجثث؛ وبناء على ذلك طلب بعض الأطباء الأجانب الذين كانوا يعملون في البلاط القاجاري من ناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦) إيقاف هذا التقليد الشائع، لما يسببه نبش القبور ونقل الجثث من مخاطر صحية، ودعوا إلى أن تكون عملية النيش والنقل بموافقة الشاه<sup>(١٠)</sup> أو الكلانتر<sup>(١١)</sup>، إلا أن هذه المحاولات لم تنجح، وذلك لكون أغلب هذه الجثث تعود إلى السلطة الحاكمة وحاشيتها والعوائل الثرية<sup>(١٢)</sup>.

انتشر الوباء في إيران في العام ١٨٢٠ والعام ١٨٢٢، واستمر بصورة متقطعة، وتكرر انتشاره سبع مرات؛ بعد ذلك بدأت الأمراض تنتشر في اسطنبول، مما أدى بالولاة إلى اتخاذ تدابير صحية لمنع انتشارها، فاستحدثوا إجراءات الحجر الصحي في النقاط الحدودية بين الدولة القاجارية والدولة العثمانية، للزائرين الذين يحملون الجثث، وللجثث نفسها؛ ولكن بعد خمسة عشر عاماً من انتشار المرض في

اسطنبول تقرر تأسيس محطات الحجر الصحي في أطراف المدن في العام ١٨٣٧<sup>(١٣)</sup>، وطالبت الهيئة العليا للحجر الصحي من النمسا أن تقدم دعماً لبناء محطات الحجر الصحي في جميع أنحاء الدولة العثمانية، فاستجابت النمسا وأرسلت إليهم خبراء ومسؤولين ذوي تجربة في هذا المجال؛ ثم استحدثت الدولة العثمانية - بمساعدتهم - وزارة الحجر الصحي بعد عامين. وخلال ذلك تعرض الإيرانيون لاعتداءات ومضايقات، منها ابتزازهم بالأموال بفرض رسوم عالية على عملية الدفن وما يتعلق بها، بل تعدت ذلك حتى طالبت نساءهم، إذ تعرضن لمضايقات خلال عمليات التفتيش عند دخولهن حدود الدولة العثمانية، وهو ما أدى إلى حدوث عدة صدمات بين الرعايا الإيرانيين والسلطات العثمانية<sup>(١٤)</sup>.

ويبدو بين طيات المصادر التاريخية أن هناك امتعاضاً قاجارياً من سياسة الدولة العثمانية في العراق، وهو ما أبداه أحد الساسة القاجاريين بالتعبير عن أسفه من وقوع العراق - الذي أسماه "البلاد الجميلة" - تحت السيطرة العثمانية، مؤكداً أنها ستكون فردوساً لو كانت تحت الحكم القاجاري.

ويبدو من القرائن المستقاة من المواقف التاريخية وتحليل الأحداث التي جرت بين الدولتين آنذاك أن الدولة العثمانية لم تتعامل مع هذه القضية بأسلوب طبيعي، وإنما تبنت مفاهيم مغلوطة ورؤى فكرية ضيقة قائمة على تحقيق مآرب طائفية لمنع هذه الوفود من الدخول إلى الأماكن المقدسة، حتى جاء مؤتمر أروم (١٨٤٣)<sup>(١٥)</sup> حلاً لهذه المشكلات وأمرأ ضرورياً لكلا الطرفين.

## المبحث الثاني

### مؤتمر أروم والدور الأوربي في تسوية الأزمة

كانت مذبحه كربلاء (١٩ كانون الأول ١٨٤٢ - ١٣ كانون الثاني ١٨٤٣)<sup>(١٦)</sup> سبباً مباشراً لعقد مؤتمر أروم (١٨٤٣-١٨٤٤)، ومن ثم عقد معاهدة أروم الثانية في العام ١٨٤٧ بين الدولتين المسلمتين القاجارية والعثمانية، برعاية أوربية (بريطانيا وروسيا)، وقد ساعدت هذه المعاهدة على إيجاد حل لبعض المشاكل بين الدولتين؛ ولكن مشكلة نقل جثث الموتى بقيت عالقة، إذ كانت وجهة النظر العثمانية تتلخص في أن هذا الأمر يتعارض مع مفهوم الدولة الحديثة<sup>(١٧)</sup>، وأن دفن الموتى الأجانب في أراضيها، والموافقة على ذلك أو رفضه، أمور عائدة إلى الحكومة العثمانية التي من حقها أخذ الإجراءات التي تتناسب مع مصالحها وسيادتها على أراضيها، وأن من حقها إعادة النظر في مسألة السماح بدفن الموتى الإيرانيين في مقبرة وادي الإيمان في كربلاء، أما وجهة النظر القاجارية فقد تركزت على حقها التقليدي والديني التاريخي في دفن رفاة موتى رعاياها في العتبات المقدسة في كربلاء وباقي المدن المقدسة، وبررت ذلك باستمرار الإيرانيين في ممارسة ذلك الحق لعقود<sup>(١٨)</sup>.

ومن جهة أخرى فقد نتج عن استمرار عمليات دفن الإيرانيين لموتاهم عند الأماكن المقدسة في العراق توطيد العلاقة بين المجتمع الإيراني والمجتمع العراقي، وهذا أدى إلى تطور الصدام بين الحكومة العثمانية والشيعية في العراق.

وقد سعت بريطانيا - التي تربطها معاهدات مع الدولتين القاجارية والعثمانية - إلى تهدئة الأوضاع بينهما؛ لذلك سارعت - بالتعاون مع روسيا - إلى عقد مؤتمر أروم لمنع نشوب حرب كانت على وشك الاندلاع عقب مذبحه كربلاء؛ وكان دور كل من سفير بريطانيا (ستراتفورد كاننك Stratford Canning) وسفير روسيا في اسطنبول (المستر بوتنيف Putnev)، واضحاً في تسوية الخلافات التي تؤثر على العلاقات بين الدولتين القاجارية والعثمانية، بما يتواءم مع مصالح الدولتين الأوربيتين؛ وعليه طلب كاننك من القائم بالأعمال البريطاني في طهران إيضاح عرف دبلوماسي وقانوني كان سائداً في أوربا<sup>(١٩)</sup>، مفاده

أن دفن الموتى الإيرانيين الذي كان يمارس على مدى عقود في العراق العثماني بات لا يتفق مع مفهوم الدولة الحديثة وحققها الطبيعي في القبول أو الرفض بمحض إرادتها؛ ويفهم من ذلك أن البريطانيين أرادوا إفهام الإيرانيين أن من حق الدولة العثمانية أن تعيد النظر في مسألة دفن الموتى القاجاريين في أراضيها، ولكنها في الوقت نفسه سعت إلى تسوية شاملة بين العثمانيين والقاجاريين، لاسيما أن القاجاريين كانوا شديدي الحساسية تجاه هذا الموضوع بعد مجزرة كربلاء في العام ١٨٤٢<sup>(٢٠)</sup>.

وخلال مؤتمر أرضروم - الذي افتتح في ٥ أيار ١٨٤٣ - عرض الجانبان المشاكل الاجتماعية التي كان يعاني منها رعايا الطرفين، ولاسيما الجانب القاجاري الذي كان رعاياه يبدون امتعاضهم من سياسة طائفية من جانب الولاة العثمانيين، تجلّى فيها سوء معاملة السلطات العثمانية خلال مدة إقامتهم عندما كانوا يتوافدون إلى العتبات المقدسة في العراق والحجاز، لزيارتها ودفن أمواتهم قريبا<sup>(٢١)</sup>، أو خلال أدائهم لأعمالهم التجارية. وقد امتدت مظاهر سوء المعاملة إلى جوانب عديدة منها:

١- المضايقات والإجراءات التعسفية الأمنية والصحية بحق الرعايا الإيرانيين القادمين لدفن الموتى

الإيرانيين في كربلاء.

٢- تطرف القضاة العثمانيين في أحكامهم ضد رعايا الدولة القاجارية.

٣- التعسف في فرض الرسوم الجمركية على التجار القاجاريين.

٤- منع العثمانيين الزواج بين رعايا الدولتين.

فكانت مسألة دفن الموتى الإيرانيين في كربلاء إحدى أبرز المواضيع التي أثيرت في المؤتمر. وقد سعى كل من الطرفين القاجاري والعثماني إلى توظيف جميع المشاكل للحصول على أقصى حد من المكاسب. ومن اللافت للملاحظة أن قضية اجتماعية ذات طابع عاطفي، كدفن موتى رعايا الدولة القاجارية في مقابر العتبات المقدسة في العراق لاقت جدالاً محتدماً بين مندوبي القاجاريين والعثمانيين واحتلت مساحة ضاهت المساحة التي شغلتها مشاكل أعظم، مثل تبعية المحمرة، وتبعية السليمانية وترسيم الحدود، والرسوم الجمركية، وتبعية العشائر.

انتهت محادثات مؤتمر أرضروم بين الطرفين، بعد تدخل كل من بريطانيا وروسيا كوسيطين في هذه المحادثات بتوقيع معاهدة أرضروم الثانية في العام ١٨٤٧م، وقد تضمن البند السابع من الاتفاقية إلزام الدولة العثمانية بحماية الزوار من الاعتداءات في الأراضي العثمانية، وموافقة الدولة العثمانية على دفن الموتى القاجاريين مع إيقانها الإجراءات التي تواكب عملية الدفن، زاعمة أنها راعت المشاعر والعواطف الدينية لرعايا الدولة القاجارية على مختلف شرائحهم، مع فرض رسوم على الدفن على الرغم من مطالب الأخيرة بإلغائها.

وقد وظف كانك موافقة الدولة العثمانية على مسألة دفن الموتى في وضع تسوية شاملة بين البلدين<sup>(٢٢)</sup>؛ ونتيجة لذلك كله فقد أصبحت الإجراءات المتعلقة بالجانب الصحي أحد المواضيع المطروحة للتفاوض في مؤتمر أرضروم؛ وتحولت هذه المسألة ذات البعد الديني والإنساني إلى ورقة دبلوماسية بين الطرفين.

بعد توقيع معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧ أخذ عدد القوافل التي تنقل الجثث إلى كربلاء يزداد، واستناداً إلى تقرير القائم بالأعمال الإيراني في بغداد في العام ١٨٧٣ فقد نُقل ما يقارب عشرين ألف جثة إلى العتبات المقدسة<sup>(٢٣)</sup>، مما أدى إلى انتعاش الحركة التجارية في المناطق التي يمر بها الزائرون الإيرانيون أو يقيمون فيها من جهة، ومن جهة أخرى تركت تلك القوافل أثراً ملحوظاً في التقارب الاجتماعي والديني بين أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الإيرانيين وأقرانهم في الجانب العراقي<sup>(٢٤)</sup>، غير أن الدولة العثمانية لم تلتزم بما نص عليه البند المذكور في الاتفاقية، إذ تكررت الاعتداءات على الرعايا

الإيرانيين وبقية الخروقات قائمة من جانبها؛ وكثيراً ما اشتكت السلطات الفاجارية من تعسف العثمانيين في فرض الرسوم، وطالبت بإلغائها، فضلاً عن تهديد مجاميع قطاع الطرق قوافل الزوار بالنهب بتواطؤ من السلطات العثمانية<sup>(٢٥)</sup>؛ وفي هذا السياق كانت حكومة الباب العالي تبرر إجراءاتها باستشهادها بسياسة الحكومات الأوروبية التي كانت تستوفي مثل تلك الرسوم وقتذاك، في الظروف نفسها؛ وكذلك طالبت السلطات العثمانية الإيرانيين بدفع ثمن الأرض التي تخصص لدفن موتاهم<sup>(٢٦)</sup>، موظفة بذلك ما كان يتبع في أوربا لتبرير تشدها في التعامل مع الإيرانيين في مسألة دفن الموتى في كربلاء المقدسة وغيرها؛ وهي أمور استحدثت ولم تكن سائدة من قبل.

ومن الأمور الأخرى التي وظفتها السلطات العثمانية وعُدت من أسباب تشدها في مسألة دفن الموتى الإيرانيين في كربلاء المقدسة والعتبات الأخرى، والتي نتجت عن احتكاك الدولة العثمانية مع دول أوربا الحديثة وتداخلها معها، مسألة الحجر الصحي؛ وخاصة بعد إدراكها لأهميته الفعلية المتزايدة، نتيجة الأخطار الصحية الناجمة عن نقل جثث الموتى وما قد ينجم عن ذلك من أوبئة وأمراض؛ ولذا سعت إلى تطبيق نظام الحجر الصحي للوقاية من الأمراض الوبائية<sup>(٢٧)</sup> بطريقة متعددة الأبعاد والأهداف.

ولقد أصرت السلطات العثمانية على تطبيق الحجر الصحي على الزوار الإيرانيين للعتبات المقدسة في مدن كربلاء المقدسة والنجف والكاظمية وسامراء؛ وحيال آلية التطبيق وما صاحبها من ممارسات وإجراءات غير مقبولة لدى الجانب الإيراني، اعتبر الإيرانيون تطبيق الحجر الصحي من جانب السلطات العثمانية قراراً مذهبياً يراد منه منع الإيرانيين من أداء مراسيمهم الدينية، ومما زاد في اعتقاد الفاجاريين بذلك، المبالغة في مقدار الرسوم المالية التي كانت تجبى من الإيرانيين عند دخولهم الحجر الصحي سواء للزيارة أو لدفن الموتى، وإقامتهم فيها وخروجهم منها؛ فهي كانت في منظور الإيرانيين أقرب إلى الابتزاز والاستغلال منها إلى الرسوم المالية، لاسيما إذا ما عرفنا أن السلطات العثمانية على الحدود تعتمد بيع الأطعمة بأعلى من أسعارها بكثير؛ كما تعتمد تأخير الزوار الذين يرومون دفن موتاهم، مما يحول دون إتمام مسيرهم إلى العتبات المقدسة، أو يضطرون إلى الاستجداء خلال ذهابهم وعودتهم لنفاد نقودهم<sup>(٢٨)</sup>. ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا: إلى أي مدى استغلّت مسألة الحجر الصحي ضد الزوار أو جثث موتاهم؟! هذا ما سيتبين لاحقاً.

### المبحث الثالث

#### التنسيق الصحي الفاجاري - العثماني

تشكلت بعد معاهدة أرضروم الثانية لجنة دولية لدراسة الحدود بين إيران والدولة العثمانية، وانتخب خورشيد باشا عضواً فيها، وهو أول عضو ينتخب لهذه اللجنة. وقد قدم خورشيد باشا تقريراً ذكر فيه أن الإيرانيين يخفون الفاكهة والحريز في التواييت، بعضها يهرب للتجارة وبعضها يقدم هدية لأصدقائهم في الداخل؛ وقدّم أيضاً إحصائية للأنشطة الاقتصادية الخاصة بجمارك مدينة خانقين حسب الإحصاء السنوي لدائرة الحجر الصحي<sup>(٢٩)</sup>، وذلك خلال العام ١٨٥٠ وهو كالاتي:

٥٢٩٦٩ زائراً من الرجال، و٣٣٤٨ تاجراً في مقطورات، و٣١٧٦ جثة، و٢٤٩٥٧ رأس غنم؛ غير أن تقرير أحد أعضاء هذه اللجنة - وهو بريطاني الجنسية - جاء مخالفاً لما ذكره خورشيد باشا في تقريره، إذ ذكر البريطاني أن الأعداد لم تكن كما جاء في تقرير خورشيد باشا، وأن المعدل - بحسب الإحصائية التي صدرت بين العام ١٨٤٨ والعام ١٨٥٢ - كان ثمانين ألف شخص جاؤوا لإيفاء نذورهم وزيارة العتبات المقدسة، وفي العام الأخير من المدة المذكورة وصل عدد الجثث المنقولة من إيران إلى العراق إلى

(٥٠٠٠ - ٨٠٠٠) جثة. وقد رد خورشيد باشا على هذا التقرير البريطاني قائلاً: (إن هذه الأرقام لم تشمل النساء والأطفال الذين عبروا الحدود أيضاً، وإن عمل موظفي الحجر الصحي والجمارك ينتهي عند غروب الشمس، ولا يوجد شخص في المعابر الحدودية؛ والأشخاص من الذين يعبرون الحدود في وقت الغروب يقدر عددهم بألف شخص)<sup>(٣٠)</sup>.

وقد أثار تفاقم الأمراض قلق كثير من الدول الأوروبية التي قررت حينها عقد مؤتمر باريس في العام ١٨٥١ باسم (مؤتمر الصحة الدولي) بمشاركة اثنتي عشرة دولة أوروبية، من بينها الدولتان القاجارية والعثمانية. وقد طالب أعضاء المؤتمر كلاً من طهران واسطنبول بمواجهة تلك الأمراض؛ وبعد انعقاد المؤتمر وضعت أولى القرارات بشأن الحجر الصحي، ووفقاً لتلك القرارات وضع المسافرون المصابون بالأمراض المسرية في الحجر الصحي<sup>(٣١)</sup>.

بدأت الدولة القاجارية باتخاذ أولى خطواتها بعد انتشار الأمراض الوبائية في إنشاء محطات الحجر الصحي الإيرانية في العام ١٨٥٢، بأمر من الصدر الأعظم ميرزا تقي أمير كبير (١٨٠٧-١٨٥٢)<sup>(٣٢)</sup> في حدود إيران والعراق، ولكن الضوابط المقررة لم يتم تطبيقها من قبل الموظفين والزائرين، حتى أن الصدر الأعظم ميرزا آقا خان نوري (١٨٠٧-١٨٦٥)<sup>(٣٣)</sup> - الذي خلف أمير كبير - عد محطات الحجر الصحي مشروعاً عثمانياً ضد الحكومة القاجارية، لهذا لم يعمل على تفعيل العمل في تلك المحطات، وقد أدى انتشار الوباء والطاعون على نحو مشابه في إيران إلى لفت الانتباه وتوجيه الاهتمام إلى مسألة الصحة العامة، والعمل على تحسين الواقع الصحي وتطوير الكوادر الطبية والارتقاء به لمواجهة الأمراض المعدية، فحتى العام ١٨٥٨ دخل خريجو دار الفنون الإيرانية دورة تعليمية في علم الطب<sup>(٣٤)</sup>.

كانت نقاط الحجر الصحي المقامة على حدود الدولة العثمانية مع الدولة القاجارية من أهم الأسباب التي أدت إلى تفاقم الأوضاع بين الجانبين؛ لما يكتنفها من سوء معاملة القائمين على تلك الحدود والعاملين فيها، إذ كانوا يقومون باحتجاز الجثث لمدة لا تقل عن خمسة عشر يوماً<sup>(٣٥)</sup>، وقد حدث صدام بين الزوار الإيرانيين وموظفي الحدود العثمانيين في العام ١٨٥٨، بسبب محاولة الموظفين العثمانيين حرق بعض الجثث مبررين ذلك بانتشار الأمراض.

استمرت السلطات العثمانية في مضايقاتها للإيرانيين إلى حد محاولة منع مراسيم عاشوراء مبررة ذلك بإجراءات الاحتراس الصحي، مما أدى إلى تجدد الاشتباكات والتسبب في وقوع عدد من القتلى<sup>(٣٦)</sup>.

وقد زادت هذه المعاملة من غضب الحكومة القاجارية، لذا خاطب السفير الإيراني في اسطنبول مشير الدولة ميرزا حسن خان (١٨٢٧-١٨٨١) الحكومة القاجارية - مشيراً إلى سوء معاملة العثمانيين - بقوله: (... لقد تعرض الزوار الإيرانيون في نقاط التفتيش الحدودية لإهانات متعمدة من قبل القائمين على هذه النقاط، بل تعدى الأمر إلى تفتيش ملابس نسائهم مع أنهم مسلمون، وهذا خلاف الشرع، وهو بحد ذاته يعد إهانة، وكانوا يبررون تلك الأفعال بالمحافظة على النظام الجمركي، هذا ما يخص الزوار؛ أما فيما يخص تفتيش الجثث فقد بلغت الإساءة إلى تعمد هناك حرمة الميت، إذ كانوا يقومون بإدخال المسامير في رأسه وباقى أجزاء الجسد بحجة فحصه من الأمراض، ثم يقومون بإخراج الجثة ووضعها في برميل، ولتجنب هذه الإجراءات المسيئة إلى الميت والزائر يضطر أصحاب القوافل إلى دفع مبالغ كبيرة، وأحياناً يقومون بالدخول عبر معابر سرية بدون تفتيش، وقد وضعت هذه المعابر خصيصاً لمن يدفع مبالغ أعلى، وأغلب هؤلاء من العوائل الثرية أو من الأمراء والحاشية، أما من يمتنع عن الدفع فيقومون بجمع جثثهم ووضع أكثر من جثة في حفرة، ومن ثم دفنها. هذه الأفعال كانت تثير استنزاز الزوار الإيرانيين وعوائل الموتى...)<sup>(٣٧)</sup>.

وجراء تفاقم الأوضاع صحياً وسياسياً عقد المؤتمر الصحي الثاني في باريس في العام ١٨٦٥، وعبرت فيه الدول الأوروبية عن قلقها لانتشار الأمراض في الخليج، وانتقدت عمل الحكومة الإيرانية، حيث اقترحت فرنسا أن يعقد مؤتمر عام لوضع حل لهذه المسألة، وفي ذلك الوقت نشرت الصحف الفرنسية في باريس موضوعات تحدثت فيها عن السبب في انتشار الأمراض في الخليج والعراق، وعلت ذلك بنقل الجثث إلى العتبات المقدسة، وطالبت بإيقافها فوراً؛ وقد اعترض السفير الإيراني على هذا الأمر<sup>(٣٨)</sup>.

أما المؤتمر الثالث فقد انعقد في اسطنبول في العام ١٨٦٦، وشارك فيه - ممثلاً الحكومة القاجارية - القائم بالأعمال الإيراني في الدولة العثمانية ميرزا ملكم خان<sup>(٣٩)</sup>، ونتيجة لزيادة ضغوط المؤتمرات العالمية عملت إيران في العام ١٨٦٧ على تأسيس مجلس حفظ الصحة، وهو أشبه بمجلس شورى، وقد ترأس هذا المجلس الطبيب الفرنسي الخاص لناصر الدين شاه جوزيف تولوزان؛ وأول اجتماع لهذا المجلس كان قد عقد في التاسع من ذي القعدة؛ وقد ضم كلاً من وزير الخارجية الإيراني ميرزا سعيد خان وثلاثة من الأطباء الخاصين بالشاه، فضلاً عن أطباء من السفارتين الفرنسية والعثمانية<sup>(٤٠)</sup>، غير أن هذا المجلس لم يدم إلا أشهر معدودة؛ لكن هذه المجالس أخذت بالتزايد فيما بعد؛ ففي العام ١٨٨٠ شملت جميع مدن إيران<sup>(٤١)</sup>.

بعد انتشار مرض الطاعون في إيران وضعت الحكومة القاجارية مفارز صحية في مناطقها المتاخمة للحدود العراقية والحدود الشمالية المطلة على بحر قزوين، حيث أنشئت دائرة الصحة الداخلية التي أصدرت تعليمات بصدد نقل الجثث والزوار إلى العراق؛ وكان عمل هذه الدائرة مراقبة الجثث وفحصها للحد من انتقال الأمراض إلى العراق<sup>(٤٢)</sup>، ولكن إجراءات الموظفين العثمانيين - على الرغم من تأييد صحة دخول الجثث من قبل الطبيب العثماني في منطقة الحجر الصحي في كرمشاه - كانت تجري مقابل استيفاء الرسوم التي تبلغ قيمتها واحداً وعشرين قرشاً، وكذلك كان القائمون على الحدود من الجانب العثماني يعمدون إلى كسر الختم والشمع الذي وضعه طبيب الحجر الصحي في كرمشاه، ويفتحون الجثث مرة أخرى في حدود خانقين، ويستوفون على ذلك أجوراً إضافية قدرها خمسة وعشرون ألف قرش، ومن ثم يتم ختم الجثة بالشمع مرة أخرى<sup>(٤٣)</sup>، هذه العملية لم تتكرر في محطات الحجر الصحي في الحدود فقط، بل كانت تتكرر كذلك عند الدخول إلى بوابة كربلاء، وتقوم السلطات باستقطاع مبلغ الرسوم البالغ خمسة وعشرين ألف قرش، وفي بعض الأحيان تستوفى الأموال ومع ذلك يُمنع الزائرون من إدخال الجثث<sup>(٤٤)</sup>.

ولكن على الرغم من جميع الإجراءات القاسية، ابتداءً من الأموال التي يجري استيفؤها، وتكرار الاستيفاء عند كل محطة جديدة، وما كان يعانيه أصحاب الجثث والزائرون من مشقة الطريق وسوء المعاملة، إلا أن أعداد القوافل كانت تتضاعف سنوياً. وكانت اعتداءات العثمانيين بين الحين والآخر تبدر بدوافع مذهبية؛ فعلى سبيل المثال، عندما انتشر الوباء في العتبات المقدسة في العام ١٨٦٩ منعت القوات العثمانية عبور قافلة محملة بالجثث من مدينة بغداد، فأدى ذلك إلى الصدام بين أصحاب القافلة وحرس الحدود العثماني؛ وقد تسبب هذا الحادث بقتل عدد من الزوار، بل تعدى الاستهداف إلى اتفاق العثمانيين مع بعض العشائر للقيام بتسليب القوافل المارة عبر أراضيهم<sup>(٤٥)</sup>.

بعد سوء المعاملة التي كان يتعرض لها الزوار الإيرانيون، والشكوى التي قدمها السفير الإيراني حاج ميرزا حسين خان إلى حكومة بلاده، قرر ناصر الدين شاه أن يطرح هذه المسألة على والي بغداد مدحت باشا (١٨٢٢-١٨٨٤) والقائد العسكري لبغداد أحمد شفيق، أثناء زيارته إلى العراق في العام ١٨٧٠ ولقائه بهما؛ ويبحث معهما عن سبل إيجاد حل للمشاكل الخاصة بنقل الجثث حديثة الوفاة إلى الأماكن المقدسة في العراق. وكان من نتائج تلك الزيارة عقد اتفاق بين مشير الدولة القاجاري "ميرزا حسين خان" والوالي بغداد

"مدحت باشا" في العام ١٨٧٠؛ نص على منع عبور أية جثة قبل مضي ثلاث سنوات على الوفاة وتحولها إلى عظام، وذلك تجنباً لشيوع الأمراض وانتقالها إلى السكان، على أن تكون الجثة مرافقة بورقة يكتب فيها سنة الوفاة والدفن في إيران. وقد نصت إحدى بنود الاتفاق على توقف نقل الجثث لمدة ثلاثة أشهر من إبرام هذا الاتفاق<sup>(٤٦)</sup>، وبعد الانتهاء من هذا الاتفاق قام الولاة العثمانيون في العام ١٨٧٥ بنصب محطات للحجر الصحي على المحاور الحدودية لكل من خانقين وقصر شيرين والبصرة، علاوة على إنشاء دور للاستراحة. وكان الطبيب العثماني الذي يعمل في الحجر الصحي يقوم بختم التابوت، ومن ثم يذهب صاحب الجثة إلى الشهبندر لتأييد دخوله. أما تكاليف هذه الإجراءات فتصل في بعض الأحيان إلى حوالي ٤٠ ألف قرش<sup>(٤٧)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن الهدف من هذا الاتفاق هو مواجهة الأخطار الصحية الناجمة من نقل الجثث التي تأتي من إيران، والمحافظة على الصحة العامة، والعمل وفقاً للنظام الصحي الدولي<sup>(٤٨)</sup>.

وعلى الرغم مما تم الاتفاق عليه، ووضع شروط معينة لدخول الجثث، إلا أن كلاً من الطرفين لم يتلزم ببنود الاتفاق، إذ كان موظفو الحدود والحجر الصحي من الدولة العثمانية يدخلون الجثث المخالفة للشروط الصحية عبر معابر سرية مقابل دفع مبالغ مالية كبيرة من أصحاب القوافل، بينما يتمتعون عن منح إجازة العبور لأخرين على الرغم من فحص الأطباء للجثث التي يحملونها ومن تقديم تقرير يؤيد سلامتها؛ فعلى سبيل المثال سمحوا لجثة أنيس الدولة زوجة ناصر الدين شاه بالدخول مع كونها قد مر على وفاتها وقت قصير<sup>(٤٩)</sup>، وكانت تعطى شهادة تأييد لسلامة الميت من الأمراض، مقابل رسوم تصل في بعض الأحيان إلى خمسة آلاف دينار<sup>(٥٠)</sup>، تسمى بالضريبة الصحية<sup>(٥١)</sup>، وهذا خلاف الاتفاق الذي عقد بين الدولتين.

وقد بلغ عدد الجثث المنقولة خلال المدة (١٨٧٢-١٨٨٤) - أي منذ توقيع الاتفاق بين مدحت باشا وميرزا حسن خان سبهسالار لنقل الجثث بين حدود البلدين - ٥٧٤٤ جثة؛ ومعدل عدد الزوار الذين عبروا الحدود ٣٧٦٦٥ زائراً. وخلال الأعوام (١٨٩٨ - ١٩٠٤) بلغ معدل عدد الزائرين ٤٨٦٧٢، وعدد الجثث ٦٢٥٥<sup>(٥٢)</sup>. ولكن حينما انتشر الوباء مرة أخرى في العام ١٨٩٢ انعكس الحال على حركة التجارة في بغداد، إذ أدى انتشاره إلى تعطيلها، ونتيجة لذلك لم يسمح بعبور الجثث والزائرين عبر الحدود؛ فعلى سبيل المثال حينما أغلقت الحدود بوجه الزوار والسياح من العام ١٨٩٢ إلى العام ١٨٩٣ سُمح بعبور ٥٨٣١ شخصاً خلال هذه السنوات؛ فبلغ معدل العبور ١٢ شخصاً يومياً؛ وبعد رفع المنع وبقاء الإيراني في الحجر الصحي خمسة أيام فقط، أصبح متوسط عبور الناس ٩٧ شخصاً يومياً<sup>(٥٣)</sup>.

كان المسؤولون العثمانيون يراقبون عملية نقل الجثث مراقبة حقيقية وفعلية، بصورة متواصلة؛ فعلى سبيل المثال، في ١٤ كانون الثاني ١٨٩٤ طلب الصدر الأعظم من وزير الصحة أن يكتب تقريراً شاملاً حول نقل الجثث من إيران وتطبيق الإجراءات الوقائية الصحية العامة<sup>(٥٤)</sup>.

وقد قامت الدولة العثمانية في أواخر عهدها بتحويل مبالغ الاستيفاء إلى دائرة الأوقاف أو دائرة العمران؛ ولكن عائدات الأموال التي تستوفيها قامت بتحويلها إلى بعض التجار عبر مزيدة تقوم بإعلانها، وفي حالة رسو المزيدة على أحد من التجار يقدم على السفر إلى المدن الإيرانية لجمع الجثث ونقلها إلى مقبرة كربلاء، وفي بعض الأحيان يمكث هؤلاء التجار شهراً كاملاً هناك لجمع أكبر عدد ممكن من الجثث<sup>(٥٥)</sup>.

وفي سياق ذلك شرعت الحكومة العثمانية نظاماً للدفن سمي (نظام الدفنية)، وعدّ هذا النظام جزءاً من نظام الأوقاف العثماني؛ وقد عين الشيخ الحاج عبدالله الحفار مأموراً للدفنية في كربلاء بفرمان عثمانى، وامتدت صلاحياته إلى قضاء النجف) - آنذاك - لكون وادي السلام يمتد من النجف إلى كربلاء، أي أنه يضم البقاع الممتدة بين مرقد الأمام علي (عليه السلام) ومرقد ولده الأمام الحسين (عليه السلام). وقد فرض مأمور



الدفنية رسم خمس روبيات للدفن في المقابر العامة وعشر روبيات في الصحن الشريف، وسمي هذا الرسم بـ(رسم رفع الصخرة)، وهو يختلف عن أجور الدفن التي يتقاضاها الحفار، إذ تعد هذه الأجور إكرامية يختلف مقدارها حسب الحالة المالية لذوي المتوفى<sup>(٥٦)</sup>. وقد عين الشيخ عبدالله الحفار أحد أفراد عائلة آل شمسة في النجف ليكون وكيله هناك، لكن سرعان ما صدر فرمان آخر لهذا الوكيل، فاستقلت مأمورية دفنية النجف عن مأمورية دفنية كربلاء. وفي سياق متصل أوكل الشيخ عبدالله أحد الأشخاص لتولي عملية الدفن في المقبرة العامة، وعين دفاناً آخر للدفن في الروضتين المقدستين، ولتنظيم سجل بأسماء الموتى وعناوينهم قبل الوفاة، وقد أصبح هذا السجل وثيقة رسمية لعدد من المعاملات ولاسيما معاملات الجنسية<sup>(٥٧)</sup>.

لم تنته عملية تهريب جثث المتوفين حديثاً آنذاك عبر الحدود بين الدولتين؛ وهو ما كان يشكل خطراً على الصحة العامة، إذ إن تهريب الجثث كان يحدث أحياناً بعيداً عن المحطات الصحية وأماكن الضريبة. ومن الأمور التي كانت الحكومة الإيرانية تشكو منها مقدار الضرائب التي تؤخذ من قبل الموظفين العثمانيين لإصدار إجازة تسمح بعبور الجثة حسب قوانين الجمارك الصحية في الدولة العثمانية، التي جرى التصويت عليها في العام ١٨٧٦؛ وبناءً على ذلك فقد حدد مبلغ الضريبة الصحية بمقدارها عشرة قروش لكل زائر، وحددت ضريبة بقدر خمسين قرشاً للجثة<sup>(٥٨)</sup>.

لا نجانب الحقيقة إذا ما قلنا إن دفن موتى الإيرانيين في كربلاء وباقي المدن المقدسة، وتوافد قوافل المسافرين القادمين لزيارة المراقد المقدسة في العراق، قد أكسب الخزينة العثمانية أموالاً طائلة؛ ولذا فقد حظي هذا الموضوع باهتمام اقتصادي خاص من الحكومة العثمانية. لاسيما إذا ما عرفنا أن حكام إيران - على مدار

الحديث - كانوا الأحرص على تشييد المراقد المقدسة في العراق وتعميرها وترميمها. وتجدر الإشارة إلى أن حالات التوتر والخلافات بين الدولة القاجارية والعثمانية كانت تتعكس سلباً على الحركة التجارية، وتؤدي إلى عدم الاستقرار، وإلى ركود النشاطات التجارية، بينما كانت أسواق بغداد تنتعش، وحركة التجار والزائرين ونقل الجثث تنشط بصورة ملحوظة، عندما تهادأ الأوضاع السياسية بين الدولتين<sup>(٥٩)</sup>.

كان العثمانيون يبررون سياسة التضييق على المسافرين الإيرانيين القادمين لدفن الموتى بعدم وجود أماكن حول أضرحة الإمام الحسين وأخيه العباس (عليهما السلام) للدفن<sup>(٦٠)</sup>.

وكنيجة طبيعية لتلك السياسة التي اتبعتها الحكومة العثمانية أخذت أسعار الأراضي المخصصة للدفن بالارتفاع إلى حد كبير جداً، وقد وظفت الحكومة العثمانية هذا التقاوم في أسعار الأراضي لخدمة مصالحها المادية، فاستوفت من المتعهدين الإيرانيين رسوماً باهظة مقابل دفن الموتى؛ إلا أن ذلك كله لم يمنع بعض الأسر الإيرانية المؤمنة بشفاعاة آل البيت (عليهم السلام) من دفن موتاهم متحملين الكلفة والرسوم العالية المفروضة عليهم<sup>(٦١)</sup>.

مما سبق يتبين أن السلطات القاجارية كثيراً ما اشتكت من تعسف العثمانيين في فرض الرسوم، وطالبت بإلغائها، وكذلك طالبت بالسماح للإيرانيين بشراء الأراضي وتخصيصها لدفن جثث الموتى مستقبلاً؛ إلا أن هذه المطالب قوبلت بالرفض من حكومة الباب العالي التي استشهدت بسياسة الحكومات الأوربية في استيفائها مثل تلك الرسوم في الظروف نفسها<sup>(٦٢)</sup>.

ويبدو أن الحكومة العثمانية قد استغلت مسألة دفن الموتى بكل ما تشمل من محطات الحجر الصحي وشراء الأراضي لتحقيق أهداف اقتصادية بإجراءات تصل إلى حد الابتزاز، ولم تخلُ طريقة تعامل الحكومة

العثمانية مع الرعايا الإيرانيين من أبعاد مذهبية ودوافع طائفية، فقد منعهم من أداء المراسيم الدينية بأسلوب لا يخلو من إذلال، فكانت تتعمد تأخير دخولهم إلى أراضيها لكي لا يتبقى وقت لإتمام مسيرة زيارة المراقد المقدسة من جهة، وليضطروا إلى دفع مبالغ أكبر مقابل السماح بدخولهم، من جهة أخرى. وقد وظفت الحكومة العثمانية مسألة دفن الموتى الإيرانيين لمصالحها المادية، ومنحت رخصة الدفن واستقطاع الرسوم إلى متعهدين في كربلاء والنجف، فكانت الرسوم تجبى على الجثث بحسب المكان الذي تدفن فيه؛ فعلى سبيل المثال كانت رسوم الدفن داخل حرم الإمام علي (عليه السلام) تصل إلى خمسين ألف قرش من الذهب<sup>(٦٣)</sup>؛ وقد شكلت هذه المبالغ مورداً مهماً للخزينة العثمانية، وتحولت فيما بعد إلى دائرة الأوقاف ودائرة العمران<sup>(٦٤)</sup>.

ولم تتوقف الرسوم عند هذا الحد، بل أخذت بالزيادة كل عام عما سبقه، ففي العام ١٨٨٧م ارتفعت إلى مائتي ألف قرش للجثة الواحدة، بل حتى سعر دفن الجثة أخذ بالتفاوت حسب مكانة المتوفى الاجتماعية والسياسية؛ فمثلاً، وصلت تكاليف دفن جثة ناصر الدين شاه في العام ١٨٩٦م إلى خمسة عشر ألف تومان، فضلاً عن مصاريف الأكفان التي تتراوح أحياناً بين ١٠ آلاف و ٢٠ ألف تومان<sup>(٦٥)</sup>.

وكانت الأسعار في العام ١٨٥٠م تحدد من قبل مسؤولي المساجد بمعدل (٥ إلى ١٠٠ ليرة) و(١٠ إلى ٢٠ ألف تومان)، وعندما تصل الجثث إلى أسوار المدينة يذهب المتعهدون إلى مقابر المدينة للحصول على تخفيضات على أسعار الدفن، وكانت أغلب العوائل الثرية تفضل الدفن في داخل الصحن العلوي وصحن الأمام الحسين (عليهما السلام)، ولكن هذه العوائل كانت تدفع أموالاً كثيرة لقاء دخول قوافلهم من البوابة الخاصة للمدينة؛ وهذه القوافل التي كانت تنقل الموتى تجري المراسيم ذات الطابع المذهبي، أما الفقراء فكانوا يدخلون من خارج أسوار المدينة ويقومون بتغطية التوابيت بالحصي لتجنب الأذى الذي يتعرضون له من المارة، ولكن هذه الأعداد بدأت تتناقص بالتدريج بعد سقوط الدولة العثمانية، ووقوع العراق تحت الاحتلال البريطاني، إذ قام علماء إيران بإصدار فتوى تمنع دفن الجثث في المراقد المقدسة في العراق، بدلاً من أن تذهب هذه الأموال إلى الاستعمار البريطاني، على أن يكون الدفن في المدن الإيرانية المقدسة "مشهد" و"قم"<sup>(٦٦)</sup>.

من جانب آخر كان للولاة العثمانيين موقف آخر بصدد انتشار التشيع، إذ كانوا قلقين نتيجة لكثرة أعداد الزائرين والتجار في الحدود الجنوبية المشتركة؛ فكثير من القبائل والطوائف قد دخلت التشيع؛ ولذا عملوا على تحديد حركة الزوار ومدة إقامتهم في المدن والعتبات المقدسة، إذ طالب والي بغداد حكومته في إسطنبول في العام ١٨٩٤م بإرسال المفتي السني محمد سعد أفندي بصفة مدرس في بغداد، لكي يواجه مساعي آية الله ميرزا حسن الشيرازي وباقي رجال الدين الشيعة بنشر المنهج الفكري الشيعي؛ وطالب أيضاً باتخاذ إجراء بحق والي بغداد الضعيف<sup>(٦٧)</sup>.

### الخاتمة:

من أبرز الأمور التي ينبغي الإشارة إليها في خاتمة البحث:

- ١- إن الدولتين الأوربيتين الكبيرتين بريطانيا وروسيا، هما من فرضتا حلول تسوية على الدولتين المسلمتين.
- ٢- إن ظهور مفهوم الدولة الحديثة في أوروبا قد وظف لصالح الدولة العثمانية في حسم مسألة دفن الموتى الإيرانيين في كربلاء.
- ٣- إن وجود ولاة عثمانيين امتازوا بالتعصب المذهبي كان سبباً في تأزم العلاقات بين الدولتين المسلمتين.

- ٤- إن الفوائد المالية التي تجنيها الخزنة العثمانية من دفن الموتى الإيرانيين كانت كبيرة، وساعدت - إلى حد ما - على تسوية الأزمة.
- ٥- وظفت بريطانيا الموافقة العثمانية على الدفن في كربلاء للضغط على القاجاريين لتسوية مسائل أخرى.
- ٦- كشف موضوع بحثنا عن مدى تعقيد العلاقات القاجارية مع العراق العثماني، وعن فهم أعمق من جانب القاجاريين لمشاكل العراق بالقياس مع السلطات العثمانية.
- ٧- لم تراغ مصالح العراق في التسويات التي نتجت عن مؤتمر أضروروم، إذ إن المضايقات من السلطات العثمانية أثرت سلباً على مدينة كربلاء.

#### الهوامش:

- ١- عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٦٢.
- ٢- للمزيد من التفاصيل عن مذبحه كربلاء يراجع: محمود فرهاد معتمد، تاريخ روابط سياسى ايران و عثمانى، ابن سينا، تهران، بى تا، ج ٢، ص ٣٢-٥٠؛ نهلة نعيم عبد العالى، عبدالله حميد العتايي، مذبحه كربلاء وأثرها في العلاقات الدولية ١٨٤٣-١٨٤٧م، مجلة جامعة ذي قار، مجلد ١٤، العدد ١، لسنة ٢٠١٩م.
- ٣- للتفاصيل عن تعمير المرقد الحسيني ينظر: عبدالجواد الكليدار آل طعمة، تاريخ كربلاء وحائر الحسين (عليه السلام)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م؛ چارلز عيسوى، تاريخ اقتصادى ايران، ترجمه يعقوب آزند، تهران گستر، ١٣٦٩، ص ١٩٧؛ سيد عليرضا گلشنى، عباس سرافرازى، نگاهى بر سنت انتقال مردگان به اماكن مقدس و پيامدهاى آن در دوره قاجار؛ مجله، پژوهشنامه تاريخهاى محلى ايران، سال چهارم، شماره دوم، پيايى ٨، ص ٥٣؛ حسن فراهانى، روزشمار تاريخ معاصر ايران، مجله، تهران، مؤسسه مطالعات و پژوهشهاى سياسى، ١٣٨٥، ٥٧٢/٢.
- ٤- صبرى آتش، نعلش كشى به عتبات: رقابت ايران و عثمانى در عراق سده ١٩ ميلادى، ترجمه: نازلى كاموارى، مجله، ايران نامه، سال ٢٦، شماره ١-٢، ص ٣٩.
- ٥- هما ناطق، از ماست كه بر ماست، تهران، نگارستان كتاب، ١٣٨٩ - ص ٢٩٧؛ صبرى آتش، المصدر السابق، ص ٤٠.
- ٦- رحمانيان داريوش، ثريا شهبوارى، جاىگاه عتبات عاليات در مناسبات ايران و عثمانى عصر قاجار، مطالعه موردى زوار و حمل جناز، مجله، فصلنامه مطالعات تاريخ فرهنگى، پژوهش نامه انجمن ايران تاريخ، سال چهارم، شماره ١ سيزدهم، پاييز ١٣٩١، ص ٩-١٠.
- ٧- آغا محمد خان، مؤسس الدولة القاجارية، توج يوم ٢١ آذار ١٧٩٦ شاهاً على ايران، ليصبح أول شاه قاجارى بعد الإطاحة بالدولة الزندية. للمزيد ينظر: امينه باكروان، آقا محمد خان قاجار، ترجمه جهانگيز افكارى، مؤسسه انتشارات فرانكلين، تهران، ١٣٤٨، ص ١-١٥.
- ٨- سيد عليرضا گلشنى، عباس سرافرازى، المصدر السابق، ص ٥٣.
- ٩- هانرى بايندرى، سفرنامه، ترجمه كرامت الله افسر، تهران، فرهنگسرا، ١٣٧٠، ص ٣٨٢؛ سيد عليرضا گلشنى، عباس سرافرازى، المصدر السابق، ص ٥٤.

- ۱۰- پولاک یاکوب ادوارد، سفرنامه پولاک، ایران و ایرانیان، ترجمه: کیکاووس جهانداری، تهران ۱۳۶۸، ص ۲۵۰.
- ۱۱- تعني كلمة كلانتر المأخوذة من مصطلح (كلان) الزعيم أو القائد المسؤول عن فئة معينة من المجتمع كالقبيلة أو الجماعة، وتعني أيضاً الكبير أو العظيم، وربما السبب في هذه التسمية أن الكلانتر كان في أوقات الحرب والأزمات يتولى مهمة القيادة سواء كقائد عسكري أم زعيم قبيلة، بل أفراد القبيلة في أوقات الحرب يعدونه كالسلطان أو الحاكم؛ وطبيعة هذه المهمة التقريب بين الحكومة والسكان، مهدى فراهانی منفرد، منصب كلانتر و چند سند در مورد دو تن از كلانتران عصر صفوی، مجله، گنجینه اسناد، شماره ۳۵ و ۳۶، پاییز و زمستان ۱۳۷۸، ص ۵.
- ۱۲- شهروز ماشنچی ماهری، تأثیر کاروان های زیارتی و دفن مردگان در عتبات عالیات بر مناسبات ایران و عثمانی (۱۳۶۴-۱۳۴۳) مجله، پژوهشنامه تاریخ تمدن اسلامی، سال چهل و ششم، شماره یکم، بهار و تابستان ۱۳۹۲، ص ۵۵.
- ۱۳- صبری آتش، المصدر السابق، ص ۵۵.
- ۱۴- المصدر نفسه، ص ۴۸.
- ۱۵- للتفاصيل عن مؤتمر أرضروم ينظر:
- J. F. Jones, Selection From the Records of the Bombay Government, No. Xliii, Memoirs by Commander James. Felix.
- ۱۶- محمود فرهاد معتمد، المصدر السابق، ص ۳۲-۵۰.
- ۱۷- میرزا محمود خان احتشام السلطنة، خاطرات، به کوشش سید محمد مهدی موسوی، تهران، زوار، ۱۳۶۹، ص ۳۵۰؛ محمود فرهاد معتمد، المصدر السابق، ص ۳۵۰؛ عبد العزيز سليمان نوار، العلاقات العراقية الإيرانية، دار الفكر العربي، ۱۹۷۴، ص ۹۷.
- ۱۸- محمود فرهاد معتمد، المصدر السابق، ص ۳۳-۵۰.
- ۱۹- عبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص ۱۰۲.
- ۲۰- سید علیرضا گلشنی، عباس سرافرازی، المصدر السابق، ص ۵۶.
- ۲۱- رحمانیان داریوش، ثریا شهبازی، المصدر السابق، ص ۹-۱۰.
- ۲۲- میرزا محمود خان احتشام السلطنة، المصدر السابق، ص ۳۵۰؛ محمود فرهاد معتمد، المصدر السابق، ص ۳۰-۵۰.
- ۲۳- شهروز ماشنچی ماهری، المصدر السابق، ص ۹۷؛ رحمانیان داریوش، ثریا شهبازی، المصدر السابق، ص ۱۰.
- ۲۴- صبری آتش، المصدر السابق، ص ۴۰.
- ۲۵- بهروز دولتشاهی و هاجر بهلوانی، بررسی نقش زیارت در سلامت روانی فرد، فصلنامه نقد و نظر، ص ۲۰۹.
- ۲۶- صبری آتش، المصدر السابق، ص ۴۰.
- ۲۷- المصدر نفسه، ص ۴۰.
- ۲۸- صبری آتش، المصدر السابق، ص ۵۴.
- ۲۹- المصدر نفسه، ص ۴۰.

- ۳۰- جمشید نوروزی، فاطمه معزی، موانع و مشکلات حمل جنازه شیعیان هند به مشهد در اواخر دوره قاجار، مجله، فصلنامه گنجینه اسناد: بیستم و هفتم، دفتر دوم، شماره ۱۰۶، تابستان ۱۳۹۶، ص ۸۵؛ صبری آتش، المصدر السابق، ص ۵۵.
- ۳۱- جمشید نوروزی، فاطمه معزی، المصدر السابق، ص ۸۵.
- ۳۲- میرزا تقی خان فرهانی الملقب بأمیر کبیر (۱۸۰۷-۱۸۵۲م) الصدر الأعظم في الحكومة القاجارية في عهد ناصر الدين شاه، وكان من الشخصيات الأكثر نفوذاً في ذلك العهد؛ للتفاصيل عن حياة أمير کبیر، ينظر: فريدون آدميت، أمير کبیر و ایران، چاپ هفتم، خوارزمی، تهران، ۱۳۶۲ هـ ش؛ أمير کبیر أنموذجاً للتحدیث في ایران أواسط القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ۲۰۰۷م؛ مرتضى كثرى، مسعود و دهقان نژاد، قرنطیه های ایران در اواخر دوره قاجار و اوایل دوره پهلوی، مجله، اخلاق پزشکی، دوره چهارم، شماره ۶، ص ۵۰ - ۶۲.
- ۳۳- رحمانیان داریوش، ثریا شهسواری، المصدر السابق، ص ۱۱.
- ۳۴- جمشید نوروزی، فاطمه معزی، المصدر السابق، ص ۸۷.
- ۳۵- المصدر نفسه.
- ۳۶- مشروطیت جنوب ایران به گزارش بالیوز بریتانیا در بوشهر در سالهای ۱۳۲۳ - ۱۳۳۳، ترجمه: حسن زنگنه، تهران، مؤسسه مطالعات تاریخ معاصر ایران، تهران، ۱۳۸۶، ص ۱۸.
- ۳۷- صبری آتش، المصدر السابق، ص ۵۷.
- ۳۸- المصدر نفسه.
- ۳۹- جمشید نوروزی، فاطمه معزی، المصدر السابق، ص ۸۷.
- ۴۰- المصدر نفسه.
- ۴۰- شهروز ماشنچی ماهری، المصدر السابق، ص ۹۹؛ سید علیرضا گلشنی، عباس سرافرازی، المصدر السابق، ص ۵۶.
- ۴۱- بهروز دولتشاهی و هاجر بهلوانی، المصدر السابق، ص ۲۰۹؛ رحمانیان داریوش، ثریا شهسواری، المصدر السابق، ص ۱۵.
- ۴۲- جمشید نوروزی، المصدر السابق، ص ۷۴؛ محمود فرهاد معتمد، المصدر السابق، ص ۶۸-۶۹.
- ۴۳- بهروز دولتشاهی و هاجر بهلوانی، المصدر السابق، ص ۲۰۹؛ صبری آتش، المصدر السابق، ص ۵۷.
- ۴۴- غلامرضا طباطبایی مجد، معاهدات و قراردادهای تاریخی در دوره قاجار؛ تهران، بنیاد موقوفات دکتر محمود افشار یزدی، ۱۳۷۳، ص ۳۶۰؛ رحمانیان داریوش، ثریا شهسواری، المصدر السابق، ص ۱۲-۱۳.
- ۴۵- المصدر نفسه؛ رحمانیان داریوش، ثریا شهسواری، المصدر نفسه، ص ۱۴؛ سید علیرضا گلشنی، عباس سرافرازی، المصدر السابق، ص ۵۶.
- ۴۶- صبری آتش، المصدر السابق، ص ۵۹.
- ۴۷- رحمانیان داریوش، ثریا شهسواری، بیشتین، ص ۱۳.
- ۴۸- شهروز ماشنچی ماهری، ص ۹۹.

- ٤٩- شوهدت نماذج من الدنانير العراقية في بغداد في كتب المسكوكات، وفي متحف الآثار العراقية. راجع: المحامي عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية، ص ١١٣.
- ٥٠- صبرى آتش، المصدر السابق، ص ٦٠.
- ٥١- المصدر نفسه، ص ٦٢.
- ٥٢- رحمانيان داريوش، ثريا شهسوارى، المصدر السابق، ص ١٦؛ صبرى آتش، المصدر السابق، ص ٥٢؛ جمشيد نوروزى، فاطمه معزى، المصدر السابق، ص ٧٧.
- ٥٣- صبرى آتش، المصدر نفسه، ص ٦٠.
- ٥٤- المصدر نفسه، ص ٦٢.
- ٥٥- المصدر نفسه.
- ٥٦- المصدر نفسه، ص ٦٣.
- ٥٧- رحمانيان داريوش، ثريا شهسوارى، المصدر السابق، ص ١٤-١٦.
- ٥٨- صبرى آتش، المصدر السابق، ص ٥٢.
- ٥٩- بهروز دولتشاهى و هاجر بهلوانى، المصدر السابق، ص ٣٨٤.
- ٦٠- مرتضى نورائى، مينا معينى، بررسى مسائل و مشكلات زوار ايرانى در زيارت عتبات عاليات در فاصله سال هاى ١٩٠٠-١٩٢٠م/١٣١٧-١٣٤١ هـ. ق، مطالعة موردى: سوء رفتار مأمورين عثمانى نسبت به زوار، مجله، جستارهاى تاريخى، پژوهشگاه علوم انسانى و مطالعات فرهنگى، سال هشتم، شماره دوم، پاييز و زمستان ١٣٩٦، ص ٢٠٩.
- ٦١- جمشيد نوروزى، فاطمه معزى، المصدر السابق، ص ٧٧.
- ٦٢- رحمانيان داريوش، ثريا شهسوارى، المصدر السابق، ص ١٦.
- ٦٣- جمشيد نوروزى، فاطمه معزى، المصدر السابق، ص ٧٧.
- ٦٤- رحمانيان داريوش، ثريا شهسوارى، المصدر السابق، ص ١٦.
- ٦٥- رسول جعفریان، ميراث تاريخ اسلامى ايران، قم، كتابخانه آيت الله مرعشى، ١٣٧٣، ج ٣، ص ١١ - ١٢؛ صبرى آتش، المصدر السابق، ص ١٥٢.
- ٦٦- صبرى آتش، المصدر نفسه؛ رحمانيان داريوش، ثريا شهسوارى، المصدر السابق، ص ١٦.
- ٦٧- سليم درينگيل، مبارزه با تشيع در عراق دوران عبد الحميد دوم؛ بررسى موردى سياست ضد تبليغى عثمانى، ترجمه نصر الله صالحى، مجله، نامه تاريخ پژوهان. سال ١ شماره ٢، ١٣٨٤، ص ١٣.

#### المصادر:

#### أولاً: الرسائل والأطاريح

- ١- أمير كبير نموذجاً للتحديث في إيران أواسط القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٧.

#### ثانياً: الكتب

#### أ- باللغة الفارسية:

- ١- امينه باكروان، آقا محمد خان قاجار، ترجمه جهانگيز افكارى، مؤسسه انتشارات فرانكلين، تهران، ١٣٤٨.

- ۲- پولاک یاکوب ادوارد سفرنامه پولاک "ایران و ایرانیان" ترجمه: کیکاووس جهانداری، تهران ۱۳۶۸.
- ۳- غلامرضا طباطبایی مجد، معاهدات و قراردادهای تاریخی در دوره قاجار، تهران، بنیاد موقوفات دکتر محمود افشار یزدی، ۱۳۷۳.
- ۴- رسول جعفریان، میراث تاریخ اسلامی ایران، جلد ۳، قم، کتابخانه آیت الله مرعشی، ۱۳۷۳.
- ۵- فریدون آدمیت، امیر کبیر و ایران، چاپ هفتم، خوارزمی، تهران، ۱۳۶۲ ه.ش.
- ۶- محمود فرهاد معتمد، تاریخ روابط سیاسی ایران و عثمانی، ج ۲، ابن سینا، تهران، بی تا.
- ۷- مشروطیت ایران جنوب ایران به گزارش بالیوز بریتانیا در بوشهر، در سالهای ۱۳۲۳-۱۳۳۳، ترجمه: حسن زنگنه، تهران، مؤسسه مطالعات تاریخ ایران، تهران، ۱۳۸۶.
- ۸- میرزا محمود خان احتشام السلطنة، خاطرات، به کوشش سید محمد مهدی موسوی، تهران، زوار، ۱۳۶۹.
- ۹- هانری بایندری، سفرنامه، ترجمه کرامت الله افسر، تهران، فرهنگسرا، ۱۳۷۰.
- ۱۰- هما ناطق، از ماست که بر ماست، تهران، نگارستان کتاب ۱۳۸۹.

#### ب- باللغة العربية:

- ۱۱- عبد الجواد الکلیدار آل طعمة، تاریخ کربلاء وحائر الحسین علیه السلام، مطبعة المعارف، بغداد ۱۹۶۸.
- ۱۲- عبد العزيز سليمان نوار، العلاقات العراقية الإيرانية، دار الفكر العربي، ۱۹۷۴.
- ۱۳- ، تاریخ العراق الحديث، دار الكتاب العربي، القاهرة، ۱۹۶۸.
- ۱۴- المحامي عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية.

#### ج - باللغة الإنجليزية:

- J. F. Jones, Selection From the Records of the Bombay Government, No. Xliii, Memoirs by Commander James. Felix.

#### ثالثاً: البحوث والمقالات المنشورة

##### أ- باللغة الفارسية:

- ۱- بهروز دولتشاهی و هاجر بهلوانی " بررسی نقش زیارت در سلامت روانی فرد، فصلنامه نقد و نظر، شماره ۲، بهار و تابستان، ۱۳۸۴.
- ۲- حسن فراهانی، روز شمار تاریخ معاصر ایران، تهران، مؤسسه مطالعات و پژوهشهای سیاسی، ۱۳۸۵، ۵۷۲/۲.
- ۳- چارلز عیسوی، تاریخ اقتصادی ایران، ترجمه یعقوب آژند، تهران گستر، ۱۳۶۹.
- ۴- جمشید نوروزی، فاطمه معزی، موانع و مشکلات حمل جنازه شیعیان هند به مشهد در اواخر دوره قاجار، فصلنامه گنجینه اسناد: بیستم و هفتم، دفتر دوم، شماره ۱۰۶، تابستان ۱۳۹۶.
- ۵- سلیم درینگیل، مبارزه با تشیع در عراق دوران عبد الحمید دوم، بررسی موردی سیاست ضد تبلیغی عثمانی، ترجمه نصر الله صالحی، مجله، نامه تاریخ پژوهان، سال ۱، شماره ۲، ۱۳۸۴.

- ۶- سيد عليرضا گلشنی، عباس سرافرازی، نگاهی بر سنت انتقال مردگان به اماکن مقدس و پیامدهای آن در دوره قاجار، مجله، پژوهشنامه تاریخهای محلی ایران، سال چهارم، شماره ۵ دوم، پیاپی.
- ۷- شهروز ماشنچی ماهری، تأثیر کاروان های زیارتی و دفن مردگان در عتبات عالیات بر مناسبات ایران و عثمانی (۱۲۶۴-۱۳۴۳هـ)، پژوهشنامه تاریخ تمدن اسلامی، سال چهل و هشتم، شماره یکم، بهار و تابستان ۱۳۹۲.
- ۸- صبری آتش، نعش کشی به عتبات، رقابت ایران و عثمانی در عراق سده ی ۱۹ میلادی، ترجمه نازلی کامواری، مجله، ایران نامه، سال ۲۶، شماره ۱-۲.
- ۹- رحمانیان داریوش، ثریا شهسواری، جایگاه عتبات عالیات در مناسبات ایران و عثمانی عصر قاجار، مطالعه موردی زوار و حمل جناز، مجله، فصلنامه مطالعات تاریخ فرهنگی، پژوهش نامه انجمن ایران تاریخ، سال چهارم، شماره سیزدهم، پاییز ۱۳۹۱.
- ۱۰- مرتضی کثیری، مسعود و دهقان نژاد، قرنطیه های ایران در اواخر دوره قاجار و اوایل دوره پهلوی، مجله، اخلاق پزشکی دوره چهارم، شماره ۶.
- ۱۱- مرتضی نورائی، مینا معینی، بررسی مسائل و مشکلات زوار ایرانی در زیارت عتبات عالیات در فاصله سال های ۱۹۰۰-۱۳۱۷/۱۹۲۰-۱۳۴۱ هـ. ق، مطالعه موردی: سوء رفتار مأمورین عثمانی نسبت به زوار، مجله، جستارهای تاریخی، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی، سال هشتم، شماره دوم، پاییز و زمستان ۱۳۹۶.
- ۱۲- مهدی فراهانی منفرد، منصب کلانتر و چند سند در مورد دو تن از کلانتران عصر صفوی، مجله، گنجینه اسناد، شماره ۳۵ و ۳۶، پاییز و زمستان ۱۳۷۸.
- ب- باللغة العربية:
- نهلة نعيم عبد العالي، عبد الله حميد العتابي، مذبة كربلاء وأثرها في العلاقات الدولية ۱۸۴۳-۱۸۴۷، مجلة جامعة ذي قار، مجلد ۱۴، العدد ۱، لسنة ۲۰۱۹.



## التناقضات الضدية على مستوى الموضوع في شعر مهيار

الديلمي

أ.م.د. خليل كاظم غيلان

الباحثة: علياء طالب مشيجل

كلية الآداب، جامعة ذي قار

### الملخص:

يعد التضاد من الأساليب التي تميز العمل الأدبي في بنيته التركيبية عن العمل العادي، وهي تجعل النص أكثر عمقاً وانفتاحاً على التأويل، ومن ثم بين الأثر في التكوين الإبداعي وإظهار المكامن الجمالية في العمل الأدبي. ومن التناقضات البارزة في شعر مهيار، الشيب والشباب والحياة والموت، القرب والبعد، وهذه الموضوعات جعلت النص مكنزاً بالتضاد القابل للتأويل وأوضحت صراع الشاعر النفسي جراء واقعه المتناقض، فتمكن الشاعر من إيصال أفكاره ببراعة شاكياً المه وتحسره على كل ما فات.

### Abstract:

Contradiction is one of the methods that distinguish the literary work in its structural structure from the ordinary work, and it makes the text more profound and open to interpretation, and then builds the impact on the creative formation and showing the aesthetic potentials in the literary work. And the distance, and these topics made the text compact with the contradiction that can be interpreted and explained the poet's psychological struggle due to his contradictory reality, so the poet was able to communicate his ideas brilliantly, complaining of his pain and his regret for everything that has passed.

### التضاد

يعد أسلوب التضاد من أهم عناصر الأداء الشعري، ومقوماته التعبيرية إذ يعكس خلجات نفسية الشاعر وما يجول فيها وفي الوقت نفسه يساعد في تقديم النص الشعري بشكل جلي عبر منحه بعداً جمالياً ودلالياً بشكل أكثر عمقاً وابلغ تأثيراً.

فقد أشار كثير من البلاغيين في العصر الحديث الى أهمية التضاد على انه مصدر مهم للشعرية، حيث يسهم بخلق طاقة اكبر منها وهو ((يمثل احد المنابع الرئيسية للفقوة: مسافة التوتر في لغة التضاد))<sup>(١)</sup>. فالتضاد ((وسيلة تكتيكية وأسلوب ديناميكي في بناء القصيدة، اذ ان الشاعر مضطر الى محاكاة التوتر النفسي للإنسان ككائن حي غير مستقر السلوك ... فبواسطة التضاد اوقد الشاعر التوهج

الشعوري والعاطفي في الكلمات))<sup>(٢)</sup>. وهذا يكشف عن ((ان الخصيصة الطاغية التي تمتلكها اللغة في الخلق الشعري ليست التوحد والتشابه بل المغايرة والتضاد))<sup>(٣)</sup>.

وهكذا يبدو التضاد عنصراً جوهرياً من عناصر الشعر وخصيصة لا يمكن الاستغناء عنها، وذلك لان الاضداد تضفي بعداً جمالياً على التعبير. وتحقق تناسقاً فنياً بين اجزائه، وانسجاماً وارتباطاً بين الالفاظ والعبارات والصور.

يرى جون كوين ((ان الثنائيات الضدية نشأت من شعورين مختلفين يوقظان الإحساس، وواحد من هذين الشعورين فقط هو الذي يستثمر نظام الادراك في الوعي والثاني يظل في اللاوعي))<sup>(٤)</sup>.

فتوظيف الثنائيات في النص الشعري يشكل محوراً محركاً للعملية الإبداعية لفهم آلية انشغالها في العتبة التطبيقية. فالثنائيات الضدية تؤكد المعنى، وتوضحه. فبعض المعاني تزداد جلاءً وسطوعاً حين نذكر مضاداتها، فالتضاد يشكل توازناً بين العبارات ((وهذا التوازن بين العبارات يكسبها جرساً موسيقياً يزيدا وضوحاً ويزيد النفوس اليها اكثر ميلاً، ويجعل العبارات اكثر عمقا))<sup>(٥)</sup>. فعند موازنة الشيء بضده، ومقابلته بنقيضه تجعلنا ندرك الفرق الشاسع بينهما لذا يعد ((التضاد من أسباب الشعرية لأنه يخلق تناقضاً بين طرفين او صورتين))<sup>(٦)</sup>.

فضلاً عن ان للتضاد أهمية كبرى في تعضيد المعنى، وتعظيمه في ذهن السامع، بوساطة الالفاظ المتضادة التي لها فاعلية في النص الادبي، وهذا متأتي عبر الاختلاف الواقع في البنيات التركيبية، وبدوره ينعكس على البنية الكلية للنص، والذي يعطي النص أثراً فاعلاً ومؤثراً.

فضلاً عن ذلك فإن أسلوب التضاد قائم على كسر أفق التوقع، وذلك لأنه يعد؛ من الأساليب التي تميز العمل الادبي في بنياته التركيبية عن العمل العادي، وان كثرة الثنائيات المتضادة في النص الادبي دليل على تماسكه وانسجامه ليخلق عنصر الفاعلية والايقاع، ومما يجعل النص اكثر انفتاحاً ويؤدي الى زيادة الحركة الدلالية فيه. ومن ثم له الأثر الواضح في تكوين البنية الإبداعية، الذي بدوره ينعكس على تفكيك البنية الجزئية للوصول الى البنية العميقة وإظهار مكانها الجمالية<sup>(٧)</sup>.

ولعل عبد القاهر الجرجاني قد تجاوز عصره بكثير، حينما تحدث عن معنى المعنى فقال: ((ان نقول المعنى ومعنى المعنى، تعني المعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل اليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى ان تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر))<sup>(٨)</sup>.

واستناداً لما سبق فالثنائيات الضدية عملية متأصلة في الابداع الشعري، ولا يكاد شاعر يستغني عن استعمالها في شعره. فهنا تبرز قدرة الشاعر على التوليف بين لفظين متضادين في أن واحد. ويبرز دورها في توسيع المعنى الذي يحاول الشاعر تشكيله.

#### اولاً: ثنائية الشيب والشباب

تمثل مرحلتَي الشيب والشباب في حياة الانسان، مرحلتين متباينتين، احدهما ضد الأخرى، ففي مرحلة الشباب يعيش الانسان بكامل قواه وطاقته الجسمية والعقلية، مقبلاً على الحياة ساعياً للاستمتاع بكل ما فيها من متعة، في حين يتبدل هذا الامر في مرحلة الشيب الى نقيضه، اذ تتغير نظرة الانسان جذرياً الى الحياة، ((فدم الشيب لأنه نذير الموت وعنوان الكبر))<sup>(٩)</sup>. فالشيب والشباب يعدان مرحلتان متضادتان، لان ((الانسان يعشق القوة فتراه يعمل على إبقاء شبابه، ومن ثم إبقاء قوته، والانسان يعشق الحياة، والشباب حيوية، في حين يؤذن الشيب بالفناء، لذا نراه يعشق الشباب ويفر من المشيب ونراه يحاول المستحيل للإبقاء على شرخ الشباب دفقاته))<sup>(١٠)</sup>. وقد أشار القران الكريم الى هاتين المرحلتين بقوله تعالى ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ

العَلِيمُ الْقَدِيرُ))<sup>(١١)</sup>. وقد صور كثير من الشعراء اثرهما في النفس البشرية ولا غرابة في ذلك، فالشباب مرحلة عمرية تغري الانسان بحب البقاء والتمتع بملذات الدنيا. لان الشباب يمثل اجمل مراحل عمر الانسان وابهاها، اذ تظهر فيه كل مكامن الحيوية والنشاط.

اما مرحلة الشيب عند الناس عامة والشعراء خاصة تمثل قرب اجلهم، فالشيب يمثل اللون الابيض، والشباب يمثل اللون الاسود، والاسود والابيض قطبان متضادان كل واحد منهما بعيد عن الاخر. ((الشيب تحول زمني اكثر عنفاً وقسوةً ونفياً للإنسان))<sup>(١٢)</sup>، فابن الاثير (ت:٦٣٧ هـ) في حديثه عن الشيب يقول ((الشيب اعداءٌ لليسار، وظلامٌ للأتوار، وهو الموت الاول الذي يصلى ناراً من الهم اشد وقوداً من النار، ولئن قال قومٌ إنه جلاله فانهم دقوا به وما اجلوا، ..... ولم تتدخل آلة الحرث دار قوم الا ذلوا، ومن عجيب شأنه ..... لما فقد الشباب كان عوضاً ولا عوض عنه في فقده))<sup>(١٣)</sup> وهذه الظاهرة ارهقت احساس الشعراء وزادت من حزنهم وألمهم فهي عندهم نذير غياب القوة وأقول الشباب، وخطوة نحو الشيخوخة والضعف<sup>(١٤)</sup>. وعلى الرغم من ان مرحلة الشيب تمثل دلالة واضحة لمرحلة الكهولة والضعف، بيد انها تدل الانسان الى الموعدة والحكمة والخبرة التراكمية التي يفنقدها في مرحلة الشباب. ولثنائية الشيب والشباب مساحة واسعة من نتاج الشعراء فـ((الشاعر العربي قد يبدأ قصائده بذكر احدهما او كليهما، او يضمها ابياتاً تتعلق بالشباب والشيب وآيات الكبر سواء كانت تصريحاً او مجازاً))<sup>(١٥)</sup>. لان الزمان يستنزف قوى الانسان ويسير به الى الضعف والكهولة، ويمثل عدم القدرة على ممارسة نشاطاته كما كان في الماضي. وربما يقود الشيب الى الفناء. ما الشيب الا نذير ذلك<sup>(١٦)</sup> وشاعرنا قد ادركه الشيب مبكراً. فتهيب من ذلك الضيف الجديد وخلف له ذلك شعوراً بالمرارة والألم، فأحس بالشيب النفسي وهو لا يزال في غصارة الشباب، بل ادى وجود الشيب في رأس الشاعر الى صراع نفسي عميق. ونلاحظ ذلك واضحاً في شعر مهيار الذي وظف هذه الخصيصة عبر ضديته الثانية التي ركزت على كثير من الطلليات البارزة لأثر الشباب وبكاء الشاعر عليه التي نجدها حاضرة في قوله<sup>(١٧)</sup>:

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| وضاحكةً الى شعر غريب       | شكمتُ به فأسلس من قيادي   |
| تعدُّ سنيَّ تعجبُ من بياضي | وأعجبُ منه لو علمتُ سوادي |
| أمان كلُّ يومٍ في انتقاص   | يساوقهنَّ همُّ في ازديادٍ |

يكشف النص عن الم الشاعر المنبعث في استحالة عودة الماضي، وتحسره على تلك الأيام التي لا رجوع لها. فاللون الأبيض له وقعاً سوداويماً في النفس كونه دليل الشيب، الذي اخذ بالتزايد في سواد شعره. اذ ان البياض يفقد الشعر لونه الأصلي<sup>(١٨)</sup> وهذا ما يتبدى لنا عبر ثنائية (الشيب والشباب) المتجسدة في الالفاظ المتضادة (بياض، سوداي)، (انتقاص، ازدياد) فقد عبر الشاعر عن تألمه لمفارقة الشباب، وضجره من المشيب وما فيه من متاعب نفسية وجسدية، وحزنه على أشياء كثيرة فارقتها بحلول المشيب، يقول أبو عمرو بن العلاء ((ما بكت العرب شيئاً ما بكت الشباب))<sup>(١٩)</sup>.

وفي موضع اخر عبر مهيار عن معاناته وحسراته على مفارقة الشباب اذ يقول<sup>(٢٠)</sup>:

ما لساري اللهو في ليل الصبا  
ما سمعنا بالسرى من قبله  
طارق زار وما أُنذرنا  
ضلّ في فجر براسي وضحا  
بابن ليل ساءه أن يُصبحا  
مرغياً بكراً ولا مُستنجحاً

يتضح من النص الشعري حالة الصراع الذي عاشه الشاعر مهيار وهو يحن الى عهد الشباب والصبا، فيبين ان الشباب هو مرحلة التصابي والهوى، وقد اکتنز النص بالضديات التي تصنع الحالة الشعورية والموقف الشعري، مما حقق الالتماس والتنافر بين الشيء وضده، فمن تداخل وتنافر العبارات (ليل الصبا) وهو كناية عن سواد الشعر، و(فجر براسي)، كناية عن اختلاط البياض بالسواد، أي بروز الشيب ووضوحه في رأسه، وتضاد اخر بين (ابن ليل، ان يصبحا)، تولدت الفكرة وتتامي المعنى الذي أراد الشاعر اظهاره، وهو الذي يتحدث عن صراع مركب بين الشاعر وذاته، بعد ان اختلط البياض مع شعره، حيث كنى عن هذا المعنى بلون الفجر الذي يبدو فيه اختلاط الأبيض والأسود، وهذه صورة عميقة تكثف عن صراع الشاعر مع ذاته جراء انتقاله الى مرحلة عمرية ينتقل فيها من الشباب الى المشيب، ثم يسترسل بالإيضاح بقوله (ما سمعنا بالسرى من قبله ...)، وهو تحول عميق في بنية المعنى اذ شحنه بالحركة التي تتضمن في موضوعاتها مفارقات الحياة، وكل ما في التضاد يوحي بحركة الجدل التي تعمل بالواقع، وهنا يمكن القول ان اللغة قد حددت مسميات الأشياء فاتضحت الفكرة والمغزى الشعري الذي أراد الشاعر بثه، ومن جهة أخرى فان التضاد من اكثر الأساليب قدرة على إضافة الجدلية بين النص والقارئ، فالقارئ حين تلقيه النص الذي يحمل سمة التضاد يقف بانحياز لإيجاد المعنى المخفي والفكرة المضمرة، حيث يسعى الشاعر الى مزج المتناقضات في سياق واحد يعانق في اطاره الشئ وضده لفظاً ومعنى كما في النص السابق. وهذه ميزة واضحة في شعر مهيار الدلمي التي تكمن من صنع التحولات العميقة التي عضد بها نصه وقد جعله يحمل في طياته افكاراً ومعاني تتماس وذات المتلقي لأنها أفكار شمولية تحاكي نفس كل قارئ، اذ يبيث فيها الحركة المعبرة عن الحالات النفسية والاحاسيس الغامضة والواضحة، التي تصنع المشاعر المتضادة ، فالشاعر صنع المتضادات داخل نصه ليصور رؤيته للواقع المتناقض غير الثابت عكس تشاؤماً للمستقبل. فالتضاد نقل الشاعر من مرحلة كان بها راضياً الى مرحلة متقدمة في العمر توحى بالضعف. فتحس نغمة الحزن والالم التي غلبت على الشاعر في هذه الابيات، وهو يصف الشيب بذلك الضيف الذي داهمه من غير نذير ليعبر عن شدة انفعاله عبر الالفاظ المتضادة (ليل، فجر) (ابن ليل، يصبحا) لتفصح عن شدة انفعال الشاعر المتأت من انفعال نفسي حاد، وقد يكون سبب الخوف من الشيب ما يترتب عليه من ضعف وفتور، فاختر الشاعر في التعبير عن ذلك ما جاء بقوله (طارق زارنا وما انذرنا) ((وربما كان اقصى الم يعانيه الانسان، هو ذلك الألم المنبعث من استحالة عودة الماضي وعجز الانسان عن إيقاف سير الزمان، حقاً ان الزمان ينتزع منا رويداً كل ما سبق له ان منحنا. ولكن تجربة الشيخوخة الأليمة، كثيراً ما تشعر الذات البشرية في حدة وقسوة ومرارة انه هيهات للمفوقود ان يعود))<sup>(٢١)</sup>.

وفي مقطوعة جديدة يطالعنا الشاعر بقوله<sup>(٢٢)</sup>:

فرأت شيباً فقالت: غيّرت  
غيّرت بيضاء في سودائها  
قلت: ما كل شباب في الشعر  
قلت مهلاً آية الليل القمر

وقف الشاعر موقفاً مختلفاً ازاء نظرية الشيب، وذلك حين رأى صاحبه غيرت رأيها في حبه له، لما رأت الشيب قد لاح في شعره وعدت ذلك نقصاً عليه، لكن الشاعر لم يعد الشيب حائلاً وعيباً، لأنه يرى ان تغير لون الشعر ليس دليل على الكبر وعدم قدرته على مواصلة حياته. فلم يعد يشعر باليأس والاحباط ودنو اجله، بل كان مبتاً للأمل والتواصل في حياته، ويلحظ ان التضاد بين (الشيب والشباب) له ارتباط مع التضاد الوارد في البيت الثاني بين (السواد والبياض).

فاللون الاسود يدل على القوة، والحيوية، والحياة في حين ان الالبيض يدل على تقدم السن والضعف والكهولة، ولكن الشاعر لم يستسلم للصراع الواقع بين ما كان عليه وماحل به، ونجد هذا المعنى في قوله<sup>(٢٣)</sup>:

وقضى الدهرُ فحالتُ صبغةً      عُدْ ذنْبُ الدهرِ فيها من ذنوبي  
وفؤادي يشتكى جورَ النوى      وعِذاري يشتكى جورَ المشيبِ

يبدو التضاد بين (الشيب والشباب) قائماً على ادراك المعنى بالتناقض والتناقض بينهما، فالشاعر يظهر قدرة فائقة وبراعة لغوية في اىصال فكرته والتعبير عن معناه، وبلوغ مقصده. فالعبارة (فقضى الدهر) التي استهل بها الشاعر قد عبرت عن معاناته النفسية ليروح بما اصابه بسبب المشيب الذي حائل بينه وبين محبوبته، فهو لم يعد شاباً إذا غزى الشيب شعره، فاجتمع عليه الشيب والفراق عبر المقابلة بين (شكوى الفؤاد من النوى) و (شكوى عذاري من المشيب)، مصوراً قلبه بالرجل الذي يبكي البعد والفراق ليحيل لون شعره الى الالبيض كناية عن تقدم السن. وقد احوالت ثنائية الشيب والشباب الى ثنائية الحضور والغياب، فحضور الشباب وغياب الفراق وحضور المشيب وغياب التواصل، فمن شروط الثنائيات الضدية التناقض والتقابل والتعاند وعدم اجتماع طرفي الضدية، ذلك لان المتضادين لا يجتمعان معاً على ان كل واحد منهما يبطل الاخر ويفسده، فضلاً عن ذلك يجب ان يكون الضدان في رتبة واحدة من الوجود<sup>(٢٤)</sup>. والجدير بالملاحظة أن كثير من الشعراء تستخدم ضدية الشيب والشباب لتكون مدرك حسي وشعوري لدى المتلقي، لتوضح عبرها تلك المعاناة ولاسيما الابيات التي تتعلق بفقد المحبوب وارتباطه بذهاب الشباب وحلول الكهولة<sup>(٢٥)</sup>.

وهذا المعنى نجده في قوله<sup>(٢٦)</sup>:

يا للواتي بغضن الشيبَ وهو إلى      خدودهنّ من الألوان منسوبُ  
تأبى البياضَ وتأبى أن أسودّه      بصيغَةٍ وكلا اللونين غريبُ

ان التضاد الحاصل على مستوى الالفاظ والمعاني في النص يحيلنا الى ثنائية اخرى، فمن الشيب والشباب الى الوصل والهجر، وبهذه الثنائيات استطاع الشاعر ان يعبر عن تجربته الشخصية شاكياً ألمه وتحسره لفقد الشباب وصدود الغواني عنه على الرغم من ان الشاعر قد شبه لون الشيب بلون خدودهن الجميلة، وهن يرفضن هذا اللون ليس كرهاً ولكن لدلالته على تقدم الشاعر في السن. وهنا تكون العلاقة الحاكمة لهذه المعاني المتضادة علاقة تناقض لعدم امكانية التقاء هذين الامرين بل استحالة التقائهما، فلجأ الشاعر الى هذه المتناقضات ليعبر عن رؤيته للواقع لان وجود هذه الثنائيات داخل العمل الادبي يكسبه قيمته الفنية ((معتمد في ذلك على التقابل والتوازي في اللفظ والمعنى معاً))<sup>(٢٧)</sup>. ومن الثنائيات التي كشفت عن الابعاد النفسية التي تجوب خلجات الشاعر موضعاً عمق جراحه التي سببتها سطوة المشيب في قوله<sup>(٢٨)</sup>:

فإذا ريحانة العمر الصبا  
غالطوا وجدي وقالوا: أكثر ال  
غفلات كن حلماً فانقضى  
لو أراني الدهر ما أحر لي  
وسنوه وإذا الشيب الأجل  
عمر في الشيب فمن لي بالأقل  
وشباباً كان ظلماً فانقل  
لتعلقت بأيامي الأول

كشفت النص الموعّل بالتضاد عن اظهار حالة الشاعر المحبطة والمنكسرة ، والمضطربة من تقدم العمر. فدخلت ثنائية الشيب والشباب في هذا النص مدخلاً اخر بل انتحت منحى مميز، اذ دخلت مجال التأمل الطويل ليس حول شباب الشاعر وايامه فحسب بل حول حياته برمتها. عبر الالفاظ المتضادة (ريحانة، الصبا و سنوه، الشيب، الاجل، اكثر، اقل، حلماً فانقضى، شباب، فانقل، اخر، الأول) تلك الصورة المدهشة أدخلت النص في فناء الحزن والانكسار والبكاء والتأسف، على معنى الشباب وحلول المشيب، فقد استهل الشاعر ابياته بقوله: فإذا ريحانة العمر الصبا، هي كناية عن عنفوان الشباب والقوة، وما يقابلها من تجلي الشيب والذي يمثل نهاية العمر، ثم نلمس في البيت الثاني نبرة انكسار عميقة تتجلى في قوله: قالوا اكثر العمر في المشيب، وهو كناية بليغة عن قصر مرحلة الشباب وانه زائل لا محال. ثم ينتقل ليخلق صورة شعرية مؤثرة عندما شبه الشباب وكأنه حلم، وقد انقضى ومر، فكان ظلماً ليس الا، إذ ان ثابت وغير مستقر وسرعان ما يتلاشى .... ، وهنا يمكن القول ان الشاعر استطاع ان يوزع التضاد على مستوى النص ليجعل منه نواة يتحرك حولها المعنى، وعلى الرغم من حالة الإحباط والانكار الموزعة في النص، الا انه بتضاداته شكل شبكة اغرائية توقع القارئ في حبالها، لذلك فمن غير الممكن ((الفصل بين عالم القارئ وعالم النص وعالم الشاعر، فاللغة الشعرية توحد الظل غير بين هذه العوالم))<sup>(٢٩)</sup>. وتجعلها كيان كلي متماسك.

وفي مقطوعة أخرى يقول الشاعر ذاكرًا الشباب<sup>(٣٠)</sup>:

عمر مضي سرفاً وعصر بطالة  
أخذ المشيب لحقه من باطلي  
ملك الحجا مني مكان خلاعتي  
وتوقرت بعد المراح شماني

تنثني عبارة (عمر مضي) التي افتتح بها الشاعر نصه الى معنى اعمق من المعنى الظاهر، الامر الذي يحلينا بدوره الى البكاء الحقيقي من قيل الشاعر، ويوضح الحالة التي أحاطت به وقادته الى النظر في حياته السابقة اذ البطالة والفراغ، ثم جاء المشيب فاننصف واخذ حقه من هذا الباطل، وهذا الامر مرتبط بثنائية (الشيب والشباب) اللذان بنى عليها الشاعر نصه، فغياب الشباب وزواله مع حضور الشيب امر يضعنا الشاعر عبره امام صورة البكاء والالم التي اصابتها، فالتضاد الحاصل في هذه الثنائية يمنح النص القدرة على بيان الصورة وتقريب المعنى<sup>(٣١)</sup>.

فالثنائيات الضدية داخل النص (الحق ، الباطل)، (خلاعتي ، توقرت) اعانت على فهم النص لان ذلك مرتبط ارتباطاً وثيقاً بنفسية الشاعر، ولاسيما انه جاء بأكثر من تضاد في ابياته رغبة منه في تعزيز الجو الايحائي لقدرته على التأثير. وهذا ما عبر عنه بصدق واحساس إزاء ما يشعر به من غياب الشباب واقوله، فيأسف لانقضاء عهد الشباب وحلول وقت الشيخوخة اذ يقول<sup>(٣٢)</sup>:

وقالت: مشيبٌ والجمالُ عدوٌّ  
فقلت: خضبناه فأين التجمُّلُ؟  
سوادان، لكن مؤنسٌ ومنقرٌ  
وما منهما إلا يحولُ فينصلُ  
وساترُتها سنَّ الكمالِ بصبغةٍ  
رأتها فقالت: صبغةُ الله أفضلُ

تعكس لنا هذه المعاني احساساً بعمق المأساة التي يعيشها الشاعر، عبر الالفاظ المتضادة في النص، حيث ينقل لنا الشاعر هذه الجدلية مع محبوبته مجسداً الشيب عبر ضدية (الشيب والشباب)، التي اشعرت المتلقي بحسرة الشاعر وتألمه على الرغم من محاولة الشاعر البقاء في اجواء الشباب، حتى ولو وصل مرحلة المشيب، وسيلته الى ذلك الخضاب الذي يحاول ان يطمس به معالم الشيب، لكنه سرعان ما يعترف ان رفو الشيب واخفائه لا يجدي نفعاً امام وصول الشاعر سن الكمال والرشد، اذ يبدأ الشيب بالظهور في رأس الشخص، لكن الشاعر يدرك ان وسيلة الخضاب وسيلة شكلية سرعان ما تتلاشى وتختفي فيدرك عدم جدواها فيستسلم للزمن وفعله وهنا يكشف لنا معاناته وصراعه المستميت مع الشيب، وبهذا استطاع ان ينقل عمق تجربته ويثير احساساً لدى المتلقي، وأن يستثمر امكانات اللغة ليؤثر في نفس المتلقي لينقل اليه ما يختلج في فكرة من انفعالات واحاسيس صادرة عن تجربة حقيقية<sup>(٣٣)</sup>.

وفي أخرى يقول الشاعر<sup>(٣٤)</sup>:

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| أينَ ليالينا على الخيفِ وهلْ  | يردُّ عيشاً بالحمى قولك: هلْ؟ |
| ما كنَّ إلا حُلماً روعه الصُّ | بحُ وظلاً كالشبابِ فانتقلْ    |
| ما جمعتُ قطَّ الشبابِ والغنى  | يدُ امرئٍ ولا المشيبَ والجدلُ |
| يا ليتَ ما سوّدَ أيامَ الصبا  | أعدى بياضاً في العذارين نزلُ  |
| ما خلتُ سوداءَ بياضي نصلتُ    | حتى ذوى أسودُ رأسي فنصلُ      |
| طارقةً من الزمان أخذتُ        | أواخرَ العيشِ بقرطاتِ الأولُ  |
| قد أنذرتُ مبيضةً أن حذرتُ     | وتنطقَ الشيبُ بنصحِ لو قبلُ   |

المتأمل في هذا النص الشعري يلحظ سيطرت التضاد الذي يعد من جماليات النص الادبي، ولاسيما انها جاء حاملاً لدلالات كثيرة، الامر الذي يجعل النص الشعري نصاً نابضاً بالحياة والحيوية. فقد استهل الشاعر نصه بعقد موازنة بين ماضيه الجميل (الشباب) و حاضره المظلم القاتم (الشيب) الذي عدّه الشاعر احد طوارق الزمان التي لا بد منها، مظهراً حزنه وأسفه على أيام الصبا والشباب التي شبهها بالظل لسرعة زواله. ثم ما يلبث ان يقول ان المرء لا يجمع شيئاً ولا يبقى لديه شيء، فكله في زوال؛ لا الشباب والغنى وحتى المشيب ايضاً له نهاية، ثم لو ان سواد الصبا وهي كناية عن أيام القوة وريعان الشباب وابتهاج المنظر ان يبقى ويستمر، فما اضطر الى تخضيبه حتى انه خرج من خضابه. أي حتى بعد الخضاب يتبين انه ابيض ... ثم انه يعتبر المشيب أحد طوارق الزمان التي اخذت منه مأخذ وهي مدعاة الى أواخر العمر الذي فرط به أيام الصبا. فهذه الصور الشعرية تتم عن شاعريه قادرة على تحفيز وعي القارئ وجذب انتباهه. فالتضاد الحاصل بين (الشيب والشباب) هو ما ادخل النص في فناء (الحزن والتأسف)<sup>(٣٥)</sup>.

#### ثانياً: ثنائية القرب والبعد

القرب والبعد دلالتان في المعنى اللغوي، يفسر كل منهما بعكس الثاني. فجاء القرب في الدلالة اللغوية بالضد من معنى البعد فيقال ((قربتُ منه أقربُ وقربتُهُ أقربُهُ قريباً وقرّباناً ويستعمل ذلك في الزمان والمكان وفي النسبة وفي الخطوة والرعاية والقدرة))<sup>(٣٦)</sup>. وقرّب قرّباناً بضم القاف أي (دنا). وقد ورد القرب في لسان العرب ((القرابُ والقَرابُ مَقارِبَةُ الشيء تقول: ..... مَعَهُ مِلءٌ قَدَحِ ماءٍ أو قُرَابُهُ، وتقول: أُنَيْبُهُ قُرَابٌ العشي، وقرابُ الليل))<sup>(٣٧)</sup>.

أما البعد فخالف القرب وقالوا فيه: ((البُعْدُ: خِلافُ الثَّرْبِ، بَعْدَ الرَّجُلِ، بِالضَّمِّ، وَبَعْدَ، بِالْكَسْرِ، بُعْدًا وَبَعْدًا، فَهُوَ بَعِيدٌ وَبُعَادٌ))<sup>(٣٨)</sup>. كما قيل: ((وَأَبْعَدَهُ اللهُ، نَحَاهُ عَنِ الْخَيْرِ وَبَاعَدَهُ مِبَاعِدَةً وَبِعَادًا، وَبَعَدَهُ: أَبْعَدَهُ))<sup>(٣٩)</sup>. نحو قوله تعالى: ((ربنا باعد بين أسفارنا))<sup>(٤٠)</sup>. والبُعْدُ والبَعْدُ بمعنى هلك<sup>(٤١)</sup>.

ويمكن ان نستنتج من ذلك ان معنى البعد في المعاجم اللغوية جاء بمعنى (هلك، نحا)، أما القرب فقد جاء بمعنى (الدنو، المسافة، النسب، ومقاربة الشيء).

اما في الاصطلاح فلا يوجد لمفهومي القرب والبعد تعريفاً جامعاً يمكن التسليم به، ذلك لان كل مفهوم منهما يحمل معاني متعددة في الكلام، ودلالاتهما في الاصطلاح تقترب من دالتهما في المفهوم اللغوي. وجدلية القرب والبعد ثنائية ناتجة عن انتلاف (القرب، والبعد) الامر الذي يقود الى خلق إطار صراعي للعلاقة بين الطرفين، التي أسهمت بخلق حركة ديناميكية بين العلاقات التركيبية المتعارضة، أن الخطاب الشعري يعتمد كل الاعتماد على الثنائيات الضدية في المشهد التحليلي والتكاملي، اذ ((تتبع الثنائيات الضدية من تمايز ظواهر معينة في جسد النص، ومن ثم تكرارها عدد من المرات، ثم انحلال هذه الظواهر واختائها، بهذه الصفة يكتسب النص طبيعته الجدلية، اذ ان من الواضح ان التكرار ظاهرة لا نهائية، لأن لا نهائيته تعني انتهاءه، اذ إنها تمنع التمايز والتضاد اللذين لا بد أن يتوفرا من اجل ان يتشكل نسق ما بالدرجة الأولى))<sup>(٤٢)</sup>.

اضفت ثنائية (القرب، والبعد) على النص الشعري صفة الصراع. فالربط بين هاتين الظاهرتين المتناقضتين اظهرت لنا النص الشعري بتوليفة فلسفية ممزوجة بروح الجدل والتصارع، لذلك من طبيعة الجدل اعتماد الفكر على الاضداد<sup>(٤٣)</sup>. فالثنائية الضدية بوصفها فكرة فلسفية تقوم على فكرة هي ((ان ثمة قدرة على الربط بين الظواهر التي يبدو أنها منفصلة))<sup>(٤٤)</sup>.

فالثنائية (القرب والبعد) التي يحركها المتضاد داخل البنية النصية أسهمت بخلق حركة صراعية ضدية فيها، فكل ظاهرة تقوم على طرفي تضاد، من المحتمل ان يتكون بينهما صراع ازلي. كما ان الثنائيات الضدية تمتلك وظيفة مكثفة للعمل الادبي من شأنها ان تضي على النص الادبي صبغة جمالية عبر ما تحمله هذه الثنائيات من حركة دينامية تجعله مفتوحاً على تعدد القراءات. ف((وفرة الثنائيات الضدية في النص الادبي دليل انسجام ايقاعاته، وانفتاحه على اكثر من محور، فيمكن ان نعثر على مجموعة انساق متضادة في النص الادبي الواحد، تضي عليه مزيداً من الحيوية والحركة، هذه الانساق المتضادة ذات صلة بالكون الذي تصوره، سواء كان ذلك بالتضاد او بالتكامل، لذا تجتمع فيه الخصائص الجمالية))<sup>(٤٥)</sup>.

فضلاً عن ذلك تعمل الثنائيات الضدية او الجدل بين هذه الثنائيات على تعميق المعنى والبنية التركيبية للنص، فهي تخلق في نفس المتلقي نظرة رؤيوية عميقة المعنى والدلالة<sup>(٤٦)</sup>. وهنا اضاف الشاعر مهيبار الديلمي لنصه الشعري خصيصة (القرب والبعد) التي جعلت من نصه حاملاً لوظائف فكرية رحبة والتي أصبحت مطلباً جمالياً ينسجم وطموحات القارئ المختلفة، ويمنح النص القدرة على توضيح الصورة وتقريب المعنى.

ومن ذلك قوله يشكو الفراق بينه وبين الحسين احمد بن عمر النهرواني وكانت بينه وبين النهرواني مودة ترتفع عن حد القرابة<sup>(٤٧)</sup>:

|         |           |         |             |
|---------|-----------|---------|-------------|
| أحببتكم | وبعيداً   | بين     | دوحتنا      |
| وودُّ   | سلمان     | أعطاه   | قربته       |
| فكنتُ   | بالحبِّ   | منكم    | أيِّ        |
| مقترَبِ |           |         |             |
| يوماً   | ولم تُغنِ | قُرْبِي | عن أبي لهبِ |



ان بنية التضاد في النص الشعري تكشف لنا عن حالة الصراع النفسي والتوتر الواضح في المعنى الشعري، فقد حاول الشاعر ان يزوج معنى الشكوى عبر دلالات الالفاظ المتضادة، فقد تحدث مفهوم الخطاب بين الشاعر والأخر حيث تبرز ثنائية (القرب والبعد) فحشدت مزدوجات التضاد وتداخلت نسيجاً لغوياً فكرياً قائم على وجهين متضادين احدهما واضح، يفسر ثيمة البعد والاخر مضمراً معنى واضح لفظاً، ويبدو اضماره فيما يختزنه دال أي مقرب، فالشاعر غير راض عن معاملة الممدوح له وكأنه لاقى الصد منه على الرغم من قربيه منه، ثم يحاججه بان ود سلمان نال الحظوة والقرب من احبته. الا انه لم ينل سوى البعد والتجافي. فالأبيات تتضمن عناصر ومؤشرات تمكنا من اسقاط صفة جحود الاخر امامه، مما جعل النص يعبر عن صراع نفسي واضح في المعنى الفكري ((التضاد يشكل عالماً من جدل الواقع والذات في صراعها مع الحياة))<sup>(٤٨)</sup>.  
ثم يقول<sup>(٤٩)</sup>:

|                   |         |         |          |            |          |
|-------------------|---------|---------|----------|------------|----------|
| إذا لم يُرَعْ     | عندكم   | الودادُ | فسيان    | القربية    | والبعادُ |
| عهدٌ يومَ رامةٍ   | دارساتُ | كما     | يتناوب   | الظلَّ     | العهادُ  |
| وأيمانٌ تضيغُ بها | المعاني | وتحفظها | الأتملُّ | والعِدَادُ |          |

تداخل النقيضان في هذا النص مجسداً ثنائية (القرب والبعد) وما شكلته من دلالات فكرية ومعنوية ومادية، فنلاحظ نسيجاً اسلوبياً يؤدي الى توتر الأجواء الانفعالية للنص، اذ كيف يكون القرب والبعد (سيان)، اذ ينقلنا النص الى حالة التقابل بين لفظتي (القربية والبعد) اللتين تحركتا بطاقة فعلية بعد عبارة (لم يرع عندكم الوداد) النابعة من قلب الشاعر وهو يشكو ألم الصد والبعد والفراق مع ممدوحه، وهو صاحب نعمة وعطاء معه، وكان الشاعر يضعنا امام عالمان متضادان، عالم القرب والالفة وعالم التفرق والبعد والتشتت، ليحاكي معاناته في صورة تأثيرية تجسد دائرة الحنين له، والتي لا يستطيع الشاعر من خلالها وكما تبين الابيات اللاحقة، مقاومة شوقه ودوام الفراق والبعد. فجاءت اللغة صدى لحالته الداخلية. وان التضاد يستقر وعي المتلقي. لان الشاعر جمع بين المتناقضات ومما لاشك فيه ان التضاد من الأساليب الجمالية التي لها القدرة على التأثير في المتلقي، لأنه يمثل طاقة تنبئية تجعل المتلقي يعيد النظر في مواضيع تحمل في مضمونها البساطة والعمق في الوقت ذاته<sup>(٥٠)</sup>.  
وفي مقطوعة أخرى يطالعنا الشاعر بقوله<sup>(٥١)</sup>:

وَجُودُكَ لِي سَيَّانٌ مَا كُنْتُ حَاضِرًا      قَرِيبًا ، وَمَا بِنَايُ وَمَا يَتَقَرَّبُ  
فَلَوْلَا مَضِيضُ الشُّوقِ لَمْ أَشْكُ عُصَّةً      وَلَا أَجْحَفَ التَّرْدَادُ بِي وَالتَّقَلُّبُ

وظف الشاعر ثنائية (القرب والبعد) ليظهر عبرها رؤيته الفكرية بتعابير صادقة مثلت حقيقة احساسه وما امتلكه من نظرة واقعية اتجاه ممدوحه فوجوده حاضر عنده سواء كان قريباً ام بعيداً عنه، فوجد مهيار في هذه الثنائية منفذاً للتعبير عن خلجات نفسه، حيث قدم البيت تقابلاً لفظياً ومعنوياً يكشف عن مشاعره اتجاه الاخر، فالمعنى المضمراً في النص يظهر التوتر والصراع النفسي إذ اسهم في تحقيق فاعلية البنية المعنوية والدلالية للنص الشعري باتجاه تضادي.  
وفي موضع آخر يقول<sup>(٥٢)</sup>:

## إلا المحبّبة فالكريم بطبعه يجد الكرام الأبعدين أدانيا

يتضح التضاد في البيت الشعري بين اللفظين (الابعدين، أدانيا) في إشارة الى ان كريم الطبع والنفس يجد الكريم مثله قريباً، وان كان بعيداً فالنأي لا يمنع الكريم من مواصلته او جعله قريباً من نفسه، وهو معنى يتحسسهُ القارئ ويستشعره لان يحمل معنى يحاكي مافي النفس، فضلاً عن انه شعور جمعي يمكن ان ينطبق على كل شخص، وما نجده من معنى هنا ان هذه الثنائية تأصلت في معنى الشاعر فبدت تكشف عن انفعالاته العاطفية والشعورية.

وفي مقطوعة أخرى يصور لنا الشاعر التضاد بين القرب والبعد قائلاً<sup>(٥٣)</sup>:

|                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| لأن إذ برّد السلو ظماني   | وأصابَ بعدكم الأساة دواني   |
| كانت عزيمة حازم أضلّتها   | في قربكم فأصبّتها في النائي |
| آليت لا رقب الكواكب ناظري | شوقاً ولا مسح الدموع ردائي  |
| أمسّ من الأهواء عقى رسمه  | بيد النهى يوم من الآراء     |
| وقذاء قلبي، أن يحنّ لناظر | يوم الرحيل تفرّق الخطاء     |

وظف الشاعر التضاد ليعكس عبره مأساة نفسية داخلية، توضح رؤيته المتمردة داخل النفس المتظاهرة بالتماسك، فالتضاد بين (قربكم، النائي) يحمل ابعاداً نفسية وفكرية، فالشاعر يدخل في حوار متواصل ومتنوع مع نفسه، متوازن بين جمل القصيدة وصورها، فكان للتضاد اثر في تعميق الصراع النفسي الذي يعيشه الشاعر، فهو يبوح بحالة يأسه على نحو من الاعتراف الضمني بعدم استطاعة الصبر، وهو يبث شكوى الألم والفراق نحو من ارسل اليه شكواه والذي يدنو اليه أينما حل. وتزداد شكوى الشاعر وشعوره بالألم فيخالف الممدوح بقوله<sup>(٥٤)</sup>:

|                             |                              |
|-----------------------------|------------------------------|
| صلّت عليك وقد ذكرت مداحي    | والناس بين مذمّم وملعن       |
| أقرأ على بُعد المسافة بيننا | ولو استطعت القرب قلت لك أنذن |

لقد منحت الثنائية الضدية النص جمالية فنية بنت فيه الحيوية والثراء الشكلي والمضموني في أن واحد، وقد حاول الشاعر الجمع بين المتناقضات والمتضادات لإظهار براعته في وصف ممدوحه، مازجاً بذلك بين العقل والشعور، مستعملاً لغة سليمة معبرة ومكتفة، إذ استطاع تشكيل صورة واضحة في النص تحتوي عنصر الكثافة الجمالية، لتكون ابعد دلالة واكثر رحابة. ثم يجتهد في ضدية أخرى إذ يقول<sup>(٥٥)</sup>:

|                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| أقامت على قلبي كفيلاً من العهد | يذكرني بالقرب في دولة البعد      |
| فقولاً لوأشيتها وإن كان صادقاً | وفاني لها أحظى ولو غدرت عندي     |
| خليلي، ما للريح هبت مريضة      | هل اجتدت البخال أم حملت وجدي     |
| ضمنت من الداعين ما لا ثقلة     | على طرحها الشمّ الهضاب من الصلّد |
| حينئذ ولكن من لشملي بجامع      | ومد يد، لكن من الرجل المجدي؟     |
| فلا حبّ بل لاحظ نالك حظّه      | قد اشترك الأحباب والخط في الصّد  |

تتألف الابيات من تراكيب متناقضة تصور موقفاً او حالة متضادة تعكس لنا مأساة الشاعر الداخلية، فهو يشكو من بخل الممدوح اتجاهه وبعده عنه، فجاء التضاد بين (القرب والبعد) وهو العنصر الأكثر أهمية

بين مكونات القصيدة، إذ يسعى الشاعر الى مزج المتناقضات في كيان واحد ليبر عن الشئ ونقيضه، فالشاعر في ثنائية (القرب والبعد) تمكن من وضع تحولات عميقة في بنية النص، وشحنها بحركة معبرة عن حالته النفسية اتجاه ممدوحه. وفي موضع اخر نراه يوظف التضاد بين (القرب والبعد) قائلاً<sup>(٥٦)</sup>:

بنفسي على قرب اضرار وبعده فتى لم أكن بالشوق إلا ضميئه  
وزاد بعيني قرّة مذ وجدته كهمّ المنى أتى عدمت قرينه

يحقق التضاد شعرية النص عندما يجمع بين المتناقضات، والمقابلة بينهما على نحو يبرز سطوة احساس الشاعر، ويشرك المتلقي في حالة التوتر التي تنتابه والصراع الداخلي الذي يعيشه، النص الشعري حين يكون معبراً عن حالة الشاعر وهو يفقد محبيه بعد ان رحلوا وحل البعد بديلاً عن حالة القرب التي كانت تتغنى بهم، هنا تكمن أهمية التضاد وتأثيره في النص.

ثم يرتفع بنا الشاعر الى مرتبة يرثي بها الرئيس أبا الحسن بن محمد بن الحسن الهمامي، وهو واحد الزمان في كمال الادب وله مع الشاعر مودة وتقدير، موظفاً الثنائيات الضدية قائلاً<sup>(٥٧)</sup>:

عفا ربّع أنسي منك ضيقاً ، وما عفا بساحة قلبي منزلّ لك أفيح  
به ساكنّ من طيب عهدك عامرّ يريح عزيب الحزن من حيث يسرخ  
إذا نبلت فيه على الصبر جمرة خموداً ورى زند من الذكر يقدح  
وذاك اللسان الرطب لا زال في فمي هو اليوم يرثي ، مثله أمس يمدح  
يقول وإن لم يُغن عنك وإنما ملأت إناءً نعمة فهو يرشخ  
ولو ردّ قبلي الموت بالشعر أو مضى شبا لسين أو عاش في الدهر مفصخ

يفتح الشاعر ابياته بضدية معبرة عن الالم والحزن الذي انتابه على ذلك الفراق الابدي لمرثيه، إذ يصف الربع الذي فقده بالربع الضيق رغم وجود ساحة افسح في قلب الشاعر لذلك الفقد فيستخدم (الضيق، الفيح) ضدية واصفة لذلك الحزن، ثم يعبر عن هذه الساحة العامرة في نفس الشاعر بضدية (يريح، يسرخ) ليبين ان الحزن يرح في قلب الشاعر من حيث يسرخ، لألم الفقد الذي وصفه بالجمرة الموقدة كلما خمدت عادت من جديد في ضدية شارحة لحاله (الخمود، القدح) عهداً منه لعدم نسيان صديقه في ضدية (يرثي، يمدح)، استطاع الشاعر ان يوظف الثنائيات الضدية في التعبير عن حزنه ومن هنا يغدو توظيف الشاعر لهذه الصور البلاغية والفنية وسيلة للتعبير عن الدلالات والمعاني المتغلغلة في اعماقه، وليست اشكالاً للزينة والحلية كما يقول الغذامي: ((والسمات البلاغية التي تصدر النص ليست حلية يتزين بها النص كي يفتن القارئ ولكنها لب وجوده وسر سحره))<sup>(٥٨)</sup>.

ولعل ثقافة الشاعر والمامة باللغة ومفرداتها كانت دافعاً ليضعنا امام ثنائيات ضدية لا تكاد تخلو منها قصائده في كل الاغراض وهذا ما تلتسمه في قوله<sup>(٥٩)</sup>:

طوى ((الرمل)) حتى ضاق بيني وبينه الـ العناق وما بني وبينك فاسخ  
فبات على ما ترهين ركوبه هجوماً وفيما تمنعين يسامخ  
رعى الله قلباً ما أبرّ بمن جفا وأثبت عهداً والعهود طوانخ  
وأوسع نرعاً بالوفاء وصونه إذا ضاق ما تطوى عليه الجوانخ  
عذيري من دهري كأني أريده على الودّ سلكاً وهو قرن مكافخ

يوظف الشاعر اللفظتين المتضادتين (ضاق، فاسح) ليصف لنا ثنائية (القرب، البعد) فثمة مفارقة في النص المتمثلة في وفاء الشاعر وتمسكه بمن يحب، على الرغم من بعد المحبوب وجفائه لكن الشاعر ابر بمن جفا وأثبت عهداً بالشوق وأوسع ذرعاً بالوفاء، مقابل ذلك المحبوب الذي يأبى اللقاء فهو (قرن مكافح)، فقد استطاع الشاعر عن طريق هذه الثنائية التعبير عن تلك الغربة التي تنتابه بسبب فراق من يحب. وتأتي هذه المفردات، وكأنها هاجس يمزج فيه ومضات النور الساطعة لتبوح بإشراقة الاضداد التي يقتنص الشاعر صورتها الجديدة ليملاً الفراغات، ويصل بين الاطراف المتباعدة ويقرب البعيد<sup>(٦٠)</sup>.

ويطالعنا الشاعر في ضدية اخرى بقوله<sup>(٦١)</sup>:

|         |           |         |        |            |         |           |        |
|---------|-----------|---------|--------|------------|---------|-----------|--------|
| لمن     | الطلول    | كأنهنَّ | رقومٌ  | تضحى       | لعينك   | تارة      | وتغيمُ |
| يعهدنَّ | بالإقواءِ | عهداً   | حادثاً | وكانه      | مما     | بكينَ     | قديمُ  |
| ما كنتُ | أعرفُ     | أنهنَّ  | نشيدتي | حتى        | تحدثُ   | بينهنَّ   | نسيمُ  |
| وكانما  | عبقُ      | الترائب | دلتي   | أو ضلَّ    | في      | عرصاتهنَّ | لطيمُ  |
| أسمعتني | يا دارُ   | دون     | صحابتي | والوحيُ    | عند أخي | الهُوى    | مفهومُ |
| أين     | المواكُ   | فيكِ    | أعناقُ | والراقياتُ | العيش   | وهو       | سليمُ  |

فتنائية (تضحى، تغيم) و(حادثاً، وقديم) ثنائية أُنثلت ائتلافاً منطقياً، اسهم في خلق مكون ابداعي وجمالي، وأوضحت صورة الصراع بين المعشوقين على صعيد الوصل والهجر والبعد والقرب ولعل هذا ما اراده الشاعر عبر بيان حالة الفراق وألمه، وهو يخاطب الدار التي عفا عليها الدهر ورحل عنها اهلهما واصحابها. فقد تجلت ثنائية (القرب / والبعد) بصورة مباشرة صريحة وبصورة غير مباشرة، وذلك باستخدام مفردات رديفة لها، تحمل معنى التضاد لثنائية (القرب/ والبعد) التي ورد أغلبها على صعيد الهجر والوصل المتمثل بقرب الشاعر وشوقه ووفائه<sup>(٦٢)</sup>.

#### ثالثاً: ثنائية الحياة والموت

تعد ثنائية الحياة والموت، من الثنائيات التي جسدها الشعراء في شعرهم، وقد تجلت هذه الثنائية بشكل واضح في شعر مهيار الديلمي، وقبل الدخول في الشواهد الشعرية وإبراز دورها في أداء المعنى الذي أراد الشاعر ايصاله للمتلقي، لابد لنا من وقفة تعريفية مع مصطلحي الحياة والموت.

الحياة في اللغة: الحي من كل شيء نقيض الموت: والحياة المنفعة وقولهم: ليس لفلان حياة اي ليس له نفع، ومنها حي، يحيا واستحيا اي استبقى<sup>(٦٣)</sup>. ((والحياة كتبت في المصحف بالواو ليعلم ان الواو بعد الياء في حد الجمع))<sup>(٦٤)</sup>.

والحياة اصطلاحاً: ((هي صفة توجب الموصوف بها ان يعلم ويقدر))<sup>(٦٥)</sup>. وحياة الدنيا ((هي ما يشغل العبد عن الآخرة))<sup>(٦٦)</sup>.

والموتُ والموتُ: ضد الحياة، يقال ماتَ يموتُ موتاً<sup>(٦٧)</sup>. ويبقى الموت سراً لا يمكن للإنسان ان يستجلي ماهيته ويعرفه، فهو ((الحقيقة التي لا يرمي اليها الشك، الا انه في الوقت نفسه السر الوحيد الذي هيهات للعقل البشري ان يتمكن يوماً ما من اماطة اللثام عنه))<sup>(٦٨)</sup>.

الموت اصطلاحاً: ((هي صفة وجودية وهي ضد الحياة والموت الابيض هو الجوع لأنه ينور الباطن ويبيض وجه القلب فمن ماتت بطنته حبيبت فطنته))<sup>(٦٩)</sup>. وتعد قضية الحياة والموت من القضايا التي شغلت تفكير الانسان منذ بدء الخليقة. فقد تعرضت الاديان السماوية وغير السماوية الى موضوع الحياة والموت. اذ ((اختلفت الرؤية الى مفهوم الحياة والموت بين الشعوب والديانات على وفق ما يشكل ذلك في نفس

الإنسان من دلالة ومعنى، فإذا كانت الحياة والموت مفروضتين على الإنسان، فهما دلالة على ابتلائه بهما<sup>(٧٠)</sup>.

فحب الحياة والبقاء هي غريزة عند الإنسان يندفع دائماً الى تحقيقها بشكل مستمر. وان مجموعة الفعاليات التي يقوم بها ماهي الا مجرد محاولة للبقاء ومقاومة الموت الذي ((يقف حجر عثرة في طريق الحياة ومطامح الحياة وانجازات الحياة فهو ايقاف لفرصة العمر))<sup>(٧١)</sup>. فيعتقد الإنسان بحتمية الموت الا انه لا يعرف وقت وقوعه، وهذا ما سبب قلقه وخوفه، وهو ما يسبب مشكلة له ((ويكون الموت مشكلة حينما يشعر الإنسان شعوراً قوياً واضحاً بهذا الاشكال، وحينما يحيا بهذا الاشكال نفسه بطريقة عميقة، حينما ينظر الى الموت كما هو، ومن حيث اشكاليته هذه ويحاول ان ينفذ الى سره العميق ومعناه الدقيق من حيث ذاته المستقلة، وهذا كله يقتضي أشياء من الناحية الذاتية، وأخرى من الناحية الموضوعية))<sup>(٧٢)</sup>. وقد ارتبطت قضية الموت بالشعر اكثر من فنون الادب الأخرى، فالشعراء قد نظموا قصائدهم عبر العصور التي تعبر عن قلقهم وخوفهم من الموت، او التأمل فيه واحساسهم بقدمه، لان الشعر هو تعبير عن التجربة الذاتية، ومما لا شك فيه ان ((الشعر اقدم الأنواع الأدبية على تصوير التجربة الإنسانية في مواجهة الكون والحياة))<sup>(٧٣)</sup>.

وللإسلام موقف يختلف اتجاه الموت لما له من عظيم الأثر في ترقيق القلوب، وتهذيب النفوس وتمحيص الذنوب، والتزهد في الدنيا، والعمل للأخرة. وقد وضع الإسلام ان الموت قانون ازلي ينطبق على جميع الكائنات دون استثناء، وكما جاء في قوله تعالى ((وكل نفس ذائقة الموت \* ثم الينا ترجعون))<sup>(٧٤)</sup>. فالموت هو مرحلة انتقالية من حياة مؤقتة الى حياة ابدية سرمدية لذلك ((عالج الإسلام هاجس الحياة والموت بلفتاته العقلية الداعية الى التفكير والتأمل، وان الموت ليس ذلك المجهول الذي يبعث الرعب والخوف، وانما هي بداية لحياة ابدية))<sup>(٧٥)</sup>.

ومع تقدم الزمن وانفتاح افاق الفكر العربي وانتشار الفلسفة، اخذ الشاعر العباسي يتأمل في الحياة والموت، فجاءت اشعاره اكثر عمقاً في تناول موضوع الموت والحق ((ان الحياة والموت وجهان لحالة واحدة، ولا يمكن لأي بشر ان ينفي احساسه بهما، غير ان إحساس الشاعر بهما، لعله الحساسية المفرطة، وقدرته على رؤية ما لا يراه الآخرون، والتفكير بهذه الثنائية على قدر اتساع الرؤية او ضيقها .... ان الموقف من الحياة والموت، موقف يرتبط انحساراً او ضيقاً، بمزاج الشاعر ودرجة التكتيف الانفعالي، ووعيه، ونظرته الى الكون، وبنيتة الثقافية. وفي هذه البنية المنصهرة، كشف لموقف ذاتي يتحرك الشاعر من خلاله في تقسيم حركة الوجدان بأزاء ما يلتقط لتصبح زاوية النظر الى الموقف قيمة تعبيرية ترى ما تراه فناً موضوعياً))<sup>(٧٦)</sup>.

وقد شكلت هذه الثنائية حضوراً فاعلاً عند الشاعر مهيار الديلمي، واستطاع ان يبدع في خلق عوالم خيالية تصور مشهد الموت والحياة ودلالاتهما، اذ اتسمت صفات الحياة عند مهيار الديلمي كمشهد من مشاهد الألم واللوعة، وكانت أيضاً مصدرأ من مصادر جمالها بوجود الاحبة.

اذ يقول في مقطع اخر<sup>(٧٧)</sup>:

أعشُ بأمالي كأيّ أنصحُ وأبقى لأشقى بالبقاء وأفرحُ  
وأصبو إلى وجه من الدهر مسفرٍ ضحكٍ، ووجهي في الخمار مكلحُ  
ويعجبني إملاء يوم وليلة و ما الموت إلا غابقٌ أو مصبحُ

يضعنا الشاعر عبر مجموعة من الضديات المعبرة عن حالته وهو يذكر صديقاً له فقدّه (اشقى / افرح)، (ضحوك / مكلح)، (غابق / مصبح)، اذ يرى المتلقي تلك الاماني التي يستدعيها الشاعر لتخفيف شدة الالم والدهشة التي تتنابه لذلك الفقد، فيرى في البقاء الشقاء والفرح، بين يوم مسفر ضحوك وآخر مكلح حزين، وهذا هو حال الدنيا متقلبة باهلها، ولا بد ان يمر الموت بها يوماً من الايام.  
ثم يرى في ابيات أخرى في الموت حلاوة على كراهته خوفاً من البقاء في الضيم والهوان قائلاً<sup>(٧٨)</sup>:

شربوا الموتَ في الكريهة حلواً      خوفَ يوم أن يشربوا الضيمَ مرّاً  
طرحوا حاجهم وراء متون الـ      خيل ركضاً والسمهرية جراً  
كلُّ عجلانٍ خطّة لأخيه      العلاء العلاء إن كنت حراً

يختار الشاعر ضدية (حلوا / مرا) ليضع القارئ امام ما يراه في الموت، ذلك الذي يكون بين الاسنة والسيوف، وعلى ظهور الخيل في ساحات المجد. فهو حلواً على الرغم من كراهته، وعزاً دون عيش الضيم والهوان، اذ يرى الشاعر في الموت على هذه الشاكلة العلاء وشيم الاحرار.  
وفي ابيات اخرى يوظف الشاعر التضاد اذ يرى في موت مرثيه غيباً نازلاً من السماء، لبركة ذلك المرثي في حياته وبعد مماته قائلاً<sup>(٧٩)</sup>:

سُقينا به ميتاً كما كان جاهه      لدى الله حياً عام جذبٍ وإمال  
فله نفسٌ كان وقتُ ارتفاعها      إلى الله والغيثُ المنزلُ في حال  
لئن بايعتنا المزنُ رُوحاً بروحه      لقد غبَّتنا مع الثمن الغالي

يجسد الشاعر ثنائية (جذب / إمال) ليصور لنا بركة المتوفي وجاهه، اذ أنزلت السماء بركاتها يوم موته، كما هي عادتها في حياته، وعلى الرغم من أن المزن أعطت المرثي وكرمته بروح عوضاً عن روحه، لتحيا الارض من جديد، وهو ثمن غالي لروح الفقيد الغالية، الا ان ذلك لا يعادل مكانة المرثي وقدره.  
ثم يقول في نص آخر واصفاً الموت بالجائر العادل<sup>(٨٠)</sup>:

والموتُ أجورُ حاكمٍ وكأنه      في الناس قسماً بالسوية عادلُ  
لا اغترَّ بعدك بالحياة مجربٌ      عرفَ الحقوقَ فلم يرقه الباطلُ  
يا ثاوياً لم تقض حقَّ مصابه      كبدٌ محرقة وجفنٌ هاملُ

معبراً عبر ضدية (الجور / العدل) التي استنتقتها الشاعر اذ يضع القارئ امام نعت صادق للموت، فهو الجائر الذي لا يترك احداً، العادل في الوقت نفسه، مخاطباً الآخر بان لا يغتر بالعيش والحياة بعد ان جربها، فهي الى الموت تنتهي، وان الزمن المتمثل بالحياة والموت لا يبقى شيئاً على حاله وان الموت حقيقة لا مهرب منها ((في هذا المنظور الوجودي للزمن والموت والحياة، ينهار نظام القيم تماماً.... بل ينهار الوجود الفردي الانساني ويتفتت، لا يبقى من الانسان شيء، ولا يبقى من تمايزه أثر، بل يصبح الضدان واحداً لا في مستوى العظمة بل في مستوى الانحلال والتفاهة))<sup>(٨١)</sup> وهذا توجيه رائع للضديات الثنائية في شعر الشاعر، اذ نلتمس فيه ثقافة الشاعر الدينية واثرها في شعره.

ثم يستخدم الشاعر مرادفاً للموت والحياة ليخط لنا مقطوعة موحية (البقاء / والفناء) قائلاً<sup>(٨٢)</sup>:

تَقِيلُ مع الدنيا وقد أوفقت لنا  
ونغترُّ عَجبا بالبقاء وإنما  
أَقمتُ وسار السابِقون فسرتني  
وصوتُ دهري باسم غيري مغالطا  
وكيف نرجي ودَّ يومٍ وليلةٍ  
إلى دَوْحةٍ لا ظلَّ فيها ولا جنى  
بقاؤك يا مغرورُ ساقَ لك الفنا  
وما ظعنَ الجيرانُ إلا لأظعنا  
وإني وإن لم يُسمِ أوَّلُ من عني  
يزيدان مما يعديان بنقصنا

يحذر الشاعر عبر ضدية (البقاء/ الفناء)، ان لا نغتر بالبقاء، متعجباً من طالبه، وهو يعلم ان نهايته الفناء والموت، ثم يتدرج ليضع المتلقي امام حكمة يسوقها الشاعر، اذ يرى ان ذهاب الاعزاء والجيران وفناءهم دليل على ان لا يبقى احد وبذلك يغيب الانسان امام حضور الموت<sup>(٨٣)</sup>. ثم يردفها بحكمة اخرى فكل ليلة نقضيها بود وسرور، هي ليلة نقصان من اعمارنا التي تمر ونحن ولا نعلم. والى المغزى نفسه ينقلنا الشاعر قائلاً<sup>(٨٤)</sup>:

لنقص من أعمارنا ما يكملُ  
تمشي المنونُ رويدا لتغرنا  
يا معجباً بالعيش طال بقاؤه  
على جانبي دنياك فارعباً أبقأ  
والدهر يؤيسنا ونحن نؤمُّ  
أبدأ فتدركنا ونحن نهرولُ  
نظراً! بقاؤك في المنية أطولُ  
ودي الحريصُ وما تجا المتوكلُ

عبر ضدية (العيش / المنية)، المرادفة (للحياة والموت) يضعنا الشاعر امام تساؤل لمن يريد البقاء، اذ لا مناص من الموت الذي لم ينج منه احد، مبرراً ذلك بحمكة سير المنون البنا ونحن نحوه نهرول. فالموت لا يفرق بين غني وفقير، ولا كبير ولا صغير. فهذه المعادلة بين (الحياة والموت) تحمل رؤية الشاعر مهيار الديلمي وخلاصة تجربته في الحياة، الممزوجة بالمعاني الاسلامية والحكمة الداعية الى التفكير بمصير الحياة الزائلة ونهاية الانسان<sup>(٨٥)</sup>.

### الخاتمة:

- ١- ان بنية التضاد القائمة على اساس (الشيب والشباب) كشفت حالة الصراع النفسي الذي عاشه الشاعر بسبب تقدم العمر وضعف الحال وزوال الصحة والقوة البدنية.
- ٢- وظف الشاعر ثنائية (القرب والبعد) يظهر عبرها رؤيته الفكرية بتعابير صادقة، وتنعكس مأساة نفسية داخله، فالتضاد يحمل ابعادا نفسية وفكرية.
- ٣- تجلت ثنائية القرب والبعد بصورة مباشرة وصورة غير مباشرة باستخدام مفردات مرادفة تحمل معنى التضاد على مستوى القرب والبعد التي ورد اغلبها على صعيد الوصل والهجر.

٤- تعد ثنائية الحياة والموت من الثنائيات التي جسدها الشعراء في شعرهم وقد جاءت واضحة في شعر مهيار لتحمل رؤية الشاعر وخالصة تجربته في الحياة الممزوجة بالمعاني الإسلامية والحكمة الداعية الى التفكير بمصير الانسان وحياته الزائلة.

#### هوامش البحث

- (١) في الشعرية : ٤٥ .
- (٢) لغة الشعر العراقي المعاصر : ٢٠٠ .
- (٣) في الشعرية : ٤٩ .
- (٤) اللغة العليا ، النظرية الشعرية : ١٨٧ .
- (٥) البلاغة والمعنى في النص القرآني : ١٩٥ .
- (٦) في المصطلح النقدي : ١٥٩ .
- (٧) ينظر الثنائيات الضدية ، دراسات في الشعر العربي القديم : ٧ .
- (٨) دلائل الاعجاز : ٢٦٣ .
- (٩) العقد الفريد، ج٢ : ٣٣٠ .
- (١٠) الشيب والشباب في الادب العربي : ١٦ .
- (١١) سورة الروم : ٥٤ .
- (١٢) الزمن في الشعر الجاهلي : ١٠٨ .
- (١٣) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ٣٤ .
- (١٤) ينظر التضاد في الشعر الاندلسي عصر بني الأحمر ثنائية الشيب والشباب انموذجاً : ١٥٠ .
- (١٥) قضية الزمن في الشعر العربي (الشباب والشيب) : ٨ .
- (١٦) رؤية جديدة لشعرنا القديم : ١٨٧ .
- (١٧) الديوان : ٢٢٠ / ١ .
- (١٨) ينظر الشهاب في الشيب والشباب : ١٤ .
- (١٩) العقد الفريد : ٤٦ / ٣ .
- (٢٠) الديوان : ١٧٧-١٧٨ / ١ .
- (٢١) مشكلة الانسان : ٧٦ .
- (٢٢) الديوان : ٣٠٢ / ١ .
- (٢٣) الديوان : ٩٢-٩٣ / ١ .
- (٢٤) ينظر التضاد في البحث النقدي والبلاغي عن العرب : ٢٤١ .
- (٢٥) ينظر مقالات في الشعر والنقد والدراسات المعاصرة : ٨٠ .
- (٢٦) الديوان : ٢٧ / ١ .
- (٢٧) البديع والتوازي : ٥٠ .
- (٢٨) الديوان : ١٣٤ / ٣ .
- (٢٩) النص الشعري بين الرؤية البيانية والرؤيا الاشارية : ١٤٣ .
- (٣٠) الديوان : ٩٩ / ٣ .
- (٣١) ينظر الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية : ١٨٨ .
- (٣٢) الديوان : ٨٢ / ٣ .
- (٣٣) ينظر ثنائية الشباب والشيب في شعر تميم ابن ابي مقبل : ٦٦ .
- (٣٤) الديوان : ١٦٤ / ٣ .



- (٣٥) للمزيد ينظر /١ (٤٧، ٥٩، ٧٨، ٨٠، ٨١) - /٢ (٣٦٨، ٤٣٦) - /٣ (٩، ٥٢، ٨٢).
- (٣٦) المفردات في غريب القرآن: ٣٩٨.
- (٣٧) لسان العرب: مادة (قرب)
- (٣٨) لسان العرب: مادة (بعد)
- (٣٩) القاموس المحيط: ٢٦٨.
- (٤٠) سورة هود: ٩٥.
- (٤١) ينظر المعجم الوسيط: ٦٣.
- (٤٢) جدلية الخفاء والتجلي دراسات نبوية في الشعر: ١٠٩.
- (٤٣) ينظر جدلية ابي تمام: ١٥.
- (٤٤) الثنائيات الضدية، دراسات في الشعر العربي القديم: ٥.
- (٤٥) م. ن: ٧.
- (٤٦) ينظر الثنائيات المتضادة في شعر الصعاليك: ١٩.
- (٤٧) الديوان: ١/ ٢٤.
- (٤٨) الثنائيات الضدية، دراسات في الشعر العربي القديم: ٧.
- (٤٩) الديوان: ١/ ٢٠٣-٢٠٤.
- (٥٠) ينظر تجليات التضاد في شعر العباس بن الاحنف، صالح علي سليم الشتيوي: ٦٤.
- (٥١) الديوان: ١/ ١٢٨.
- (٥٢) الديوان: ٤/ ٥٤٧.
- (٥٣) الديوان: ١/ ٧.
- (٥٤) الديوان: ٤/ ٤٠٧.
- (٥٥) الديوان: ١/ ١٩٨.
- (٥٦) الديوان: ٤/ ٤٣١.
- (٥٧) الديوان: ١/ ١٦٩-١٧٠.
- (٥٨) الخطيئة والتكفير: ٢٧.
- (٥٩) الديوان: ١/ ١٩٢.
- (٦٠) ينظر التضاد في البحث النقدي والبلاغي عند العرب: ٢٠٦.
- (٦١) الديوان: ٤/ ٣٨٦.
- (٦٢) للمزيد ينظر /١ (١٧، ٢٠، ٣٣، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٦٦) - /٣ (٦).
- (٦٣) ينظر: لسان العرب: مادة حيا.
- (٦٤) تاج العروس: مادة حياة.
- (٦٥) التعريفات: ٨٣.
- (٦٦) م. ن: ٨٣.
- (٦٧) لسان العرب: مادة موت
- (٦٨) مشكلات فلسفية، مشكلة الانسان: ١٢١.
- (٦٩) التعريفات: ١٩٩.
- (٧٠) الحياة والموت في الشعر العراقي المعاصر - مرحلة الرواد: ٥.
- (٧١) الموت والخلود في الأديان المختلفة: ٧.
- (٧٢) الموت والعبقرية: ٧.
- (٧٣) الانسان والزمان في الشعر الجاهلي: ١٣.
- (٧٤) العنكبوت: ٥٧.
- (٧٥) ثنائية الحياة والموت في هاشميات الكميث: ٣٧.
- (٧٦) رماد الشعر (دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق): ١٤٢.
- (٧٧) الديوان: ١/ ١٦٧.
- (٧٨) الديوان: ١/ ٣٤٢.

- (٧٩) الديوان : ٩٣ / ٣ .  
 (٨٠) الديوان : ٩٨ / ٣ .  
 (٨١) الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي : ٣٠٧ .  
 (٨٢) الديوان : ٤٢٣ / ٤ .  
 (٨٣) ينظر جماليات التحليل الثقافي : ٢٣٤ .  
 (٨٤) الديوان : ٧٩ / ٣ .  
 (٨٥) للمزيد ينظر ١ / (٥٦ ، ٢١٥) - ٢ / (٧٩ ، ٤٦٩) - ٣ / (٩ ، ٧٩) - ٤ / ٤٢٣ .

### المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الاسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الاساليب الادبية ، احمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٨ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- الانسان والزمان في الشعر الجاهلي ، حسين عبد الجليل يوسف ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، د ط ، ١٩٨٨ م .
- البديع والتوازي ، الشيخ عبد الواحد حسن ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، ط ١ ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ م .
- البلاغة والمعنى في النص القرآني تفسير ابي السعود انموذجاً ، حامد عبد الهادي حسين ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م مركز البحوث والدراسات الإسلامية العراق - بغداد .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق . عبدالكريم العزاوي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب ، الكويت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- تجليات التضاد في شعر العباس بن الاحنف علي سليم الشتيوي ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج ٣٢ ، ع ١ ، ٢٠٠٥ م .
- التضاد في البحث النقدي والبلاغة عند العرب ، اركان حسين مطير ، أطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ م .
- التضاد في البحث النقدي والبلاغي عند العرب ، اركان حسين مطير ، أطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ م .
- التضاد في الشعر الاندلسي عصر بني الأحمر ثنائية الشباب - الشيب انموذجاً . اسماء صابر جاسم ، رحاب محمد فرج ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد ٢٦، العدد ٩، ٢٠١٩ م .
- الثنائيات الضدية ، دراسات في الشعر العربي القديم سمر الديوب ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، د - ط ، ٢٠٠٩ م .
- الثنائيات المتضادة في شعر الصعاليك والفتاك الى نهاية العصر الاموي ، مي وليم عزيز ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ٢٠٠٨ م .
- ثنائية الحياة والموت في هاشميات الكميّ عرض وتحليل ، حميد حسن نعمه الموسوي ، مجلة الانسان ، العدد ٢١٤ ، المجلد الأول ، ٢٠١٥ م .
- ثنائية الشباب والشيب في شعر ابن ابي مقبل ، انصاف محمد المومني ، محمد ماجد الدخيل ، مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية ، مج ٦ ، ع ٢ ، ٢٠١٧ م .
- جدلية ابي تمام ، عبد الكريم اليافي ، منشورات دار الجاحظ النشر - بغداد ، ١٩٨٠ م .
- جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر ، كمال أبو ديب ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٩٧٩ م .
- جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي انموذجاً ، د. يوسف عليمان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .

- الحياة والموت في الشعر العراقي المعاصر مرحلة الرواد . (دراسة فنية ) ، سعيد عبد الرضا خميس التميمي ، كلية التربية ، جامعة المستنصرية ، ٢٠٠١ م.
- الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشریحية قراءة نقدية لنموذج معاصر ، عبدالله محمد الغدامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤، ١٩٩٨م.
- دلالات الاعجاز ، الامام ابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي ، قراه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي - القاهرة ( د ط - دت ) .
- ديوان مهيار الديلمي، شرحه وضبطه: احمد نسيم، مؤسسة الاعلى للمطبوعات، بيروت لبنان، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.
- رماد الشعر ، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق ، عبد الكريم راضي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، ط ١ ، بغداد ١٩٩٨ م.
- الرؤى المقتعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي ، كمال ابو ديب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ م.
- رؤية جديدة لشعرنا القديم - مآثورات من الشعر العربي في ضوء مفهوم التراث والمعاصرة . حسن فتح الباب - دار الحدائث - بيروت - ط ١ - ١٩٨٤م.
- الزمن في الشعر الجاهلي ، عبد العزيز محمد شحادة ، المكتبة الوطنية ، ١٩٩٥ م.
- الشهاب في الشيب والشباب ، الشريف المرتضي ابي القاسم علي ابن الشريف الطاهر ابي احمد الحسن بن موسى الموسوي ، مطبعة الجوانب قسطنطينيه ، ط١، ١٣٠٢ م.
- الشيب والشباب في الادب العربي ، محمد حسين علي الكتيبي ، مطبعة الآداب في النجف الاشرف ، ط٢ ، ١٩٧٢م.
- العقد الفريد ، احمد بن محمد بن عبده ربه الالندلسي ، تحقيق :محمد عبدالقادر شاهين ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ٢٠٠٧م.ط
- في الشعرية ، كمال أبو ديب ، موسسة الأبحاث العربية بيروت - لبنان ، ط١ ١٩٨٧ م.
- في المصطلح النقدي ، احمد مطلوب مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٢م.
- القاموس المحيط ، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . تحقيق : مكتب التراث في المؤسسة الرسالة باشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط٨ ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- قضية الزمن في الشعر العربي (الشباب والشيب ) ، د. فاطمة محبوب ، دار المعارف ، القاهرة ، د ط ، ١٩٨٠م.
- كتاب التعريفات ، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، تحقيق : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، ٨١٦هـ - ١٤١٣ م .
- لسان العرب لابن منظور ، تحقيق : عبدالله الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة د. ط - دت .
- لغة الشعر العراقي المعاصر ، عمران خضير حميد الكبيسي ، وكالة المطبوعات - الكويت ، ط١ ، ١٩٨٢ م .
- اللغة العليا النظرية الشعرية ، جون كوين، ترجمة وتقديم وتعليق، احمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٥م.
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الاثير ، قدمة وعلق عليه ، دكتور احمد الحوفي والدكتور بدري طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ط٢ ، دت .
- مشكلات فلسفية ، مشكلة الانسان ، زكريا ابراهيم دار مكتبة مصر ، دط - دت .
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤ ١٤٢٥ - ٢٠٠٤م.
- المفردات في غريب القران ، ابي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالرأغب الاصفهاني ، تحقيق وضبط : محمد سيد كيلاني ، الميمنية - القاهرة ١٣٢٤ هـ .

- مقالات في الشعر والنقد والدراسات المعاصرة ، د. احمد إسماعيل النعيمي ، دار دجلة ، عمان ، ٢٠١٢ م .
- الموت والخلود في الأديان المختلفة ، عزت زكي ، دار الرشيد للكنيسة الأسقفية ، دار الجيل للطباعة ، ١٩٧٢ م .
- الموت والعبقرية ، عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٤٥ م .
- النص الشعري بين الرؤية البيانية والرؤيا الاشارية دراسة نظرية وتطبيقية ، احمد الطريسي ، دار عالم الكتب ، الرياض ، السعودية ، د ط ، د ت .



## جماليات البنية البسيطة والبنية المركبة في كتاب (ربيع الأبرار ونصوص الأخبار) للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)

الباحث م. م. خالد رحيم بايش

المشرف أ. د. صادق جعفر عبد الحسين

جامعة ذي قار / كلية الآداب

### الملخص :

تشكل فكرة دراسة كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار كمنظومة خبرية تستند إلى كيفية بناء الزمخشري أخباره وتوجيهها توجيهاً يوضح الرؤية السردية للكتاب ، إذ إن المؤلف لم يركز على الموضوع فحسب بل أهتم بطريق تقديم أخباره ، فالزمخشري يمتلك موهبة قصصية سردية أثناء سرده لنصوص أخباره وهذا هو (( الإبداع في الخطاب القصصي المؤمن لتوصيل الحكاية (الحدث) مما لا يضمن معه الجنوح إلى الخيال على حساب الحدث زيادةً أو نقصاناً )) .

### Abstract

shows that Alzamakhshari re wrote in many colors and that the reader finds what is needed and that this Composition is not complicated but Simple and gives results

### المقدمة :

تتراوح أشغال الخبير في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار بين القصيرة والطويلة وهذا التفاوت يحيل إلى ثنائية أخرى هي البسيط والمركب ، وترجع هذه الثنائية كما يرى سعيد يقطين إلى كون الخبر جنساً جامعاً لأنواع متعددة يكون الاختلاف بينها على مستوى الشخصيات والاحداث<sup>(١)</sup>. وهذا ما جعل الخبر يتخذ أنماطاً بنائية مختلفة ، أضفت عليه صفات تشكلية متعددة تبعاً لبنائه التركيبي والفني ، وقد تشكلت تلك الأنماط البنائية على وفق علاقات قد تكون قائمة على المزوجة بين الوحدات الخبرية أو التضمين لوحدة خبرية أو أكثر في سياق خبر مخصوص يوفق بين هذه الوحدات .

وتنشأ علاقات التركيب بين الأخبار استجابة لما قام عليه الخبر (( من خصائص تجعل الربط بين وحداته أمراً ممكناً ، سواءً كان ذلك عن طريق الجمع أو الاحتواء أو المواصله ، أو عن طريق التضخيم والتفصيل والمسرحه والتجسيد ، أو عن طريق التروية أي إيراد الخبر الواحد على لسان شخص تارة ، وعلى لسان غيره تارة أخرى ، فنتغير صيغته كلما نُسب لراو جديد ))<sup>(٢)</sup>. إن الخبر بمثابة المادة الأساسية لعمل الرواية ، كما أنه أحد الركائز الأساسية في التداولية حيث يكون حدثاً أو فعلاً وقع في الواقع من شخص أو عدة شخصيات تكون متواتر. إن النظر في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشري يكشف لنا طبيعة تشكل الخبر البنائية والفنية . فلفني تلك الأخبار قد توزعت بنائياً على قسمين : أخبار

بسيطة ، وأخبار مركبة ونلاحظ من ذلك أن أخبارَ الزمخشري قد تباينت في طبيعتها البنائية ، فقد يكون الخبر المفرد البسيط حائزاً على النسبة الأكبر في بعضها ، وقد يجوز الخبر المركب على تلك النسبة الأكبر .

وعلى وفق ما تقدّم ، فقد رأينا أن ندرسَ تشكلات الخبر ضمنَ التشكيل البنائي ونظرنا فيه إلى بنية الخبر تبعاً لمستويي البنية البسيطة والمركبة .

#### أولاً : البنية البسيطة ( الخبر ) .

تقومُ بنية الخبر البسيط (( على ثنائية سرديّة واحدة ترد مفردة ، أو تتكرّر في الخبر الواحد والثنائية التي تغلب هذه الأخبار هي ثنائية الاستخبار والأخبار ))<sup>(٧)</sup> . فيكون الخبر البسيط ذا حدثٍ معينٍ وزمانٍ ومكانٍ معينين ، كما يقتصر الطول على استعادة قول مأثور أو نقل حوار بين طرفين ، وقد يتدنى مستوى السردية هنا فيقتصر أمرها على ذكر القول فقط وكذلك يُمهّد له بوضع سرديّ تصبح فيه ثنائية الاستخبار والأخبار مندرجة في سياق ثنائية أشمل منها في تلك الأخبار<sup>(٨)</sup> .

وتعدّ بنية الخبر البسيط أحد مكونات النصوص السردية إلى جانب الأنواع الأخرى ، وهذا النوع من الأخبار يُتسم بكونه (( أقلّ تمركزاً في الفضاء والزمان ويكون مركزاً على الحدث أكثر من تركيزه على الشخصيات... والالتكاء على مرجعيات تاريخية والإيجاز في الأسلوب ))<sup>(٩)</sup> . ولعلّ ذلك عائدٌ في الغالب إلى اعتماد الخبر في نقل الواقعة الاخبارية نقلاً منسجماً ومتتابعاً دون وجود اختلافات وانحرافات في النصوص الخبرية ، والخبر البسيط وحدة دلالية قائمة بذاتها على المستوى السردية ، تقوم على وحدة الحدث ، أو الحدث المركزي ، الذي يمثل بناءً سردياً قد يسمح بتنوع عناصر السرد داخل الخبر البسيط . ولما كانت الأخبار البسيطة تميل إلى الإيجاز فإنها قد ائتمت (( بالاققتصاد والاقصار على ما هو ضروري ؛ لإيقاع الأثر في القارئ أو السامع . غير أن تتقل الخبر ، وتعاور الرواة إياه في أطوار زمنية مختلفة ومتباعدة أحياناً ؛ ربّما يسرّ أمر التوسع بالخطاب على نحو ما يظهر في نماذج من الأخبار المتأخّرة التي صارت مجالاً لإبراز قدرة الراوي على تجويد العبارة والإسراف في التقنن ))<sup>(١٠)</sup> . إن النوع البسيط من الأخبار هو ما كان أقلّ تمركزاً في الفضاء الزمني ، إذ يتمّ التركيز على الحدث أكثر من أيّ عنصر آخر<sup>(١١)</sup> . لذا يبقى الخبر البسيط بنيةً مفتوحةً يمكن أن تُوسّع وتُرَكَّب وتتعدّد بنائياً ، لتؤول إلى خبر مركب ، وبنية الخبر تخضع لأنساق تركيبية وصفية ، ودلالية مقصدية ، وتداولية المقام ، مما جعل الخبر يُتسم ببنية بسيطة أسبق في الوجود من البنية المركبة لقرب البساطة من طور المشافهة وقرب التركيب من طور الكتابة ، مما يفسر هيمنة النوع الخبري كميّاً من خلال عدد الأخبار .

إن الخبر كوحدة حكاية ذات خاصية مميزة ، يمكن أن يخرج عن الواقعية ، نأخذ برأي عبد الله العروي الذي قدم مفهوماً آخر للخبر البسيط الذي أسماه ( خبر الأحاد ) : (( إن الخبر الأحاد مؤشراً على قانون في طور التكوين ، لذا لا يبقى الخبر على حاله ، إلا إذا لم يغمس تماماً في قانون عام ، إذ احتفظ بشيء من العفوية والغموض ما يبرهن فيه هو معناه الخفي ))<sup>(١٢)</sup> . لذلك يُعدّ الخبر البسيط فرعاً من النصوص السردية إلى جانب الأنواع الأخرى من السرود ؛ ولأن السرد حاضر في كل زمان ومكان ، ومن نماذج هذا النوع قول الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : (( حفر زياد نهراً ، فأشهد فتح الماء إليه معقل بن يسار صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تبركاً به ، فنسب النهر إلى معقل ، وترك نهر زياد ))<sup>(١٣)</sup> .

نلاحظ الراوي في هذا الخبر السابق يُمهّد القول من أجل الوصول إلى الحدث الأساس ، عبر ابتداء الراوي بوضعية افتتاحية ( حفر زياد للنهر ) ، التي أخذت تنقل المتلقّي إلى الحدث الأساس وتتميز هذه الانتقالة في

الخبر بالتركيز والابتعاد عن التفاصيل ، وبعد ذلك ينتهي إلى الحدث الأساس (تسمية النهر) ، وبذلك يمكن القول أن الغرض الأساس من هذا الخبر هو نقل الواقعة التاريخية ، وإيصالها إلى المتلقي دون الاهتمام بالسياق الخارجي الذي وجدت فيه (زمن حفر النهر ، مكان النهر) ، والاحداث الجانبية لخبر الحفر والتسمية . إن الخبر بتشكله البسيط على مستوى الحدث ، قد اتخذ حيزاً كبيراً من اهتمام الرواة فراحوا يروونه في كتبهم الإخبارية مشحوناً بالتركيز في مضاميته ، قائماً على الإيجاز والقصر ، وهذا اتجاه واسع في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشري ، فزى شيئاً من الأخبار التي يرويها الزمخشري والتي اتسمت بالبساطة والوجازة ، إذ يقول في أحد أخباره : (( مرّ أعرابي بحمّاد عجرد ، وهو يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عريان ، فقال : " تعجرت يا غلام " فسمي عجرداً ))<sup>(١٠)</sup> . إذ يفتح الفعل الحكائي للخبر بـ ( مرور أعرابي ) على حمّاد عجرد ، وينغلق بمخاطبته لحمّاد ( تعجرت يا غلام ) ، وقد تحقّق في هذا الخبر ، بحكم التركيز الاختزالي ، تحديداً للشخصيات فلم تتجاوز شخصيتي الأعرابي وحمّاد بوصفهما شخصيتين رئيسيتين ، والصبيان باعتبارهما شخصيات ثانوية ، تخدم الحدث الرئيس وتعزّده ، ومن ثمّ ارتكاز الخبر على أحاديّة الحدث وقد بينى التشكل الدلالي للخبر على مركز تلقّظي أساس أو فعل رئيس ، وتتفرّع عنه وحدات دلالية تدور حول ذلك المركز التلقّظي<sup>(١١)</sup> . ومن ذلك ما رواه الزمخشري ، إذ يقول : (( لما خرج عبد الملك يريد مصعباً ، عرض له كثير فقال : يا كثير ذكرتك اليوم فما تكاد تخرج من بالي فإن أنبأتني لم ذكرتك فاحتكم عليّ فيما أدفعه إليك . قال : نعم ، أردت الشخص إلى هذا الوجه فنهتكَ عاتكة بنت يزيد ، فلما جدت بك في لباكتها حشمها ، فذكرت قولي :

إذا ما أراد الغزو لم تنههم  
حصان عليها نظم دريزينها  
نهته فلما لم تر النهي عاقه  
بكت فبكي مما شجاها قطينها

قال : قد والله أصبت فاحتكم ، قال : مائة ناقة برعاتها ، فدفعها إليه ثم قال : هل لك أن تصحبنا في هذا الوجه ؟ فقال : أحرز هذه وارجع إليك . قال : إنك قد صدقتني فوفيت لك أفرايت أن أنبئك بما في نفسك أتحمني ؟ قال : أي والله ، قال : قد قلت في نفسك هذا عائد عن الحق من أهل النار يخرج إلى مثله ، فلعنه يصيبني سهم غرب ، فالحق بالذي أنا معه . قال : قد أصبت يا أمير المؤمنين فاحتكم . قال : حكمي عليك أن أصل هذه الإبل لك بألف دينار وأعجل سراك ))<sup>(١٢)</sup> .

فقد تضمّن هذا الخبر لجملة من الأحداث المتوالية تمثلت ابتداءً عندما خرج عبد الملك يريد مصعباً عرضاً له كثير ، واران الشخص إلى هذا الوجه حتى نهته عاتكة بنت يزيد وهي تشد قصيدتها ، فبكت فبكي لباكتها ومن ثمّ أصاب عبد الملك فاحتكم ، وكان حكمه إيصال هذه الإبل إلى كثير ومعها الف دينار وأعجل سراك . وكانت هذه الأحداث تتمحور حول حدث رئيس ابتغاه الراوي تمثل أن ينبأ كثير عبد الملك ويحتكم فيما يدفعه له . ومن نواتره التي تمثلت في بنية الخبر الوجيز البسيط ما رواه الزمخشري ، إذ يقول : (( عن عبد الرحمن بن عدي : سمعت أبا هريرة يقول : ضرس الكافر مثل أحد . فقلت في نفسي : فكيف برأسه ؟ فيكيف بيده ؟ كالتسكّ ، فأريت في النوم من القابلة أن بثرة ، خرجت في خنصري فملأت المدينة . فقيل لي : هذا لشك في قول أبي هريرة ))<sup>(١٣)</sup> . وبهذا يتضح أن الخبر المفرد البسيط المتسم بالوجازة غالباً قد يتضمّن نادرة ، أو موقفاً طريفاً ، أو نحوهما ، ليكون ذلك التندر أو المفارقة بؤرة يرنكز عليها الخبر ومن ذلك خبر : (( أبو العيناء : كان لي خصوم ظلمة فشكوتهم إلى أحمد بن أبي دواد ، وقلت : قد تظافروا عليّ وصاروا يداً واحدة فقال : يد الله فوق أيديهم . قلت : إن لهم مكرأ ، قال : ولا يحق المكر السيء إلا بأهله ، قلت : هم كثير ، قال : كم من فئة قليلة غلبت ، فئة كبيرة باذن الله ))<sup>(١٤)</sup> . نجد في هذا الخبر كونه يقتصر على الحوار بين شخصين وفعل القول فقط ، هما ناقل الخبر أبو العيناء الذي يشكو إلى

أحمد بن أبي دؤاد ، وهو خبر يجري بواسطة الاستخبار والأخبار فشخصية أبو العيناء تشكو وتطلب الاستخبار وقد حصل عليه في نهاية الخبر ( قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله ) ، لذلك يمكن القول أن الحدث الأساس والوحيد في تلك الحكاية جو الكلام المتبادل بينها ، إذ تتجلى في ثنائية الاستخبار والأخبار والتي يطلق عليها محمد القاضي الطلب والحصول ، طلب الاستخبار والحصول على الخبر<sup>(١٥)</sup> . أن البساطة التي نعنيها في النص الخبري تُتسم في التركيز على الحدث الأساس وإهمال التفاصيل ، فضلاً عن الشخصية المفردة ، وانعدام التأطير الزمني والمكاني في الغالب ويمكن أن نجد ذلك واضحاً في قول الزمخشري في أحد أخباره : (( سئل أحمد بن عيسى العلوي عن سنيّه فقال : خافت الخمسين من ورائي ، وأنّ التفاتي إليها طويل ))<sup>(١٦)</sup> .

يُركز النصّ الخبري المذكور على نقل حادثة واحدة وهي حوار يقوم بين طرفين لمعرفة عمر أحمد بن عيسى العلوي ، دون أن تتشابك هذه الحادثة مع أحداث أخرى وإن كانت ذات علاقة بها كتفصيلات هذا العمر . مما يتبين لنا أن بساطة النصّ الخبري تعتمد على ثنائية الاستخبار والأخبار دون تحديد الفضاء الذي دار فيه الحديث ، أو حتى التصريح باسم الشخصية المحاور . وأحياناً يأتي هذا النوع من الأخبار لاستعادة (( قول مأثور ، ونقل حوار طريف بين شخصين ))<sup>(١٧)</sup> . ومنه قول الزمخشري : (( عزي رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب ، فقال : يا بني سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف ))<sup>(١٨)</sup> .

نحظ بساطة النصّ الخبري السابق عن طريق سرده لحادثة واحدة دون شرح أو ذكر التفاصيل ، إذ تتمو بنية الخبر البسيطة أفقياً ، بعيداً عن التفاصيل ومنها المؤشرات المكانية والزمانية والوصف ، كما يهيم صوت الراوي على الخبر دون أن يلجأ إلى إطالة الخطاب عن طريق تولي الشخصيات لزام السرد ، لذا أدى الخبر بعده الوظيفي بنقله الحوارية التي بين شخصين ، وما نتج عنها من قول دون الحاجة إلى التفصيل بالقول أو الاستعانة بالأحداث الجانبية . ونقوم نسبة كبيرة أخرى من الأخبار ذات البنية البسيطة على المقابلة بين فعل ورد كثيراً مما ترد هذه المقابلة في صورة المخالفة التي ينجر عنها عقاب أو عفو سواءً أمراً ذلك بواسطة الشفاعة أم لم يمر ، ولناخذ على ذلك خبر الزمخشري ، إذ يقول : (( حدثني إبراهيم بن السندي قال : بينا الحسن اللؤلؤي في بعض الليالي بالرقعة يحدث المأمون - والمأمون يومئذ أمير - إذا نعس المأمون فقال له اللؤلؤي : نمت أيها الأمير ! ففتح المأمون عينيه وقال " سوقي والله ، خذ يا غلام بيده ))<sup>(١٩)</sup> . ولقد جاء هذا الخبر نفسه في صيغة أخرى هي التالية : (( حدثني إبراهيم بن السندي قال : بينا الحسن اللؤلؤي يحدث المأمون ليلاً وهو بالرقعة ، وهو يومئذ ولي عهد ، وأطال الحسن الحديث حتى نعس المأمون ، فقال الحسن : نعست أيها الأمير ! ففتح عينه وقال : سوقي وربّ الكعبة ! يا غلام خذ بيده ))<sup>(٢٠)</sup> .

نرى وجوه التشابه بين النصين كثيره ، وأهمها ذلك الترابط فيهما بين خطأ اللؤلؤي وصرف المأمون إياه ، إلا أن الخبر الثاني أكثر إلحاحاً على هذه الصلة بين فعل اللؤلؤي ورد فعل المأمون ، فقد نصّ على أن المأمون كان وقت وقوع الحدث ولياً للعهد في حين لم يذكر في الصيغة الأولى إلا إنه كان أميراً . وربط بين تلك الإطالة وبين نعاس المأمون برباط سببي من خلال ( حتى ) ، في حين لم يذكر من شأن هذه الصلة في الخبر الأول إلا أن الحديث كان ليلاً فجاء نعاس المأمون ممهداً له بـ " إذا " الفجائية . إن هذا التحويل الذي أجراه الزمخشري على خطاب الخبر إنما جاء لبيان هذه الصلة بين المخالفة والعقاب في مستوى الوقائع ، وكثرة هذه البنية الحدائية البسيطة في الأخبار التي تغلب عليها الأفعال . ونجد نوع آخر من الأخبار البسيطة ما يسميه محمد القاضي بنية التحويل ، وقوام هذه الأخبار (( مقابلة بين وضعين في مستوى ملفوظات الحالة أو ملفوظات الفعل . ومعنى ذلك أن الخبر يقودنا من أتصاف الشخصية بسمة إلى



أتصافها بعكسها ، أو من قيام الشخصية بعمل إلى قيامها بنقيضه ))<sup>(٢١)</sup>. وبعبارة ادق أن التحويل (( يتوفر في حال الانقلاب من صفة إلى أخرى غير متوقعة أو إنجاز فعل كان يتوقع عكسه ))<sup>(٢٢)</sup>. لذا يحول الشخصية من الجهل إلى العلم ، أو من الشدة إلى الرقة ، أو من الشك إلى اليقين وهكذا ، نجد كثرة هذا النوع من الاخبار ذات البنية التحويلية في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشري، ومن ذلك قول الراوي : (( قال معاوية لعمر بن العاص يوماً : امض بنا إلى هذا الذي تشاغل باللهو وسعى في هدم مروءته يريد عبد الله بن جعفر ، فدخلنا عليه وعنده سائب خاثر ، يلقى الغناء على جواريه ، فأمر بتخليتهن ، وتحتى لمعاوية عن سريره ، فقال معاوية : أعد علينا ما كنت فيه ، فغنى سائب بقول قيس بن الخطيم :

**ديار التي كانت ونحن على منى نحل بها لولانجاء الركائب**

وردد الجوارى معه ، فحرك معاوية يديه وتحرك ، ومد رجليه يضرب بهما وجه السرير فقال له عمرو : اتند ! فإن الذي جئت تلحاه ، أحسن حالاً منك وأقل حركة . فقال معاوية : اسكت فكل كريم طروب ))<sup>(٢٣)</sup>. نلاحظ في هذا الخبر السابق قائم على تحويل لصورة معاوية من الشدة والحزم إلى الرقة والطرب ، وهاتان الحالتان تتحكمان في حركة السردية في النص<sup>(٢٤)</sup>. فهما اللتان انجزت عنهما الأعمال الرئيسية فيه وهي المضي والسماع والطرب . لذا يمكن القول لا ينبغي أن نخلط بين هذا التحويل وما به يكون الكلام سرداً وهو التحوّل ، الذي يتوفر في حال الانقلاب من صفة إلى أخرى غير متوقعة أو إنجاز فعل كان يتوقع عكسه . لذا جاء الخبر مقابل بين وضعين في مستوى ملفوظات الحالة أو ملفوظات الفعل . وما أكثر ما يكون المقام السردية مطية لإيراد القول . وهذه ظاهرة بالغة الأهمية ؛ لأنها تكشف لنا عن سر من أسرار الخبر الأدبي يتمثل في انقطاع السردية فيه بحلول القول المقصود ونورد على ذلك قول الزمخشري إذ يقول : (( حدث الأعمش عن أبي وائل قال : ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان الفارسي ، فجلسنا عنده فقال : لولا أن رسول الله نهانا عن التكلف لتكلفت لكم ، ثم جاء بخبز وملح ساذج لا أضرار عليه ، فقال صاحبي : لو كان في ملحنا صعتر ، فبعث سلمان بمطرته فرهنها على الصعتر ، فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذي أقتعنا بما رزقنا . فقال سلمان : لو قتعتم بما رزقك الله لم تكن مطهري مرهونة ))<sup>(٢٥)</sup>.

يظهر الراوي في الخبر شاهد عيان عندما ذهب مع صاحبه إلى سلمان الفارسي فجلسنا عنده ومن ثم جاء بخبز وملح ساذج لا أضرار عليه ، وقول صاحبه ( الحمد لله الذي أقتعنا بما رزقنا ) إذ كانوا في حالة مغابرة من اليأس إلى القناعة والرضا بما رزق الله ، لذا كانت صفات الشخصيات في النص الخبري شيئاً وانتهت إلى شيء آخر مختلف . أما إذا نظرنا إلى مكان وزمان الحدث نجد أنهما يمتدان قدر وحدة الأخبار البسيطة ، والحدث أيضاً يقوم بالأساس على عملية أخبار واحدة . ومن نماذج هذا النوع من الخبر البسيط ما ينقله لنا الزمخشري ، إذ يقول : (( قدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه على رسول الله عليه السلام من عند النجاشي وقد افتتح خيبر ، فتلقاه واعتقه وقبل عينه ، وقال : بأبي أنت وأمي . ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أو بقدم جعفر ؟ ))<sup>(٢٦)</sup>.

فالبنية في الخبر بنية بسيطة غير مركبة ، تتقل لنا حدث موحد عكس البنية المركبة التي تقوم على تراكم الأحداث ، وتداخلها بطرق عدة كذلك البناء السردية في البنية البسيط لا يقوم على الانسجام التام والتفاعل بين مكوناته ، فالشخصيات في الأغلب لا تؤدي وظيفة كبيرة والاحداث واضحة ، ومن ذلك نستنتج أن البساطة التي يتميز بها الخبر تفرزها بلاغة الإيجاز في السرد والانتقال السريع بين الأدوات السردية التي تربط البداية بالنهاية فالخبر البسيط جاء في هذه الحادثة حول فرحة الرسول صلى الله عليه وسلم بين سروره المنتقل والمتحول من فتح خيبر وقدم جعفر ، فدل الحدث على بنية تحويلية قائمة على حدث واحد وإذا عرفنا هذا البناء ننقل إلى البنية المركبة التي تكون أكثر تقدماً على مستوى البناء ، إذن فالخبر البسيط

قائم على سردية واحدة ، أو حدث رئيسي أو واقعة تاريخية ، كما يمكن أن يكون بنية تحويلية من حدث إلى آخر أو سردية تقابلية بين حدثين ، فكل ما تقدّم واقع بحدث بسيط واحد نقله لنا الراوي . ويتم سرد بنية الخبر البسيط (( وفق توالد حكايتي أفقي وهو البناء الذي يلحق البنيتين الحكائيتين بالانتقال من بنية الخبر البسيطة إلى بنية الحكاية المركبة ))<sup>(٢٧)</sup> . توصل سعيد جبار إلى فكرة هي أن هذا الانتقال بين تلك البنيتين يتم (( عبر ادماج التفاصيل الحكائية للحدث الواحد وتقريبه بتوسيع النسق الحكائي وهو ما ينتج التنوع والتعدد على مستوى البنية السردية في مكوناتها المختلفة ففي مقابل الصيغة ووحدة الصوت السردية المهمين في خطاب الخبر البنية السردية البسيطة ، (( تصادف تنوعاً صيغياً بإدماج الخطاب المعروض بقوة ))<sup>(٢٨)</sup> . وذلك بإسهام شخصيات فاعلة ، يتم بها تطوير الحدث ، فتمتاز هذه البنية الخيرية المركبة باشتغال خطاب الأحداث إلى جانب خطاب الأقوال على حد تعبير جبار جنيت<sup>(٢٩)</sup> . إن الخبر البسيط يتميز من الخبر المركب بوحدة الحدث ، وتكون أحداثه غالباً خارج عنصر الفضاء والزمن الذي يغيب لجعل الحدث مفرداً يهتم بوصف عوالم ممكنة وشخصية عامة وعادية كما تقدّم الفضاء صفة العام في خصوصية الخبر أو الحدث الذي يكون خارج ملامح تلك الفضاءات وهذا ما يميز خطاب الخبر من باقي الخطابات الأخرى ، منها خطاب الحكاية وذلك يتجلى في خصائص الخبر الأربعة ، التي ذكرها سعيد جبار وبالأخص خاصية الواقع الدافع إلى التفكير وهذه الخاصية التي يتميز بها الخبر البسيط هي ما يجعل مسار التوالد السردية ينقل من البسيط الأولي إلى ذلك المركب المتولد أو المتفرع عنه .

## ٢- البنية المركبة ( الخبر ) :

تقوم البنية المركبة على التركيب الذي ينشأ من تكرار لبنية بسيطة واحدة ، أو على نظام التسلسل الذي يتمثل في مجرد رصف حكايتين أو أكثر ومجاورتها . فبعد الانتهاء من الحكاية الأولى يتم الشروع في الحكاية الثانية<sup>(٣٠)</sup> . ويُسَمَّ أحياناً تضافر لحظات سردية عدة في التشكل البنائي للخبر، إذ تسمح طبيعة الخبر بهذا التشكل ؛ ذلك أن الخبر بنية بسيطة مفتوحة يمكن أن توسّع وتركّب وتتعدّد، لِنتج أخباراً مركبة على أن البنية المركبة للأخبار لا تقتصر على التآليف بين البنى البسيطة، وإنما نجد بني أخرى أهمها بنية الخبر المركب وهو (( وهو ادخال قصة في قصة أخرى ))<sup>(٣١)</sup> . الذي يأتي فيه خبر داخل خبر آخر ، فالخبر الأول يمثل إطاراً بالنسبة إلى الخبر الثاني . ويسمى الخبر الأول الإطار ، والذي يأتي داخل الخبر الإطار المؤطر .

والتركيب من العلاقات التي تطرأ على الأخبار في سيرها الزمني (( وهي تظهر خاصة في طور نموّ الأخبار حيث سعى جامعوها إلى التآليف بينها في مساق واحد ، على نحو ما ظهر في عدد من قصص العشاق والشعراء والمغنيين ))<sup>(٣٢)</sup> . فالبنية البسيطة للخبر ليست ثابتة ، إذ لها أن تسفر عن بنيات مركبة إذا ما تضافرت بناها ورصفت مع بعضها في ضمن علاقات محدّدة لذا قد يكون هذا التركيب متشكلاً ضمن بنيتين ، الأولى : بنية التضمين التي تتمثل في إدراج خبر مستقل في خبر آخر لسبب من الأسباب ، نحو وحدة الشخصية ، أو تقارب المواضيع ، أو غير ذلك ))<sup>(٣٣)</sup> . والثانية : بنية النظم ، وهي ناشئة عن حوادث متعددة منفصلة يجمع بينها سياق مخصوص<sup>(٣٤)</sup> . وأن التحول من البسيط إلى المركب في الخبر يتم من خلال تراكم في مستوى الأحداث من جهة وفي التقنيات المختلفة التي يتم عن طريقها توسيع البنية الحكائية للخبر من جهة أخرى إلا أن هذا التراكم (( لا يعني التوظيف المجاني بهدف الاطناب أو التطويل لإثارة القارئ كما يزعم البعض ، أن الراوي وهو ينتقل في الزمان والفضاء ينقلنا من حدث إلى آخر مختلف تماماً... وهو في كل هذه الحالات يمسك خيط الحكيم بمهارة وصرامة ))<sup>(٣٥)</sup> . وإن ذلك التركيب من شأنه

أن يعطي الخبرَ المركبَ طابعاً حكايتياً قائماً على تراكمية الوحدات السردية البسيطة في ضمن سياق مخصوص للخبر الأدبي .

كما أن تراكب الأخبار أو تراكمها في سياق الخبر الواحد من شأنه أن يوسع من دائرة الأحداث ، وهو ما يدفع إلى بروز شخصيات أخرى تُؤدّي دورها في البنية السردية للخبر ، وقد يؤدي ذلك أيضاً إلى تنوع في الأمكنة والأزمنة مع احتفاظ الشخصية الرئيسة أو الحدث الرئيس بمقام الصدارة داخل البناء السردى للخبر المركب . لذا يرى شكولوفسكي أن بنية الخبر المركب هذه متصلة بالمكتوب ؛ وذلك لأن طول النص يحول دون السنة الشفوية ودون الربط المحكم بين مختلف أجزائه <sup>(٣٦)</sup> . وهذا الرأي قد يكون موفقاً على الوحدات الحكائية الكبرى أي ذات البناء المركب والمعقد جداً ، فإن (( المعيار المعتمد في تصنيف المتون السردية هو الزمان ، وصور توالي الأحداث فيه من ناحية ترتيبها متعاقبة أو متداخلة أو متوازية أو متكررة )) <sup>(٣٧)</sup> .

ولذا شاع هذا النوع من الخبر المركب أو القصة داخل القصة كما يسميها جيرار جنيت وتودوروف في الحكايات الشعبية والقصص القديمة وفي تلك التي تنتقل شفاهة ، ومن الأمثل على ذلك (ألف ليلة وليلة) ، فداخل الحكاية الاصلية مجموعة حكايات ، ومن هذه الأخيرة تتولد حكايات أخرى وهكذا <sup>(٣٨)</sup> . وكذلك البنية الحكائية المركبة ، لا يمكن تفسيرها بطريقة موحدة ، فهي تستمد تصوراتها من مراحل حضارية مختلفة أشد الاختلاف ومن مجالات حياة متميزة ، ثم هي تعيد تشكيلها <sup>(٣٩)</sup> . ويرى سعيد جبار أن الخبر المركب فهو ذلك التمازج بين المسار الأفقي والعمودي معاً ، إذ ينمو الخبر المركب وفق تعدد الشخصيات ، وبالتالي تعدد الأحداث وتطورها في أمكنة وفضاءات متنوعة ، ذلك ما يضمن تعالفاً في الوظائف ، وهو المرور من وظيفة إلى وظيفة أخرى تكون متفرعة ومتضمنة مشكلة بذلك بناء عمل حكايتي الذي يصير بنية كبرى داخل النص الحكائي <sup>(٤٠)</sup> . ومن نماذج الخبر المركب الخبر الذي أورده الزمخشري عن حادث بشير الرحال و مطر الوراق والذي يقول فيه : (( أتى المنصور ببشير الرحال ، ومطر الوراق ، مكبلين ، وقد كانا خرجا مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فقال لبشير : أنت القائل أجد في قلبي غمّاً لا يذهبه إلا برد عدل أو حرّسنان ؟ قال : نعم ، قال : فو الله لأذيقنك حرّاً سنان يشيب منه رأسك ، قال : إذن اصبر صبراً يذل به سلطانك . فقطعت يده فما قطب ولا تحلح . وقال لمطر : يا ابن الزانية ، قال : إنك تعلم أنها خير من سلامة ، قال : يا أحمق ! قال : ذاك من باع آخرته بدنياه فرمى به من سطح فمات )) <sup>(٤١)</sup> .

يقوم هذا الخبر على أساس التتابع الحدتي ( كانا خرجا مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فو الله لأذيقنك حرّاً سنان يشيب منه رأسك ، فقطعت يده فما قطب ولا تحلح ، فرمى به من سطح فمات ) ، وهذا التتابع تسبقه مقدمة حديثه ثمهد القول له ( أتى المنصور ببشير الرحال ومطر الوراق ، مكبلين ) ، يمكن أن تُعدّ تأطيراً زمنياً للخبر ، كما يوضح التأطير المكاني الدقيق للخبر ( آخرته بدنياه ، فرمى به من سطح ) ، وكذلك لا يخفى على قارئ الخبر تعدد شخصياته ( المنصور ، بشير الرحال ، مطر الوراق ، إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ) ، وما دارَ بينهم من حوار ، وبذلك تعاضدت هذه العناصر السردية على بناء بنية خبرية مركبة تتقل القارئ عبر أحداثها وصولاً إلى نهاية الخبر . ونلاحظ شيئاً في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشري ، من أخبار قد تشكل تركيبياً على وفق بنية النظم التي جمعت بينها ، من ذلك في سياقه المخصوص مواقف رواها الزمخشري وكل وحدة سردية مستقلة منفصلة عن الأخرى بيد أن ما سمح بتضافرها تركيبياً سياقها المخصوص ، كمثل التركيب الذي كان بين أكثر من وحدة سردية مستقلة رواها الزمخشري ، إذ يقول في أحد أخباره : (( اجتمع الشعراء عند موت المهدي ، واندس بينهم

اسكاف فأنكروه فسألوه ، فقال : شاعر ، فاستنشده فقال : مات الخليفة أيها الثقلان ، فأعجبوا بمفتتح شعره ، فقالوا : تمر في المصراع الثاني ، فقال : فكأنني أفطرت في رمضان . فاستضحكوا منه ))<sup>(٤٢)</sup> . نجد في هذا الخبر السابق أن الراوي لا يكتفي بهذه المواقف ، بل يتابع سوق المواقف التي انتظمت إزاء النص السردي ، وهو ما أعطى التركيب الخبري طابعاً حكاياً (( وهذه الأفعال السردية تنتظم في سلاسل تكثر أو تقل حسب طول أو قصر الحكاية . بل كل سلسلة يشد أفعالها رباطاً زمنياً منطقياً ))<sup>(٤٣)</sup> . وقد تكون الوظيفة الخبرية التي يسعى إلى تحقيقها الراوي من دواعي التركيب الخبري ، وعلى قدر اتساع مروياته يتسع الخبر الناتج عنها<sup>(٤٤)</sup> .

وبذلك التركيب الخبري صورة الإجمال والتفصيل ، فيذكر الخبر مجملاً ، إذ يسوقنا الزمخشري في أحد أخباره : (( هجت ابن أبي عتيق امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية بقولها :

**ذهب الإله بما تعيش به وقمرت ليك أيماً قمر  
أنفقت مالك غير محتشم في خدر زانية وفي خمر**

فكتب البيهقي في رقعة وأراها ابن عمر . فاسترجع ، لما رآها ، فقال : والله لو رأيت قائلها لأعلن به . فأخذ ابن عمر أفكلاً وأربد ، ولونه وقال : مالك غضب الله عليك ! ))<sup>(٤٥)</sup> . يمثل هذا الخبر حكاية الاطار ، ولكي تبرز شخصية عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية من خلال فعلها في هجاء زوجها ابن أبي عتيق ، يتم فيه قطع الخبر ، وتبدأ حكاية أخرى تبرر هذا الفعل (( فلما كان بعد أيام لقيه ، فأعرض عنه ، فقال : بالقبر ومن فيه ألا سمعت كلامي فتحوب ووقف معرضاً عنه ، فقال : علم أبا عبد الرحمن أنني فعلت بقائل ذلك الشعر فصعق عبد الله ولبط به . فدنا من أنه وقال : إنها امرأتي . فقام ابن عمر وقبل ما بين عينيه ))<sup>(٤٦)</sup> .

لذا نجد العلاقة بين هذين الخبرين أو الحكايتين هي علاقة تعليلية وسببية للفعل الذي قامت به شخصية عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية داخل الخبر الأول ، مما دفع هذه الشخصية تبرير موقفها أو سلوكها في هجاء زوجها ابن أبي عتيق ، ويتخذ هذا الاقتناع والتبرير شكل خبر مؤطر لكي يستعمله الخبر الاطار حجة على وجهة السلوك وسلامة الموقف وسداد الراوي وإقناع المروي له / المثقفي بحسن ذلك الفعل والاختيار<sup>(٤٧)</sup> . كما أن أهمية الخبر المؤطر هنا يفوق الخبر الاطار أي الخبر الأول والحكاية الابتدائية التي بدأتها عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية التي بقيت نفسيها خارج الخبر خلافاً إلى شخصية ابن أبي عتيق الذي استعان بشخصية ابن عمر وقبلة ما بين عينيه ، وكان أيضاً داخل الحكاية المؤطر ومشاركاً فيها .

أن التركيب على مستوى الأحداث يسايره تركيب على مستوى الخطاب ، إذ يفسح الراوي الخارجي المجال لشخصيات خبره تقديم خطابها المباشر كما يتجلى في الخبر التالي : (( أراد عمر أن يعزل المغيرة بن شعبة عن العراق بجبير بن مطعم وأن يكتنم ذلك . وأمره بالجهاز فأحس بذلك المغيرة ، فأمر جليسا له أن يدس امرأته ، وكانت تسمى لقاطة الحصى ، لتدور في المنازل حتى دخلت منزل جبير بن مطعم ، فوجدت امرأته تصلح أمره ، فقالت : إلى أين يخرج زوجك ؟ قالت : إلى العمرة . قالت : كتمك ، ولو كانت لك عنده منزلة لأعلمك . فجلست متغضبة ، فدخل عليها جبير وهي كذلك ، فلم تزل به حتى أخبرها ، وأخبرت لقاطة الحصى ، ودخل المغيرة على عمر فقال : بارك الله لأمير المؤمنين في رأيه وتوليته جبيراً . فقال : كأنني بك يا مغيرة فعلت كذا ، فقص عليه الأمر كأنما شاهده ، وقال : أنشدك الله هل كان كذلك ؟ قال : اللهم نعم . ثم صعد المنبر فقال : أيها الناس من يدلني على المخلط المزيل نسيح وحده ؟ فقام المغيرة فقال : ما يعرف ذلك في أمتك أحد غيرك . فولاه ، ولم يزل والي العراق حتى طعن عمر ))<sup>(٤٨)</sup> .

يتألف هذا الخبر من جملة من الأحداث المختلفة والتي تحكمها علاقة تعليلية وسببية كما يمكن أن يلمح فيه القارئ / المتلقي تعدد الشخصيات ( عمر ، المغيرة ، جبير بن مطعم ) ، ودخول شخصيات جديدة على طول الامتداد الخبري ( الجليس ، لقاظة الحصى ، امرأة جبير ) بالإضافة إلى تغيير الأمكنة وتوالي الأزمنة ، وهي مؤشرات على تركيب الخبر . يضاف إلى ذلك اعتماد الراوي على الرؤية من الخلف ، واعطاء شخصياته قابلية أكثر على الحركة والتفاعل السردي عبر الحوار الذي يعطي الشخصيات الحرية في التعبير عن نفسها وتبرير العمل الذي تقوم به . وغالباً ما تحتوي الأخبار الإطار على أخبار مؤطرة قائمة على السرد التنبئي الذي تقوم به إحدى الشخصيات الرئيسية في الخبر، و (( يقدم على أنه سابق للوقائع فهو لا يذكر ما حدث وإنما يروي ما سيحدث بعد زمن قصير أو طويل من لحظة السرد ))<sup>(٤٩)</sup>.

لذا يتم قطع الخبر الإطار عن الحكى بواسطة هذا النوع من السرد ، مثل (( رفعت قصص إلى المهدي فإذا قصة مكتوب عليها قصة صاحب السمكة . فقال : ما هي ؟ فقال الربيع : بينا أبوك مشرفاً على دجلة إذ بصر بملاح صاد سمكة ، فوجه إليه خادماً له يشتريها ، فاستامها بدينار فأبى ، وباعها من تاجر باثني عشر درهماً . فاستحضر التاجر وقد سوى السمكة فأخذها منه وأكلها وقال : لو لم يكن معك مال لما اشتريت سمكة باثني عشر درهماً . وأمر خادمه بأن يذهب إلى منزله ويحمل ما أصاب في صناديقه . فجاء ببدرتين ، فقال : أنا رجل معيل و علي مؤونة . فأعطاه منها أربعمائة درهم يتعيش بها ))<sup>(٥٠)</sup>.

وبعد ذلك تقوم شخصية المهدي بسرد تنبئي سابق للمروي (( فأمر المهدي أن تطلب البدرتان في بيت المال ، فجاء بهما مكتوب عليهما مال صاحب السمكة ، فقال المهدي : اجعل أبي في ، حل فإنه كان مسرفاً على نفسه ، وخذ المال ))<sup>(٥١)</sup>. فهذا السرد الذي قام به المهدي بدافع من الراوي الأول هو سرد تنبئي ومجاله (( النبوءات والاحلام وقصص نهايات الكون والتنجيم واجابات الكهنة عن استشارات البشر ... تمثل استباقاً لما سيحدث في حياة الشخصية الرئيسية . فهي وسيلة إلى الاعلام بما سوف تلقاه الشخصية في الحياة الآخرة ))<sup>(٥٢)</sup>. وهذا ما نجده في حياة الدنيا مثل ما قامت به شخصية المهدي ، والسبب الذي دفعة إلى معرفة قصة صاحب السمكة التي أراد أبوه أن يشتريها من الملاح الذي صاد السمكة ، وهذا ما جعل جبرار جنيت يرى أن السرد التنبئي لا يظهر (( الا في المستوى الثاني من السرد ، إذ تكون إحدى شخصيات القصة هي المتنبئة بما سيحدث . وهو ما يعني أن الحكايات التنبئية المضمّنة لا تكتسب صفتها السردية التنبئية إلا في علاقتها بالمستوى السردى المباشر الذي يجتمع فيه الراوي المتنبئ وهو شخصية من شخصيات القصة ، والمروي له المستمع اليه في زمن محدد، وهو شخصية قصصية أيضاً أما الراوي في المستوى الأول من السرد فهو يروي قصة النبوءة ويروي الأحداث اللاحقة التي قد تؤكد تحققها أو عدم تحققها ))<sup>(٥٣)</sup>. ومثل الخبر السابق خبر آخر يقوم أيضاً على السرد التنبئي الذي يأتي داخل الخبر الاطار، وهو لما عزم الحجاج في منامه أن عينيه قلعتا ، فقد رأى شيئاً يحدث له في المستقبل إن فعل ذلك حتى جاءه نعي محمد أخيه يوم مات ابنه محمد . إذ يقول الخبر : (( رأى الحجاج في منامه أن عينيه قلعتا فطلق هند بنت المهلب و هند بنت أسماء بن خارجة . فلم ينشب أن جاءه نعي محمد أخيه يوم مات ابنه محمد . فقال : والله هذا تأويل رؤياي من قبل ، إن الله وإنا إليه راجعون محمد ومحمد في يوم واحد ! ثم أنشأ يقول :

حسبي حياة الله من كل ميت وحسبي بقاء الله من كل هالك ))<sup>(٥٤)</sup>.

يقدم لنا هذا الخبر خبراً تنبئياً إطارياً يفتحه الراوي بصوت خارجي ينقل ما دار من أحداث تأويلية عبر رؤية الحجاج في منامه أن عينيه قلعتا . وهنا تتمثل الانطلاقة لسرد خبر تنبئي وفي نفس الوقت يكون خبراً ضمناً يتحول فيه الراوي إلى شخصية مشاركة تبدأ بسرد أحداث دارت ما بين عدد من الشخصيات منها،)

طلق هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة ) ، ( جاءه نعي محمد أخيه يوم مات ابنه محمد ) . وفي هذه النقطة تتم العودة إلى الخبر الأساس فيواصل الحجاج حديثه في تأويل رؤيته ، وبهذا يمكن القول أن الخبر الاطاري قد انقسم إلى قسمين أحتمل الأول بداية النص ليكون مههداً لإيراد الخبر المضمن ، أما الثاني فقد جاء في النهاية معلناً عن نهاية الخبر الأساس ، وكذلك تتضح بنية التسلسل فهي حكاية تتكون من خمسة أخبار يتبع بعضها بعضاً تتابعاً تسلسلياً ، وبمجرد ما تنتهي الوحدة الأولى تبدأ الوحدة الثانية وهكذا حتى نهاية الخبر الذي يُعدّ من الاخبار الطويلة في الكتاب ، والجامع بين هذه الوحدات هي القصيدة التي كانت أشبه بالشخصية داخل الحكاية<sup>(٥٥)</sup> . وبناء التسلسل قد يقوم على الجمع بين حكايتين متشابهتين مثل ما روي الزمخشري ، إذ يقول : (( سرق رجل من مجلس أنو شروان جام ذهب ، وهو يراه فلما فقده الشراي قال : والله لا يخرج أحد حتى يفتش ، فقال أنو شروان : لا تعرضن لأحد فقد أخذه من لا يرده ورأه من لا ينم عليه . وسرق رجل من مجلس معاوية كيس دنانير وهو يراه ، فقال الخازن : قد نقص من المال كيس دنانير ، فقال : صدقت ، وأنا صاحبه وهو محسوب لك ))<sup>(٥٦)</sup> .

فالمتابع للحدث يرى أن الراوي قد ساق حادتين متشابهتين واحدة حصلت في زمن كسرى والأخرى في زمن معاوية ، والتشابه بينهما هو العفو والرحمة نحو سارقهما ، فولد هذا التشابه خبر مركّب قائم على حدثين متشابهين . ومن ذلك أيضاً يسوقنا الزمخشري ، إذ يقول : (( كان في زمن بني إسرائيل جارية متعبدة تسمى سوسن ، تخرج إلى مصلى يليه شيخان ، وكان بجانبه بستان تتوضأ فيه ، فعلقها الشيخان فراوداها عن نفسها ، فأبت ، فقالا : لنن لم تمكيننا من نفسك لنشهدن عليك بالزنا ؛ فقالت : الله كافي شركما . ففتح باب البستان وعيظا ، فعشيها الناس ، فقالا : وجدناها مع شاب يفجر بها وانفلت من أيدينا . وكانوا يقيمون الزاني للناس ثلاثة أيام ، ثم يُرجم . فأقاموها ، وكانا يدنوان منها يضعان يديهما على رأسها ، ويقولان : الحمد لله الذي أنزل لك نعمته . فلما أريد رجمها تبعهم دانيال ، وهو ابن ثنتي عشرة أول ما تنبأ ، فقال : لا تعجلوا ، أنا أقضي بينهم . فوضع له كرسي ، ففرق بين الشيخين ، وهو أول من فرق بين اليهود ، فقال لأحدهما : ما رأيت ؟ فذكر حديث الشاب ، فقال : أيّ مكان من البستان ؟ فقال : تحت الشجرة الكمثري . وسأل الآخر فقال : تحت الشجرة التفاح . وسوسن رافعة يديها تدعو بالإخلاص . فأنزل الله ناراً فأحرقت الشاهدين ، وأظهر براءتها ))<sup>(٥٧)</sup> .

فهذا الخبر ذو بنيتين أحدهما مرهونة بالأخرى ، الأولى ( كان في زمن بني إسرائيل جارية متعبدة ، تسمى سوسن ، تخرج إلى مصلى يليه شيخان ، وكان بجانبه بستان تتوضأ فيه فعلقها الشيخان ، فراوداها عن نفسها ، فأبت ، فقالا : لنن لم تمكيننا من نفسك لنشهدن عليك بالزنا ) وثانيهما ( فلما أريد رجمها تبعهم دانيال ، وهو ابن ثنتي عشرة أول ما تنبأ ، فقال : لا تعجلوا أنا أقضي بينهم فوضع له كرسي ، ففرق بين الشيخين ) ، وبذلك تصبح نافذة الحل مستحيلة عقلاً ووفقاً للسنن الطبيعية يأتي حل هذه الأحداث والافعال على يد الله بالتسلسل وسوسن رافعة يديها تدعو بالإخلاص ، ( فأنزل الله ناراً فأحرقت الشاهدين ، وأظهر براءتها ) ، وهذا الحل الثاني الذي أسهم مباشرة بالحل الأول فدلته عليه وهو يفرق بين اليهود فقال لأحدهما : ما رأيت ؟ ( فذكر حديث الشاب ، فقال : أيّ مكان من البستان ؟ فقال : تحت الشجرة الكمثري وسأل الآخر فقال : تحت الشجرة التفاح ) ، ونلاحظ هنا أن الحدث الأول أو العقدة الأولى جاءت حلها أخيراً عبر تنبأ دانيال وتفريقه بين الشيخين الذي جاء في بؤرة الأحداث والذي جاء حله أولاً ، ولو اتبع الراوي ترتيباً آخر في البناء لم يحصل هذا الحل فكل حدث مرتبط بعناق حل وموقوف عليه . ولكي يعود الحدث الرئيسي إلى حالة التوازن لا بد من أحداث شيء خارج العقل وخارق لقوانين الطبيعة ، وقد تمثل ذلك بإدخال سوسن الجارية كشخصية تعبيرية لأحداث الروي وتحولها من حالة الاتهام بالزنا والفجور إلى

حالة حرق الشاهدين وإظهار براعتها التي دفعت الاحداث نحو الحل عبر تتبأ دانيال ، يبقى أن الشخصية الرئيسية هنا هي الله ، فهو صاحب الحدث وهو أيضاً صاحب الحل ، وهذا يدخل في الأخبار الخارقة للطبيعة . كذلك خبر علي بن عيسى بن ماهان الذي جاء في " الباب التسعون " من الأخبار المتفرقة الذي تنشئ بنيته المركبة عن الجمع لبنى بسيطة متعددة ، فتكون بذلك وحدة حكاية مركبة في مستوى أحداثها ، ومكتفية في أفعالها ، إذ يقول الراوي : (( قدم علي بن عيسى بن ماهان على الرشيد من خراسان ، فسأله أن يركب مع خواصه إلى الميدان لينظر إلى هداياه . وقد أمر علي بكنس الميدان وفرشه بالأس والرياحين ، وأقام في أحد جانبيه أربعة آلاف غلام تركي ، وعليهم اللباس المرتفع والمناطق المعرقة بالفضة ، ويبد كل واحد شهري ، من فره ، الدواب ، كلها مجللة مبرقة بالديباج ، وعلى رأس كل غلام عمامة من جنس لباسه . وفي الجانب الآخر أربعة آلاف وصيفة تركية ، عليهن الديباج والمناطق المعرقة بالذهب ، مسبلات الشعور ، على كل واحدة تخت ، ثياب من الملح ، الفاخر وغيره . وقد بسط في صدر الميدان بسط عليها الأنطاع ، صبت عليها الأموال حتى صارت جبلاً عظيماً ، وبجذائها نوافج ، المسك مثلها . فلما رجع ( الرشيد ) فنزل قال : يا جعفر أين كنا عن هذه الأموال قال : يا أمير المؤمنين أسرك أن أخذ علي بن عيسى أموال الفقراء والأرامل وجاءك بها ناراً يتقرب بها إليك ؟ والله لتعلمن إذا وضحت الأمور أنك تستوخم فائدتها ، ولتفقن بدل كل درهم ديناراً . ثم لا تتجو . فقال موسى الهادي : عادلته الرشيد حين خرج إلى خراسان ، فتنفس تنفسه كادت نفسه تخرج ، ثم قال : لله جعفر بن يحيى ! وذكر كلمته ، وقال : كانت أقوى الأسباب في تغييرى ، للبرامكة . وقد والله أنفقت بدل كل درهم ديناراً ، وأراني لا أنجو )) (٥٨)

نجد في هذا الخبر السابق أن زمن الأحداث يسير على وفق وتيرة واحدة تقوم على البناء المتتابع عبر تولي (( سرد الأحداث الواحد تلو الآخر ، مع وجود رابط بينهما )) (٥٩) . وهذا البناء على مستوى الأحداث والزمان عرف بشكل واسع في القص التقليدي ، لذلك يرى ادوين موير أن (( أبسط شكل للقصص النثري هو قصة تحكي سلسلة من الأحداث )) (٦٠) . لذلك يقوم الراوي بتلخيص خمس وحدات سردية مع وحدة المنام ويلتزم التتابع في ذلك .

وكذلك تقوم الوحدات الخبرية البسيطة في هذا المروي على ما يمكن (( ببنية وهي تظهر في الأخبار التي تستهل بحالات وأفعال لا يبين الحافز عليها ولا السر فيها ، فهي تتطلق من وضع غامض أو مفارق للمألوف أو الواقع ، ثم لا تلبث أن تقدم لنا تفسيراً تؤول به السردية إلى الاستقرار )) (٦١) . فهي تظهر النتائج وتخفي الأسباب ، فكل فعل امر من هذه الأفعال لا يعرف المأمور به سببه أو علته ( أن يركب مع خواصه إلى الميدان ، لينظر إلى هداياه ، وقد أمر علي بكنس الميدان وفرشه بالأس والرياحين ، وأقام في أحد جانبيه أربعة آلاف غلام تركي ، وفي الجانب الآخر أربعة آلاف وصيفة تركية ، بسط في صدر الميدان بسط عليها الأنطاع ) ، وهذه هي النتائج أما السببية فهي تأتي بعد ذلك ، وتسمى هذه السببية غير الصريحة ، التي تجبر القارئ المضمحل إتمام العمل الذي امتنع الراوي عن القيام به ، وهي سببية ضرورية لإدراك العمل السردية (٦٢) . وكذلك نجد أن كل فعل داخل هذا المروي هو عبارة عن وحدة بسيطة فالوحدة الأولى هي (( قدم علي بن عيسى بن ماهان على الرشيد من خراسان ، فسأله أن يركب مع خواصه إلى الميدان لينظر إلى هداياه . وقد أمر علي بكنس الميدان وفرشه بالأس والرياحين ، وأقام في أحد جانبيه أربعة آلاف غلام تركي ، وعليهم اللباس المرتفع والمناطق المعرقة بالفضة ، ويبد كل واحد شهري ، من فره ، الدواب ، كلها مجللة مبرقة بالديباج ، وعلى رأس كل غلام عمامة من جنس لباسه . وفي الجانب الآخر أربعة آلاف وصيفة تركية ، عليهن الديباج والمناطق المعرقة بالذهب ، مسبلات الشعور على كل

واحدة تحت ، ثياب من الملح ، الفاخر وغيره . وقد بسط في صدر الميدان بسط عليها الأنطاع ، صبت عليها الأموال حتى صارت جبلاً عظيماً وبجذائها نوافج ، المسك مثلها )) ، فهذه بمفردها وحدة بسيطة وكذلك مع الوحدات الأخرى فكل منها تكاد تكون مستقلة بمفردها وعندما تنتظم ضمن تتابع الأفعال تنتج بنية ذات أفعال مترابطة ومرتبطة مع بعضها وهو ما يسميه حسين الواد " بالاستتباع " الذي يتمثل في وصل (( مقطوعة بأخرى على أن تكون علاقتها بالسابقة بمثابة علاقة النتيجة بالسبب ويستمد الاستتباع أهميته من هيمنة مبدأ النتيجة بالسبب ويقوم الاستتباع على وظائف المواد المكونة للنص ، فكل مادة تجد مكانتها في البناء الهيكلي النصي ؛ لأنه ستولد عنها مادة أخرى ، أو لأنها متولدة بدورها عن مادة سابقة لها )) (١٣). نجد في هذا المحور من تماسكها وترابطها تخلق منطق بنيتها الخاص الذي يتجلى في منطق توالي أحداثها في ترابطها وتماسكها وفي تحدده بنهاية هذه الأحداث التي تقوم على انفتاح الخبر البسيط كما يتم توسيع البنية الحكائية للخبر عن طريق هذا التراكم في الأحداث (١٤). فهناك تتابع زمني وتسلسل في الافعال ، إذ يتجلى التركيز بالدرجة الأساس على الأحداث وتسلسلها ، وهذا التتابع الزمني والتسلسل مرهون على التشكل الدلالي الكلي وهو تشكل دلالي يعمل على تغطية ما يمكن أن نسميه أيضاً بالبنية الدلالية الكبرى للنص (١٥). فمن خلال ذلك يتم فهم النص بوصفه مجموعة من الوحدات يكون بعضها بعض في سبيل إعطاء دلالة أوسع فالسرد سواء كان بسيطاً أو معقداً وسواء كان شفوياً أو مكتوباً ، فهو أوسع وأكثر من أن يكون مجرد تسلسل زمني للأحداث إذا لم يصاحبه التشكل الدلالي الكلي للوحدات السردية . ومن ذلك يمكن القول قبل كل شيء التفكير في الأحداث بغية تناولها في شكل دال واحد النسق التشكلي ، من خلال فعل حكم تأملي ، فلا بد من وجود معنى عاماً أو موضوعاً لما يقرأ أو يسمع ، ومن ذلك تكون الوظيفة المعرفية أساسية في معالجة أي خبر مهما كانت درجة تعقيده أو بساطته ، ومن دون ذلك سيتعذر علينا إقامة أي تلاحم في مقطع ذي جمل عدة (١٦). لذلك عندما نقوم بتجمع الوحدات الصغرى ، نفهم عن طريقها النص السردية حتى تصبح لدينا وحدات كبرى تُعدّ هي الأساس بالدخول إلى الدلالة الكلية للنص الخبري ، وكذلك التراكم السردية في الأحداث يمثل الأساس في بناء البنية المركبة وتشكلها ، فيرغب الراوي من مجموعة أحداث مع شخصياتها وحدة سردية مركبة ، وتقوم وظيفة الراوي هنا في تجميع هذه الأحداث المتفرقة وإيجاد منطق سردي لها ، ويضعها تحت نسق الزمن الصاعد الذي نجد فيه توازياً بين زمن القصة وزمن الخطاب فالأحداث تأتينا بالترتيب نفسه الذي وقعت فيه بعضها يتبع البعض الآخر وهذا من دون استرجاع أو استباق وتقطيع الأزمنة (١٧).

ويسوقنا الزمخشري إذ يقول : (( وجد شاب قتيل بظهر الطريق أيام عمر ، فلم يقدر على قتاله . فقال : اللهم أظفري بقاتله ، حتى إذا كان على رأس الحول وجد صبي ملقى بموضع القتيل ، فقال : ظفرت بدم القتيل إن شاء الله فدفعه إلى ظئر ، وقال لها : إن جاعتك امرأة تقبله وترحمه فأعلميني . فلما شب وطاب إذا هي بجارية قالت لها : إن سيدتي تطلب أن تذهبي به إليها ، ففعلت ، فضمته ، إلى صدرها وقبلته ، وتلك بنت شيخ من الانصار . فأخبرت عمر فاشتمل على سيفه وخرج إلى منزلها ، فوجد الشيخ متكئاً على باب داره فقال : ما فعلت ابنتك ؟ قال : جزاها الله تعالى خيراً ، هي من أعرف الناس بحق الله وحق أبيها وذلك من حسن صلاتها وحسن صيامها ، والقيام بدينها ، فقال : أحببت أن أزيدها رغبة ، فدخل واخرج من هناك وقال : اصدقيني خبر القتيل والصبي ، أو لأضربنك بالسيف ، وكان عمر لا يكذب فقالت : كانت عندي عجوز قد تأممتها ، فعرض لها سفر فقالت : لي بنت أحب أن أضمها إليك ، وكان لها ابن أمرد فجاءت به في هيئة الجارية ، وأنا أشعر . فمكث عندي ما شاء الله ، ثم اغتفني وأنا نائمة فلم أشعر به حتى خالطني ، فممدت يدي إلى شفرة فضربته وأمرت أن يلقي على الطريق وقد أني اشتملت منه على



هذا الصبي فألقينته حيث وجد . فقال : عمر صدقتني براك الله فيك ثم وعظها ودعا لها وخرج ، وقال للشيخ : براك الله لك في ابنتك ، فنعم البنت بنتك )) (٦٨).

وفي الأغلب تقوم هذه الأخبار على السرد التلخيصي ، التي تُركز على ذكر الأحداث فقط لذلك يمكن القول أن جميع المرويات السابقة إذا ما لاحظناها لا يذكر الراوي سوى الأحداث الأساسية التي يتكون منها الخبر، فقصّة وجود الشاب القتل بظهر الطريق أيام عمر جمع لنا الراوي مجموعة أحداث امتدت عبر زمان طويل عبر السرد التلخيصي ، وفي حكاية علي بن عيسى بن ماهان أيضاً ، فنحن نفهم هذا التراكم في الأحداث والرحلات التي قام بها علي بن عيسى بن ماهان نوع من تلخيص الحكاية . وهذا ما أعطى التركيب الخبري طابعاً حكاياً مما تنتظم الأفعال السردية في سلاسل تكثر أو تقل حسب طول أو قصر الحكاية ، بل كل سلسلة يشد أفعالها رباطاً زمنياً منطقي .

ونلاحظ هذا الأمر نفسه في حكاية الحجاج التي تعرض لنا من خلال تراكم الأحداث حتى نكاد لا نرى سوى الأحداث ، فهناك غياب كلي للحكايات المجملّة ، دون تفاصيل اقوال ومشاهد وصف على سبيل المثال ، إذ يتم سرد بضع فقرات أو صفحات لأحداث قد امتدت شهوراً (٦٩) . وهذا ما نجده في حكاية الشاب الذي وجد قتيلاً بظهر الطريق أيام عمر والتي كانت مليئة بالتفاصيل وردود الأفعال وما إلى ذلك . وقد تُسهّم تعليقات بعض الرواة التي تتخلل الأخبار في إعطاء الخبر طابعاً تركيبياً، يعمل على الربط بين الوحدات الخبرية . ومن ذلك ما جاء في المروي : (( كان مالك بن أنس إذا أراد أن يتحدث توضعاً ، وسرح لحيته وجلس في صدر مجلسه بوقار وهيبة ، تعظيماً لحديث رسول الله )) (٧٠) . ثم يعلّق عليه بقوله : (( ودخل إليه ليلة بعدما أوى إلى فراشة قريبه إسماعيل بن أبي أويس ، ليحدثه ، فقام وتوضاً وفعل نحو ذلك وحدثه . ثم نزع ثيابه وعاد إلى فراشة )) (٧١) . ثم يردف هذا التعليق بخبر مفاده أنه (( وأراد الرشيد أن يسمع منه الموطأ مع ابنه فاستخلى المجلس ، فقال : إن العلم إذا منع منه العامة لم ينتفع به الخاصة فأذن للناس فدخلوا )) (٧٢) .

وقد يتجلى التركيب الخبري على وفق تشكّل بنائي منسجم قائم على التوليف بين الوحدات السردية المختلفة التي ينظمها جامع موضوعي ، ذلك بأن يروى خبران أو أكثر تحت عنوان رئيس تُساق إزاءه الأخبار ، فيكون ذلك العنوان الرئيس موضوعاً جامعاً لجملة من الأخبار مختلفة الأسانيد متحدة الموضوع . من ذلك ما رواه الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار تحت عنوان ( ما روي عن طرفة النظام ) ، فساق بهذا الصدد خبرين منفصلين ، كان مسارهما حول الموضوع الرئيس وهو ، إذ يقول (( طرفة النظام ، مثل في المُعدِّ ، الذي يطوي البعيد في مدة يسيرة ، ومن مذهبه أن الجوهر ينتقل من المكان الأول إلى الثالث من غير أن يمر بالمكان الثاني )) (٧٣) . وقد تتراصف الوحدات السردية وتتعلّق فيما بينها ومع ذلك تُحافظ كل وحدة على استقلاليتها داخل التشكيل المركب الذي ينزع صوب البناء الحكاية ، إذ ترتبط الوحدات الخبرية مع بعضها البعض (( برباط نسقي خاص ، ويحيل السابق على اللاحق ، وتضمن للتحوّل والتوالي نسقيتها ومنطقيتها )) (٧٤) . ولكي تحافظ الحكاية على نسقيتها البنائية ، وانسيابها التشكلي فمن الملاحظ أن بعض الوحدات الخبرية المستقلة ضمن بنية الخبر المركب قد تنجح إلى تقليص سلسلة السند الخبري ، وربما باثرتنا المتن الخبري برسلاً على نحو ما أورده الراوي في الخبر الخاص ، إذ يقول : (( قيل لبعض العلماء : إن الناس يكثرون في أمر عمر بن عبد العزيز فقال : كان يقال : إن الثناء يضاعف كما تضاعف الحسنات )) (٧٥) . لذلك نرى تقلص الإسناد الخبري في بعض الوحدات فاكتفى الراوي بسند مختزل ( قيل ) أو ( فقال ) ، أو المباشرة بالحدث الخبري ( كان يقول ) ، ومما سبق يتضح أن التشكّل البنائي للخبر كان على صورتين ، إحداها : الخبر البسيط والأخرى : الخبر المركب .

فكان الخبر البسيط المفرد وحدة دلالية قائمة بذاتها على المستوى السردى، قد يقوم على القصر والإيجاز وهو اتجاه واسع في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشري. ومن صورته أن يقوم على حدث رئيس تتمحور حوله جملة من الأحداث وقد تأخذ الشخصية الرئيسة بزمام الأحداث داخل بنية الخبر، أو قد تنزوي الشخصية الرئيسة التي يساق بصدها الخبر، وتأخذ الشخصية الثانوية بزمام الأحداث داخل بنية الخبر. كما أن إجازة الخبر البسيط المفرد أحياناً سمحت له بأن يتضمن المفاصلة، أو النادرة أو الموقف المثير، أو المقولات القصيرة المتضمنة لمعاني حكيمية.

وقد تبين مما سبق أن الخبر المركب يقوم على تضافر عدة لحظات سردية يجمعها جامع ما كوحدة الشخصية، أو تقارب المضامين، ونحو ذلك؛ ولذا يتشكل الخبر تركيبياً على وفق نظم معينة، التي تعطي للخبر المركب طابعاً حكاثياً، ناشئاً عن تراكمية الوحدات السردية البسيطة في ضمن السياق المخصوص للخبر.

وأخيراً يخلص الكلام إلى القول بأن توظيف بنية التشكيل السردية بتجلياتها في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشري، لم يكن اعتباطياً ولا يعني تقوقاً ورجحاناً، بل أن هذه الأهمية ناجمة في الأساس (( عن الوظيفة التأطيرية أو الديكورالية التي يلعبها ))<sup>(٧٦)</sup>. لذلك كان توظيفاً واعياً يتم عن إحياءات ودلالات تعلن أهمية الزمان والمكان والبنية البسيطة والبنية المركبة في النص السردية. لذلك تبين من خلال تصنيف الخبر في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشري عن طريق بنية التشكيل السردية، إذ أن الزمخشري لون كتابه بالألوان شتى وأن المتلقي يجد ضالته ومبتغاه بين تلك الألوان، ومن هذا نجد أن الزمان في أخبار الزمخشري قد اعتمد على الزمن الطبيعي بنوعيه التاريخي والكوني ليحقق من ذلك صورة واضحة أمام المتلقي عن زمان وقوع الأحداث المهمة من حياة الشخصية المتفاعلة في هذه الأخبار، فقد كان للتقنيات الزمنية الحديثة حضور واضح في أخبار الزمخشري من خلال حركة السرد وترتيب أحداثها فقد أتبع الزمخشري في ترتيب سرده تقنياتي الاسترجاع والاستباق وكان للأول فيها الغالبية في الحضور أما فيما يخص حركة سرده فقد تراوحت بين السرعة والإبطاء إذ تم تسريعه بحذف الأحداث تارةً وبتلخيصها تارةً أخرى ثم تعطيله بالوصف والحوار.

وعلى الرغم من أهمية المكان في النصوص السردية إلا أن ما يحتل المكان من مساحة سردية في أخبار الزمخشري قليل جداً مقارنة بالعناصر السردية الأخرى، فلا يشغل مساحة واسعة إلا في بعض الحالات التي يراد بها وصف الإشارة إلى شخصية ما أو التعريف بها كما نلاحظ تعدد الأماكن في أخبار الزمخشري فمنها ما كان أليفاً ومعادياً أو مفتوحاً ومغلقاً أو مكاناً عجائبياً، ولكل منها دلالات مختلفة تعلن عن أهميتها وتأثيرها في النص الخبري. وكذلك نلاحظ الخبر في النصوص السردية وحدة مستقلة سواء أكان بسيطاً أو مركباً، وأن هذا التركيب لا يؤدي إلى التعقيد أو يأتي بغية الاطالة وإنما هو نتيجة طبيعة الخبر المنقول الذي يبين منهجية الزمخشري في تحريك سرده المتنوع باتجاه الغايات والمقاصد التي يريدها وتوظيف التقنيات اللازمة لذلك؛ تدل على قدرة فائقة تبرز واضحة في الأثر الذي تحدثه في المتلقي حين توصله إلى ما يريد أن يوصله إليه.

### الخلاصة:

تبين من خلال تصنيف الخبر في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار من حيث جماليات بنيته ومقاصده، أن الزمخشري لون كتابه بالألوان شتى وأن المتلقي يجد ضالته ومبتغاه بين تلك الألوان، فالخبر فيه وحدة مستقلة سواء أكان بسيطاً أو مركباً، وأن هذا التركيب لا يؤدي إلى التعقيد أو يأتي بغية الاطالة وإنما هو

نتيجة طبيعة الخبر المنقول . كما أن الخبر المسرود أيا كان نوعه ( واقعيًا ، عجيبيًا ، غريبًا ) ، يمكن السارد من أداء مقاصد متعددة منها داخلية لازمة ذات طابع تداولي ، ومنها طارئة يستدعيها الراوي فتظهر من لآخر .

أن منهجية الزمخشري في تحريك سرده المتنوع باتجاه الغايات والمقاصد التي يريدها وتوظيف التقنيات اللازمة لذلك ، تدل على قدرة فائقة تبرز واضحة في الأثر الذي تحدثه في المتلقي حين توصله إلى ما يريد أن يوصله إليه .

## الهوامش

- (١) - ينظر : الكلام والخبر ( مقدمة للسرد العربي ) ، سعيد يقطين : ١٩٥ .
- (٢) - معجم السرديات ، محمد القاضي وآخرون : ١٧٢ .
- (٣) - الخبر في الأدب العربي ، محمد القاضي : ٣٥٥ .
- (٤) - ينظر : م - ن : ٣٥٦ .
- (٥) - الخبر في السرد العربي الثوابت والمتغيرات ، د . سعيد جبار : ١١ .
- (٦) - معجم السرديات : ١٧١ - ١٧٢ .
- (٧) - ينظر : استراتيجية الخطاب في أخبار الثقلاء ( مقاربة تداولية ) ، صفيه حمادو ، ( رسالة ماجستير ) ، كلية الآداب واللغات - جامعة مولود معمري - تيزي وزو ، الجزائر ، ٢٠١٠ م : ١٥ .
- (٨) - التوالد السردية الألفي : قراءة في بعض أنساق النص التراثي ، د . سعيد جبار : ١١ .
- (٩) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، الزمخشري ، تح : عبد الأمير المهنا : ١ / ١٩٠ .
- \* زياد : هو زياد بن أبيه ، خطيب ، بليغ ، داهية ، أدرك النبي ( ص ) ، ولم يره . ألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤ هـ . توفي سنة ٥٣ هـ ، ينظر : لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تح ، عبد الفتاح أبو غدة : ٢ / ٤٩٣ .
- \* معقل بن يسار : هو معقل بن يسار بن عبد الله المزني ، صحابي أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان . في سنة وفاته خلاف ، قيل إنه توفي سنة ٦٥ هـ ، ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، العسقلاني : ٦ / ١٢٦ .
- (١٠) - م - ن : ٤ / ٢١٤ .
- (١١) - ينظر : الخبر والحكاية ، التشكل الدلالي في الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، د . بشرى قانت : ٩٣ .
- (١٢) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣ / ٣٠٥ ، ينظر : ديوان كثير عزة ، تح ، احسان عباس : ٣٩ .
- \* عاتكة : هي عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ، كانت أمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز ، تزوجها عبد الملك بن مروان وهي أم ولده يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي ، ينظر : الشعر والشعراء ، ابن قتيبة : ٤٢٤ .
- (١٣) - م - ن : ٤٢٥ .
- (١٤) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣ / ٣١٣ - ٣١٤ .
- \* أبو العيلاء : هو محمد بن القاسم بن خالد بن ياسر ، شاعر ، أديب ، من الظرفاء السريعي الجواب ، ولد بالأهواز سنة ١٩١ هـ . وتوفي بالبصرة سنة ٢٨٣ هـ ، ينظر : وفيات الأعيان ، بن خلكان : ١ / ٥٠٤ .
- (١٥) - ينظر : الخبر في الأدب العربي : ٣٥٦ .
- (١٦) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣ / ٣١ .
- \* أحمد بن عيسى العلوي : هو أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . ولد سنة ١٥٧ هـ بالمدينة ، نشأ فاضلاً عالماً بالدين والحديث . سجنه الرشيد وفر من سجنه واختبأ مدة عند محمد بن إبراهيم الإمام ببغداد ثم ذهب إلى البصرة ومات فيها سنة ٢٧٤ هـ . ينظر : مقاتل الطالبين ، لأبي الفرج الأصفهاني ، تح ، كاظم المظفر : ٤٠٨ .
- (١٧) - الخبر في الأدب العربي : ٣٥٥ .
- (١٨) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ / ١٢٨ .
- (١٩) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ١ / ٣٣٠ .
- \* إبراهيم بن السندي : إبراهيم بن السندي بن علي يحدث عن ابن المقرئ ، ومحمد بن زياد الزياتي كثير الحديث ، صاحب أصول ، ثقة توفي سنة ٣١٣ هـ ، ينظر : البيان والتبيين ، الجاحظ : ١ / ٣٣٥ .

- \*الحسن بن زياد اللؤلؤي ، مات سنة ٢٠٤ هـ . قال يحيى بن آدم : ما رأيت أفقه من الحسن بن زياد . وولي القضاء ثم استعفى عنه : ينظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي : ٤٩ .
- (٢٠) - م - ن : ٣٧٨ / ٢ .
- (٢١) - الخبر في الادب العربي : ٣٦٠ .
- (٢٢) - م - ن : ٣٦١ .
- (٢٣) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣ / ١٣١ - ١٣٢ ، ينظر : ديوان قيس بن الخطيم ، تح : إبراهيم السامرائي ، أحمد مطلوب : ١٩ .
- \*سائب خاثر : هو سائب بن يسار الليثي بالولاء . أبو جعفر ، أحد أئمة الغناء والتلحين في العرب . فارسي الأصل نشأ بالمدينة فاحترف التجارة وأثرى ، كان حسن الصوت حلو المعشر وهو أول من عمل العود بالمدينة ، ينظر : الأغاني ١/ ٦٢ .
- (٢٤) - ينظر : الخبر في الأدب العربي : ٣٦١ .
- (٢٥) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ / ٣٢٧ .
- \*الأعمش : هو سليمان بن مهران . ولد يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ بالكوفة . كان عالماً بالفرائض . قيل لم يُرَ السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره . توفي بالكوفة سنة ١٤٨ هـ ، ينظر : في تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، تح : د . بشار عواد معروف : ٩ / ٣٠ .
- (٢٦) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٤ / ٢٥١ .
- \*النجاشي : كلمة للأحباش تسمى بها ملوكها كما يسمي ملكهم قيصر والفرس كسرى وسمى ابن حجر النجاشي الذي لجأ إليه المسلمون في هجرتهم إلى الحبشة أصحابه ابن أبحر . أسلم على عهد النبي ( ص ) ولم يهاجر إليه وكان يحمي المسلمين ويدافع عنهم مات في عهد الرسول ( ص ) سنة ٩ هـ . وقال آخرون قيل الفتح ، ينظر : الإصابة : ١ / ١١٢ .
- (٢٧) - التوالد السردى الأفي : قراءة في بعض أنساق النص التراثي : ٨١ .
- (٢٨) - م - ن : ٨٣ .
- (٢٩) - ينظر : الأدب والغرابية ، دراسات بنيوية في الأدب العربي ، عبد الفتاح كيليطو : ٣٩ .
- (٣٠) - ينظر : طرائق تحليل السرد الأدبي ، مجموعة مقالات ، عبد الحميد عقار : ٥٦ .
- (٣١) - م - ن : ٥٦ .
- (٣٢) - معجم السرديات : ١٧٢ .
- (٣٣) - الخبر في الأدب العربي : ٤٩٣ .
- (٣٤) - ينظر : الخبر في الأدب العربي : ٣٦٦ .
- (٣٥) - قال الراوي ، النبيات الحكائية في السيرة الشعبية ، سعيد يفتين : ١٣ .
- (٣٦) - ينظر : الخبر في الأدب العربي : ٣٦٤ .
- (٣٧) - السردية العربية - من التواصل إلى التفاعل ، عبد الله إبراهيم : ١٩ .
- (٣٨) - ينظر : معجم السرديات : ٣٣٦ - ٣٣٨ .
- (٣٩) - ينظر : خزانة شهرزاد الأنواع السردية في ألف ليلة وليلة ، د . سعاد مسكين : ٢١١ .
- (٤٠) - ينظر : الخبر في السرد العربي ، الثوابت والمتغيرات : ١٣٢ .
- (٤١) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣ / ١٥٦ .
- \*مطر الوراق : مطر بن طهمان الوراق . كان من رواة الحديث ، عدّه ابن سعد في الطبقة الرابعة من البصريين ، ينظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تح ، علي محمد البجاوي : ٤ / ١٢٦ .
- \*تحلحل : تحرك . وسلامة : هي أم أبي جعفر المنصور وهي جارية بربرية .
- (٤٢) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ / ٢٢٠ .
- \*الثقلان : هما الإنس والجن .
- (٤٣) - في معرفة النص ، دراسات في النقد الأدبي ، د . حكمت صباغ الخطيب ، يمني العيد : ٦٨ .
- (٤٤) - في أدبنا القصصي المعاصر ، شجاع مسلم : ١٢٨ .
- (٤٥) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ / ١١٩ - ١٢٠ .

- \*ابن أبي عتيق : هو عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق . حجازي من أهل المدينة قضى الشطر الأكبر من حياته في عصر بني وغلبت كنية أبيه على اسمه فعُرف لدى القدماء والمحدثين باسم : ابن ابي عتيق . كان من نبلاء قريش وكان مشهوراً له بالفضل والنسك والصلاح والعفاف والشرف كما كان مشهوراً بالظرف والدعابة وحلاوة الفكاهة والميل إلى اللهو والمزاح والغزل : م - ن : ١١٩ .
- \*أريد لونه : تغير واصبح بلون الريدة وهي الغبرة .  
(٤٦) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ١٢٠ / ٥ .  
(٤٧) - ينظر : معجم السرديات : ٣٣٨ .  
(٤٨) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٢٠٠ / ٥ .  
(٤٩) - معجم السرديات : ٣٢٥ .  
(٥٠) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣٢٥ / ٣ .  
\*البدر : الكيس توضع فيه الدراهم ( عشرة آلاف درهم ) .  
(٥١) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣٢٥ / ٣ .  
(٥٢) - معجم السرديات : ٣٢٥ .  
(٥٣) - م - ن : ٣٢٦ .  
(٥٤) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ١٤١ / ٥ ، ينظر : الأغاني ١٦٤ / ٧ .  
(٥٥) - ينظر : خزائن شهرزاد والأنواع السردية في ألف ليلة وليلة : ٨٩ .  
(٥٦) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ١٤٨ / ٤ - ١٤٩ .  
\*جام ذهب : كأس من ذهب .  
(٥٧) - م - ن : ٤٢٥ / ٣ - ٤٢٦ .  
(٥٨) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣٢٢ / ٥ - ٣٢٢ .  
(٥٩) - الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا ، إبراهيم جنداري : ٧٣ .  
(٦٠) - بناء الرواية ، ادوين موير : ١٢ .  
(٦١) - الخبر في الأدب العربي : ٣٦١ .  
(٦٢) - ينظر : الشعرية ، تزفيتان تودوروف ، تر ، شكري المبخوت ، ورجاء سلامة : ٦٣ .  
(٦٣) - البنية القصصية في رسالة الغفران ، حسين الواد : ٤٩ .  
(٦٤) - ينظر : الراوي الموقع والشكل بحث في السرد الروائي ، يمني العيد : ٥٥ .  
(٦٥) - ينظر : السرد ، جون ميشيل ادم ، تر ، احمد الودرني : ٣٢ .  
(٦٦) - ينظر : م - ن : ٣٢ .  
(٦٧) - ينظر : الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة ، مورييس أبو ناصر : ٨٨ .  
(٦٨) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ١٣٧ / ٤ - ١٣٨ .  
\*الظئر هنا المرضعة : وقد تأتي بمعنى العاطفة على ولد الغير .  
\*المخالطة : المخالطة هنا معناها النكاح واشتملت منه حملت منه .  
(٦٩) - ينظر : خطاب الحكاية بحث في المنهج ، جبرار جنيت ، تر : محمد معتصم ، عبد الجليل الازدي : ١٠٩ .  
(٧٠) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٢٨ / ٤ .  
\*مالك بن أنس : هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي ، فقيه ومحدث مسلم ، وثاني الأمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة وصاحب المذهب المالكي في الفقه الاسلامي ، أشتهر بعلمه الغزير وقوة حفظه للحديث النبوي وثبته فيه ، وكان معروفاً بالصبر والذكاء توفي سنة ١٧٩ هـ ، ينظر : سير أعلام النبلاء : ٧ / ١٥٠ .  
\*إسماعيل بن أبي أويس : هو إسماعيل بن أبي أويس عبد الله بن عبد الله بن إدريس ابن مالك بن مالك بن أنس محدث مكثر من الحديث . مات سنة ٢٢٠ هـ ، ينظر : تهذيب التهذيب ، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني : ١ / ٣١٠ .  
(٧١) - م - ن : ٢٨ - ٢٩ .  
(٧٢) - م - ن : ٢٩ / ٤ .  
(٧٣) - م - ن : ١٠ / ٣ .

\*طفرة النظام : هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري . إمام المعتزلة توفي سنة ٢٣١ هـ، ينظر : تاريخ بغداد : ٦ / ٩٧ .

\*المُعَدَّ : المسرع .

(٧٤) - التوالد السردى ، قراءة في بعض أنساق النص التراثي : ١٨ .

(٧٥) - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ١٠٩ / ٥ .

(٧٦) - الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا : ١٧٢ .



## العتبات النصية في المجموعة الشعرية "ما غادره الموج وأطفاه الهديل" للشاعر حيدر عبد الخضر

أ. د. مصطفى لطيف عارف

الباحثة: هديل علي مزعل

جامعة ذي قار – كلية التربية للعلوم الانسانية

### المقدمة

تعد دراسة عتبات النص الشعري من الدراسات السيميائية المعاصرة، والتي لاقت اهتماماً كبيراً لدى النقاد والدارسين، حيث اهتمت السيميائية بكل ما يحيط بالنص الشعري من خلال المقاربة السيميائية لعتبات هذا النص، ولاسيما العتبة الرئيسية وهي عتبة العنوان، والتي تعد المفتاح السحري لاقتحام أعواد النص، وكذلك حيث اهتمامها بباقي العتبات.

وكان مجيء الناقد الفرنسي (جيرار جنيت) الانطلاقة الأولى لدراسة (العتبات النصية) ولم يتوقف الاعتناء بهذه العتبات عند النقاد فحسب، بل تجاوزهم إلى المؤلفين الذين باتوا يعتدون بإخراج كتبهم، واختيار عنواناتها، وتعميق اهداءات نصوصها وتصديرتها.... وكل ذلك يتم عن وعي وقصد من الكاتب في بعض العتبات.

يهتم هذا البحث في دراسة عتبات النص الشعري عند الشاعر حيدر عبد الخضر من خلال مجموعته الشعرية (ما غادره الموج وأطفاه الهديل) حيث يقف هذا البحث على مظاهر حداثة الشعر متمثلة في عتبة العنوان وتعالقها بالنص الأدبي فضلاً عن العتبات النصية الأخرى.

### الباحث

#### العتبة لغة:

إذا اردنا تناول أي مفردة لا بد من الرجوع إلى معناها اللغوي بوصفه المرجعية الأولى لها، وقد وردت مفردة العتبة في معجم لسان العرب تحت معانٍ عديدةٍ منها: العتبة:

اسكفة الباب التي توطأ

وقيل: العتبة العليا.

والخشبة التي فوق الاعلى: الحاجب، والاسكفة: السفلى.

والعارضتان: العضادتان،

والجمع: عتَبٌ وعتبان، والعتبُ: الدرجُ.

وعتَبَ عتبةً: اتخذها. وعتبُ الدرج: مراقبها اذا كانت من خشب وكل مرقاةٍ منها عتبةٌ<sup>(١)</sup>.

العتبة اصطلاحاً

اصبح موضوع العتبات النصية اليوم التي شغلت أهمية بالغة في الدراسات الأدبية و النقدية على حد سواء، لانه بدأ ينظر إليه بوصفه جزءاً لا يتجزأ من العمل الإبداعي أو القيمة الإبداعية المتكاملة للنص الإبداعي، لذلك لم تكن النصوص لتدرس بمعزل عما حولها من هوامش ومقدمات واهداءات وصور وغيرها من

العتبات النصية التي أصبحت مفاتيح مهمة تساعد القارئ على اقتحام النصوص والولوج إلى أعماقها، وذلك بوصفها أدلة يسترشد بها القارئ، ويستطيع عن طريقها التأويل وأخذ فكرة عامة عن النص، لذلك أن العلاقة بين النصوص هي علاقة جدلية أي أن النصوص لا يمكن أن تدرس بمعزل عنها، وكذلك هي لا يمكن أن يكون لها أي أهمية لولا وجود النصوص<sup>(٢)</sup>.

لذا يرى (جيرار جينيت) أن النص نادراً ما يظهر عادياً مما يحيط به من عتبات، تعمل على إنتاج معناه ودلالته.

إذن هذه العتبات هي تماثل عتبة البيت ولا تقل عنها أهمية، فكما أن البيت لا يمكن الدخول إليه إلا من خلال المرور بعته بعتبته كذلك النص لا يمكن قرأته وفهمه إلا عن طريق هذه العتبات. ويرجع الفضل في ظهور العتبات والاهتمام بها إلى الغرب، إذ ظهر جمع من النقاد والدارسين اللذين وجهوا بوصلة اهتمامهم إلى موضوع العتبات النصية، وهم كل من (دوشي وجيرار جينيت وهنري متران وليوهوك)، ويرجع الفضل الأكبر في بزوغ هذا العلم وتطوره إلى الناقد (جيرار جينيت) ولا سيما في كتابه (اطراس، وعتبات).

والعتبات النصية عنده هي "تمط من أنماط المتعاليات النصية، والشعرية عامة يتشكل من رابطة هي عموماً أقل ظهوراً وأكثر بعداً من المجموع الذي يشكله عمل أدبي"<sup>(٣)</sup>

والعتبات النصية عند (سعيد يقطين) هي: تلك التي تأتي على شكل هوامش نصية للنص الاصل بهدف التوضيح أو التعليق أو إشارة الالتباس الوارد وهذه المناصصات خارجية ويمكن أن تكون داخلية غالباً. إذن فالعتبات النصية هي مجموع النصوص التي تحفز المتن وتحيط به من عنوانات وأسماء المؤلفين والإهداءات والمقدمات والخاتمات والفهارس والحواشي وكل بيانات النشر التي توجد على صفحة غلاف الكتاب وعلى ظهره<sup>(٤)</sup>.

## الفصل الأول

### أولى العتبات

#### المبحث الأول: عتبة اللوحة

تعد الصورة من أبرز من يغمرونا في حياتنا اليومية، إذ لا يخلو أي فن منها، وعند دراستنا للفن الموضوعي تحضرنا ثلاثة عناصر هي:

**العنصر الأول:** رمز محسوس خلقه الفنان.

**العنصر الثاني:** معنى (الموضوع الجمالي) بارتباطه مع الوعي الجمالي.

**العنصر الثالث:** علاقة تربط بين العلاقة والشئ المشار إليه و تحيل هذه العلاقة على السياق الكلي للظواهر الاجتماعية<sup>(٥)</sup>.

أن اللوحة بنوعها لوحة الغلاف واللوحة الداخلية هي الأيقونة الأبرز في أولى العتبات فهي علامة دالة تستقبل ضمن انساق تتفاعل فيها اللغة واللون والحركة والقصد العام لهذه العلامة، أي اللوحة<sup>(٦)</sup>.

فلا بد من التعامل -إذن- مع لوحة الغلاف من دون إغفال عنصر (اللسانية والصورية) المتلازمين، إذ تعد لوحة الغلاف مفتاحاً إجرائياً للخوض في النص، والبعد الدلالي والرمزي الموحى وصولاً للمعنى، لكونها عنصراً من عناصر العمل ومكوناً من مكوناته الداخلية، له قيمته الدلالية وواجهته الإعلامية<sup>(٧)</sup>.



وفي ضوء هذا الوصف -السالف- نجد أننا أمام تقسيم بائن لهذه العتبة، يتوزع على نوعين ثابتتين وقارين لوحة في العمل الشعري، هما: لوحة الغلاف، اللوحة الداخلية<sup>(٨)</sup>.

أولاً: لوحة الغلاف

العتبات المكونة الغلاف الأمامي

#### • اللوحة

هو الشكل الخارجي الأكبر لهذه العتبة/ اللوحة إذ تبين اشكالاً صغرى لتكون بذلك شبكة سيميائية تستطيع الإحاطة بالمنجز الذي تغلفه<sup>(٩)</sup>.

يحتوي غلاف المجموعة الشعرية أو المدونة "ما غادره الموجُ وإطفأه الهديل" على اسم المؤلف "حيدر عبد الخضر" في أسفل الصفحة بخط أسود متوسط الحجم، وعنوان الديوان الذي يتمركز فوقه بخط أسود غليظ بحجم كبير بارز، أما الحيز الباقي والأكبر من الغلاف فتشغله لوحة تشكيلية، يبرز فيها اللون الأصفر فكانما لوحة الغلاف توحى لنا بأشياء تراثية، من خلال النظر إلى المثلثات المختلفة في الألوان الذي يعبر فيها عن تراب الوطن.

أما الألوان السائلة والمتساقطة الواحدة تلو الأخرى، فكانما ما يصور لنا الشاعر دماء الشهداء (شهداء الوطن من الثورة) وهذه الدماء تسيل من كل جانب لما يعيشه الوطن من ألم وعذاب وموت.



#### • الألوان

تحتل الألوان مساحة كبيرة في حياة الإنسان حتى أصبحت المعبر عن ذوقه واختياراته العامة ثم تحولت إلى مجال الأدب.

ولكن استعمالها في هذا المجال أكثر صعوبة من غيره، فاستعمالها في سياق لغوي أو أدبي يلاقي صعوبة أكبر من استعمالها في مجالات الرسم والتصوير، لأنها تعتمد على براعة المبدع في إثارة إحياءات الألوان ودلالاتها على المتلقي عن طريق التشكيلات اللغوية التي تُظهر سريرة ذلك الكاتب وأفكاره<sup>(١٠)</sup>.

إذا واجهة الكتاب أو الديوان تترك أثراً في المتلقي وتطبع في مخيلته، لذا نرى أن اصحاب دور النشر والشعراء يدركون أهمية هذا الأمر، فذهبوا إلى العناية بها من حيث الألوان المثيرة، والزخرفة الخطية<sup>(١١)</sup>.

ويأخذ اللون دلالات خاصة مع كل مساحة حسب نوعه ودرجة شدته وانتشاره، وعلاقته بباقي الألوان والمساحة التي يحتلها وخلفيته هو الشكل الذي يملأه<sup>(١٢)</sup>.

لقد اتخذ اللون وظيفة تكنولوجية عندما حل محل اللغة و محل الكتابة، ولهذا وجب ربط اللون بنفسية المتحدث ونفسية المتلقي، ثم بالوسط الاجتماعي والبيئة المحيطة بالفنان، فتساهم دلالات اللون في نقل الدلالات الخفية والأبعاد المستترة في النفس البشرية<sup>(١٣)</sup>.

اذ نجد اللون الأصفر الذي طغى على الديوان (لوحة الغلاف للديوان) وهو لون مائل إلى العتمة فاللون الأصفر هو لون الشمس، الذي يضيئ الكون، الأكثر دفئاً، الأكثر بوحاً، لون الحكمة، وقد ورد الأصفر في آيات قرآنية للدلالة على المرض والموت والفناء.

كما استخدم في وصف جهنم، استخدم أيضاً للدلالة على البهجة والسرور، كقوله تعالى ((إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين)) سورة البقرة ٦٩

فكما لهذا اللون دلالات إيجابية في له دلالات سلبية، كالفهر وتأنيب الضمير والإبتلاء والتعاسة ..... يعود على النفس في اللوم<sup>(١٤)</sup>.

أما الجهة الخلفية للغلاف فنجد على الجهة اليمنى صورة الشاعر "حيدر عبد الخضر" وتحتة اسمه باللغة الإنجليزية ودار النشر (الورشة)، أما في الجهة اليسرى فنجد مقطع من قصيدة وهي القصيدة التي تكون قريبة على نفس الشاعر .

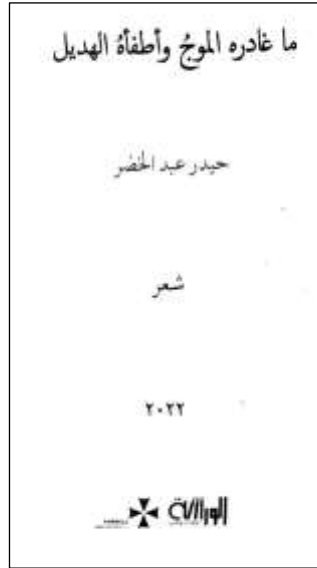


ثانياً: عتبة اللون الداخلية

وهي علامة فرعية، يجب أن تكون مساندة للعلامة الرئيسية (لوحة الغلاف) وفي الوقت نفسه ويجب أن تكون ممثلة للنص الذي اشغلت في ضوء سياقه، وتأويله ومعناه<sup>(١٥)</sup>.

وتحتوي لوحة الغلاف الداخلية في المجموعة الشعرية "ما غادره الموجُ أطفأه الهديل" هو العنوان يتصدر اللوحة بخط واضح متوسط الحجم وبلون أسود، وتحتة اسم الشاعر "حيدر عبد الخضر" بخط أصغر حجماً من العنوان ثم تحتة التجنيس (شعر) ثم سنة الإصدار وهي ٢٠٢٢ ثم دار النشر (الورشة).

ويأتي بلوحة الغلاف الداخلية خوفاً من ضياع لوحة الغلاف الخارجية.



المبحث الثاني: عتبة العنوان

العنوان هو العتبة المقدسة نصياً، فيه يتكثف المتن ومنه يأخذ هذا المتن شحنته التي تبقى صالحاً - وبأستمرار- للقراءة بكل أشكالها<sup>(١٦)</sup> وسنتطرق للعنوان عن طريق تقسيمه إلى:

- العنوان الرئيسي/ الخارجي
- العنوان الفرعي/ الداخلي

والعنوان مرتبط بالنص، والنص مرتبط بالعنوان في الوقت ذاته، ولا يمكن فصلهما، لأن العلاقة فيما بينهما علاقة (قائمة على بنية افتقار) ذلك أن العنوان لا يشتغل إلا في إطار النص، وهذه البنية المؤلفه عبر هذه العلاقة تشير على التلاحم الروحي والجسدي و البنوي بين الاثنين<sup>(١٧)</sup>.  
فالعنوان للكتاب كالاسم للشئ، وبه يُعرف ويفضله يتداول، يشار به إليه، ويدل به عليه<sup>(١٨)</sup>.

**أولاً: العنوان الخارجي (الرئيس)**

يعد العنوان علامة لغوية تعلم النص لتسميه وتحدده وتغري القارئ بقراءته، فلولا العنوان لظلت الكثير من الكتب مكدسة على رفوف المكاتب، فكم من كتاب كان عنوانه سببا في ديوعه وانتشاره وشهرة صاحبه، وكم من كتاب كان عنوانه وبالأعلى عليه وعلى صاحبه، لهذا العناوين لا توضع اعتباطاً، فكل شيء بمعنى وحسبان، وكل كلمة لها دلالاتها بل يعجز الشاعر في بعض الأحيان عن وضع العنوان لقصيدته أو لديوانه فيلقى به إلى المطبعة ثم يلحق العنوان به<sup>(١٩)</sup>.

فجد في عنوان المجموعة الشعرية جاء مطابقاً لمحتوى النصوص الشعرية التي تعبر عن روح الحماسة للوطن والثوار، ومعنى العنوان الذين حاولوا أطفاء حرائقه بأجسادهم، وهذا تعبير عن الغداء بالأرواح للوطن، وكذلك الدفاع بالحناجر الوطنية المعبرة.

### ثانياً: العنوان الداخلي (الفرعي)

لا يختلف هذا العنوان كثيراً عن العنوان الخارجي فهي تصاحب النص وترافقه داخل المطبوع، كما في الروايات والقصص والدواوين الشعرية<sup>(٢٠)</sup>، وعن طريقها (يفصل الكاتب) الشريط اللغوي أو مساحة النص اللغوية بعضها عن بعض لغايات مختلفة بمؤشرات لغوية أو طباعية<sup>(٢١)</sup>.

والعنوان الفرعي هو عنوان إضافي يوضع بعد العنوان الرئيسي، والغرض منه جذب انتباه القارئ إلى جزء منفصل من النص، وليس إلى المجموعة بأكملها.

وهذه العتبة هي الحامل لشحنة عتبة العنوان الرئيسي إلى المتن، فالعنوان الفرعي هو تجديد وتنشيط لفاعلية العنوان الرئيسي.

وقد اشتغل الشاعر "حيدر عبد الخضر" عتبات العناوين الفرعية للقصيد كالآتي:

- |                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ➤ ما تساقط منك                | ➤ ابدد المكوث بالشجن          |
| ➤ لا وقت يتسع للتثاوب والجنون | ➤ رهان خاسر                   |
| ➤ فرانس العدم                 | ➤ وشايات                      |
| ➤ وشم للذاكرة                 | ➤ سنابلك والمرايا             |
| ➤ ذاكرة النبع                 | ➤ مكائد                       |
| ➤ عزلة بليغة                  | ➤ ثرثرات وحقائب               |
| ➤ روضها بالخور والطعنات       | ➤ نثيث ميكر                   |
| ➤ طفل الضوء                   | ➤ ما تركه البرق ... والأصدقاء |
| ➤ أبناء المواعيد الموجلة      | ➤ وسانس وأقنعة                |
| ➤ لا احد يدلنا عليك           | ➤ صلوات ونياشين               |

المبحث الثالث: عتبة النسب النصي

### (اسم المؤلف، جهة الإصدار، المؤشر الجنسي)

اسم المؤلف: يعد اسم المؤلف من أقوى العتبات النصية وأشهرها تأثيراً، لأنها أهم ما يميز بين الأعمال الأدبية المختلفة.

فهي التي تعرف بين كاتب وآخر، وتتحقق ملكية الكاتب الأدبية والفكرية، ولذلك يعلم (المؤلف) عن أن يكون مجرد اسم علم يحيل على شخص، باتجاه تركيب وظيفة بنوية قائمة في جزء منها على فرضية إنجازها (لوظيفة وصفية) متعاضدة مع فرضية إحالته على مبدأ وحدة كتابية، من هذا المكان التحليلي بالتحديد، يمكن لاسم المؤلف أن ينهض بوظيفته كنص مواز<sup>(٢٢)</sup>.

فأسم المؤلف عتبة قارة وراكزة في المشغل الكتابي، ولا يمكن إغفاله بما في ذلك الاسم المستعار لانه يخفي وراءه قيمة انتماء من نوع خاص.

أن الأهمية لاسم المؤلف واضحة عن طريق جملة أمور، (فيه تثبت هوية الكتاب لصاحبه، ويحقق ملكيته الأدبية والفكرية، على عمله دون النظر للأسم إن كان حقيقياً أو مستعاراً) (٢٣).

لذلك جاء اسم مؤلفنا "حيدر عبد الخضر" واضحاً وبارزاً على لوحة الغلاف الخارجية والغلاف الداخلية في المجموعة الشعرية.

**جهة الإصدار:** علامة لازمة ضمن القوة الإنجازية للمطبوع، تكون تذكيراً وتأكيداً لاسم المؤلف وتحديداً لميثاق التواصل، فضلاً عن أن هذا الوضع سيرفع نسبة القصيدة إلى أعلى درجاتها في اشتغال حيثيات العتبات النصية مثل:

- ❖ نوع شكل وحجم لوحة الغلاف
- ❖ موقع وحجم خط اسم المؤلف ولونه
- ❖ حجم ونوع الخط المتن
- ❖ ترتيب السطر الشعري (٢٤).

تكون في صفحة الغلاف الأمامي لكن بمساحة ضيقة ولون وحجم غير بارز أو تكتب في صفحة الغلاف الخلفي (٢٥).

فأيقونة جهة الإصدار -علامة دار النشر- فهي أيقونة لها ظلالها المتأصلة، كما نجده في المجموعة الشعرية "ما غادره الموجُ وأطفأه الهديل" إذ تتشكل هذه الأيقونة كأنها توحى إلى شكل (وردة) باللون الأسود تحت اسم دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع.

**عتبة المؤشر الجنسي:** يعد المؤشر الجنسي ملحقاً بالعنوان، فهو نظام تعبير عن قصد كل من المؤلف والناشر لما يريدان نسبة للنص (٢٦).

فهو من التفاصيل المهمة التي يستخدمها الكاتب فالكتابة متنوعة... وأيضاً هو عبارة عن توضيح لنوع العمل (٢٧).

وهو نظام سيميائي له مقصدية معينة، وممارسة تعيين الأجناس ليس وليد الحاضر وإنما يرجع إلى العهد الكلاسيكي، وتحرص على صفاء كل جنس من الأجناس الكتابية، وتسعى لرسم الحدود الفاصلة بين جنس وجنس آخر (٢٨).

ويعبر المؤشر الجنسي على المقصدية الكاتب والناشر لما يريدان نسبته للنص، ولا يستطيع القارئ تجاهل أو أهمل هذه السمة وأن لم يستطع تصديقها أو إقرارها، فهي بقية كموجه قرائي لهذا العمل (٢٩).

فوظيفته الأساسية للمؤشر الجنسي هي إعلام القارئ جنس العمل الأدبي الذي بين يديه، وهو ((شعر)) وبذلك يفك الغموض الذي قد يقع فيها القارئ.

الفصل الثاني

ثاني العتبات

المبحث الأول عتابة التصدير

عتبة التصدير هي (عتبة ضبط النص) وهي عتبة مفتاحية تمثل وجه الكتاب أو النص الذي تصدره كونها اختزلاً له... (٣٠).

وهو الذي يعرفه (جينيت) اقتباساً بثبت على راس الكتاب أو في جزء منه (٣١).

التصدير عتبة قرائية استراتيجية نصية، مشحونة بالكثافة الدلالية مما يجعلها عنصراً مهماً في توضيح بعض جوانب العمل الإبداعي.

**التصدير الذاتي:** وهو أن يصدر الشاعر مجموعته الشعرية أو قصيدة محددة في هذه المجموعة بمقولة له سواء كانت هذه المقولة شعراً أم نثراً، ومثل هذا النوع تكون فيه عملية التصدير توأصلاً مع المتن الذي تصدر له، ذلك لأن التصدير والتمن ينطلقان من جهة واحدة كونهما ذاتيين<sup>(٣٢)</sup>.  
من التصدير الذاتي في المجموعة الشعرية "ما غادره الموجُ وإطفأه الهديل" للشاعر حيدر عبد الخضر هي:

ضع راسك على نفس الجدار  
الذي تحول إلى وشم  
وذاكرة للذيول  
وسبورة لبسمة الغياب  
ازح كل أحلامك  
والمدن الملقفة  
وأبدأ بتدوين طعناتك  
وانكسارتك المؤجلة  
لأنك مذ وثقت بالريح  
وما ادخرته الجهات  
أنطفأت حنجرتك  
ورودك بباب شاسع  
وتوجس خافت وأليف  
لا تلتقت لما تساقط  
من سنوات وفصول  
وأدخر أسماءً ومدناً  
لم يفسدها الإدلاءُ  
وتنفس ... تنفس كثيراً .....  
ما بقي لك من صحو  
وخضرة  
وقناديل ....<sup>(٣٣)</sup>.

**التصدير الغيري:** وهو أن يصدر الشاعر مجموعته الشعرية أو قصيدة منها بمقولة لغيره<sup>(٣٤)</sup>، ويوجد التصدير الغيري في مجموعة "حيدر عبد الخضر" في (ليس مهماً أن أعيش حياتي فرحاً لكن المهم أنا عيشها بشرف) إيمانويل كانط.  
فالتصدير الغيري هو اختيار المبدع لنص أو بعض نصوص لكاتب سابق له في التجربة ليدعم بها متنه ويضئ خباياه<sup>(٣٥)</sup>.

المبحث الثاني: عتبة الإهداء

قلما يخلو مؤلف ابداعي أو بحث من خطاب الإهداء في صفحاته الأولى، إذ هو من العتبات النصية التي يمد بها المتلقي قبل الولوج إلى عالم النص شأنه شأن العنوان، اسم المؤلف، والمقدمة وكلمة الناشر. ويلقى هذا الخطاب -لا شك- كتابة فائقة من المؤلف حيث يخلد الى نفسه مرتين:

**الأولى:** حيث وفكر في الشخصية التي يوجه إليها الإهداء.

**الثانية:** عند إنتقاء المفردات ثم صياغتها للتعبير عما أراده<sup>(٣٦)</sup>.

يحدد (جينيت) ثلاثة أنواع للإهداء:

• **الإهداء الخاص:** وهم المقربون من الكاتب سواء كانوا من العائلة أو الأصدقاء الذين تربطهم علاقة محبة.

• **الإهداء العام:** يتحدد بالتواصل العام، الذي يربط كاتب سياسي بآخر اجتماعي أو ثقافي فيقوم الكاتب بتوجيه الإهداء إلى المؤسسات والهيئات.

• **الإهداء الذاتي:** هذا النوع من أصدق أنواع الإهداء لدى (جينيت) كونه اهداء الكاتب لذاته<sup>(٣٧)</sup>.

يعتبر الإهداء تقليداً ثقافياً "فهو بوابة حميمية من بوابات النص الأدبي وقد يرد على شاكلته اعتراف وامتنان، شكر وتقدير، رجاء والتماس"<sup>(٣٨)</sup>.

إن الإهداء عتبة مهمة من عتبات الكتابة التي تخطط للقراءة للوصول إلى موطن الانفعال في النص الأدبي، لذا يشغل الإهداء صفحة خاصة به تسمى (صفحة الإهداء)، وهي الصفحة التي تأتي بعد الصفحة الداخلية للعنوان، ومرد ذلك للأهمية التي يحظى بها ولدوره الفاعل في عملية التداول والتواصل، وهذا الإهداء هو:

❖ إلى أصدقائي عسافير الوطن ... الذين حاولو أطفاء حرائقه بأجسادهم الفضة وحناجرهم الندية.

❖ إليها ... وهي تبتكر معنى جديداً للطفولة والحياة ...

في هذا الإهداء هو عبارة عن اهداين في نفس الوقت، الإهداء الأول هو الى الثوار الذين دافعوا عن الوطن بكل السبل والطرق من خلال الغذاء بأرواحهم وكذلك من خلال الحناجر النقية، أي الكلام عن طريق الإعلام مثلاً.

اما الإهداء الثاني فهو (إليها) وهنا تحتاج إلى تأويل كأن يكون الإهداء إلى شخصية محددة او يكون إلى اللغة المعبرة التي يستعين بها الثوار في مواجهة الظلم.

لقد جاءت مجموعة من الاهداءات في بعض قصائد الشاعر، ومنها قصيدة (سنايلك والمرايا) حيث جاء الإهداء (إليها وحدها ... وأكتفي)

وفيها يقول:

الطريق إليك

مكتظ بالعثرات

لا أجد وقتاً لكي اتسلل

إلى حديثك الغامض<sup>(٣٩)</sup>.

وكذلك في قصيدة (نثيث مبكر)

حيث جاء الإهداء (إليها مرة أخرى ... وبلا رتوش)

وفيها يقول:

ابحث عنك

في التفاصيل الكثيرة

والكلمات مبعثرة<sup>(٤٠)</sup>.

وفي قصيدة (دسائس وأقنعة)

حيث جاء الإهداء (إلى من لوثوا اهواء الوطن بأنفسهم الكريهة ارواحهم الفاحلة)  
وفيها يقول:

تحت الحجر وعلى الشرفات

ينبتق ظل خافت

مزامير على الرؤوس

تتنمي لقصص الأساطير<sup>(٤١)</sup>.

وفي قصيدة (ما تتساقط منك) الإهداء (إليها ... وما تتناثر مني)

وفيها يقول:

كيف خرجت هكذا

ناعمة كالموسيقى

ومكحلة بالضوء<sup>(٤٢)</sup>.

وفي قصيدة (الذاكرة النبع)

والإهداء (إليه ... وهو تلغثم بالغموض)

وفيها يقول:

مثل نسمة عابرة

أو فكرة من رحيق

تأتي الى محملاً

بالنرجس والطلع والفراشات<sup>(٤٣)</sup>.

المبحث الثالث: عتبات الاستهلال

يعرف (جينيت) الاستهلال هو "الذي يعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص، لاحقاً به سابقاً له"<sup>(٤٤)</sup>.

فالاستهلال تعبير كتابي، ترجع مسألة اختياره لكاتب العمل، يتضمن تقديم النصوص وافتتاحها، الغرض من تهيئة المتلقي لاستقبال الرد، وإعطاء نبذة تعريفية مختصرة عن الرد، وسوف نقدم في بحثنا هذا نوعين من الاستهلال:

**الاستهلال التقديمي**

**الاستهلال النصيبي**

**الاستهلال التقديمي:** و نقصد به مجموعة من العلامات التي ترد في مقدمة الكتاب باعتبار هذه المقدمة استهلالاً تقديمياً عاماً<sup>(٤٥)</sup>، افتتح المجموعة الشعرية بأستهلال نثري حملي توقيعه، حاول من خلاله إدخال القارئ إلى عالم المجموعة الشعرية، وذلك بتقديم لمحة عامة عن العمل، إشارة إلى قصائد عبد الخضر تحفل بالحياة، ولكنها ليست تلك العاطلة، بل الحياة التي تسطح بالأسئلة، التي يتقصاها الشاعر بوصفها رهانا على وجوده على حريته.

فضلا عن أن المقدمة من أبرز ما اهتمت به الكتب القديمة التي اشغلت بتحديد عناصر التصدير ودراساتها وذلك لأنها تعتبر المدخل الرئيسي والطبيعي إلى أغوار النص، فضلا عن كونها تمثل كلاً جامعاً لعناصر وجزئيات عديدة كالاستفتاح واسم المؤلف والعنوان وغير ذلك.



بيد أن القيمة الأساس المقدمة في أدبيات التصدير في التراث العربي لا تنحصر في هذين الاعتبارين، بل تهتم بالدرجة الأولى المجال الدلالي للنص ومستوى إنتاجه وتلقيه<sup>(٤٦)</sup>.

### الفصل الثالث

#### ثالث العتبات

المبحث الأول: عتبة اللازمة الشعرية

تتكون هذه العتبة، كبنية مستقلة، بالطريقة نفسها التي تتكون بها عتبة العنوان، إذ من الممكن أن تكون اللازمة -شأنها شأن العنوان- كلمة أو جملة أو حرفاً أو أية علامة أخرى<sup>(٤٧)</sup>.

وتكون على أنواع: اللازمة العنوانية واللازمة الفعلية واللازمة المركبة<sup>(٤٨)</sup>.

**اللازمة العنوانية:** وهي التي تهندس تشكلها كلازمة بمباركة من العنوان، وذلك في ضوء ما بينها وبين العنوان من صلة نصية كما في قصيدة (ما تساقطت منك)

كيف خرجت هكذا

ناعمة كالموسيقى

ومكحلة بالضوء

ما تساقط منك

لم تدونه شفتي بعد

أو تفرسه العتبات<sup>(٤٩)</sup>.

وكذلك في قصيدة (عزلة بليغة)

تكررت الفكرة

التي تلاحقني فأندرج باتجاه

عزلي البليغة

ترتطم المدينة<sup>(٥٠)</sup>.

**اللازمة المركبة:** وهي تركيب يتشكل من أكثر من عنصر مثل الجار والمجرور أو أداة النداء والمنادي،

وغير ذلك<sup>(٥١)</sup>.... وهذا ما يصادفنا في قصيدة (لا وقت للتأوب والجنون) فقد تكرر حرف النقي (لا) في

القصيدة.

لا وقت يتسع

لا سحابة تلوح في الأفق

لا انثى تبادلي<sup>(٥٢)</sup>.

وفي قصيدة (ذاكرة النبع) حيث تكرر حرف النداء (يا) في القصيدة.

يا ملاكاً

يا أشعة

يا طلع روعي

يا عصافيري الغافية<sup>(٥٣)</sup>.

وفي قصيدة (ابناء المواعيد المؤجلة) توجد اللازمة المركبة في قوله:

لم يلتقت اليهم احد

ولم يحتفلوا يوماً بالضلال  
لم يتركوا نهراً  
لم يسمعوا نشيداً<sup>(٥٤)</sup>.

#### الخاتمة

من خلال تتبع النصوص (العتبات النصية) في المجموعة الشعرية للشاعر (حيدر عبد الخضر) خلصت الدراسة الى نتائج امكن حصرها:  
ان النصوص الشعرية للشاعر هي عبارة عن نسيج للقول وتسلسل الجمل التي تتعلق فيما بينها لتخلق عملاً ادبياً.

وان النص و عبارة عن بنية دلالية تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة، من اهم العتبات التي تستبيح الاثر الادبي وتحيط به: اسم الكاتب والعنوان والمقدمة والصيغ الايقونية من رسوم والوان، لذلك يعد اسم المؤلف من بين العناصر المهمة فلا يمكن تجاهله لانه يثبت هوية العمل للكاتب بأعطائه اسمه، اضافة الى انه يعكس سيرة صاحبه، اما صفحة الغلاف بأنها اول عتبة يتلقاها القارئ من خلال اتصاله بها تنشأ علاقة بينه وبين النص مما يجذبه للقراءة وكشف مكوناته وذلك ما لاحظناه في غلاف الديوان.

#### المصادر

١. لسان العرب ابن منظور.
٢. عتبات جيرار جينيت من النص إله المناص.
٣. مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، عبد الله بلال .
٤. تخطيط النص الشعري (دراسة سيميائية) لفاعلية العتبة في صناعة النص الشعري، أ. د. حمد محمد الدوخي
٥. هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، شعيب حليفي
٦. تداخل الأنواع الأدبية، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر
٧. جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم، ابتسام مرهون الصفار
٨. جيوبولوتيكيا النص الأدبي (تضاريس الفضاء الروائي)، د. مراد عبد الرحمن مبروك
٩. مجلة الأثير العدد ٢٥ / ٢٠١٦
١٠. جماليات اللون، عبد الفتاح نافع
١١. دلالة الألوان في القرآن والفكر الصوفي، ضاري مظهر صالح
١٢. عتبات الكتابة القصصية، دراسة في بلاغة التشكيل والتدليل، جميله عبد الله
١٣. العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبي، محمد فكر الجزائر
١٤. سيماء العنوان (رواية تلك المحبة) للحبيب السائح، حنان عباسه، نادية العيقاوي: رسالة ماجستير
١٥. عتبات، بلعباد
١٦. في نظرية العنوان، د. خالد حسين
١٧. الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، نبيل منصر

١٨. المصاحبات النصية، قراءة نقدية في المجموعة الشعرية (اوراق المساء) للشاعر صباح علاوي السامرائي، د. سهام حسين جواد السامرائي.
١٩. عتبة العنوان والغلاف في رواية (أخوة محمد)، ميسلون هادي.
٢٠. الصورة الشعرية وأسئلة الذات، قراءة في شعر حسن نجمي.
٢١. عتبات جيرار جينيت من النص إله المناص، عبد الحق بلعابد.
٢٢. العتبات النصية في شعر عبد الرزاق الربيعي: ميثاق شاطي: رسالة ماجستير.
٢٣. دراسة في خطاب العتبات النصية: د. مصطفى احمد قنبر.
٢٤. عتبات الكتابة في الرواية العربية: عبد المالك اشبهون.
٢٥. عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر: يوسف الادريسي.

- ١) لسان العرب، ابن منظور
- ٢) بيانات الشعرية العربية من خلال مقدمات المصادر التراثية، رسالة ماجستير، نورة فلوس
- ٣) ينظر: عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناص)
- ٤) ينظر: مدخل الى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، عبد الله بلال
- ٥) تداخل الأنواع الأدبية مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر
- ٦) تخطيط النص الشعري، أ. د حمد محمود الدوخي: ٢٥
- ٧) ينظر: هويه العلامات في العتبات وبناء التأويل، شعيب حليفي
- ٨) تخطيط النص الشعري، معاناة سيميائية لفاعلية العتبة في صناعة النص الشعري حمد الدوخي
- ٩) تخطيط النص الشعري، معاناة سيميائية لفاعلية العتبة في صناعة النص الشعري أ. د حمد الدوخي: ٢٦
- ١٠) ينظر: جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم، ابتسام مرهون الصفار
- ١١) ينظر: جيوبولوتيك النص الأدبي (تضاريس الفضاء الروائي) د. مراد عبد الرحمن مبروك
- ١٢) مجلة الأثر العدد ٢٥ / ٢٠١٦
- ١٣) جماليات اللون/ عبد الفتاح نافع
- ١٤) دلالة الألوان في القرآن والفكر الصوفي: ضاري مظهر صالح
- ١٥) تخطيط النص الشعري، معاناة سيميائية لفاعلية العتبة في صناعة النص الشعري أ. د حمد الدوخي: ٣٢
- ١٦) تخطيط النص الشعري، معاناة سيميائية لفاعلية العتبة في صناعة النص الشعري أ. د حمد الدوخي: ٥٥
- ١٧) عتبات الكتابة القصصية، دراسة في بلاغة التشكيل والتدليل، جميل عبد الله.
- ١٨) العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزار: ١٣٠
- ١٩) سيمياء العنوان، (رواية تلك المحبة) للحبيب السانح، حنان عباسية، نادية العيقاوي: رسالة ماجستير
- ٢٠) ينظر: عتبات العابد
- ٢١) في نظرية العنوان، د. خالد حسين
- ٢٢) الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، نبيل منصر
- ٢٣) تخطيط النص الشعري (معاناة سيميائية): حمد محمود الدوخي: ٦٥
- ٢٤) تخطيط النص الشعري (معاناة سيميائية): أ. د. حمد محمود الدوخي: ٧٤
- ٢٥) المصاحبات النصية، قراءة نقدية في المجموعة الشعرية (اوراق المساء) للشاعر صباح علاوي السامرائي، د. سهام حسن جواد السامرائي
- ٢٦) تخطيط النص الشعري (معاناة سيميائية): أ. د. حمد محمود الدوخي: ٧٦
- ٢٧) عتبة العنوان والغلاف في رواية (أخوة محمد): ميسلون هادي
- ٢٨) الصورة الشعرية وأسئلة الذات قراءة في شعر حسن نجمي
- ٢٩) عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص: ٩٠
- ٣٠) تخطيط النص الشعري (معاناة سيميائية): أ. د. حمد محمود الدوخي: ٨٣

- ٣١) عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناص: عبد الحق بلعابد
- ٣٢) تخطيط النص الشعري (معاينة سيميائية): أ. د. حمد محمود الدوخي: ٨٥
- ٣٣) ما غادره الموج واطفأه الهديل، حيدر عبد الخضر، الغلاف الخلفي
- ٣٤) تخطيط النص الشعري (معاينة سيميائية): أ. د. حمد محمود الدوخي: ٨٩
- ٣٥) العتبات النصية في شعر عبد الرزاق الربيعي، ميثاق شاطي، رسالة ماجستير ١٨٩
- ٣٦) دراسة في خطاب العتبات النصية: د. مصطفى أحمد قنبر
- ٣٧) ينظر: عتبات جبرار من النص إلى المناص: عبد الحق بلعابد ٧٤
- ٣٨) عتبات الكتابة في الرواية العربية، عبد المالك اشبهون
- ٣٩) ما غادره الموج واطفأه الهديل، حيدر عبد الخضر: ٢٦
- ٤٠) المصدر نفسه: ٤٢
- ٤١) ما غادره الموج واطفأه الهديل، حيدر عبد الخضر: ٥١
- ٤٢) المصدر نفسه: ٦٣
- ٤٣) المصدر نفسه: ٨٢
- ٤٤) عتبات جبرار من النص الى المناص، عبد الحق بلعابد، ٨٩
- ٤٥) تخطيط النص الشعري (معاينة سيميائية): أ. د. حمد محمود الدوخي: ١١٣
- ٤٦) عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، يوسف الإدريسي
- ٤٧) تخطيط النص الشعري (معاينة سيميائية): أ. د. حمد محمود الدوخي: ١٤٧
- ٤٨) المصدر نفسه: ١٤٨
- ٤٩) ما غادره الموج واطفأه الهديل، حيدر عبد الخضر: ٦٣
- ٥٠) المصدر نفسه: ٨٧
- ٥١) تخطيط النص الشعري (معاينة سيميائية): أ. د. حمد محمود الدوخي: ١٨٥
- ٥٢) ما غادره الموج واطفأه الهديل، حيدر عبد الخضر: ٩٨
- ٥٣) المصدر نفسه: ٨٢
- ٥٤) المصدر نفسه: ١٠١

**نظرة تاريخية للحركة التشكيلية  
الروسية من الطليعية حتى السوبرماتزم**  
طالبة الماجستير سوسن محمد حمزة  
المشرف أ . م . د رولا عبد الاله  
جامعة البصرة / كلية الفنون الجميلة  
mailto:sosoaldh3@gmail.com

**خلاصة البحث**

أتت مدرسة موسكو للفن المعاصر احد تلك الاقطاب المهمة بعالم الحداثة والتي استمدت قوتها بفعل التلاقح الحضاري والتماس المباشر والغير مباشر مع الأمم الأخرى وبمحتوى حركاتها الثقافية ، حتى اثبتت وجودها بفضل فنانيها لتبرز كمركز ابداعي مهم شأنها شأن مدرسة باريس .  
وُعد حركة السوبرماتزم أو التفوقية احد تلك الاتجاهات الأكثر ثورية في الفنون الطليعية والتي أسسها الفنان الروسي مالفيتش ، وكانت لها إنجازات مهمة في عالم التشكيل ومنها دعواتها التي نادى بالتغيير في أسلوب وتقنيات العمل الفني وتحرير الموضوع لكل ما هو واقعي وتابع للاتجاه المدرسي او الاكاديمي ، وإعطاء الفن التشكيلي هويته الخاصة ليتميز عن بقية الانشطة الفنية الأخرى حيث الابتعاد عن الموضوعية ومحاكاة الواقعية والرموز والدلالات نحو كل ما هو مجرد متجسد بالشكل الهندسي او الشكل الخالص

One of those important points in the world of modernism was brought by the “Moscow School of Contemporary Art”, which derived its strength from civilized interculturality and direct and indirect contact with other nations and the content of their cultural movements, until it proved its existence thanks to its artists to emerge as an important creative center like the Paris School.

The Suprematism movement, founded by the Russian Artist “Malevich”, is one of the most revolutionary trends in the avant-garde arts. The Suprematism movement had important achievements in the world of plastic art, including its calls for a change in the style and techniques of artwork, liberating the subject for everything that is realistic and affiliated with the school or academic trend, and giving plastic art its own identity to distinguish it from the rest of other artistic activities, in terms of moving away from objectivism and simulating realism, symbols and connotations, towards everything that is merely embodied in geometric shape or pure shape.

الفنون الطبيعية: مصطلح مرادف لفنون الحداثة ، ويطلق على كل الفنانين الذين فضلوا تجسيد لكل ما هو جديد ، واصبح ينظر لفنانهم أنهم سبقوا زمانهم ( هويدا السباعي ، فنون ما بعد الحداثة في مصر والعالم ، ص ٦٧ )

**السوبرماتزم اصطلاحاً** : اسم تم اشتقاقه من الكلمة اللاتينية **Supremus** بمعنى الاسمى ، وفي اللغة الإنكليزية **supremacy** سيادة وتفوق ، أو **superiority** امتياز وتفوق و رفعة أو تقدم ، حيث تم تعريب المصطلح ليمثل الاتجاه الفني الذي نادى به الفنان الروسي مالفيتش حيث انفعال الذات جديدة والتسامي امام الشكل الهندسي واللون بعد الغاء التشخيص الموضوعي وابتكار صور جديدة منافية للواقع **السوبرماتزم اجرائياً** :

حركة تشكيلية روسية تجريدية بفن الرسم مناهضة للاتجاهات الفنية الموضوعية والواقعية اعتمدت على الاشكال الهندسية وهي بالفراغ .

التجريد : هو عملية الفصل بين ما هو رئيس، وما هو ثانوي عارض ومتغير. ويعد التجريد عملية حاسمة، تساعد على الانتقال من المستوى الحسي التراكمي، ومن التعامل مع خليط الخبرة، وتداخل عناصرها ومكوناتها (حسية، حركية، إدراكية، مشخصة، مجردة، وغير ذلك) إلى المستوى المعرفي والجوهري ( <https://arab-ency.com.sy/ency/details/٦٢٠٧٣> )

#### المبحث الأول : بدايات الفن الروسي

يُتسم الفن الروسي بالترامه بمفردات مُوروثه و واقعة المحلي ولهذا ترتأي الباحثة بدراسة موجزة لأبرز مراحلها لكونها امتداد لاتجاهات التحديث ، فالفنون تستمد مقوماتها من جذور سابقتها تجعلنا نطلع بتجارب الماضي ونقارنها بالنتائج المعاصرة وهذا ما أشار له **اوستن وارين \* Austin Warren** ( ١٨٩٩ - ١٩٨٦ ) في كتابه ( نظرية الادب ) وذلك بقوله : "مقارنة الفنون على أساس خلفيتها الاجتماعية والثقافية المشتركة افضل من تناولها من خلال نظريات الفنان ونواياه . من المؤكد ان بالإمكان ان نصف التربة المخصبة المشتركة بين العوامل الزمنية أو المحلية أو الاجتماعية للفنون والآداب حتى تصل الى نقطة التأثيرات المشتركة التي عملت عملها فيها"<sup>١</sup>

يُصنف تاريخ الفن الروسي إلى ثلاث مراحل رئيسية وفق رؤية **رمسيس يونان \*\*** ( ١٩١٣ - ١٩٦٦ ) ( المرحلة الأولى : الفن الديني والممتد من الفن البيزنطي حتى قرن السادس عشر ، وفن البلاط الذي يمتد من أواخر القرن السابع عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر ، والمرحلة الثالثة : الفن الاكاديمي من منتصف القرن التاسع عشر حتى القرن العشرين<sup>٢</sup> .

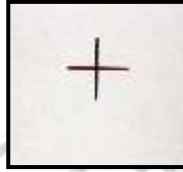
أنت اشكال المرحلة الأولى وهي صور ذات طابع شعبي وتشكيل زخرفي بفعل التلاقح الثقافي ما بين روسيا وبلاد بيزنطة وذلك بفعل التماس الحضاري ما بين البلدين أما بشكل حروب أو اتفاقيات سلام ، وقد تكلم اخر اتفاق هو زواج الأمير فلاديمير من الاميرة البيزنطية ( أنا ) ، بغية حصول الحليف الأول من قبل بيزنطيا ضد حروبهم مع المسلمين<sup>٣</sup> ، وهنا ظهرت الديانة المسيحية في روسيا وانصهرت الثقافة ما بين البلدين وظهرت عناصر **الفن الايقوني\*\*** في روسيا

وقد أنتى ماتيس عند زيارة لروسيا على هذا النمط من الفنون " إذ ادهشه عالم الايقونة الروسية القديمة واعتبرها من اهم منابع الأساسية التي يجب إحلالها بفهم معاصر في الفن الحديث ونصح الفنانين الشباب بالعودة إلى تراثهم ، أفضل من دراسة الفن البدائي **الإقيانوسي\*** ، والالتفات إلى شرفهم دون أوربا"<sup>٤</sup>

ولهذا نجد ان شكل الصليب وهو رمز ديني مقدس في الديانة المسيحية كان بمثابة السمة المميزة للفن الايقوني الروسي وبحضوره كعنصر سيادي في اللوحة ومنها كنموذج للفنان اندري ريلوف\*  
 -Andrei Rublev (١٣٦٠ - ١٤٣٠) ( شكل ١١ ) وقد تكرر شكله من ضمن رسومات السوبرماتزم ومنها لدى مالفيتش ولكن بأسلوب تجريدي وبلون اسود على خلفية بيضاء ( شكل ١٢ ) ومره أخرى بلون احمر على خط اسود ، ومره ثالثة بشكل صغير على خلفية بيضاء واسعة ( شكل ١٣ )



شكل ١٤



شكل ١٣



شكل ١٢



شكل ١١

أما الفترة الثانية الكلاسيكية بالفن الروسي فهي لم تختلف نماذج فنون عصر النهضة الاوربية حيث توثيق الصور الشخصية للنبل والامراء الأرستقراطية ومثالها جوهان بابتيست لامبي\* ( ١٧٥١ - ١٨٣٠ ) Johann Baptist Lampi ( شكل ١٤ )  
 وجاء من ضمن المرحلة الثانية الفترة الرومانسية والواقعية حيث الفضاءات المفتوحة للمشهد الطبيعي ، مع عكس روح افراد المجتمع الروسي وهموم اليومية اثناء نشاطهم اليومي والالتزام بعناصر تراثه القديم . و نأخذ مثال عن تلك الفترة الفنان Vastly Surikov\* الذي يعد من مشاهير الاتجاه الواقعي ، و كان رائد بأصول الفن الاكاديمية الروسي حيث جسد في موضوعاته بعض الشخصيات الروسية مثل الاديب تولستوي ( الشكل ١٥ ) وبعض الاحداث التاريخية وبعض عادات وطباع المجتمع الروسي ، إذ تمتاز رسومه بالموضوعات الإنشائية الضخمة وكأنها جداريات ضخمة ذات سمة بانوراميه\* ومثالها لوحة منيرمونورفا التي جسدت امرأة تمردت على السلطة ، والمشهد يجسد حدث سياسي رافقه الانشقاق الكبير للكنيسة لتصبح أداة خاضعة للحكومة ° وهو مقطع من لوحة كبيرة تزدحم فيها الاشكال والتشخيصات ( شكل ١٦ ) .



شكل ١٧



شكل ١٦



شكل ١٥

وترى الباحثة أن الكاتب رمسيس يونان قد اغفل لما للفنانين الروس من دور مهم في تطوير فنون التشكيل بعد تمردهم على الفنون الواقعية واسهامهم في تطوير تجربة التجريد ، وركز على الجانب الواقعي لمرحلة معينة قد تخطتها تجاربهم الفكرية والتقنية .

وكان مالفيتش الذي بدأ مع الواقعية ومن ثم الدخول بالكثير من الأساليب التشكيلية التي اشرنا لها مسبقاً وممارسة التجريب من خلالها قد أسهمت بدورها ليلمخض منها ذلك الاتجاه التجريدي للسوبريماتزم ، ولهذا من الخطأ اعتبار ان الفن الروسي لم يقدم للحركة التشكيلية المعاصرة أي شيء جديد .

أما الفترة الانطباعية التي اعتمدت على التجربة الحسية البصرية وما يرافقها من انطباع نفسي<sup>٦</sup> أي انطباع على الأشياء المدركة بصرياً ونموذجها الفنان فالنتين سيرفو\* Valentin Serov بلوحته فتاة وخوخ، (شكل ١٧) .

وترى الباحثة أن لطلاع الانطباعيين على نظريات اللون التي أسهمت بتصنيف الألوان وفق أسس علمية وتوظيفها من ضمن موضوعاتهم لها دور كبير في كسر قيود الواقعية وفتح افق الخيال والابتكار في تقنيات توزيع اللون وتنظيمها وفق أسلوب جديد في اللوحة ، وهذا ما أشادت به السوبرماتزم تحت مصطلح الألوان الفلسفية ، و اللون الخالص\*\* فالفن هو القدرة على خلق بناء لا يقوم على تبادل الشكل واللون ولا على أسس جمالية وانما على أسس النقل والحركة والسرعة واتجاه الحركة<sup>٧</sup>

فاللون موجود بداخلنا بحسب رؤية مالفيتش ويريد ان يتحرر ولكن الذي يقتله هو الموضوع ولهذا نجد ان فاسيلي كانديسكي\*\*\* Wassily Kandinsky ( ١٨٦٦- ١٩٦٦ ) قبل ان يكون فناناً تجريبياً مارس الانطباعية ولكن بتقنية تختلف عن سابقه ، ففي صيف ١٩٠٩ واثناء تواجده في قرية مورناو عند جبال الالب في البافارية ، رسم نموذج يكاد يكون مقارب للاتجاه الوحشي\* بالرسم ، وسميه بمصطلح الفوفيزم\* حيث بدت الألوان اكثر حرية وحركة مع استقلال شكلي ولوني عن المشهد الطبيعي الواقعي . الروح مباشرة ، فالشكل واللون بحسب رأيه ما هو إلا تعبير عن المعنى الداخلي وهذا



لا يعني بضرورة ان يكون ذو مغزى محاكي للواقع<sup>١</sup> بل شيء فني خالص ، ولهذا سميه اتجاهه بالتجريدية التعبيرية ، وهو حصيلة تجاربه اثناء ترحاله ما بين باريس وموسكو وبرلين .



شكل ١٨

لهذا نجد ان كاندسكي له دور كبير في ظهور الاتجاه التجريدي في روسيا شأنه شأن مالفيتش ومودريان\*\* ( ١٨٧٢ - ١٩٤٤ ) وهو الفن الذي يعتمد على اللاموضوعية ولا شكلية حيث الجوهر الخالص لذات الفن . واقتزن الشكل واللون في رسومات كاندسكي باللغة المعبرة عن العاطفة شأنها شأن الموسيقى التي تخاطب نفسية الانسان الداخلية

#### المبحث الثاني : الاتجاه الرمزي والتكبيبي والمستقبلي

لم يكن للرمزية أسلوب محدد واضح المعالم شأنها شأن الاتجاهات الأخرى ، ولكنها مبدأ تواجد في معظم الفنون فقد نجدها من ضمن الاتجاهات الكلاسيكية أو مع الرومانسية أو من ضمن التعبيرية ، بل وحتى من ضمن الفنون القديمة ، فهو " ..صورة وليس نموذجاً أو طراز أو اسقاط رمزي ..خبرات تدرك رمزياً ..اسقاط وجدان وعن طريقة يمكن أن يدرك"<sup>١</sup> العمل الفني . جاء ذلك الاتجاه بمرحلتين بالفن

الروسي ،الأولى ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر موضوعاتها ذات نزعة روحانية ومثالها فاسيلي فاسيليفتش \* **vasili vasilievich Vereshchagin** ( ١٨٤٢ - ١٩٤٠ ) وهو رسام حروب جسد في احد لوحاته الأماسة التي خلفتها الحروب الروسية اليابانية من خلال الأشكال والجمامج يرمز من خلالهما الى الموت والشؤم وكانت صورته بمثابة الاحتجاج على الأوضاع التي خلفتها تلك الحروب<sup>١</sup> ( شكل ١٩ ) أما المرحلة الثانية وهم مؤسسي جماعة الورد الزرقاء ، وكانت تجاربهم ذات نزعة مزاجية تتمثل من خلال الألوان والرموز الأدبية المستلهمة من التراث الروسي<sup>١١</sup>

رزق فنانها بافيل كونستينوف\* **Pavel Kusnetzov** ( ١٨٧٨ - ١٩٦٨ ) والتي ترى الباحثة ان سيادة اللون الأزرق وهيمنته على مساحات اللوحة سبباً وجيهاً لتلك التسمية ( شكل ٢٠ )

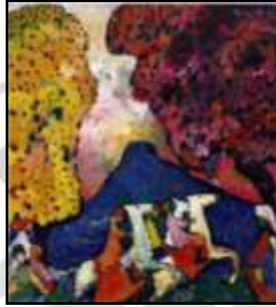


شكل ٢٠



شكل ١٩

أما رمزية الوردية والتي كانت شعار لهذا الاتجاه ، فجاءت باعتبارها جميلة ونقية بالنقاء الصوفي ، وهذا ما رفضه الاتجاه الذي جاء بعد الرمزية والمسمى **الاتجاه الذرووي** وهو اتجاه ادبي دعا بالعودة للوردية الطبيعية وهي الاجمل من تلك التي دخلت في العالم الميتافيزيقي<sup>١٢</sup> ومن اسهامات الروس في الاتجاهات الرمزية هي **جماعة الفارس الزرق** والتي أسسها كاندسكي وترى الباحثة ان تسميتها قد تكون بسبب لوحته المسمى الجبل الأزرق حيث يظهر في مركز لوحته فرسان امام خلفية زرقاء اللون ، وبالرغم من ان نشاطها لم يكن في موسكو بل المانيا الا ان بصمتها بقية روسية حيث التعلق بمفردات التراث الروسي وبنفس اهداف الاتجاهات السابقة لها حيث تخطي الواقع وبلوغ معان أخرى خفية وجعل الحياة وسيلة ومبتغى لنشاطهم الإبداعي<sup>١٣</sup> (شكل ٢١)



شكل ٢١

### التكبيبية

وفق المتابعة البصرية للرسومات التكبيبية الروسية نجدها قد أتت بأسلوبين ، شأنها كشأن تكبيبية باريس، والبدائية هي نماذج واقعية تم تحويل اشكالها وتقويضها بخطوط حادة في اغلب تقاطيع مكوناتها لتكون ذات مساحات هندسية رباعية ومثلثة الشكل ، أما المرحلة الثانية فنجد ان مساحات اللوحة أصبحت هندسية مجردة ، وبدأ الشكل يختفي تدريجياً حتى لا يكاد تمييز هيئته . والملاحظ أن مجمل فناني السوبرماتزم هم في بدايات نشاطهم الفني كانوا تكبيبيين ، ولكنهم انخرطوا في ما بعد مع مالفيتش ومثال ذلك الفنانة **أولغا ريزانوف\* Olga Rozanova** ( ١٨٨٦- ١٩١٨ ) حيث كانت البدائية لشخص مستلهمه من فنون الفترة البيزنطية ومن بعض عناصر تراثها الشعبي وبأشكال هندسية مبسطة تخلو من تعقيد مع الابتعاد عن بهرجة الألوان ( شكل ٢٢ )، ومن ثم اخذت اشكالها اكثر تعقيد من خلال تشابك وتداخل الخطوط والأشكال الهندسية معاً ( شكل ٢٢ )



شكل ٢٢

كذلك ظهرت من ضمن التكعيبية الأسلوب الذي يتخلله الحرف الطباعي وهو نمط متأثر بتكعيبية فرنسا ومثالها الفنانة **ناديجدا أودالتسوفا\*** nadezhda udaltsova (١٨٨٥- ١٩٦١) ولم يستقر فناني التكعيب على هذا الاتجاه بل سافروا الى إيطاليا ودرسوا الاتجاه المستقبلي ، ومزجا ما بين الاسلوبين على اعتبار ان كلا الاتجاهان استند في بنانهما على الاشكال الهندسية ( شكل ٢٣ ) ، إلا أن الفرق ما بينهما هو ان المستقبلية أسهمت بتكرار الشكل الهندسي من اجل تجسيد الحركة في الفراغ ومع امتزاج الاسلوبين ظهر لدى المنظرين مصطلح الفن التكعيبى المستقبلي الروسي أو بعض الأحيان بالمستقبلية الروسية ، وكلاهما أساس مرجعي اسهم في ولادة السوبرماتزم .



شكل ٢٣

### المستقبلية

للتطورات الصناعية دور بارز في ظهور الفن المستقبلي " لقد قدسوا مفاهيم القوة والسرعة التي تمثلها الآلة أكثر مما قدروا نتائجها الفعلية"<sup>١٤</sup> ومنها جاءت نظرة نحو ثقافة المستقبل وترك الماضي وابرز فنانيها مالفيتش في لوحته الغابة الزرقاء ( شكل ٢٥ ) وتاتلين\* والكسندر رودشينكو\* وكذلك الفنانة **لييوف بوبا\*\* lubov Popova** ( ١٨٨٩-١٩٢٤ ) ( شكل ٢٤ ) .

كانت المستقبلية لدى مالفيتش الذي اسهم بالتجريب في اسلوبها في مرحلة من مراحل إنجازاته كما في ( شكل ٢٤ ) الفنية اشبه بالمحطة الأخيرة التي تخلى عنها وأوصلته للسوبرماتزم والتي جعلته يتطلع نحو فن يتوافق مع الرؤية المعاصرة ولذلك جاء في بيانه " برهن المستقبليون على إرادة هائلة لكسر عادات الادمغة الشائخة لانتزاع الجلد المتصلب من الاكاديمي ...وبعد أن نبذ المستقبليون العقل فإنهم نادوا بالحدس

بصفته عنصراً شبه واعياً<sup>١٥</sup> مع هذا فهم لم يحققوا بدأ الحسد بحب رأيه لكونهم اعتمدوا على الانطباع البصري المحض .

وهناك رأي بحثي حول نجاح تقنياتهم في العمل الفني يعول سببه لاطلاعهم على الدراسة العلمية للكيفية التي تتم بها الرؤية البصرية والأبحاث النفسية في مجال الإدراك الحسي وبرزها الجشتالت\* والتي ترى أن الإحساس بالشيء يأتي من نظام منطوق للصور المختلفة التي تنقلها الحواس ، أي أن إدراك الصورة بشكلها الكلي يأتي من العمليات المتسلسلة والمتتابعة لمؤثرات شبكية العين وبحسب العوامل المحيط لتلك الصورة<sup>١٦</sup>.

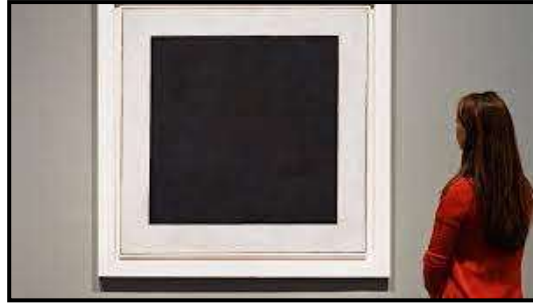
بينما في ميدان برز رواد المستقبلية ومنهم الفنان تاتلين والفنان ألكسندر رودشنيكو والفنان نعيم غابو\* Naum Gabo (١٨٩٠-١٩٧٧) والذين ادخلوا مواد جديدة غير الخامات المألوفة بالنحت ومنها الفولاذ والزجاج والبلاستيك الشفاف ليعطي لرؤية المتلقي مشهد العمق الفراغي حيث تتداخل الأشكال فيما بينها ، وسيكون هناك شرح مفصل عن تجاربهم في المبحث الثالث

وقد بين مالفيتش أسباب تركه للمستقبلية بعد الثناء عليهم في البداية بقوله المجد للمستقبلية وذلك لكونهم نشدوا المتغير في الحياة حيث ظهور عصر التقنيات الصناعية المحققة مبدأ السرعة إذ جاء في بيانه "أن جهود المستقبلين لإعطاء رسم تشكيلي خالص باءت بالفشل ، لم يستطع التحرر من تمثيل الأشياء ..حيث تكديس للأشياء هذا لم يأتي عن الشعور الحدسي ، وإنما من انطباع بصري محض ، بينما تصميم وتشكيل اللوحة مدير لإعطاء هذا الانطباع"<sup>١٧</sup>

#### المبحث الثالث: السوبرماتزم أو التفوقية

نشطت الحركات التي ترغب بالوصول للتجريد في موسكو بدأ من كانديسكي ومالفيتش سعياً لتجربة جديدة بالفن تتوافق مع متطلبات الفكر المعاصر المتمرد على الواقع المعاش ، فكانت التفوقية او سوبرماتزم التي هي خلاصة التجربة الطليعية للفن الروسي ، إذ أتت الفكرة وفق اعتقاده بأن السلطة العليا بالعالم تأتي من الإحساس بالشعور الخالص ، الذي لا يرتبط بأي شيء وبالتالي دعا إلى هذا الاعتقاد من خلال الفن حيث الأشكال الجديدة غير موضوعية في الاعمال الفنية ليست لها صلة بالعالم الواقعي المرئي<sup>١٨</sup>

وهناك رأي آخر من قبل هربت ريد إذ يرى أن كانديسكي ومن خلال كتابه الروحانيات بالفن في عام ١٩١٢ والذي ترجم الى اللغة الروسية ومن ضمن فصل يتعلق بالشكل واللون ويطرح فيه رغبته في ابتكار و تجديد خلاق لعالم التشكيل قد اظهر فكرة الإحساس الخالص بالعمل الفني<sup>١٩</sup> ، وترى الباحثة أن ريد يلمح إلى أن أصول التجريد في الفن الروسي يعود فضله للفنان كانديسكي ، ولكن نجد أن هذا الامر قد تزامن و توافق مع رؤية مالفيتش بالشعور الخالص للرسم وذلك من خلال الشكل اللون نفسه من غير موضوع أو دلالة وقد جسدها في لوحته الشهيرة المربع الأسود على خلفية بيضاء كمثال لتلك الرؤية<sup>٢٠</sup> (شكل ٢٦)



شكل ٢٦

أتت السوبرماتزم فو قد تم تسمية مربعه الأسود بالأيقونة العارية كونها بدون اطار زمني حيث أكد بقوله أن : " الوسيلة الملائمة للتفوقية هي تلك التي تعبر عن الشعور الصافي الذي يجهل الشيء... فالشعور هو العامل الحاسم... والفن يصل بهذه الطريقة الى تمثيل لا موضوعي " <sup>٢١</sup>

ويمكن ان ننقضى عن اصل وجذور كلمة التفوق او السوبرماتزم والغاية من اطلاقه على هذا النمط من انواع الفن التشكيلية المجردة وفق ما تكرر ذكره من ضمن مقتطفات محتوى بيانها والذي قرأه الفنان مالفيتش بنفسه ، حيث قال فيه " لو كان رسامو عصر النهضة قد اكتشفوا سطح اللوحة لكانت اكثر تقوقاً ولكانت لها قيمة اكثر من أي عذراء او جوكندا .. فأي خماسي أو سداسي لو نُحت لكان نحتاً أكثر تقوقاً من تمثالي فينوس دي ميلو وداود ... .. مثلما يبتكر العقل من لا شيء أشياء للاستخدام اليومي ويتقنها ، ولهذا تبدوا اشكال العقل الانتفاعي اكثر تقوقاً من أي محاكاة تعرضها للوحة ، اكثر تقوقاً لأنها حية ، لأنها تخرج من المادة التي أعطيت هيئة جديدة لحياة جديدة... " <sup>٢٢</sup> أي بمعنى اخر ان التفوق تتشد التجديد من خلال البحث عن أشياء لم يشهدها عامة الناس ، شيء قد يكون مبتذل عن مداركهم ، ليأتي الفنان ويُزيل غبار الابتدال عنها ويملي عليها كيان جمالي جديد مختلف عن ما هو في الطبيعة ويملي عليها قيمة جديدة من خلال الابتكار أولاً وقبل كل شيء وبالتالي يأتي دور الخبرة ، وكلمة التفوق تكررت كثيراً في البيان لتكون دلالة عن الشيء المبتكر الذي تقدم وسبق مجمل الفنانين ويسمو الشعور بالأشكال والألوان في العمل الفني .

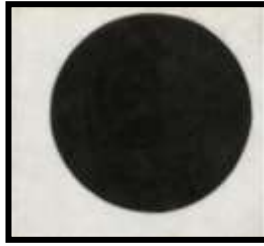
وتصنف تلك النزعة المتسامية إلى ثلاث مراحل حسب المربعات و وضعياتها والوانها وهي : المرحلة السوداء والمرحلة الحمراء والمرحلة البيضاء <sup>٢٣</sup>

المرحلة الأولى : وهي المربع الأسود على أرضية بيضاء ١٩١٣ ، والتي استوحى فكرته من عمل كان قد نفذه في أوبرا ( الانتصار على الشمس ) \* حيث تُشير بعض المصادر انها نُفذت على ستار المسرح وهو مربع اسود متكون من مثلثين بشكل متناظر ، والرأي الاخر، يؤكد أن الاشكال الهندسية المربعات والمثلثات والمستطيلات قد نفذها مالفيتش من ضمن ديكور المسرحية وازياء الممثلين، ويمثل اللون الأسود ظلمة الليل الحالكة أما رسمه على مساحة واسعة فدلالته انتشاره في السماء كدلالة لانتصاره على الشمس <sup>٢٤</sup>

ويفسر بعض المنظرون ان توظيف الشكل الهندسي للمربع " يمثل حالة الاستيعاب الشكلي الهندسي المجرد ويكون ذلك شأنه شأن الصفر والذي يرمز له فكل منهما يظهر حالة الإحساس بالنقاء المجرد تلك الحالة التي حاول الفنان أيضاً تمثيلها بالألوان الأساسية خالصة التجريد " <sup>٢٥</sup>

كذلك ظهرت الدائرة السوداء على خلفية بيضاء ( شكل ٢٧ ) والصليب بشكلة الأسود على خلفية

بيضاء



شكل ٢٧

المرحلة الثانية : المربع الأحمر والذي انجز بتاريخ حيث أن كل ما ينطبق على المربع الأسود ينطبق على المربع الأسود ( شكل ٢٧ )

المرحلة الثالثة : مربع ابيض على خلفية بيضاء ، والمنجزة بتاريخ ١٩١٩ إذ اخذ الاختزال طابع كلي في العمل الفني لدرجة التدرج وتمثيل رؤية السوبرماتزم ما بعد الصفر ، والجدير بالذكر هناك مرحلة رابعة اشارت لها المصادر بصيغة غير مباشرة حيث ألحقه بالمربع اشكال هندسية أخرى مبسطة منها الدائرة والمثلث والصليب والتي نُفذت بألوان مختلفة عن المراحل السابقة<sup>٢٦</sup> ( شكل ٢٨ ، شكل ٢٩ ) .



شكل ٣٠



شكل ٢٩



شكل ٢٨

لقد استندت السوبرماتزم وفق منجزات فنانها على مجموعة من المبادئ والتي ذكرها مالفيتش من ضمن تفرغه للكتابة والتنظير الفني والتي على أساسها يتحقق مبدأ التسامي او التفوق ،وهي كالآتي :

١ . النقاء : جاء هذا التصور لدى الفنان مالفيتش في بداياته مع انطباعية سيزان والتكعيبية والمستقبلية ، حيث بدأ الفنانين يتخلون عن محاكاة الشكل الواقعي ليقوضوها بالأشكال الهندسية ، ومنها استمد ما يخدم حركته السوبرماتزم حتى وصل به نهاية المطاف بالشكل الأبيض على السطح الأبيض والتي اشارت له الباحثة مسبقاً ، "ليعبر عن اقصى درجات النقاء ويكتمل فيها النزعة المتسامية"<sup>٢٧</sup>

وقد ظهر مفهوم النقاء لدى كل من **كلايف بل\* Clive Bell** ( ١٨٨١ - ١٩٦٤ ) و **روجر فراي\* Roger Fry** ( ١٨٦٦ - ١٩٣٤ ) اللذان اعتبروا ان النقاء هو ذلك الشعور الذي يرافقه الانفعال الجمالي بالشكل واللون في الاعمال الفنية الحديثة ومنها التشكيل بالذات وهي تمثل ذاتها من دون ان تكون قالب لموضوع محاكي للواقع<sup>٢٨</sup> .

٢ . الاقتصاد : لقد أشار مالفيتش لذلك الامر في كتاباته بالفن ، وقد استمدّه من اطلاعه وممارسته التجريبية للتكعيبية والمستقبلية حيث إظهار لحظتين أساسيتين في صورة واحدة وقد استثمارها في السوبرماتزم واعتبرها **بعداً خامساً\*\*** غايتها تحقيق الديناميكية او الحركة<sup>٢٩</sup> .

وترى الباحثة ان مفهوم الاقتصاد في اللون في السوبرماتزم يختلف عن ما هو في الشكل ، حيث رفض مالفيتش لاستخدام الكثير من الألوان وعلى مختلف تباينها ، والتأكيد على الألوان الأساسية فقط والتي ارتهنت مع مراحل شكل المربع التي اشرنا لها مسبقاً

٣ . تهديم الشكل : ظهر هذا المبدأ لدى التكعيبية وخصوصاً في المرحلة التحليلية حيث بدأ بيكاسو بتحطيم الشكل واللجوء الى مبدأ الاختزال حيث التخلي عن كل ما هو فائض والتأكيد على الجوهري الذي يستثير انتباه المتلقي ، وهنا يتضمن هذا الأسلوب " روح التقصي وتشریح الشكل وبلورة مفهوم جديد للفضاء التصويري وتفكيك عناصر الموضوع ... " ٢٠

وتستشف الباحثة أن مالفيتش استمد هذا المبدأ من تلك المرحلة في الأسلوب التكعيبى ولكن باختلاف طفيف في المبدأ والغاية ، حيث كان غرض مالفيتش هو تجاوز واقعية الشكل من أجل التسامي من خلال الاشكال الهندسية ، فالمربع والدائرة ومجمل الاشكال البقية لا يعدها اشكالاً مادية بل اشكال خالصة لذاتها ، ولا تتم تلك العملية إلا من خلال حلها وتغييبها من خلال اللون والحركة ٢١ .

وترتأى الباحثة إلى التطرق لفناني السوبرماتزم الذين انتهجوا رؤيته الفنان مالفيتش وأسلوبه وشاركوا في معرضه التأسيسي وتم ذكرهم في بيانه الذي اعلن فيها عن ظهور ذلك الفن الجديد ومنهم ايفان كليون وبوني ومفيكوف و روزا نوبا و بوجو سلافسكييا وهؤلاء بمثابة المؤسسين الأوائل ومن ثم انضم بعد ذلك مجموعة أخرى من الفنانين الروس .

يعد الفنان ايفان كليون\* **Ivan Kliun** ( ١٨٧٣ - ١٩٤٣ ) فقد جعل الاشكال الهندسية متداخلة فيما بينها وظهرت الدائرة والمثلثات بحضور مركزي في الاشكال الرباعية ( شكل ٣١ ) .

ومثلما سحب مالفيتش نفسه نحو الصفر تاركاً معظم الاشكال الواقعية خلفه ليبدأ من جديد من خلال المربع وتبدأ مسيرة التفوقية من هذا الشكل ، والملاحظ أن كليون قد رسم المثلث على أرضية بيضاء على غرار مربع مالفيتش ( شكل ٣٢ ) ، وهذا هو معنى الإحساس الخالص المقارب للمفهوم التصفوي للفن باعتباره غادر الواقع نحو أشياء أكثر نقاء ، هي بمثابة اختزال كلي للعالم التمثيلي وهذا المبدأ من التسامي نحو الجوهري كان قد تميز به الفن الإسلامي من خلال الزخرفة الإسلامية ومنها بالذات الاشكال الهندسية والتي الهمت منظري ومبدعي الفن الأوربي فيما بعد .



شكل ٣٢



شكل ٣١

اما الفنانة اولغا روزانوف\* **Olga Rozanova** ( ١٨٨٦ - ١٩١٩ ) واشكالها في الغالب مربعات ومستطيلات متداخلة بألوان مختلفة ، يغلب عليها الميلان بزواوية حادة مع الخط الافقي للوحة المسندية )



شكل ٣٣

فبعض رسوماتها تتماثل مع ديناميكية رسومات لمالفيثش في السوبرماتزم إلا أن المتغير هنا هو تعددية استخدام الألوان بعد ما ان كانت خاضعة لمبدأ الاقتصاد وجعلها في ديناميكية ثابتة أي أن تحركها رهن ترابطها فيما بينها ، وتلك الاشكال هي سمة المميّزة في السوبرماتزم تجعل الاستجابة لها حدسياً بكل سهولة<sup>٣٢</sup>.

الفنان آل ليستيزكي \* **El Lissitzky** ( ١٨٩٠ - ١٩٤١ ) فالأشكال الهندسية اتخذت شيء من التجسيم وظهور البعد الثالث أو البعد الوهمي المنظوري بعد ما ان كانت مستوية ذات بعدين ، واخذت الدائرة مركزية موضوع واستحلت مساحة شاسعة من فراغ اللوحة ( شكل ٣٤ ) .  
أما الفنان ايفان بوني\* **Ivan Puni** ( ١٨٩٢ - ١٩٥٦ ) فالسمة المميّزة في منجزاته هو توظيف تقنية الكولاج\*\* من ضمن السوبرماتزم ، وبخلاف الاشكال الهندسية لأقرانه حيث الشكل ثنائي البعد ، أصبحت الاشكال بارزة عن سطح اللوحة وبخامات مختلفة ليست لها صلة بمواد الرسم ( شكل ٣٥ )

أما نيكولاي سويتين\* **Nikolai Suetin** ( ١٨٩٧ - ١٩٥٤ ) فقد وظف مفردات السوبرماتزم لتدخل من ضمن الفنون الخزفية وتزين سطوح الاواني والزهريات والاباريق من الخارج ، بل نجد أن بعضها قد اتخذ تصميم مظهرها الخارجي وبنائه الشكلي نموذج وفق التكوينات السوبرماتزمية ( شكل ٣٦ ) .





### نتائج البحث

١. جاء الفن الروسي بثلاث اطوار أسهمت بتلاقح الأساليب والرؤية والتجريب تمخض منها ظهور فن روسي له سمته الخاصة .
٢. التماس المباشر وغير مباشر ما بين أوربا وروسيا اسهم بتطور أساليب الفن التشكيلي اللاموضوعي او المجرد لديهم وكانت ابرزها التكعيبية المستقبلية .
٣. ظهور تجارب جمعت ما بين فنون التصميم المعماري والفن التشكيلي وكان كل من الفنان كاندنسكي والفنان مندريان لهم الدور البارز بمثل تلك الاتجاهات .
٤. أسهمت البعثات الروسية الى أوربا الى انتشار بعض الابتكارات التجريبية في المنجزات التشكيلية ومنها التكعيبية والمستقبلية والسوبرماتزم
٥. أتت التكعيبية الروسية لتهتمش الشكل الواقعي وبدأت رؤية جديدة للشكل في الفن التشكيلي ، وبدأ تركيب الشكل بطريقة متنافرة تستقر بصر المتلقي ومنها ظهرت التكعيبية البنائية لبيت مودريان .
٦. برع الروس بالمستقبلية كانت بمثابة نافذة نحو المستقبل إذ أنطلق منها الفنان نحو الجمال الحقيقي جمال متوافق الرؤية المعاصرة ، حيث الفن الجديد الذي يبتكر من اللاشيء ليكون شيء متمثل بالشكل الخالص المتجرد من الرمزية والموضوعية والواقعية.
٧. الانطباعية الحديثة وتخليها عن الفنون المتأثرة بالتطور ، والعودة الى الصفر حيث الفطرة في استخدام اللون وبساطة التكوين الشكلي ونموذجها المميز غوغان .
٨. وظهور السوبرماتزم وكانت اهدافها : أ. نبذ المحاكاة والواقعية الطبيعية والرمزية والفن الانتقاعي ب. رغبتها بأن يكون الشكل من نتاج حدسي وبشعور واعى . ج. البحث عن أشياء جديدة بالفن ، ابتكار يؤدي الى متغير جذري . د. يمكن ان ننشد الاشكال الهندسية كشكل خالص حدسي ويوظف من ضمن العمل الفني . هـ. نبذ كل النظريات المتعلقة بالفن الاكاديمي والمصطلحات الجمالية ، فهي تقيد روح الخيال والابتكار . و. رغبة السوبرماتزم هو حرية الفنان التامة دون تقيد ، وتحقيق ذاته من خلال الفن الخالص
٩. اهم المبادئ التي اعتمدها السوبرماتزم في إنجازاتهم الفنية هي : أ. النقاء : حيث ابتعاد الاشكال عن كل الأشياء الواقعية والموضوعية وهي تمثل النزعة المتسامية . ب. الاقتصاد : حيث يمكن ان يتجسد لحظتين للشكل الواحد في نفس الصورة ، وهو ما سماه بالبعد الخامس والمستمد من الأسلوب التكعيبية والأسلوب المستقبلي . ج. ظهور مفهوم اللون الفلسفي ، اللون الذي لا ينتمي للبعد المكاني والزمني في العالم الواقعي والموضوعي.

- د. تهديم الشكل : اجتناب وعزل الاشكال الفنية عن كل ما هو واقعي وموضوعي من اجل تحقيق النزعة المتسامية ، معتبراً على انها اشكال ليست مادية ، و أن المساحة الملونة هي الشكل الحقيقي

### المصادر

١. احمد عباس علي ، المعالجات الاسلوبية و التقنية في الرسم التكعيبى و اثرها في فنون الحداثة ، دار الرضوان للنشر مع دار الصادق ، الأردن والحلة ، ط١ ، ٢٠١٣ .
٢. أر، جي مولر ، وفرانك ابلفر ، مئة عام من الرسم الحديث ، ترجمة : فخري خليل ، مراجعة : جبرا إبراهيم جبرا ، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٨٨

٣. بلاسم محمد ، الفن التشكيلي قراءة سيميائية في انساق الرسم ، ط ١ ، دار مجدلاوي للنشر ، الأردن ، ٢٠٠٨ .
٤. الجبوري ، عبد القادر ، النضال ضد عبادة الماضي الاتجاهات الطليعية الروسية ١٩١٠ - ١٩٣٠ ، المركز القومي .
٥. الخزاعي ، عبد السادة عبد الصاحب ، الرسم التجريدي بين النظرة الإسلامية والرؤية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، دروب ، الأردن ، ٢٠١١ ي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٥
٦. راضي حكيم ، فلسفة الفن عند سوزان لانجر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى ، بغداد - ١٩٨٦
٧. ريد ، هربت ، الموجز في تاريخ الرسم الحديث ، ترجمة :لمعان البكري ، مراجعة : سلمان الواسطي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩
٨. ريد ، هربت ، النحت الحديث ، ت : فخري خليل ، مراجعة : جبرا إبراهيم جبرا ، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٩٤
٩. زينات البيطار ، غواية الصور النقد الفني وتحولات القيم والأساليب و الروح ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٩
١٠. ستولنيتز ، جيروم ، النقد الفني دراسة جمالية ، ط ٢ ، ت: فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٣ .
١١. سعيد درويش ، عبد الله السيد و محمد محفل ، الرمز والرمزية في الفن التشكيلي ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية ، المجلد التاسع والعشرون ، العدد الأول ، ٢٠١٣ .
١٢. سلوى نجار ، جمالية العلاقات النحوية في النص الفني ، التتوير ، بيروت ، ٢٠١٠
١٣. صبري عبد الغني ، الفراغ في الفنون التشكيلية الحديثة وما بعد الحديثة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٨
١٤. فخري خليل ، أعلام الفن الحديث ، ج ٢ ، نشر مشترك مؤسسة الفارس العربي ودار الساقى ، الطبعة الأولى ، الأردن وبيروت ، ٢٠٠٥ .
١٥. محمد جمال قبيعة ، موسوعة الرسامون وابداعاتهم ، ط ١ دار الراتب الجامعي ، بيروت ، ٢٠١١
١٦. محمود أمهز ، التيارات الفنية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، شركة المطبوعات ، ، بيروت ، ١٩٩٦
١٧. محمود بسيوني ، التجريد بالفن ، تقديم :يوسف العفيفي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠
١٨. هاوزر ، ارنولد ، الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ج ٢ ، ترجمة : فؤاد زكريا ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧١ .
١٩. نعمت إسماعيل علام ، فنون الغرب في العصور الحديثة ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠١٠
٢٠. هاشم فاروق محمد محمود ، و رشا عبد المنعم و ريم عصام ، الحركة الرمزية في روسيا ١٨٩٠- ١٩٢٥ ، مجلة الفنون والعمارة للدراسات البحثية ، المجلد الثاني العدد ٤ ، جامعة حلوان ، كلية الفنون الجميلة ، القاهرة ، ٢٠٢١ ،

Vladimir Kemenov, Great Painters Vastly Surikov , ..٢١  
porkstone,England,١٩٧٧

Robert Rosenblum and H.Janson, ١٩TH- Century .٢٢  
Art,PEARSON,China,٢٠٠٥,

Fred S.Kleiner, Gardner,s Art , ١٩٩٥ .٢٣

\* **اوستن وارين** : ناقد ادبي امريكي وعضو في اكااديمية في الادب الفنون ، واستاذ جامعي درس في العديد من الجامعات الامريكية ومنها جامعة ميشيغان، وجامعة برنستون، وجامعة كنتاكي، وجامعة آيوا، وجامعة هارفارد، وجامعة نيويورك، والمتحف البريطاني ، (<https://ar.wikipedia.org/>)  
١ عادل كامل ، المصادر الأساسية للفنان التشكيلي العرافي المعاصر ، الموسوعة الصغيرة ٤٢ ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١٨ .

\* **رمسيس يونان** : فان مصري ينتمي للأسلوب السريالي وكاتب فني ، مؤسس جماعة الفن والحرية ومن رواد التجديد في الفن المصري وداعية التحرر في الفكر والفن (<https://arz.wikipedia.org/wiki/>)

٢ . رمسيس يونان ، دراسات في الفن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ١٤٠-١٤٢ .  
٣ . حنان عبده احمد احمد ، العلاقات السياسية بين روسيا وبيزنطة في القرن العاشر والحادي عشر ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بورسعيد ، العدد السادس عشر ٧/٢٠٢٠ ، ص ٨٠٠ .

\* **الفن الايقوني** : فن ظهر مع انتشار المسيحية في دولة البيزنطيينه احد عواصم الإمبراطورية الرومانية ، و كانت موضوعاته دينية في الغالب تجسد المسيح وامه ، والحواريون والقساوسة ، وانتشر هذا الفن في روسيا بعد حدوث التلاحق الثقافي ما بين الدولتين حتى اصبح سمة مميزة لتراثهم واسهموا بانتشاره في أوروبا  
( ، ، ٣١٨ ، p , Historisch-politische , Reussische whlt , Stanslaus.V )

\* **الأقياوسيا** : منطقة جغرافية تشمل أستراليا وميلانيزيا وميكرونيسيا وبولنيزيا. تمتد أوقيانوسيا عبر نصف الكرة الشرقي والغربي وتبلغ مساحتها ٨,٥٢٥. تُعد أوقيانوسيا، بالمقارنة مع القارات، الأصغر من حيث المساحة، وثاني أصغر منطقة من حيث عدد السكان (<https://ar.wikipedia.org/wiki/>) وبعبارة أخرى هي مجموعة جزر لا ترتبط فيما بينها باليابسة ن بل يُحيطها البحر من كل الاتجاهات  
٤ . زينات بيطار ، غواية الصور ، مصدر سابق ، ص ١٠٠ .

\*\* **اندرى ريلوف** : رسام روسي ايقوني ، للكنيسة الأرثوذكسية الروسية ، ساهم في زخرفة ورسم جدران كاتدرائية البشارة في كرملين موسكو، وكذلك كاتدرائية صعود العذراء في مدينة فلاديمير .  
( <https://ar.wikipedia.org/wiki/> )

\*\* **يوهان لامبي** : رسام روسي فخري هاجر موسكو الى فينا وأنشأ ورشته الخاصة التي استقطبت الكثير من الفنانين الروس ، ومن أشهر لوحاته سان بطرس التي استمر بها خمسة سنوات وصور للمواكب الملكية الروسية والنمساوية (<https://ar.wikipedia.org/wiki/>)

\* **فستل سيركوف** : فنان القوقازي الذي يعترف بانتمائه القبلي لكونه جسدها من ضمن رسوماته ، وقد عاشه فترتين الواقعية والانطباعية في اخر حياته ، وكانت رسوماته ذات طابع بانورامي بتكوينها الانشائي متمثلة بكثرة الشخص وبيان الإيماءات التعبيرية في الوجوه ، وكذلك يمكن ان نأخذه كمثال للانطباعية ، وخصوصاً بعد انتقاله من سان بطرس الى مدينة موسكو وإعجابه بالأجواء والمباني القديمة ونظم الكنائس والميدان الأحمر والكرملين  
( Vladimir Kemenov, Great Painters Vastly Surikov , ص : ١٤ )

\* بانوراما : مشهد عام ، منظر شامل من كل اتجاه ، ونظرة شاملة للأحداث .

° . Vladimir Kemenov, Great Painters Vastly Surikov ,  
porkstone,England,١٩٩٧.p٧١

- <sup>٦</sup> . هاوز ، ارنولد ، الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ، مصدر سابق ص : ٤٢٢
- \* فالتين سيرفو : رسام واقعي روسي من فترة نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين
- \*\* الألوان الفلسفية واللون الخالص : اللون الذي اتخذ بعد زمني ومكاني يختلف عن زمكانية العالم الواقعي ، فالألوان هنا من عالم الخيال وفق رؤية الفنان مالفيتش وليست محاكاة للون الواقعي ( الباحثة ) .
- <sup>٧</sup> . الجبوري ، عبد القادر ، النضال ضد عبادة الماضي ، مصدر سابق ، ص ٢٢٢ .
- \*\* \* فاسيلي كانديسكي : فنان ذو مواهب متعددة ، ولكنه تخصص بالرسم عند سفره الى ميونخ والدراسة في كلية الفنون الجميلة فيها مكتشف التجريدية في التشكيل وكانت اول لوحة بهذا الأسلوب عام ١٩١٠ ولهذا نسب له المذهب التعبيري - التجريدي، حيث أصبح هذا المذهب مدرسة الرسم المهيمنة والسائدة منذ ذلك الوقت - وفترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها. وقد أطلق عليه اصحابه ( محمد جمال قبيعة ، الموسوعة الشاملة ، ص ١٠٠ )
- \* **الاتجاه الوحشي** : هو ذلك الاتجاه الذي منح اللون حرية ، واستخدام الألوان البراقة وتحطيم التجسيد الصوري الواقعي ، مع استخدام أسلوب الألوان المكلمة والصارخة ( جي أي مولر ، مئة عام على الرسم الحديث ، ص ٦٦ ) ولهذا ترى الباحثة ان اللون اصبح هو العنصر السیادي في اللوحة على حساب الشكل .
- \* \* الفوفيزم : نمط من أنماط الفن الانطباعي الفرنسي يتميز بالتقليل من تفاصيل الشكل والتأكيد على خطوطه الظاهرية البسيطة وتجنب المنظور الخطي والضوء مع التأكيد على الوسط البصري الرئيسي ( Russian-Art-١١/٧/٢٠٢١ ) .
- <sup>٨</sup> . ريد ، هربت ، الموجز في تاريخ الرسم الحديث ، مصدر سابق ، ص ٩٧
- \* \* **بيت مودريان** : فنان روسي استخلص من التكعيبية نهج ليختزل الاشكال ليجعلها مجرد إشارات من الخطوط وإيقاعات لونية وشكلية من اجل خلق تكوين مستقل بذاته ، ثم طور أسلوب جديد خلال عام ١٩١١ معتمداً على الرياضيات التشكيلية ( فخري خليل ، اعلام الفن الحديث ، ص ١٨٠ )
- <sup>٩</sup> . راضي حكيم ، فلسفة الفن عند سوزان لانجر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى ، بغداد - ١٩٨٦ ، ص ١٨
- \* فاسيلي فاسيليفتش فرشاغن، كان أحد أشهر الفنانين الحربيين الروس وأوائل الفنانين الروس الذين ذاع صيتهم في الخارج. الطبيعة بالغة القسوة لمناظره الواقعية أدت إلى عدم طباعة أو عرض العديد من لوحاته. ويكيبيديا
- <sup>١٠</sup> Robert Rosenblum and H.Janson, ١٩TH-Century Art, PEARSON, China, ٢٠٠٥, ٣٤٩ ص
- <sup>١١</sup> . هاشم فاروق محمد محمود ، و رشا عبد المنعم و ريم عصام ، الحركة الرمزية في روسيا ١٨٩٠-١٩٢٥ ، مجلة الفنون والعمارة للدراسات البحثية ، المجلد الثاني العدد ٤ ، جامعة حلوان ، كلية الفنون الجميلة ، القاهرة ، ٢٠٢١ ، ص ٢٢١
- \*\* بافيل كونستينوف : رسام وفنان كرافيك وكذلك درس الرسم والنحت في مدرسة موسكو للفنون ، رسومه ترتبط مع الثقافة الشعبية وخصوصا لتلك القرى فيرغيزستان في اسيا الوسطى ( <https://en-m-wikipedia-org.translate.goog/> ) .
- <sup>١٢</sup> . الجبوري ، عبد القادر ، النضال ضد عبادة الماضي ، مصدر سابق ، ص ١٢٢
- <sup>١٣</sup> . ، سعيد درويش ، الرمز والرمزية ، مصدر سابق ، ص ٦٦٣
- \* اولكار ريزانوف : فنانة روسية طليعية ، مارست العديد من الاتجاهات منها التكعيبية ومن ثم السوبرماتزم والبدائية الجديدة والتكعيبية البنائية ( <https://www.google.com/search?q> )
- \*\* ناديجدا أودالتسوا : فنانة واستاذة جامعية بالفنون مارست التكعيبية والسوبرماتزم ومن ثم الرمزية ( <https://en-m-wikipedia-org.translate.goog/> )
- <sup>١٤</sup> . ريد ، هربت ، النحت الحديث ، ترجمة : فخري خليل ، مراجعة : جبرا إبراهيم جبرا ، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٩٤ ، ص ٦٦

\* أحد مؤسسي البنائية والمشارك في "المعرض المستقبلي الأخير" الأسطوري ٠،١٠، وفقاً لعدد من النقاد ، كان أداءه أكثر إثارة للإعجاب من Malevich. هناك ، ولأول مرة ، قدم نقوشه المضادة - هياكل حجرية مصنوعة من مواد مختلفة مع التركيز على عدم الموضوعية. وهو مؤلف المشاريع البيوتوبية الشهيرة: برج الدولية الثالثة وأورنيثوبتر ليتاتلين ، التي لم تتطرق أبد

\* \* يمكن أن يطلق على Rodchenko عازف متعدد الآلات - يبدو أنه كان خاضعاً لجميع الأنواع والتقنيات الممكنة. قام برسم الصور والمنحوتات المنحوتة والتصوير وتصميم العروض المسرحية والأفلام ، كما عمل كمصمم: أول إعلان في الاتحاد السوفياتي يُنسب إليه. إلى جانب فلاديمير تاتلين وأليكسي جان ، أصبح مؤسس البنائية.

\*\* لييوف بويوفا : فنانة طليعية رسامة ومصممة روسية مارست التكعيبية والمستقبلية في أوروبا ونقلتها إلى روسيا - ومن ثم انضمت إلى السوبرماتزم ، أدخلت من خلال فن التصميم الفني التشكيلي في المسرح والمنسوجات لتسهم في توسيع رقعة مبادئه في المجتمع ( <https://www.theartstory-org.translate.google.com/artist> )

١٥ الجبوري ، عبد القادر ، النضال ضد عبادة الماضي ، مصدر سابق ، ص ٢٣١

\* **الجشائلات** : Gestalt كلمة المانية وتعني الشكل والنمط والصيغة وأصبحت تمثل اتجاه فكري ومدرسة يعلم النفس ظهرت في ألمانيا وانتقل إلى الولايات المتحدة ومن ثم أصبحت احد دعائم الاتجاه البنوي بالفن والادب ، اهتمت بدراسة كيفية حدوث الاستبصار حيث حدوث الإدراك مع المعرفة ، ومنها جاءت آرائهم مؤثرة بعلم النفس التربوي وطرائق التدريس وفنون التصميم وقد استندت على فكرة : أن الكل ليس جميع الأجزاء بل مختلف عنه واكثر منه ( بلاسم محمد ، الفن التشكيلي قراءة سيميائية ، ص ٩٠ )

١٦ . صبري عبد الغني ، الفراغ في الفنون التشكيلية الحداثه وما بعد الحداثه ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ص ١٣٠ .

\*\* **نيم غابو** : فنان روسي ينتمي للاتجاه التركيبي او البنائي في النحت والحركي وله اسهامات مع المستقبلية ، استمد تجاربه الفنية من خلال سفره واقامته في ميونخ وباريس ، وعاد لينقل تلك التجربة إلى روسيا بسبب اندلاع الحرب العالمية واسهموا بالفن الثوري المناهض للواقعية في موسكو ( ريد ، النحت الحديث ، ص ٦٨ )

١٧ . الجبوري ، عبد القادر ، النضال ضد عبادة الماضي ، مصدر سابق ص : ٢٢٧ - ٢٣١ .

١٨. Fred S.Kleiner, Christin J.Mamiya and Richard G.Tansey, Gardner,s Art, Eleventh Edition, THOMSON, United States of America, ٢٠٠٣, p ٨٢٨

١٩ . ريد ، هربت ، الموجز في تاريخ الرسم الحديث ، مصدر سابق ، ص ١١٥

٢٠ . - ريد ، هربت ، الموجز في تاريخ الرسم الحديث مصدر سابق - ص ١١٥ .

٢١ . محمود أمهز ، التيارات الفنية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، شركة المطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ص

٢٣٣ .

٢٢ . الجبوري ، عبد القادر ، نضال ضد الماضي ، مصدر سابق ، ص ٢٣٢ - ٢٤٢

٢٣ سلوى نجار ، جماليات العلاقات النحوية في النص الفني ، مصدر سابق ، ص ٩٤

\* **أوبري الانتصار على الشمس** : مسرحية غنائية من نتاج جماعة ما وراء الإدراك والذي مؤسسها ألكساي كروتشنخ ، وهو مؤلفها وعزف الموسيقى الخاصة بها الموسيقار الروسي ما توشين ( الجبوري ، عبد القادر ، النضال ضد عبادة الماضي ، ص ٢١٠ )

٢٤ . الجبوري ، عبد القادر ، نضال ضد عبادة الماضي ، مصدر سابق ، ص ٢١١ - ٢١٢

٢٥ . الخزاعي ، عبد السادة عبد الصاحب ، الرسم التجريدي بين النظرة الإسلامية والرؤية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، دروب ، الأردن ، ٢٠١١ ، ص ٢٩٤ .

٢٦ . نعمت إسماعيل علام ، فنون الغرب في العصور الحديثة ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠١٠ ، ص ١٧٦ .

٢٧ . سلوى النجار ، جمالية العلاقات النحوية في النص الفني ، مصدر سابق ، ص ٩٧

\* **كلايف بل** : مفكر وناقد من انصار النظرية الشكلية ، ولد وتوفي في المملكة المتحدة ، طور نظرية الفن تحت اسم الشكل الكبير ، وبرز كتبه التي ترجمت للعربية الفن الذي تم نشره عام ١٩١٤ . ( <https://en-m->

[wikipedia-org.translate.google.com/](https://en-m-wikipedia-org.translate.google.com/) )

- \* روجر فراي : رسام وناقد فني ومؤرخ بالفن وتدريسي في الجامعة وكذلك شغل منصب امين متحف ومن كتبه ( البنية والتصميم ) لعام ١٩٢٠ (انفعالات-الحياة-التخيلية-و-علم-الجمال-روجر فراي-الترجمة-من-الإنجليزية-دبلال-الجبوسي/ <https://alrai.com/article/> )  
٢٨ . ستولنيتز ، جيروم ، النقد الفني دراسة جمالية ، ط ٢ ، ت: فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٣ .
- \*\* البعد الخامس : يوجد في النظام الكوني اكثر من بعد بحسب اراء المفكرين والفلاسفة ، واشهر تلك الابعاد ما أشار لها أينشتاين الطول والعرض والعمق وهي ابعاد مكانية ، أما البعد الرابع فهو الزمان ( <https://www.google.com/search> )  
٢٩ . سلوى النجار ، جماليات العلاقات النحوية في النص الفني ، مصدر سابق ، ص ٩٩
- ٣٠ . احمد عباس علي ، المعالجات الاسلوبية والتقنية في الرسم التكعيبي واثرها في فنون الحدائث ، مصدر سابق ، ص ٦٤ .
- ٣١ . سلوى النجار ، جماليات العلاقات النحوية في النص الفني ، مصدر سابق ، ص ١٠١
- \* **ايفان كليون** : بدأ مع الفن الرمزي ومن ثم دخل في ميدان الأسلوب التكعيبي ويليها تحول نحو المستقبلية واستقر في نهاية المطاف بأسلوبه على السوبرماتزم بعد ما ان ألتقى مع مالفيتش عام ١٩٠٧ لتكون هناك صداقة قوية انعكست فيما بعد على نشاطه الفني ، إضافة لذلك كان ناشط سياسي وأستاذ جامعي ، وشغل منصب مدير المعارض المركزية ( <https://www-museothyssen-org.translate.goog/en/collection/artists/kliun-> )  
( [iva](https://www.google.com/search) )
- \* **اولغا روزانوفنا** : رسامة ومصممة وشاعرة مارست الأسلوب المستقبلي والبدائي في الرسم ومن ثم استقرت على التقوية ( <https://www.google.com/search> )
- ٣٢ Fred S.Kleiner, Gardner,s Art , P٢٨٢ .
- \* آل ليستيزكي : رسام ومصمم جرافيك ، ومدرس تربية فنية ، اسهم بتطور السوبرماتزم مع استاذة مالفيتش ، وله بصمة فنية مع البنائية و الباهوس ( [https://en-m-wikipedia-org.translate.goog/wiki/El\\_Lissitzky](https://en-m-wikipedia-org.translate.goog/wiki/El_Lissitzky) )
- \* ايفان بوني :  
\*\* الكولاج : تقنية في الرسم طورها بيكاسو خلال المرحلة الثانية من التكعيبية أو التركيبية ، حيث استخدام خامات مختلفة تختلف عن خامات الرسم المألوفة ( الباحثة )
- \* **نيكولاي سويتين** : رسام وخزاف ومصمم كرافيك ، تتلمذ على يد مالفيتش واكمل دراسته في المعهد العالي للفنون في روسيا .

## انطولوجيا الذات

### قراءة نقدية في مشروع رواد النهضة العربية الفكري

م.د سامي كريم موشي

كلية الآداب/ جامعة ذي قار/ العراق

#### الملخص

يتناول هذا البحث الموقف من الذات عند مفكري عصر النهضة، وفق مستويين؛ الأول: هو الوعي بالذات وبدايات التشكل، والمستوى الثاني: المواجهة وآليات التفكير في التعامل مع الموقف، الذات إزاء الآخر، فالذات لم تكن تعي ذاتها إن لم يتشكل أمامها آخر يعيد لها ويعيد بذاتها وتعيد هي بنفسها قراءة ذاتها، فالذات لا تعي ولا تتشكل إلا بوجود آخر مقابل أو مضاد أو معارض، ولكن ماهي السبل الكفيلة بإعادة صياغة الذات بعد وعيها؟ وكيف تم تشكيل الذات بعيداً عن الآخر، وهل كانت الذات هي عينها الآخر أو تمثيلاً له، بما يمسحها ويمحي هويتها؟ كيف تعامل مفكرو عصر النهضة مع هذا الموقف.

#### Abstract

This research deals with the attitude towards the self of Renaissance thinkers, according to two levels; The first: is self-awareness and the beginnings of formation, and the second level: confrontation and the mechanisms of thinking in dealing with the situation, the self against the other. The last contrast, opposite, or opposition, but what are the ways to reformulate the self after awareness? And how was the self-formed apart from the other, and was the self the same as the other or a representation of him, by what deforms it and erases its identity? How did Renaissance thinkers deal with this situation?

#### على سبيل السؤال:

ستكون وقتنا مع أبرز أعلام عصر النهضة ممن طرحوا مشاريعهم في النهضة والإصلاح التي كانت على مستوى من الحضور والتأثير، لإلقاء نظرة على طبيعة المشروع النهضوي المطروح، لمعرفة كيفية التعامل مع الذات، والحالة التي تم بها طرح مشروع نهضة بتأثير أوروبي دون المساس بالذات، كيف تعاملوا مع قضية الدين/ الإسلام، كيف طرحوا نظريات غربية أوروبية وافدة لا تتقبلها عقلية المسلم/ العربي المنغلق على ذاته النسقية، أو على الأقل إنَّها تصطدم مع السلطة والمؤسسة الدينية، كيف تعاملوا مع اللغة، مع الآداب، حتى مع التاريخ: فالتاريخ أيضاً يمثل موقفاً من الذات، ولاشك أن فهم التاريخ هو الشرط الأول لفهم عملية إعادة الانخراط فيه والعودة إليه، والباعث عليه هو تفسير ما جرى وما يجري، واستنتاج العبرة من هذا الانقلاب الكوني، والكشف عن قوانينه، ورؤية النقائص الذاتية<sup>(١)</sup>، ولهذا كان لزاماً علينا أن نقف مع مجموعة من رواد الفكر العربي في عصر النهضة لقراءة مواقفهم إزاء التاريخ، والموروث، لأن ذلك

لا يشكل أهمية بالنسبة للذات، وإنما يشكل أيقونة أستمولوجية دالة على طبيعة المشروع المطروح، وآليات الفكر الذي أنتجه.

فإذا كان ثمة رؤية لعصر النهضة العربية فإننا لا نذهب بعيداً إذا قلنا: إنه "عصر السؤال"، عصر تحرر فيه العقل من مسلمات النسق، محلقاً في عالم من الأسئلة المزعزعة لمنظومات فكرية وثقافية وسياسية وحتى دينية تقولبت ورسخت منذ عصور، وكانت بعيدة كل البعد عن أن يطالها النقد والتفكير والسؤال، أعادها العقل التنويري العربي مرة أخرى ووضعها على طاولة الفكر والحوار والنقاش ليعيد بناءها، بما يحقق الانسجام بين الراهن والماضي والمستقبل، فالسؤال هو نواة العقل المفكر والساعي إلى التجديد والتقدم، كما أن ((ماهية العصر تتشكل من أسئلته التي تحافظ عليه بعنايتها وتحميه من خطر الأجوبة، فلكل عصر أسئلته، إنها ما يحركه نحو العظمة ويبدعه في تجليات الروح والفكر، يبدو عصرنا عصراً رديئاً لأنه يفتقد إلى تلك الاسئلة الجوهرية المرتبطة بالإنسان والسياسة والمعرفة))<sup>(١)</sup>، لذا ستكون محاولتنا هذه في سبيل السؤال مرة أخرى، لتحقيق غاية عصر النهضة على أقل قدر من المعرفة والمحاولة..

التنوير بوصفه حركة فكرية بدأت في مصر بعد حملة نابليون بونابرت عام (١٧٩٨) وعُدّت هذه الحملة بمثابة الصدمة الإيقاظية التي جعلت العرب يستيقظون من سبات طويل؛ لتتوجه أنظارهم وعقولهم إلى الغرب لاكتشاف مدى التأخر العربي بالقياس إلى أوروبا<sup>(٢)</sup>.

إنّ علاقات التأثير والتأثير والتبادل الثقافي ليست جديدة على الثقافة العربية والإسلامية، لأن في تراثنا العربي ما يثبت صراحة ويكشف بوضوح أنّ ثمة علاقة قديمة عمادها الاطلاع على ما أنتجته الحضارات القديمة سابقاً، وأنّ العرب أفادوا كثيراً من فلسفة اليونان وآداب الهند وبلاغة الفرس<sup>(٣)</sup>، واستمرت هذه العلاقة حتى وقتنا الحاضر.

إذن لم يكن الاطلاع على الغرب والتأثر بثقافتهم أو منجزاتهم الفكرية و الفلسفية هي نقطة التحول العربي أو بداية اليقظة، لأنّ عامل التأثير والتأثير موجود منذ القدم، أو منذ صدر الحضارة الاسلامية وبدائيات التأليف والفكر العربيين الإسلاميين<sup>(٤)</sup>، منذ أن تمت ترجمة العديد من المؤلفات التي تعود إلى أرسطو وافلاطون وبداية العصر العباسي الذي شهد حركة ترجمة واطلاع واسعة، بتشجيع من بعض الخلفاء العباسيين، مروراً بعصر الحكم العربي في الأندلس والحضارة الفكرية والفلسفية التي أسست هناك والتي أثرت بشكل كبير في الثقافة الأوروبية بحد ذاتها؛ ذلك أنّ اطلاع القدماء على اليونان مثلاً كان بنوع من المعاصرة التي لا تعني الزمان التاريخي بل الموقف الحضاري، و بالمعنى الذي اصطلح عليه "محمد اركون" بالأنسنة أو الأنسية<sup>(٥)</sup>، فالانفتاح على العلوم الأجنبية كان من أبرز علامات الأنسية في العصر الكلاسيكي العربي، فالموقف الانساني يعترف بالتعددية المذهبية والثقافية واللغوية، وهو صفة أساسية من صفات الأنسية التي ((هي المزج بين الثقافات والحضارات وصهرها في بوتقة ما، وبيئة ما))<sup>(٦)</sup>، فقد حدث حوار بين القدماء ونقلوا حضارات الامم السابقة بلا تحيز لأحداها أو السيطرة لها على ذهن الأمة، فنقلوا ثقافة اليونان والروم من الغرب، وفارس والهند من الشرق، بل كانت الحضارات في عملية تبادل والنقاء بعضها مع بعض الآخر، فالحضارة العربية المبكرة لم تأخذ عن الحضارة الإغريقية أو الحضارة الهندية إلا بقدر ما أخذ طاليس أو فيثاغورس من الحضارتين البابلية والمصرية<sup>(٧)</sup>، فلا توجد حضارة ناقلة لأخرى، فالحضارات كانت حية لكل منها استقلالها الذاتي وحياتها الخاصة، وشخصيتها المتميزة، ولكل منها جوهرها وبورتها ومحاورها وتصوّرها للعالم ولذاتها، كما أنّ علاقتها بالحضارات المجاورة تحكمه قوانين التقاء الحضارات ومنطقه<sup>(٨)</sup>.



فالم منظور واحد إلى حد ما، فالقدماء حاولوا استطلاع الآخر/ الغرب/ الشرق من وجهة نظر ذاتية، أو هي عملية قراءة الآخر من منظور الأنا<sup>(١٠)</sup> إلا أنه لم يشكل صدمة حقيقية على المستوى الفكري أو الحضاري؛ وإنما كان علاقة تبادل فكري معرفي بين الحضارات المتجاورة، كانت العلاقة تقوم على الفهم العقلاني لتراث الأمم واستيعابه وتكييفه أي تحويل فكر الآخر إلى الذات ومن ثم تجاوزه إلى ما هو أفضل منه بعد نقده وتمحيصه وبيان قوته من ضعفه، وهذا ما نجده في فلسفات الكندي والفارابي والرازي وابن سينا واخوان الصفا ومسكويه والغزالي وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون، بعد أن استوعبوا فلسفات اليونان والهند والفرس، وأعادوا انتاجها مرة أخرى، الأمر الذي جعل من هذه الفلسفة عاملاً مؤثراً في نهضة أوروبا فيما بعد، أو في عصر النهضة الأوروبية بعد أن اطلعوا على الفلسفة العربية وشروح الفلاسفة العرب على فلسفة اليونان<sup>(١١)</sup>.

ولكن شكل التنوير الغربي صدمة حقيقية للعرب لأنهم وجدوا أنفسهم في حالة من الانحسار الفكري بعيداً حتى عن ذلك الموروث العربي القديم، فكان الحال العربي في عصر النهضة إزاء إعادة لقراءة التراث/ الواقع/ الذات، بعد معرفة الآخر، والعمل على تشكيل الذات من جديد على وفق رؤيته للآخر؛ الذي يُعد استعادة للمنظومة الموروثة بكل ما في الحضارة العربية الإسلامية من تمثلات.

كما أن العرب بُهروا وصُدموا بما بُهرت وصُدمت به أوروبا نفسها، بعد رد اعتبار الإنسان ورد اعتبار الحياة، بعد ألف عام من العصور الوسطى التي ملأت أوروبا بالأديرة والظلام، أصبحت تشع بأنوار العقل والفكر والمعرفة والعلوم والفنون والجمال<sup>(١٢)</sup>، بعد أن تحولت أوروبا العصور الوسطى من الهيمنة القروسطية/ الأصولية متمثلة بسلطة الكنيسة ورجال الكهنوت الذين يصادرون كل نتاج فكري، وقمع أي محاولة للتفكير خارج حدود الكنيسة، إلى مرحلة جديدة من العلم والنزوع نحو المعرفة والحقائق ونبذ الخلافات الدينية والطائفية والتمييز العنصري واتباع العقل وهجر الكلاسيكيات الموروثة وإعادة قراءة التراث ونقد الدين...والخ، حتى أصبحت أوروبا تشع بأنوار العلم والفكر والفلسفة.

هكذا أخذ المثقف العربي/ التنويري يبحث عن ذاته في الآخر الغربي، أي أنه لم يبحث عن الآخر من أجل الآخر، وإنما كان البحث عن الآخر من أجل إعادة بناء الأنا، من أجل إعادة ترميم الذات، أو لإعادة قراءة الذات من الجديد؛ فالذات لا تعي وجودها وكيانها إلا بوجود الآخر، فثمة تلازم بين مفهوم الذات ومفهوم الآخر، فوجود أي منهما يستدعي حضور الآخر، وعلى هذا يرى شارل كولي أن الشعور بالأنا لدينا لا يبرز دون أن يكون مصحوباً بذوات الآخرين، ف"الذات المرآة" التي تشير إلى تخيلنا لما نبدو عليه في نظر الآخرين، وتخيّلنا لحكم الآخرين علينا، وهذه التخيلات يترتب عليها شعور معين لدينا، يحدد معظم تصرفاتنا وإدراكاتنا في مختلف المواقف، والأمر نفسه مع "الذات الجماعية" فالذي يتعامل مع جماعة معينة بوصفها "أنا" جماعية سنتصور علاقتها من خلال جماعات أخرى<sup>(١٣)</sup>، وهكذا تأخذ الذات بتشكلاتها وفق منظور الآخر من زاويتين؛ الأولى رؤية الأنا/ الذات إلى نفسها من خلال تصور الأنا نفسها، والثانية هي رؤية الآخر للأنا التي تشكل مجموع الصفات التي تتميز بها الذات بحسب الآخر، فالذات تحاول أدراك ذاتها من خلال الآخر لأنها تحتوي ضمناً الغيرية إلى درجة حميمية، حتى أنه لا يعود من الممكن التفكير في الواحدة دون الأخرى، فالآخر يصبح ضدّاً إلى جانب النقيض والتميز والمختلف والمتنوع، في حين الأمر يختلف لو اجتمعت الغيرية مع الذاتية، فتكون الغيرية مكوّنة للذاتية، فتصبح ذاتية الذات نفسها تحتوي ضمناً الغيرية إلى درجة حميمية<sup>(١٤)</sup>.

كما أنّ ((ذات الإنسان ليست هي جسمه، ولكنها تستطيع أن تقف خارجاً عنه وتتنظر إليه كموضوع))<sup>(١٥)</sup>، هذا من وجهة نظر علم النفس، وإذا ما حاولنا توسيع هذا المفهوم فيمكننا القول: إنّ الذات ليست هي عين

الذات أو الوجود المادي، أو الهوية، وإنما تستطيع الذات أن تكون صورتها من خارجها، وبهذا الصدد يمكن أن تلتقي هذه الرؤية مع رؤية الذات الهيغلية، فالذات عنده نوع من الوجود يكون بقاؤه في داخل ذاته أمراً مستحيلًا، فاللقاء مع الآخر يحدث تحولاً في الذات لا عودة منه، والطريق الوحيد للمرء لمعرفة نفسه يكون عبر وساطة تقع بمعزل عن ذاته، في خارجها<sup>(١٦)</sup>.

وهذا بالضبط ما يفرضه الاستشراق على نحو يجعل من الذات تعيد بناء ذاتها مرة أخرى، فالاستشراق يرى ((أنَّ المستشرقين مسؤولون إلى حد كبير عن جعل الشرقيين أنفسهم يقدرون ماضيهم تقديراً دقيقاً))<sup>(١٧)</sup>، ولكن هذه الرؤية لا تعجب "الوارد سعيد" ويصفها بالساذجة، نعم إذا كان الشرق/العرب على أحد طرفي المعادلة، فقبالة ((العرب العقلاني المتقدم الشفوق الفائق، هناك الشرق المتخلف المنحرف الأقل شأنًا... إنَّ الشرق سرمدى، موحد الصورة، وعاجز عن تعريف ذاته))<sup>(١٨)</sup>، فهذه الرؤية هي رؤية استشراقية ليست بالضرورة حقيقة أو واقعة فعلاً، ومع ذلك يمكننا أن نتسامح مع هذه المقولة لنحاول القول؛ إنَّه نعم من الممكن والصحيح جداً أن يكون الغرب قد جعل الشرقيين يقدرون ماضيهم، لا لأن الشرق عاجز عن تعريف ذاته، بل لأنَّ الذات بحاجة إلى آخر يقابلها لتعي ذاتها دائماً، فيكون الغرب من هذا الجانب هو الآخر الذي يحرك الذات ويجعلها تعيد بناء نفسها وتعود إلى ماضيها وتقدره ((فالجماعة كالفرد لا تستطيع أن تبادر إلى عمل أو تقوم بإنجاز مشروع، مهما كان نوعه أو حجمه، دون أن تعرف نفسها، وتحدد مكانها ودورها، وشرعية وجودها كجماعة متميزة، أي تعرف أيضاً ماهي وما تريد أن تكون عليه، وقبل أن أريد تحقيق شيء يجب أن أدرك من أنا، وقيل أن أغير وأطور وأنهض، لا بد لي من أكون ذاتاً))<sup>(١٩)</sup>، والأمر نفسه كان قد وقع على الغرب، فالغرب لم يستيقظ إلا بعد أن أدرك شرعية وجوده، وعرف نفسه، وأعاد بناء ذاته من خلال الآخر، فلولا أنَّه استيقظ على حين وأعاد النظر في ذاته لما كان له النهوض، فأوروبا كانت أيضاً غارقة في تيار أصولي يمنع دخول الفكر الإغريقي أو العربي، ولكن في لحظة تاريخية سبب لهم الفكر العربي وعبر لهم من خلاله فكر أرسطو صدمة عندما وصل إلى فرنسا حوالي عام (١٢٠٠) قادمًا عن طريق العرب، فالمسيحيون اللاتينيون أي الغربيين كانوا يصطدمون في كل مكان بالإسلام، في المواجهات مع الموحدين على أرض الأندلس، وجيش الأيوبيين والحروب الصليبية<sup>(٢٠)</sup>، وبهذا يكون الغرب أيضاً قد تعرض لصدمة ايقظته من سبات طال في ظل العصور القروسطية والهيمنة الكنسية.

وهذا ما حدث مع العرب حينما اطلعوا على الغرب سواء بالرحلات أو بالترجمة والنقل أو بعد حملة نابليون على مصر، بعد أن غرق العرب بقرون من هيمنة التيار الأصولي والمؤسسة الدينية، إذ يرى "برنارد لويس" أن المسلمين لم يترجموا طوال عدة قرون من العهد العثماني إلا كتاباً واحداً في علم الطب، من أجل شفاء السلطان الذي أصيب بأحد الأمراض، حتى مجيء حملة نابليون وظهور محمد علي<sup>(٢١)</sup>، فإذا كان دور نابليون أنَّه أدخل أوربا إلى مصر أو إلى العالم العربي، فإن محمد علي باشا قام بدور كبير في إرسال العرب/البعثات إلى أوربا للاطلاع والإفادة من ذلك التقدم، وفي الحالتين يكون الأمر رؤية الأنا بمنظور الآخر، أو رؤية الأنا عبر الآخر، أو هو كما يسميه "حسن حنفي" بـ((الاستغراب))، فعلى حد قوله إنَّنا منذ فجر نهضتنا العربية والإصلاح الديني(الافغاني) والليبرالية السياسية(الطهطاوي) والعقلانية العلمية(شبلي شميل) والأمة ترى صورتها في مرآة الآخر، وتجد الحل عند الآخر وليس بتحليل الأنا<sup>(٢٢)</sup>، وهذا الأمر لا يعني الانكفاء أو النسخ للتجربة الأوربية، بقدر ما يعني إعادة قراءة الأنا من خلال الآخر، لأنَّ الأنا غارقة في نسقها الأصولي لا تكاد تعي ما هو خارجها، ولا تستطيع استيعاب ذاتها لأنَّها منكفئة على ذاتها، وهذا الأمر يذكرنا بموقف "أدورنو" في مقالته التي انتقد فيها ناقد الحضارة الغربية لأنَّ الناقد جزء

مما ينتقد ((إنه يتحدث [أي الناقد] كما لو كان ينتمي إلى طبيعة لم يصبها الدنس، أو إلى مرحلة تاريخية أرقى، مع أنه ينتمي إلى الجوهر الذي يتخيل نفسه متجاوزاً له))<sup>(٢٣)</sup>، بالفعل؛ هل تستطيع الذات أن تعي ذاتها دون آخر؟ هذا هو سؤال "أورنو" باختصار لو أعدنا صياغة اعتراضه بطريقة أخرى.

لقد كان من أهم ما خلفته حملة بونابرت أسئلة أثرت في عقول الكثيرين، أسئلة طرحها العقل العربي لأول مرة، كان أهم سؤال هو ((لماذا تحمل منشورات "بونابرت" نغمة لا تتردد النفس في قبولها والترحيب بها، إلا أنها صادرة عن الغزاة؟ ولماذا نحن غرباء عن هذا العالم الذي تمثله البعثة العلمية التي صحبت الجيش الغازي؟ وهل حيوية هؤلاء الغزاة وقوتهم مبعثها الحضارة الجديدة والفتية القائمة على علم هؤلاء العلماء))<sup>(٢٤)</sup>، هذا السؤال يلخص حال الذات العربية في مواجهة الآخر، ويلخص حجم الصدمة التي أيقظت الشعور بالاعتراب عن العالم والبعد عن حركة تطوره، وأنعش الفكر العربي لإعادة التفكير، بل التفكير في الحال العربي والنظر في حاضره وماضيه ومستقبله. وعلى هذا الأساس لا يمكننا أن نعد رحلة رفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣) رحلة في الغرب لقراءة الآخر، بقدر ماهي رحلة في الشرق لقراءة الذات من منظور الآخر، فهي رحلة من حيث الواقع كانت في الغرب/ الآخر، ولكنها كانت رحلة اكتشاف لعالم الذات، لأن الطهطاوي كان في كل ما يمر به، وكل ما يصادفه وما يطلع عليه كان يعيد تفكيره بعالمه العربي، ويوازن بين الشرق والغرب، ويوازن بين كل أمر وكل مسألة يتعرض لها، ويذكر ما يقابلها من التراث العربي، أو يقول أن هذا الأمر غير موجود في مصر، الأمر الذي جعل من رحلته رحلة اكتساب معرفية لكل ما تقتقر إليه الذات لإعادة بنائها من جديد، فهو يرى ((أن الأصل في الإنسان الساذجية، والوجود على الفطرة، لا يعرف إلا الأمور الوجدانية))<sup>(٢٥)</sup>، وأن على الإنسان أن يطلب العلم والمعرفة أينما كانت، فهي بالتلاحق والاطلاع والتبادل تنمو الأمم وتزدهر، وكان لا بد من هذه "الإرسالية" للعمل على تقدم مصر وتطورها، لأن العديد من العلوم والفنون والمعارف لم يكن للعرب أو مصر شأن بها من قبل.

إن ما يمكن أن نصف به رحلة الطهطاوي هذه "تخليص الأبريز في تلخيص باريز" أو "الديوان النفيس بايوان باريس" إنما هي دعوة ومحاولة للخروج من النسق إلى الذات، من حالة الركود والتسليم بما موجود إلى حالة من التطلع والمعرفة، من حال (الساذجية والفطرة والوجدانية)) إلى حال العلم والتجريب والاطلاع بما يفتح آفاقاً جديدة تحرك عجلة البلد /مصر/ العرب إلى الأمام، (ولا يمكن إدراك ضرورة هذا النظام إلا من رأى بلاد الأفرنج أو شاهد الوقائع. وبالجملة والتفصيل))<sup>(٢٦)</sup>، وكما صنع هو في رحلته إلى الغرب.

ولهذا كان موقف الطهطاوي؛ الرجل العائد توأماً من باريس، المطلع على الحضارة الغربية في عصر ازدهارها، والقارئ لفولتير وكوندياك وروسو (العقد الاجتماعي) ومنتسكيو، موقفاً متسامحاً مع الذات، إذ لم يجد بوناً شاسعاً بين التراث الفكري الإسلامي العربي، وبين ما تحمله شعارات التنوير الأوربي من مبادئ، وما جاء به مفكرو أوروبا مثل روسو في العقد الاجتماعي، فكان يؤكد أن لافرق بين مبادئ الشرع الإسلامي ومبادئ القانون الطبيعي التي تركز عليها قوانين أوروبا الحديثة، وهذا يتضمن القول بإمكان تفسير الشريعة الإسلامية تفسيراً يتفق مع حاجات العصر<sup>(٢٧)</sup>، على إيمان أن الفكر الإسلامي العربي لا يتعارض مع طرق المدينة الحديثة، فالعدل، والطاعة، ورفاهية المجتمع وإصلاح شؤونه، والتعليم، والتنشئة الصحيحة، والوطنية، والتسامح، والأخذ بوسائل العلم. الخ، كلها مبادئ أكد عليها الإسلام، وهي كلها وسائل الإصلاح والنهوض بالأمة.

كما يتضح أنّ الطهطاوي لم يخرج عن إطار الدولة الوطنية وطاعة السلطان الممثل الشرعي الواجب طاعته، ولم يتجاوز التاريخ الإسلامي العربي وفلسفته، وفي الوقت نفسه لم يعمد إلى تطبيق حرفي للنظام الأوربي الحديث بما يمسح الهوية ويعدم الذات، وإتّما خرج من كل هذا المزج المعرفي إلى حقيقة تتلخص بأنّ الإسلام لا يتعارض مع الدولة الحديثة، ولا مع المدنية ولا مع أساليب العلم الحديث، بعد العمل على تكيف الشريعة وفقاً لمتطلبات الحياة العصرية، يقول: (( ولا شك أنّ رسالة الرسل بالشرائع هي أصل التمدن الحقيقي الذي يُعتد به ويلتفت إليه، وأنّ الذي جاء به الإسلام من الأصول والأحكام هو الذي مننّ بلاد الدنيا على الإطلاق، وانبعثت أوار الهدى في سائر الأفاق))<sup>(٢٨)</sup>، ومن هنا عمل على ترسيخ هذه المبادئ وهذه الدعوات في كل مؤلفاته وترجماته ومشاريعه الفكرية والتربوية ساعياً إلى الإصلاح والنهوض بالواقع العربي.

لم يكن رواد النهضة العربية غافلين عن ضرورة الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية وعدم نقل التجربة أو المؤسسات الأوربية الى بلد عربي مسلم، وهذا ما صرّح به خير الدين التونسي (١٨١٠-١٨٩٩) إذ يقول: (( ميدنياً، يستحيل غرس مؤسسات بلد آخر، حيث تختلف طباع الناس وثقافتهم وكذلك ظروفهم المناخية... فعوض المحافظة على الطريق المسطرة لتحقيق التغييرات الضرورية كلما دعت الحاجة، مثلما يطبق في حكومات الأمم المثقفة والمتحضرة، اخترنا نصف الحلول دون الأسس، وقلدنا أوربا في بعض المؤسسات المعزولة عن أطرها))<sup>(٢٩)</sup>، لا بل نلاحظ دعوته إلى أنّ الإصلاحات إنّما تكون من داخل المنظومة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للبلد نفسه، كما حصل مع حكومات الأمم المثقفة والمتحضرة. فالتونسي كان يطمح إلى تحويل الأحكام الفقهية إلى شكل قانوني حديث لتوحيد فقه القضاء، بعد تمتين العلاقة بالدول العثمانية والبقاء تحت السيادة العثمانية، لأنّه يرى أنّ أي بلد يستقل بنفسه سيكون تحت النفوذ الأوربي لامحالة، وفي الوقت نفسه لا بد من تفويض حاكم محلي قوي ونزيه يتولى إدارة شؤون الأمة، وأمام مجلس وطني تحت اشراف السلطان، وبالفعل عمل التونسي بعد أن شغل منصب (مساعد الرئيس) بالمجلس الأكبر سنة (١٨٦٠م) ثم رئيساً سنة (١٨٦١) على إعداد عصبة من الأنصار عملت من أجل إعلان الدستور سنة (١٨٦١م) وكان هذا أول دستور عربي إسلامي يظهر إلى الوجود<sup>(٣٠)</sup>.

لم يكن خير الدين التونسي بعيداً عن فكر الطهطاوي، وهو الذي سافر أيضاً إلى العديد من البلدان الأوربية واطلع على منجزاتها وتطورها بعد الثورتين الفرنسية والصناعية، فكان موقفهما متوافقاً بدعوى الرجوع إلى التراث العربي الإسلامي وإعادة تطويعه لاستيعاب كل ما يتطلبه الوضع الراهن، فالإسلام لا يتعارض مع مبادئ الإصلاح، ولهذا راح التونسي يبحث في التراث للإفادة من المقولات العربية الإسلامية في الشرع والسياسة، لتدعيم رأيه، فهو يطبق مقولة ابن عقيل (لا سياسة إلا ما وافق الشرع) وعبارة ابن قيم الجوزية (إن أمارات العدل إذا ظهرت بأي طريق كان فهناك شرع الله ودينه)، فعلى علماء الدين مراعاة المصالح ومتابعة الشأن العام، وعدم الاقتصار على ظواهر النصوص، بمخالطة رجال السياسة بقصد التعاضد، وفي الوقت نفسه لا يخرطون في خدمة أهواء السياسة وأغراضها، ووفق هذا المنظور يجد التونسي تنظيمات شرعية اسلامية سياسية كفيلة بإصلاح الأمة ونهضتها.

والحقيقة إنّ هذا التوجه هو موقف إزاء التراث العربي الإسلامي/ الذات، وإزاء الفكر العربي، موقف حاول فيه التونسي الموازنة بين النظرة الأوربية ومؤسساتها النهضوية، واشتراطات الدولة الحديثة أو المدنية بكل تفاصيلها الحديثة والغربية على المجتمع الإسلامي/ العثماني، وبين الذات (النسقية) التي لا تتقبل كل ما هو جديد ومفاجئ، فجاءت محاولته ساعية في سبيل دعم المشروع الإصلاحية بهوية عربية إسلامية بعد أن وجد ما يدعم ويؤيد مشروعه الإصلاحية في التراث، لأنّه أمام تيار معارض من المجتمع،

فعلماء الدين لا يساندون الإصلاحات، والعامّة يعدون الإصلاحات منافية للدين والتقاليد، فضلاً عن تمسك الحكام بالحكم المطلق<sup>(٣١)</sup>.

"إنّ الشريعة الإسلامية كافة بمصالح الدارين، ضرورة أنّ التنظيم أساس متين لاستقامة نظام الدين، يسوؤه أن يرى بعض علماء الإسلام، الموكول لأمانتهم مراعاة أحوال الوقت في تنزيل الأحكام، معرضين عن استكشاف الحوادث الداخلية، وأذهانهم عن معرفة الخارجية خلية. ولا يخفى أنّ ذلك من أعظم العوائق (...). كما أنّه يسوونا الجهل بذلك من بعض رجال السياسة والتجاهل من بعضهم رغبة في إطلاق الرئاسة.

فذلك هجس ببالي، ماستذكيت لأجله ذبالي، من أيّ لو جمعت بعض ما استنتجته منذ سنين بإعمال الفكر والروية، مع ما شاهدته أثناء أسفاري للبلدان الأورباوية (...). وأهم تلك الفوائد عندي، التي هي في هذا التآليف مناط قصدي، تذكير العلماء الأعلام/ بما يعينهم على معرفة ما يجب اعتباره من حوادث الأيام، وإيقاظ الغافلين من رجال السياسة وسائر الخواص والعوام، ببيان ما ينبغي أن تكون عليه التصرفات الداخلية والخارجية، وذكر ما تتأكد معرفته من أحوال الأمم الإفرنجية، خصوصاً من لهم بنا مزيد اختلاط (...). والغرض من ذكر الوسائل التي أوصلت الممالك الأورباوية إلى ماهي عليه من المنعة والسلطة الدنيوية، أن نتخير منها ما يكون بحالنا لانقاً، ولنصوص شريعتنا مساعداً موافقاً (...). فإنّ الأمر إذا كان صادراً من غيرنا وكان صواباً موافقاً للأدلة، ولاسيما إذا كنا عليه وأخذ من أيدينا، فلا وجه لإتكاره وإهماله، بل الواجب الحرص على استرجاعه واستعماله. وكل متمسك بديانته. وإن كان يرى غيره ضالاً في ديانته، فذلك لا يمنعه من الاقتداء به فيما يستحسن في نفسه من أعماله المتعلقة بالمصالح الدنيوية (...). وإذا ساغ للسلف الصالح أخذ مثل المنطق من غير أهل ملتهم، وترجمته من لغة اليونان؛ لما رأوه من الآلات النافعة، حتى قال الغزالي: ((من لا معرفة له بالمنطق لا يوثق بعلمه)) فأي مانع لنا اليوم من أخذ بعض المعارف التي نرى أنفسنا محتاجين إليها غاية الاحتياج في دفع المكائد وجلب الفوائد؟"<sup>(٣٢)</sup>.

في هذا النص لا يقدم التونسي خبرته وآراءه في التنظيم والسياسة بفضل اطلاعه وفكره فحسب، وإنما هو نص يقدم موقفه من الذات/ الذات العربية الإسلامية، فهو يراجع ويمحص ويستنتج بين ما شاهده من تقدم في البلدان "الأورباوية" ومستلزمات الدولة الناهضة، وبين المجتمع الإسلامي العربي واشتراطاته التراثية، ليخرج بنتيجة تزواج بين الحاليين ويقدم في الأخير مشروع الإصلاح المنسجم مع الذات والعالم في الوقت نفسه.

إنّ الموقف الذي تبناه هذان العلمان والمتعلق بوجود الانصواء تحت مظلة الدولة العثمانية، وسيادة الخليفة، إنما يعود إلى خشيتهم من تغلغل النفوذ الأوربي والهيمنة على الأقطار العربية الإسلامية، وبالتالي محو الذات الإسلامية وضياع الإرث الحضاري والتاريخي، فكانت دعواتهم الإصلاحية لا تخرج عن إطار الدولة العثمانية على الأقل لصبغة الإسلامية التي تتمتع بها وتجمع المسلمين في ظلها، ولهذا نجد حتى جمال الدين الأفغاني "لم يخرج عن هذا الإطار وإنما عمل على تقويته وتأسيسه والدعوة إليه ضمن إطار ما يعرف بالـ (الجامعة الإسلامية) ، فقد كان ((يؤخذ من مجمل أحواله أنّ الغرض الذي يُصوّب نحوه أعماله. والمحور الذي كانت تدور عليه آماله، توحيد كلمة الإسلام وجمع شتات المسلمين في سائر أقطار العالم في حوزة دولة واحدة إسلامية تحت مظلة الخلافة العظمى، وقد بذل في هذا المسعى جهده وانقطع عن العالم من أجله، فإنّ السبب في ذلك هو أنّ الرجل كان يعلّق آماله على الخلافة العثمانية في المعركة الدائرة بين العالم الإسلامي وبين الاستعمار))"<sup>(٣٣)</sup>.

فالأفغاني يخشى زوال الأمة، لأنَّ ما وحدها في الماضي إنما هو مؤسسة الخلافة السياسية وجماعة العلماء المحافظين، فهو لا ينكر أهمية قيام الدولة على أساس العقل البشري، وتحدث عن دور الفلسفة التي وصفها بالروح للجسم الاجتماعي، ولكنه من جانب آخر كان يدرك تماماً أن لا وحدة أجمع من الوحدة الإسلامية، ولا رابطة تربط الأمة غير الإسلام، ومع دعوته إلى وحدة اللغة العربية، ووحدة القومية أو التعصب القومي أو التضامن، كان يدعو الحكام المسلمين إلى التعاون خدمة الإسلام، وعلى المسلمين أن يسموا على جميع الخلافات والانقسامات صدا للخطر المشترك لهم، ودفاعاً عن القيم الخاصة بهم، وكان يرى أنَّ المهمة تقتضي بإصلاح الإسلام نفسه، وأنَّه لا يمكن للمسلمين استعادة قوتهم ومدنيتهم إلا بالرجوع إلى الإسلام، وأنَّ الإصلاح الحقيقي للإسلام لا يمكن أن يتم ما لم يرجع العلماء إلى حقيقة الدين، فهو يصف تعاليم الإسلام ((كالشجرة، إذا ازداد نموها واشتد ثقافها، وكثرت أوراقها، وتشعبت أغصانها، قل ثمرها وتضاعلت، فالبيستاني الحاذق يعمد إليها فيبتر ويشذب، ويقلم ويهذب، ويبقى على أصولها، فيتسرب الغذاء إلى هذه الأصول وحدها، وبذلك تعود إلى الشجرة طاقة إثمارها، وهكذا القرآن يجب أن تتصرف هم المصلحين وتتجه عزائمهم إلى فهمه وحده وفهم حياة النبي العملية التي تفسره وحده))<sup>(٣٤)</sup>، لأنَّه أصبح من المسلم به لدى الفكر الأوربي أنَّ الدين على العموم والإسلام على الخصوص يقتل الإرادة ويقيد العقل، وأنَّ التقدم لا يتحقق إلا بالتخلي عنه أو على الأقل بفصل الدين عن الدنيا فصلاً حاداً<sup>(٣٥)</sup>

يرى الأفغاني إنَّ المسلمين تداولتهم حكومات متنوعة، ووسد الأمر فيهم إلى غير أهله، وولي عليهم من لا يحسن سياستها من الحكام والأمراء الفاسدين أو بتعبيره (جرائم الفساد) في أخلاقهم وطبائعهم وكانوا مجلبة للضعف والبلاء والشقاق<sup>(٣٦)</sup>، فالأفغاني لا يؤمن مطلقاً بضعف الأسلام أو أنَّه من أسباب تخلف الأمة وضعفها، وإذا كان هذا ما يقال عن المسيحية فإنَّ الأمر يختلف تماماً مع الإسلام، لأنَّ الإسلام هو الإيمان بالعقل، وأنَّ الإنسان في ظل الأديان الحقيقية أو الإسلام تحديداً هو ملك الأرض وأنبى الخلق، وأنَّ المجتمع الديني هو أفضل المجتمعات إطلاقاً، وبهذا تتحقق الفضائل الثلاث التي هي أساس المجتمع (الحياء، الأمانة، الصدق)، كما أنَّ الإسلام يحرر العقل البشري من الأوهام والخرافات ويسمح له بإنماء جميع مواهبه، وهو السبب ((لسعادة الإنسان، فلو قام على قواعد الأمر الإلهي، ولم يخالطه شيء من أباطيل من يزعمونه، ولا يعرفونه، فلاريب أنَّه يكون سبباً في السعادة التامة والنعيم الكامل))<sup>(٣٧)</sup> وما من دين يوحى للناس باحترام الذات وبالشعور بالمساواة كالإسلام، إلا أنَّه - أي الإسلام - تعرض إلى بعض الحركات الباطنية التي شوَّهته وأضعفت أبنائه، يقول: ((إنَّ ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد النيشيرية "الدهرية" في صورة الدين، وسريان هذه السموم القاتلة في نفوس أهل الدين الإسلامي))<sup>(٣٨)</sup>.

انتقلت هذه الدعوة الإصلاحية إلى تلميذه "محمد عبده" (١٩٠٥ - ١٨٤٩) الذي اضطلع بمهمة إعادة تحديد ماهية الإسلام الحقيقي، والنظر في مقتضياته بالنسبة إلى المجتمع الحديث، لذلك كان يدعو إلى الرجوع في فهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، يقول: ((أما لو رجع المسلمون إلى الحقيقة من ديدنهم لأدوا فرضهم، واستنبتوا أرضهم، واستغزروا من الثروة، وأعدوا لفرنسا ما استطاعوا من قوة))<sup>(٣٩)</sup>، لأن الإسلام من وجهة نظره قد دخلته العديد من البدع التي أبعدته عن مساره، وترك هذا الابتداع في الدين أثره على المسلمين بإصابة عقولهم وعزائمهم وأعماله<sup>(٤٠)</sup>، وهو كأستاذه يرى أنَّ الإسلام دين منسجم تماماً مع متطلبات العقل البشري، واكتشافات العلم الحديث، مع احتفاظه بفكرة الله تعالى، فهو دين يدعو إلى استعمال العقل واقتباس علوم العالم الحديث دون اعتناق المذهب المادي أو الخروج عن الدين.

إن قضية دفاع "محمد عبده" عن الإسلام لا تتعلق بنظام الحكم، فهو لا يرى في الإسلام سلطة، ((فليس في الإسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه))<sup>(٤١)</sup>، وإنما الإسلام لم يدع لأحد بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد، ولا سيطرة على إيمانه، على أن الرسول عليه السلام كان مبلغاً ومذكراً، لا مهيمناً ولا مسيطراً<sup>(٤٢)</sup>، وهو لا ينفي وجود السلطان الديني والسلطة الدينية عن القيادة السياسية العليا للمجتمع فحسب، بل وينفي اعتراف الإسلام بها أو إقراره لها بالنسبة لأية مؤسسة من المؤسسات التي تمارس سلطة من السلطات في مجتمع المسلمين، وهو يرى أن أصل القضية- توحيد السلطة السياسية والدينية- إنما هو الدين المسيحي، كما تصوّرت الكنيسة وصوّرتة، فهو الذي جعل ذلك أصلاً من أصوله، بينما يقف الإسلام ضد هذا التوحيد والجمع بين السلطتين<sup>(٤٣)</sup>.

ومع أن الشيخ لا يرى أية صلة بين السلطة السياسية والدين إلا أنه يعود في حديثه عن الدولة العثمانية ليقول أن الإسلام دين وشرع، ولا بد من قوة لإقامة الحدود، فكان لا بد لهذه القوة أن تتمثل في شخص الخليفة أو السلطان، إلا أنه حاكم مدني، يقول:

"ولكن الإسلام دين وشرع، فقد وضع حدوداً، ورسم حقوقاً، وليس كل معتقد في ظاهر أمره بحكم يجري عليه في عمله، فقد يغلب الهوى، وتتحكم الشهوة، فيغطم الحق، ويتعدى المعتدي الحد. فلا تكمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت القوة لإقامة الحدود، وتنفيذ حكم القاضي بالحق، وصون نظام الجماعة، وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى في عدد كثير، فلا بد أن تكون في واحد، وهو السلطان أو الخليفة"<sup>(٤٤)</sup>.

والحقيقة أن الشيخ محمد عبده استطاع أن يخلص الدين الإسلامي من السلطة السياسية التي ألصقت به وأخذت ذريعة للوصول والهيمنة بوساطته، فقد عمل على تفكيك هذه المقولة وناقش أصولها ورجع بها إلى جذورها التاريخية، فكل ما حدث في تاريخ الإسلام من حروب وصراعات وفتوحات وخلافات بين المذاهب والفرق إنما هي حروب سياسية لا دخل ولا علاقة لها بالدين، وهذا الموقف قاده إلى الإيمان بمدنية السلطة في المجتمع، ومدنية المؤسسات، ومن ثم اتخاذ الطابع القومي المدني، الذي لا يفرق بين المواطنين بسبب الاعتقاد الديني، أساساً ومنطلقاً وصيغةً لنظام الحكم في البلاد<sup>(٤٥)</sup>، فخلاصة فكر محمد عبده يمكن أن تلخيصها بالقول: إن الشيخ حاول تبرير موقف الإسلام ورد الشبهات التي أثّرت حوله بأنّه أساس الركود العربي والتخلف، فحاول من خلال ردوده على "هانوتو" و"رينان" وبعض المستشرقين، ومن خلال كتاباته في العروة الوثقى وغيرها من المؤلفات، أن يدافع عن الإسلام ويعلن براءته مما ألصق به من اتهامات، وفي الوقت نفسه كان يرحب بالمدنية الحديثة التي هي سمة العصر، فالإسلام لا يتعارض مع كل ما هو عقلي وعلمي، وإنما يرحب به، وهكذا أخذت أفكاره فيما بعد تمهد لدعوة ظهور المدنية الحديثة.

وإذا كانت أفكار الشيخ محمد عبده قد بلغت مستوى من الموازنة بين التقدم الأوربي وبين الإسلام بمشروعه الذي قدمه في كتاباته، وخلصته أن لا يوجد حكم ديني وإنما هو حكم مدني، والحاكم أو السلطان أو الخليفة إنما هو حاكم مدني بأي وجه من الوجوه، وأن الإسلام لا يفرض أي سلطة من السلطات على البشر، وحتى الرسول إنما كان داعياً مبشراً ونذيراً، والحقيقة أن الإسلام قد شابته بعض الحركات الباطنية، ودخل فيه ما يفسده ويغيّر بعض عقائده، وخلص الأمة هو بإعادة الإسلام إلى جوهره الحقيقي، والنظر إلى السلطان على أنه حاكم مدني متى ما أرادت الأمة خلعه لمقتضيات المصلحة لخلعته، وأنه لا بد من "جامعة إسلامية" توحد الأمة وتقوي عزيمتها وتشد أزرها، بعيداً عن المصلحة والنزاع والاندحاف.

ومن جانب آخر كان لهذه الآراء وقع خاص على بعض المفكرين النهضويين من المسيحيين الذي درسوا في الارساليات المسيحية، فقد وجد البعض منهم أن لا سبيل للنهوض بالأمة سوى باتباع العلم والابتعاد عن كل ما هو ديني لأنه فقط بالعلم تُحل كل مشاكل الأمة وتلتحق بالعالم، فهناك من عمل على تفسير الكون بالحقائق العلمية وربط المجتمعات ونهضتها أو انحطاطها بفكرة "تنازع البقاء" التي تؤدي إلى ناموس آخر يسمى "الانتخاب الطبيعي" وهو الدكتور شبلي شميل (١٨٥٠ - ١٩١٧) الذي دعا إلى اتباع العلم للنهوض بالواقع لأن العلم هو سبيل الارتقاء والخلص من الضعف والانحطاط والتأخر، يقول: ((فما من أمة قامت أو انقرضت، ارتقت أو انحطت إلا كانت عوامل هذين الناموسين هي القاضية في ذلك))<sup>(٤٦)</sup>، فالحكومة التي تنشأ في مجتمع لا تلام على فعل، ومن انتظر منها الإصلاح فقد كان يجهل بلا شك تاريخ نشوء الأمم والعمران، فالتمدن الأوربي لم يكن بفضل حكومتها، وإنما بفضل العدد والجنس والدين والعلم، فكل أمة كثر عددها ولم يشب جنسها الاختلاط وتوحد دينها وبلغ العلم فيها أقصى مبلغه بلغت من القوة مبلغاً حقق لها التقدم، وعلى العكس من ذلك حال الحكومة العثمانية إذ نجد التعدد والاختلاط وعدد الأديان والأجناس والقبائل والطوائف مما يجعل وحدة الكلمة فيها أمراً مستحيلاً، فضلاً عن حالة العلم الذي لا يكاد يكون شيئاً يذكر، والأمة في جهل عميق<sup>(٤٧)</sup>، فالانحطاط في الشرق كبير جداً بسبب الانحطاط الأدبي والعلمي، فهما العاملان المؤثرات في "نشوء الأمم وارتقائها"، فالشرق إذا لا يستطيع أن يناظر الغرب إلا إذا فاقه في المعدات الأدبية، فهو متفهم جداً لقلة العلم فيه، وهنا يقدم شبلي شميل مشروع القاضية بإلغاء المحاكم المختلطة لأن شرها أساساً مركب من نظامها، وأن تُلغى مدرسة الحقوق، وتُزق كتب القوانين وكتب الاقتصاد السياسي وسائر العلوم الكلامية، وأن تُبذل كل الكتب السقيمة التي يضيع أولها في آخرها ويضيع الإنسان فيها عمره وهو لا يفهم شيئاً، وأن يوقف تنفيذ "بروگرام الجامعة" لئلا تزيد معاهد العلم النظرية، وبالمقابل يكون إنشاء معهد علمي كبير يُعَلَّم فيه نشوء الأرض والأجرام السماوية، وعلم الأحداث الجوية، والأقاليم واختلافها، وتأثيرها في الإنسان والعمران، وأن يقام على أنقاض مدرسة الحقوق مدرسة الكيمياء والطبيعية والميكانيكيات والرياضيات وعلم الأفلاك، وأن تنشأ الجامعة لعلم التاريخ الطبيعي والاجتماع الطبيعي والاقتصاد الطبيعي وتطبيق ذلك على الإنسان والطب وسائر العلوم الحيوية والأنثروبولوجية، وأن تنشأ هيئات قضائية على غاية البساطة في كل مدينة وفي كل بلدة على نسبة ساكنيها بحيث لا يتأخر الفصل بين الدعاوي مهما كانت مهمة إلا أياماً معدودة حرصاً على مصلحة المتداعين، وأن يتولى الاجتماع نفسه توزيع المنافع العمومية الضرورية مثل الماء مجاناً على عموم الناس، وأن تنشأ كتابت في كل مدينة وفي كل حي وفي كل قرية على نسبة السكان يُعَلَّم فيها الأطفال مبادئ العلوم الطبيعية البسيطة، وأن تنشأ جرائد تعلم الناس كيف يجب عليهم أن يكونوا نظفاءً في أجسامهم وفي ملابسهم ومآكلهم ومسكنهم، وخصوصاً في عقولهم، وتعليمهم أن كل نظام حولهم من الأرض والسماء خاضع لنواميس الطبيعة لا يتزعزع، وأن السير على تلك النواميس يقيهم عثرات كثيرة في معاشهم صحياً ومادياً وأدبياً، وأن تكون آدابهم مستفادة من آداب الطبيعة نفسها<sup>(٤٨)</sup>.

فالملاحظ على برنامج شميل الإشتراكي أنه برنامج- كما يسميه هو- يقوم على أساس العلم والطبيعة، فكل ما في الكون يعود إلى نواميس طبيعية تتحكم فيه، وأن العالم الشرقي غارق بالماورانيات والأوهام والنظريات القديمة غير النافعة، فما عليه اليوم إلا أن يتطلع إلى العلم وينسجم مع الحقائق الطبيعية، فالأديان كسائر مخترعات البشر تحول من النفع العام حتى تصير وسائل للكسب في أيدي أولئك الذين اتخذوها تجارة لجذب الانتباه ولو بالقضاء على الإنسان، فقد علّموا الإنسان غير ما تأمرهم به الأديان، فالإسلام دين اجتماعي ينهى عن كل شر ولا يعتدي ويأمر بالزود عن المستأمنين الأمنين، إلا إن هناك من



زرع في رؤوس الجاهلين التفريق بين الناس إلى حد التباغض والتقاتل حتى قامت قيامتهم، فبالجهل تسلط أولئك المتسلطون، ولو أنّ الأمة تسلحت بالعلم لتخلصت من كل رؤساء الأديان الذين هم وحدهم المسؤولون عن كل الفظائع التي ارتكبت وما زالت تُرتكب باسم الدين<sup>(٤٩)</sup>.

إذا كانت المحاولات السابقة تسعى إلى نوع من المصالحة بين الدين والمدنية، بين الإسلام وحركة التنوير الأوربي، على نحو التصحيح لمسار الشريعة الإسلامية، بين استعادة الإسلام الحقيقي وتوسيع مفهوم الدين، ليشمل التطور والعلم والحداثة والمدنية الجديدة، وبين اعتماد العلم أساساً للوعي وللخروج من الانحطاط والجهل والتخلف، تأتي محاولة فرح أنطون (١٨٧٤ - ١٩٢٢) بنوع من الجرأة لي طرح مشروعاً يسعى للخلاص من كل هذا التعالق الحاصل بين الدين والدولة، ويقدم حلاً جذرياً لكافة الاشكالات التي غالباً ماتطبّع كل مشروع بالخلج، كما في مشروع محمد عبده الذي كان يوائم بين توجهه الإسلامي السلفي وبين العلمانية التي ربما لم يكن باستطاعته التصريح بها.

كان هذا المشروع ممثلاً بالعلمانية التي وجد فيها أنطون الخلاص الحقيقي لحال الأمة العربية المتقهقر، وكان للأسباب نفسها التي دفعت برواد النهضة من قبله لطرح مشاريعهم النهضوية، فليس الدين هو المشكلة، ولم يكن الإسلام يوماً هو المشكلة الحقيقية وإنما اتخاذ الإسلام ذريعة للتسلط والهيمنة وإلغاء الآخر أو تهميشه، أو ضيق المستوى التشريعي للإسلام وعدم قدرته على استيعاب هذا المد الكبير من التحضّر والمدنية بسبب ضيق الوعي الديني للمؤسسة السلطوية الدينية، فالعلمانية التي تقتضي فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية تستدعيها جملة من الأمور، فأولها: إطلاق الفكر الإنساني من كل قيد خدمة لمستقبل الإنسانية، لأنّ عرض الحكومات الأساس مناقض لغرض الأديان، ولأنّ غاية الأولى حفظ حرية كل شخص ضمن دائرة الدستور، وهذا الدستور لا يجيز أن يؤخذ من حرية الشخص شيئاً، فالشخص حر مطلق، أما غاية الثانية فهي تعليم الناس عبادة الله وحثهم على الفضائل وإصلاح شؤونهم، فهناك طرق مخطوطة وتقاليد موضوعة ومبادئ يجب على المؤمن الاعتقاد بها، وإن لم يعتقد بها استهدف للاحتقار وضياح الحق، كما أنّ الحكومات ترحب بكل ما هو جديد لأنّ كلمة " الحقيقة المطلقة" لم تسطر بعد في قاموس الحكومات المدنية لاعتقادها أن العقل الانساني لم يصل إلى حده بعد، وأنّ العلم ما يزال طفلاً رضيعاً، أما الأديان فهي على نقيض ذلك، فالحقيقة عندها مطلقة ولا حقيقة بعد حقيقتها. وإذا تولت الأديان زمام الحكومات اضطرت بحكم طبيعتها إلى الضغط على الفكر الإنساني، كما كان يحدث في أوروبا وقاومت كل فكر جديد، وهذا ما حدث في النصرانية والإسلام، ولولا فصل الأوربيين بين السلطتين المدنية والدينية لما رسخ التمدن في أوروبا<sup>(٥٠)</sup>.

والسبب الثاني هو الرغبة في المساواة بين أبناء الأمة مساواة مطلقة بقطع النظر عن مذاهبهم ومعتقداتهم ليكونوا جميعاً أمة واحدة يشعر أعضاؤها بعضهم بألم بعض شعوراً حقيقياً، والسبب الثالث: ليس من شؤون السلطة الدينية التدخل في الأمور الدنيوية لأنّ الأديان شرّعت لتدبير الآخرة لا لتدبير الدنيا، ومن يلزمها بتدبير الدنيا فإنّه ينتهي إلى الفشل، والسبب الرابع: ضعف الأمة واستمرار الضعف فيها إلى ما شاء الله مادامت جامعة بين السلطة المدنية والدينية، ففي ذلك اضطهاد للعقل وأصحاب العقول والأذكيا، فرجال الدين يبتعدون عن أصحاب العقول لضعفهم وعدم احتمالهم لذكائهم وعقلهم، وبالتالي تبتعد الأمة عن التقدم والعقلانية، كما أنّ المبادئ الدينية المقدسة ستعرض لأحوال السياسة أو ذلها وكذبها ومفاسدها كما ذمها محمد عبده في تعريفه لها<sup>(٥١)</sup>، أما السبب الخامس فهو استحالة الوحدة الدينية وهذا من أكبر الأمور إثارة للفتن والاضطرابات في الإسلام والمسيحية<sup>(٥٢)</sup>.

هذا المشروع الذي طرحه فرح أنطون في كل ما قدمته مجلته (الجامعة) وحاول توظيفه في أمرين مهمين أثاراً جديلاً واسعاً، الأول ترجمته لابن رشد وإعادة نشره لفلسفته في مجلة الجامعة، الأمر الذي أثار العديد من الانتقادات والاعتراضات من الجانب الآخر، والثاني: تأليفه لمجموعة من الروايات عالجت هذه القضايا- قضايا الأمة ضمن مشروع النهضوي- بطريقة فنية أدبية غاية في الأهمية لكونها محاولة تجريبية مستحدثة في إطار الأدب العربي.

تأتي أهمية ابن رشد في فكر فرح أنطون من طبيعة مشروع النهضوي نفسه، ففي الوقت الذي نجد فيه أنطون يطرح أفكاره العلمانية والداعية إلى فصل الدنيا عن الدين راح يبحث في التراث العربي عما هو جدير بالبعث والتجديد والطرح، فهو يقدم منذ مفتتح كتابه بأن سبب تأليفه هو إهداء إلى "الذيت الجديد" من العقلاء الذين سيعرفون مضار مزج الدنيا بالدين، لذا فإن إعادة نشر أفكار ابن رشد وفلسفته هي دعوة للعقل والفلسفة والعلم، بعيداً عن الدين، وهو السبيل إلى التقريب بين عناصر الشرق، وهذا التقريب لا يتأتى من تقضيل دين على دين، أو مذهب على مذهب وإثما التقريب الممكن في هذا الزمان بالعلم والفلسفة والأدب، فهي مثل النور والهواء والأرض والماء، نفائس مشتركة بين الجميع وليست ملكاً لفريق دون آخر، ومن يروم الدخول إلى دار الفلسفة وجب عليه الابتداء بالفيلسوف اليوناني العظيم أرسطو وتلامذته، وبما أن أقرب تلامذته إلينا هم ابن رشد، وابن بجا، وابن سينا، وابن طفيل، وابن زهر، والفارابي، ولما كان ابن رشد أبعد أولئك الفلاسفة صيتاً جاء الاهتمام به دون غيره- كما يقول أنطون-، فضلاً عن مشروع الجامعة في موضوع تاريخ الديانة المسيحية نقلاً عن الفيلسوف رينان<sup>(٥٣)</sup>.

والحقيقة إن اهتمام أنطون بابن رشد لم يكن وليد تأثير رينان وترجمته لفلسفة ابن رشد كما هو معروف، أو كما أشار أنطون في تمهيد كتابه، وإنما المسألة أعمق من ذلك بكثير، إذ من الملاحظ أن اختيار أنطون لابن رشد كان قصدياً، وهو غاية في الدقة والأهمية لسببين، الأول: ما أشار إليه أنطون نفسه في تمهيد كتابه بإشارة ربما كانت عابرة لكنها تدل على تباين موقفين إزاء التراث يستدعي الانتباه له ووضع اليد عليه بغية معالجته وإصلاحه، يقول:

**"وبينما كنا نشتغل بكتابة ترجمة الإمام أبي حامد الغزالي الذي فاق فلاسفة العرب بنقض الفلسفة والدفاع عن الدين كما فاقهم ابن رشد بتعزيز الفلسفة ومبادئها العلمية وإذ وردنا من صديق في العاصمة كتاب يخبرنا فيه أن حضرة صاحب مجلة المنار في العاصمة رصيفنا الشيخ رشيد رضا يحرك خاطر فضيلة العلامة الأستاذ محمد عبده مفتي الديار المصرية على الجامعة"<sup>(٥٤)</sup>**

ففي هذا النص إشارة إلى أن هذا التباين في المواقف إزاء التاريخ هو لبّ الأزمة الحقيقية الراهنة التي يحاول أنطون معالجتها من خلال مشروع في الفصل بين الدين والدنيا، ففي الوقت الذي يعالج فيه أهم قضية مفصلية في التراث العربي الإسلامي التي وصلت حد التكفير، يحيد أنطون اليوم عن المسير في نفس الطريق في إلغاء الآخر وتهميشه عن طريق تقضيل دين على دين أو مذهب على مذهب، وهذا ما طرحه أنطون في سبب تقديمه لمشروع العلمانية.

والسبب الثاني هو: إن ابن رشد يختلف عن العديد من الفلاسفة العرب، فهو الفيلسوف الوحيد الذي لم يكن منتمياً أو منحازاً لأي مذهب أو فرقة دينية أو كلامية، الأمر الذي يحرر أفكاره وفلسفته من الأطر الضيقة، وأن ابن رشد من أهم الفلاسفة العرب الذين عملوا على تخليص فلسفة أرسطو من كل ما دخل عليها من تيارات غيرت في فكره وفلسفته ابتداءً من المسيحية وإلى الإسلام مروراً بكل التيارات الدينية والمذهبية والفلسفية التي كانت توظف فلسفة أرسطو بما يخدم عقيدتها، الأمر الذي جعل من ابن رشد الفيلسوف الوحيد الذي قدم فلسفة أرسطو نقية إلى أوروبا، ليصبح أحد عوامل نهضة أوروبا وأسبابها فيما بعد<sup>(٥٥)</sup>، كما

أن أفكار ابن رشد كانت تمثل رقيماً معرفياً في عصره يدعو إلى العقلانية والمدنية بعيداً عن كل تعصب وتحيز مذهبي، الأمر الذي يخدم مشروع أنطون الذي هو بصدد تقديمه للمجتمع، فابن رشد دعا منذ القرن السادس الهجري إلى إعمال العقل ونبذ الخلافات، والتعصب الذي يقود إلى التكفير، والتوجه نحو العلم والمعرفة والعقل في بناء الدولة وإقامة النواميس التي تحكم الأمة بعيداً عن الدين ورجاله المتسلطين، وإعادة فتح باب الاجتهاد لتوسيع العديد من التشريعات التي لا بد للإسلام من استيعابها وإدخالها ضمن مفاهيمه الحديثة، فضلاً عن شرحه لفلسفة أرسطو وبيان ما داخلها من التغيير بسبب التأويلات التي أملتتها اعتبارات لم تكن تمت للعلم، وقد قدم آراءً اجتهادية جريئة في حديثه عن السياسة التي هي وفق تصنيف أرسطو للعلوم جزء من العلم المدني، والمقصود بالسياسة هنا هو تدبير المدينة، مؤكداً على دور العقل، فهو الذي يجب أن يرأس سلوك الفرد والمجموع ويحكمهما، وأضف على ذلك القضايا الفلسفية الدقيقة التي هي الأخرى بحاجة إلى وقفة وإدراك من نوع آخر لطحها<sup>(٥٦)</sup>، وعلى أية حال نجد أن ابن رشد انطلق في مساره التصحيحي من منطلق منهجي هو الفصل بين الدين والعلم، فالعلم مهمته النظر في الموجودات بهدف فهمها كما هي أولاً، ومن ثم استخلاص العبرة منها بعد ذلك، فالأولية هنا للعلم على العمل، والمقصود بالعمل هنا السلوك الديني والأخلاقي، فالدين هو للناس كافة وليس لأحد أن يدعي التأويل الحق. ولهذا وجدنا اهتمام أنطون بابن رشد وفلسفته، وحرصه الشديد على نشر أفكاره وهو الساعي إلى "رشدية جديدة"، أو إلى "ترشيد الإسلام"، وكان التاريخ العربي الإسلامي متوقف من جهة التقدم والتحضر والعلم، فقد وجد انطون في عصر النهضة أي القرن التاسع عشر حاجة لإعادة أفكار ابن رشد لأنَّ الموقف نفسه إن لم يكن قد ازداد بؤساً، واليوم بعد قرن تقريباً على دعوة انطون (لِلرشدية الإسلامية العربية) نجد أحد المفكرين المعاصرين يعود إلى فكر ابن رشد وفلسفته ويدعو إلى ضرورة "ترشيد الإسلام السياسي والتخفيف من التطرف الديني إلى الحد الأقصى الذي لا يتم دون تعميم الروح الرشدية في جميع أوساطنا الثقافية ومؤسساتنا التعليمية"<sup>(٥٧)</sup>.

وبناءً على هذا الإيمان الفكري لفرح أنطون بمشروعه النهضوي، فقد حاول توظيفه بشكل فني أدبي في مجموعة من الأعمال الروائية، وهي ( الدين والعلم والمال، الوحش الوحش الوحش، أورشليم الجديدة) ففي هذه الروايات عمل أنطون على تصعيد الجانب الفكري الأيديولوجي على حساب الفن الروائي نفسه، فهو لم يكن مهتماً بالعمل الروائي بوصفه عملاً فنياً جديداً أو واداً بتعبير فيصل دراج<sup>(٥٨)</sup>، وإنما كان كل همه توظيف الأفكار التي آمن بها، وضرورة إيصالها إلى القارئ/ المجتمع على نحو ميسر، يقول في افتتاحية روايته المدن الثلاث أو الدين والعلم والمال:

"خطر لنا أن نهجر أسلوب المقالات المتقطعة والفصول المتفرقة إلى أسلوب الرواية؛ لأنَّه أجمع وأوعى، فضلاً عن كونه أشد تأثيراً وأحسن وقعاً (...). وهذا الكتاب "الدين والعلم والمال" هو الرواية الأولى من هذه الروايات، وموضوعه معروف من عنوانه، وقد سميناه هنا (رواية) على سبيل [ التساهل<sup>(٥٩)</sup> ] لأنَّه عبارة عن بحث فلسفي اجتماعي في علائق المال والعلم والدين، وهو ما يسمونه في أوروبا " بالمسألة الاجتماعية"<sup>(٦٠)</sup>

وهنا سيتجسد موقف آخر من الذات، لأنَّ الرواية لم تكن معروفة في الأوساط الفنية والأدبية العربية، لأنَّها جنس أدبي وادف- كما يرى البعض<sup>(٦١)</sup>، نتيجة تأثر أنطون بالثقافة الغربية فعمل على سلخ مجموعة من الأفكار والمبادئ والشعارات من سياقها الخاص، أي السياق الغربي، وقسرها في سياق آخر هو السياق العربي- الإسلامي<sup>(٦٢)</sup>، ولم يكن أنطون مثقفاً تابعاً، ولم يكن قاصراً معرفياً، وإنما كان موسوعي الثقافة، ومثقفاً تنويرياً نزيهاً، ولكنه فُتن بالغرب المنتصر فراح يحاكيه بالانتصار، فاستنمذ أفكار الثورة الفرنسية

واستقدم معها الكتابة الروائية<sup>(٦٣)</sup>، فالشكل الروائي أوربي، والشكل يفرض مضمونه، لهذا صار الأدب العربي جزءاً من الأدب الغربي، بعد أن حصلت القطيعة مع الأدب الكلاسيكي<sup>(٦٤)</sup>.  
والحقيقة إنَّ استحداث الفن الروائي في عصر النهضة، لم يشكل قطيعة مع الماضي، ولم يكن افتتاناً بالغرب لدرجة تحول فيها الأدب العربي إلى شكل ومضمون غربيين، ففي هذا الحكم مجانية للصواب، والحقيقة هي أنَّ الرواية لم تكن فناً وافداً من الغرب بكل تعالقاته، وأنَّ الأديب أحدث قطيعة مع الماضي العربي ليتمكن من استجلاب الحاضر الغربي، فعلى العكس تماماً، لقد كانت الرواية هي وليدة التراث العربي القديم، و الأديب لم يشكل قطيعة مع الماضي بل اتكأ على الماضي في سبيل إنتاج ما يعزز حاضره، فهو في عملية معقدة من الوعي بالذات وليس ثمة وقت للقطيعة مع التراث والأنا العربية، فلو أردنا إدراك هذه الحقيقة، أي طبيعة العلاقة بين نشأة الرواية الحديثة والتراث العربي القديم، علينا أن نعرف أشكال النشاط القصصي وطبيعته في تراثنا ومن ثم محاولة تحديد العلاقة بينه وبين أدبنا الحديث، فهناك نتاج قصصي تعرض للإشكاليات مع الفقهاء منذ عهد خلفاء الرسول، وكانت القصة التي تُقدم لعامة الشعب في الوعظ والارشاد هي التي تنتصر في الأخير، بعد أن نتج عن هذه العلاقة العدائية بين الفقهاء والقصص وانقسم تراثنا القصصي قسمة بقيت حتى عصرنا الحديث، فالأول هو الذي يقوم على الوعظ بعيد، لتوشك الصلة بين هذا القسم والنشاط القصصي غير مباشرة، كما في الرحلة، والسير، والقصة التعليمية، والمقامة، أما القسم الثاني فهو الذي يتصل اتصالاً مباشراً بالنشاط القصصي والروائي والمتمثل بالتراث الشعبي، كألف ليلة وليلة والملاحم الشعبية، وظل هذا الانقسام مستمراً ليظهر من جديد في الأدب العربي الحديث، - وهذا التقسيم هو نفسه ما ذكره أنطون في مقدمة روايته "اورشليم الجديدة"<sup>(٦٥)</sup>. وفي نشأة الرواية العربية الحديثة عادت القسمة إلى الظهور من جديد، في صورة قطبين متنافرين، واعترف كبار المتقنين من النشاط الروائي بما كان تعليمياً ووعظاً مباشراً، وأنكروا ما خرج عن هذا الإطار وهاجموه، فكان طبيعياً أن يأخذ كتاب رفاة الطهطاوي " تلخيص الابريز " شكل رحلة كان فيها أكثر تعليمية ومباشرة من كتب الرحالة العرب القدماء، وأن يقدم فرح أنطون قصة في نفس الشكل كان مجالها المشاكل الاجتماعية، والذي يميز هذه القصة أنها كانت تعليمية متخيلة، وكان هذا الامر لا يميزها عن قصة حي بن يقطان، والقسم الثاني من النشاط الروائي فيتمثل برواية التسلية، التي تمثل الوريث الشرعي للأدب الشعبي كما في محاولة جرجي زيدان والمنفلوطي<sup>(٦٦)</sup>.

نعم من المصيب جداً أن الأديب العربي لم يكن ليقدم كل ما قدمه في عصر النهضة لولا اطلاعه على الغرب، فكل ما أنتجه هؤلاء المفكرون والأدباء في عصر النهضة كان وليد الصدمة التي عرقتهم على الغرب المتقدم وهي التي أعادتهم للتفكير بالذات المتأخرة والمتقهرة، وكان من بين ذلك الأدب، فالأدب جزء من الذات أو نتاج الذات، كان بحاجة أيضاً إلى إعادة نظر وإعادة تشكيل، وفي الوقت نفسه كانت متطلبات المرحلة تستلزم فناً مغايراً، كما استلزم الامرُ ابنَ طفيل ليكتب قصته الفلسفية والتعليمية بشكل قصصي، فكتابة أنطون للرواية تمثل موقفاً من الذات وتمثل موقفاً تصحيحياً واعياً لإعادة إنتاج الذات مرة أخرى بعد أن رأى ذاته بوساطة الآخر ليعي ذاته تماماً، ولهذا كان نص الشدياق " الساق على الساق فيما هو الفارياق " نصاً غير منقطع عن تراثه، لا لأنه كان مغايراً للشكل الذي تبنته النخبة كما ترى الدكتورة رضوى عاشور، وإنما ليس ثمة قطيعة مع التراث، فكل المحاولات الأدبية كانت تسعى في سبيل الاستمرار لا القطيعة والتواصل مع موروث الكتابة العربية الكلاسيكية مع تطوير وتجديد، فتحيط بالذات بما هي واقع معيش وتاريخ ثقافي<sup>(٦٧)</sup>.

ومع فرح أنطون نكون قد قدمنا مشروعاً اصلياً يمكن تصنيفه بأنه المشروع الثالث الذي طرح في عصر النهضة، فبعد ليبرالية الافغاني، والقومية المصرية عند محمد عبده ورشيد رضا، تأتي العلمانية على يد فرح أنطون، وكل هذه المحاولات إنما تمثل موقفاً من الذات، وإعادة لقراءة الذات مرة أخرى وتثوير طاقاتها والتحول من النسقية على الذات، فقد كان الوضع الكولينيالي قد عمل على إدماج بنية فكرية جديدة في واقع كان راكداً ومنكفئاً على الماضي، وهنا برزت العديد من الإشكالات التي بدأت تمثل مرحلة الوعي أو الصدمة، الإسلام مقابل المسيحية، الفكر العربي مقابل الفكر الأوربي، الذات مقابل الآخر، الأصالة مقابل المعاصرة، وتطور الوعي بهذا الإشكاليات إلى السؤال؛ كيف يمكن المحافظة على الذات العربية والهوية الإسلامي؟ وكيف يتحقق التقدم ورفاهية الجماهير إن بقي الوضع السائد؟ ما أهمية الحكم الإسلامي؟ ما شرعية السلطان أو الخليفة؟ ماهي الأمة؟ وما دور الإسلام في قيادة المجتمع؟ وهل هو مؤهل حقاً للقيادة؟ كيف يمكن الأخذ بكل هذا التطور القادم من أوربا دون المساس بالذات؟ ماهي الخيارات الممكنة للتقدم والتطور.... الخ، كل هذه الأسئلة لم تكن لتطرح سابقاً، لأن المجتمع يعيش ضمن نسق معين، لم يستوعب ذاته بعد، أو لنقل أنه منغلِق على ذاته، ولكنه أخذ بالتحول بعد أن وعى ذاته، وأخذت هذه المشاريع التي طرحها النهضويون الأوائل تترك أثراً كبيراً في المجتمع والدولة والفكر، وظهر جيل آخر أفاد مما طرحه السابقون، وتمثلوا طروحاتهم وطوروها كما في علي عبد الرزاق، وطه حسين، وقاسم أمين وغيرهم، ولكنها بقيت كتابات لم تأخذ واقعها الفعلي في المجتمع والدولة.

وبعد الحرب العالمية عام ١٩١٤ أرخ لانهاء عصر النهضة العربية، وهكذا كان بدل الإصلاح الاجتماعي والديني والسياسي الذي كان المصلحون يحلمون به والسيادة التي كانوا يأملونها، وجد العرب أنفسهم في مطلع القرن العشرين وعشية انهيار إحدى أكبر الإمبراطوريات التاريخية وأعرقها، في حالة من الفوضى والاختلاط التي لم يعرفوا لها مثيلاً، وتم اخضاع الشرق الأدنى والوطن العربي بأكمله إلى الاستعمار وفرض عليه التقسيم والعبودية، لقد خيض النضال في العقود الماضية من أجل النهضة، التقدم، الثورة، من أجل تجاوز الماضي والتطلع إلى مجتمع جديد ومتقدم، لكن هزم مشروع النهضة، وتفككت أوصال القوى التي حاولت تطبيقه، وانهار الحلم الذي سكن النهضويين، التقدميين، الثوريين وانهار حلم الجماهير التي انتظرت أن تنفض عن كاهلها ظلم قرون طويلة، ولكن بعد الانهيار لم يبق سوى الموروث من الماضي الذي تعلق به الأجيال على مدى قرون، ومن هنا بدأت الدعوة الدينية الأصولية من جديد وصعدت السلفية الطائفية، وغاب الفكر، وانتشر الوهم، وغابت الرؤية الواقعية فانتشرت الرؤية المتياثيريقية، وتم الهدم الأنطولوجي للعقل العربي<sup>(١٨)</sup>.

(١) ينظر: اغتيال العقل - محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، برهان غليون، المركز الثقافي العربي، ط٤، الدار البيضاء - المغرب، ٢٠٠٦: ١٥٩.

(٢) نهاية الفكر العربي ومولد السياسة المقدسة، د. عزيز الحدادي، دار الطليعة، ط١، بيروت - لبنان، ٢٠١٤: ١٩.

(٣) الانسداد التاريخي، لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي، دار الساقى، ط١، ٢٠٠٧: ١٧٧.

(٤) كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج١، مطبعة البابي الحلبي واولاده بمصر، ط٢، ١٩٦٥: ٧٥-٧٧. وينظر: تمهيد في البيان العربي، طه حسين، مقدمة كتاب نقد النثر لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب، حققه وعلق حواشيه الدكتور طه حسين بك وعبد الحميد العبادي، المطبعة الاميرية ببولاق ١٩٤١: المقدمة تمهيد في البيان العربي، من الجاحظ إلى عبد القاهر لطفه حسين.

(٥) ينظر: من الآخر إلى الذات - دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة والفكر الفلسفي العربي المعاصر، د. حسن مجيد العبيدي، دار الطليعة، ط١، بيروت-لبنان، ٢٠٠٨: ١٠٣.

(٦) ينظر: نزعة الأنسنة في الفكر العربي - جيل مسكوية والتوحيد، محمد اركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقى، ط١، بيروت- لبنان، ١٩٩٧: ٦٨.

- (٧) الأنسنة والتأويل في فكر محمد اركون، كيجل مصطفى، منشورات الاختلاف، ط١، ردمك، ٢٠١١: ٦٣.
- (٨) ينظر: عصر النهضة الاوربية، أد اسحق عبيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦: ٤-٥. والمقولة للباحثة زيغريد هونكه في كتابها شمس الله تسطع على أوروبا.
- (٩) ينظر: من النقل الى الابداع- المجلد الاول - النقل (١) التكوين (التاريخ- القراءة- الانتحال)، دكتور حسن حنفي، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠، ٢٧-٣١.
- (١٠) التراث والتجديد موقفنا من التراث الغربي- مقدمة في علم الاستغراب، الدكتور حسن حنفي، دار الفنية، القاهرة، ١٩٩١: ٤٩.
- (١١) ينظر: من الآخر الى الذات: ١٠٣.
- (١٢) ينظر: ثورة الفكر في عصر النهضة الاوربية، دكتور لويس عوض، مركز الاهرام للترجمة والنشر، ط١، القاهرة، ١٩٨٧: ٦.
- (١٣) ينظر: الأبواب المغلقة- دراسة حول أزمة التعبير في العالم العربي، منى خويص: ٨٩-٩٩.
- (١٤) ينظر: الذات عينها كآخر، بول ريكور، ترجمة وتقديم وتعليق: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠٠٥: ٧٠-٧٣.
- (١٥) سيكولوجيا القهر والابداع، ماجد موريس ابراهيم، دار الفارابي: ٤٧.
- (١٦) ينظر: الذات تصف نفسها، جوديث بنلر، ترجمة: فلاح رحيم، التنوير، ط١، بيروت، ٢٠١٤: ٧١-٧٦.
- (١٧) الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق، ادوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦: ٤٥٧.
- (١٨) ينظر: الاستشراق: ٤٥٨-٤٥٩.
- (١٩) اغتيال العقل: ٢٨.
- (٢٠) ينظر: مدخل إلى التنوير الأوربي، هاشم صالح، دار الطليعة، ط١، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥: ٤٢-٦١.
- (٢١) ينظر: الانسداد التاريخي: ٦٨-٨٧.
- (٢٢) ينظر: مقدمة في علم الاستغراب: ٢٦.
- (٢٣) دليل الناقد الأدبي- إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، د. ميجان الرويلي و د.سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي، ط٣، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٢: ٣٠٧.
- (٢٤) الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي- التمدن والحضارة والعمران، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، ج١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٢: ١٩.
- (٢٥) الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، ج٢: ٢١.
- (٢٦) الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، ج٢: ٢٥.
- (٢٧) ينظر: الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩، ألبرت حوراني، ترجمة: كريم عاقول، دار النهار للنشر، بيروت- لبنان: ٩٩.
- (٢٨) الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، ج٢: ٥٠١.
- (٢٩) أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، خير الدين التونسي، تقديم محمد الحداد، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠١٢: ٤٤. والنص مأخوذ عن مذكراته، تعريب محمد العربي السنوسي.
- (٣٠) ينظر: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك: ٣٥-٤٥.
- (٣١) ينظر: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك: ٦١، ٧٦، ٦٨.
- (٣٢) أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك: ٥، ٦، ١٢، ١٣.
- (٣٣) جمال الدين الأفغاني موقف الشرق وفيلسوف الاسلام، د. محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، القاهرة، ١٩٨٨: ١٥٠.
- (٣٤) جمال الدين الأفغاني - ذكريات وأحاديث، عبد القادر المغربي، دار المعارف، ط٣، القاهرة - مصر: ٦٣-٦٤.
- (٣٥) ينظر: الفكر العربي: ١٤٠-١٥٥.
- (٣٦) ينظر: خاطرات جمال الدين الحسيني (الأفغاني) - آراء وأفكار، تقرير: محمد باشا المخزومي، إعداد وتقديم: سيد هادي خسرو شاهي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢: ٢٩٨.
- (٣٧) الرد على الدهريين، جمال الدين الأفغاني، تقديم: محمد عبده، تحقيق: محمد حامد محمد، نسخة الكرتونية: ٤٩.
- (٣٨) الرد على الدهريين: ٣٦.

- (٢٩) الإسلام بين العلم والمدنية، محمد عبده، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر - القاهرة، ٢٠١٢: ٥١.
- (٤٠) ينظر: الإسلام بين العلم والمدنية: ٦٥-٧٦. وينظر: الامام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، د. محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، القاهرة - مصر، ١٩٨٨: ١٤.
- (٤١) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج٣- الإصلاح الفكري، والتربوي، والالهيات، تحقيق وتقديم: الدكتور محمد عمارة، دار الشروق، ط١، بيروت/القاهرة ١٩٩٣: ٣٠٤.
- (٤٢) ينظر: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج٣: ٣٠٤-٣٠٥.
- (٤٣) ينظر: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج١ - في تفسير القرآن: ١٠٨.
- (٤٤) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج١: ١٠٧.
- (٤٥) ينظر: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج١: ١٠٩.
- (٤٦) كتاب فلسفة النشوء والارتقاء، ج١ من مجموعة الدكتور شبلي شميل: مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٠: ١٩٠.
- (٤٧) ينظر: كتاب فلسفة النشوء والارتقاء، ج١: ١٩١.
- (٤٨) ينظر: كتاب فلسفة النشوء والارتقاء، ج١: ١٨٧-١٨٩.
- (٤٩) ينظر: مجموعة الدكتور شبلي شميل، ج٢، مطبعة المعارف، مصر، (المقالة الثامنة والثلاثون- ضحايا الجهل او الانسانية المظلومة): ٢٢١.
- (٥٠) ينظر: ابن رشد وفلسفته، فرح أنطون، مع مقالات لمجلة الجامعة، من مشروعات الجامعة، الاسكندرية ايناير سنة ١٩٠٣: ١٥٢.
- (٥١) ينظر: الإسلام بين العلم والمدنية: ١٠٩.
- (٥٢) ينظر: ابن رشد وفلسفته: ١٥٤-١٥٦.
- (٥٣) ينظر: ابن رشد وفلسفته: ١-٤.
- (٥٤) ابن رشد وفلسفته: ١.
- (٥٥) ينظر: المواجهة - فلسفة ابن رشد، فرح انطون، التنوير، ١٩٩٣: ٦٠ وما بعدها. وينظر: مفارقة ابن رشد، ابن رشد مفكراً عربياً ورائداً للاتجاه العقلي (بحوث ودراسات ) اشراف وتصدير د. عاطف العراقي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٣: ٣١.
- (٥٦) ينظر: ابن رشد مفكراً عربياً ورائداً للاتجاه العقلي(بحوث ودراسات ) : ٢٧، ٤١، ٥٩.. وينظر: ابن رشد سيرة وفكر، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨، ط١ الموضوع بتفصيل أوسع.
- (٥٧) ينظر: ابن رشد سيرة وفكر:
- (٥٨) ينظر: الرواية وتأويل التاريخ- نظرية الرواية والرواية العربية، فيصل دراج، المركز الثقافي العربي، ط١ المغرب، ٢٠٠٤: ٣٤.
- (٥٩) ترتبط عبارة (على سبيل التساهل) بمحمولات فلسفية، كونها تعني أنّ الإنسان لا يجب أن يدين أخاه الإنسان، لأن الدين علاقة خصوصية بين الخالق والمخلوق. وليس على الإنسان أن يهتم بدين أخيه أيا كان، لأن هذا لا يعنيه، فالإنسانية هي الإخاء العام والدين خاص بين الشخص وربّه لا يجوز لأحد التدخل فيها، والسلطة الدينية لا تقدر على هذا التساهل، لأن غرض هذه السلطة مناقض لغرض التساهل. هذا ما أراده أنطون من جملته " على سبيل التساهل". ينظر: ابن رشد وفلسفته: ١٤٩.
- (٦٠) الدين والعلم والمال- المدن الثلاث، فرح أنطون، مؤسسة هنداوي، مصر- القاهرة، ٢٠١٢: ٨.
- (٦١) ينظر: الرواية وتأويل التاريخ: ٣٥.
- (٦٢) ينظر: موسوعة عصر النهضة- فرح انطون وصعود الخطاب العلماني، سمير أبو حمدان، الشركة العالمية للكتاب- دار الكتاب العالمي، بيروت- لبنان، ١٩٩٢، ٦٢-٦٣.
- (٦٣) ينظر: الرواية وتأويل التاريخ: ٤٩-٥٣.
- (٦٤) ينظر: الحدائث الممكنة الشدياق والساق على الساق الرواية الاولى في الادب العربي الحديث، رضوى عاشور، دار الشروق، القاهرة- مصر: ١٢٢.
- (٦٥) ينظر: أورشليم الجديدة، فرح أنطون، مؤسسة هنداوي، القاهرة- مصر، ٢٠١٣: مقدمة الرواية: ٧.
- (٦٦) ينظر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر(١٨٧٠-١٩٣٨)، الدكتور عبد المحسن طه بدر، دار المعارف، ط٣، القاهرة- مصر: ٦-٧.
- (٦٧) ينظر: الحدائث الممكنة: ١٢٢.

(٦٨) ينظر: المحنة العربية: الدولة ضد الامة، الدكتور برهان غليون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: ٥٦، وينظر: النهضة المجهضة- مشكلات الفكر العربي في القرن العشرين -خطرة تكوينية نقدية، سلامة كيلة، التنوير، بيروت- لبنان، ٢٠١١: ٢٧٧-٢٨٣. وينظر: نهاية الفكر العربي ومولد السياسة المقدسة: ٢١٨.

#### • المَصَادِر:

١. ابن رشد سيرة وفكر، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت ١٩٩٨.
٢. ابن رشد وفلسفته، فرح انطون، مع مقالات لمجلة الجامعة، من مشروعات الجامعة، الاسكندرية ايناير سنة ١٩٠٣.
٣. الأبواب المغلقة- دراسة حول أزمة التغيير في العالم العربي، منى خويص.
٤. الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق، ادوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦.
٥. الإسلام بين العلم والمدنية: ٦٥-٧٦. وينظر: الامام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، د. محمد عمار، دار الشروق، ط٢، القاهرة - مصر، ١٩٨٨.
٦. الإسلام بين العلم والمدنية، محمد عبده، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر- القاهرة، ٢٠١٢.
٧. الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، دراسة وتحقيق: د. محمد عمار، خمسة أجزاء، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٢.
٨. الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، خمسة أجزاء، تحقيق وتقديم: الدكتور محمد عمار، دار الشروق، ط١، بيروت/القاهرة ١٩٩٣.
٩. اغتيال العقل- محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، برهان غليون، المركز الثقافي العربي، ط٤، الدار البيضاء - المغرب، ٢٠٠٦.
١٠. أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، خير الدين التونسي، تقديم محمد الحداد، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠١٢.
١١. الانسداد التاريخي، لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي، دار الساقى، ط١، ٢٠٠٧.
١٢. الأنسنة والتأويل في فكر محمد اركون، كيجل مصطفى، منشورات الاختلاف، ط١، ردمك، ٢٠١١.
١٣. أورشليم الجديدة، فرح انطون، مؤسسة هنداوي، القاهرة- مصر، ٢٠١٣.
١٤. التراث والتجديد موقفنا من التراث الغربي- مقدمة في علم الاستغراب، الدكتور حسن حنفي، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٩١.
١٥. تطوّر الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠-١٩٣٨)، الدكتور عبد المحسن طه بدر، دار المعارف، ط٣، القاهرة- مصر.
١٦. تمهيد في البيان العربي، طه حسين، مقدمة كتاب نقد النثر لابي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب، حقه وعلق حواشيه الدكتور طه حسين بك و عبد الحميد العبادي، المطبعة الاميرية ببولاق ١٩٤١.
١٧. ثورة الفكر في عصر النهضة الاوربية، دكتور لويس عوض، مركز الاهرام للترجمة والنشر، ط١، القاهرة، ١٩٨٧.
١٨. جمال الدين الافغاني - ذكريات وأحاديث، عبد القادر المغربي، دار المعارف، ط٣، القاهرة - مصر.
١٩. جمال الدين الافغاني موقظ الشرق وفيلسوف الاسلام، د. محمد عمار، دار الشروق، ط٢، القاهرة، ١٩٨٨.
٢٠. الحدائة الممكنة الشدياق والساق على الساق الرواية الاولى في الادب العربي الحديث، رضوى عاشور، دار الشروق، القاهرة- مصر.
٢١. خاطرات جمال الدين الحسيني (الأفغاني) - آراء وافكار، تقرير: محمد باشا المخزومي، اعداد وتقديم: سيد هادي خسرو شاهي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢.
٢٢. دليل الناقد الادبي- إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، د. ميجان الرويلي و د.سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط٣، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٢.
٢٣. الدين والعلم والمال- المدن الثلاث، فرح أنطون، مؤسسة هنداوي، مصر- القاهرة، ٢٠١٢.
٢٤. الذات تصف نفسها، جوديث بتلر، ترجمة: فلاح رحيم، التنوير، ط١، بيروت، ٢٠١٤.



٢٥. الذات عينها كآخر، بول ريكور، ترجمة وتقديم وتعليق : جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠٠٥.
٢٦. الرد على الدهريين، جمال الدين الأفغاني، تقديم: محمد عبده، تحقيق: محمد حامد محمد، نسخة الكترونية.
٢٧. الرواية وتأويل التاريخ- نظرية الرواية والرواية العربية، فيصل دراج، المركز الثقافي العربي، ط١ المغرب، ٢٠٠٤.
٢٨. سيكولوجيا القهر والابداع، ماجد مورييس ابراهيم، دار الفارابي.
٢٩. عصر النهضة الاوربية، أد اسحق عبيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦.
٣٠. الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨- ١٩٣٩، البرت حوراني، ترجمة: كريم عاقول، دار النهار للنشر، بيروت- لبنان.
٣١. كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج١، مطبعة البابي الحلبي واولاده بمصر، ط٢، ١٩٦٥.
٣٢. كتاب فلسفة النشوء والارتقاء، ج١ من مجموعة الدكتور شبلي شميل: مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٠.
٣٣. مجموعة الدكتور شبلي شميل، ج١، ج٢، مطبعة المعارف، مصر، ١٩١٠.
٣٤. المحنة العربية: الدولة ضد الامة، الدكتور برهان غليون، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .
٣٥. مدخل الى التنوير الاوربي، هاشم صالح، دار الطليعة، ط١، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥.
٣٦. مفارقة ابن رشد، ابن رشد مفكرا عربيا ورائدا للاتجاه العقلي (بحوث ودراسات ) اشراف وتصدير د. عاطف العراقي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٣.
٣٧. من الآخر إلى الذات -دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة والفكر الفلسفي العربي المعاصر، د. حسن مجيد العبيدي، دار الطليعة، ط١، بيروت-لبنان، ٢٠٠٨.
٣٨. من النقل إلى الابداع- المجلد الاول - النقل(١) التدوين( التاريخ- القراءة- الانتحال)، دكتور حسن حنفي، دار قباء، القاهرة ، ٢٠٠٠.
٣٩. المواجهة - فلسفة ابن رشد، فرح أنطون، التنوير، ١٩٩٣.
٤٠. موسوعة عصر النهضة- فرح أنطون وصعود الخطاب العلماني، سمير ابو حمدان، الشركة العالمية للكتاب- دار الكتاب العالمي، بيروت- لبنان، ١٩٩٢.
٤١. نزعة الأنسنة في الفكر العربي - جيل مسكوية والتوحيد، محمد اركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقى، ط١، بيروت- لبنان، ١٩٩٧.
٤٢. نهاية الفكر العربي ومولد السياسة المقدسة، د. عزيز الحدادي، دار الطليعة، ط١، بيروت - لبنان، ٢٠١٤.
٤٣. النهضة المجهضة- مشكلات الفكر العربي في القرن العشرين -نظرة تكوينية نقدية، سلامة كيلاء، التنوير، بيروت- لبنان، ٢٠١١.

## دور مديري المدارس في الحد من ظاهرة التنمر الوظيفي لدى المعلمين

د. رنا محمد بخيت الايوبي

الباحث: همام حسن علي

جامعه الجنان /كلية التربية /اختصاص طرق وتدرّيس

الملخص باللغة العربية

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على دور مديري المدارس في الحد من ظاهرة التنمر الوظيفي لدى المعلمين، من أجل تحقيق ذلك تمّ استخدام المنهجية الوصفية التحليلية، حيث تمثلت الأداة باستبيان يوضّح الصعوبات بمحاورها المختلفة، وطُبق على عينة من مديري المدارس في لبنان تحديداً الحمراء، حيث بلغت عينة الدراسة (١٦٠) مدير.

تكمن أهمية الدراسة في كونها تلقي الضوء على واقع ظاهر التنمر في الوظيفي من قبل المعلمين في المدارس سواء كانت مدارس حكومية أو أهلية، وتقدم الحلول للصعوبات التي تعيق من التخلص من هذه الظاهرة؛ كونها منتشرة في جميع مرافق الحياة خصوصاً البيئة التعليمية، لذا من الضروري اختيار أفضل الطرائق المناسبة للحد من هذه الظاهرة بدءاً من البيئة التعليمية؛ كونها الأساس في مجتمعات العالم عامة، ومجتمعاتنا العربية خاصة.

توصلت الدراسة لنتائج عديدة من أهمها: إمكانية التنبؤ بالتنمر الوظيفي خلال بعض أبعاد أدوار مديري المدارس لدى عينة الدراسة من مديري المدارس الحكومية، كذلك وجود فرق ذو دلالة إحصائية على أبعاد التنمر الوظيفي بين أفراد العينة ترجع لمتغير النوع والخبرة؛ بينما عد وجود تأثير دال لمتغير المؤهل العلمي على ابعاد متغير التنمر الوظيفي.

### ABSTRACT

The current study aims to identify the role of school principals in reducing the phenomenon of occupational bullying among teachers. In order to achieve this, the descriptive analytical methodology was used. The study sample is (١٦٠) managers.

The importance of the study lies in the fact that it sheds light on the reality of the phenomenon of occupational bullying by teachers in schools, whether public or private schools, and provides solutions to the difficulties that hinder the elimination of this phenomenon. As it is prevalent in all life facilities, especially the educational environment, so it is necessary to choose the best appropriate methods to reduce this phenomenon, starting from the educational environment. Being the basis of world societies in general, and our Arab societies in particular.

The study reached several results, the most important of which are: the possibility of predicting occupational bullying through some dimensions of

the roles of school principals in the study sample of government school principals, as well as the presence of a statistically significant difference on the dimensions of occupational bullying among the sample members due to the variable of gender and experience; While there was no significant effect of the educational qualification variable on the dimensions of the job bullying variable.

### الفصل الأول: الإطار العام للدراسة

#### مقدمة الدراسة

برز دور مديري المدارس بوصفها مفهوماً هاماً للحوث في السنوات الأخيرة في المؤسسات التعليمية. فالطبيعة المتغيرة لقطاع التعليم تدفعنا إلى الاعتقاد بأن القيادة الفاعلة والموظفين الملتزمين بمؤسساتهم التعليمية يشكلان ضرورة وأهمية لها؛ كي تتمكن من التعاطي مع الطلب على الالتحاق بها (Yahaya & Ebrahim, ٢٠١٦).

وتلعب القيادة الرشيدة والمحنكة دوراً هاماً في المؤسسات التعليمية؛ من خلال قدرتها في التأثير على الروح المعنوية للعاملين خاصة المعلمين، وخلق الدافع المعنوي لديهم للزيادة في العمل والإنتاج. تلعب العلاقة السليمة والفعالة؛ التي تدعمها الإنسانية ما بين مدير المدرسة والكادرين التعليمي والإداري داخل المدارس؛ دوراً هاماً وفعالاً للتخلص من مشاكل الاتصالات الروتينية والتنظيمية داخل المؤسسات التعليمية، والتي من الفاعلية التنظيمية الكثير؛ لتحقيق أهدافها المخطط لها. لا يمكن تحقيق المتوقع من المؤسسات التربوية في ضل بيئة عمل متجيش ومنتشر فيها السلوك العدائي على سبيل المثال ظاهرة التتمر، حيث أثبتت الدراسات وجود علاقة قوية ومتمينة بين ممارسات القيادة لمديري المدارس وسلوكيات ظاهرة التتمر من قبل المعلمين داخل البيئات التربوية. إشكالية الدراسة وأسئلتها

إن صفات وخصائص الشخص الذي يؤدي الدور القيادي (المدير) من المحتمل أن يؤثر بالسلب أو الايجاب على المعلمين، حيث توضح الدراسات التي أجرتها مؤسسة جالوب أن أكثر من ثلثي الأشخاص الذين يتركون وظائفهم يستقيلون بسبب مدير إما غير ناجح أو غير كفوء، وبعبارة أخرى أكثر وضوحاً، فإن الأغلبية العظمى من الموظفين الذين يتركون أماكن عملهم لا يتركون مكان العمل نفسه وإنما يتركون الرئيس. (Hunter, ٢٠٠٤)

وأكدت دراسة (الأبيض، وعبد العظيم، ٢٠٢٠: ٣٠٩) بأن "التتمر الوظيفي يعد من أحد أهم الأسباب التي تحول دون توفير بيئة عمل إيجابية، تتحقق فيها معايير السعادة التنظيمية ويتمتع فيها المعلمون بالتدفق النفسي والدافعية التنظيمية لتحقيق أهداف المنظمة"

وفي ضوء مؤشرات الدراسة الحالية التي قام بها الباحث بالتطبيق على بعض مؤسسات التربية والتعليم؛ لاحظ وجود انتشار واسع لظاهرة التتمر بين الموظفين بشكل ملحوظ، وأصبحت تشكل عبء أمام تحقيق السعادة التنظيمية وبالتالي جودة الحياة الوظيفية والتعليمية للمعلمين داخل البيئة التعليمية.

ومن خلال المقابلات الشخصية مع مديري المدارس والمعلمين الذين يعملون داخل المدارس الحكومية؛ تبين أهمية تناول متغير التتمر الوظيفي، وإمكانية التنبؤ به خلال ممارسات القيادة الحكيمة من

قبل المديرين، وتطبيقهم لمبادئ التمكين الإداري والعمل على إيجاد بيئة تغمرها السعادة وشيوع حالة من جودة الحياة في العمل داخل المدارس.

بناءً لما سبق يمكن تحديد إشكالية الدراسة على النحو الآتي:

ما دور مديري المدارس في الحد من ظاهرة التمر الوظيفي لدى المعلمين؟  
يتقرّع عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

- ١- ما دور مديري المدارس في الحد من ظاهرة التمر الوظيفي لدى المعلمين على مستوى جودة العمل؟
- ٢- ما دور مديري المدارس في الحد من ظاهرة التمر الوظيفي لدى المعلمين على مستوى التعامل مع المتعلمين؟
- ٣- ما دور مديري المدارس في الحد من ظاهرة التمر الوظيفي لدى المعلمين على مستوى التعامل مع بعضهم البعض؟

فرضيات الدراسة

الفرضية الرئيسية

يواجه مديري المدارس في لبنان صعوبات عديدة في الحد من ظاهرة التمر الوظيفي لدى المعلمين داخل المدارس الحكومية.  
الفرضيات الفرعية

- ١- يواجه مديري المدارس صعوبات في الحد من ظاهرة التمر الوظيفي لدى المعلمين داخل المدارس على مستوى جودة العمل.
- ٢- يواجه مديري المدارس صعوبات في الحد من ظاهرة التمر الوظيفي لدى المعلمين داخل المدارس على مستوى التعامل مع المتعلمين.
- ٣- يواجه مديري المدارس صعوبات في الحد من ظاهرة التمر الوظيفي لدى المعلمين داخل المدارس على مستوى التعامل مع بعضهم البعض.

أهداف الدراسة

الهدف العام للدراسة

التعرف على أدوار مديري المدارس في الحد من ظاهر التمر الوظيفي لدى المعلمين داخل المدارس الحكومية.

الأهداف الخاصة

١. اظهار أهمية أدوار مديري المدارس (الايثار، والتمكين، والتواضع، والاهتمام بالكوادر التعليمية والادارية)؛ كونها تساهم في نجاح المؤسسة التعليمية في تحقيق الأهداف التنظيمية والسعادة التنظيمية للمعلمين داخلها.
٢. تحديد العوامل التي تحول دون تحقيق معدلات عالية من السعادة التنظيمية لدى الكوادر التعليمية والإدارية داخل المدارس.
٣. التعرف على أهم العوامل التي تساهم بالحد من معدلات ظاهرة التمر الوظيفي، وتنتبأ به داخل مؤسسات التعليم في لبنان.

أهمية الدراسة

الأهمية النظرية

١. تزايد معدلات ظاهرة التمر الوظيفي داخل المؤسسات التعليمية وخاصة اللبنانية منها، وغياب الحالة الإيجابية، كجودة الحياة الوظيفية والسعادة بالتالي تتدني معدلات التدفق النفسي؛ ما يترتب على ذلك انخفاض جودة الخدمات المقدمة من المؤسسات المستهدفة من الدراسة الحالية.
٢. أهمية البيئة التي تطبق فيها الدراسة الحالية. وهي بيئة التعلم لمؤسسات التعليم، لما له من الأهمية الكبرى في غرس قيم الانتماء لدى متلقي الخدمات.

#### الأهمية التطبيقية

١. تقديم معلومات جديدة بإمكانها ان تساعد متخذي القرار خصوصاً إدارة التدريب في وزارة التربية والتعليم المسؤولة عن تعيين المديرين وتدريبهم، لامتلاكهم القدرة والرغبة للعمل بوظائف قيادية بوزارة التربية والتعليم.
٢. تسليط الضوء على مجموعة من المتغيرات ذات أهمية كبرى مثل أدوار مديري المدارس، وظاهرة التمر الوظيفي داخل بيئة العمل التربوي.

#### مصطلحات الدراسة

مدير المدرسة: عرفه كل من (الخليفة، وإبراهيم، ٢٠٢٠: ١٦٤) اصطلاحياً بأنه: "هو الشخص الذي يقود العمل داخل المدرسة والذي يقوم بجميع المهام الفنية والإدارية، ويقصد به الباحثان هنا مديري المدارس الثانوية الأكاديمية الحكومية في محلية ود مدني الكبرى بولاية الجزيرة".

وعرفه (سيد محمد، ٢٠٠٨: ١١) اصطلاحياً بأنه: "هو قائد تربوي وإداري على مستوى مدرسته يتميز بخصائص ومهارات تتطلبها منه طبيعة الأدوار التي يتطلب منها تنفيذها وممارستها في إدارته لمدرسته، وعليه تحديد السياسة التنفيذية لمدرسته وتنظيم كافة الجهود وتنسيقها في ضوء ما يتاح له من موارد مالية وبشرية، لتحقيق أهداف المدرسة الثانوية المنبثقة من فلسفة التربية وأهدافها".

يُعرفه الباحث إجرائياً في دراسته الحالية بأنه: هو قائد تربوي وإداري على مستوى مدرسته يتميز بمهارات وخصائص تتطلبها منه طبيعة الأدوار التي يتطلب منها ممارستها وتنفيذها داخل إدارته المدرسية، وعليه تحديد السياسة التنفيذية لمدرسته وتنظيم كافة الجهود وتنسيقها في ضوء ما يتاح له من موارد مالية وبشرية، لتحقيق أهداف المدرسة الثانوية المنبثقة من فلسفة التربية وأهدافها.

التمر الوظيفي: عرفه كل من (الأبيض، وعبد العظيم، ٢٠٢٠: ٣٠٨) اصطلاحياً بأنه: "السلوكيات التي تصدر من المشرفين والمدراء وأحياناً الزملاء، تؤدي إلى خلق بيئة عمل لا تتمتع بالجودة والسعادة التنظيمية، تتحقق فيها حالة من التدفق النفسي والشعور بالانغماس في العمل".

ويُعرفه الباحث إجرائياً في دراسته الحالية بأنه: هو الشخص الذي يلحق الأذى وسوء المعاملة للموظفين الآخرين ويجلب لهم الألم العاطفي أو الجسدي. ويأتي التمر في مكان العمل بجميع أشكاله، بما في ذلك الإساءة اللفظية وغير اللفظية والإهانة والإيذاء الجسدي والنفسي.

#### الفصل الثاني: الجانب النظري للدراسة

##### مديري المدارس

يعتبر مدير المدرسة من العناصر الأساسية والمهمة في كل مؤسسة تعليمية، وإن لم يكن مدير المدرسة مدركاً لمهامه، وملماً بواجباته تجاه مدرسته التي يقوم بإدارتها فسيتمتع للعديد من الصعوبات والأزمات التي تعوقه عن السير بالمؤسسة التعليمية على النحو الأفضل.

والمجتمع المدرسي يعتبر الأساس الذي ينطلق منه مدير المدرسة، وذلك للعمل والتمثل في الهيكل التنظيمي التدريسي، والطلاب بمختلف مستوياتهم التعليمية، والعاملين من موظفين وإداريين، ورؤساء

أقسام، والمفتشين التربويين الذين يزورون المدرسة بين الحين والآخر لتفقد العملية التعليمية؛ كل هؤلاء مطالب مدير المدرسة بالتعاون معهم، ومعرفة متطلباتهم، وتسهيل إجراءاتهم، وتوفير الجو المناسب لأداء أعمالهم على أكمل وجه.

إن وظيفة مدير المدرسة تعتبر أصعب الوظائف الإدارية؛ كونه يعمل مع أصناف عديدة من البشر، ومن مختلف المراحل العمرية، ومهمته صعبة فهي تمثل بناء الكائن الذي سيجمل مشعل المستقبل، وسيبني مجد هذه الأمة؛ لذلك يجب أن يكون في مستوى الأمانة التي حُمل بها.

ويضيف (دافيز، ١٩٩٠)، مؤلف كتاب الإدارة المدرسية أنه مهما أعطيت الصلاحيات والمسؤوليات للقيادات المدرسية دون أن تتوفر لديهم الأهلية لذلك، فإن المدارس لا تستطيع الاضطلاع برسالتها التي أنشئت من أجلها؛ فالقائد إذا لم تكن لديه الكفاءة والكفاية الكافية، فإن أسلوبه في الإدارة سوف يكون أقرب إلى البيروقراطية من إلى أي شيء آخر، ولعل هذا يؤكد أن المفتاح الرئيس والعامل الأساسي لضمان تحقيق المدرسة لرسالتها إنما يتوقف على كفاءة القيادة المدرسية.

صفات مدير المدرسة الناجح

هنالك عديد من الصفات التي يجب أن تتوفر في أي مدير مدرسة ليصبح مديراً ناجحاً، وهذا ما أكدته دراسة (عمر، ٢٠١٧) لخصها الباحث وكما يلي:

١. القدرة على بناء علاقة إنسانية وطيدة قائمة على الحب والاحترام المتبادل بينه وبين أعضاء هيئة

التدريس، والطلاب، وكل العاملين بالمدرسة، وأن يتقانى في خدمة العملية التعليمية.

٢. أن مدير المدرسة اليوم ليس كمدير الأمس الذي يعالج القضايا الطلابية بالطرق التقليدية المتمثلة

في العقاب البدني والنفسي، والإرهاب، وتخويف التلاميذ، ولكن المدير الناجح هو المدير المهني

والتربوي الذي يعالج القضايا المدرسية بالحكمة والطرق التربوية الحديثة، ويجعل من المدرسة

المكان المحبب للتلاميذ، لا المكان المنفر منه.

٣. أن يتصف المدير الناجح بالمرونة، وأن تكون لديه الكفاية التي تؤهله للقيادة الإدارية، وأن

يتصف بالتواضع وحب الجميع، وشعاره دائماً خدمة الجميع لما فيه مصلحة العملية التعليمية،

والبعد عن البيروقراطية والتعالي والغرور بالمنصب أو الوظيفة المكلف بها.

العلاقة التي تربط مدير المدرسة بالمعلمين

يعتبر المعلم هو العمود الفقري للعملية التعليمية، تتمحور حوله كل العملية التعليمية بمختلف

مستوياتها، فإذا صلح المعلم صلح التعليم كله، وإذا فسد المعلم فسد التعليم كله.

لقد ركزت معظم الأدبيات الإصلاحية التربوية إلى أهمية المعلم داخل العملية التعليمية؛ إذ لا يمكن أن

يكون ثمة تفكير في إصلاح البيئة التربوية دون إصلاح عامودها الفقري ألا وهو المعلم.

ويعتبر المعلم الجيد داخل البيئة التعليمية رافداً مهماً لها، ومساعداً جيداً لمدير المدرسة في القيام بدوره

الإداري بالشكل الناجح، وكذلك الرفع من شأن المدرسة علمياً في المجتمع المحلي.

ويأتي دور مدير المدرسة فر رفع كفاءة الكادر التعليمي من خلال المعلومات والمهارات والأفكار التي

يقدمها بين أيديهم، ومن خلال توجيههم لحضور الندوات والدورات والمحاضرات التي تعمل على تقوية

وتحديث معلوماتهم، وقطف ما هو جديد منها.

التنمر الوظيفي

تشكل ظاهرة التنمر إحدى أبرز المصطلحات المتداولة خلال الفترة الأخيرة بين عامة البشر وعلى

مواقع التواصل الاجتماعي. وهذا المصطلح ليس بالحديث؛ بل إنه قديم قدم الإنسان، فهو من التصرفات

السلبية السيئة التي يتبعها بعض البشر، وهو سلوك يعد من أنواع العنف والعدوانية التي يتعرض إليها الإنسان، والتي تقع عليه نتيجة للاستقواء عليه، ومحاولة التقليل من شأنه في جانب من الجانب، فيتم نقده بشدة حتى تؤذى مشاعره؛ حيث يتم مهاجمة الشخص المتميز عليه بالاستهزاء بصفة أو نقص أو فعل قام به، أو تصرف تعرض له، أو حتى شيء يتعلق بمظهره وشكله الخارجي مما يقلل من شأنه وثقته بنفسه، ويعكس عليه سلبًا بالتأثير على نفسيته بصورة سيئة.

وظاهرة التتميم موجودة على كل مستويات الحياة، وليست قاصرة على جانب من دون آخر، وتبرز في بيئة العمل كما في الحياة عمومًا، ويتعرض أغلب الموظفين لأشكال مختلفة من ظاهرة التتميم الوظيفي، ولقد عني العديد من الباحثين بالوقوف على ظاهرة التتميم على صعيد بيئة العمل؛ نظرًا لتأثيرها الكبير على الموظفين وأدائهم، وبالتالي على العمل وأداء المهام، وإنجاز الخطط والاستراتيجيات والمهام التي تنتسدها المؤسسات التعليمية والمنظمات بشكل عام.

تعتبر ظاهرة التتميم سلوكًا عاديًا متكررًا هدفه إلحاق الضرر بشخص آخر قصدًا إما جسديًا بضربه، أو لفضيًا بالاستهزاء به، حيث تتسم ظاهرة التتميم بطرق معينة؛ وذلك من أجل اكتساب السلطة على شخص آخر، ويتخللها قدرًا كبيرًا من العدوانية الجسدية كالدفع، أو تصغير مقامه بين الآخرين.

ويعود تاريخ ظاهرة التتميم إلى السبعينات من القرن الماضي في بعض البلدان الأوروبية، خصوصًا الإسكندنافية التي قامت السلطات التعليمية فيها بدراسات استكشافية كثر حول ظاهرة التتميم خصوصًا في المدارس والمؤسسات الحكومية، ويعد أوليس من أول من وضع مفهوم لظاهرة التتميم، ولوضح بأنه شكل من أشكال العدوانية يحدث عندما يتعرض شخص ما لسلوك سلبي يسبب له الألم، ويقدر يستعمل أفعالًا مباشرة أو غير مباشرة على الآخرين ويكون هجومه على الآخرين إما لفضي أو بدني، وذلك شبيه بما يحدث في السجن من فرض شخص أو أشخاص سيطرتهم على الآخرين (الدسوقي، ٢٠١٦: ١٠). كما وتعرف ظاهرة التتميم الوظيفي بأنها: ميل بعض مديري أو رؤساء العمل إلى السيطرة والهيمنة على مرؤوسيه ومضايقتهم بالتسلط والقسوة والتعنيف لدرجة أن عددًا لا يستهان به من الموظفين قد يجبرون نفسيًا أو قهراً على ترك العمل، ويكون التتميم من خلال الأفعال اللفظية أو السلوكية التي تصدر عن فرد أو مجموعة من الأفراد وتلحق الضرر النفسي أو الجسدي بفرد أو مجموعة من الأفراد، وقد يكون هذا التتميم يمس طريقة كلام الفرد أو طريقة عمله، أو مظهره، أو ملبسه، وقد يتمادى البعض في ذلك إلى التتميم على إعاقة يعاني منها الفرد (العزوني، ٢٠٢٠).

ولعل أشد أنواع التتميم التي يعاني منها الموظفون في بيئة العمل ينتج من التسلط الوظيفي على الموظف ويتم ذلك من خلال الاستخفاف بالموظف أو التقليل من شأنه أو تحقيره أو تهديده، أو حتى الخصم من راتبه، أو الفصل المؤقت وبدون أسباب تذكر (علي ومحمد، ٢٠٢١).

ويعد أداء العاملين مقياسًا أساسيًا لمعرفة تعرض الموظف للتتميم من عدمه، فالأداء يعبر عما يتمتع به الموظفون في المؤسسات التعليمية بصفة عامة من مهارات، وقدرات وإمكانات. فإذا كان الأداء مناسبًا للعمل المطلوب إنجازه فإنه يحقق الغرض منه، أما إذا كان الأداء لا يرقى إلى المستوى المطلوب لإنجاز العمل فإن ذلك يتطلب تطوير الوسائل المستخدمة لرفع كفاءة العاملين وتحسين أدائهم؛ للوصول إلى المستوى المطلوب من الأداء. والأداء بصفة عامة هو تحويل المدخلات التنظيمية إلى مخرجات بمواصفات فنية وأهداف محددة (زغبة ومحاد، ٢٠١٩).

إن أداء الموظف في العمل يتأثر بشكل كبير ببيئة العمل، وما تحتوي عليه من أمور، ونجاح الموظف، وتحسين مستوى أدائه وجوده عمله، يعني أنه يتمتع بحالة من الرضا الوظيفي، وهو "الشعور الإيجابي الذي

يشعر به الموظف بشكل عام تجاه عمله، وهو أحد الأسباب لتحقيق احتياجاته ورغباته في العمل، ويعتبر من الأهداف الأساسية التي تسعى إليه الوزارة للحصول عليه لما له من دور في زيادة إنتاجية الموظفين وتحفيزهم” (الوهيبي والسدراني، ٢٠٢٠).

ولعل أشد أنواع التمر التي يعاني منها الموظفون في بيئة العمل ينتج من التسلط الوظيفي على الموظف ويتم ذلك من خلال الاستخفاف بالموظف أو التقليل من شأنه أو تحقيره أو تهديده، أو حتى الخصم من راتبه، أو الفصل المؤقت وبدون أسباب تذكر (علي ومحمد، ٢٠٢١).

ويعد أداء العاملين مقياساً أساسياً لمعرفة تعرض الموظف للتمر من عدمه، فالأداء يعبر عما يتمتع به الموظفون في المؤسسات التعليمية بصفة عامة من مهارات، وقدرات وإمكانيات. فإذا كان الأداء مناسباً للعمل المطلوب إنجازه فإنه يحقق الغرض منه، أما إذا كان الأداء لا يرقى إلى المستوى المطلوب لإنجاز العمل فإن ذلك يتطلب تطوير الوسائل المستخدمة لرفع كفاءة العاملين وتحسين أدائهم؛ للوصول إلى المستوى المطلوب من الأداء. والأداء بصفة عامة هو تحويل المدخلات التنظيمية إلى مخرجات بمواصفات فنية وأهداف محددة (زغبة ومحاد، ٢٠١٩).

إن أداء الموظف في العمل يتأثر بشكل كبير ببيئة العمل، وما تحتوي عليه من أمور، ونجاح الموظف، وتحسين مستوى أدائه وجودته عمله، يعني أنه يتمتع بحالة من الرضا الوظيفي، وهو “الشعور الإيجابي الذي يشعر به الموظف بشكل عام تجاه عمله، وهو أحد الأسباب لتحقيق احتياجاته ورغباته في العمل، ويعتبر من الأهداف الأساسية التي تسعى إليه الوزارة للحصول عليه لما له من دور في زيادة إنتاجية الموظفين وتحفيزهم” (الوهيبي والسدراني، ٢٠٢٠).

الفصل الثالث: منهجية الدراسة (الطريقة والإجراءات)

منهج الدراسة

تمّ انتقاء المنهج ذو الطبيعة الوصفية التحليلية باعتباره المنهج الأكثر ملاءمة لهذا الموضوع، والذي يهتم بوصف الجوانب المتنوعة لظاهرة التمر الإداري وانعكاساته على بيئة العمل في دولة لبنان، بهدف التعرف على أشكال التمر الإداري والنمط القيادي المتبع من قبل القياديين أو الموظفين المتميزين في بيئة عملهم، ثم جمع المعلومات والبيانات ذات العلاقة وتصنيفها وتنظيمها بهدف الوصول للاستنتاجات التي من شأنها المساهمة في فهم التمر الوظيفي وانعكاسه على بيئة العمل كما في الواقع وتحليل النتائج.

مجتمع الدراسة

تكوّن مجتمع الدراسة من مديري المدارس الواقعة في محافظة بيروت منطقة الحمراء التابعة لدولة لبنان، والمتكونة من (١٦٠) مدير.

عينة الدراسة

تكوّنت عينة الدراسة الحالية من (١٦٠) مدير مدرسة في مدارس الحمراء، تمّ اختيارهم عشوائياً من المجتمع الكلي، وتمّ الحصول على الأعداد الرسمية للمدرسين من مديرية التربية في لبنان.

الخطوات الإجرائية

في سبيل تحقيق أهداف الدراسة قام الباحث بالإجراءات الآتية:

١- اختيار منهج الدراسة المناسب لطبيعة الموضوع، وتحديد المجتمع والعينة من مديري المدارس في منطقة الحمراء في بيروت.

٢- الاطلاع على عدد كبير من المراجع والبحوث حول دور مديري المدارس في الحد من ظاهرة التمر الوظيفي لدى المعلمين.



٣- الحصول على الموافقات المطلوبة من الجامعة ومديرية التربية.

٤- إعداد الاستبيان والتأكد من صدقه وثباته.

٥- تفرغ الإجابات ومعالجتها إحصائياً.

القوانين الإحصائية

اعتمد الباحث في معالجة نتائجه القوانين الإحصائية الآتية:

١- معامل ارتباط بيرسون للصدق، ومعادلة ألفا كرونباخ للثبات.

٢- قانون المتوسط الحسابي والانحراف المعياري.

الفصل الرابع: نتائج الدراسة وتحليلها

ناقش الباحث في الفصل الحالي نتائج الاستبيان الذي وزعه على أفراد عينة الدراسة، إذ أخضعه للتحليل الإحصائي من خلال حساب المتوسط الكلي لكل محور، وحساب النتائج المتعلقة بالمتغيرات الفرعية التي تعبر عن البيانات العامة للشخص المستجيب مستخدماً في ذلك مقياس خماسي، والجدول الآتي يبين ذلك:

جدول رقم (١٠)

القيم المعيارية لمقياس ليكرت الخماسي

| م | المدى         | الدرجة      |
|---|---------------|-------------|
| ١ | من ١_ ١،٨٠    | ضعيفة جداً  |
| ٢ | من ١،٨٠_ ٢،٦٠ | ضعيفة       |
| ٣ | من ٢،٦٠_ ٣،٤٠ | متوسطة      |
| ٤ | من ٣،٤٠_ ٤،٢٠ | مرتفعة      |
| ٥ | من ٤،٢٠_ ٥    | مرتفعة جداً |

الإجابة عن السؤال الأول:

ما دور مديري المدارس في الحد من ظاهرة التتر الوظيفي لدى المعلمين على مستوى جودة العمل؟  
ظهرت النتائج بأن المتوسط الحسابي للفقرات تراوح ما بين (٤،١٠-٣،٠٥) بمتوسط كلي (٣،٦١) حيث جاءت فقرة (كثرة عدد الحصص الدراسية لبعض المعلمين على حساب الآخر) بالمرتبة الأولى بمتوسط (٤،١٢) وهو أعلى من المتوسط الكلي (٣،٦١) وانحراف معياري قدره (٠،٧٤) بينما فقرة (استخدام أسلوب صعب في طريقة عرض المنهاج المدرسي) جاءت بالمرتبة الأخيرة بمتوسط (٣،٠٤) وهو أقل من المتوسط الكلي (٣،٦١) وانحراف معياري (٠،٧٤)، تبين بشكل رئيس أن ظاهرة التتر على مستوى جودة العمل كانت مرتفعة.

الإجابة عن السؤال الثاني:

ما دور مديري المدارس في الحد من ظاهرة التتر الوظيفي لدى المعلمين على مستوى التعامل مع المتعلمين؟

ظهرت النتائج بأن المتوسط الحسابي للفقرات تراوح ما بين (٣،٣٠-٤،٢١) بمتوسط كلي (٣،٧٠) حيث جاءت فقرة (تعامل مدير المدرسة بالسوية مع جميع الكوادر التعليمية) بالمرتبة الأولى بمتوسط (٤،١٢) وهو أعلى من المتوسط الكلي (٣،٧٠) وانحراف معياري قدره (٠،٨٣) بينما فقرة (تعامل مدير المدرسة مع الكوادر الإدارية بشكل سلطوي) جاءت بالمرتبة الأخيرة بمتوسط (٢،٢٩) وهو أقل من المتوسط الكلي (٣،٧٠) وانحراف معياري (٠،٨٣)، تبين بشكل رئيس أن الحد من ظاهرة التتمر الوظيفي بمستوى التعامل مع المعلمين كانت مرتفعة.

الإجابة عن السؤال الثالث:

ما دور مديري المدارس في الحد من ظاهرة التتمر الوظيفي لدى المعلمين على مستوى التعامل مع بعضهم البعض؟

ظهرت النتائج بأن المتوسط الحسابي للفقرات تراوح ما بين (٣،١٥-٣،٨٩) بمتوسط كلي (٣،٤٩) حيث جاءت فقرة (يعمل مدير المدرسة على بث روح التعاون والمحبة والتعامل الراقي بين المعلمين) بالمرتبة الأولى بمتوسط (٣،٨٨) وهو أعلى من المتوسط الكلي (٣،٤٩) وانحراف معياري قدره (٠،٨٧) بينما فقرة (غض نظر مدير المدرسة للتصرفات السيئة الحاصلة بين الكوادر التعليمية) جاءت بالمرتبة الأخيرة بمتوسط (٢،١٧) وهو أقل من المتوسط الكلي (٣،٤٩) وانحراف معياري (٠،٨٨)، تبين بشكل رئيس أن الحد من ظاهرة التتمر بمستوى التعامل بين المعلمين مع بعضهم البعض كانت مرتفعة.

مقترحات الدراسة

على ضوء النتائج السابقة، يقترح الباحث إجراء الدراسات الآتية:

- عدو وجود فروق ذات دلالة إحصائية في ظاهرة التتمر الوظيفي تعزى لمتغير عدد سنوات الخبرة.
- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في أبعاد التتمر الوظيفي والدرجة الكلية ترجع لمتغير النوع، وتعزى لصالح الذكور؛ وهذا دليل على أن الذكور أكثر تنمرًا من الإناث.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أبعاد ظاهرة التتمر الوظيفي والدرجة الكلية تعزى للمؤهلات العلمية.

توصيات الدراسة

في نهاية الدراسة، يوصي الباحث بما يأتي:

- ضرورة تعليم مقررات لها علاقة بالقيادة الحكيمة لمديري المدارس في كليات التربية ودمجها في البرنامج التدريبي للمديرين بالمدارس.
- تشجيع ممارسة السلوك الابتكاري والابداعي داخل البيئات التعليمية في وزارة التربية والتعليم.
- ضرورة وضع برنامج وقائي للحد من ظاهرة التتمر الوظيفي داخل بيئات التعليم.
- إجراء مزيد من البحوث والدراسات التي من شأنها تحد من ظاهرة التتمر الوظيفي.
- تفعيل نتائج البحوث والدراسات على واقع البيئات التعليمية؛ وذلك للاستفادة منها.

## المصادر والمراجع

- ١- المصادر والمراجع العربية
  ١. الراوي، فيصل وآخرون، الإدارة التربوية: نظرياتها وتطبيقاتها في التعليم، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، الكويت، ٢٠٠٥.
  ٢. زغبة، طلال؛ وعريوة، محاد. (٢٠١٩). أهمية تبني المسؤولية الاجتماعية في تحسين الأداء في القطاع العمومي بالجزائر: دراسة لعينة من المجالس الشعبية البلدية. مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير. جامعة فرحات عباس سطيف ١ كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، ١٩(١).
  ٣. عبد العزيز، حمدي جمعة. (٢٠٢٠). دور القيادة الأخلاقية في تقليل سلوكيات التمر الوظيفي للعاملين بجامعة حلوان. مجلة البحوث المالية والتجارية، ٢١(٤).
  ٤. العزوني، هدى سليمان. (٢٠٢٠). أثر التمر الوظيفي على كفاءة أداء العنصر البشري في المؤسسات الاقتصادية. مجلة بحوث الشرق الأوسط، (٥٧)، الجزء الثاني.
  ٥. علي، حمدي أحمد؛ ومحمد وفاء علي. (٢٠٢١). التمر في بيئة العمل والانغماس الوظيفي - دراسة سيوسولوجية على عينة من الأكاديميين ومعاونيهم والموظفين الإداريين في جامعة سوهاج. مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ١٠(١).
  ٦. النعيمي، صلاح عبد القادر؛ وعزيز، شعيب أحمد. (٢٠١٨). تأثير التمر الوظيفي في الالتزام التنظيمي. دراسة استطلاعية لآراء عينة من العاملين في المديرية العامة لتربية بابل. مجلة تنمية الرافدين، ١١(٧٣).
  ٧. الوهبي، والسدراني (٢٠٢٠). أثر الرضا الوظيفي على الأداء المؤسسي بوزارة الشؤون الرياضية في سلطنة عمان. المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية، العدد (٢٧).
  ٨. فرج المبروك، عمر. (٢٠١٧)، مدير المدرسة والإدارة المدرسية، دار حميثرا للنشر، القاهرة.
  ٩. دافيز، وإليسون. (١٩٩٩)، الإدارة المدرسية في القرن الحادي والعشرين، ترجمة: السيد عبدالعزيز البهوشي، مكتبة النهضة المصرية.
  ١٠. الدسوقي، مجدي محمد. (٢٠١٦)، مقياس السلوك التمرري للأطفال والمراهقين. القاهرة: دار جوانا للنشر والتوزيع.
  ١١. الأبييض، وعبد العظيم. (٢٠٢٠)، القيادة الخادمة لدى مديري المدارس الحكومية وعلاقتها بالتمر الوظيفي من وجهة نظر المعلمين، مجلة أبحاث، العدد (٢٠)، ٣٠٥-٣٤٣.
  ١٢. الخليفة، وإبراهيم. (٢٠٢٠)، دور مدير المدرسة الثانوية في تعزيز العلاقات الإنسانية داخل المدرسة ومع المجتمع المحلي بولاية الجزيرة، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، العدد (٩)، ١٥٦-١٨٣.
  ١٣. سيد محمد. (٢٠٠٨)، وظائف الإدارة المدرسية بالمرحلة الثانوية العامة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة.

## ٢- المصادر الأجنبية

١. Yahaya, R., & Ebrahim, F. (٢٠١٦). "Leadership Styles and Organizational Commitment: Literature Review". Journal of Management Development, ٣٥(٢): ١٩٠-٢١٦.
٢. Hunter, J. C. (٢٠٠٤). The World's Most Powerful Leadership Principle: How to Become a Servant Leader. New York: Crown Business.



## دَرَجَة اسْتِيْعَابِ الْمُتَعَلِّمِينَ لِعَمَلِيَّاتِ

## تَرْكِيْبِ الْكَلِمَاتِ فِي اللُّغَةِ الْإِنْجَلِيزِيَّةِ

د. عَفَافُ النَّظَرِ

الباحثة شيماة جمعة خلف الجبوري

جامعة الجنان / كلية التربية قسم مناهج وطرائق التدريس

١٠٢١٢١٢٨@students.jinan.edu.lba

### ABSTRACT

The current study focused on the degree of learners' comprehension of word formation processes in the English language for the preparatory stage in Salah al-Din Governorate - Iraq. To achieve the objectives of the study, the descriptive survey approach was relied upon, as the study population included (٥٠) male and female teachers who specialized in the English language in preparatory schools in Salah al-Din Governorate. The questionnaire was designed as a means of collecting respondents' data to answer the questions posed in the questionnaire, which consists of four axes: (information about the respondent, skills of a good teacher to achieve goals in the lesson, teachers' attitudes in teaching English, and the degree of learners' application of word formation in the English language from the point of view of teachers) and the results were analyzed and studied using the SPSS statistical analysis program.

According to the obtained study results, it was confirmed that there are difficulties (cognitive, analytical and applied) in the learners' comprehension of word formation processes in the English language from the teachers' point of view. Concerning the gender variable, it was found that there were no statistically significant differences in the learners' comprehension of word formation processes in the English language from the teachers' point of view. As for the age variable, it was found that there were no statistically significant differences in the learners' comprehension of word formation processes in the English language from the teachers' point of view. On the other hand, when studying the results according to the scientific level, it was concluded that there are statistically significant differences in the learners' comprehension of word formation processes in the English language from the teachers' point of view. In addition, when analyzing the results between the learners' difficulty in understanding word

formation processes in the English language and the teachers' point of view, it was verified that there is a statistically significant relationship between them.

### الملخص باللغة العربية

ركزت الدراسة الحالية على درجة إستيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية للمرحلة الإعدادية في محافظة صلاح الدين- العراق. لغرض تحقيق أهداف الدراسة تم الإعتماد على المنهج الوصفي المسحي، حيث تضمنت مجتمعة الدراسة على (٥٠) مدرساً ومدرسة من المتخصصين في اللغة الإنجليزية في المدارس الإعدادية في محافظة صلاح الدين. تم تصميم الإستبانة كوسيلة لجمع بيانات المبحوثين لغرض الإجابة على الأسئلة المطروحة في الإستبانة والمكوّنة من أربعة محاور: (المعلومات عن المُجيب، مهارات المُدرّس الجيّد لتحقيق الأهداف في الدرس، إتجاهات المُدرّسين في تدريس اللغة الإنجليزية ودرجة تطبيق المُتعلّمين لتركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المُدرّسين) وقد تم تحليل ودراسة النتائج باستخدام برنامج التحليل الإحصائي SPSS.

وفقاً لنتائج الدراسة التي تم الحصول عليها تم التأكد بأنه توجد صعوبات (معرفية، تحليلية وتطبيقية) في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرّسين. وفيما يتعلق بمُتغيّر الجنس تبين أنه لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرّسين. أمّا بالنسبة لمُتغيّر العمر تبين أنه لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرّسين. بالمقابل، عند دراسة النتائج حسب المستوى العلمي تم الوصول الى أنه توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرّسين. بالإضافة إلى ذلك، فعند تحليل النتائج بين صعوبة استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية ووجهة نظر المدرّسين تم التحقق بأنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية.

### الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة

#### تمهيد

سيبحث هذا الفصل مكونات الدراسة الحالية حيث سيتم صياغة الإشكالية ووضع الأسئلة الفرعية بناءً على الإشكالية ومن ثم صياغة الفرضيات جواباً على الأسئلة الفرعية وبعدها التعرف على أهمية الدراسة وبكلا النوعين، النظرية والتطبيقية. بالإضافة إلى ذلك التعرف على أهداف هذه الدراسة وحدودها ومصطلحاتها.

#### The significance of the study

أهمية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع  
في أيامنا هذه، أصبحت اللغة الإنجليزية أكثر أهمية للتواصل في مجال الاتصالات الدولية، وهي أيضاً اللغة الرئيسية في الأعمال التجارية الدولية، والمؤتمرات الأكاديمية، والعلوم، والمنافسة الدولية، والإعلان. إن إتقان اللغة الإنجليزية مهم جداً للتواصل حيث يستطيع الكثير من الناس استخدام اللغة الإنجليزية للتواصل مع بعضهم البعض، لكنهم لا يتقنونها جيداً. وهذا يعني أنه يجب معرفة وفهم القواعد النحوية. إن القواعد النحوية هي أكثر من دراسة داخلية للغة، فهي تدرس الشكل والنمط في الجمل وتم اعتماد اللغة الإنجليزية كواحدة من اللغات الضرورية للتواصل. تتبع أهمية هذه الدراسة من حقيقة أنها

تُمثل وسيلة للنظر في مشاكل بنية تكوين الكلمات في اللغة الإنجليزية للمتعلمين لها كلغة ثانية. أمّا بالنسبة للمعلمين، حيث تكون الدراسة مهمة فيما يتعلق بكيفية ممارسة الطلاب لتكوين الكلمات وزيادة المهارات اللغوية والإستيعابية.

### ١- الأهمية النظرية Theoretical significance

بعد مراجعة الدراسات السابقة ذات العلاقة بالدراسة الحالية (العربية والأجنبية)، تسعى هذه الدراسة إلى سد الفجوة الأدبية لدراسة درجة استيعاب تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين. بالإضافة إلى ذلك، إنّ الأهمية النظرية للدراسة الحالية تكمن في التوصل إلى مفهوم أكثر استيعاباً في تكوين الكلمات الإنجليزية والتي بدورها تُعتبر إضافة إلى المجال المعرفي والتعليمي.

### ٢- الأهمية التطبيقية Practical significance

أ. تساعد المتخصصين في تدريس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية وكذلك لغرض تطوير المتعلمين على الأسلوب الكتابي بالشكل الصحيح، كما تُساهم بتعزيز وتطوير أسلوب التدريس السائد ووضع أسئلة تطويرية تنمّي تلك المهارات.

ب. تساعد معلمي اللغة الإنجليزية لإعداد قائمة بمهارات الإستيعاب الكتابي بالإضافة إلى قياس مهارات المتعلمين في كتابة اللغة الإنجليزية.

تأمل نتائج هذه الدراسة بدعم ومساعدة مدرسي اللغة الإنجليزية على اعتماد إستراتيجيات التدريس الصحيحة لكونها تمثل حلقة الوصل بين الدراسات السابقة التي تم إجراؤها والدراسات اللاحقة لباحثين آخرين لإجراء المزيد من الدراسات الخاصة بهذا المجال. قد يكون غياب أداء الطلاب والأنشطة غير الكافية في الدراسة سبباً لعدم قدرتهم على فهم بُنية الكلمات. ومع ذلك، قد يكون العامل الأساسي مرتبطاً بالتقنيات والنهج والأنشطة المستخدمة في عملية التدريس. تتحدد إشكالية الدراسة في طرح السؤال الرئيسي التالي:

ما درجة استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين؟

### أسئلة الدراسة Questions of the Study

١- هل توجد صعوبات (معرفية، تحليلية وتطبيقية) في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين؟

٢- هل توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في استيعاب المتعلمين لعمليات تكوين الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين وفقاً للمتغيرات (الجنس، العمر والمستوى العلمي)؟

٣- هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية واضحة بين صعوبة استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين؟

### رابعاً: فرضيات البحث Hypotheses of the Research

١- توجد صعوبات (معرفية، تحليلية وتطبيقية) في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين.

٢- توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين وفقاً للمتغيرات (الجنس، العمر والمستوى العلمي).

٣- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية واضحة بين صعوبة استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية ووجهة نظر المدرسين.

### أهداف الدراسة The Objectives of the Study

يسعى الباحث إلى الوقوف على درجة استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين إلى:

١. تنمية قدرة الطلاب في تكوين الكلمات في اللغة الإنجليزية.
٢. تزويد الطلاب بالأنشطة التطبيقية والإستراتيجيات المطلوبة لتنمية فهمهم لمعنى تكوين الكلمات.
٣. تسهيل وتعليم تركيب الكلمات الجديدة ومعناها في اللغة الإنجليزية.
٤. تشخيص الأخطاء المتبعة من قبل المتعلمين ووضع الحلول المناسبة لتفاديها.
٥. تعزيز قدرة الطلاب على معرفة نوع ومعنى الكلمة قبل وبعد الإضافة.
٦. الوصول بالمتعلمين إلى درجات القدرة على فهم المتعلم للغة المنطوقة.
٧. الوصول بالمتعلمين إلى مستويات القدرة على فهم المتعلم للغة المكتوبة.

### تحديد مصطلحات الدراسة Terminology of study

#### ١. الإستيعاب Comprehension

أ. لغة: إمتلاك فهم شامل للظروف والمعلومات والإلمام بها ويقاس درجة فهم الطلاب للغة المنطوقة أو المكتوبة. والقدرة على تتبّع أو تقييم مستوى فهم المرء أمر ضروري لفهم القراءة والكتابة، هذا الفهم هو نوع من القدرة ما وراء المعرفة المعروفة بإسم مراقبة الفهم. أي أنّها "تتضمّن مراقبة التقدم المستمر للتعلم في الفهم، والتأكد من أنّ العملية تمضي بنجاح، وتنفيذ التدابير التصحيحية حسب الحاجة" (Pitts ١٩٨٣).

ب. اصطلاحاً: حسب ما عرّفه الباحث (سرحان، ٢٠١٤) بأنه: "عملية عقلية ذهنية نشطة، تتداخل فيها عوامل لغوية، ومعرفية، وإدراكية، تهدف إلى فهم المعنى، أو الفكرة، أو المفهوم، أو الرسالة التي يقصد الكاتب إيصالها".

ت. إجرائياً: هو الفهم الكامل والإلمام بجميع المعلومات التي تخص موضوع ما، وفي تكوين الكلمة يعني قدرة الطالب على كتابة الكلمة بشكل صحيح وتكون العلاقة بينهما علاقة طردية فكلاً كانت كتابة الطالب للكلمة مضبوطة الشكل دليل على استيعابه للمادة بشكل أكثر والعكس صحيح، خصوصاً بعد إضافة الابدئات واللاحقات.

#### ٢. عمليات تشكيل الكلمات Word formation processes

أ. لغة: هناك عدة باحثين عرفوا تكوين الكلمات الإنجليزية ومنهم، (ten Hacken & Thomas, ٢٠١٣)، هو عملية إنشاء كلمات جديدة بناءً على مجموعة من القواعد. بالإضافة إلى ذلك، ذكر (Plag, ٢٠١٨) أنّ عملية تطوير الكلمات تضمّنّت توليف كلمات جديدة من الكلمات الموجودة. يتّضح من الشرح أعلاه أنّ عملية إنشاء الكلمات هي وسيلة لإنشاء كلمات جديدة من الكلمات القديمة باستخدام مجموعة من المبادئ.

ب. اصطلاحاً: يؤكّد (Harley, ٢٠١٧) أنّ الكلمات الجديدة هي تلك التي يتم إنشاؤها عن طريق تعديل المصطلحات الحالية وقالت أنّ إجراءات أخرى، مثل اللصق والمزج والتركيب، والتي تكون أكثر فاعلية في إنتاج كلمات جديدة، تُستخدم لبناء كلمات جديدة. يُعرّف قاموس القراءة التشكل بأنه "دراسة التركيب الداخلي للكلمات والقواعد التي تتكوّن بها الكلمات وهي مقسّمة إلى فرعين رئيسيين: تشكل التصريف وتكوين الكلمات (الصرف المعجمي) (Malik et al., ٢٠١٨).



ت. إجرائياً: وهي عملية إنتاج كلمة جديدة من خلال إضافة بادئات أو/و لاحقات إلى جذر الكلمة وهذه الكلمة تتغير لفظياً ونحوياً بعد الإضافة.

### ٣- تعريف اللغة Definition of language

أ. لغة: وفقاً لتشومسكي (١٩٨٦) اللغة هي نظام تواصل قائم على الكلمات وتركيب الكلمات في جمل (N. Chomsky, ١٩٨٦). كما يعرف قاموس أكسفورد الإنجليزي اللغة على أنها: طريقة الإتصال البشري، سواءً بطريقة منظمة وتقليدية منطوقة أو مكتوبة، وتتكون من استخدام الكلمات (Raheem & Ahmed, ٢٠١٨).

ب. اصطلاحاً: يعرف قاموس كامبريدج اللغة على أنها أشكال من الدعم للكتابة والتحدث على مستوى الكلمات، أو الجمل، أو النص، أو الثلاثة جميعها (Raheem & Ahmed, ٢٠١٨). وهناك نوعين للغة: الأولى والثانية أو الأجنبية، First and Second, or foreign Language، اللغة الأولى تعني اللغة التي يتعلمها الطفل من والديه وغالباً ما يطلق عليها اللغة الأم (Krashen, ١٩٨٢) أما اللغة الثانية فهي تدرس بعد اكتساب اللغة الأولى إلى مستوى ما (Skehan, ٢٠٠٢; Dulay, ١٩٨٢).

إجرائياً: وهي اللغة التي يكتسبها الطالب كغلة ثانية بالإضافة إلى لغته الأم من خلال مسيرته العلمية سواءً كانت منطوقة أو مكتوبة ومن الممكن أن يواجه صعوبة في تعلمه لها من خلال تأثير وتداخل لغته الأم عليها.

### الفصل الثاني: الإطار النظري للدراسة

#### مفهوم الاستيعاب وأنواعه

#### المقدمة Introduction

قبل الستينيات، عندما ساد المنظور السلوكي للغة، كانت هناك وجهة نظر سائدة للغة ترى أنّ الأخطاء التي يرتكبها المتعلمون غير مرغوب فيها. فقد كان يُنظر إلى ارتكاب الأخطاء على أنها مؤشر على التعلم غير الفعّال وكان يُنظر إليها على أنها غير مرغوب فيها لإجراءات تعلم اللغة الفعّالة. يرى المنظور السلوكي أنّه إذا كانت أساليب التدريس "مثالية"، فلن تحدث الأخطاء أبداً وهذا هو سبب ارتكاب الأخطاء. فلا يوجد شيء مثل المقاربة "المثالية"، خاصة مع إدخال فكرة المعايير العالمية التي طرحها تشومسكي في عام ١٩٦٥. وقد اعتبر هذا الأسلوب في التفكير غير مُحبّب. كما أكد على أنّ كل شخص لديه مهارة طبيعية يمكنها توجيهه من خلال مجموعة واسعة من خيارات تكوين الجملة. منذ ذلك الحين، تحول معلّمو اللغة لصالح الإستراتيجية المعرفية، تساعد فكرة تشومسكي في زيادة اهتمام الباحث بالأخطاء التي يرتكبها الطلاب كأساس لتطوير الفرضيات (Amara, ٢٠١٥).

#### مفهوم الاستيعاب وأنواعه

الإستيعاب هو وجود خطة داخلية تهتم بالفهم والإدراك وهذه الخطة تحدث داخلياً ونتائجها تؤثر خارجياً ويرتبط ارتباطاً وثيقاً في المستوى العقلي، وأنّ هذه النتائج هي التواصل والتي تتمثل إمّا باللغة المنطوقة (الحوار) أو باللغة المكتوبة (الكتابة) وهناك نوعين من الإستيعاب:

#### ١. الإستيعاب الكتابي

هو القدرة على استخلاص المعلومات من عبارة مختصرة وتركيب نحوية صحيحة و يتم اختبارها من خلال أي من الإختبارات المختلفة التي تم إعدادها خصيصاً لها، مثل إختبارات المفردات الفرعية

(ARAR, n.d). أشار (سيد أحمد البهاص، ١٩٨٤) على أنها القدرة على التعرف على معنى الكلمة والجملة والفقرة لاختبار فهم المتعلم للروابط العديدة بين أجزاء النص اللغوي.

## ٢. الإستيعاب القراني

هو الفهم الصحيح من قبل المستمعين للحديث الذي يقصده المتحدثون ويُسمّى بالفهم الشفهي (Clark & Clark, ١٩٧٧)، أو القدرة على فهم ومعرفة المعاني للكلمات والأفكار (Guilford, ١٩٧٧) هناك نوعين من الإدراك، تلقائي وعاطفي، والآخر واعي وعاطفي، فإنّ الفهم أو الإستيعاب هو إدراك واعي وعاطفي لمعنى الكلمة.

## دور التعبير الكتابي ومكانته في العملية التعليمية Role of writing comprehension

أصبحت الكتابة ضرورية للغاية للطلاب إلى جانب القدرات الأخرى، لأنّ جزءاً كبيراً من نجاحهم في عملية تعلم اللغة يعتمد عليها ومن بين المهارات الأربعة (القراءة، والإستماع، والتحدث والكتابة)، يمكن اعتبار الكتابة الأصعب والأكثر تعقيداً. قد يكون من الصعب تعليم هذه المهارة لأنها تتطلب إتقان كل من الجوانب، المفاهيم والحكم بالإضافة إلى التقنيات النحوية والبلاغية بما في ذلك إدارة المحتوى، والتنسيق، وتركيب الجمل، والمفردات، والتهجئة، وعلامات الترقيم. وفقاً لجيمس (James, ٢٠١٣)، يعاني طلاب اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية (EFL) في كثير من الأحيان من الكتابة، والقضية الأساسية تتعلق بقواعد اللغة الإنجليزية. تؤدي هذه الحجج إلى استنتاج مفاده أن الكتابة هي إحدى أصعب القدرات التي يمكن اكتسابها أثناء تعلم اللغة الإنجليزية، خاصة عند محاولة كتابة العبارات فقد يرتكب الطلاب أخطاءً بل ويتعثرون في كثير من الأحيان ويجب أن يقترن الخطأ بمزيد من المدخلات قبل أن يتمكن من إصلاح نفسه. في المقابل، إذا تم ارتكاب الخطأ في إشارة إلى الطلاب، فلا يمكن إصلاحه إلا من قبل الطلاب أنفسهم. عندما يخطئ المتعلمون، فذلك لأنهم لا يفهمون تماماً قواعد اللغة الثانية التي اكتسبوها ويكونون عرضة لقواعد اللغة الأولى، والتي لها بنية كلمات مختلفة عن اللغة الثانية. بالإضافة إلى ذلك، يشير تحليل الأخطاء إلى تحليل أخطاء المتعلم وتصنيفها ومراقبتها من أجل فهم المزيد عن النظام الذي يعمل داخل المتعلم ولتوسيع دراسة أخطاء المتعلم. لهذا فإنّ التحليل مطلوب كأسلوب لاكتشاف كيفية تعلم اللغة، والتي من خلالها يتعلمون قواعد اللغة الإنجليزية، وكذلك الفائدة التي قد يجنيها المعلمون من نتائج تحليل الخطأ نفسه.

## The foundations on which written expression is produced in secondary school

تستند طريقة تعليم التعبير الكتابي في المرحلة الإعدادية على الأسس التالية:

### ١- إعتداد الأسس النفسية psychological-based foundations

تؤثر الأسس النفسية للمتعلم بشكل كبير على مدى حماسه، وهو ما ينعكس في درجة إنجازه الأكاديمي. حيث قد يكون لعدد من الظواهر تأثير سلبي على أدائه الأكاديمي، وتشمل هذه الظواهر الخجل والرهبة والقلق. في هذه الحالة، يجب على المدرّب أن يقدّم لهم الدعم النفسي من أجل مساعدتهم على تنمية الثقة النفسية والقدرة على الإستمرار.

### ٢- إعتداد الأسس اللغوية linguistic-based foundations

نظراً لاختلاف القواعد النحوية في كلتا اللغتين، يتأثر الطلاب داخل الفصل الدراسي بقدرتهم على الكتابة باللغة الإنجليزية لأنهم يستخدمون لغتهم الأولى خارج المدرسة وكذلك داخلها. في بعض الأحيان، وخاصة في المراحل غير المكتملة، يجد المتعلم صعوبة في التفريق بينها نحويًا، كما في:

تتكوّن الجملة الفعلية باللّغة العربية من: (فعل + فاعل + مفعول به)  
أما باللّغة الإنجليزية فتتكوّن الجملة من (فاعل + فعل + مفعول به)

### ٣- إعتقاد الأسس التربوية Educational-based foundations

للطالب الحق في التمتع باستقلاليته في التعبير عن آرائه وما يريد أن يقوله وبالطريقة التي يختارها وبدون تقييد وإعطائه مطلق الحرية في التعبير عما يجول في ذهنه من أفكار.

### طريقة تدريس المعلم للتعبير الكتابي في المرحلة الإعدادية Method of teacher in writing comprehension teaching for secondary school

يتم تدريس التعبير الكتابي في مجموعة متنوعة من المناهج التعليمية، ونتيجة لذلك فإنه يختلف من مرحلة إلى أخرى حسب مستوى التعليم في كل مرحلة. ويعود هذا التنوع إلى الإستراتيجيات التي طورها المشاركون فيها، ومن بين هذه المراحل مرحلة مهمة يتم تدريسه فيها، يكون فيها الطالب على مستوى عالٍ من التفكير والإدراك وهي مرحلة الإعدادية، ويتسم بتغيرات في مستواه التعليمي وتصوّره وأفكاره وتحسن في أدائه الأكاديمي، لهذا السبب، يحتاجون إلى تحسين قدراتهم الكتابية. نتيجة لذلك، سيعطيهم أساتذتهم موضوعات مختارة بعناية، لإنتاج مقالات أو قصص قصيرة مع السماح لهم بالمرونة للتعبير عن أنفسهم بحرية وتحديد الأخطاء. طالما أن اختيار المعلم لهذه الموضوعات أو العناوين ليس له أي آثار سلبية على عقل الطالب، أو شخصيته، أو أي حدث سياسي، أو أممي، أو اقتصادي. على الرغم من إعطاء الطالب الحرية في التعبير في بعض الأحيان يضع المعلم قيوداً على قدرة الطالب على الكتابة عن العنوان المخصص؛ فكلما كانت العناوين أو الموضوعات المختارة مناسبة للطلاب من الناحية النفسية والزمنية والعقلية، زاد إتقانه للتعبير.

### دور المعلم في نشاط التعبير الكتابي Role of teacher in writing comprehension activity

يُعتبر المعلم العمود الفقري في العملية التربوية حيث أنّ وظيفته هو الدعم والإصلاح التربوي ويبرز دوره في التوجيه والإرشاد، وفيما يتعلق بدور المعلم في التعبير الكتابي داخل الصف، هو القيام بإعطاء النصائح والإرشادات اللغوية اللازمة لتقادي الطلاب الأخطاء الإملائية قدر المستطاع وبذلك يكمن دور المعلم في تشخيص الأخطاء ومسبباتها وطرق تصحيحها (Hashimoto, ٢٠٠٦)، ومن خلال هذا الدور الكبير بكونه الموجّه والمرشد والمكلف به في تسيير العملية التربوية يجب عليه أن يراعي الفروق الفردية بين الطلبة والأخذ بعين الإعتبار أن تكون الإجابات متفاوتة في التعبير والكتابة والأخطاء وذلك بتحفيز روح الدافعية لدى الطلاب. فيما يتعلق بمسؤولية المعلم عن التعبير الكتابي للطلاب في الفصل، فمن الضروري تقديم التوجيه والتعليمات اللغوية اللازمة لهم لتجنّب الأخطاء الإملائية قدر الإمكان أو تحديد الأخطاء وأسبابها وطرق التصحيح الفعالة (Hashimoto, ٢٠٠٦). في بعض الأحيان يكون المعلم هو السبب في إنخفاض مستوى الطلاب، خاصة عندما يكون لديه مستوى محدود من التدريب أو الخبرة، ويفتقر إلى معرفة طرق التدريس والأيدولوجيات الحديثة، ومستوى محدود من المعرفة. وبهذا يمكن الإستفادة من تطبيق أداة فلنדרز للتفاعل الصقي للحصول على نتائج هادفة وذلك من خلال تقسيم وقت الحصة والذي يكون بالعادة (٤٠) دقيقة، إلى تخصيص أول (٥) دقائق لعمل مقدمة أو خلفية عن موضوع الدرس ومراقبة مدى تقدّمه، و(٣٠) دقيقة للتفاعل والنشاط وتسجيل السلوك، أما آخر (٥) دقائق فإنّها تكون لتسجيل الملاحظات والهوامش التي تخص الدرس وملاحظة أجواء الصف إن كانت هادئة أو فوضوية، وفي هذه الأثناء يكون هناك تفاعل مباشر، ويكون من خلال إلقاء المحاضرة وإعطاء التوجيهات

والإرشادات وتغيير السلوك نحو الأفضل، أو غير مباشر ويكون من خلال التثاء على الطلبة وتشجيعهم واستثارة دافعيتهم واحتوائهم وتقبل مشاعرهم وأحاسيسهم وإعطائهم الثقة للتعبير عن آرائهم سواءً صحيحة أم خاطئة، بالإضافة إلى هذا، يكون هناك دور للطلاب في المشاركة بالتفاعل الصقي عندما يستجيب للأسئلة التي يوجهها المعلم، أو تكون بمبادرة من الطالب.

### الفصل الثالث: تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية

نظراً لأهمية اللغة الإنجليزية ومكانتها وبالمواكبة مع التطور والحدثة حيث أصبحت في جميع المؤسسات التعليمية وتضمينها بالمنهاج الدراسي لكل بلد لهذا تطرّق الباحثون والمختصون باللغة الإنجليزية خصوصاً لتركيب الكلمات لأنها تكون الأساس في تعلم الكتابة الصحيحة وبدأوا من أصغر مقطع لتركيب الكلمة وصولاً إلى الإضافات البدائية والنهائية للكلمة الأساسية في البلدان العربية والبلدان الأجنبية التي تستخدم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية.

### علم التشكل Morphology

علم التشكل (Morphology) أو المورفولوجيا هو دراسة بنية الكلمات وتكوينها وتوفير نظرية أساسية في بنية الكلمات في جميع اللغات من خلال النظرية الصرفية. والغرض منه هو وصف أنواع الأشياء التي يحتاج المتحدثون إلى فهمها حول بنية كلمات لغتهم لاستخدام هذه الكلمات لتوليد وفهم الكلام (Katamba, ٢٠١٥). بعبارة أخرى، الوعي الصرفي هو "إدراك الطلاب الواعي للبنية الصرفية للكلمات وقدرتهم على التفكير في هذا الهيكل والتلاعب به" (Fowler & Liberman, ١٩٩٥).

### مكونات الكلمة الإنجليزية

تتكون الكلمة الإنجليزية من التصريف، والإشتقاق، والكلمات المركبة، derivational , inflectional and compounding وعلى النحو التالي:

### ١- الإنعكاس Inflection

الطريقة التي يتم من خلالها الجمع بين الجذور والواحد للدلالة على الفئات النحوية الأساسية مثل الزمن أو التعددية. على سبيل المثال، "boy-s" و "weak-ed" حيث أنّ (s و es) هي لاحقات تصريفية. بدلاً من إنتاج كلمات جديدة، يُعتقد أنّ التصريف يعطي الكلمات الموجودة بالفعل معاني عامة نسبياً. يجب أن تنطبق الفئات التصريفية المستخدمة لتصنيف أشكال الكلمات إلى نماذج على توضيح القواعد النحوية للغة؛ لا يمكن اختيارهم عشوائياً. بما أن اللغة الإنجليزية تتضمن قواعد الإتفاق النحوي التي تتطلب أن يظهر الفعل في الجملة في شكل تصريف يتوافق مع الشخص ورقم الموضوع، فإنّ الشخص والرقم هي فئات يمكن استخدامها لوصف النماذج في اللغة الإنجليزية.

### الإشتقاق Derivation

الطريقة التي يتم من خلالها دمج الواحد الإشتقاقية - مثل "modern-ize" و "reader" و "-ize" - مع الجذور لتشكيل كلمات جديدة. الإشتقاق هو عملية إنشاء كلمات جديدة من الكلمات الموجودة بالفعل. الإشتقاق derivational أقل قابلية للتنبؤ به من التشكل التصريف inflectional لأنه أقل انتظاماً. على سبيل المثال، يمكننا أن نفترض أنّه سيتم إضافة S - أو ES- إلى معظم الأسماء الإنجليزية لجعلها بصيغة الجمع.

### التركيب Compounding

skateboard, وهي دمج كلمتين أو أكثر لإنشاء كلمة جديدة واحدة في اللغة الإنجليزية مثل، whitewash, super-high-way, cat-lover, self-help, red hot, textbook, fingerprint, sunburn, wallpaper, waterbed. وهناك أنواع للكلمات المركبة:

- الأسماء المركبة: وهي الكلمة التي يتم الحصول عليها عن طريق توتر إسمين معا مثلاً (red-skin) تشير إلى صاحب البشرة الحمراء وليس إلى البشرة نفسها، armchair لا تشير إلى ذراع الكرسي وإنما إلى نوعه، maid servant يشير إلى كلا الجنسين وكما هو الحال في كلمة doctor.
- الأفعال المركبة: تتكوّن هذه الأفعال عن طريق خلفية الكلمة والتي يعتقد أنّها جزء من الكلمة. مثل، sky-dive وتتكون من إسم وفعل، freeze-dry وتتكوّن من فعل وفاعل، soft-land وتتكوّن من صفة وفعل، bad-word وتتكوّن من صفة وإسم، breath-test وتتكون من إسمين.
- الأحوال المركبة: الطريقة الأكثر شيوعاً لتشكيل الطرف هي إضافة اللاحقة "ly" إلى صفة مركبة.
- الصفات المركبة: يمكن تشكيلها من خلال أنواع مختلفة مثل، sea- food وتتكوّن من إسم وصفة، fail-safe وتتكوّن من فعل وصفة، turn-key وتتكوّن من فعل وإسم، white-sweet وتتكوّن من صفتين.

### اللغة الإنجليزية English language

اللغة الإنجليزية هي اللغة الأكثر أهمية في العالم. يتم استخدامها للتواصل من قبل عدد كبير من الناس في جميع أنحاء العالم، مما يجعلها لغة عالمية. وتستخدم من المدارس الثانوية إلى الجامعات، حيث يتم تدريس اللغة الإنجليزية كمادة مطلوبة وهي اللغة الأجنبية الأكثر دراسة. لذلك على الطلاب أن يتعلموا مع دراساتهم للغة الإنجليزية بجدية أكبر. وتأكيداً على أهمية وانتشار هذه اللغة نجد هناك من يتحدثون الإنجليزية في أكثر من ٧٠ دولة مختلفة، لهذا يمكننا القول أنّ اللغة الإنجليزية هي إحدى اللغات الأساسية التي يستخدمها هؤلاء الأشخاص للتواصل (الخصاونة، ٢٠١٦).

### أهداف تدريس اللغة الإنجليزية Aims of teaching English language

باستثناء عدد من المؤسسات التعليمية، فإن اللغة الإنجليزية هي وسيلة التدريس حتى المستوى الجامعي في بعض الدول، بما في ذلك العراق. على الرغم من أنّ اللغة الإنجليزية يتم تدريسها كلغة أجنبية، إلا أنّ النظام التعليمي لم يكن يهتم سابقاً بتعليم اللغة الإنجليزية وتعلمها (ur Rahman & Alhaisoni, ٢٠١٣).

ومن الممكن أن نحدد أهداف دراسة اللغة الإنجليزية بما يأتي:

- ١- تعليم الطالب أساسيات اللغة من التحدث، الإستماع، القراءة والكتابة.
- ٢- رفع وعي الطلاب باللغة الإنجليزية كلغة عالمية للتواصل.
- ٣- قدرة المتعلم على تطوير القدرات اللغوية المطلوبة في العديد من المجالات.
- ٤- يكتسب الطالب الكفاءة اللغوية المطلوبة في مجموعة متنوعة من المهن.
- ٥- تُعزز أفكار التعاون الدولي التي من شأنها أن تعزز التفاهم واحترام الاختلافات الثقافية بين الأمم، مما يسمح للطلاب بالاستفادة لغوياً من الدول الناطقة باللغة الإنجليزية.

٦- إكتساب الطالب المهارات اللغوية اللازمة له للمشاركة في نقل التطورات العلمية والتكنولوجية إلى دول أخرى تستطيع النهوض ببلده.

### العملية التعليمية Educational process

اختلفت التعريفات حول مصطلح "التعليم" حيث أنها تتأثر بعدد من الأفكار وتشكل أساس العملية التي تحدث في الفصل الدراسي. وفقاً لـ Gage (١٩٧٧)، تتضمن العملية التعليمية جميع التفاعلات بين النصوص التي لديها القدرة على تغيير سلوك كل طرف. يحدث هذا التجديد في إطار التأثير الشخصي، والقضاء على المتغيرات المادية والمالية التي لها تأثير على سلوك الناس، مثل عزلهم عن وظائفهم أو سلبهم السلطة. من خلال القيام بذلك، من الممكن أن نستنتج أن العملية التعليمية لها أهداف تسعى جاهدة لتحقيقها ويمكن الوصول إليها بفضل الإتصال المتبادل بين المنفعة ومكوناتها. ما هي هذه المكونات؟ وهل يلعب المعلم دوراً في علاقتهما؟ ومع ذلك، فإن وجود المتعلم قد أحدث تغييراً، ويشار إليه الآن على أنه "المحور الرئيسي للتعليم التربوي لأنه هدف الفعل التعليمي، وبدونه لن يتحقق هذا الأخير.

### مفهوم التقويم Evaluation

هو القدرة على تقييم قيمة المواد المجمعّة لهدف معيّن. كأساس للتقييم مع وضع المعايير. نظراً لأنه يجمع بين جوانب من جميع الفئات الأخرى مع أحكام قيمة واعية تستند إلى معايير محددة مسبقاً، فإنّ هذا التعلم يقع في أعلى التسلسل الهرمي المعرفي. التقويم، المقارنة، الإستنتاج، التباين، النقد، التمييز، التفسير، التبرير، التفسير، الإرتباط، التخصيص، والدعم هي عبارات ذات صلة بأهداف "التقويم" (Bloom et al., ١٩٨٤). التقويم هو عملية يستخدمها المعلم أثناء عملية التعلم لتحديد مدى استجابة المتعلم للمادة المخصصة له وتنماشى مع العملية التعليمية، حيث يعتبر من الأهداف التربوية التي يجب على المعلم تحقيقها ولمعرفة نتيجة التقويم. يتبع نتائج تقويم ما يأتي:

١. أسلوب المناقشة Discussion style
٢. ملاحظة أداء الطالب Observing student performance
٣. متابعة الواجبات المنزلية Follow up on homework
٤. التوجيهات والإرشادات Direction and instruction

### أهمية التقويم significant of evaluation

- ٢- إرشاد الطلاب إلى الإتجاه المرغوب فيه
- ٣- تحديد نقاط القوة وتعزيزها، ونقاط الضعف ومعالجتها.
- ٤- إعطاء المعلم صورة واضحة عن أدائه ونتائج عمله.
- ٥- تحفيز الدافعية لدى المتعلمين وحثهم على الاستمرار في النشاط والحيوية العلمية.
- ٦- عمل المراجعة المستمرة للمتعلمين في المواد التي درسها لتبقى مرسخة في أذهانهم.
- ٧- وضع برنامج لتقوية نقاط الضعف وزيادة حصص التقوية.

### طريقة تقويم المعلم لكتابات الطلاب How the teacher evaluates students' writing

١. يجب على المعلم أن يصمّم درساً يشتمل على مجموعة متنوعة من التمارين وفقاً لمستويات قدرة طلابه ويأخذ الفروق الفردية في الإعتبار.
٢. يقوم المعلم بتضمين الأنشطة التعليمية، تمارين التحدث والألعاب والأنشيد في الفصل لإشراك الطلاب. وطرح الأسئلة عليهم وعمل ملصقات وصور ومواد تعليمية أخرى.

٣. مساعدة الطالب على الشعور بثقة في النفس إذا كان الطالب غير قادر على الرد، من خلال طالب آخر يساعده بدلاً من تركه واقفاً لفترة طويلة ، والحصول على قيمة تقديم أفضل استجابة مع تشجيعه أيضاً على تقديم التالي.

٤. لا يصحح المدرس كل خطأ يرتكبه الطالب. بدلاً من ذلك، يعطي للطلاب فرصة التحدث والرد ومعالجة الأخطاء.

٥. يدرك أن استخدام اللغة يجب أن يكون عالي الجودة وسلساً قدر الإمكان.

٦. التأكيد على قيمة التقييمات المنتظمة والتعاون والبحوث والتقارير الخاصة بالموضوع والقراءة الخارجية للطالب.

٧. تشجيع المتعلم على التحدث باللغة في أي موضوع يناسب اهتماماته وقدرته.

#### الفصل الرابع: الإطار الميداني للدراسة

##### منهجية الدراسة

#### Methodology

تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي المسحي والذي يركز على دراسة عينة تمثل الأغلبية للمجتمع أو الظواهر، ولإيجاد الحقائق كما هي موجودة في الواقع، وتهتم بوصفها وصفاً علمياً دقيقاً ويتم التعبير عنها تعبيراً كمياً

#### مجتمع وعينة الدراسة Community and specimen of the study

يعتمد مجتمع الدراسة على مجموعة من أساتذة اللغة الإنجليزية للمرحلة الإعدادية في محافظة صلاح الدين، حيث يبلغ العدد الكلي للأساتذة (٢١٧) مدرساً ومدرسة، وتم اختيار عينة عشوائية بنسبة ٢٣% من المجموع الكلي للأساتذة وتحليل استباناتهم ، وهذه العينة تتألف من (٥٠) مدرساً ومدرسة من مدارس محافظة صلاح الدين. وتم اعتماد مبدأ الإختيار العشوائي لأفراد العينة، لمنع حدوث التفاوت في اختيار أفراد عينة الدراسة، ولطبيعة البحث التي تحتاج الوقوف على درجة استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية.

#### أداة الدراسة Tool of the study

من أجل الوصول إلى هدف الدراسة تم اعتماد طريقة الاستبانة، حيث تمت المراجعة والتدقيق بما يتلاءم مع الدراسة المقدمة لموضوع البحث واحتوت على ٣٦ سؤال، وكذلك تم اعتماد مقياس ليكرت الثلاثي لحساب الأهمية لكل محور في هذه الدراسة، ولغرض معرفة ردود المجيبين حول الأسئلة الموجهة لهم حول درجة استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات الإنجليزية من وجهة نظر مدرسي اللغة الإنجليزية للمرحلة الإعدادية في محافظة صلاح الدين. حيث تُعتبر هذه الاستبانة الوسيلة الرئيسة المناسبة للدراسة الميدانية للحصول على المعلومات والبيانات التي يجري ملؤها من قبل المستجيبين.

#### المعالجة الإحصائية Statistical processing

تم اعتماد المعالجات الإحصائية التالية:

١. حساب قيم التكرارات والنسب المئوية لغرض وصف عينة الدراسة.
٢. حساب قيم المتوسط الحسابي والانحراف المعياري.
٣. إجراء إختبارات معامل الارتباط لبيرسون (Pearson) لقياس درجة صدق الأسئلة.

٤. إجراء الصدق البنائي للإستبانة بحساب معامل الارتباط لكل محور مع درجته الكلية، وكذلك حساب معامل الارتباط لكل محور مع المحاور الأخرى.
٥. معادلة سبيرمان - براون (طريقة التجزئة النصفية) لتقييم ثبات أداة الدراسة المعتمدة.
٦. إجراء اختبار ألفا كرونباخ لتقييم ثبات أداة الدراسة المعتمدة.
٧. إجراء اختبار (ت) (T- test) لغرض تحليل النتائج النهائية.
٨. استخدام برنامج مايكروسوفت أكسل (MS Excel) في الرسوم والمخططات البيانية.

#### الفصل الخامس: الإطار الميداني للدراسة

##### تفسير الفرضيات وتحليلها

##### تفسير الفرضية الأولى وتحليلها

تنص الفرضية الأولى على "توجد صعوبات (معرفية، تحليلية وتطبيقية) في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين".  
تم التحقق من صحة الفرضية الأولى بواسطة استخدام واحد من أهم طرق الإحصاء الاستدلالي لغرض عرض نتائج الإستبانة، كما مبين بالنحو الآتي:  
الجدول (٥-٨): اختبار (ت) للمحور الأول

| Test value ٢  |                  |    |          |
|---------------|------------------|----|----------|
| مستوى الدلالة | الدالة الاحصائية | df | قيمة (T) |
| دالة إحصائية  | <٠,٠٠١           | ٤٩ | ١٥,٦٤٨   |

توجد صعوبات (معرفية، تحليلية وتطبيقية) في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين

يتضح من خلال عرض النتائج، تم التأكد من وجود صعوبات معرفية، تحليلية وتطبيقية في درجة استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين أنفسهم خلال اجاباتهم على الإستبانة. حيث أنّ الصعوبات المعرفية لدى المتعلمين هي نتيجة تداخل اللغة العربية وسيطرتها على القواعد والتركيب النحوية للجمل وكذلك على مخارج الحروف التي تختلف إلى حد ما بين اللغتين مما ينتج عنه قراءة غير صحيحة وعدم ممارسة اللغة إلّا في وقت الحصة وهذا يعتبر من العوامل التي تؤخر وتعيق الطالب في قدرته على الكلام بصورة جيدة أو تنعدم أحياناً فيبقى حاجز الخوف مسيطر على الطالب.

##### تفسير الفرضية الثانية وتحليلها

تنص الفرضية الأولى على "توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين وفقاً للمتغيرات (الجنس، العمر والمستوى العلمي)"

##### - تفسير الفرضية الثانية وفقاً لمتغير الجنس

تم التحقق من صحة الفرضية الثانية بواسطة استخدام اختبار الفروق لعينتين مستقلتين (Independent samples T-Test)، تم الحصول على النتائج لمتغير الجنس كما مبين بالآتي:



الجدول (٩-٥): نتائج إختبار (Independent samples T-Test) بين متوسط تقديرات أفراد العينة وفقاً لمتغير الجنس.



| المحور | الجنس | العدد | المعدل الوسطي | قيمة "T" | الدلالة الاحصائية | مستوى الدلالة     |
|--------|-------|-------|---------------|----------|-------------------|-------------------|
| الثاني | ذكر   | ٣٠    | ٢,٧٤٥٥        | ٠,٤٢٩    | ٠,٣٥٦             | غير دالة احصائياً |
|        | انثى  | ٢٠    | ٢,٧٠٤٥        |          |                   |                   |
| الثالث | ذكر   | ٣٠    | ٢,٦٨٣٣        | ٠,٢٨٨    | ٠,٣٥٨             | غير دالة احصائياً |
|        | انثى  | ٢٠    | ٢,٦٥٥٠        |          |                   |                   |
| الرابع | ذكر   | ٣٠    | ٢,٥١٣٣        | - ٠,٠٤٧  | ٠,٥٢١             | غير دالة احصائياً |
|        | انثى  | ٢٠    | ٢,٥٢٠٠        |          |                   |                   |

ويُعزى السبب الرئيسي لهذه النتيجة إلى تقارب النسب المئوية بين المدرّسين من صنفى الذكور والإناث والتي سببت في عدم ظهور أي فروق ذات دلالة إحصائية واضحة عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) بين قيم متوسطات توقعات المدرّسين. حيث أنّ وجهة نظر المدرّسين وحسب نتائج الإستبانة تؤكد أنّ لا يوجد أي فرق احصائي بين المتعلمين سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً أثناء إجراءات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية.

#### - تفسير الفرضية الثانية وفقاً لمتغير العمر

تم التحقق من صحة الفرضية الثانية بواسطة استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (One-way ANOVA)، تم الحصول على النتائج لمتغير العمر كما مبين بالآتي:

الجدول (١٠-٥): نتائج اختبار التباين الأحادي (One-way ANOVA) بين متوسط تقديرات أفراد العينة وفقاً لمتغير العمر

| المحور | العمر          | العدد | قيمة "F" | الدلالة الاحصائية | مستوى الدلالة     |
|--------|----------------|-------|----------|-------------------|-------------------|
| الثاني | ٢٠-٣٠ سنة      | ١٥    | ٢,٧٤٣    | ٠,٠٧٥             | غير دالة إحصائياً |
|        | ٣٠-٤٠ سنة      | ٢٢    |          |                   |                   |
|        | ٤٠ سنة فما فوق | ١٣    |          |                   |                   |
| الثالث | ٢٠-٣٠ سنة      | ١٥    | ١,٧٥٩    | ٠,١٨٣             | غير دالة إحصائياً |
|        | ٣٠-٤٠ سنة      | ٢٢    |          |                   |                   |
|        | ٤٠ سنة فما فوق | ١٣    |          |                   |                   |
| الرابع | ٢٠-٣٠ سنة      | ١٥    | ٣,٦٨١    | ٠,٠٣٣             | دالة إحصائياً     |
|        | ٣٠-٤٠ سنة      | ٢٢    |          |                   |                   |
|        | ٤٠ سنة فما فوق | ١٣    |          |                   |                   |

ويُعزى السبب الرئيسي لهذه النتيجة هو نتيجة تقارب النسب المئوية بين المدرّسين من الأعمار (٢٠-٣٠ سنة، ٣٠-٤٠ سنة) والتي سببت في عدم ظهور أي فروق ذات دلالة إحصائية واضحة عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) بين قيم متوسطات توقعات المدرّسين، ما عدا الأعمار التي تتراوح (٤٠ سنة فما فوق) فإنهم يؤكدون أنه توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية وفقاً لمتغير العمر حيث يعتمد هذا على خبرتهم المتراكمة طوال مسيرتهم التعليمية.

## - تفسير الفرضية الثانية وفقاً لمتغير المستوى العلمي

إختبار تحليل التباين الأحادي (One-way ANOVA)، تم الحصول على النتائج لمتغير المستوى العلمي كما مبين بالآتي:

الجدول (١١-٥): نتائج اختبار التباين الاحادي (One-way ANOVA) بين متوسط تقديرات أفراد العينة وفقاً لمتغير العمر

| المحور | المستوى العلمي | العدد | المعدل الوسطي | قيمة "F" | الدلالة الاحصائية | مستوى الدلالة     |
|--------|----------------|-------|---------------|----------|-------------------|-------------------|
| الثاني | بكالوريوس      | ٣٢    | ٢,٧٣٨٦        | ٥,٠٤٧    | ٠,٠٠٤             | دالة إحصائياً     |
|        | دبلوم عالي     | ١     | ٢,٨١٨٢        |          |                   |                   |
|        | ماجستير        | ١٥    | ٢,٨١٦١        |          |                   |                   |
|        | دكتوراه        | ٢     | ١,٩٥٤٥        |          |                   |                   |
| الثالث | بكالوريوس      | ٣٢    | ٢,٦٧٥٠        | ٥,٧٧٢    | ٠,٠٠٢             | دالة إحصائياً     |
|        | دبلوم عالي     | ١     | ٢,٦٠٠٠        |          |                   |                   |
|        | ماجستير        | ١٥    | ٢,٧٨٠٠        |          |                   |                   |
|        | دكتوراه        | ٢     | ١,٨٥٠٠        |          |                   |                   |
| الرابع | بكالوريوس      | ٣٢    | ٢,٤٤٧٩        | ٢,١٦١    | ٠,١٠٥             | غير دالة إحصائياً |
|        | دبلوم عالي     | ١     | ٣,٠٠٠٠        |          |                   |                   |
|        | ماجستير        | ١٥    | ٢,٦٩٧٨        |          |                   |                   |
|        | دكتوراه        | ٢     | ٢,٠٠٠٠        |          |                   |                   |

ويُعزى السبب الرئيسي لهذه النتيجة إلى نتيجة اختلاف النسب المئوية بين المدرّسين من حملة شهادات (البكالوريوس، الدبلوم العالي، الماجستير والدكتوراه) والتي سببت في ظهور فروقات ذات دلالة إحصائية واضحة عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) بين قيم متوسطات توقعات المدرّسين. حيث أنّ وجهة نظر المدرّسين وحسب نتائج الإستبانة تؤكد أنه يوجد فرق إحصائي بين المتعلمين حسب مستواهم التعليمي أثناء إجراءات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية.

## تفسير الفرضية الثالثة وتحليلها

تنص الفرضية الثالثة على أنه " توجد علاقة ذات دلالة إحصائية واضحة بين صعوبة إستيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الانجليزية ووجهة نظر المدرّسين".

إختبار تحليل التباين الأحادي (One-way ANOVA)، تم الحصول على النتائج كما مبين بالآتي:

الجدول (١٢-٥): نتائج إختبار معامل التباين صعوبة إستيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية ووجهة نظر المدرّسين

| النموذج | مجموع المربعات | درجة الحرية | المتوسط | قيمة "F" | الدلالة الاحصائية | مستوى الدلالة |
|---------|----------------|-------------|---------|----------|-------------------|---------------|
| ١       | ٣,٤٠٤          | ١٠          | ٠,٣٤٠   | ٦,٠٤١    | <٠,٠٠١            | دالة إحصائياً |
|         | ٢,١٩٧          | ٣٩          | ٠,٠٥٦   |          |                   |               |
|         | ٥,٦٠١          | ٤٩          |         |          |                   |               |

الجدول (١٣-٥): معامل الارتباط بين صعوبة استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية ووجهة نظر المدرسين

| Model Summary              |            |          |       |       |
|----------------------------|------------|----------|-------|-------|
| Std. Error of the Estimate | Adjusted R | R Square | R     | Model |
| ٠,٠٠٠                      | ١,٠٠٠      | ١,٠٠٠    | ١,٠٠٠ | ١     |

كما هو مبين في الجدول (١٣-٥)، أن قيم معامل الارتباط والمتمثلة بمعامل الارتباط البسيط R والذي يبلغ (١)، قيمة معامل التحديد R square والذي يبلغ (١) وبالأخير معامل التحديد المصحح (Adjusted R) والذي يبلغ (١) ويمكن الإستنتاج أن المتغير المستقل (وجهة نظر الأساتذة) ساعد في تفسير النتائج بصورة كاملة (١٠٠%).

الجدول (١٤-٥): معامل الإنحدار الخطي بين صعوبة إستيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية ووجهة نظر المدرسين

| مستوى الدلالة | الدلالة الاحصائية | T     | Standardized | Unstandardized |       | Model             |
|---------------|-------------------|-------|--------------|----------------|-------|-------------------|
|               |                   |       | Beta         | Std. error     | B     |                   |
| دال إحصائياً  | <٠,٠٠١            | ٤,٢٨٦ |              | ٠,٢٣٤          | ١     | Constant          |
| دال إحصائياً  | <٠,٠٠١            | ٦,٦٩١ | ٠,٦٩٥        | ٠,٠٨٥          | ٠,٥٦٦ | وجهة نظر الأساتذة |

أوضح الجدول رقم (١٤-٥) القيم الخاصة بمعامل الإنحدار الخطي والإختبار الإحصائي المعنوي والذي يوضح أن وجهة نظر الأساتذة امتلاك تأثيراً معنوياً عالي من الجانب الإحصائي عند مستوى الدلالة (٠,٠٥)، وهذا يؤيد قبول الفرضية الثالثة، حيث يمكن استنتاج معادلة الإنحدار الخطي لتصبح:

$$Y = 1 + 0.566x$$

#### نتائج الدراسة

١. توجد صعوبات (معرفية، تحليلية وتطبيقية) في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين.

٢. لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين وفقاً لمتغير (الجنس).
  ٣. لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين وفقاً لمتغير (العمر).
  ٤. توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في استيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المدرسين وفقاً لمتغير (المستوى العلمي).
- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية واضحة بين صعوبة إستيعاب المتعلمين لعمليات تركيب الكلمات في اللغة الإنجليزية ووجهة نظر المدرسين.

#### المصادر والمراجع

##### أ- المصادر العربية

١. سرحان، ع. ع. أ. (٢٠١٤). أثر استراتيجيات التعليم التبادلي في تحسين مهارات الاستيعاب القرائي الناقد والإبداعي لدى طلبة الصف العاشر الأساسي.
٢. سيد احمد البهاص: دراسة لبعض المتغيرات المرتبطة بمستوى الفهم اللغوي، والطلاقة اللفظية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، كلية التربية. (١٩٨٤).

##### ب- المصادر الأجنبية

١. ten Hacken, P., & Thomas, C. (٢٠١٣). Word formation, meaning and lexicalization. *Ten Hacken and Thomas (Eds.)*, ١-٢٧.
٢. Harley, H. (٢٠١٧). *English words: A linguistic introduction*. John Wiley & SonHåkansson, J. (٢٠٢١). *English Word Formation Processes: The use of Affixations and the Implications on Second Language Learning: A Case Study of Swedish Secondary Schools Grades ٧-٩*.
٣. Plag, I. (٢٠١٨). *Word-formation in English*. Cambridge University Press.
٤. Malik, A., Ahmed, M., Raheem, A., Malik, A., Ahmed, M., & Raheem, A. (٢٠١٨). The Influence of L١ Morphological System on EFL Learning: A Comparative Study between Arabic and English Language: The Influence of L١ Morphological System on EFL Learning: A Comparative Study between Arabic and English Language.
٥. Skehan, P. (٢٠٠٢). Theorising and updating aptitude. *Individual Differences and Instructed Language Learning*, ٢, ٦٩-٩٤.
٦. Clark, H. H., & Clark, E. V. (١٩٧٧). *Psychology and language*.

٧. Guilford, J. P. (١٩٧٧). Will the real factor of extraversion-introversion please stand up? A reply to Eysenck.
٨. Fowler, A. E., & Liberman, I. Y. (١٩٩٥). Morphological Awareness. Morphological Aspects of Language Processing, ١٥٧.



## جدلية الشخصية العجائبية في رواية ( تطريز بخيط اسود )

م. رشا قاسم فياض

جامعة ذي قار /كلية الزراعة والأهوار

rasha@utq.edu.iq

### المخلص:

تعنى هذه الدراسة بالبحث عن تجليات الشخصية العجائبية في رواية تطريز بخيط اسود، التي تحفل بمزيج كبير من الدلالات يمتزج فيها الخيالي بالواقعي والحقيقي بالفانتازي. اذ يسعى الروائي في نصه الى تجاوز المألوف وخرق قانون الطبيعة عن طريق الاحداث غير الطبيعية بطرق تمنح النص سرديته العجائبية، واستحضار شخصية المسخ الشخصية المحورية في القصة، وتتبع هذه الشخصية والتحويلات التي تطرأ عليها. لذا سنتم دراسة الشخصية العجائبية في الرواية من خلال البحث عن سمات الشخصية التي رافقت ظهورها، ومراحل تحولها إلى كائن آخر، والصراع بينها وبين الإنسان، الذي كشف لنا عن قصور نظرة الأخير وتخبطه والتماسه الحلول العقيمة في مواجهة الآخر .

### Summary

This study about searchingfor the fictional manifestations of the orchid character in the novel embroidery with black thread. This novel is filled with a great mixture of connotations in which the imagination mixes with realism.

The novelist, in his text, seeks to transcend the ordinary and violate the law of nature and through strange events in ways that give the text its miraculous narration. In the story, the monster's personality was the central character where this character was tracked and the transformations on this character.

In this novel,the miraculous character was studied by looking for the traits of the character that accompanied its appearance, the stages of its transformation into another object, and the conflict between the character and the human being. The character reveals for us the latter's deficiency, floundering, and seeking evil solutions to face all that he believes to be his enemy.

**في مفهوم العجائبي:**

ان رواية تطريز بخيط اسود تبنى على منظور خيالي محض، يتجاوز الواقع الى اللاواقع بطريقة عجائبية، تجعل من لغة الرواية بناءً فنياً متكاملًا على صعيد التوليد الدلالي، فالروائي يحاول في كتابة نصه السردي قلب معطيات الواقع والسرد ونمط الكتابة التقليدية، من خلال توظيف العجائبي الذي يمثل (( المظاهر الموجودة في النص الروائي التي تحاول التغلب على معطيات الواقع بطريقة غير منطقية )) (١)، ويتطلب ثلاثة شروط لتحقيقه في النص وفق رأي تودوروف: الاول يتعلق بالقارئ ، والثاني يرتبط بشخصية او شخصيات من النص، والثالث يتصل بمستويات التأويل، وهذه الشروط هي: ((ان يرغم النص قارئه على التردد بين مستويين من التفسير للأحداث، تفسير طبيعي وآخر فوق طبيعي، ثم ان يكون هذا التردد محسوساً من طرف شخصية في النص، اخيراً ينتهي القارئ الى موقف ازاء النص)). (٢)

لذا فان حضور العجائبي في الرواية ((مرتبط بتنوع الشخصيات والافعال المحدثه فلا يمكن وجود هذا النوع الا بحضور شخوص اخرى واقعية تحتك بها)). (٣).

وعليه نسعى في بحثنا الى الوقوف على معمارية الكتابة العجائبية القائمة على تطويع الفانتازي والغرائبي ، من خلال تسليط الضوء على عجائبية الشخصية والاحداث.

**الشخصية العجائبية:**

تشغل الشخصية المحور الذي تدور حوله احداث الرواية، اذ تعد من اهم الركائز الفنية المؤسسة لبناء النص الروائي، كما تعد ( من اهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات الاخرى ) (٤). كما ربطت رواية (تطريز بخيط اسود) بين الشخصية والحدث فكل تغير يطرأ على حياة الشخصية ، يرافقه تطور في احداث الرواية ، (كما ان تطور احداث الرواية يؤدي الى تطور مواقف الشخصية) (٥)، فهذا العنصر الروائي المهم، لا يمكن دراسة النص الروائي من دون الوقوف والمرور عليه.

لذا سنتم دراسة العجائبية في الرواية من خلال البحث عن سمات الشخصية التي رافقت ظهورها، ومراحل تحولها الى كائن اخر، فالعنوان الروائي يجعلنا نقف على اهم سمات الشخصية، من خلال تتبع حركتها داخل المتن السردي، ومدى فاعليتها في الحدث الروائي، فشخص الرواية عتبة دلالية تحدد هوية النص بوصفها ، قوة مولدة للأحداث تؤثر فيها وتتأثر بها.

نبدأ مع (حامل القرون) بطل الرواية والشخصية المحورية، التي استقطبت اهم الاحداث في الرواية وساعد وجودها على بروز باقي الشخصيات ، فهي شخصية ذات حضور مميز وفعال داخل الرواية، ( تنفرد عن باقي الشخصيات بسمات خاصة تجعلها تتميز وتبرز بطابع خاص، اذ يبث الكاتب عبرها رؤيته الخاصة) (٦) كونها انفردت بتعيرات فانتازية عجبية جعلتها المحور الاساس في النص.

يطالعا الظهور الاول لشخصية (حامل القرون) عندما يقوم عمال المطعم بالهجوم على السحليات، برش المبيد الكيماوي لعمل اباده جماعية لها، اذ تمكن وقتها حامل القرون من الهروب من ساحة الهلاك والابادة الجماعية (( ذلك الذكر الفحل، الصحراوي الاصيل، الذي جبل على مواجهة الجفاف القاسي وندرة الزاد الزاد بجلد وصبر، وصلابة مخلوق لا يفسح الطريق لانقراضه مهما قست الظروف عليه وتكالت المحن. كان يحمل على جانبي رأسه زائنتين لاحتا مثل قرننين أبهرتا الجميع بروعتهما، ولأجل ذلك كان يمس دلالاً، ويهز رأسه مختالاً)). (٧)



تتم الصفات الداخلية عن صلابة وشجاعة شخصية حامل القرون في مواجهة الصعاب والظروف القاسية، كما بينت سماته الخارجية تميزه وتفرده عن غيره من السحليات (( كان في غرة الشباب وسيماً، وقوياً، وطموحاً)) (٨).

لطالما حلم حامل القرون بحياة مليئة بالمغامرات ، اذ كان يتحرك بلا خوف او وجل ،قدم من الصحراء وحياة البداوة، ونجح في غضون ايام قليلة من (( ان يصبح حضرياً ويعيش مع السحليات الاخرى في وئام في هذا المكان المأهول)) (٩).

الا ان الاخير تعرض لثلاث رشات متتالية من المبيد الكيماوي سريع المفعول (( طالت جسده تماماً من الرأس الى الذنب، ولكنه واجه الاختناق بصلابة جأشه، فأطلق صرخة عميقة كأنها انبثقت من بئر سحيق، وانتفض جسده بأكمله وانطلق كالسهم هارباً بعيداً عن المصباح. فطن الرجل الى الجهة التي تروم تلك السحلية اللجوء اليها... لذلك سبقه اليها وراح يمطرها بسيل من مبيده، فتوقف (حامل القرون) حائراً، وقد ضاقت به الحيل، كما ضاعت من حوله نسائم الهواء. كان اشبه بحيوان شارد راح يشعر بأنه وقع في الفخ اخيراً... هطل عليه سيل المبيد ليغمره كرة أخرى فأدرك أنه ميت لا محال)) (١٠).

كانت هذه الرشقات المتتالية من المبيد الكيماوي، اول علامة من علامات التحول العجائبي ل(حامل القرون)، اذ ان رغبة الروائي في اضعاف البعد العجائبي على نصه ، جعله يلجأ الى ما يعرف بأنسنة الحيوانات لتكون رمزاً وقناعاً لحقائق النفس البشرية، التي طالما لحقت السحليات بالأذى واضمرت لها الحقد والكره الشديد، اما السحالي فقد قابلت هذا الأذى والكره، بالحب والود والألفة للإنسان، اذ كانت لا يحلو لها العيش الا بالقرب من الانسان، اذ تقول إحدى السحليات (كريمة) وهي مثسبثة بالجدار تبكي بحرقة على من مات من ابناءهم جراء رشق المبيد الكيماوي: (( عجيب أمر الانسان هذا، انه لم يسفر عن ذرة حب أو عطف لنا في اي يوم من الأيام، وعلى عكسه تماماً نحن نحبه... ووجوده يثير اعجابنا، ها نحن نسترخي على الجدران نراقبه بارتياح)) (١١).

يجسد النص السابق صراعاً لإرادتين خالدين هما (الخير والشر) اذ كشف هذا الصراع عن قصور نظرة الإنسان وتخبطه وضعف بصيرته والتماسه الحلول العقيمة في مواجهة ما يعتقد انه عدو له، وفي الوقت نفسه يبدو حضور السحلية في قمة الألفة والود فهي تحمل مشاعر الحب كما البشر، وتتقد بشدة كره البشر وإيذائهم المستمر لها، وكثيراً ما تبدي هذه المخلوقات انزعاجها وامتعاضها الدائم من الانسان المتكبر على حد وصفها له، اذ تصفه في احيان كثيرة بالبشاعة والغرسة اذ تقول احد السحالي: (( ان الانسان يجعل حياتنا ذليلة وما من مخلوق يحب ان يحيا ذليلاً... اذا كان الانسان سيداً فهو سيد نفسه وحسب، هل تتخيل ما الذي يمكن ان تفعله المخلوقات الاخرى لو اتحدت ضده... بالتاكيد اذا تسيد العالم اي من المخلوقات الاخرى فسوف ينتهي المطاف بالبشر الى ما آل اليه مصيرنا... هل خيل لهم انهم يبيدوننا ويمسحون ذكرنا من صفحة الوجود بأفعالهم العنجهية وغطرستهم الغبية؟)) (١٢).

ان علامات التحول العجائبي تبدأ بالظهور رويداً رويداً، وهذا التحول شكل ثيمة بارزة اثرت الحدث الروائي بالحس السحري، الذي يتقوى ويتعاضم من خلال التحول الخيالي للسحلية ، يقول الراوي: (( احس بأكمل جسده قد انتفخ كما ينتفخ العجين،وبدأ يملأ حفرة الوجار حتى ضاقت به، ولم يعد المجال كافياً ليسمح له برفع رأسه لم يكن هذا الانتفاخ هو ائياً بل كان تضخماً حقيقياً في حجم جسمه)) (١٣).

في الواقع ليس من الممكن ان يصادف أياً من الحيوانات مثل هكذا تحول مثير للدهشة والغرابة، وهذا التحول العجائبي هو الذي ينقل الرواية من المؤلف الى اللا مؤلف ، عندما يصف الراوي (حامل القرون) بأوصاف غريبه اذ يتعدى في حجمه وملامحه صورة السحليات الطبيعية المقبولة عقلياً،(( فتح عينيه على

وسعهما ، ليجد انه قد استطل الى حد يصعب تصديقه، وتيقن من أن نصفه الامامي أصبح خارج الوجار بأكمله، بينما امتد نصفه السفلي ليشغل الوجار حتى آخره)) (١٤).

الراوي في النص السابق ينقل القارئ الى عوالم جديدة لا تخضع لأية قوانين أو قواعد طبيعية، اذ لم يكتفي باستحضار العناصر الخارقة فوق الطبيعية، بل لجأ الى مخيلته لاستكمال الصورة العجيبة لها، فالسحلية في سياق الوصف العجائبي تتخذ ابعاداً مكانية تفوق كل التصورات والتوقعات، كما (تهض بدور يتطلب الحركة والتغيير، اذ تؤثر في الحوادث وتتأثر بها ولا تبقى على وتيرة واحدة)(١٥).

يتجسد الخطاب العجائبي في الرواية من خلال عنصر التناقض بين طبيعة الشخصية الحيوانية والشخصية الانسانية، فالسارد يضاعف من دهشة المتلقي وتعجبه، عندما يصف التغيرات التي اطالت جسد ( حامل القرون) وهدفه من ذلك ، هو احداث الاحساس بالغرابة والدهشة لدى المتلقي، اذ يقول: (( بشيء من التوجع جر قائمته الاماميتين من تحت جسده الثقيل، وهو يحس بأنه قد بات أكثر وزناً من السابق، وألقى بهما امام انظاره. وعندما فعل ذلك دوت منه صرخة رعب هائلة، اذ لم تكن قائمته قائمته سحلية بل كانتا يدي انسان... يدين حقيقتين بكل ما فيهما من زندين وساعدين وكفين واصابع وحتى الاظافر الحديثة التكوين برشاقتها البشرية الباهرة )) (١٦).

لم يتدارك حامل القرون صدمته العصبية بتحوله الى كائن آخر اذا اخذ ينظر الى جسده مرة تلو الاخرى، مندهشاً من هذا التحول المفاجئ في هيئته الجسدية، اذ ان وجود الشخصية العجائبية يقتضي وجود احداث فوق الطبيعية، وهذا ما يعطي للرواية ابعاداً عجائبية، تعمل على (( تقجير الحدث واعطائه تأويلات متعددة ومتباينة تصب في شرايين تضي على الحكي مميزات نوعية)) (١٧).

ولأن الروائي يسعى الى تجاوز المؤلف عن طريق الاحداث غير الطبيعية، بطرق تمنح النص سرديته العجائبية، لذا استعان الروائي، بشخصيات واحداث تشترك وتتناسب لتصنع حكاية خارقة لقانون الطبيعة والواقع، كون المسخ هو اكثر الموضوعات شيوعاً في المتون الروائية ذات الابعاد العجائبية، فتحول الحيوان الى انسان ، احدث خرقاً واضحاً لحدود المنطق والواقع، فلا يوجد توازن وتساوي بين الانسان والحيوان، اذا لعب المسخ دوراً بارزاً في خلق العجيب الذي يتجاوز حدود العقل والمنطق البشري، من خلال التحول الذي طاله ونقله من هيئة الى اخرى مخالفة لسابقتها تماماً.

ومن هنا فان التحول لم يكن عجائباً للقارئ فقط، وانما كان عجائباً لحامل القرون ذاته اذ واجه الاخير هذه الحقيقة بكثير من الشك والارتباب، حتى خيل له انه في عالم الرؤيا لذلك يحدث نفسه قائلاً : ((انا كنت نائماً واحلم ولكنني استيقظت وما زلت احلم ايضاً، يا لبشاعة الاحلام... ولكن مهلاً.. مهلاً .. هكذا حدث نفسه في جزع، اي حلم هذا؟!.. ها انه يقف على الارض بقدمين حافيتين وهو يشعر بلذع حرارة الارض لهما، والهواء الساخن يصفع وجهه ويلعب شعر رأسه، وها هو ظلّه يمتد الى جانبه مرتعشاً من فرط الخوف، ليس ذلك دليلاً على يقظته، ام ان ذلك ليس بكافٍ؟... غض بصره وانهمرت دموعه وادرك انه خسر حياته)) (١٨)

لقد شكل حامل القرون رمزية متحولة بين ثنائية الامل والاحباط، في مسارين الاول : الامل في النجاة من قاتليه ومقيدي حريته من البشر الذين كانوا يقطنون المطعم عندما كان سحلية ،

والثاني: يكمن في تحول السحلية الى شخصية بشرية يتنازعها قهر الانسجام والتشوي، وثقل الاقصاء الذي يلاقه اثر هذا التحول المفاجئ ، واصطدامه بعالم البشر القاسي الذي لم يلقى منهم لا رحمة ولا مودة ،

سوى عتمة النفوس ، التي يسقي ظلامها ويغذيها من كرهه لكل مخلوق غريب قد يؤثر على حياتهم، لذا البس الروائي شخصية (حامل القرون) صفة التسويف والضياع في رؤيته للواقع الانساني المرير. (( ظل يراود المطعم من دون ان يلجئه... بدأ يتطلع الى حب كل الاشياء من حوله واحراز صداقتها ومودتها. وبالطبع كان متردداً لايعلم بحقيقة أمرها وكنهها، لا سيما اولئك البشر الذين وجد انه يشبههم شبيهاً مطابقاً كل التطابق. يوماً بعد يوم اصبحت سجايه اقرب من سجايا البشر)) (١٩).

بعد هذا التحول المثير تظهر الشخصية مندفعة بميول وافكار تتماهى مع واقعها الجديد، الا انها لا تمتلك الخبرة الحياتية الكافية ، للتأقلم مع الواقع البشري، فهي من فصيلة الحيوان وتكوينها النفسي والبيولوجي لا يتلاءم مع الحياة البشرية المعقدة. لكن حامل القرون كان تواقاً الى مخالطتهم، والتحدث معهم وزج نفسه في عالمهم المثير، اذ كان يود ان يطلب منهم ان يغمروا جسده بمثل هذه الاوعية التي يرتدونها، ويسترون بها عريهم ف(( مظهرهم يوحى بالجمال واللفظ حقاً، ليست السحليات وحدها جميلة ، جميلة ومؤنسة، يطيب العيش للمخلوق برفقتها من دون ملل، فهؤلاء البشر يلوحون مؤنسين... ان اجمل ما فيهم تلك الضحكات التي تتطلق كل ساعة وتشعرك بأنهم ما انفكوا يولدون من جديد كل برهة من الزمن)) (٢٠).

ان حضور (حامل القرون) في هذا المكان النائي وفي وسط هذه الاجواء، شكل ايقونة فاعلة في بث الرعب لكل العاملين في المطعم، وهذا الخوف والتردد في قبول ( حامل القرون) متأتي من عجائبيتها التي تتطلق في الاساس من التحول المفاجئ، من الشخصية الحيوانية الى الشخصية البشرية، ووجودها وسط اجواء فوق الطبيعية واصطدامها بالكائنات البشرية، اذ يقول الراوي: ((شاهد العامل هذا الشيء الغريب... شاهد هذا العراء الممسوخ وسقطت نظرتة المشوشة عليه مثلما تسقط قطرة ماء بارد في وعاء ساخن،... ثم دوت صرخة الألم مندفقة من لب حشاشته وتراجع خطوة واحدة لا غير، ومن ثم اطلق اقدامه للريح منهزماً مرعوباً صوب قاعة المطعم. كان مكفهر الوجه، وقد تشنج كل ما في جسده، ولم يعد لسانه قادراً على نطق شيء)) (٢١).

هذه الصورة العجائبية الخارقة المتلبسة بمظاهر الخوف والغموض والدهشة، من هيئة المخلوق المخيف، جعل ( حامل القرون) عنصراً مكانياً مرعباً، يسيطر على المكان برمته، فهذا التحول الذي طال الاخير انعكس سلباً على الانسان والمكان معاً، فقد امتنع عمال المطعم عن الخروج ، بسبب الرؤى الشيطانية التي فاجأت صاحبهم في وضح النهار فأرعبته، واصابته بالذهول اذ (( احاط به اصحابه كما لو انه اصيب بمس من الجنون... غمس ادهم كفه في الماء واخذ يمسح على وجهه فيما امسك به اثنان من اقرانه وجعلاه يلتقط انفاسه على مهل ويفر كان يديه المرتعشتين وصدرة بلطف... تحت ضغط اسئلتهم اللوححة استطاع فقط من رفع سبابه يده و اشار بها صوب باب المطعم، فتقدم العمال من الباب وهم يقودونه برفقتهم بكل ما كان ينضح به من رعب وهلع... تجمدت عيونهم حين نظروا الى المكان الذي اشارت نحوه السبابة... في الحال احسوا بثقل زجاج العين وثقل الصورة المروعة التي انطبعت عليه )) (٢٢).

يبدو حضور الشخصية في غاية الغموض والضبابية، والذي مرده هيئتها الغريبة والمخيفة ، فضلاً عن تواجدها في هذا المكان النائي، مما جعلها اقرب الى الشياطين والجن منه الى البشر ، وهذه الثيمة تعد من ابرز وظائف العجائبي، ومن امتن خصائصه اذ يقول احد عمال المطعم ( الاصلع البدين) في وصف هذا المخلوق الغريب:

(( هل رأيته ؟ ))

(( انه قزم ))

(( له ذنب قصير))

(( له قرنان في أم رأسه))

(( هل رأيته؟ ))

((انه جني من الجن بكل تأكيد))

وكرر عامل الشاي قوله بتأكيد راسخ:

(( نعم جني، هذا واضح ولا يقبل النقاش)) (٢٣).

في النص السابق يمتزج العجيب بالغريب، عجيب لأنه مثير للدهشة والانبهار، الذي يفوق حدود العقل، وغريب لأنه يحمل في نفس الوقت مدركات وحقائق متعارف عليها تعطل امكانية التصديق بها، فمن الملاحظ انه تم التلاعب بصفات الحيوانات، بغية اشاعة اللبس فكيف لسحلية ان تصبح بحجم انسان؟ وهل يعقل ان تتحول السحلية الى انسان؟! كل هذه التحولات تجعل (حامل القرون) كائن عجائبي فوق الطبيعي لا يمكن تقبله.

ان النصوص السابقة اكدت عجائبية (حامل القرون) لأن (( العجائبي يكون في حدوث احداث ووقائع غير طبيعية تنتهي بتفسير فوق طبيعي )) (٢٤) فسحرية حضوره، وهيئته المرعبة تدفع درجات الرفض وعدم التقبل لدى المتلقي الى اقصاها لأنه يخترق قدراته العقلية، ويفوق تصورات المنطقية، اذ يقول الراوي (( بقاؤه طول ذلك الوقت في المستنقع كفيلاً بأن يفسد عملهم... اخذتهم رعدة الخوف... وحينما ازف موعد النوم تجمعوا في غرفة واحدة وناموا معاً وهم متسلحون بكل ما تظاله ايديهم. ان ظهور جني لأول مرة في هذا المكان لهو نذير شؤم بما لا يقبل الشك...))

(( يقولون ان الجني بعين واحدة، وهذا له عينان مثل البشر؟))

(( اي عينان؟ انهما غائرتان بين لفيف من الغضون والتجاعيد حتى لتبدو ان شبيهتان بعيني فيل مسن))

(( لكنه قزم والجن جميعهم اقزام)) (٢٥).

ان الحوار الدائر بين عمال المطعم، حول عجائبية وغرائبية هذا المخلوق الدخيل ، جعل منه لغزاً محيراً يسيطر على المكان برمته، اذ يضيف وجوده المريب على نفوسهم، مزيداً من التردد والرعب والهواجس ، كما ان تحول حامل القرون يتداخل فيه الطبيعي، وفوق الطبيعي، اذ جاءت الشخصية اشبه بخليط من التكوين الانسي والتكوين الحيواني، لذا نلاحظ ايضاً تردد الشخصيات الاخرى، في قبول واقعيتهما وشكوكهم في فهم طبيعة جنس هذه الشخصية المريبة، وكما يرى تودوروف انه (يضع المتلقي في لحظة زنبقية يتأرجح فيها بين الشك والحيرة اللذان يمثلان جوهر العجائبي وصميم تكوينه ) (٢٦) اذ يقول احد عمال المطعم وهو يصف طبيعة الشخصية العجائبية: (( كان منظره عجيباً بحق، ولم يصادف ان وقعت عين احد على ما يشبهه في يوم من الأيام )) (٢٧).

ثمّة حضور آخر لشخصية (حامل القرون)، يشترك مع سابقه في خاصية الارعاب والغرابية وان كان يختلف عنه في مقدار الرعب والتخويف، عندما تستعيد السحلية طبيعتها الحيوانية بالهيئة البشرية، مثيرة بذلك رعب باقي السحليات وخوفها، عندما شاهدته السحليات للوهلة الاولى في وسط مكب النفايات، وهي تلتهم الطعام بشغف كبير اذ (( اخذت السحليات تجتمع ببطء وحذر واحاطت بـ(كريمة) ... وهي ترنو باستغراب الى ذلك الكائن المجهول، وبعث فيها مشهداً هلعاً بالغاً. كان ذلك الشيء العجيب يقف اسفل شجرة الطرفاء يلتهم الطعام في منتهى الجوع ودونما تمييز... كان ظهوره المفاجئ هذا اشبه باللغز. ظلت السحليات تراقبه بعيون ملؤها الخوف... ان ظهوره على هذه الصورة التي لم يعهدها احد وضعها في

دوامة عاصفة من الشك والحيرة... ها هو المخلوق ينظر في تلك اللحظات صوبها بعينين آدميتين، مترعتين بالبراءة (( (٢٨).

في الوقت الذي أصبح فيه حامل القرون مخلوقاً عجيباً بالنسبة لنفسه وللإنسان، أصبح عجيباً أيضاً بالنسبة للسحليات، فما هي تقف مذهولة من غرابة ما تراه، فلم يكن بالأمر اليسير تمييز هذا المخلوق الغريب والتعرف عليه بسهولة، وبعد مراقبة هذا الكائن الغريب بدقة، صاح حكيم كبير السحليات وقائدها بأعلى صوته:

(( انه حامل القرون، نعم حامل القرون، هذا المخلوق المتحول لا يمكن ان يكون الاحامل القرون ))

قالها بمزيج من الخوف والانشراح..

قالها بمزيج من التوجس والامل..

(( انظروا، انظروا، هذا ما آل اليه امره )) (٢٩).

لم يتقبل جمع السحليات هذا التحول او المسخ الذي اصاب (حامل القرون) لذلك اجتاحتها خوف رهيب، وذهول شديد من مغبة ان يكون مصيرها هو ذات المصير، الذي طال حامل القرون.

ثمة جانب خيالي آخر يظهر في الرواية، يجعلها تضع قدماً راکزة في العجائبية من خلال اضافة صفات انسانية على كائنات غير بشرية، كالحب والكرهية واثارة الفتن والمشاكل ونقل الاسرار، التي تتراءى في ظروف غير واقعية، تجسدها ايجاعات سحرية وعجائبية، ف( كريمة) شخصية حيوانية تفكر وتتأمل، وتثير الفتن، وتفتسي الاسرار، هذه الصفات البشرية ساعدت على ابراز الطابع العجائبي، في شخصية كريمة التي لا تنطبق على الحيوانات، وهذا ما جسده النص الاتي: (( كانت كريمة سحلية كبيرة السن... وكانت ثرثرة كذلك، تعشق القيل والقال ولأجل ذلك نعتها جميع اصدقائها باسم (كريمة الفلقالية)... كانت تدور حول بيوت السحليات... بغية اقتناص بعض الاسرار المثيرة.. الاسرار الشخصية التي يتجنبها الاخرون عادة كانت كريمة تشتري كل تلك الاخبار والاسرار شراء مكلفاً من اجل ان تعاود بثها من جديد )) (٣٠).

اما شخصية ( حكيم) كبير السحليات وقائدها، فهي شخصية تتسم بالحكمة والاناة التي نلمسها من خلال تصرفات الشخصية ازاء الاحداث، كالنصح والوعظ الذي تقدمه للشخصيات الاخرى، فهي شخصية مطبوعة على حب الخير للآخرين، كما يقول الراوي: (( طالما شغل فكر حكيم، الذي كان يجاوره في السكن، ولم يبخل عليه بالنصح والوعظ الصادقين من اجل ان يجده بين احضان زوجة صالحة اسوة بالذكور الاخرين )) (٣١).

لا يوجد في النص ما يدل على احداث خارقة او عجيبة خارجة عن المؤلف والمنطق، سوى سمات شخصية حكيم، التي ظهرت من خلال تصرفات الشخصية ومن خلال رؤيتها للأشياء وتقييمها لها. لكن العجيب في النص ان هذه السمات اطلقت على كائن غير بشري، فالحكمة واستبصار الامور من قبل الحيوانات هي سمات كافية لوسمها بالعجب.

بعد الرواية التي يلقيها العمال، على مسامع مالك المطعم عن (حامل القرون)، يصبح وجود هذا المخلوق الغريب، عامل خطر يهدد المكان برمته، يحتم عليهم التخلص منه بأسرع وقت، لذا يقوم سلطان باحضار حكيم معروف بتصريف امور الجن وتديبها، حدثهم بإفاضة عن الجن وحركاتهم والفرق بين الصالح منهم والشريير (( جلس الخبير الى مائدة صغيرة ازاء النافذة... وما ان ازف الموعد حملت النفايات والقي بها في المكب... سرعان ما انتشقت النباتات عن وجه القرم، الذي يمشي خبياً الى طعامه متضوراً من الجوع كعادته... حذق الخبير ملياً، ثم تبسم والتفت يخاطب ( سلطان):

(( هذا المخلوق ليس جنياً ))

(( كيف يمكننا التأكد؟ ))

(( بل هو مخلوق مسالم تبدو عليه الالفة ))

(( شاهدوا كيف تغمره السكينة والوداعة ))

...

(( ليس هذا الكائن سوى انسياً ولا علاقة له بالجن )) (٣٢).

بعد تظمين الحكيم لهم بأنه انسي ووجوده لا يشكل خطراً عليهم، ظل عمال المطعم مترددين وخائفين، كأنهم يحملون اوزاره على ظهورهم وقلوبهم، فشغل تفكيرهم وكأنه وباء يهدد وجودهم، فلاح لهم حامل القرون (( اشبه بمن يشغل حفرة ما في داخل ادمغتهم، وشوش عليهم حياتهم، وافقدهم صوابهم. وسرعان ما كبر الامر وتضخم، اذ بات القزم يشغل في تصورهم، كل فضاء المطعم المحيط، واخذ يغلق في وجوههم الآفاق )) (٣٣).

لذلك قرروا التخلص منه وبأسرع وقت، وخصوصاً بعد افتضاح امره امام انظار عدد من زبائن المطعم، الامر الذي اثار غضب سلطان وجعله يفقد صبره، فنصب له فخاً من خلال رمي النفايات في المستنقع، لاستدراجه الى الفخ ومن هناك (( ثبت سلطان ماسورة بندقيته جيداً واطلق خرطوشة مزقت الصمت بجرح بليغ. افزعت الاطلاق كل شيء... اخترقت بعض تلك الكرات جسد ( حامل القرون ) الذي اهتز فجأة وقفز من مكانه كأنه ضوء ازرق ارتعش في الريح. ثم وقف ينظر صوب سلطان في ذهول يفوق الوصف. كان ينظر اليه بعينين صافيتين ونظيفتين... تناول سلطان خرطوشة ثانية وعبأها ثم سدّد نحو الصدر العاري ومزقه سريعاً برمية دقيقة... ندد صرخة مخنوقة واهنة من حامل القرون صرخة انطلقت من اعماق المستنقع وتلوى كنبئة عصفت بها الريح... سقط في منتهى الادب والكياسة ومات كما يموت الشيخ الجليل )) (٣٤).

ان هذا الانتهاك الصارخ والعنف الديستوبي السافر سلط الضوء على التشوه القيمي الذي طال اخلاق مالك المطعم، وعماله، الذي ان دل على شيء انما يدل على فساد طباعهم، وقسوة قلوبهم التي ملأت حقداً، وكرهاً لهذا المخلوق الاعزل، الا ان هذه الحملة التي شنت ضد السحالي، اثارت حفيظتها تجاه الانسان، الذي لا يكف ولا يتورع، عن الحاق الاذى والاجحاف بحق هذه المخلوقات الضعيفة.

بعد قتل (حامل القرون) المخلوق الدخيل الاعزل، تلاشت مخاوف سلطان وعمال المطعم، وراحت وساوسهم واوهمهم تتبدد سريعاً، فقد اطمأنوا لعدم ظهوره مرة اخرى، اذ نجح (سلطان) في ابادته المخلوق الغريب، وتغيب شبح صورته عن عالمهم بأسره، ودفن سره لشهور عديدة في صدور العمال، الا ان السر لم يعد مخفياً بعد معرفة زوجات العمال بقصة حامل القرون، التي تسربت في الخفاء فما (( كدن يسمعون بتفاصيل تلك الحكاية حتى راحت تتفق اذهانهن بدهاء. كن يعلمن علم اليقين بأن رفات الجن المدفون يمكن ان يصير سحراً اسود فتاك لا يضارعه اي سحر... واثر سماعهن لحكاية ( حامل القرون ) رحن يشعرن بكثير من الاطمئنان والانتسراح بأن رفات الجن النادرة باتت تحت ايديهن كن يطمحن بشيء قليل من رفات (حامل القرون) لأغراض سحرهن ومكرهن )) (٣٥).

ان استخدام رفات حامل القرون كوسيلة في اعمال السحر، اضفت على النص نوع من الغرابة والدشهنة، التي اسهمت في تلوين احداث الرواية بالعجيب، اذ تكمن اثارة العجائبية في النص مرة اخرى، من خلال فكرة اللعنة التي تحل بكل شخص، يدس له جزء من رفات (حامل القرون) مع الطعام، اذ (( دار الكثير من اللغظ حول ذرات الرفات وقيل عنها حكايات رهيبة، ولكن في مجملها كانت تؤكد بأن من تدس

له تلك الذرات في شرابه او في مأكله سرعان ما تطرأ عليه تغيرات عجيبة، ولم يعد احد يراه ثانية. وفي دعابة مثيرة للجدل قالوا ان مخلباً واحداً من مخالبه يكفي للقضاء على جيش بأكمله)) (٣٦).  
يزخر النص المتقدم بالدلالات الفانتازية التي تفوق الخيال، مما يدفع المتلقي الى رفضها وعدم تقبلها، كونها تخترق قدراته العقلية وتفوقها، لكن السحر يأتي كمبرر قوي، يدفع العقل الى التصديق، وخاصة ان المتلقي (العربي) يعيش في مجتمع يؤمن بالشعوذة والسحر، لذا فالعجائبي فيها يرتبط بالحالة النفسية، التي تصيب الانسان عندما يصادف شيئاً غير مألوف، فهو يستقطب كل ما يثير الدهشة والحيرة التي (( تتنابه عند سماعه كلاماً يختلف عن الكلام الذي اعتاد سماعه، او رؤية شيء لم يكن قد اعتاد رؤيته من قبل ، او تغيير الواقع بواقع اخر يختلف عنه بعض الاختلاف)) (٣٧). اذ يذكر بعض من له دراية بشؤون السحر انه (( حالما يمتزج شيء من الرفات مع دم الانسان ترتفع حرارة جسده وتصيبه حمى لا تطاق، ويصطبغ جلده بلون ازرق، ويعجز عن الحركة،... وسرعان ما يأخذ جلده بالتبيس والانشقاق لينسلخ في النهاية، وتخرج منه سحلية كبيرة )) (٣٨).

من الملاحظ ان اهمية هذه الوسيلة لا تكمن في قدراتها الخارقة والعجيبة فقط، بل انها كانت سبباً في تحول حامل القرون، الى لعنة تحقيق بكل من يوضع له السحر، وهذا الاخير لم يكن يتم الا من خلال وضع جزء من رفات حامل القرون ، في مأكلاً او مشرب الشخص المراد سحره..

### رؤية في خاتمة:

يمكن ايجاز ابرز النتائج التي خلصت اليها الدراسة فيما يأتي:

- ١- ان العجائبي في رواية تطريز بخيط اسود لم يقتصر وجوده على التوظيف النسبي بل شكل بنية كلية، احتضنت باقي مكونات السرد .
- ٢- شكلت ظاهرة خرق المنطق والقوانين الطبيعية، معلماً بارزاً في الرواية لا يمكن تجاهله. اذ عمد الروائي الى استحضار الواقع المتخيل وابتعد عن الواقع المؤلف.
- ٣- ثمة نوع من الازدواجية يحكم ظهور (حامل القرون ) في الرواية اذ تتراوح تجلياتها وصورها بين ظهور حيواني وهو الشائع والمتداول، وظهور بشري خيالي.
- ٤- في جميع الصور المتعددة لظهور شخصية (حامل القرون) كان العنصر العجائبي الخارق هو المسيطر عليها جميعاً.

### الهوامش والاحالات:

- ١- الرواية العربية الجديدة وخصوصية المكان قراءة في روايات رجاء عالم، احمد جاسم الحسين، ص٢٢.
- ٢- النزوع الاسطوري في الرواية العربية المعاصرة، نضال الصالح، ص٢٥.
- ٣- هوية العلامات (في العتبات وبناء التأويل)، شعيب حليفي، ص ١٩٨.
- ٤- ينظر: فن القصة، محمد يوسف نجم، ص ١١٧.
- ٥- ينظر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ١٨٧٠-١٩٣٨، عبد المحسن طه بدر، ص٩٨.
- وينظر : بناء الشخصية في رواية نجمة اغسطس، خليل برويني ، ص٥٢.
- ٦- الرواية: ص ٢١.
- ٧- الرواية: ص٢٢.

- ٨- م. نفسه: ٢٣.  
٩- م. نفسه: ٢٥.  
١٠- م. نفسه: ٩.  
١١- م. نفسه: ٢٠.  
١٢- م. نفسه: ٦-٧.  
١٣- م. نفسه: ٣٠.  
١٤- الرواية: ٣١.  
١٥- ينظر: الشخصية الثانوية ودورها في المعيار الروائي عند نجيب محفوظ، ص ١٨.  
١٦- الرواية: ٣١.  
١٧- ينظر: مكونات السرد الفانتاستيكي: ٦٥.  
١٨- الرواية: ٣٣.  
١٩- م. نفسه: ٣٧.  
٢٠- م. نفسه: ٣٨.  
٢١- م. نفسه: ٤٥.  
٢٢- م. نفسه: ٤٦.  
٢٣- م. نفسه: ٤٧.  
٢٤- ينظر: بنية المتخيل في نص الف ليلة وليلة: ٢٣٧.  
٢٥- الرواية: ٤٨.  
٢٦- ينظر: العجائبية في الرواية العربية المعاصرة، بهاء بن نوار، ١٢.  
٢٧- الرواية: ٤٩.  
٢٨- م. نفسه: ٩٤.  
٢٩- م. نفسه: ٤١.  
٣٠- م. نفسه: ٢٦.  
٣١- م. نفسه: ٢٢.  
٣٢- م. نفسه: ٦٣.  
٣٣- م. نفسه: ٧٠.  
٣٤- م. نفسه: ٧٥-٧٦.  
٣٥- م. نفسه: ٩٣.  
٣٦- م. نفسه: ٩٣-٩٤.  
٣٧- العجائبي في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية (نصف وجهي المحروق)، الياقوت بن سيدهم: ص ١٣.  
٣٨- الرواية: ٩٢.

#### المصادر والمراجع:

- ١- بنية المتخيل في نص الف ليلة وليلة: مصطفى مويقن، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥.



- ٢- تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ١٨٧٠-١٩٣٨، عبد المحسن طه بدر، دار المعارف-مصر، ط١، ١٩٧٧.
- ٣- رواية تطريز بخيط اسود
- ٤- الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ: سلامة محمد علي، مكتبة الاداب-القاهرة، ٢٠٠١.
- ٥- ٢- النزوع الاسطوري في الرواية العربية المعاصرة: نضال الصالح، اتحاد الكتاب العرب، دمشق\_سوريا، ٢٠٠١.
- ٦- فن القصة: محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، ط١، ١٩٥٥.
- ٧- هوية العلامات (في العتبات وبناء التأويل)، شعيب حليفي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥.

#### الرسائل والبحوث:

- ١- بناء الشخصية في رواية نجمة اغسطس لصنع الله ابراهيم: خليل برويني، مجلة اضاءات نقدية، ع ٤، ٢٠١٤.
- ٢- الرواية العربية الجديدة وخصوصية المكان (قراءة في روايات رجاء عالم)، د. احمد جاسم الحسن، مجلة جامعة دمشق، م٢٥، ع ١، ٢٠٠٩.
- ٣- العجائبية في الرواية العربية المعاصرة مقارنة موضوعاتية تحليلية (اطروحة): بهاء بن نوار، كلية الاداب واللغات، جامعة الحاج لخضر- باتنة.
- ٤- مكونات السرد الفانتاستيكي: شعيب حليفي، القاهرة، مجلة فصول، ع ١٢، ١٩٩٣.

## توظيف عناصر الفكاهة في عروض مسرح الطفل

الباحثة: منى حسن كريم / طالبة دراسات عليا - الماجستير

جامعة البصرة - كلية الفنون الجميلة / قسم الفنون المسرحية - الاخراج

### ملخص البحث

يتناول البحث أهمية ودور الفكاهة في العرض المسرحي الموجه للأطفال ومدى تأثير الفكاهة وعناصرها في بنية العرض وأساليب اشتغالها داخل منظومة العرض المسرحي .

حيث يهدف البحث للكشف والتعرف على عناصر الفكاهة في عروض مسرح الطفل العراقي ، وذلك من خلال تحديد (مفهوم الفكاهة وعناصرها الفنية) وهو العنوان الذي جاء للمبحث الأول ضمن الاطار النظري في الفصل الثاني ، وقد جاء المبحث الثاني تحت عنوان (عناصر الفكاهة في رؤى المخرجيين المسرحيين) حيث تم رصد الرؤى وكيفية ابراز تلك العناصر ضمن بنية العرض بالشكل الذي يتناسب والمدرجات العقلية للأطفال والتي حددت من ٨ سنوات الى ١٢ سنة حيث تكون المدرجات قابلة لاستلام المفاهيم العرض المسرحي .

اعتمدت الباحثة اختيار الطريقة القصصية في رصد العينة واختياره منهج الوصف التحليلي ، وبناء الاداة الخاصة بالبحث من خلال المؤشرات والادبيات التي تخص الموضوع ، والدراسات السابقة. الكلمات المفتاحية ( الفكاهة ، مسرح الطفل )

### **Abstract in English**

The research deals with the importance and role of humor in theatrical performance directed to children and the extent of the impact of humor and its elements on the structure of the show and its working methods within the theatrical performance system.

Where the research aims to reveal and identify the elements of humor in the performances of the Iraqi children's theater, by defining (the concept of humor and its artistic elements), which is the title that came to the first topic within the theoretical framework in the second chapter, and the second topic came under the title (Elements of humor in the visions of theatrical directors ) Where visions were monitored and how to highlight those elements within the structure of the presentation in a manner that is appropriate to the mental perceptions of children, which were determined from ٨ to ١٢ years, where the perceptions are capable of receiving the concepts of theatrical performance.

The researcher adopted the choice of the intentional method in monitoring the sample and choosing the analytical descriptive approach, and building the research tool through indicators and literature that belong to the site, and previous studies.

**مشكلة البحث**

يعد العرض المسرحي للطفل كمتلقي بمثابة متعة كبيرة من حيث الأداء والموسيقى والغناء والرقص، فهو يعتبر كل ما يدور في هذا المكان أي المسرح هو للتسلية والمرح، لذا على العاملين في العرض المسرحي مراعاة كيفية التعامل مع هذه الفئة وان يتسم أسلوبهم خلال العرض بالمرح واللعب فالطفل لا يعيب ان يتناعب إثناء العرض في وجه الممثلين، أو يضرب بقدميه، أو يخاطب مجاورة أو ينصرف<sup>(١)</sup> وبما ان الطفل ميال الى المرح والفكاهة فيجب على العرض المسرحي الخاص بالاطفال ان يستند الى عناصر الفكاهة التي يفهمها الطفل كونه لا يمتلك الخبرات التحليلية التي تمكنه من حل شيفرات العرض، وبما ان الفكاهة تعد اسلوبا من اساليب الكوميديا بالإضافة لكونها ظاهرة إنسانية متعددة الجوانب والأشكال فهي طريقة للكلام والاداء تؤثر في الطرف الثاني بطريقة قد تكون مفاجئة، لتحرك مشاعره و احساسه وتجعله يضحك، فان هذا الاثر يكون اكثر و اوسع تأثيرا على الاطفال بسبب قلة خبراتهم الحياتية من جانب ولشد انتباههم من جانب اخر.

ان العروض المسرحية الموجهة للاطفال لا بد ان تخاطب القدرات الادراكية للطفل مع مراعاة الجنب التفاعلي من خلال خلق اجواء مرحة عبر توظيف عناصر الفكاهة في عروضهم المسرحية من اجل تحقيق التواصل مع هذه الفئة، وقد حددت الباحثة سؤال مشكلة البحث من خلال التركيز على ( كيفية توظيف عناصر العرض في إظهار الفكاهة في عروض مسرح الطفل).

**ثانياً: أهمية البحث**

تسليط الضوء على اليات توظيف عناصر الفكاهة في عروض مسرح الطفل العراقي و افادة الباحثين و المختصون بمسرح الطفل.

**ثالثاً: هدف البحث**

يهدف البحث في التعرف على عناصر الفكاهة في مسرح الطفل العراقي.

**رابعاً: حدود البحث**

أ\_ الزمانية: من ٢٠٠٥\_ ٢٠١٠.

ب\_ المكانية: العراق / المسرح الوطني

ج\_ حدود الموضوع: عناصر الفكاهة في عروض مسرح الطفل العراقي.

**خامساً: تعريف وتحديد المصطلحات****١- توظيف:****لغوياً:**

جاء في لسان العرب أن الوظيفة: (( توظيف الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً: ألزمها إياه وقد وظفت له توظيفاً، ويقال وظف فلاناً يظفي إذ يتبعه ويقال: استوظف ذلك كله<sup>(٢)</sup> (البستاني) عرفه التوظيف: استوظف الشيء استوعبه<sup>(٣)</sup>

**اصطلاحاً:**

التوظيف: عرفه (صليبيا) بأنه "العمل الخاص الذي يقوم به الشيء او الفرد في مجموعة مترابطة الاجزاء ومتضامنة كوظيفة المعلم في الدولة.<sup>(٤)</sup>

وظيفي: وهو الذي يدرس العمليات الذهنية من وجهة النظر الدينامكية، انها وسائل لغايات معينة.<sup>(٥)</sup>

**التعريف الاجرائي:**

**التوظيف:** ويقصد به الباحث طريقة واسلوب المخرج في تجسيد مضامين الفكاهة في العرض المسرحي من خلال استخدامه لعناصر العرض.

## ٢- عناصر:

### لغويًا:

عنصر الموضوع: قسمه إلى عناصر.  
عُنْصُرٌ [مفرد]: عناصرٌ: حسب ونسبٌ وأصل

### اصطلاحًا:

**عنصر:** ١- عن القدماء الاصل الذي تتألف منه الأجسام المختلفة الطابع.

٢-منطقيًا-احد افراد النوع او الصنف عند مناطق الرياضيين.

و**العنصر:** فكرة بيلوجية في أساسها أيضا ، استخدمت في الاجتماع والسياسة، ويراد بها طائفة من الأفراد تلتقى في جملة سمات بيلوجية أو سيكلوجية أو اجتماعية تميزها من طوائف اخرى.<sup>(٦)</sup>

## ٣- الفكاهة:

### لغويًا:

(المُفَاكِهَة) المُمَازِحَة. وَ(تَفَكَّهَ) تَعَجَّبَ. وَقِيلَ تَنَدَّمَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَطَلِّمُ تَفَكَّهُونَ) أَي تَنَدَّمونَ. وَتَفَكَّهُ بِالشَّيْءِ تَمَنَعَ بِهِ.<sup>(٧)</sup>

(فَكِهَ): طيب النفس مَرَّاحًا.

### اصطلاحًا:

**الفكاهة:** هو ما يبعث الضحك والابتسام.

فقد عرف ارسطو "ان الحظ من وضع المضحوك منه هو الباعث على اثاره الضحك. اما فلاسفة الألمان

من شوبنهاور الى هازلت ترى ان التناقض أو عدم التناسب بين حقيقتين هو سر الضحك" <sup>(٨)</sup>

**فالفكاهة** "هي تلك الصفة في العمل أو في الكلام في الموقف أو في الكتابة التي تثير الضحك لدى النظارة

أو القراء"<sup>(٩)</sup> أو هي "عبارة عن حديث مستملح وسواه أو طرفة أو نادرة أو ملححة أو نكتة أو حكاية موجزة

يسرد فيها الراوي حادثا واقعيًا أو متخيلاً فيثير إعجاب السامعين ويبعث فيهم الضحك"<sup>(١٠)</sup>

### التعريف الاجرائي:

**عناصر الفكاهة:** تعتبر من الركائز المهمة في المسرح ترمي من بعث في النفس السرور والارتياح،

ويلفتها ما ينبغي الالتفات إليه من خلال شكل من أشكال الفكاهة، وعنصر من عناصرها.

### الفصل الثاني /المبحث الأول

#### مفهوم الفكاهة فنيا وفلسفيا :

تعد الفكاهة أمر حيوي ومهم في حياة الأشخاص حيث تستخدم لتعويض المشاعر السلبية وتلطيفها،

وأنها تستخدم كمتنفس لمناقشة الأحداث الشخصية المؤلمة، وبالتالي تقليل القلق مع سماح أكثر للسعادة

والعواطف الايجابية. حيث تقوم في رفع الروح المعنوية.

" إن بناء الواقع الاجتماعي عمل شاق يتطلب جهدا مستمرا، وتسمح لنا الفكاهة بتهدئة عضلاتنا

العقلية"<sup>(١١)</sup> فالللكاهة أهمية بالنسبة للإنسان باعتبارها نافذة أو وسيلة تنفيس وتفرغ للشحنات الانفعالية

وضغوطات الحياة المكبوتة، حيث من خلالها يشعر الانسان بالمرح والسعادة والترويح عن النفس،ويمكن

مواجهة القهر والكبت وذلك لكون ما يعانیه المجتمع من القهر والمشكلات الاجتماعية والسياسية، فيلجأ

الافراد الى البحث ما يمكن ان يسليهم ويبعث الفكاهة والضحك.

"فالفكاهة يمكن أن تكون استعداداً أو تهيؤاً خاصاً للعقل؛ استعداداً للبحث عن البهجة أو السرور واكتشافهما وتذوقها وإبداعهما أيضاً، وكل ما يتعلق بما نسميه (حس الفكاهة)\*" (١٢).

يسود لدى الطفل الجانب الخاص بالتذوق والاستمتاع بالفكاهة كجماهير مسرح الطفل، وقد يتغلب الجانب الآخر القدرة على إنتاج الفكاهة أو البهجة (مبدعو الكوميديا وممثلوها) وبالتالي تكون الفكاهة ذات حساً وتذوقاً إبداعياً وتكون بعد ذلك الفكاهة خاصة مميزة لعمل أداي. ولها مردود على شخصية الطفل ونفسيته ووجدانه ورؤيته للكاهة للأشياء، فالفكاهة تؤدي دوراً إيجابياً في بناء الشخصية، وتكون العقلية موضوعية وإثارة الحس الفني والجمالي.

و"أن ما تستهدفه الفكاهة في المسرح ليس القهقهة التي يبعثها الهزل العابر، بل تستهدفه إثارة تفكير الطفل وتنمية ذوقه وإذكاء إحساساته، وبعث الإشراق والتفاؤل في نفسه" (١٣).

كما أشار برجسون\*، "الضحك والتفكه سلوك زاهر بالقيم والمعيير والسلوكيات الاجتماعية" (١٤) استخدام التفكه في الأسلوب من شأنه أن يوتى بثماره في مجال تربية الأطفال وتعليمهم العادات والتقاليد، فالطفل بطبعه محب للمرح والفكاهة.

### الفصل الثاني/ المبحث الثاني

#### عناصر الفكاهة في رؤى المخرجين المسرحيين

انطلاقاً من مبدأ أن العروض المسرحية الموجهة للطفل لا بد أن تدخل البهجة والسرور الى نفس الطفل وذلك عبر تقديم التجارب السارة، فإن الفائدة المتوخاة من العرض لا بد أن تقتزن بالمتعة، وتقتزن الفكرة بالترفيه وكذلك لا بد أن تقتزن الموعظة بالترفيه، وجميع هذه التسميات متداخلة مع بعضها بالمعنى والغاية، ويجب أن تقدم بصورة متساوية القدر والقيمة في جميع الأشكال الأدبية والفنية الموجهة للأطفال وفي مراحلهم العمرية التي تبدأ (٨-١٢)، أي أن من المهم أن يحقق العرض المسرحي الموجه للأطفال التوازن بين عناصره وأن يتخللها جانبي التسلية والتعليم، بشرط الابتعاد عن الترميز والتعقيد "لأن المسرح يضع أمام الأطفال والوقائع والأشخاص والأفكار بشكل مجسد وملمس ومرئي ومحسوس، مما يسهل إدراكهم للأشياء، وفهم الأمور المعقدة" (١٥). فضلاً عن ان العروض تمتاز بالمباشرة، ولا يمكن تحقيق مبدأ التواصل مع المتلقي (الطفل) ما لم يتم إثارة مداركاته الحسية بشكل جمالي وذلك من خلال إبراز جانب الفكاهة والمتعة لتحفيزه على المتابعة، ويشير المسرحي الروسي (ستانسلافسكي ١٨٦٣-١٩٣٨) من خلال دروسه الموجهة للمثل في مدرسته الواقعية عن أهمية التمثيل أما الطفل ويقول "التمثيل أمام الأطفال يشبه التمثيل أمام الكبار، على أن يكون بصورة أفضل وأوضح وأبقى، ويقبل الأطفال على مسرحهم وكأنهم ذاهبون للاحتفال بالعيد وهم يشهدون على خشبة المسرح" (١٦) في وان الأشكال واللوان والاضواء والموسيقى والحركات الراقصة والايقاعية والتنوع في الأداء والصوت يسهم في تحريك مداركاته الحسية وإبراز جانب المتعة والفكاهة، إذ ان "طابع الفكاهة والروح الخفيفة ينبغي أن تظل دائماً سمة من سمات ادب الاطفال عموماً" (١٧) والمسرح خصوصاً.

أن استغلال الفكاهة في تحفيز التلقي لدى الأطفال هو سمة لتحقيق التواصل الممتزج بالمتعة والفائدة. وقد يستخدم المخرج في العرض المسرحي عدة عناصر من أجل إبراز الجانب الفكاهي و من هذه العناصر.

الزري والإيقاع حيث يكون لهما مضامين ودلالات أشكال وألوان مختلفة في بناء العرض المسرحي حيث يعد " جزء من عملية التنكر" (١٨)، وإيضاح الطابع الدرامي كوميديا كان أو تراجيديا أمام الأطفال، إذ تمثل الإزياء الأبعاد الدرامية من حيث كونها دلالة اجتماعية، أو واقعية، أو خيالية فهي مرتبطة بمضامين

العرض وهي أكثر الفنون التصاقاً بالصفة التمثيلية. أما الأزياء فأنها تكونفي مخيلة الطفل تكوينات جمالية ودلالات ابداعية معبره لكي تعطي الاحساس بالزي المسرحي المتجسد على خشبة المسرح وإعطاء ابعاد متنوعة واقعية أو غرائبية أو خيالية أو حيوانية ضمن تجسيد الزي المسرحي الذي يسعى من اجله المخرج لكي يتناسب مع ادواته ورؤيته الفنية.

أما **الموسيقى** فإن لها دوراً كبيراً في تفعيل روح الفكاهة وذلك من خلال استخدام الموسيقى التي تكون فيها جانب من المرح كأن ان تكون موسيقى مترابطة مع فعل مضحك على الخشبة" فهي تعزز من الفكاهة على الخشبة "ان للأغنية وجودها في المجتمع ، يطرب لها الجميع كباراً أو صغاراً، فالأغاني من الفنون المحببة للأطفال، ينشدونها الصغر بطلاقة. وقد يكون بلا فهم لمعاني الكلمات أحياناً"<sup>(١٩)</sup>

ويعد **الديكور** البيئة التي تعيش فيها الشخصيات وقد حامل لدلالات خيالية تستثير مخيلة الاطفال وادراكهم ف"يعطي الخشبة شكلاً معيناً خلال العرض ويحدد مكان زمان ومكان العرض"<sup>(٢٠)</sup> إذ ان من مميزات الدور ابراز المكان والزمان، واختصار الحوار، ويربط الأحداث بالواقع، وتشكيل الأنطباع الاول للمسرحية. وكذلك اللون له دور فعال حيث " أن الألوان هي أهم العناصر التي تستهوى الطفل وتجذب انتباهه. لذلك فإن على مصمم الديكور والمناظر دراسة تلك التأثيرات التي يحدثها اللون قبل البدء في التصميم حتى ينجح تصميمه في التأثير على الأطفال وجذبهم"<sup>(٢١)</sup>. أي على المخرج ان يختار الديكور واللوان التي تكون محببة للطفل والتي تجذب انتباههم التي تكون ذات المنظر الجذاب وأن يظهر المعاني العميقة للمسرحية، ويجب ان يتناسب مع العناصر والفنون الاخرى كالموسيقى والأضواء والتمثيل. ويحقق الهدف الذي يسعى له المخرج لأبراز معالم الديكور للطفل.

فتوظيف عناصر "الديكور والإضاءة والإبهار تستهدف في المقام الأول مساعدة الطفل على معاشته المسرحية، ونقله من عالم الواقع الى عالم المسرح بنصه وممثليه وديكوراتيه. المهم أن يتوافر الاتزان عند توظيف أي عنصر فني يؤدي دوراً في إطار العنصر الرئيس، وإلا تحول المسرح إلى مجموعة من عروض للديكورات فحسب"<sup>(٢٢)</sup>

أما منظومة **المكياج** حيث أن هي وحدة عمل متكاملة من ناحية الآلية (آلية الاشتغال) ومواد التشكيل وأدواته، في المسرح. وتتألف من عناصر هي " المواد والأدوات هي الطلاءات والمساحيق والغراءات ومواد كيميائية مختلفة في القوام والتكوين واللون، وأنواع الشعر والصوف والخيوط لعمل أشكال الشعر وصناعة اللحى والشوارب والباروكات.

أما الادوات فهي كل ما يساعد في وضع هذه المواد وتشكيلها على وجه وجسم الممثل الذي يجسد شخصية معينة في مسرحية ما "<sup>(٢٣)</sup>

#### الدراسات السابقة:

من خلال البحث عن الدراسات المماثلة والمقاربة لموضوع البحث لم تجد الباحثة مطابقة تهتم بدراسة (توظيف عناصر الفكاهة في عروض مسرح الطفل العراقي) فهناك دراسات تناولت الفكاهة لكن من جانب آخر وغير مسميات وكذلك أختلف من حيث المشكلة والأهداف والأهمية والمؤشرات والاجراءات وغير ذلك:

أولاً: دراسة الباحث (حبيب ظاهر حبيب) والموسوعة (الكوميديا في مسرح الطفل ( أهميتها وأشكالها) ، بحث مقدم الى كلية الفنون الجميلة\_ جامعة واسط، ومنتشور في مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية/ العدد الخامس والعشرون/ سنة ٢٠١٧). تركزت هذه الدراسة على التعرف على أهمية

واشكال الكوميديا في عروض مسرح الطفل. ولم تتطرق في محتوياتها أو تتقارب مع دراسة ( توظيف عناصر الفكاهة في عروض مسرح الطفل العراقي)، فأحتوت على الفصل الأول هو الإطار المنهجي ويحتوي على مشكلة البحث ( ضرورة دراسة أهمية وأشكال الكوميديا بعدها إحدى العوامل الأساسية في العروض المسرحية الموجهة للطفل. ويهدف البحث الى التعرف على أهمية وأشكال الكوميديا في عروض مسرح الطفل) وحدد حدود بحثه (يتحدد البحث موضوعيا بعينة قصدية من العروض المسرحية الموجهة للطفل) أما الفصل الثاني النظري فأحتوى على مبحثين تناول المبحث الأول: قراءة في فلسفة الكوميديا/ الضحك، اما المبحث الثاني: تصدى من خلاله الى أهمية الكوميديا في مسرح الطفل. أما الفصل الثالث اجراءات البحث تم وصف وتحليل عرض مسرحية: سندريلا وطيور الجنة اخراج فالح فايز، تقديم: فرقة الدوحة المسرحية. وقد احتوى الفصل الرابع على نتائج والاستنتاجات والتوصيات والمقترحات ومن النتائج:

تجسدت الكوميديا بالسلوك الرذيل للأُم وأبنتيها وظهورهم بمستوى اخلاقي متدني عندما تؤثر الأم ابنتيها دون وجه حق على سندريلا .  
الفعل الدرامي في عينة البحث لم يركز على قيمة كوميدية، اذ تمحور الفعل حول البحث على زوجة الامير ، لينتهي العرض بفرحة اعلان الزواج الذي يسعد الجميع.  
وبعدها استخلص الباحث استنتاجات مهمة منها:

أن الكوميديا في مسرح الطفل وسيلة لترسيخ فكرة معينة وحوار مهم، ولإبراز سلوك محدد إيجابيا كان أم سلبيا. وتساعد الكوميديا الطفل على الاسترخاء، وتسهم في تفريغ شحنات التوتر لديه، أن وجود الكوميديا في العرض الموجه للطفل يضيف طابع التنوع على العرض مما يدفع ملل الطفل عن العرض، ويساعد على المشاركة في العرض.

#### ما أسفر عنه الاطار النظري من مؤشرات

١. وجود الفكاهة في مسرح الطفل يدفع الطفل للتفاعل مع العرض ومع أقرانه الحاضرين في العرض بصورة أفضل، وبالنتيجة الفكاهة تجعل الطفل متلقيا ايجابيا.
٢. للموسيقى دورا في تفعيل روح الفكاهة وذلك من خلال استخدام الموسيقى التي تكون فيها جانب من المرح.
٣. ردود الافعال بين الشخصيات تتصف بالمبالغة لاثارة الضحك لدى الاطفال
٤. الاضاءة تكون فيضوية وعامة وذات دلالات ايقونية وتنسجم مع الخط الدرامي للعرض المسرحي
٥. يكون الديكور بالوان زاهية وقد يتسم بالخيال او الحركة.

## الفصل الثالث/إجراءات البحث

أولاً: مجتمع البحث:

اختارت الباحثة مسرحية على وفق ما توصلت إليه من الاطار النظري من مفاهيم التي تخص الفكاهاة وتوظيف عناصرها اخراجيا في العرض المسرحي ضمن المدة المحددة للبحث(٢٠٠٥\_٢٠١٠).

| ت | اسم المسرحية          | المؤلف             | المخرج        | سنة العرض | مكان العرض    |
|---|-----------------------|--------------------|---------------|-----------|---------------|
| ١ | زينة والنحل           | طه سالم            | عبد علي كعيد  | ٢٠٠٥      | المسرح الوطني |
| ٢ | عالم الفيتامينات      | حسين علي هرف       | حسين علي هارف | ٢٠٠٥      | المسرح الوطني |
| ٣ | حكاية الأم الطيبة     | عبد الامير السماوي | ظفار احمد     | ٢٠٠٥      | المسرح الوطني |
| ٤ | بيت للجميع            | جاسم محمد          | نزار الناصري  | ٢٠٠٦      | المسرح الوطني |
| ٥ | الطيون                | ايثار الفضلي       | ايثار الفضلي  | ٢٠٠٦      | المسرح الوطني |
| ٦ | حكمة التعاون          | حسين محمد شريف     | عامر زغير     | ٢٠٠٦      | المسرح الوطني |
| ٧ | ما اجمل الصداقة       | كفاح عباس          | شيماء محمد    | ٢٠٠٧      | المسرح الوطني |
| ٨ | اسيا تذهب الى المدرسة | اسعد الهاللي       | بكر نايف      | ٢٠٠٧      | المسرح الوطني |
| ٩ | الاتحاد قوة           | فريال كريم         | حسين جويبر    | ٢٠٠٧      | المسرح الوطني |

ثانياً: عينة البحث:

نظرا لخصوصية البحث في موضوعه (عناصر الفكاهاة) قامت الباحثة بأختيار عينة البحث بطريقة قصدية وذلك لأسباب:

- ١\_ لأنها تطابق مع مجتمعها.
  - ٢\_ تتوفر مسرحية كاملة في قرص (DVD) للمشاهدة والدراسة ادى ذلك الى مساعدة في تحليل عينة البحث.
  - ٣\_ ان هذا العرض له مقاربة مع مشكلة وهدف البحث.
- لذلك تحددت عينة البحث ( مسرحية الحقل المنيع/ للمؤلف اسماعيل احمد اسماعيل/ اسم المخرج حازم عبد المجيد/ سنة العرض ٢٠٠٨/ مكان العرض المسرح الوطني).

ثالثاً: منهج البحث:

اعتمدت الباحثة طريقة تحليل العينة قصدية لتوافق مع مؤشرات البحث في العرض المسرحي .

رابعاً: اداة البحث:

اعتمدت الباحثة أداة للبحث التي من خلالها تحلل العينة، وذلك من بناء المعيار بهدف تحقيق نوع من المستويات التحليلية التي تمثل أداة للبحث ويمكن تحليل العينة وذلك في تأسيس المعيار من النقاط الأتية:

- ١\_ المصادر والمراجع التي اهتمت بموضوع الفكاهاة وما يتعلق بها من مرجعيات.
  - ٢\_ المؤشرات التي اسفر عنها الإطار النظري.
- عرض مسرحية(الحقل المنيع):

أبرزت فكرة العرض الصراع بين الخير والشر اي الصراع الدائم ما بين الطيبة و القسوة، وكيف أن الشر يلحق الضرر في مختلف صورته وما يمكن ان تلحقه من ضرر على المجتمع. فههدف الذات الشريرة ان تحقق المصلحة للذاتها، على حساب بقية الافراد.



في المقابل الذات الخير التي تتمتع بالطيبة وحب وكذلك التماسك فيما بين الافراد ومن خلال سلوكها اليومي مع الذات الاخرى في المجتمع، وتتعاظم سلوكيا عبر صور الخير وما يتمخض عنها من أفعال خيرة تعكس أوجه الفرح والسعادة في مجمل تعاونها مع الآخرين. لذلك يتعين فرض نظام اجتماعي محكم للسيطرة على أفعال وسلوكيات البشر، بما يحقق الأمن والاستقرار الاجتماعي من خلال بناء سور للحماية وعدم سماح للغرباء والقوة الشريرة الى التسلل والتوغل في أماكن الخير لتجنب التصادم معهم ووقاية انفسهم لكونها قوة لا يمكن مواجهته ، وكذلك عدم تصديق كل ما يظهر لأن الباطن يختلف عن الظاهر فيجب الحذر في التعامل وعدم الثقة في كل ما يقال وهذا ما طرحه العرض من خلال ما اظهره من نوايا داخل الذئب الماكر مع الثعالب وهم يحاولون عبور ذلك السور للتمكن من باقي الحيوانات الأليفة الضعيفة. فيبرز العرض بعض المفاهيم التي ترسخ فكرة الصراع بين النوايا الخيرة وبين الإرادة الشريرة مثل ( الخيانة) وما يترتب عليها من ضرر.

### تحليل العينة

تبدأ المسرحية بالموسيقى والاغاني ومع حركات الممثلين التي فيها نوع من الخفة ومشاركة الممثلين لجمهور الأطفال لبعث السرور والفكاهة وكذلك ترغيب الطفل على المتابعة المسرحية. إذ أن وجود الفكاهة في مسرح الطفل يدفع الطفل الى تفاعل مع العرض بصورة أفضل، إذ ان مخرج العرض جعل المشهد الاستهلاكي مشهدا تفاعليا مع الاطفال ليجذب انتباههم من خلال الحركات المتنوعة مؤشر رقم (١)

فالأغنية تميزت بالخفة والمرح وروح الفكاهة فقد كانت الانغام الموسيقية والاغاني، بمثابة عنصر بهجة وسعادة للطفل فتشبع فيهم الفرح وما يصاحب ذلك من ابتسام وضحك ورغبة في القفز واللعب إذ ان ان الغاية الجمالية من توظيف تلك الاغاني والحركات الراقصة هو تحفيز التفكير والتلقي لدى الطفل ودمجها مع الروح المرحة التي يميل اليها الطفل كمتلقي. حيث ان للموسيقى دور في تفعيل روح الفكاهة وذلك من خلال استخدامها والتي تكون فيها جوانب من المرح ، مؤشر رقم (٢)

أما حوار الممثلين بعد المشهد الاستهلاكي وبدأ المسرحية فأن الحوار كان فيه نوع من المبالغة بالصوت والحوارات بشكل فكاهي ويحاكي الشخصية وذلك في حوار الذئب مع الثعلبين وهم يحاولون ان يجتازوا الحائط. اي ان ردود الأفعال بين الشخصيات تتصف بالمبالغة لأثارة الضحك لدى الأطفال، كما ان المفارقة في حركات الممثلين وهم الديك والبطة والأرنب والخروف فأن حركاتهم ذات مرونة وحركات ملفته بالنسبة للطفل وتبعث روح الفكاهة والضحك، حيث اعتمد الخط الدرامي بين الشخصيات على المفارقة في المواقف التي تولد نوع من الاثارة وبالتالي شد انتبه الاطفال و ابراز هذه المفارقة بشكل فكاهي و ومشوق.

ان المبالغة في استخدام كلمة لا تستطيع للارتب في مشهد البطة والارنب مع الحركات المرنة ودلالاتها للحيوان فأنها تبرز الجانب الفكاهي للشخصية من خلال الحوار الملفوظ والحركة المرنة التي تثير الابتسامة لدى الاطفال ، إذ ان المبالغة في اصدار اصوات الحيوانات وتكرارها بشكل مثير وفكاهي يبعث الضحك والفكاهة. مؤشر رقم (٣)

وفي مشهد الذئب والثعالب وهم يحاولون اقتناع الحيوانات أليفة بأن الذئب مريض ويحتاج الى المساعدة حيث يطلب من الثعالب بأن يفتحوا السور ليساعدوا الذئب فأن هناك مفارقة في الكلام إذ أن الثعالب والذئب يقولون شيء لكن في داخلهم شيء آخر وهو أنهم يريدون يأكلوا هذه الحيوانات فأن هذه المفارقة أتت من الكلمة والموقف والحركة والتظاهر بعكس الحقيقة فأنها تبعث الاثارة لكون أن الطفل

يعلم ان هذا الحيوان مفترسه يكذب وهو تحاول أن يحتال ليأكل الحيوانات اي ان الدلالات التي ينزاح اليها عناصر العرض لا تبعد عن الفضاء الايقوني او الدلالي المباشر البسيط، كما يحاكي الديكور الاشياء الحقيقية بشكل يقترب من خيال الاطفال ليحقق تناسقا في الفهم والادراك يراعي قدراتهم الادراكية في الفهم والتفسير واستخدام الالوان الزاهية التي تبعث البهجة والسرور مؤشر ، وقد استخدم المخرج الومضات في الازياء في الأغنية لتبعث البهجة والفكاهة وكذلك اللوان الضوء المحببة للمتلقي وهي الاصفر والأضواء الفيضوية وتسلطها على ابراز اللوان الديكور والممثلين. أي ان الازياء الفيضوية تكون دلالات ايقونية وتتسجم مع الخط الدرامي للعرض ، وجاءت الازياء والاقنعة المستخدمة وهي اشكال الحيوانات للدلالة على شخصيات العرض مباشرة كون العرض موجه الى الاطفال لكي ينسجم مع قدراته الادراكية، وجاءت هذه الاشكال بشكل لا يتطابق مع صورهم الحقيقية وذلك ليعطى لها بعدا جماليا يتسم بالمتعة والفكاهة المؤشر (٤).

الديكور وألوانه الزاهية وتعامل الممثلين فأن النظر اليه يبعث السرور والبهجة للمتلقي لكون أن المخرج وظف الالوان الطبيعية المتعددة ووسائل الابهار من الديكور وأشكال وألوان ليعيش الطفل في اجواء مقاربة للواقع لحديقة الحيوان والغرض منها الحفظ على قيم التواصل مع الطفل المتلقي. مؤشر رقم (٥)

#### الفصل الرابع

##### أولاً: النتائج

تقوم الباحثة مناقشة نتائج البحث وفقاً للمؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري.

- ١\_ استخدمت الموسيقى والانشيد كمؤثر لأضواء حالة من الحماسة والتشاركية وانتاج جو مرح
- ٢\_ ملئ الفضاء المسرحي بالديكورات والالوان الزاهية لجعل المنظر المسرحي يتسم بالبهجة .
- ٣\_ تنوعت عناصر اليات الفكاهة ما بين المفارقة والمبالغة و استخدام الوسائل التقنية والتي وظفت من أجل ابراز الجانب الفكاهي والترفيهي في العرض المسرحي.
- ٤\_ انسجام الممثل مع العناصر المسرحية والتناغم فيما بينها ادى بذلك لتكوين صورة جمالية للعرض تحمل في طياتها الفكاهة من خلال ما رسمه المخرج من حركات والأداء الجسدي للممثل.
- ٥- اعتمد المخرج على عنصر تشويق والتغريب، أثناء التفاعل الفكاهي لعناصر المسرحية مع المشكلة/ وهي محاولة الثعالب والذئب في السيطرة على الحيوانات فهذه الشخصيات.
- ٦\_ تبرز الازياء السمات العامة للشخصيات بشكل لا يثير الخوف لدى الاطفال وقد يكون الزي مبالغ فيه لاثارة الفكاهة والبهجة.

##### ثانياً: الاستنتاجات

في ضوء ما أسفرت عنه نتائج البحث ومناقشتها توصلت الباحثة على الإستنتاجات الآتية:

- ١\_ تشكل الفكاهة اسلوب مهم في مسرح الطفل كونه يتناسب وينسجم مع مدرجات العقلية للاطفال.
- ٢\_ تختزل الفكاهة المسافة بين الطفل والعرض المسرحي كونها تدخل البهجة وتحظى بالقبول.
- ٣\_ التنوع في العرض يضفي نوعاً من الفكاهة مما يساعد في جذب انتباه الأطفال.
- ٤\_ لا وجود لعرض فكاهي صرف في مسرح الطفل كون مسرح الطفل يعتمد الترفيه والتوجيه

##### ثالثاً: التوصيات

في ضوء ما أسفر عنه من نتائج البحث والاستنتاجات توصي الباحثة بما يأتي:  
دراسة في الفكاهة والكوميديا وتأثيرها على الأطفال

رابعاً: المقترحات

العروض الكوميديا والفكاهة وأثرها على سلوك الأطفال

الهوامش

- (١) محمد حسن عبد الله : قصص الاطفال ومسرحهم (مصر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١) ص ٢١
- (٢) ابن منظور: لسان العرب (لبنان: دار لسان العرب) ص ٩٤٩
- (٣) البستاني، منجد الطلاب، ط٥ (المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٣) ص ٩٢٧
- (٤) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج ٢، (در الكتاب اللبناني، ١٩٨٢) ص ٥٨١
- (٥) ابراهيم ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٩م) ص ٢١
- (٦) ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، المصدر السابق، ص ١٣٠
- (٧) محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، (لبنان: بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨١م) ص ٥١٠
- (٨) ابراهيم حمادة: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية (دار الشعب) ص ٢٠٨
- (٩) مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، ط٢ (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤) ص ٢٦٧
- (١٠) جبور عبد النور : المعجم الادبي، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤) ص ١٩٤
- (١١) تيري أيجلتون: فلسفة الفكاهة (لبنان: بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٩) ص ٢٧
- (١٢) شاكر عبد الحميد: المصدر السابق نفسه، ص ١٤
- (١٣) محمد فوزي مصطفى: دراسات في مسرح الطفل/ تنظيراً وتطبيقاً، (الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٢٠) ص ٦٢
- (١٤) شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك، (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٠) ص ٣٩
- (١٥) علي خليفة: مسرح الطفل/ البناء والرؤية (مصر: دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر، ٢٠١٣) ص ١٢
- (١٦) ذكرى عبد الصاحب: منظومة الماكياج وعملها في تجسيد الشخصيات المسرحية/ مسرح الطفل انموذجاً، (العراق: دار الكتب والوثائق، ٢٠١٠) ص ٦٧
- (١٧) هادي نعمان هيتي: ادب الاطفال - فلسفته - فنونه - وسائله (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧) ص ١٧٠
- (١٨) ماري الياس، حنان القصاب : معجم المصطلحات المسرحية (لبنان : مكتبة لبنان ناشرون ، ١٩٩٧) ص ٢٤١
- (١٩) ابو الحسن سلام: المصدر السابق نفسه، ص ١١٦
- (٢٠) ماري الياس ، حنان القصاب : معجم المصطلحات المسرحية ، مصدر سابق، ص ٢١٤
- (٢١) عبد الفتاح نجله: الدراما/ علاج نفسي فعال للأطفال، ( القاهرة: عالم الكتب، ٢٠١٠) ص ١١٧
- (٢٢) محمد فوزي مصطفى: دراسات في مسرح الطفل /تنظيراً وتطبيقاً (مصر: دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، ٢٠٢٠) ص ٦٣
- (٢٣) ذكرى عبد الصاحب: المصدر السابق نفسه، ص ١٦.

المصادر

١. ابراهيم ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي(القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٩)
٢. ابراهيم حمادة: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية (دار الشعب)
٣. ابن منظور: لسان العرب (لبنان: دار لسان العرب)
٤. البستاني، منجد الطلاب، ط٥ (المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٣)
٥. تيري أيجلتون: فلسفة الفكاهة (لبنان: بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٩)
٦. جبور عبد النور : المعجم الادبي، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤)
٧. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج ٢، (در الكتاب اللبناني، ١٩٨٢)

٨. ذكرى عبد الصاحب: منظومة الماكياج وعملها في تجسيد الشخصيات المسرحية/ مسرح الطفل انموذجا، (عراق: دار الكتب والوثائق، ٢٠١٠)
٩. شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك، (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٠)
١٠. عبد الفتاح نجلة: الدراما/ علاج نفسي فعال للأطفال، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠١٠)
١١. علي خليفة: مسرح الطفل/ البناء والرؤية (مصر: دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، ٢٠١٣)
١٢. ماري الياس، حنان القصاب: معجم المصطلحات المسرحية (لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٧)
١٣. مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، ط٢ (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤)
١٤. محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، (لبنان: بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨١م)
١٥. محمد حسن عبد الله: قصص الاطفال ومسرحهم (مصر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١)
١٦. محمد فوزي مصطفى: دراسات في مسرح الطفل /تنظيرا وتطبيقاً (مصر: دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، ٢٠٢٠)
١٧. محمد فوزي مصطفى: دراسات في مسرح الطفل/ تنظيرا وتطبيقاً، (الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٢٠)
١٨. هادي نعمان هيتي: ادب الاطفال - فلسفته - فنونه - وسائطه (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧)

## الانزياح الدلالي في الأساليب النحوية عند الدارسين المحدثين

### مثل من القصص القرآني

م.م. علاء حسين مكطوف الصبر

المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

ملخص:

يجري الكلام على وفق سنن قواعدية واستعمالات تركيبية تحكمها الوظيفة النحوية بما يوفر للغة استعمالها الصحيح وللتركيب ملمح التناسق والانسجام، فليس انتلاف المكونات العنصرية للتركيب ليجري على نحو الاعتباط وفقدان القصدية، بل الأمر تحكمه سلطة التناسق، وقاعدة الانسجام، وسمة الترابط النصي، بما يخدم العملية التواصلية على الصعيدين النحوي والدلالي.

لكن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، فالالتزام بترتيبية التركيب النحوي فيما إذا كان جارياً على وفق البناء الاسمي أو الفعلي لا يعني البتة عدم العدول في بعض مواطن توظيف المفردات داخله، ولا سيما ما يتعلق بالأساليب، إذ قد نلحظ العديد من مظاهر العدول والانحراف في الأساليب النحوية، منها: إنزال الخبر منزلة الإنشاء، أو إنزال الإنشاء منزلة الخبر، بما يشكل مصداقه الانزياح في الأسلوب بشكله العام، وهذا إنما هو رهين الإرادات الدلالية التي يقصد إليها منشئ الخطاب. وقد لاحظنا هذا بشكل لافت للنظر في التوظيفات القرآنية، في العديد من الآيات الكريمة، رغبة في تحقيق أبعاد دلالية كانت محط اهتمام الدارسين المحدثين.

من هذه المحطة على وجه التحديد جاء فكرة دراسة الانزياح الدلالي في الأساليب النحوية عند الدارسين المحدثين، ليكون القرآن الكريم عينة للبحث والدراسة.

وقد شرعنا بتقسيمه على قسمين أساسيين، أولهما: إنزال الخبر منزلة الإنشاء، وثانيهما: إنزال الإنشاء منزلة الخبر، فوفقنا على ما يستتبع ذلك من انزياحات في الأسلوب وما يكمن فيه من أبعاد دلالية وبيانية وقف عندها الدارسون المحدثون وقفات جليلة تستحق الدراسة.

### summary

**Speech is carried out according to grammatical norms and synthetic uses governed by the grammatical function, which provides for the language of its correct use and for the composition the feature of consistency and harmony. On the grammatical and semantic levels.**

**But proving something does not negate anything else, for the commitment to the order of the grammatical structure, whether it is in accordance with the nominal or actual construction, does not mean at all not to be wrong in some areas of the use of vocabulary within it, especially with regard to methods, as we may notice many manifestations of justice and deviation in methods. Grammatical, including: lowering the predicate the status of the construction, or**

*lowering the construction the status of the predicate, which constitutes the credibility of the deviation in the style in its general form, and this is only a matter of semantic wills to which the originator of the discourse is intended. We have noticed this in a striking way in the Quranic employments, in many of the noble verses, with a desire to achieve semantic dimensions that were the focus of attention of modern scholars.*

*From this station in particular came the idea of studying the semantic shift in grammatical methods for modern scholars, so that the Holy Qur'an would be a sample for research and study.*

*We have proceeded to divide it into two main parts, the first of which is: Reducing the predicate as the construction, and secondly: Reducing the construction as the predicate.*

#### المقدمة

اهتم الدارسون قديماً وحديثاً بظاهرة الانزياح، واعتبروها قضية أساسية في تشكيل جمالية النصوص الأدبية، وقد أشار القدماء إليها، لكن تحت مسميات أخرى، منها: العدول، والتجاوز، والخروج عن المألوف...إلخ.

ومنه ما ذكره ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في الخصائص عن العدول في التقديم والتأخير، قال: (( إنَّما يقع المجاز، ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإنَّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة ))<sup>(١)</sup>.

فقد أعطى القدامى القيمة الكبرى للعدول، لأنَّه يبرز (( إمكانات المبدع في استعمال الطاقة التعبيرية الكامنة في اللغة ))<sup>(٢)</sup>، فهو من فنون التواصل بين المبدع والمتلقي، لإيصال رسالته إلى المتلقي بكلِّ ما فيها من قيم جمالي، فيعدل المبدع في الأسلوب عن نمط الأداء المألوف المعتاد، ليحقق ما يريده من أهداف يعجز عن توصيلها التركيب العادي<sup>(٣)</sup>.

وقد عبَّر عنه في الدراسات الحديثة بمصطلحات عدة، منها: الانزياح، والانحراف، والاختلال، والمخالفة، وغير ذلك<sup>(٤)</sup>.

فالانزياح هو المسمَّى الحديث في الدراسات الأسلوبية لظاهرة العدول، وعرفه المحذون بأنَّه، (( خروج عن المألوف، أو ما يقتضيه الظاهر، أو هو خروج عن المعيار، لغرض قصد إليه المتكلم، أو جاء عفواً لخطر، لكنَّه يخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة ))<sup>(٥)</sup>.

ويكاد يجمع المحذون على أنَّ الانزياح هو خروج عن المألوف، بما يسمح للمبدع بالابتعاد عن معيارية اللغة، فهو الاستعمال المبدع للغة المفردات والتراكيب والصور، استعمالاً يخرج عمَّا هو معتاد ومألوف، بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع، وقوة جذب وأسر<sup>(٦)</sup>.

ومن أبرز أنواع الانزياح (الانزياح الدلالي)، ويُقصد به: (( إعطاء دلالة مجازية للفظ، وتمثل الاستعارة عماد هذا النوع من الانزياح، حيث يتم فيه استبدال المعنى الحرفي المعجمي بالمعنى المجازي الإيحائي فيتم التحول من المدلول الأول إلى المدلول الثاني؛ ومن المعنى المفهومي إلى المعنى الانفعالي ))<sup>(٧)</sup>.

إذاً هو الابتعاد عن الدلالة الأولية للمفردة بخرق معيارية اللغة، وإنشاء علاقات جديدة متلائمة بين الدلالة الأولية والدلالة المنزاح إليها.

وعرفه الدكتور طارق بولخصايم: (( بأنه خروج الدوال عن مدلولاتها فتختفي - نتيجة لذلك - الدلالات المألوفة للألفاظ لتحل مكانها جديدة غير مألوفة ))<sup>(٨)</sup>.

فهذا الانزياح على مستوى دلالة اللفظة أو التركيب - وإن كنا لا نوافقهم الرأي في اختفاء الدلالة الأولية وهذا ما سيتضح من خلال البحث - أمّا بحثنا فهو في الانزياح الدلالي في الأساليب النحوية، وهو كما في الإيضاح (( وقوع الخبر موقع الإنشاء أو وقوع الإنشاء موقع الخبر ))<sup>(٩)</sup>، أو هو (( تعبير عن الخبر بلفظ الإنشاء، وعن الإنشاء بلفظ الخبر ))<sup>(١٠)</sup>.

وهذا الانزياح في دلالة الأساليب النحوية

أسلوب كثير في الاستعمال ومن الفنون البلاغية التي يؤتى بها لتوخي معانٍ لطيفة، ولا يتفطن لها إلّا من له حظ من العربية وفنونها، قال السكاكي (ت ٦٢٦هـ): (( اعلم أنّ الطلب كثير ما يخرج على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبر، فيذكر أحدهما في موضع الآخر، ولا يصار إلى ذلك إلّا لتوخي نكت قلما يتفطن لها من لا يرجع إلى دربة في نوعنا هذا، ولا يعرض فيه بضرر قاطع، والكلام بذلك متى صادف متممات البلاغة اختر لك عن السحر الحلال ما شئت ))

فالجملية الخبرية تختلف عن الجملة الإنشائية، فالأولى لها وجود خارجي قبل النطق بها، لذلك احتملت الصدق والكذب، فإن كانت مطابقة للواقع أو محتملة الوقوع فهي خبر صادق، وإذا كانت مخالفة فالخبر كاذب، كقولك: "الشمس طالعة"، فإن ثبت طلوع الشمس في الخارج فالخبر صادق، وإن لم يثبت، أي: لم تطابق النسبة الكلامية النسبة الخارجية فالخبر كاذب.

أمّا الجملة الإنشائية فليس لها وجود خارجي، إنّما يكون وجودها بعد النطق بها، فأنت تنشئها إنشاء كأسلوب الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، وغيرها، وقد أدرجها الدارسون تحت مسمى الإنشاء الطلبي، وكأساليب الإنشاء غير الطلبي كالتعجب المدح والذم ... وغيرها.

فالتنوع بين أسلوب الخبر وأسلوب الإنشاء من خصائص أسلوب القرآن الكريم، كما لاحظنا ذلك من خلال المعاني والأغراض التي يفيدها كل أسلوب، فالمتكلم إذا أراد أن يحرك مشاعر المخاطب، ويثير فيه الفكر والوجدان وتنشيط العقل فإنّه يلجأ إلى الأساليب الإنشائية في بيان المعاني التي يقصدها، وإذا أراد أن يسرد الأخبار والإعلام عمّا يجري في الواقع فإنّه يلجأ إلى الأسلوب الخبري.

ولكنّه في بعض الحالات يخرج المتكلم عن هذا المألوف، فتجده يعبر بأسلوب الخبر في موضع الإنشاء، وكذلك يعبر بأسلوب الإنشاء في موضع الخبر، وذلك لأغراض بلاغية، ومقاصد بيانية يطلبها المعنى، ويبتغيها المتكلم، مراعيًا في ذلك حالة المخاطب، وقرائن الحال والسياق، والذي يكون عنصراً بارزاً في بيان معاني الأساليب، وهذه الظاهرة تُعدُّ من باب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، والذي سنتناوله تحت عنوان (الانزياح الدلالي في الأساليب النحوية عند الدارسين المحدثين).

وهذا الخروج أو التعبير عن الخبر بلفظ الإنشاء ليس على مستوى تغيير في التركيب اللفظي، وإنّما خروج في المعنى (( والقول بمجيء الإنشاء في لفظ الخبر، لا يعني أنّ المسألة مسألة لفظ ... الأمر أدق من هذا؛ لأنّ الذي يحدث تغيير في الحس بالمعنى والشعور به، ولو تأملت لوجدت الحقيقة المعنوية والنفسية المعبر عنها بلفظ الإنشاء غير الحقيقة المعنوية والنفسية المعبر عنها بلفظ الخبر ))<sup>(١١)</sup>.

فهو انحراف في الدلالة عن الأصل، إلى دلالة يقصدها المتكلم فيأتي بهذا الأسلوب الذي ((يؤدي إلى انحراف المتكلم من أسلوب إلى أسلوب ليدل على معان ليست في الأصل ... وبهذا يختلف عن الأسلوب المباشر المعروف الذي يأخذ سماته المميزة له، والثابتة فيه، فذلك الأسلوب البلاغي يكسب الجملة أبعاداً فكرية ونفسية جديدة، تتجاوز الحدود المعروفة، والمشهور لعملية الدلالة))<sup>(١٢)</sup>.

وعده الدكتور الجوارى التفاتاً في الخطاب، وتصرفاً في ضروب الكلام، فيه تقلب وتقلب بين الإنشاء والإخبار، ومن مزاياه وفوائده طرد الملل عن المتلقي، وبعث النشاط في نفس السامع أو القارئ، وهو يشتمل على ضرب من الإيجاز والاختصار يوحى بمعانٍ وصور تدور في الفكر المخاطب، كلما وقف يتدبر في انتقال الكلام من صيغة إلى أخرى، ويتمثل له ما يشبهه، أو ما يمكن تشبيهه بالحوار الداخلي الذي يشارك فيه القارئ أو السامع مشاركة إيجابية<sup>(١٣)</sup>.

وتلك الدلالات والمعاني الموحية من استعمال المتكلم لهذا الأسلوب تكون دلالات تضمينية تركيبية، تجمع بين دلالة الأسلوب الأصل، وبين دلالة الأسلوب المنحرف إليه المعنى، أي: إنَّ الأسلوب الأصل تبقى دلالة صورته اللفظية وقد أشربت دلالة الأسلوب الآخر إليها، يقول الدكتور محمد أبو موسى: (( وليس من المحقق عندنا أن نطلق على هذه الصور هذه التسمية الشائعة "المعاني المجازية"؛ لأننا لم نطمئن إلى أنها في هذه المعاني مجاز لبقاء الاستفهام قوياً وراء كل معنى من هذه المعاني ))<sup>(١٤)</sup>.

فمن معاني الاستفهام معانٍ خبرية، كالنفي، والتقرير، والتبكيث التوبيخ ... وغيرها، فهي لا تحل مكان الصورة اللفظية كلياً، وإنما تتركب معها في دلالة جديدة.

وإن كان بعض الباحثين ذهب إلى أن دلالة الانزياح كلية لا جزئية، (( إنَّ الانزياح في الدلالة من الإخبار إلى الإنشاء يُعدُّ انزياحاً كلياً لا جزئياً، لأنَّ التغيير فيه يكون خارجياً شاملاً لكل دلالة التركيب من دون استثناء، وهذا الأسلوب شائع في العربية، وذلك أنَّ الجملة العربية تفرغ من محتواها "الإخباري" لتشحن مضمون إنشائي ))<sup>(١٥)</sup>.

نعم إنَّ التغيير خارجي، لكن للنمط الداخلي دلالاته اللفظية المميزة له، والثابتة فيه تبقى لتوحي مع الدلالة الخارجية دلالة تضمينية تركيبية، ما كانت لتظهر لو جاء المتكلم بكلِّ أسلوب على معناه الأصل. وثانياً: إنَّ هذه الدلالة التركيبية (التفاوت، والمبالغة، ومراعاة المخاطب ... وغيرها) ما كانت لتظهر لولا المزوجة بين دلالتَي الأسلوبين، ولو كانت لعمد إليها المتكلم بالأسلوب المباشر، فهي تضمينية تركيبية، وليست كلية للمعدول إليه.

وقد أشار الدكتور غالب محمد الشاويش إلى هذا المعنى بقول: (( إنَّ وضع الخبر موضع الإنشاء، أسلوب من أساليب القرآن الكريم، وهذا النوع من الأسلوب، يتضمن معنيين معنى الخبر ومعنى الإنشاء ))<sup>(١٦)</sup>. لذلك نرفض مصطلح (التناوب الدلالي)<sup>(١٧)</sup>.

ونجد هذا المعنى في أقوال المفسرين لقوله تعالى: ( وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ) [البقرة: ٢٢٨].

فقوله تعالى: (المطلقات يتربصن) (( جملة خبرية في مقام الإنشاء ... وإنما يستعمل في مقام التأكيد والاهتمام بالمراد، وهو أبلغ من الإنشاء في الطلب والإيجاب، لظهوره في وقوع المطلوب حتى صار من شؤون المطلوب منه وليس في صيغة الأمر ما يفيد ذلك ))<sup>(١٨)</sup>.

فالدلالة التركيبية الناتجة عن أسلوب الانزياح أبلغ في بيان المراد، من الأسلوب المعدول إليه وأسلوب المعدول عنه.



وتلك المقاصد والدلالات المتوخاة من إنزال الإنشاء منزلة الخبر تتبين من خلال ما أجمله القزويني (ت ٧٣٩هـ) في شرح التلخيص، إذ قال: (( قد يقع الخبر موقع الإنشاء، إمّا للتفاؤل، نحو: " زين الله في عينيك العدل والإنصاف، أو لإظهار الحرص في وقوعه، والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل التفاؤل، وإظهار الحرص أو الاحتراز عن صورة الأمر، أو لحمل المخاطب على المطلوب ))<sup>(١٩)</sup>.  
ونفصل فوائد هذا الأسلوب ودلالاته من خلال شواهد آيات من القصص القرآني، بتقسيم أسلوب الانزياح في الأساليب على قسمين، هما:

أولاً: إنزال الخبر منزلة الإنشاء:

يقصد بهذا الأسلوب أن صياغة الجملة صياغة خبرية، ولكن دلالتها دلالة إنشائية، وتؤدي وظيفة ما من وظائف الأساليب الإنشائية، وله أغراض ودلالات متعددة، منها:

#### ١. الدعاء:

قد ينزل الخبر منزلة الإنشاء في الدلالة، وإن اتخذ صورة الخبر في اللفظ، لهدف الدعاء له أو التعجيل به، ويكون ذلك أبلغ لثقة الاستجابة<sup>(٢٠)</sup>.

وتستعمل في هذا الغرض:

- أ- صيغة الفعل الماضي، كما في قوله تعالى: ( تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ) [المسد: ١]. فقد خرج الأسلوب الخبري في (تَبَّتْ) إلى معنى (( دعاء عليه بهلاك نفسه وبطلان ما كان يأتيه من الأعمال؛ لإطفاء نور النبوة أو قضاء منه تعالى بذلك ))<sup>(٢١)</sup>.
- ب- أو بصيغة الفعل المضارع:

ومنه ما ورد في قصة النبي يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: ( قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ) [يوسف: ٩٢].

فجملة (يعفُر الله لكم) جملة دعائية، وهي خبرية لفظاً، إنشائية معنى، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (اللهم اغفر لهم)، ولكنّه عدل إلى الخبر إظهاراً لرغبته (عليه السلام) في تحقيق المغفرة<sup>(٢٢)</sup>.  
وجاء الدعاء بصيغة الفعل المضارع ليفيد معنى التجدد والاستمرار، فالمغفرة متجددة لهم من الله تعالى، فلما تابوا واعترفوا بخطيئتهم، حيث أخبر الله تعالى عن توبتهم بقولهم: ( وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ) [يوسف: ٩١].

وهذا الدعاء جاء بصيغة المضارع؛ لأنّه جار على الأصل، إمّا إذا جاء بصيغة الماضي فيكون الدعاء للتفاؤل، والسرُّ في مجيء الجملة الدعائية (يعفُر الله لكم) بصيغة المضارع هو مناسبتها لصدر الآية، وهو عفو يوسف (عليه السلام) عن أخوته والصفح عن جريمتهم (لا تثريب عليكم) فكونه صفح عنهم وتنازل عن حقه في الدنيا، فهو يدعو الله تعالى أن يعفّر لهم جريمتهم في الآخرة<sup>(٢٣)</sup>.

ولعل يوسف (عليه السلام) عدل عن الإنشاء إلى الخبر لقصد التفاؤل وإدخال السرور على أخوته لدلالة الجملة الخبرية على الأمر المفيد الدعاء، (( وهنا يكون العدول عن التعبير الإنشائي، قوله: " يعفّر الله لكم " جملة خبرية خرجت لمعنى الأمر، ويكون التقدير: على الأمر " اغفر يا الله لهم "، فيوسف " عليه السلام " لقصد التفاؤل وإدخال السرور في نفوس إخوته عدل عن استخدام فعل الأمر، وجاء بالفعل المضارع، فالوظيفة الخارجية للعدول استخدام المضارع ليدل على التفاؤل النفسي في تحقيق المغفرة من الله تعالى، إمّا الوظيفة الداخلية تكون في قصد الأمر ليدل ذلك على الحاجة الماسة لهذه المغفرة ))<sup>(٢٤)</sup>.

ف نجد أنّ استعمال هذا الأسلوب البلاغي أوحى إلينا بهذه الدلالة التضمنية التركيبية التي ما كنت لتظهر لولا هذا العدول في الاستعمال.

ج- أو يؤتى بهذا الغرض بصيغة الجملة الاسمية التي تبدأ بنكرة متضمنة معنى الدعاء. ومنه ما ورد في قوله تعالى: ( وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ) [مريم: ١٥]، فد(سلام) مبتدأ، وساغ الابتداء به مع أنه نكرة تضمنه معنى الدعاء<sup>(٢٥)</sup>.

وهو اسم للكلام يفتح به الزائر فيه ثناء أو دعاء، وسُمي ذلك سلاماً؛ لأنه يشتمل على الدعاء بالسلامة<sup>(٢٦)</sup>. وإنَّ العرب في ألفاظ الدعاء والطلب تأتي بها نكرة، فتقول: "ويلُّ له، وسقياً لك، ورعياً؛ لأنَّ ألف الدعاء تجري مجرى النطق بالفعل، والفعل بمعنى النكرة، فد(سلام عليكم) بمعنى: سلمكم الله<sup>(٢٧)</sup>.

ح- أو بصيغ المصدر المنصوب، كما في قوله تعالى: ( إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ) [الحجر: ٥٢]، وقوله تعالى: ( وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا ) [هود: ٦٩]، فد(سلاماً) مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: سلم سلاماً<sup>(٢٨)</sup>.

وهذا كلُّه لأجل التآدب في الطلب من الله تعالى، وحسن الظن به، فعدل المتكلم عن أسلوب الإنشاء إلى الخبر للدلالة على الدعاء، وكان أمر الاستجابة واقعاً منه سبحانه لا محالة. ومن جمالية الاتزياح في الأساليب اجتماع أشكال من الدلالات الأغراض عدة في قت واحد، فقد يحمل معنى التفاؤل معنى الدعاء والتعجيل به كما نجده في اعتذاريات النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر، بقوله<sup>(\*)</sup>:

أتاني أبيت اللعن - إنك لمتني وتلك التي أتم منها وأنصب

فجملة (أبيت اللعن) تحية تُستعمل دعاء للملوك، وتعني (أبيت أن تأتي ما تلعن به)، واستعمالها بصيغة الماضي المثبت كان الدعاء بها واقع لا محالة، وهذه التحية تعزز فكرة التفاؤل في نفسه، وهي تستفز المشاعر التي تورقه، وتبعث في نفسه الهموم، ففعل هذه التحية تكون مدعاة إلى التفاؤل بالصفح عنه<sup>(٢٩)</sup>.

#### ١. الاحتراز من صورة الأمر تأدباً واحتراماً للمخاطب:

وهذا من باب التآدب في الحديث، واللفظ في القول، وهذا الأسلوب البلاغي ليس صورة لغوية معينة، وإنما يفهم من السياق والمقام معاً، وبغيرهما قد يضل المتلقي له، وهذه الصورة ليست مقتصرة على مخاطبة الأدنى للأعلى، بل بين المتساويين، وقد يكون المتكلم أعلى من المخاطب، كقولنا: "يمكن عرض ما ترغب فيه"، كان المراد: اعرض رغبتك<sup>(٣٠)</sup>.

ومثاله ما ورد في قصة بني إسرائيل، في قوله تعالى: ( وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ) [البقرة: ٨٣].

ففي قوله تعالى: (لا تعبدون إلا الله) خرج الأسلوب الخبري (النفي) إلى معنى الأمر، فهي ((جملة خبرية في مقام الإنشاء وهذا أبلغ في الطلب وأكد، أي: اعبدوا الله وحده لا شريك له))<sup>(٣١)</sup>.

وذهب بعضهم إلى أن التعبير القرآني عدل عن النهي إلى الأسلوب الخبري في قوله (لا تعبدون)، أي: لا تبعدوا، فعبّر عن النهي بالنفي<sup>(٣٢)</sup>.

بل، وذهب الدكتور غالب محمد الشاويش إلى أن قوله تعالى: (لا تعبدون إلا الله) يتضمن معنى الخبر وهو نفي العبادة عن غير الله تعالى، ومعنى النهي عن عبادة غير الله، ومعنى الأمر، أي: التزموا عبادة الله، وهذا أبلغ في تحقيق المطلوب، وهو أن العبادة لا تكون إلا لله لا لسواه<sup>(٣٣)</sup>. وهذا يؤكد أن الاتزياح في الأساليب هو إشراب وتضمنين لمعنى الأسلوبين.

والذي يبدو أن قوله (لا تعبدون إلّا الله) أسلوب خبري أشرب فيه معنى الأمر، ليعطي دلالة أكثر مبالغة وتوكيداً في الالتزام بعبادة الله وحده لا شريك له، لأنّ مجيء الخبر بمعنى الأمر هو أبلغ من صيغة الأمر المباشر؛ لأنّ الخبر مستعمل في غير معناه، فكان المأمور أمثلّ لأمر الأمر، فهو يخبر عنه بأنّه أسرع للاستجابة<sup>(٣٤)</sup>.

وذلك لأمرين:

١. إنّ قوله تعالى: (لا تعبدون إلّا الله) استثناء مفرغ، كما يسميه النحويون، فعند رفع أداة النفي (لا) وأداة الاستثناء الملغاة (إلّا) تكون الجملة الخبرية (تعبدون الله)، فيكون معنى الأمر منها (اعبدوا الله)، وهو أقرب من قولهم بالنهي (لا تعبدوا إلّا الله).

٢. إنّ سياق الآية سياق أوامر وليس سياق نواهي (وبالوادين إحساناً)، و(قولوا للناس حسناً)، و(أقيموا الصلاة وأتوا الزكاة)، فيكون معنى الأمر أرجح.

أمّا لماذا الاحتراز عن الأمر المباشر في الخطاب فإنّ ذلك عائد إلى أنّ المقام مقام تذكير لبني إسرائيل بالميثاق الذي أقرّوا به أمام الله تعالى، ( ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ ) [البقرة: ٨٤]، والله العالم. ومن إخراج لفظ الخبر إلى معنى النهي ما جاء في قوله تعالى: ( وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَئِنْ سَأَلْتُمْ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ) [البقرة: ٨٤].

فقوله تعالى: (لا تسفكوا دماءكم) لا: نافية، وتسفكوا: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، وهذه الجملة خبر معناه النهي<sup>(٣٥)</sup>.

وعبر الله تعالى عمّا كان في الميثاق ألا يسفك بعضهم دماء بعض بـ(لا تسفكون دماءكم) بصيغة الخبر الدالة على النهي، عن سفك بعضهم دم بعض، إخراج بعضهم بعضاً من ديارهم، بعبارة تؤكد معنى وحدة الأمة، وتحدث في النفس أثراً شريفاً يبعثها على الامتثال إن كان هناك قلب يشعر، ووجدان يتأثر، فجعل دم كل فرد من أفراد الأمة كأنه دم الآخر عينه، حتى إذا سفكه كأنه بضع نفسه وانتحر بيده<sup>(٣٦)</sup>.

ومنه مجيء الخبر بمعنى التحذير في قوله تعالى في قصة النبي صالح (عليه السلام): (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ) [الشمس: ١٣].

فقوله تعالى: (ناقة الله) ناقة: منصوب على التحذير، أي: احذروا ناقة الله، والتحذير هنا ليس من الناقة بذاتها، بل قتل الناقة<sup>(٣٧)</sup>.

فعدّل التعبير القرآني عن الإنشاء بأسلوب (التحذير) إلى الخبر الدال على الاحتراز بحذف الفعل، ليوحي بدلالة أنّ صالحاً (عليه السلام) كان رحيماً بقومه، مرجواً فيهم، فخاف أن يمسه العذاب من ربهم، فصاح بهم محذراً ملهوفاً (ناقة الله وسقياها)، فكان الخبر الموضوع هنا وضع الطلب يحمل لهفة نفسه، وشدة حرصه على نجات قومه<sup>(٣٨)</sup>.

فقصدية المتكلم في هذا العدول واضحة لإبراز المبالغة والتوكيد لحمل المخاطب على الالتزام، والخبر عنه بأنّه سيمثلّ لا محالة.

٤. إظهار الرغبة في الشيء والحرص على وقوعه:

إذا عظمت رغبة المتكلم في شيء وكثر تصوره له حتى يخيل إليه أنّه حاصل لا محالة استعمل له صورة اللفظ الماضي؛ كأن نقول للغائب عنا: (رزقني الله لقاءك)، فكأنّ اللقاء لديه؛ لهذا استعمل الفعل الماضي الذي يفيد ثبوت الحدث ووقوعه<sup>(٣٩)</sup>.

ومنه ما يعمد به المتكلم إلى الاتزياح اللغوي في إبدال أسلوب مكان أسلوب لغرض بيان أهمية المخاطب وأفضليته على غيره، كما جاء في قصة النبي موسى (عليه السلام) في قوله تعالى: ( وَأَنَا اخْتَرْتُكَ

فاسْتَمَعَ لِمَا يُوحَى ( [طه:١٣]. فقولته تعالى: (وأنا اخترتك) على ما يعطيه السياق من قبيل إصدار الأمر بنبوته ورسالته، فهو إنشاء لا إخبار، ولو كان إخباراً لقليل: (قد اخترتك)، لكنّه إنشاء الاختيار للنبوّة والرسالة بنفس هذه الكلمة، ثم لما تحقق الاختيار بإتّشانه فرع عليه الأمر بالاستماع للوحي المتضمن لنبوته ورسالته، فقال: (فاستمع لما يوحى)<sup>(٤٠)</sup>.

فاهتمام الله تعالى بالنبي موسى (عليه السلام) استلزم إنزال الإنشاء منزلة الخبر ليفوح بدلالة إضافية وهي التكريم (( فيا للتكريم! يا للتكريم أن يكون الله بذاته هو الذي يختار، يختار عبداً من العبيد هو فرد من جموع الجموع، تعيش على كوكب من الكواكب هو ذرة في مجموعة هي ذرة في الكون الكبير ... وبعد إعلانه بالتكريم والاختيار والاستعداد والتهيؤ بخلع نعليه يجيء التنبيه للتلقي: "فاستمع لما يوحى" ))<sup>(٤١)</sup>.

٥. المبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال:

يعتمد هذا على الوظيفة التي يؤديها؛ لأنّه يحاول إيصال فكرة معينة بصيغة الخبر، والمراد منه الأمر وإنجاز مضمونه<sup>(٤٢)</sup>. ومنه ما ورد في قصة النبي يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: ( قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذُرُوهُ فِي سَنِيهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ) [يوسف:٤٧].

فـ(تزرعون) (( خبر في معنى الإنشاء، وكثيراً ما يوتى بالأمر في صورة الخبر مبالغة في وجوب الامتثال كأنّه واقع يخبر عنه ... والدليل عليه قوله بعد "فما حصدتموه فذروه في سنبله" ... والمعنى: ازرعوا سبع سنين متواليات فما حصدتم فذروه في سنبله لنلا يهلك ))<sup>(٤٣)</sup>.

ويذكر صاحب تفسير المنار (( وهذا ضربٌ من بلاغة الأسلوب والإيجاز، ولا تجد له ضربياً في غير القرآن، خاطب أولي الأمر بما لفته للساقى خطاب الأمر للمأمور الحاضر، فأوجب عليهم الشروع في زراعة القمح دانبين عليه دأباً مستمراً ... وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به، فيجعل كأنّه يوجد فهو يُخبر عنه ))<sup>(٤٤)</sup>.

٦. التوجيه والإرشاد:

وقد ورد الخبر الدال على التوجيه وتحريك الهمة والإرشاد على لسان مؤمن آل فرعون في قوله تعالى: ( يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ) [غافر:٣٩].

فقولته تعالى: (إنّ الآخرة هي دار القرار) أفاد الخبر هنا التوجيه والإرشاد عن طريق عرض الحساب والجزاء في الآخرة باستعمال أداة التوكيد (إنّ) وضمير الفصل، بأنّ القرار والمنزل الأخير هو (الآخرة) في سياق النص<sup>(٤٥)</sup>.

وبعد هذه الأمثلة القرآنية في إنزال الخبر منزلة الإنشاء وجدنا ما أوحى به هذا الأسلوب من قيم دلالية ونكت بلاغية، ومعانٍ تضمنية تركيبية، ما كانت لتظهر لولا استعمال المتكلم هذا الأسلوب البلاغي، وينكشف لنا أيضاً من تلك المعاني مدى ارتباط الأساليب النحوية بالظروف النفسية للمتكلم والمخاطب.

وهناك صور أخرى للعدول من الإنشاء إلى الخبر بالإظهار لمعانٍ طلبية في القصص القرآني، منها:

أ- الخبر بمعنى الذم:

يظهر ذلك المعنى بتحويل الفعل إلى صيغة (فعل) بضم العين الدالة على الطباع والسجايا، سواء أكان الضم أصلاً فيه، أم تحويلاً لقصد المبالغة، والمدح أو الذم، مع إفادة التعجب في كلّ حال، والمدح أو الذم هنا خاص بحدود المعنى اللغوي للفعل، فإذا قلت: (كُرم الرجل سعيد) كنت مدحته بالكرم، وإذا قلت: (لوم) كنت ذمته باللوم<sup>(٤٦)</sup>.

فمن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ( كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ) [غافر: ٣٥]، فـ(كَبُرَ) هنا ملحق بأفعال الذم، مثل (ساء)؛ لأنَّ وزن الفعل (فَعَلَ) بضم العين يجيء بمعنى (نعم، وبنس)، والكبر: مستعار للشدة، أي: مقت جدالهم مقتاً شديداً، وجملة (كبر مقتاً عند الله) خبر (إن) من باب الإخبار بالإشياء، وهي إنشاء ذم جدالهم المقصود منه كمّ فم الحق<sup>(٤٧)</sup>.

في ما ذهب بعض المفسرين إلى خروج الخبر هنا إلى معنى التعجب، فقوله (كبر مقتاً) ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم، كأن خارج عن حدِّ أمثاله من كبار الذنوب<sup>(٤٨)</sup>.

والذي يبدو أنَّ هذا العدول للغوي أفاد (الذم مع إفادة التعجب)، فاستعمل التعبير القرآني (فَعَلَ) لإبانة المبالغة في ذمهم؛ لأنَّهم يجادلون بغير علم، وإفادة التعجب لأنَّ ذلك الجدل جاء بعد بيان النعم عليهم من إرسال النبي يوسف (عليه السلام) في السياق السابق.

ودليل ذلك قوله تعالى: ( كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ) [الكهف: ٥]، فهو (( ذم لهم وإعظام لقولهم: اتخذ الله ولداً لما فيه من عظيم الاجترار على الله سبحانه بنسبة الشريك والتجسيم والتركيب والحاجة إلى المعين والخليفة إليه، تعالى عن ذلك علواً كبيراً ))<sup>(٤٩)</sup>، فالدلالة التركيبية واضحة من قوله رحمه الله (ذم لهم وإعظام لقولهم) ذم مع إفادة التعجب.

ب- وينزل الخبر منزلة الإنشاء لإفادة معنى التعجب، نحو قول تعالى في قصة النبي شعيب

(عليه السلام): ( قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عِدْنَا فِي مَلْتِكُمْ بَعْدَ إِدْنَجَانَا اللَّهُ مِنْهَا )

[الأعراف: ٨٩].

فقوله (قد افترينا) إنشاء في لفظ الخبر، فهو إمَّا أن يكون تعجباً خرج على مقتضى الظاهر، وأكَّد بـ(قد) والفعل الماضي، والمعنى: ما أعظم افتراءنا على الله تعالى إن عدنا في ملتكم، وإمَّا أن يكون تأكيداً قسيماً لرفض دعوة الملأ أيَّاهم إلى العود في ملتهم<sup>(٥٠)</sup>.

ومنه قوله تعالى: ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ) [التوبة: ٣٠].

فجملة (قاتلهم الله) دعاء مستعمل في التعجب، وهو مركب يستعمل في التعجب من عمل شنيع، والمفاعلة فيه للمبالغة في الدعاء، أي: قاتلهم الله قتلاً شديداً، وجملة التعجب مستأنفة كشأن التعجب<sup>(٥١)</sup>.

فانظر إلى أبرز خصائص هذا الأسلوب (الانزياح) وهي الدلالة التضمنية التركيبية، في قول ابن عاشور، جملة (قاتلهم) خرجت من الخبر إلى الإنشاء لإفادة معنى (الدعاء المستعمل في التعجب).

ومن هنا نخلص إلى أنَّ لا يمكن الاعتماد على صيغة الخطاب أو الجملة في تحديد نوع الأسلوب وبيان دلالاته، من دون النظر إلى قصدية المتكلم وإرادته، وأحوال المخاطب وظروفه، وملايسات الحال، ومقتضيات المعنى والسياق، فالخبر لا يمكن في كونه خبراً صيغة القول ونظامه، بل لا بدَّ من أن يكون المتكلم مريداً للإخبار به عمَّا هو خبر عنه، وكذلك الإنشاء، وذلك ينتج لنا دلالات ووظائف بيانية جديدة.

فخروج الأسلوب الخبري إلى آخر إنشائي (الذم، المدح، الدعاء، التعجب) يفيد المبالغة والشدة في دلالة مقاصد المتكلم، وهي الفيصل في تحديد نوع الأسلوب، وخلق البنية الجمالية لهذا الأسلوب تخلق العناصر المكونة لها فنياً في نطاق الوظائف التي يؤديها، ففي هذه البنية تنصهر الذات الفاعلة؛ ليتحد الهدف مع المقام، وهما يتجاوبان مع التوترات النفسية المتعددة<sup>(٥٢)</sup>.

ثانياً: إنزال الإنشاء منزلة الخبر:

هذا الأسلوب البلاغي معاكس تماماً في أنماطه اللغوية للأسلوب السابق، ولكنه مثله لم يخلق للمعاني الثانوية، وإنما وضع لأغراض مقصودة وأولية ظاهرة وباطنة، جليلة وخفية، وهو كذلك أسلوب يمنح الجملة الإنسانية دلالات جديدة في معرض الانزياح اللغوي، ويعبر عن عظمة العمق الذي تقوم عليه في أهدافها<sup>(٥٣)</sup>.

فقصيدة المتكلم معيار مهم في تحديد دلالة الأسلوب، وذلك لا يعني أن للمتكلم الحرية المطلقة في أن يختار أي أسلوب يريد، ليخبر به عن أغراضه، وإنما ينبغي مطابقة كلامه لمقتضى الحال<sup>(٥٤)</sup>. ومقتضى الحال هو (( السبب الداعي إلى هذا التعبير دون غيره في مطابقة الحال الموصوف أو واقعه المشاهد أو صورته المعلنة، أو المتخيلة في الحديث أو الحوار أو النقاش أو التعليق أو الاستدراك ))<sup>(٥٥)</sup>.

فلا بد من (( أن يكون الكلام مطابقاً للحالة التي يتحدث عنها ومناسباً للموقف الذي يتحدث فيه ))<sup>(٥٦)</sup>.

ومن هنا كان إنزال الإنشاء منزلة الخبر دالاً على أهداف وأغراض من أبرزها:

١. إظهار العناية بالشيء والاهتمام به:

يرتبط هذا الأسلوب بالوعي الكامن في ذهن المخاطب كما يتصوره المتكلم، ليضبط فيه القدرة على التحكم بالغرض والعناية به، لعظيم أمره وجليل شأنه، فالأسلوب اللغوي البلاغي في هذا المقام يمنح الدلالة قيمتها الجمالية من جهة خلق النسيج المتجانس بين التجربة الشعورية للمخاطب وبين الوظيفة المختزنة للغايات<sup>(٥٧)</sup>.

فالمتكلم يوتي بالتركيب النحوي مصوراً به حالته النفسية ومشاعره الداخلية، بعد أن عرف المخاطب وأحواله، وما يحيط به، وكلما كانت الرغبة والاهتمام أكثر إلحاحاً وأشد تعلقاً بالنفس اختار أسلوباً يفصح عن ذلك بأقوى الدلالات وأشدّها تأثيراً (( لأنّ الجملة بثباتها المتعلقة بالصياغة هي في الحقيقة حالة ذهنية، أو خطرة من خطرات النفس، وخصائص الأحوال الروحية وملامحها وثباتها دقيقة جداً ))<sup>(٥٨)</sup>.

ومن أمثلة وضع الإنشاء موضع الخبر للاهتمام والعناية ما ورد في قوله تعالى: ( وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ) [هود: ٤١].

فجملة (اركبوا فيها) عطف على جملة (قلنا احمّل فيها) [هود: ٤٠]، أي: قلنا له ذلك<sup>(٥٩)</sup>.

فالمقام إخبار وجيء به للعناية بأمر نوح (عليه السلام) ومن معه، وإظهار الاهتمام حول صيغة التعبير من أسلوب إلى أسلوب<sup>(٦٠)</sup>.

ومنه ما ورد في دلالة الأمر على الخبر للمبالغة والاهتمام ما ورد في قوله تعالى: ( أَنْ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ) [طه: ٣٩].

فقوله: (فليلقه) أمر معناه الخبر، بصيغة الأمر مبالغة، إذ الأمر أقطع الأفعال وأوجبها<sup>(٦١)</sup>.

ولام الأمر في (فليلقه) دالة على أمر التكوين، أي: سخرنا اليم، لأن يلقيه بالساحل، ولا يبتعد به إلى مكان بعيد، والمراد بالساحل معهود، وهو الذي يقصده آل فرعون للسباحة<sup>(٦٢)</sup>.

فانزياح التعبير القرآني من الإنشاء إلى الخبر للدلالة على العناية والاهتمام بموسى (عليه السلام) من الله تعالى في هذه الآية، والذي يدل عليه السياق السابق، بقوله تعالى: ( وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى ) [طه: ٣٧]، واللاحق بقوله تعالى: ( وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ) [طه: ٣٩].

فالمتكلم يحرص على الإنزياح في النسق التعبيري ليبيرز لطائف بلاغية، وأغراضاً دلالية لا تكمن في الأسلوب اللغوي الذي يقتضيه المقام الخبري<sup>(٦٣)</sup>.

ومن هذه اللطائف البلاغية والمعاني الدلالية نجدها في الغرض الثاني من مواضع إنزال الإنشاء منزلة الخبر.

## ٢. التبكيت:

هو المبالغة في التعنيف واللوم وجهاً لوجه، ويثبت هذا الأسلوب مدى التأثيرات العاطفية التي يتركها في صميم النفوس، فهو ليس مجرد وسيلة لنقل رسالة من الرسائل، إنّه ينحرف عن طبيعته المباشرة ليلبي هدف التبكيت، كما يتوخاه المتكلم وفق حال المخاطب ومقامه، إنّه أسلوب يجمع جملة من العناصر الجمالية التي تستجيب لعواطف المتكلم ومقاصده، وترسي هدفاً ما عند المخاطب وهي تخاطب عواطفه قبل قلبه<sup>(٦٤)</sup>.

ومن أمثله انزياح المتكلم من الأسلوب الإنشائي (الاستفهام) إلى الإخبار ودلالة (التبكيت) في قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى: ( وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٩٢ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ) [الشعراء: ٩٢-٩٣].

والاستفهام في (أين ما كنتم) و(هل ينصركم) يراد منه التبكيت والتحسر على ما كانوا يعبدون من الأصنام، فاستفهم عن تعيين مكانهم بـ(أين) أو عن عملها إن كانت حاضرة في هذا الموقف، تنزيلاً لعدم جدواها في ما كانوا يأملونه منها منزلة العدم تهكماً وتوبيخاً وتوقيفاً على الخطأ<sup>(٦٥)</sup>.

فهدف التكلم من العدول في الأسلوب إظهار التبكيت بالمخاطبين، واستثارة ما في أنفسهم من ضعف وعدم قدرة على الإجابة؛ لأنّ السؤال هنا لا يتوقع له جواب. وسرّاً بلاغة هذا الخروج في الأسلوب إلى أسلوب آخر إظهار التهكم بهم حتى يلتفتوا إلى ما هم فيه من المهانة والذلة، فيقلعوا عن عنادهم وتكبرهم<sup>(٦٦)</sup>.

ومنه قوله تعالى على لسان فرعون حين حاوره موسى (عليه السلام) لإثبات مهامه بالآيات البيّنات بأنّه رسول من رب العالمين: ( قَالَ إِنْ كُنْتَ جِنْتِ بَأْيَةٍ فَاتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ) [الأعراف: ١٠٦].

فقول فرعون لموسى (( إن كنت جنت بآية فات بها إن كنت من الصادقين )) كما تدعي فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك في دعواك، قال ذلك على سبيل التعجيز لموسى<sup>(٦٧)</sup>.

فالأمر (فات) خرج إلى معنى الخبر للدلالة على التعجيز والتبكيت؛ لأنهم عاجزون عن أداء ما قام به موسى (عليه السلام) بتعزيزات من رب العالمين<sup>(٦٨)</sup>.

ومثله قوله تعالى في إنزال الإنشاء منزلة الخبر: ( ذَلِكَ جَزِيَّتُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ) [سبأ: ١٧].

فقوله تعالى: (وهل نجزي إلا الكفور) كأنه سبحانه قال: "للكافر وحده العذاب"، فالتأكيد هنا جاء على تبيكته وإدخاله النار، ولكي يصل إلى هذا الهدف أنزل الإنشاء منزلة الخبر حتى لا يحتمل أمراً آخر؛ لأنّه ثابت عليه ولا تبدل له، فالمقام للخبر والأسلوب المستعمل أسلوب إنشاء لا يحتمل الصدق أو الكذب<sup>(٦٩)</sup>.

## ٣. التحاشي والاحتراز من مساواة اللاحق بالسابق:

تتماز اللغة العربية بعدد من الأساليب البلاغية باختلاف المقاصد كما تختلف صياغة كل جملة بما يتجه إليه المضمون، وقد لاحظت العرب أنّ الكلام يكون بمقدار الحاجة إليه، ولهذا وجدت أساليب الإطناب، والإيجاز، والمساواة<sup>(٧٠)</sup>.

ولكنَّ الاحتراز من المساواة هنا يصبح وسيلة بلاغية وهدفاً في وقت واحد، فالمتكلم يحرص على ألا يتساوى معنيان في الدلالة، ولهذا يلجأ إلى تغيير صياغة الجملة، فيجمع بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي في الصياغة، وإن كان المقام مقام إخبار<sup>(٧١)</sup>.

ومثل لذلك الدكتور بسيوني فيود والدكتور حسين جمعة بالحوار بين هود (عليه السلام) وقومه في قوله تعالى: ( إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ) [هود: ٥٤].

إذ ذهب الدكتور حسين جمعة إلى أنَّ التعبير القرآني عدل عن لفظ الخبر (أشهدُ) إلى لفظ الأمر (أشهدوا) المنزل منزلة الخير للمغايرة بين الخطابين، فلم يقل: وأشهدكم، تماشياً عن مساواة شهادة الله تعالى بشهادة العباد، فإنَّ إشهد الله حقيقة، وكذلك إشهداهم لهم، وإنَّما عدل إلى صيغة الأمر للتمييز بين الخطاب الإلهي وخطابه لهم لعدم المساواة بينهما، فأراد أن يعبر عن الخطاب الإلهي بصيغة الخبر، وهي أوفر من صيغة الأمر، وإن كان فيها من الدلالة إقامة الحجة عليهم<sup>(٧٢)</sup>.

وبين الدكتور بسيوني فيود أنَّ العدول عن مقتضى الظاهر أن يقال: (إني أشهدُ الله وأشهدكم) أو المغايرة بين الأسلوبين للدلالة على:

- أ- إنَّ في أمرهم بأن يشهدوا ببرائته من دينهم ضرباً من التحدي الذي ينبئ بحقارة ما يعبدون من دون الله تعالى.
- ب- الدلالة على أنَّ إشهد الله تعالى على براءة هود (عليه السلام) من شركهم إشهد صحيح ثابت، إذ جاء خبراً محققاً (إني أشهد الله) وأمَّا إشهداهم فليس إلَّا تهاوناً بدينهم، ودلالة على عدم المبالاة، إذ جاء أمراً.

ج- الدلالة على تعظيم شهادة الله وتنزيهه تعالى عن أن يقرن إشهداهم عزوجل بإشهداهم، في ما لو جرى الكلام على الأصل، فقيل: (إني أشهد الله وأشهدكم)<sup>(٧٣)</sup>.

والذي يبدو أنَّ قولهما بأنَّ التعبير القرآني أنزل الإنشاء منزلة الخير في قوله (أشهدوا إني بريء) تهافت وقعا فيه، وإنَّما هو التفات في الخطاب؛ ليوحي إلى المتلقي بالمغايرة والاحتراز بين دلالة إشهد الله وإشهداهم، وإنَّ الصيغة الإنشائية لم تتضمن معنى الخبر.

وقد كان للظاهر بن عاشور ما يثبت ذلك، بقوله: ((وجملة "أشهد الله" إنشاء لإشهد الله بصيغة الإخبار؛ لأنَّ كلَّ إنشاء لا يظهر أثره في الخلق من شأنه أن يضع بصيغة الإخبار، لما فيه من قصد إعلام السامع بما يضمرة المتكلم، ولذلك كان معنى صيغ العقود إنشاء بلفظ الخبر... وأتى في إشهداهم بصيغة الأمر؛ لأنَّه أراد مزاجة إنشاء الإشهد دون راحة معنى الإخبار))<sup>(٧٤)</sup>.

وأضاف السيد الطباطبائي إلى هذين الإنشائيين في الآية المباركة إنشاء آخر، بقوله: ((إني بريء ممَّا تشركون" إنشاء وليس بإخبار كما هو المناسب لمقام التبري، ولا ينافي ذلك كونه بريئاً من أول مرة فإنَّ التبرز بالبراءة لا ينافي تحققها من قبل، وقوله: "فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون" أمر ونهي تعجيزيان))<sup>(٧٥)</sup>.

فكأنَّ الآية المباركة "أشهد الله وأشهدوا إني بريء ممَّا تشركون" هي كتلة إنشائية غير قابلة للصدق والكذب، فيكون رداً بليغاً محكماً لقولهم: "إن نقول: لا اعتراك بعض آلهتنا".

٤. الترغيب في الشيء والحث عليه:

قد يخرج الأسلوب الإنشائي إلى معنى الخبر بدلالة الترغيب والتشويق، وذلك مقام يقصد فيه المتكلم ترغيب المخاطب واستماتته، ما في قوله تعالى: ( وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ) [طه: ٩]، [النازعات: ١٥].



فالاستفهام مستعمل مجازاً في قوله: (هل أتاك)، وهو استفهام صوري يقصد منه تشويق السامع إلى الخبر، و(هل) تدل على طلب تحقيق المستفهم عنه، فهي في الاستفهام مثل (قد) في الإخبار، فالمستفهم بها يستفهم عن تحقيق الأمر<sup>(٧٦)</sup>. وهو (( استفهام للتمهيد وإعداد النفس والأذن لتلقي القصة وتمليها ))<sup>(٧٧)</sup>.

والغرض من عرض الحقيقة المخبر عنها بطريقة الاستفهام، الرغبة في إثارة انتباه المخاطب، ودعوته إلى التفكير، وانتظار الجواب والتشويق إليه، وفي ذلك تقدير له، وتثبيت للفكرة في نفسه<sup>(٧٨)</sup>. ويكون هذا المعنى أكثر وضوحاً في الصور البلاغية الآتية، التي يخرج فيها الأسلوب الإنشائي إلى الخبر، ومنها (التقرير).

صور وأغراض أخرى من أسلوب إنزال الإنشاء منزلة الخبر في القصص القرآني:

#### ١. الاستفهام بمعنى الخبر

ورد الخبر بصورة الاستفهام للدلالة على معانٍ سياقية، منها:

##### أ- التقرير:

ومعناه أن تقرر المخاطب بشيء عنده، لكأنك تخرج التقرير بصورة الاستفهام، وذلك لأنه أوقع في النفس، وأدل على الالتزام، ويكون بمعنى التحقيق والتثبيت، فالاستفهام هنا يكون إنشائي من حيث اللفظ، خبر من حيث المعنى<sup>(٧٩)</sup>.

ومن الاستفهام التقريري ما ورد في قصة النبي إبراهيم (عليه السلام)، وذلك في قوله تعالى: ( هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ) [الذاريات: ٢٤].

فالاستفهام في (هل أتاك) على معنى الخبر، للدلالة على التقرير، و(هل) بمعنى (قد)، فيجمع الأسلوب بين الطلب والإخبار، غرضه الإيجازي التقرير، فالسائل يطلب خبراً هو عنده<sup>(٨٠)</sup>.

ويقول محيي الدين الدرويش إن: (( الاستفهام التقريري لتضخيم الحديث ولتجتمع نفس المخاطب كما تبدأ المرء إذا أردت أن تحدثه بعجيب، فتقره هل سمع ذلك أم لا، فكأنك تفتضي أن يقول: لا، ويطلب منك الحديث ))<sup>(٨١)</sup>.

فمعنى التشويق والترغيب واضح في هذا الأسلوب البلاغي. وسرُّ العدول عن الإخبار إلى الاستفهام يمكن في الرغبة في حمل المخاطب على الاعتراف بعد التدبير والآتية<sup>(٨٢)</sup>.

ومنه ما ورد في قوله تعالى: ( قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ ) [الأنبياء: ٦٢].

فهم يريدون حمله على الإقرار والاعتراف بالفاعل، وعندما يكون التقرير بالهمزة ينبغي أن يليها ما حمل المخاطب على الإقرار به، فهم هنا يقرون بالفاعل، ولذا أجابهم (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) [الأنبياء: ٦٣]<sup>(٨٣)</sup>.

والسرُّ البلاغي هنا كما يذكر الدكتور فضل حسن عباس هو تثبيت الخبر، وتقرير المخاطب بأمر قد ثبت وتحقق عنده، دون أن ينتظر منه جواباً، فأبلغية هذا النوع من الأسلوب تعود إلى إخبار المخاطب بما ثبت عنده، ونزع الاعتراف منه<sup>(٨٤)</sup>.

ومن أمثلته ما ورد في قصة النبي موسى (عليه السلام)، قال تعالى: ( قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ) [الشعراء: ١٨].

فالمراد بالاستفهام هنا تذكير النبي موسى (عليه السلام) بنشأته وتربيته فيهم وحمله على الإقرار بذلك أملاً من فرعون في أن يقلع ويكف عمّاً جاء به من الله تعالى، ولكن أتى له ذلك؟ وموسى (عليه السلام) رسول رب العالمين<sup>(٨٥)</sup>.

ومنه ما ورد في قوله تعالى: ( قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ) [الكهف: ٧٥]. فكان الاستفهام (ألم) خرج إلى معنى الخبر، وهو يدل على التقرير والإنكار مع ذكر لام تعدية القول أقوى وأشد، واللام في قوله (لك) لام تبليغ، وهي التي تدخل على اسم أو ضمير السامع لقول أو ما في معناه، نحو: "قلت له، وأذنت له"، وذلك عندما يكون المقول له الكلام معلوماً من السياق، فيكون ذكر اللام لزيادة تقوي الكلام، وتبلغه إلى السامع، ولذلك سُميت لام التبليغ<sup>(٨٦)</sup>. فهو تثبیت اللوم، وتحقيق القول، والمعنى لقد قلت لك: إنَّك لن تستطيع معي صبراً، وفيه تأكيد لعدم الاستطاعة بالجملة الاسمية، و(إنَّ) على التوكيد، و(لن) المؤكد للنفي، وتنكير الصبر، أي: صبراً كان قليلاً أو كثيراً<sup>(٨٧)</sup>.

فتلك الدلالات البلاغية والمعاني البيانية جاءت من إنزال الإنشاء منزلة الخبر، فهذا الأسلوب جمع بين دلالة الأسلوبين في دلالة تضمنية تركيبية، هي تثبیت الفكرة في ذهن المخاطب وتحقيقها، وهذا معنى خبري، وحمل المخاطب على الاعتراف بتلك الحقيقة بعد تدبر وتفكر، وهذا معنى إنشائي.

#### ب- النفي:

النفي أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار، يستعمل لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقاً لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأ ممّا اقتضاه أن يسعى إلى إزالة ذلك بأسلوب النفي<sup>(٨٨)</sup>.

ولهذا الأسلوب أدواته وأساليبه الخاصة، والتي فصلها النحويون في مصنفاتهم، ولكنه قد يوتى من إنزال الإنشاء منزلة الخبر لدلالة النفي.

فقد يأتي الاستفهام بمعنى النفي، وذلك إذا صح طول أداة النفي محل أداة الاستفهام<sup>(٨٩)</sup>، ومنه ما ورد في قصة النبي صالح (عليه السلام) إذ جاء اسم الاستفهام (من) بدلالة النفي في قوله تعالى: ( فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ) [هود: ٦٣].

ف(من) هنا بمعنى (لا) (( لا أحد ينصرنى من الله ويرفع عني عقابه في هذه الحالة ))<sup>(٩٠)</sup>.

وهذه الجملة جواب شرط، وهو إن كنت على بينة، والمعنى: إلزام وجدل، أي: إن كنتم تنكرون نبوتي وتوبخونني على دعوتكم، فأنا مؤمن بأني على بينة من ربي، أفتررون أني عدل عن يقيني إلى شككم، وكيف تتوقعون مني ذلك، وأنتم تعلمون أن يقيني بذلك يجعلني خائفاً من عذاب الله تعالى إن عصيته، ولا أحد ينصرنى من عذابه<sup>(٩١)</sup>.

وسرُّ التعبير في وضع الاستفهام موضع النفي أن المتكلم لا يريد أن يفيد مراده من أول وهلة، ولكنه يريد أن ينبه السامع في صورة سؤال، ويدعوه إلى أن يبحث عن الجواب حتى يصل بنفسه، وتوحي صورة الاستفهام بثقة المتكلم واطمئنانه، وأنه مهما بحث السامع ونقب، فلن يكون أمامه من سبيل إلّا التسليم بهذه الحقيقة، وأن لا نصر إلّا من عند الله تعالى<sup>(٩٢)</sup>.

#### ٢. الأمر بمعنى الخبر:

ويكون اللفظ أمراً والمعنى خبراً نحو ما ورد في قوله تعالى: ( إِنْ مَثَلَّ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) [آل عمران: ٥٩].

فإن لفظة (كن) تدل على الأمر، ولكن المراد بها الخبر والتقرير، والتقدير فيها (كن فيكون) أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهو يكون<sup>(٩٣)</sup>.

و(ثم) هنا للتراخي في الإخبار لا في المخبر عنه، وإنما عبر الله تعالى بالفعل المضارع (كن فيكون) مع أن الأمر كان في الماضي لتصوير ذلك الأمر تصوير مشاهدة وتجسيم في أذهان المخاطبين، كأنه واقع الآن، ولأن المضارع أظهر في التحقق والثبوت<sup>(٩٤)</sup>.

ومنه أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ) [العنكبوت: ١٢]. أي: إنهم سيجملون خطاياهم، ومما يستدل به على صحة مجيء الأمر بمعنى الخبر وقوع التكذيب بعده (إنهم لكاذبون)، والتكذيب إنما يتطرق إلى الإخبار<sup>(٩٥)</sup>.

أو يُنزل الأمر منزلة الخبر بدلالة الإباحة، ذكر السكاكي ذلك قائلاً: (( ومن الجهات المحسنة لا يُراد الطلب في مقام الخبر إظهار معنى الرضا بوقوع الداخل تحت الطلب إظهاراً على درجة كان المرضى مطلوب، قال ابن كثير: " أسيني بنا أو أحسنني لا ملومة"<sup>(٩٦)</sup> فذكر الأمر بالإساءة، ثم عطف عليه بلفظ أو أمر بصد الإساءة تنبيهاً بذلك على أن ليس المراد الأمر الإيجاب المانع عن الترك، لكن المراد هو الإباحة ))<sup>(٩٧)</sup>.

والإباحة، معناه: إذا استعملت صيغة الأمر في مقام توهم فيه السامع أو القارئ عدم جواز الجمع بين أمرين، فيؤذن له بالجمع بينهما مع عدم الحرج في الترك<sup>(٩٨)</sup>.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ( وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ) [البقرة: ٥٧]. فالأمر في قوله: (كلوا من طيبات)، والمراد منه الإباحة (( أي، لياكل كل منكم ما يشاء ويستطيبه، وسياقها يدل على وفور النعم وكثرتها ))<sup>(٩٩)</sup>.

ووجه حسن استعمال الأمر في الإباحة إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب، وإذا حمل أسلوب الإباحة شيئاً من التعظيم للمخاطب أطلق عليه (الإكرام)، وكأن الإكرام قرين الامتنان. فجمالية هذا الأسلوب تظهر في ثراء الدلالة، وتنوعها على الرغم من وجود الشكل المتماثل في الصياغة<sup>(١٠٠)</sup>. فالإباحة في الآية المباركة جاءت لتوحي بدلالة التكريم والامتنان على بني إسرائيل.

## ٢. التحضيض بمعنى الخبر:

قد يخرج التحضيض إلى الخبر بدلالة التوبيخ أو النفي، إذا جاء بعد أداة التحضيض فعل ماضٍ لفظاً ومعنى.

ومنه ما ورد في قصة النبي يونس (عليه السلام) في قوله تعالى: ( فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ فَنَقَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْنَسُ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ) [يونس: ٩٨]. و(لولا) حرف يرد لمعان منها التوبيخ، (( وهو هنا مستعمل في لازم التوبيخ كناية عن التغليظ؛ لأن أهل القرى قد انقضوا، وذلك أن أصل معنى " لولا " التحضيض، وهي طلب الفعل بحث، فإذا دخلت على فعل قد فات وقوعه كانت مستعملة في التغليظ والتنديد والتوبيخ على تفويته ))<sup>(١٠١)</sup>.

ورجح صاحب الأمثل دلالة (لولا) هنا على النفي، فيكون الاستثناء تاماً، بقول: (( إن كلمة " لولا " تعني هنا النفي على رأي بعض المفسرين، ولذلك تم الاستثناء منها بواسطة " إلا " وعلى هذا الأساس يصبح معنى الجملة، لم يؤمن، أي من الأقوام والأمم التي عاشت في الماضي في المدن والأماكن المعمورة أمام أنبياء الله بصورة جماعية (إلا قوم يونس) ))<sup>(١٠٢)</sup>.

فخروج التحضيض بـ(لولا) إلى المعنى الإخباري لدلالة التوبيخ أو النفي، إنما رشح من خلال القاعدة النحوية (إذا جاء بعد " لولا " فعل ماضٍ لفظاً ومعنى خرجت إلى معانٍ أخرى).

أمّا السيد الطباطبائي فكان السياق والحاكم عنده في إفاضة دلالة التركيب في الآية المباركة، (فلولا كانت) فقد رجّح دلالتها على التحضيض ولدخولها على الماضي أفادت اليأس المساق للنفى، وذلك لدلالة ظاهر السياق على ذلك، ورفض القول بالنفى؛ لأنّ الآية بلفظها لا تنطبق عليه بما فيه من خصوصيات، فيكون المعنى على ذلك (( هلا كانت قرية - من هذه القرى التي جاءتهم رسلنا فكذبوهم - آمنت قبل نزول العذاب إيماناً اختيارياً فنفعها إيمانها، لا ولم يؤمن إلّا قوم يونس لما آمنت كشفنا عنهم العذاب ومتعناهم بالحياة إلى حين آجالهم العادية الطبيعية ومنه يعلم أنّ الاستثناء متصل ))<sup>(١٠٣)</sup>.

ونخلص من ذلك كلّهُ إلى أنّ المقاصد والأساليب أيّاً كانت فإنّها تثبت أنّ إنزال الخبر منزلة الإنشاء أو العكس، إنّما يؤدي وظيفة ما، في الوقت الذي يكسب هذا الإنزال الجملة جمالاً أخاداً؛ لأنّها كسرت القاعدة في الصياغة الرتيبة، وتحولت من شكل إلى شكل، فالصورة الجمالية الجديدة صورة انبعثت الرؤية الذاتية في تعبير شفاف خلّاق يأخذ موقعه في نفس المتلقي كما ينبغي له بكلّ دقة وارتياح<sup>(١٠٤)</sup>.

ويبدو ممّا تقدم أنّ استعمال الخبر في موضع الإنشاء، والإنشاء في موضع الخبر استعمال بليغ، يؤدي غرضاً دلاليّاً جديداً، يجمع بين دلالة الأسلوب المبدل منه والمبدل إليه، وهذا الدلالة (التضمنية التركيبية) ما كانت لتظهر لولا هذا العدول، فللمتكلم قصد في العدول من الأمر الصريح مثلاً، إلى الخبر الدال على الأمر، لأنّ الأمر دال على زمن المستقبل، أي وقوعه بعد زمن التكلم، أمّا الخبر ففي الغالب يكون زمنه الماضي، وبخاصة في القصص القرآني، فيعني ذلك أنّ الشيء المطلوب إنجازاً كان قد حصل في زمن سابق لزمن الطلب، فهذا يجعل اطمئناناً لدى المخاطب في الالتزام؛ لأنّ المتلقي يطمئن إلى دلالة الفعل في الماضي أكثر من دلالة الفعل على المستقبل<sup>(١٠٥)</sup>، وكذلك ما نجده في الاستفهام إلى التقرير أو غيرهما، فضلاً عن الدلالات والأغراض التي ذكرناها، منها: التفاضل، والتحرز من الأمر المباشر، والدعاء ... وغيرها.

الخاتمة:

بعد أن شارف البحث على الانتهاء فإنّه من الواجب الوقوف على أهم ما أسرف عنه من نتائج، أهمها:

١. لم يكن مظهر الانزياح شكلياً يتوافر مصداقه على صعيد ترتيب العناصر داخل التركيب النحوي بل يمكن أن يتجسد مظهر الانزياح بما هو مظهر دلالي.
٢. إن الانزياح عن الأصل إلى ما هو خارج عنه لا يعني فقدان الدلالية الأصلية، بل تبقى مرافقة لما استتبع الانزياح من دلالات بيانية وبلاغية، بمعنى أنه يُجمع بين دلالة الأسلوب الأصل، وبين دلالة الأسلوب المنحرف إليه المعنى.
٣. يؤدي السياق الدور الفعّال المؤثر في خلق هذا المظهر الانزياحي، فقد تتوافر العديد من المناسبات المقامية، والملابسات السياقية التي تحتم جنوح التعبير صوب الانزياح رغبة في تحصيل مظاهر بيانية وبلاغية أو رغبة في إجراء التعبير بطريقة لطيفة لها وقعها في النفس تأثيراً.
٤. تتسم المعاني البلاغية التي يخرج إليها هذا الانزياح بسمة الاعمام والشمول، بمعنى أن المعاني التي يمكن أن تُستشف عبر توظيف هذا الانزياح في الأسلوب متنوعة متعددة، تبلغ العشرات ولا تقتصر على معنى دون آخر.
٥. لم تكن المعاني البلاغية التي من الممكن تحصيلها عبر الانزياح في الأسلوب محل اتفاق تام بين الدارسين المحدثين، بل تنوعت أقوالهم واختلفت نظراتهم فيما يمكن أن يستشفوه من هذا الانزياح أو ذلك، وهذا قد يعود إلى ما للتعبير القرآني من قوة في اكتناز الدلالات التي لا تنفد.

- (١) الخصائص: ٢٦٣، وينظر: دلائل الإعجاز: ٣١٤.
- (٢) جدلية الأفراد والتركيب: ١٨٨.
- (٣) ينظر: تحولات البنية في البلاغة العربية: ٢٩٣.
- (٤) ينظر: الأسلوبية والأسلوب: ٩٨.
- (٥) الأسلوبية الروية والتطبيق: ١٧٥.
- (٦) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ٧.
- (٧) أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات: ٥١.
- (٨) أسلوبية الانزياح في المجاز اللغوي - دراسة بلاغية في القرآن (بحث): ٦٢٣.
- (٩) الإيضاح في علوم البلاغة: ٩٢/٣ - ٩٣، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٤٧/٣ - ٣٥٠، وجواهر البلاغة: ٩٣.
- (١٠) علم المعاني دراسة بلاغية: ٤٢٥، وينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٨٠.
- (١١) دلالات التراكيب: ٢٦٦.
- (١٢) جمالية الخبر والإنشاء: ٣٧.
- (١٣) ينظر: معاني النحو: ١٥٨.
- (١٤) دلالات التراكيب: ٢١٦.
- (١٥) دلالة تحول الجملة الخبرية إلى الإنشائية في النص القرآني، مديحة نصير السلمي، (بحث): ١١٨.
- (١٦) العدول من أسلوب الخبر، غالب محمد الشاويش، (بحث): ١٤٠.
- (١٧) ينظر: دلالة تحول الجملة الخبرية إلى إنشائية: ١١٨.
- (١٨) مواهب الرحمن: ١٥/٤، وينظر: المنار: ٢٩٥/٢.
- (١٩) شرح التلخيص في علوم البلاغة: ٩١.
- (٢٠) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٣٨، وأساليب المعاني: ٣٦.
- (٢١) ينظر: الميزان: ٣٨٤/٢٠، والتحرير والتنوير: ٦٠١/٣٠.
- (٢٢) ينظر: من بلاغة النظم القرآني: ٢٥٠، والميزان: ٢٣٧/١١، وخصائص التراكيب ودلالاتها: ٥٨.
- (٢٣) ينظر: العدول من أسلوب الإنشاء إلى الخبر: ١٣٥.
- (٢٤) بلاغة إنزال الإنشاء منزلة الخبر، تيسير النسور، محمد صواله، (بحث): ٩١٠.
- (٢٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١٢٦/١١.
- (٢٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٧/١٦.
- (٢٧) ينظر: نظرات لغوية في القرآن الكريم: ٢٢٥.
- (٢٨) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: ٢٤٩/١٤.
- (\*) ديوان النابغة الذبياني، البيت من مطلع قصيدة (أثاني أبي بيت اللعن): ٢٣.
- (٢٩) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٣٩ - ٤٠.
- (٣٠) ينظر: المطول: ٤٣٣/٣، والبلاغة فنونها وأفانها: ٢٠٣، وجمالية الخبر: ٤٠.
- (٣١) التحرير والتنوير: ٥٨٢/١، وينظر: مواهب الرحمن: ٣٧٠/١.
- (٣٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١٣٧/١، والجملة العربية والمعنى: ١١٨.
- (٣٣) ينظر: العدول عن أسلوب الإنشاء إلى الخبر: ١٣٢.
- (٣٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٥/١.
- (٣٥) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: ١٨٢/١، وإعراب القرآن وبيانه: ١٣٨/١.
- (٣٦) ينظر: المنار: ٣٠٨/١، وزهرة التفاسير: ٢٩٥/١، وأساليب المعاني: ٤١.
- (٣٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٩٩/٢٠، ومنة المنان في الدفاع عن القرآن: ١٧٠/٢.
- (٣٨) ينظر: خصائص التراكيب، محمد أبو موسى: ٢٨٦.
- (٣٩) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٢، والبلاغة فنونها وأفانها: ٢٠٣، ومن بلاغة النظم العربي: ١٤١/٢.
- (٤٠) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣٩/١٤.
- (٤١) في ظلال القرآن: ٢٣٣١/٤.

- (٤٢) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤١، وأساليب الطلب بين النحويين والبلاغيين: ٢٠٥.
- (٤٣) الميزان في تفسير القرآن: ١٨٩/١١، ينظر: أساليب الطلب: ٢٠٤، وأساليب المعاني: ٣٣.
- (٤٤) تفسير المنار: ٢٦٣/١٢، وينظر: تفسير المراغي: ١٥٥/٢.
- (٤٥) ينظر: خصائص التراكيب ودلالاتها: ٥٧.
- (٤٦) ينظر: حاشية الصبان: ٥٥/٣، ومعاني النحو: ٢١٥/٤.
- (٤٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٣/٢٤.
- (٤٨) ينظر: صفوة التفسير: ٩٤/٣، وتفسير المراغي: ٦٩/٢٤.
- (٤٩) الميزان في تفسير القرآن: ٢٣٩/١٣.
- (٥٠) ينظر: تفسير المنار: ٥/٩.
- (٥١) التحرير والتنوير: ١٦٩/١٠، وينظر: زهرة التفسير: ٣٢٧٩/٦.
- (٥٢) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٢.
- (٥٣) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٣، والبلاغة فنونها وأفنانها: ٢٠٣.
- (٥٤) ينظر: أثر القصدية في توجيه الأحكام النحوية، حيدر جاسم جابر، (أطروحة): ٢٤٥.
- (٥٥) البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق: ٦٥.
- (٥٦) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٦٤٧.
- (٥٧) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٣، ومن بلاغة النظم العربي: ١٤١/٢.
- (٥٨) دلالات التراكيب: ٢٦٧.
- (٥٩) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٣/١٢.
- (٦٠) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٤.
- (٦١) ينظر: صفوة التفسير: ٢١٤/٢.
- (٦٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١٦/١٦، والميزان في تفسير القرآن: ١٥٠/١٤.
- (٦٣) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٤.
- (٦٤) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٤، وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق: ٨٠، وبلاغة النظم العربي: ٧٧/٢.
- (٦٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥١/١٩، وصفوة التفسير: ٣٥٣/٢.
- (٦٦) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ٧٩/٢.
- (٦٧) صفوة التفسير: ٤٢٩/١.
- (٦٨) ينظر: خصائص التراكيب ودلالاتها: ٧٥.
- (٦٩) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٤.
- (٧٠) ينظر: تحرير التعبير: ١٩٨.
- (٧١) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٥، ومن بلاغة النظم القرآني: ٢٥٢.
- (٧٢) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٥.
- (٧٣) ينظر: من بلاغة النظم القرآني: ١٧٩، والمنار: ٩٨/١٢، وتفسير المراغي: ٥٠/١٢.
- (٧٤) التحرير والتنوير: ٩٩/١٢.
- (٧٥) الميزان في تفسير القرآن: ٣٠١/١٠.
- (٧٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٣/٣٠ - ٧٤.
- (٧٧) في ظلال القرآن: ٣٨١٤/٦.
- (٧٨) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ١٢٦/٢.
- (٧٩) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١٩١، ومن بلاغة القرآن: ١٢٧.
- (٨٠) ينظر: التعبير القرآني في قصص الأنبياء: ٤٢٣.
- (٨١) إعراب القرآن وبيانه: ٣١٥/٩.
- (٨٢) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٢٧.
- (٨٣) ينظر: دلالات التراكيب: ٢٢٥، وعلم المعاني دراسة بلاغية: ٤٠١.
- (٨٤) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١٩١ - ١٩٢.
- (٨٥) ينظر: المعاني دراسة بلاغية: ٤٠١، والبلاغة فنونها وأفنانها: ١٩١.

- (٨٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٥/١٦.
- (٨٧) ينظر: زهرة التفاسير: ٤٥٦٤/٩، البلاغة فنونها وأفانها: ١٩١.
- (٨٨) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٦.
- (٨٩) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ١٢٥/٢، وجمالية الخبر والإنشاء: ١٤٨.
- (٩٠) تفسير المنار: ١٠٢/١٢.
- (٩١) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٢/١٢، والميزان في تفسير القرآن: ٣١٢/١٠.
- (٩٢) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ١٢٥/٢ - ١٢٦، وأساليب المعاني: ٨٢.
- (٩٣) ينظر: أساليب المعاني: ٦٠.
- (٩٤) ينظر: مواهب الرحمن: ٣٢٥/٥، وزهرة التفاسير: ١٢٥١/٣.
- (٩٥) ينظر: أساليب المعاني: ٦٠.
- (٩٦) البيت لكثير بن عبد الرحمن المعروف بـ(كثير عزة)، من قصيدة (خليلي هذا ربع عزة).  
**أسيئي بنا أو أحسنني لا ملومة لدينا ولا مقيلة إن تقلت**
- (٩٧) مفتاح العلوم: ٣٢٦، وينظر: علم المعاني دراسة بلاغية: ٣٥٧، وجمالية الخبر: ١١٨.
- (٩٨) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ٧٣/٢، وعلم المعاني دراسة بلاغية: ٣٥٧.
- (٩٩) مواهب الرحمن: ٢٩٦/١، وينظر: زهرة التفاسير: ٢٣٩/١١.
- (١٠٠) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ١١٨ - ١١٩.
- (١٠١) التحرير والتنوير: ٢٨٨/١١، وينظر: البلاغة فنونها وأفانها: ١٩٥.
- (١٠٢) الأمتل في تفسير القرآن: ٤٣٦/٦.
- (١٠٣) الميزان في تفسير القرآن: ١٢٥/١٠، وينظر: في ظلال القرآن: ١٨٢١/٣.
- (١٠٤) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٧.
- (١٠٥) ينظر: معاني القبول والرفض في القرآن الكريم، فضيلة عبد العباس الأسيدي، (أطروحة): ١٢٧.

#### المصادر والمراجع

#### الكتب المطبوعة

#### القرآن الكريم

- ❖ أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، مؤسسة بوستان كتاب، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.
- ❖ أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، عبد الله خضر محمد، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٣م.
- ❖ الأسلوبية الروية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.
- ❖ الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٣، (د.ت.).
- ❖ إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص - سوريا، ط٤، ١٤١٥هـ.
- ❖ الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مطبعة أمير المؤمنين "عليه السلام"، قم - إيران، ط١، ١٣٧٩هـ.
- ❖ الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (د.ط)، ٢٠٠٥م.
- ❖ البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، د. محمد بركات حمدي، دار وائل، عمان - الأردن، (د.ط)، ٢٠٠٣م.
- ❖ البلاغة فنونها وأفانها "علم المعاني"، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ❖ تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن أبي الاصبع العدواني (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د.ط)، (د.ت.).
- ❖ التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت١٣٢٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، ١٩٨٤م.

- ❖ تحولات البنية في البلاغة العربية، د. أسامة البحيري، دار الحضارة للطبع والنشر والتوزيع، (د.ط)، ٢٠٠٠م.
- ❖ تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، محمد رشيد بن علي رضا الحسيني (١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، ١٩٩٠م.
- ❖ تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- ❖ جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- ❖ الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي (١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق، ط٤، ١٤١٨هـ.
- ❖ جمالية الخبر والإنشاء - دراسة بلاغية جمالية نقدية، د. حسين جمعة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، ٢٠٠٥م.
- ❖ الجملة العربية والمعنى، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان - الأردن، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- ❖ حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الشافعي (ت ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ❖ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلية (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط٢، (د.ت).
- ❖ خصائص التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ❖ خصائص التراكيب ودلالاتها في القصص القرآني، د. عمر إسماعيل أمين البرزنجي، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م.
- ❖ دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ❖ دلالات التراكيب - دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى، الناشر: مكتبة وهبة، عابدين، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ❖ ديوان النابغة الذبياني، شرح: د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٩٩٤م.
- ❖ شرح التلخيص مفتاح العلوم "المطول"، سعد الدين بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ❖ صفوة التفسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ❖ في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ.
- ❖ في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ❖ معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ❖ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٧م.
- ❖ مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ)، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ❖ من بلاغة النظم العربي - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفه، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- ❖ من بلاغة النظم القرآني، د. بسبوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.



- ❖ مئة المئان في الدفاع عن القرآن، السيد محمد محمد صادق الصدر، مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- ❖ مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، (د.ط)، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ❖ نظرات لغوية في القرآن الكريم، د. صالح بن حسين العايد، دار شبيليا للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

#### الرسائل والأطاريح

- ❖ القصدية وأثرها في توجيه الأحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، حيدر جاسم جابر، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٥م.
- ❖ معاني القبول والرفض في القرآن الكريم - دراسة في الألفاظ والأساليب، فضيلة عبد العباس حسن الأسدي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ❖ البحوث المنشورة
- ❖ أسلوبية الانزياح في المجاز اللغوي دراسة بلاغية في القرآن الكريم، طارق بولخصام، (بحث)، مجلة الإحياء، المجلد: ٢٠، العدد: ٢٥، ٢٠٢٠م.
- ❖ بلاغة إنزال الإنشاء منزلة الخبر مثل من القرآن الكريم، د. تيسير النور، د. محمد أحمد صالحة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، المجلد: ٧، ٢٠١١م.
- ❖ التعبير القرآني في قصص الأنبياء " قصة إبراهيم ولوط نموذجاً"، مجلة سرديات، الجمعية المصرية للدراسات السردية، العدد: ١٦، ٢٠١٥م.
- ❖ دلالة تحول الجملة الخبرية إلى إنشائية في النص القرآني، مديحة خضير السلامي، دراسات الأديان، العدد: ١٨، ٢٠١٠م.
- ❖ العدول عن أسلوب الإنشاء إلى الخبر في نماذج من الآيات، د. غالب محمد حمود الشاويش، المجلة الأردنية في اللغة العربية وأدابها، المجلد: ٦، العدد: ٢، ربيع الأول ١٤٣١هـ، نيسان ٢٠١٠م.
- ❖

## أثر القصة في تنمية التفكير الإبداعي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية

د. رولا الجمل

الباحثة تقوى خالد يوسف

جامعة الجنان / كلية التربية قسم مناهج وطرائق التدريس

١٠٢٠٥٣٤٠@students.jinan.edu.lba

### ABSTRACT

This research sought to study the impact of the story on the development of creative thinking among fifth grade students in the subject of art education in Al-Urouba School for Girls in Diyala Governorate. In completing this study, the researcher relied on the experimental approach, The study sample consisted of (٦٠) students from the fifth grade of primary school, and the experimental group included (٣٠) students, and the control group (٣٠) students. The study reached the following results:

١. There are statistically significant differences between the average performance of the experimental and control groups on the creative thinking scale (fluency), due to the use of the story method in teaching in favor of the post-measurement.
٢. There are statistically significant differences between the average performance of the experimental and control groups on the creative thinking scale (originality), due to the use of the story method in teaching in favor of the post-measurement.
٣. There are statistically significant differences between the average performance of the experimental and control groups on the creative thinking scale (flexibility), due to the use of the story method in teaching in favor of the post-measurement.
٤. There are statistically significant differences between the average performance of the experimental and control groups on the creative thinking scale (sensing problems), due to the use of the story method in teaching in favor of the post-measurement.

## الملخص باللغة العربية

سعى هذا البحث إلى دراسة أثر القصة في تنمية التفكير الإبداعي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية في مدرسة العروبة للبنات التابعة لمحافظة ديالى، وقد اعتمدت الباحثة على المنهج التجريبي، وتمثلت عينة الدراسة بـ (٦٠) تلميذ من تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، بمعدل (٣٠) تلميذاً للمجموعة التجريبية، و(٣٠) تلميذاً للضابطة، وخلص البحث إلى النتائج الآتية:

١. يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات أداء المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس التفكير الإبداعي (الطلاقة)، يُعزى لاستخدام أسلوب القصة في التدريس وذلك لصالح القياس البعدي.
٢. يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات أداء المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس التفكير الإبداعي (الأصالة)، يُعزى لاستخدام أسلوب القصة في التدريس وذلك لصالح القياس البعدي.
٣. يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات أداء المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس التفكير الإبداعي (المرونة)، يُعزى لاستخدام أسلوب القصة في التدريس وذلك لصالح القياس البعدي.
٤. يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات أداء المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس التفكير الإبداعي (الإحساس بالمشكلات)، يُعزى لاستخدام أسلوب القصة في التدريس وذلك لصالح القياس البعدي.

## الفصل الأول: الإطار العام للدراسة

## مقدمة الدراسة

تعد الابتدائية من أهم المراحل الدراسية التي يمر بها الطفل، حيث تعتبر هذه المرحلة نقطة بداية الحياة الدراسية الجدية، وفيها تتشكل شخصية التلميذ وتتحدد مواهبه وقدراته، وتتميز هذه المرحلة بحساسيتها باعتبارها التربة الخصبة التي يتم فيها زرع البذرة الأساسية التي تمهد لإنشاء جيل المستقبل، لذلك فإن دورهم يقع على عاتق الأهالي والتربويين يتمثل بخلق بيئة داعمة لنمو تفكير التلاميذ أصحاب هذه المرحلة بشكل يحفز قدراتهم ومواهبهم.

إن الباحث حول موضوع التفكير في هذه المرحلة التعليمية يرى أن كثيراً من الدراسات اهتمت به، بالإضافة إلى كثير من النظريات التي درست موضوع تنمية الفكر والمعرفة لدى هذه الفئة العمرية، مثل نظرية "جان بياجيه" في النمو المعرفي، التي رأى فيها أن النمو العقلي والمعرفي يشمل جميع المراحل العمرية، وكل مرحلة لها خصائص وميزات وطرق في التعامل معها.

إن المرحلة الابتدائية، وعلى وجه الخصوص الصف الخامس الابتدائي، يكون فيه المتعلم ما زال في مرحلة الطفولة المتأخرة، حيث يكون في عمر يتراوح بين (٦-١٢ سنة)، ويرى (موسى، ٢٠١٤) أن دور المؤسسات التعليمية في هذه المرحلة هو توفير بيئة تتسم بالحرية، حيث يكون خيال أصحاب هذه الفئة العمرية مطلقاً متميزاً بالخصوبة، فإذا منحه الكبار بيئة تتسم بالحرية كاللعب والحركة والتعبير، فإن المتعلم يبدع وابتكار لنفسه حلول، وبذلك تُنمى لديه مهارات التفكير. (موسى، ٢٠١٤، ١٨)

تمثل القصة أسلوباً من أساليب التربية التي استخدمها التربويون في المراحل التعليمية الأساسية، لما لها من دور مهم في النمو بذات الإنسان نفسياً واجتماعياً وعقلياً، وبالإضافة إلى كونها وسيلة للاستمتاع

والترويج عن النفس، يرى (الضبع، ٢٠١١) أنّها تساعد الطفل على الاسترخاء وإضفاء جو اجتماعي فعّال، وتعزّز الثقة والألفة بين المعلم والمتعلم، ويمكن أن تكون عاملاً جوهرياً تركز عليه العملية التعليمية في المراحل التعليمية الأولى، بالإضافة إلى تنمية الميل إلى القراءة والكتابة والإبداع والابتكار عند الطفل المتعلم. (الضبع، ٢٠١١، ٢٣٩).

وقد أشار العديد من الباحثين أمثال (الدريني، ٢٠١٥) و(حبيب، ٢٠١٨)، إلى أنّ غالبية الدراسات الإنسانية أكدت على أنّ الإبداع موجود لدى الأطفال حتى في السنوات المبكرة، وأنّ العناية بهذا الإبداع وتنمية طرق التفكير الإبداعي يجتنب هؤلاء الأطفال العديد من المشكلات النفسية والتربوية والتعليمية التي قد تنشأ نتيجة كبت ابتكاراتهم وعدم الاهتمام بها، وإن المراحل التعليمية الأساسية كالمرحلة الابتدائية تعد من المراحل التي يجب الاهتمام فيها بالتفكير الإبداعي لدى المتعلم. (الدريني، ٢٠١٥، ٩١)، و(حبيب، ٢٠١٨، ١٦)

وإنّ العديد من الكبار قد يندهشون من تصوّرات الأطفال غير المتوقعة عن العالم، وطرقهم الفريدة في التعبير عن خيالهم، وإن هذا الأمر يحتاج إلى الدعم من الكبار ومنح الطفل الثقة في التعبير عن آرائه وأفكاره بكل حرية.

انطلاقاً مما سبق، ارتأت الباحثة اختيار موضوع هذه الدراسة بأثر القصة في تنمية التفكير الإبداعي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية، وذلك من خلال صياغة مجموعة من القصص التي تتناسب مع الفئة العمرية لتلاميذ هذه المرحلة، ودراسة مدى تأثيرها في تنمية بعض المهارات المتعلقة بالتفكير الإبداعي، وهي: "مهارة الطلاقة، ومهارة المرونة، ومهارة الأصالة، ومهارة الإحساس بالمشكلات".

#### إشكالية الدراسة وأسئلتها

باعتبار أنّ كثير من الباحثين توصلوا إلى أنّ استراتيجية التدريس باستخدام القصة تعتبر من الاستراتيجيات التي تساهم في تحفيز وتدريب حواس الطفل المتعلم وإثراء خياله وأفكاره، وذلك لما تحتويه القصة من الناصر المهمة لتدريب الحواس، والعلاقات التي تنشأ بين الطفل والقصة من خلال تتابع أحداثها، الأمر الذي يجعلها بحسب (سلامة، ٢٠١١) باعثاً للتفكير لما تحتاجه من إشغال للعقل في عمليات الفهم والتحليل والتطبيق. (سلامة، ٢٠١١، ٦٥)

وبما أنّ مناهج المرحلة الابتدائية في جمهورية العراق تفتقر للأنشطة التي تهتم بتنمية مهارات التفكير الإبداعي الضرورية للطفل المتعلم، فقد ارتأت الباحثة إجراء دراسة ميدانية تجريبية حول أثر القصة في تنمية التفكير الإبداعي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية، وحددت الباحثة إشكالية الدراسة بالسؤال الآتي: ما أثر التدريس بالقصة في تنمية مهارات التفكير الإبداعي (الطلاقة، المرونة، الأصالة، الإحساس بالمشكلات) لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية في مدرسة العروبة للبنات في ديالى؟

وينقرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما هو أثر التدريس بالقصة في تنمية مهارة الطلاقة الإبداعية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية؟
٢. ما هو أثر التدريس بالقصة في تنمية مهارة المرونة الإبداعية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية؟

٣. ما هو أثر التدريس بالقصة في تنمية مهارة الأصالة الإبداعية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية؟
٤. ما هو أثر التدريس بالقصة في تنمية مهارة الإحساس بالمشكلات لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية؟

### فرضيات الدراسة

#### الفرضية الرئيسية:

"هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في القياس البعدي على مستوى مهارات التفكير الإبداعي في مادة التربية الفنية، تُعزى إلى استخدام القصة في التدريس لصالح المجموعة التجريبية".

من خلال الفرضية الرئيسية للدراسة، يمكن صياغة الفرضيات الفرعية على الشكل الآتي:

١. "هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في القياس البعدي على مستوى مهارات التفكير الإبداعي عند محور الطلاقة، تُعزى إلى استخدام القصة في التدريس لصالح المجموعة التجريبية".
٢. "هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في القياس البعدي على مستوى مهارات التفكير الإبداعي عند محور المرونة، تُعزى إلى استخدام القصة في التدريس لصالح المجموعة التجريبية".
٣. "هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في القياس البعدي على مستوى مهارات التفكير الإبداعي عند محور الأصالة، تُعزى إلى استخدام القصة في التدريس لصالح المجموعة التجريبية".
٤. "هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في القياس البعدي على مستوى مهارات التفكير الإبداعي عند محور الإحساس بالمشكلات، تُعزى إلى استخدام القصة في التدريس لصالح المجموعة التجريبية".

#### أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أثر التدريس بالقصة في تنمية التفكير الإبداعي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية، وذلك من خلال:

١. تسليط الضوء على فاعلية استخدام القصة في تنمية مهارات التفكير الإبداعي (الطلاقة، الأصالة، المرونة، الإحساس بالمشكلات) لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي.
٢. وضع مقياس فعال ومناسب لهذه الفئة العمرية من أجل تقييم مهارات التفكير الإبداعي في نشاطات مادة التربية الفنية.
٣. إعداد وحدتين تدريسيّتين مقترحتين من قِبل الباحثة تهدف إلى تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، وتتضمّن كل وحدة منهما قصة من قصص الأطفال المناسبة والملائمة للفئة العمرية للتلاميذ.

#### أهمية الدراسة

تتبع أهمية هذه الدراسة من خلال النقاط الآتية:

١. تعمل هذه الدراسة على تقديم طريقة تدريس تختلف عن الطرائق التقليدية في تدريس مادة التربية الفنية، وهي طريقة القصة.
٢. قد تساعد هذه الدراسة معلمي ومعلمات المرحلة الابتدائية في تطوير أساليب تدريس التربية الفنية في جمهورية العراق باستخدام القصة في التدريس، وذلك من خلال إعداد نموذج تطبيقي لدرس نموذجي عن طريق القصة.
٣. أهمية المرحلة التعليمية التي ستطبق عليها هذه الدراسة وهي المرحلة الابتدائية، باعتبارها من المراحل الأساسية التي تحتاج إلى اهتمام المعلمين والتربويين بالطفل المتعلم، كونها تستهدف الفئة العمرية التي تمتلك تفكيراً إبداعياً وخيالاً واسعاً بطبيعتها، الأمر الذي يدفعنا إلى الاهتمام بتطوير وتنمية هذا الخيال والتفكير الإبداعي.

### مصطلحات الدراسة

**القصة:** هي "عمل فني يمنح الطفل الشعور بالمتعة والبهجة، كما يتميز بالقدرة على جذب الانتباه والتشويق، بالإضافة إلى إثارة تفكير الطفل وخياله، وقد تتضمن عرضاً أخلاقياً، أو علمياً، أو لغوياً، أو تربوياً، وقد تشتمل على هذه الأمور كلها أو على بعضها". (حطبية، ٢٠١٩، ٥٩).

**القصة إجرائياً:** هي عبارة عن نص قصصي من إعداد الباحثة يتم تقديمه لتلاميذ الصف الخامس الابتدائي بأسلوب يتناسب مع الخصائص النمائية والفكرية والحاجات التربوية لأطفال هذه الفئة العمرية وذلك بقصد تنمية مهارات التفكير الإبداعي (الأصالة، الطلاقة، المرونة، الإحساس بالمشكلات) لديهم.

**التفكير الإبداعي:** "القدرة على إنتاج شيء جديد، والخروج بمخزون من المعلومات التي يمكن الانتفاع والاستفادة منها". (المشرفي، ٢٠١٥، ٤٢).

ويعرّف أيضاً بأنه: "قدرة الفرد على التفكير الحر الذي يمكنه من اكتشاف المشكلات والمواقف الغامضة، وإعادة صياغة عناصر الخبرة في أنماط جديدة عن طريق تقديم أكبر عدد ممكن من البدائل لإعادة صياغة هذه الخبرة بأساليب متنوعة، وملائمة للموقف الذي يواجهه الفرد، بحيث تتميز هذه الأنماط الجديدة الناتجة بالحدادة بالنسبة للفرد نفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه، وهذه القدرة يمكن التدريب عليها وتميئتها". (المنسي، ٢٠١٣، ص: ١٧)

**التفكير الإبداعي إجرائياً:** تعرّفه الباحثة إجرائياً بأنه الدرجة التي سينالها متعلمي الصف الخامس ابتدائي على مقياس مهارات التفكير الإبداعي الذي سيستخدم في الدراسة الحالية.

**الطلاقة:** هي "القدرة على توليد عدد كبير من البدائل أو المترادفات أو الأفكار أو الاستعمالات عند الاستجابة لمثير معين، بالإضافة إلى السرعة والبدئية في توليدها". (جروان، ٢٠١٣، ٨٢).

**الطلاقة إجرائياً:** هي الدرجة التي يحصل عليها تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في أدائهم على مقياس التفكير الإبداعي في محور الطلاقة.

**الأصالة:** هي "القدرة على إنتاج إجابات وأفكار أصيلة غير مكررة بشكل واسع، وكلما قلت درجة شيوع الفكرة ازدادت درجة أصالتها". (علي، ٢٠١٩، ٢٧).

**الأصالة إجرائياً:** هي الدرجة التي يحصل عليها تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في أدائه على مقياس التفكير الإبداعي في محور الأصالة.

**المرونة:** هي "استطاعة المتعلم بتبديل حالته الذهنية بتبديل الموقف الذي يواجهه، وهي عكس عملية الجمود الذهني الذي يميل فيه الفرد إلى تبني أفكار ذهنية محدّدة وشائعة لحل المواقف والمشكلات المتنوعة". (القطامي، ٢٠١٦، ٦٥٤).

**المرونة إجرائياً:** هي الدرجة التي يحصل عليها تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في أدائه على مقياس التفكير الإبداعي في محور المرونة.

**الإحساس بالمشكلات:** هي "قدرة الفرد على ملاحظة الكثير من المشكلات في الموقف الذي يواجهه وإدراك الأخطاء التي يمكن أن يقع بها، والإحساس بالمشكلات يتضمّن ارتفاع مستوى الوعي وزيادته". (القطامي، ٢٠١١، ١٩٩).

**الإحساس بالمشكلات إجرائياً:** هي الدرجة التي يحصل عليها تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في أدائه على مقياس التفكير الإبداعي في الإحساس بالمشكلات.

**المرحلة الابتدائية:** هي المرحلة التي تأتي بعد مرحلة الروضة، وتتكون من ستة صفوف من الصف الأول حتى الصف السادس، وتستمر ستة سنوات، يتم تسجيل الطفل بعمر ستة سنوات، وينتهي منها في عمر الـ (١٢) سنة، وتأتي بعدها المرحلة المتوسطة والمرحلة الإعدادية.

**المرحلة الابتدائية إجرائياً:** هي المرحلة التي ستتم فيها الدراسة التطبيقية، وتتمثل بتلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مدرسة العروبة للبنات في مدينة بعقوبة، محافظة ديالى التابعة لوزارة التربية العراقية.

**التربية الفنية:** تعرف بأنها: "قائمة مختلفة تحتوي على مجموعة من الأنشطة الفنية التي تساعد في تنمية الأنماط السلوكية اللازمة للتفاعل الاجتماعي، وبناء علاقات مثمرة مع الآخرين، وبالذات لدى ذوي الاحتياجات الخاصة، وهذا يساعدهم على الاختلاط والاندماج في المجتمع، وكذلك يمنحهم شعوراً بالاحترام وتقدير الذات والتقدير الاجتماعي لما لها من دور في إشباع احتياجاتهم النفسية". (كرتش، ٢٠١٥، ص: ٥٧).

**التربية الفنية إجرائياً:** يمكن تعريفها إجرائياً بأنها "الموضوعات المتمثلة في التعبيرات الفنية، كالرسم والتصوير والنحت والأشغال الفنية وأشغال الخشب، وغيرها، وهذه الأنشطة تكون فردية أو جماعية، والموضوعات الخاصة بها تكون حرة أو مقيدة".

## الفصل الثاني: الإطار النظري للدراسة

### تمهيد

تعد القصة من أحب ألوان الأدب للتلاميذ، ومن أقربها إلى نفوسهم، كما إنّ توجيه التلاميذ من خلال القصة التربوية الهادفة قد يكون له أثر قوي في تفكيرهم، وبما أن الدراسة الحالية اهتمت بقصص التلاميذ كوسيلة لتنمية مهارات التفكير الإبداعي في مادة التربية الفنية، فقد تناولت الباحثة في الإطار النظري للدراسة ثلاثة مباحث هي: القصة، التفكير الإبداعي، والتربية الفنية، هذه المباحث الثلاثة الأساسية التي سيتم تناولها في الإطار النظري للدراسة.

### المبحث الأول: مفهوم القصة

سنقوم الباحثة في هذا المبحث بوضع مفهوم شامل للقصة، يحتوي على تعريفها وأنواعها وأساليبها وأهدافها وطرق بناء القصة الهادفة.

### أولاً: تعريف القصة

القصة فنٌ أدبيٌّ عالميٌّ قديمٌ جداً، وقد وُجد عند معظم الشعوب والأمم، بل إن القرآن الكريم خاطب الناس بطريقة قصصية ملائمة لميولهم وطبائعهم المعتمدة على حب استماعهم للقصص والأخبار والحكايات المختلفة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أهمية القصة في إيصال الفكرة المطلوبة من الراوي لها إلى المستمع إليها، وقد وجدت الباحثة أنّ هناك الكثير من التعاريف التي تشرح معنى القصة، وسوف

تتناول تعريف القصة عند علماء اللغة العربية، وعند الأدباء، وعند التربويين، وذلك لأهمية المكانة التي نالتها القصة عند هؤلاء.

### القصة عند اللغويين

يقول (القزويني، ١٩٧٩) أن القصة في اللغة "مشتقة من الفعل قصّ، والقاف والصاد أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تتبّع الشيء، حيث يُقال: اقتصصتُ الأثر، أي: تتبّعته، ومنها تأتي القصة والقصص". (القزويني، ١٩٧٩، ج٥، ص١١).

وقال (ابن منظور، ١٩٩٣)، "القصُّ هو الفعل الذي يعبر عن سرد القصص، والمفرد منها: قصة، والقاصُّ هو الذي يأتي بالقصة من أصلها، ويُقال: في رأسه قصة، أي: في رأسه جملة من الكلام، ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: (نَحْنُ نُقِصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ) (سورة يوسف، آية رقم: ٣)، أي: نبين لك أحسن النيان". (ابن منظور، ١٩٩٣، ج٧، ص٧٣).

### القصة عند التربويين

يعرفها (زلط، ٢٠١٤) بأنها: "لون أدبي وقرائي متعدد المضامين، يكتبها الكبار للتلاميذ، وتشتمل على عناصر بناء القصة عند الكبار مثل: الحدث، الشخصية، بيئة القصة الزمانية والمكانية، السرد القصصي والأسلوبي، العقدة الفنية، الانفراج أو الحل، والهدف، ويراعي كاتب القصة تبسيط تلك العناصر لتناسب المراحل والخصائص العمرية النمائية عند التلاميذ". (زلط، ٢٠١٤، ص: ٨٢).

### أهداف القصة:

اهتم أدباء التلاميذ بالقصة باعتبارها الفن الأدبي الشائع والذائع لدى التلاميذ، فهم يحبونها ويتجاوزون معها، فأصبح يتم الاعتماد عليها في إيصال الرسائل التعليمية للتلميذ، وبث الأفكار والقيم والمبادئ من خلال طرح راق للقصة، وأسلوب مشوق يلامس شغاف أفئدة التلامذة، ويغرس في نفوسهم القيم الحميدة من حب الخير للناس، وتجنب كل ما هو مؤذٍ للآخرين، والتعاون والألفة...إلخ. فالتلامذة وخاصة في المرحلة الابتدائية يكون تركيزهم مُستحضرًا لمدة لا تتجاوز البضع دقائق، فلذا كان الاعتماد على القصص القصيرة أكبر في هذه المرحلة، ويكون هدفها يتناسب مع قدرات التلامذة العقلية والفكرية والاستيعابية، لتصل الأهداف المرجوة منها.

### المبحث الثاني: مفهوم التفكير الإبداعي:

في هذا المبحث سنقوم الباحثة بتفصيل مفهوم التفكير الإبداعي، من خلال ذكر تعريفه، وخصائصه، ومهاراته، والنظريات التي تفسره.

### تعريف التفكير الإبداعي

ازداد اهتمام علماء التربية بالإبداع والمبدعين، لما لذلك من أثر على تطور المجتمع وتقدمه، فالتقدم العلمي لا يتحقق إلا من خلال تطوير المهارات والتفكي الإبداعي عند الإنسان.

ولقد عرّف اللغويين التفكير بأنه مشتق من مادة (فكر)، وهو إعمال الخاطر في الشيء، والتفكر اسم التفكير وهو التأمل. (ابن منظور، ١٩٩٣، ص: ٣٠٧)

وترى الباحثة أن التفكير هو عملية عقلية يستخدمها العقل كوسيلة ليتعامل من خلالها مع الوقائع والأحداث التي تجري حوله، وذلك من خلال العمليات المعرفية التي يقدمها التفكير من استخدام للرموز والمفاهيم والعبارات والكلمات...إلخ.

### مراحل التفكير الإبداعي:



طرح المهتمون بالإبداع والباحثون في مجالاته أفكاراً عديدة حول مراحل عملية الإبداع وأكثر هذه الأفكار اتفاقاً كانت بأن للتفكير الإبداعي أربع مراحل هي:

#### ١: مرحلة الإعداد والتحضير:

يرى (سعادة، ٢٠١٣) أن في هذه المرحلة عندما يكون الفرد أو التلميذ يسعى للتخطيط لحل مشكلة ما أو الوصول إلى فكرة جديدة مبتكرة، فإنه يستحضر خبراته السابقة جميعها، التي لم تكن منظمة في ذهنه، فيعمل على تنظيمها وترتيبها بشكل يجعله قادراً على أخذ ما يرتبط منها بالقضية أو المشكلة الحالية، ليكون من خلال هذه المعلومات تصوّر دقيق للمشكلة المطروحة. (سعادة، ٢٠١٣، ص: ٢٥٥)

وترى الباحثة أنّ في مرحلة التحضير يقوم التلميذ بتحديد المشكلة المقّدمة إليه، والبحث عنها وجمع معلومات وبيانات حولها إما من خبراته السابقة أو من طرق أخرى، ليكون فهم واضح عنها.

#### ٢: مرحلة الاحتضان (الكمون):

وفي هذه المرحلة، وبعد أن قام الفرد بالتحضير للمشكلة، وجمع المعلومات اللازمة عنها، يتم التركيز الآن على الفكرة المطروحة، وذلك بعد أن بانّت معالمها وملاحها بشكل واضح، فيتم ترتيب الأفكار المتعلقة بها، والتخلص من كل ما هو بعيد عن المشكلة وجوانبها، أي يتم فلترّة المعلومات لأخذ ما يتناسب مع المشكلة. (سعادة، ٢٠١٣، ص: ٢٥٥)

وترى الباحثة أنّ هذه المرحلة تتطلب من التلميذ أو المتعلم عمل ذهني جاد، بهدف تنظيم المعلومات والخبرات، وجرد الأفكار الغير منتمية للمشكلة وإزالتها، فهي بمثابة شوائب تعيق وصول التلميذ إلى الحل الأمثل.

#### ٣: مرحلة الإشراق أو الإلهام:

وهي المرحلة التي يتم فيها التحليل العميق للمشكلة بكل أبعادها، لإدراك ما بين أجزائها وعناصرها المختلفة من علاقات متداخلة. أي هي مرحلة العمل الدقيق الحاسم للعقل في عملية الإبداع، فالفرد يدرك فيها العلاقة بين أجزاء المشكلة، بما يساعد على انطلاق شرارة الإبداع المطلوبة، أي اللحظة التي تتولد فيها فكرة مبتكرة أو الحل الأنسب للمشكلة. (سعادة، ٢٠١٣، ص: ٢٥٥)

وبالنسبة للباحثة فهي ترى بأن هذه المرحلة تتمثل في قيام التلميذ بإزالة الغموض عن أطراف المشكلة، وفهمها بشكل متمعّن، ومن ثم إنتاج فكرة إبداعية لا يمكن التنبؤ بها إلا من قبل التلميذ المبدع.

#### ٤: مرحلة التحقق (التقويم):

وهي آخر مرحلة من مراحل العملية الإبداعية، وفيها يقوم المتعلم المبدع باختبار فكرته الإبداعية التي توصل إليها في المرحلة السابقة، ويعيد النظر فيها ليتأكد من اكتمالها وعدم حاجتها إلى إضافات أو تهيئات تجعلها أفضل.

#### المبحث الثالث: مفهوم التربية الفنية:

التربية عبارة عن مجموعة أنشطة وتفاعلات إنسانية هادفة ومتجددة ومتواصلة مع متغيرات الحياة وتطورها، وإذا لم تواكب التربية ما يطرأ حولها من متغيرات فإنها ستفقد هدفاً من أهدافها، وعاملاً من عوامل بقائها وتطورها.

والمدرسة هي مؤسسة عمومية، هدفها تحقيق ما تسعى التربية إلى تحقيقه، وبالتالي فهي تسعى إلى تحقيق الكمال، ومن واجبها أن تضطلع بهمة المحافظة على قيم المجتمع، وطريقته في التفكير الإيجابي الذي يجعله يتسم بخصوصيته وتميزه. (عبد الرزاق، ٢٠١١، ص: ٢٠٧)

### أهداف التربية الفنية ودورها في تنمية شخصية التلميذ:

تشمل التربية الفنية أربعة أهداف رئيسية ترتبط ارتباطاً وثيقاً برسالة التربية الفنية، وتتصل هذه الأهداف الأربعة ذات الأهمية البالغة بما يمكن أن يحدث في مجال الفنون البصرية. (Eisner، ١٩٨٥، ص: ١٨) وهذه الأهداف الموجودة ضمن المجالات الأربعة هي كما وضّحها (فضل، ٢٠١٩):

#### ١: تاريخ الفن:

والذي يهدف إلى دراسة الفن في العصور المختلفة، منذ القدم وللوقت الحاضر، كما يهدف إلى التعرف على المدارس الفنية القديمة والحديثة، موضحاً نشأتها وأهم فنانيها ودورهم في تجديد الأسلوب الفني عمّا كان قبلهم.

#### ٢: علم الجمال:

ويهدف إلى دراسة الجمال بكل أنواعه، ومختلف صورته، وتفسير أصوله، والنظريات المتعلقة به وبعلاقته مع الأعمال الفنية الأخرى.

ويهدف أيضاً إلى التعمق في تاريخ الجمال، وبالأقوال المتعلقة به مع الفلسفة التي تصف إما متشعباً منها أو فرع جديد لفروع الفلسفة، فيكون هو الفرع الخامس فيها مضافاً إلى فروعها القديمة الأربعة وهي الغيبيات، وعلم المعرفة، وعلم المنطق والأخلاق.

#### ٣: النقد:

ويهدف إلى دراسة العمل الفني وفهم الفن وأسس وطرائقه، ويكون بعدها إما بنقد الذات الذي لا يبرر الحكم على جمال العمل الفني أو قبّحه.

أو بالنقد الموضوعي الذي يصدر الحكم على الأعمال الفنية بعد إظهار محامدها وسيئاتها.

#### ٤: الإنتاج الفني:

وهو المُستخدم في المؤسسات التربوية والهدف منه هو إنتاج وغرس عادات ومهارات وقيم من خلال ممارسة الأعمال الفنية على الشكل الصحيح.

لذا في هذا المجال يجب على المعلم أن يكون مُلمّاً بأساسيات الأعمال الفنية، وأدواتها واستخداماتها والطرق الأمثل للتعامل معها، والأساليب المتباينة التي يمكن أن تُتبع في الإنتاج والإبداع الفني. (فضل، ٢٠١٩، ص: ٣١٨-٣١٩)

وبالنسبة للباحثة فهي تتوافق مع ما تمّ ذكره من أهداف لتعليم التلامذة التربية الفنية، وبالنسبة للتلاميذ في المرحلة الابتدائية فإن التربية الفنية في هذا العمر تكشف للمعلم عن الفروق الفردية بين التلامذة، مما يسمح له بالتعرف على التلاميذ المبدعين من غير المبدعين، والسعي إلى استخدام الوسائل المناسبة لكل منهم لتنمية مهارات التفكير الإبداعي لديهم في مجال التعبير الفني من خلال القصة.

#### الأدوار التي تلعبها التربية الفنية في تأثيرها على التلاميذ:

للفن والتربية الفنية مجموعة من الأدوار في تأثيرها على التلميذ، وخاصة في المراحل الابتدائية للتعليم، ومن هذه الأدوار:

#### ١: الدور التربوي والتعليمي:

إن للفن، وتربية التلميذ عن طريقة دور كبير في تعليم التلميذ مهارات وأشياء تنمي أفكاره وإبداعاته، وتوسّع من آفاق خياله، فيعبّر عن أفكاره من خلال الفن.

وللفن دور تربوي وتعليمي كبير للتلميذ فهو عبارة عن قوى تُهذب غرائز التلميذ، وترفع بها إلى مستويات رفيعة، وتضمن نمو الذوق والإحساس بالجمال عنده فالتربية الفنية تغير سلوك متعلمها، وتغير عاداته ووجهات نظره لكل ما حوله. (السعادة، ٢٠١٠م، ص: ٤١)

#### ٢: الدور الترفيهي:

للفن دور ترفيهي وترويحي وتنفيسي للتلميذ، فالتربية الفنية تساعد التلامذة في التنفيس عن التعب والمشاكل التي يتعرضون لها في حياتهم اليومية، مع العائلة أو الأصدقاء... إلخ. فالتلميذ يتأثر بما يحيط به، ويجب أن يتم الحفاظ على التوازن النفسي عنده، لضمان الاستقرار والراحة له، فإذا تعرض التلميذ لأي موقف أثر في نفسه ولم يتمكن من التعبير عنه، فذلك سيضره بعدم الأمان والاستقرار، وسيصيبه بالقلق الشديد. كما أن انشغال التلميذ في أوقات فراغه بالأعمال الفنية بدلاً من الأمور الغير ناعمة، ينمي مهاراته، ويساعده في التنفيس كما يجول في خاطره من أحاسيس دون أن يدرك ذلك. (الحيلة، ٢٠١٥م، ص: ٤٥)

#### ٣: الدور الوجداني:

التربية الفنية باعتبارها علم من العلوم الإنسانية تُعنى بالتربية عن طريق الفن في مختلف النواحي العقلية والحسية والوجدانية. (إبراهيم، ٢٠١٤م، ص: ١١١) ولهذا تهتم هذه التربية في تنمية قدرة التلميذ على استخدام حواسه لمنحه قدرة أكبر على التعلم بالقدر الذي يسمح بكشف مهارات التلميذ الكامنة، لتحقيق تنمية الجوانب الروحية والإبداعية له. (عايش، ٢٠٠٨م، ص: ٢٥-٢٦)

#### ٤: الدور الاجتماعي:

هناك عدة وظائف اجتماعية وأدوار يقوم بها الفن ومنها:  
- تدريب التلامذة على الممارسة الديمقراطية للحياة، وتحمل المسؤولية، واتخاذ القرار، واحترام آراء الغير، والتعاون والمشاركة، مما يحقق لهم التكيف الاجتماعي السليم في ظل التطورات السريعة.  
- تنمية قدرة التلامذة على التخطيط، واحترام الأنظمة والقوانين، والاعتماد على النفس والثقة بها، وتنمية روح القيادة لديهم، مما يؤثر على المجتمع الذي يعيشون فيه.  
- تعريف التلامذة على واجباتهم والتزامهم بقوانين الجماعة، وإعدادهم ليكونوا مواطنين صالحين في مجتمعهم.

- يساهم التعليم الفني في تدريب التلامذة بالتعرف على الإمكانيات والخدمات المتوفرة في مجتمعهم، وبالتالي الاستفادة منها في جميع جوانب الحياة الدراسية والعملية، كما يساهم في ربط الحياة المدرسية بالاجتماعية، وفي تحقيق الكفاية المهنية المستقبلية للتلامذة عن طريق إمدادهم بمعلومات عن بعض المهن المطلوبة في مجتمعهم. (السعود، ٢٠١٠م، ص: ٢٥٢)

#### ٥: الدور النفسي:

من أهم الوظائف والأدوار النفسية التي تلعبها التربية الفنية:  
- التربية الفنية الإسلامية تزرع في نفس التلميذ القيم والمبادئ الإسلامية، وتحثه على التمسك بدينه، والاعتزاز به.  
- تحقيق الراحة والصحة النفسية للتلميذ من خلال ممارسته أنشطة ترفيهية ممتعة، بالإضافة إلى الكشف عن الحالات النفسية عنده، والكشف عن الميول العدوانية أو اللطيفة للتلميذ من خلال فهم هذه الانفعالات في رسومه وأشكال الفن الأخرى.

- تنمية الصفات الشخصية الإيجابية عند التلميذ كالثقة بالنفس والاتزان، والصبر... الخ، وتلبية حاجاته النفسية كالحاجة للانتماء والتقدير، وإثارة دافعية التلامذة، واكتشاف ميولهم التي توجههم في حياتهم المستقبلية. (عبد القادر، ٢٠١٥م، ص: ٤٧)

وبهذا ترى الباحثة أن للتربية الفنية أهمية وقيمة كبيرة على التلميذ عموماً وتلاميذ المرحلة الابتدائية خصوصاً لما لها من أدوار ووظائف تؤثر بها على جوانب حياته العلمية والنفسية والوجدانية والاجتماعية، فضلاً عن دورها في تحقيق المتعة والرفاهية للتلميذ، وهذا كله يؤثر على مهاراته العقلية والفكرية، ويساعد على تنمية الإبداع داخله.

**شخصية معلم التربية الفنية وأهم الصفات الواجب توفرها فيه:**

ومن أهم الصفات الواجب توفرها في معلم التربية الفنية:

- أن يكون مؤهلاً تأهيلاً علمياً وتخصصياً، وأن يكون مُربّي وباحث وفنان.
- أن يكون صاحب خبرة متجددة وأصلية ومُعاصرة، فيكون قادراً من خلالها على إضافة قيم فنية جديدة للمتعلم لم يألفها من قبل.
- أن تكون خبرته مبنية على أسس علمية وأكاديمية عريقة، وأن تكون باعثة للثقافة والفكر الإبداعي في نفسه، لتتفق مع طبيعة مَنْ سينقل هذه الخبرة إليهم.
- أن يكون واعياً لفكرة التجدد المستمر في مجال الفن، ويعمل على البحث المستمر عن كل ما هو جديد، لأنه واع بأنه ما يملكه من خبرات حالية ما هي إلا خبرات قديمة وماضية مع مرور الوقت.
- أن يكون متواضعاً، معترفاً بفضل الآخرين عليه فيما يملك من خبرات ومعارف، فليس هناك أستاذ بلا أستاذ، لأن ذلك بدوره ينقل للتلامذة فكرة التواضع وإنكار الذات عند نقل الخبرات للآخرين.
- أن يكون حاصلًا على مستوى خبرة علمي ومعرفي وإدراكي كبير، ليكون مستواه أعلى بكثير من مستوى التلامذة وإلا سيكون نتاج عمله تدمير وهدم لقدراتهم. (عبد القادر، ٢٠١٥م، ص: ٣٣)
- أن يكون مُحباً لمهنته وتلاميذه، تربطه بهم علاقات تعاون وصدقة واحترام، وأن يكون فخوراً بعمله كمعلم، ومؤمناً برسالة العلم وأهدافه.
- أن يكون قدوة حسنة ورائداً لطلبته، ويتسم بقوة الشخصية، والقدرة على التأثير بالآخرين بصورة فاعلة وبتأفة.

- أن يكون عضواً متعاوناً في المدرسة، ومُساهم أساسياً في النشاط الفني للمدرسة من إقامة معارض، أو ندوات ثقافية فنية، وأن يتعاون مع الإدارة المدرسية وتتوفر له الرغبة في القيام بالأعمال الإدارية وفهم تفاصيلها، فهو بذلك وباعتباره قدوة للتلامذة ينقل لهم هذه المهارات القيمة. (إبراهيم، ٢٠١٤م، ص: ١٨٨-١٨٩)

وبهذا ترى الباحثة أنه كل معلم التربية الفنية أن يكون مؤهلاً وكفوءاً بهذا العمل، وأن يكون مُدرباً على القيام به، وأن يمتلك المهارات والقدرات الفكرية والفنية اللازمة التي من واجبه نقلها للتلاميذ بصورة صحيحة.

**القسم الثاني: الجانب التطبيقي للدراسة**

يعتبر هذا القسم استكمالاً للإطار النظري للدراسة، حيث سيتم فيه عرض جوانب الدراسة الميدانية، وكيفية تطبيق أداة الدراسة على عينة الدراسة، والوسائل الإحصائية التي سيتم استخدامها في الوصول إلى نتائج الدراسة.

**الفصل الأول: الإطار المنهجي للبحث**

يتناول هذا الفصل عرضاً لمنهجية البحث ومجتمع الدراسة وعينتها، ووصفاً لأداة الدراسة والخطوات المتبعة في بناءها، وكيفية التأكد من صدقها وثباتها، وإجراءات تطبيقها على أفراد العينة، والوسائل الإحصائية المستخدمة في معالجة بيانات الدراسة التطبيقية.

**أولاً: منهجية الدراسة**

اعتمدت الباحثة في دراستها الميدانية على المنهج التجريبي القائم على مجموعتين تجريبية وضابطة باختبار قبلي وبعدي، وذلك في سبيل معرفة أثر القصة في تنمية التفكير الإبداعي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية.

**ثانياً: مجتمع الدراسة وعينتها**

تشكل المجتمع الخاص بالدراسة الحالية من كل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في المدارس الابتدائية الموجود في ديالى، كما تمثلت العينة بما مجموعه (٦٠) تلميذة تابعين لمدرسة العروبة للبنات، تم تقسيمهم مناصفةً بين المجموعتين الضابطة والتجريبية.

**ثالثاً: الوسائل الإحصائية المستخدمة**

تم استخدام الوسائل الإحصائية التالية:

- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة الدراسة.
- تحليل التباين المصاحب (ManCova) لاستخراج الفروقات بين متوسطات تحصيل طلبة الصف الخامس الابتدائي.
- معامل الارتباط (R-Pearson) للتأكد من ثبات مقياس التفكير الإبداعي المستخدم.

**الفصل الثاني: عرض نتائج البحث ومناقشتها**

في هذا الفصل سيتم الإجابة عن أسئلة الدراسة وإثبات فرضياتها والتوصل إلى نتائج الدراسة.

**أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما هو أثر التدريس بالقصة في تنمية مهارة الطلاقة الإبداعية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية؟**

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي الذين درسوا مادة التربية الفنية على مقياس التفكير الإبداعي (الطلاقة) باختلاف طريقة التدريس المستخدمة (التقليدية، القصة)، والجدول الآتي يبين النتائج الإحصائية:

**الجدول (٣) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاختبار الطلاقة**

| المهارة | المجموعة  | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---------|-----------|-------|-----------------|-------------------|
| الطلاقة | التجريبية | ٣٠    | ٢٤,٠٠           | ٥,٤٩              |
|         | الضابطة   | ٣٠    | ١٦,٢٠           | ٢,٣٤              |
| العام   |           | ٦٠    | ٢٠,١٠           | ٥,٧٥              |

يلاحظ من الجدول السابق أن المتوسط الحسابي للتلاميذ الذين درسوا باستخدام طريقة التدريس بالقصة على مقياس التفكير الإبداعي (الطلاقة) كان الأعلى، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهم (٢٤,٠٠)، بينما المتوسط الحسابي للتلاميذ الذين درسوا بالطريقة التقليدية على مقياس التفكير الإبداعي (الطلاقة) فقد بلغت قيمته (١٦,٢٠).

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما هو أثر التدريس بالقصة في تنمية مهارة المرونة الإبداعية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية؟

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي الذين درسوا مادة التربية الفنية على مقياس التفكير الإبداعي (المرونة) باختلاف طريقة التدريس المستخدمة (التقليدية، القصة)، والجدول الآتي يبين النتائج الإحصائية:

الجدول (٦) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاختبار المرونة

| المهارة | المجموعة  | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---------|-----------|-------|-----------------|-------------------|
| المرونة | التجريبية | ٣٠    | ١٨,٤٦           | ٤,٤٢              |
|         | الضابطة   | ٣٠    | ١٤,٥٦           | ١,٨٩              |
| العام   |           | ٦٠    | ١٦,٥١           | ٣,١٥              |

يلاحظ من الجدول السابق أن المتوسط الحسابي للتلاميذ الذين درسوا باستخدام أسلوب التدريس بالقصة على مقياس التفكير الإبداعي (المرونة) كان الأعلى، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهم (١٨,٤٦)، بينما المتوسط الحسابي للتلاميذ الذين درسوا بالطريقة التقليدية على مقياس التفكير الإبداعي (المرونة) فقد بلغت قيمته (١٤,٥٦).

ثالثاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث: ما هو أثر التدريس بالقصة في تنمية مهارة الأصالة الإبداعية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية؟

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي الذين درسوا مادة التربية الفنية على مقياس التفكير الإبداعي (الأصالة) باختلاف طريقة التدريس المستخدمة (التقليدية، القصة)، والجدول الآتي يبين النتائج الإحصائية:

الجدول (٩) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاختبار الأصالة

| المهارة | المجموعة  | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---------|-----------|-------|-----------------|-------------------|
| الأصالة | التجريبية | ٣٠    | ١٩,٢٢           | ٤,٩٥              |
|         | الضابطة   | ٣٠    | ١٧,٥٢           | ٣,٨٣              |
| العام   |           | ٦٠    | ١٨,٣٧           | ٤,٣٩              |

يلاحظ من الجدول السابق أن المتوسط الحسابي للتلاميذ الذين درسوا باستخدام أسلوب التدريس بالقصة على مقياس التفكير الإبداعي (الأصالة) كان الأعلى، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهم (١٩,٢٢)، بينما المتوسط الحسابي للتلاميذ الذين درسوا بالطريقة التقليدية على مقياس التفكير الإبداعي (الأصالة) فقد بلغت قيمته (١٧,٥٢).

رابعاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع: ما هو أثر التدريس بالقصة في تنمية مهارة الإحساس بالمشكلات لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية؟

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي الذين درسوا مادة التربية الفنية على مقياس التفكير الإبداعي (الإحساس بالمشكلات) باختلاف طريقة التدريس المستخدمة (التقليدية، القصة)، والجدول الآتي يبين النتائج الإحصائية:

## الجدول (١٢) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاختبار الإحساس بالمشكلات

| المهارة           | المجموعة  | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|-------------------|-----------|-------|-----------------|-------------------|
| الإحساس بالمشكلات | التجريبية | ٣٠    | ١٥,٣٢           | ٣,٩١              |
|                   | الضابطة   | ٣٠    | ١٣,٦٦           | ٣,١٨              |
| العام             |           | ٦٠    | ١٤,٤٩           | ٣,٥٤              |

يلاحظ من الجدول السابق أن المتوسط الحسابي للتلاميذ الذين درسوا باستخدام طريقة التدريس بالقصة على مقياس التفكير الإبداعي (الإحساس بالمشكلات) كان الأعلى، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهم (١٥,٣٢)، بينما المتوسط الحسابي للتلاميذ الذين درسوا بالطريقة التقليدية على مقياس التفكير الإبداعي (الإحساس بالمشكلات) فقد بلغت قيمته (١٣,٦٦).

خامساً: النتائج المتعلقة بالسؤال الرئيسي: ما هو أثر التدريس بالقصة في تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة التربية الفنية؟  
للإجابة عن السؤال الرئيسي للدراسة سيتم جمع نتائج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للاختبارات السابقة، والجدول الآتي يوضح ذلك:

## الجدول (١٥) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمقياس التفكير الإبداعي

| المهارة           | المجموعة  | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|-------------------|-----------|-------|-----------------|-------------------|
| الطلاقة           | التجريبية | ٣٠    | ٢٤,٠٠           | ٥,٤٩              |
|                   | الضابطة   | ٣٠    | ١٦,٢٠           | ٢,٣٤              |
| المرونة           | التجريبية | ٣٠    | ١٨,٤٦           | ٤,٤٢              |
|                   | الضابطة   | ٣٠    | ١٤,٥٦           | ١,٨٩              |
| الأصالة           | التجريبية | ٣٠    | ١٩,٢٢           | ٤,٩٥              |
|                   | الضابطة   | ٣٠    | ١٧,٥٢           | ٣,٨٣              |
| الإحساس بالمشكلات | التجريبية | ٣٠    | ١٥,٣٢           | ٣,٩١              |
|                   | الضابطة   | ٣٠    | ١٣,٦٦           | ٣,١٨              |
| الدرجة الكلية     | التجريبية | ٣٠    | ١٩,٢٥           | ٤,٦٠              |
|                   | الضابطة   | ٣٠    | ١٥,٤٨           | ٢,٨١              |

يلاحظ من الجدول السابق أن المتوسط الحسابي للتلاميذ الذين درسوا باستخدام طريقة التدريس بالقصة على مقياس التفكير الإبداعي العام كان الأعلى، فقد بلغ المتوسط الحسابي الكلي لهم (١٩,٢٥)، بينما المتوسط الحسابي للتلاميذ الذين درسوا بالطريقة التقليدية على مقياس التفكير الإبداعي العام فقد بلغت قيمته الكلية (١٥,٤٨).

## استنتاجات الدراسة

١. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات تلاميذ المجموعتين التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لمقياس مهارات التفكير الإبداعي في مادة التربية الفنية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، لصالح المجموعة التجريبية عند محور الطلاقة.

٢. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات تلاميذ المجموعتين التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لمقياس مهارات التفكير الإبداعي في مادة التربية الفنية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، لصالح المجموعة التجريبية عند محور الأصالة.
٣. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات تلاميذ المجموعتين التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لمقياس مهارات التفكير الإبداعي في مادة التربية الفنية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، لصالح المجموعة التجريبية عند محور المرونة.
٤. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات تلاميذ المجموعتين التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لمقياس مهارات التفكير الإبداعي في مادة التربية الفنية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، لصالح المجموعة التجريبية عند محور الإحساس بالمشكلات.

#### التوصيات

من خلال ما توصلت إليه الباحثة من نتائج الدراسة الحالية، توصي بما يأتي:

١. توظيف أسلوب سرد القصص للتلاميذ في مراحل التعليم الابتدائية بهدف تنمية مهاراتهم التفكيرية الإبداعية.
٢. الحرص على دراسة اهتمامات تلاميذ المرحلة الابتدائية وميولهم، والأمر التي تجذبهم وضمان احتواء القصص على أمور تشبع هذه الاهتمامات والميول لهم.
٣. توعية المعلمين على أهمية القصص في تعليم التلاميذ وتنمية مهاراتهم الإبداعية وإعدادهم، وتدريبهم بشكل يجعلهم كفويين ومهيئين لاستخدام هذا الأسلوب في التعليم.
٤. إعطاء الوقت الكافي للتلاميذ للاستماع للقصص العلمية، وتهيئة الأجواء المناسبة لاندماجهم بالقصص وتركيزهم بها، وتأمين الأنشطة اللازمة لضمان حصولهم على المعارف والقيم العلمية المطلوبة.

#### المقترحات

تقترح الباحثة ما يأتي:

١. إجراء دراسة حول تأثير استخدام قصص الأطفال في التدريس على التفكير الابتكاري في المراحل التعليمية المختلفة.
  ٢. إجراء دراسة حول استخدام قصص الأطفال في التدريس بالاعتماد على الانترنت والتكنولوجيا التعليمية.
  ٣. إجراء دراسة عن الاتجاهات المعاصرة في استراتيجيات التدريس التي تهدف إلى تنمية التفكير الإبداعي للمتعلمين.
- بناء برنامج تدريبي أثناء الخدمة لمعلمي ومعلمات المرحلة الابتدائية يتناول الاتجاهات الحديثة في العملية التعليمية.

#### المصادر والمراجع

١. موسى، عبد المعطي نمر والفيصل محمد عبد الرحيم، (٢٠١٠)، أدب الأطفال، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد -عكار.
٢. المطيري، حبيب معلا، (٢٠١١)، دور القصة في حياة التلميذ، مجلة الحرس الوطني، ٩٦-٩٩.



٣. المشرفي، انشراح إبراهيم محمد، (٢٠١٣)، فاعلية برنامج مقترح لتنمية كفايات تعليم التفكير الإبداعي لدى الطالبات المعلمات بكلية رياض الأطفال، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية- مصر.
٤. المنسي، محمود، (٢٠١٣)، الإبداع والموهبة في التعليم، دار المعرفة، الإسكندرية.
٥. المنسي، محمود، (٢٠١٣)، الإبداع والموهبة في التعليم، دار المعرفة، مصر.
٦. جروان، فتحي، (٢٠٠٧)، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، ط١، دار الكتاب، بيروت.
٧. الهرفي، محمد علي، (٢٠١٩)، أدب الأطفال دراسة نظرية وتطبيقية، دار المعالم الثقافية، الأحساء- المملكة العربية السعودية.
٨. القطامي، نايفة، (٢٠١١)، تعليم التفكير للمرحلة الأساسية، ط١، دار الفكر، عمان.
٩. القزويني، أحمد بن فارس، (١٩٧٩)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر، بيروت.
١٠. القزويني، أحمد بن فارس، (١٩٧٩)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر، بيروت.
١١. زلط، أحمد علي عطية، (٢٠١٤)، مدخل إلى أدب الطفولة: أسسه وأهدافه ووسائطه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
١٢. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (١٩٩٣)، لسان العرب، دار صادر للنشر، بيروت.
١٣. سعادة، جودت أحمد، (٢٠١٣)، تدريس مهارات التفكير مع مناهج الأمتة التطبيقية، ط١، دار الشروق، عمان.
١٤. عبد الرزاق، بلشير، (٢٠١١)، وظيفة الفن في التربية، مجلة الآداب واللغات، جامعة تلمسان، ١٨.
١٥. فضل، محمد عبد المجيد، (٢٠١٩)، مفهوم أصول التربية الفنية المعاصرة، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، ٩ (٢)، ص: ٣١٥-٣٤٤.
١٦. الحيلة، محمد محمود، (٢٠١٤)، التربية الفنية وأساليب تدريسها، ط١، دار المسيرة، عمان.
١٧. إبراهيم، ليلى حسني، (٢٠١٤)، مناهج وطرق تدريس التربية الفنية بين النظرية والتطبيق، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
١٨. عايش، أحمد جميل، (٢٠٠٨)، أساليب تدريس التربية الفنية والمهنية والرياضية، ط١، دار المسيرة، عمان.
١٩. السعود، خالد محمد، (٢٠١٠)، مناهج التربية الفنية بين النظرية والبيداغوجيا، ج١، ط١، دار وائل للنشر، عمان.
٢٠. عبد القادر، حمداوي، (٢٠١٥)، دور التربية الفنية في تحسين المستوى التعليمي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأدب واللغات الأجنبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر.

## الاسلوب الموجه ودوره في تطوير رأس المال الفكري: دراسة ميدانية

م.م احمد فاضل سلمان العجيلي المديرية العامة لتربية بابل

العراق / بابل

mustafaadhab@gmail.com

المستخلص:

الهدف الرئيسي من هذه البحث هو معرفة الاسلوب الموجه ودوره في تطوير رأس المال الفكري في قطاع التعليم الأساسي محل البحث (بغداد، بابل، القادسية) في العراق. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقوائم الاستقصاء كأداة رئيسية لجمع البيانات من مجتمع الدراسة البالغ (٢٠٧٩٨) كما بلغت عينة الدراسة (٣٨٤) مفردة وكانت عشوائية حيث تم استخدام برنامج التحليل الإحصائي (SPSS) كحزمه لإدخال ومعالجة وتحليل البيانات. أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وجود علاقة معنوية واثر معنوي بين الاسلوب الموجه وتنمية رأس المال الفكري. أهم توصيات الدراسة هو، تفعيل دور القطاعات المبحوثة متمثلة بقياداتها وملاكاتها التدريسية والتعليمية مع المجتمع، من خلال حث القيادات والملاكات التدريسية والتعليمية بإقامة الندوات بما يسهم وخدمة المجتمع.

### Abstract:

The main objective of this research is to know the guiding style and its role in developing intellectual capital in the basic education sector under study (Baghdad, Babil, Al-Qadisiyah) in Iraq

To achieve the objectives of the study, the researcher used the descriptive analytical method and survey lists as a main tool for collecting data from the study population of (٢٠,٧٩٨).

The sample of the study was (٣٨٤) individuals and it was random, where the statistical analysis program (SPSS) was used as a package for entering, processing and analyzing data .

The most important findings of the study are the existence of a significant relationship and a significant impact between the directed style and the development of intellectual capital.

The most important recommendations of the study is to activate the role of the researched sectors, represented by their leaders and teaching and educational staff, with the community, by urging the leaders and teaching

and educational staff to hold seminars in a way that contributes to community service.

### المبحث الاول: الاطار العام للدراسة

المقدمة:

يشكل الاسلوب الموجه دوراً مهماً وحازماً تتركز عليه مختلف النشاطات على حد سواء في المؤسسات الخاصة والعامية ، وفي العصور الحديثة يشهد العالم تغييرات كثيرة في جميع نواحي الحياة - وبالاخص العقود الأخير من القرن الماضي، وقد انعكست هذه التأثيرات بشكل واضح على طبيعة العلاقات التنظيمية والممارسات الإدارية ، في ظل التطورات التكنولوجية متسارعة وأدوار قد تجاوزت الحدود الخاصة بالدول التي تعيش فيها المؤسسات على مختلف نشاطاتها وأنواعها، وبفعل تطور تأثيرات العولمة وابعادها.

#### ١- مشكلة الدراسة:

في اطار تحديد اوجه القصور المتعلقة في ابعاد القيادات الموقفية ومدى تطبيقها بالقطاعات التعليمية الاساسية محل البحث في تطوير راس المال الفكري، قام الباحث باجراء دراسة استطلاعية قدمت وصفا لعينة البحث، ودراسة مبدئية لتوفير ابعاد القيادة الموقفية في قطاعات التدريسية والتعليمية المستهدفة من خلال البيانات التي توفرت في الاقسام المتخصصة.

وبهذا يمكن تحديد مشكلة البحث بتدني المستويات الخاصة بالبرامج التعليمية وكذلك النقاد في المحتويات والمضامين مقارنة مع التقدم والتطور التعليمي على مستوى الدول وهذا يعكسه الاساليب القيادية، و بينت نسب الاجابة (%٨٧، %٨٨، %٤٧) تبني ادارات المدارس في القطاعات التعليمية الاساسية لاساليب قيادية محددة في جميع الواقف والظروف حيث انه يؤثر الى عدم وجود مرونة في تعامل الادارات المدرسية مع الكوادر التدريسية والتعليمية وهذا يعكس سلبي على العملية التربوية وأدائها وبهذا القطاع التعليمي وتطوير راس المال الفكري المتمثل بالكوادر التدريسية والتعليمية.

#### ٢- اهداف الدراسة:

- الاسلوب الموجه دوره في تنمية راس المال الفكري.
- اظهار واقع الاسلوب الموجه في قطاع التعليم الأساسي محل البحث وبيان دوره في تطوير راس المال الفكري
- تقديم بعض التوصيات التي تساعد قطاع التعليم الاساسي (بغداد، بابل، القادسية) والاستفادة من نتائج البحث.

#### ٣- فروض الدراسة

- ا- ووجد علاقة معنوية بين الاسلوب الموجه وتنمية رأس المال الفكري.
- ب- وجد تأثير بين الاسلوب الموجه وتنمية رأس المال الفكري.

#### ٤- اهمية الدراسة:

- تظهر أهمية الدراسة من أهمية المتغيرات التي تتناولها من خلال تفعيل الاسلوب الموجه ودوره في تطوير رأس المال الفكري وبعدها يمكن تحديد أهمية البحث عن طرق الاتي:
- الأهمية النظرية:

١. تقديم اطار نظري يساهم في تطوير التوجه الفكري والاطر الخاصة بالابحاث المستقبلية التي لها علاقة مباشرة بالموضوع.

٢. وضوح الدور الاسلوبي الموجه من خلال الاساليب القيادية في تطوير رأس المال الفكري في الاطر المبحوثة.

٣. تحديد مستوى تطوير رأس المال الفكري عند المرؤوسين حسب الانماط الاسلوبية الموجه والمتبعة في مداس القطاعات التعليمية الاساسية.

ب- الأهمية التطبيقية:

١. يتأمل الباحث من خلال ما توصلت الي هذه الدراسة من مقترحات وتوصيات ونتائج بخصوص موضوع الدراسة مما ساعد اغلب قادات المؤسسات التربوية ومنها قطاعات التعليمية الاساسية في العراق لرفع المستويات وتطوير لرأس المال الفكري لتحقيق الاهداف العامة لهذه المؤسسات من خلال استخدام نظرية الاسلوب الموجه.

٢. معالجة القصور الذي بينتها الدراسة الاستطلاعية البعض منها حيث اوضحت البيانات التي تعتبر مؤشرا لقياس الكفاءات للقطاعات التعليمية الاساسية محل الدراسة، مثل عدد المدرسين والمعلمين في القطاع والبالغ (٢٠٧٩٨) وعدد البنائات المدرسية البالغة (٩٣٥) في القطاع محل البحث، بوجود ضغوطات عمل في القطاعات التعليمية الاساسية يتطلب تبني قيادات مرنة.

هيكلية الدراسة:

تم تقسيم الدراسة الى ثلاث مباحث، حيث تناول المبحث الاول الاطار العام واختص المبحث الثاني بالاطار النظري للدراسة واختص المبحث الثالث بمنهجية الدراسة واما المبحث الرابع قد اختص بنتائج التليل الوصفي لمتغيرات الدراسة

المبحث الثاني: الإطار النظري للدراسة:

المقدمة:

لبلورة مفاهيم البحث تناول الباحث في هذا هذا البند، الأطاريح النظرية، والمفاهيم المرتبطة بالاسلوب الموجه (Situation Leadership) وبعد ذلك أدبيات راس المال الفكري ( Intellectual Capital)، ومن ثم تحليل العلاقة بين اسلوب الموجه وتطوير راس المال الفكري، وايضا سيتناول الباحث الاطار الخاص بمقترحات الخاصة بتنمية راس المال الفكري في ضوء الاسلوب الموجه.

أولا: الأسلوب الموجه (Rudder):

وهو الاسلوب العالي بالتوجه نحو العمل ومنخفض في اتجاهات العلاقات الإنسانية، وهذا الأسلوب يمارس عندما يكون مستويات الاستعداد للمرؤوسين منخفض، حيث يهتم القائد بالعمل بسبب إن موظفون جدد هم العاملين بالتنظيم، حيث ان القائد يهتم دائما على اعطاء التعليمات وليست بالعلاقات.

ثانيا: مفهوم رأس المال الفكري

المقدمة:

يكون البحث مازال في بدايته تكوينه، ومازال اهتمام اغلب الباحثين يحاولون ان يطوروا من مصطلحاتهم، والان سوف يتخذ هذا الوضع فتره جيدة، يتفقو على مصطلحات مشتركة في هذا المجال.

تعريف راس المال الفكري:

وقد عرف (جاد الرب، ٢٠٠٦) ان رأس المال الفكري هو يعكس جميع الجوانب الفكرية للعقول البشرية المتميزة بدقة عالية، وهي تعكس جميع الجوانب غير الملموسة في جميع المؤسسات، وهي أكثر فعالية وتأثير نحو التميز والنقد العالي من الأصول والجوانب الأخرى الملموسة. (سيد محمد، ٢٠٠٩ ص ٣٣٤)

#### أهمية رأس المال الفكري:

البعض يروي إن لرأس المال الفكري أهمية بالغة تتبع من وجود الاهتمامات المتزايدة بخصوص العناصر البشرية باعتبارها تميزاً لكل مصدر في ضوء إدارة المعرفة والاهتمامات المتزايدة فيها ومصدراً مهماً للتجديدات المستمرة وعلية يتوقف ضمان جميع المنظمات عالمياً ومحلياً، حيث ان الباحثين يشيرون الى ان رأس المال له أهميه فكرية مهمة لتحقيق فوائد لعديدة والمتمثلة في التالي. (Sullivan, P٨٩)

١. من خلال التركيز على دعم الإبداع والابتكار للطاقة الابتكارية، يحافظ عليها، يستثمرها، يكتشفها.  
٢. التركيز على القدرات المحورية في تعزيز القدرات التنافسية الداعمة للقدرة التنافسية. (عبدالله ١٩٩٧ ص ٤٨)

٣. تلبية احتياجات التنمية وجميع الطاقات الإبداع للتعليم المؤسسي. (هاشم ٢٠٠٢ ص ٢٠)

#### العلاقة بين الاسلوب الموجه في تنمية رأس المال الفكري:

من المؤكد أن لاسلوب الموجه في المنظمات المتبعة لها تأثير مباشر مع الأفراد من حيث انجازهم للأهداف ومستوى الاداء للاعمال المطلوب تحقيقها وهذا يكون إيجابياً اوسلبياً على مستويات التنمية لرأس المال الفكري في المنظمات.

#### اثر الأسلوب الموجه (الأمر) في تنمية رأس المال الفكري:

هنالك درجات توجيه عالية عند القائد الموجه، في حين تكون درجة الدعم منخفضة، ويكون الاشراف يشرف على ادق التفاصيل ويحكم الرقابة والسيطرة وممارس الأساليب القيادية مع جميع العمال المحدودي الخبرة باعتبارهم الجدد.

ومن التعريف يبدو أن الأسلوب الأمر في الممارسة العملية باعتماد شعار قم بذلك العمل إنني أمرتك به، يتطلب هذا النوع الاذعان الفوري للأوامر التي تصدر من القائد، ولكنهم لا يهتمون لتوضيح الاسباب من وراء ذلك واذا لم يتمكن تابعيهم من تنفيذ اوامرهم بدون تساؤلات فان هؤلاء القادة الذي يمارسون هذا الاسلوب يلجئون الى التهديد وبدلاً من تفويض الصلاحية فانهم يسعون الى السيطرة المحكمة على كل موقف والرقابة عالية بكل حرص شديد. (Paul R ,٢٠٠٠ : p ٥٥٤).

#### المبحث الثالث منهجية الدراسة:

##### المقدمة:

تعتبر منهجية البحث واجراءاتها محورا رئيسا، يتم من خلالها انجاز الجانب التطبيقي من البحث، وعن طريقها يتم الحصول على البيانات المطلوبة لإجراء التحليل الاحصائي، وللتوصل الى النتائج التي يتم تفسيرها؛ في ضوء ادبيات الدراسة، المتعلقة بموضوع الدراسة، بالتالي تحقق الاهداف التي تسعى لتحقيقها.

##### اولاً: اسلوب البحث:

بناء على طبيعة البحث، والاهداف التي يسعى الى تحقيقها؛ فقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، والذي يعتمد على الدراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا، ويعبر عنها تعبيراً كفيًا وكميًا، كما لا يكتفي هذا المنهج بجمع المعلومات المتعلقة بالظاهرة، من اجل استقصاء مظاهرها وعلاقتها المختلفة، بل يتعداه الى التحليل، والربط، والتفسير، للوصول الى استنتاجات يبني عليها التصور المقترح، بحيث يزيدها رصد المعرفة الموضوعية.

#### وقد استخدم الباحث مصدرين من المعلومات

أ- المصادر الثانوية: حيث اتجه الباحث؛ في معالجة الاطار النظري للبحث الى مصادر البيانات الثانوية، والتي تتمثل في الكتب والمراجع العربية والاجنبية ذات العلاقة، والدوريات، والمقالات، والتقارير، والابحاث، والدراسات السابقة؛ التي تناولت موضوع البحث، مع الاطلاع في مواقع الإنترنت العلمية المختلفة.

ب- المصادر الاولية: لمعالجة الجوانب التحليلية لموضع البحث، حيث لجأ الباحث الى جمع البيانات الاولية من خلال الاستبانة، كأداة رئيسية للبحث، وصممت خصيصا لهذا الغرض.

#### ثانيا: مجتمع البحث:

مجتمع البحث، يعرف بانه جميع مفردات الظاهرة؛ التي يدرسها الباحث، بذلك فان مجتمع البحث هو جميع الافراد، والاشياء التي تكون موضع مشكلة البحث، وبناء على مشكلة البحث واهدافها، فان المجتمع المستهدف هو معلمي ومدري قطاع التعليم الاساسي في (بغداد، بابل، ذي قار) ويرجع السبب في اختيار هذه القطاعات هو البعد الجغرافي والوضع الامني المضطرب في جمهورية العراق، وكذلك تم حصر بيانات مجتمع البحث المعلمين والمدرسين في قطاعات التعليم الاساسي محل البحث، من سجلات اقسام التعليم العام شعبة الملاك، والمحدثة بصورة دورية، واعتبرت هذه البيانات بمثابة اطار لتحديد مجتمع البحث، حيث بلغ العدد الاجمالي (٢٠٧٩٨) من معلمين ومدرسين في القطاعات محل البحث.

#### جدول رقم (١) مجتمع الدراسة الاستطلاعية

| المجموع | القادسية |      | بابل |      | بغداد |      | القطاع<br>مستوى التعليم |
|---------|----------|------|------|------|-------|------|-------------------------|
|         | اناث     | ذكور | اناث | ذكور | اناث  | ذكور |                         |
| ١١٧٢٦   | ١٧٦٥     | ٢٤٥٩ | ١١٤٥ | ١٨٧٢ | ١٦٧٥  | ٢٨١٠ | ابتدائي                 |
| ٩٠٧٢    | ١٣٤٥     | ١٧٢٠ | ١٠٥٣ | ١٦٠٤ | ١٢٥٣  | ٢٠٩٧ | متوسطة                  |
| ٢٠٧٩٨   | ٣١١٠     | ٤١٧٩ | ٢١٩٨ | ٣٤٧٦ | ٢٩٢٨  | ٤٩٠٧ | المجموع                 |

★ المصدر: قسم التعليم العام، شعبة الملاك في القطاعات محل البحث.

#### ثالثا: عينة البحث:

في كثير من الدراسات لا يمكن للباحث ان يتناول كل وحدات المجتمع الاصلي، لذلك يلجأ الباحثون الى اختيار بعض الوحدات الممثلة له وهذه العملية تسمى بالمعاينة، فهي العملية التي تمكننا من اختيار عدد من الافراد للدراسة بطريقة تجعل هؤلاء الافراد يمثلون المجتمع، وفي الدراسة الحالية تم اختيار العينة بطريقة عشوائية وهي الطريقة التي تضمن لكل وحدة فرصة متساوية للاختيار ضمن العينة.

حساب حجم العينة: (Moore ٢٠٠٣)

$$N = \left( \frac{Z}{\sqrt{M}} \right)^2 \quad (1)$$

حيث:

Z: القيمة المعيارية المقابلة لمستوى دلالة معلومة (مثلاً:  $Z = 1,96$  لمستوى دلالة  $0,05$ ).M: الخطأ الهامشي: ويعبر عنه بالعلامة العشرية (مثلاً:  $\pm 0,05$ ).

يتم تصحيح حجم العينة في حالة المجتمعات النهائية من المعادلة:

$$N = \frac{nN}{N+n-1} \quad (2)$$

حيث  $N$  تمثل حجم المجتمع.

باستخدام المعادلة (1) نجد أن حجم العينة يساوي:

$$N = \left( \frac{1,96}{\sqrt{0,05}} \right)^2 \cong 384$$

وحيث إن مجتمع الدراسة بلغ ٢٠٧٩٨ من معلمي ومدرسي قطاع التعليم الاساسي، فإن حجم العينة المعدل

باستخدام المعادلة (2) يساوي:

$$N = \frac{384 \times 20798}{20798 + 384 - 1} \cong 377$$

وبذلك فإن حجم العينة المناسب في هذه الحالة يساوي ٣٧٧ تقريباً.

وقد اختار الباحث عينة عشوائية طبقية من معلمين ومدرسين في قطاع التعليم الأساسي (بغداد، بابل،

القادسية)

جدول رقم (٢)

الأعداد والنسب لعينة الدراسة تبعاً للقطاع التعليمي

| النسبة | العدد | عدد المعلمين والمدرسين | القطاع التعليمي |
|--------|-------|------------------------|-----------------|
| ٣٨     | ١٤٣   | ٧٨٣٥                   | بغداد           |
| ٢٧     | ١٠١   | ٥٦٧٤                   | بابل            |
| ٣٥     | ١٣٣   | ٧٢٨٩                   | القادسية        |
| ١٠٠    | ٣٧٧   | ٢٠٧٩٨                  | المجموع         |

\* المصدر: من إعداد الباحث، بالاعتماد على بيانات الدراسة الاستطلاعية والميدانية.

ومن خلال ما سبق يتبين ما يلي:

أ- بلغ حجم عينة قطاع التعليم الأساسي في بغداد، (١٤٣) مفردة، نظراً لعددهم البالغ (٧٨٣٥) وبلغت الاستثمارات الموزعة (١٤٣)، وتم استرداد (١٣٩) استمارة، مما يعني ان نسبة الاسترداد بلغت (٩٧,٢٪) من الاستثمارات الموزعة.

ب- بلغ حجم عينة قطاع التعليم الأساسي في بابل، (١٠١) مفردة، نظراً لعددهم البالغ (٥٦٧٤).

وبلغت الاستثمارات الموزعة (١٠١) استثمارة، وتم استرداد (٩٩) استثمارة، مما يعني ان نسبة الاسترداد بلغت (٩٨%)، من الاستثمارات الموزعة.

ج- بلغ حجم عينة قطاع التعليم الأساسي في القادسية، (١٣٣) مفردة، نظرا لعددهم البالغ (٧٢٨٩) وبلغ الاستثمارات الموزعة (١٣٣) وتم استرداد (١٣٠) استثمارة، مما يعني ان نسبة الاسترداد بلغت (٩٧,٧%)، من الاستثمارات الموزعة.

#### رابعاً: اداة البحث:

تمثلت أداة الدراسة الميدانية في استثمارة لاستقصاء الرأي، موجهة للسادة المعلمين والمدرسين في قطاع التعليم الأساسي (بغداد، بابل، القادسية) وذلك للتعرف على آرائهم حول واقع القيادة الموقفية ودورها في تنمية راس المال الفكري للقطاعات محل الدراسة.

وقد تم تصميم قوائم الاستبيان في هذه الدراسة لتكون الوسيلة الرئيسية لجمع البيانات الميدانية، بهدف تحقيق أهداف الدراسة، واختيار صحة فرضيات الدراسة، ولتحقيق ذلك فقد تم تصميم استثمارة الاستبيان على النحو التالي:

أ- صممت استثمارة الاستبيان على شكل أسئلة علمية، وشخصية مكتوبة، تتعلق بدراسة دور القيادة الموقفية في تنمية راس المال الفكري حيث تقوم وحدة المعاينة بالإجابة على الاسئلة من خلال اختيار إحدى الإجابات المقيدة في استثمارة الاستبيان كما يلي

- تكونت استثمارة الاستبيان من (٣٥) سؤال شملت قسمين من الاسئلة إضافة إلى الاسئلة الشخصية حيث يتعلق القسم الأول بالقيادة الموقفية والذي شمل على (٢٠) سؤالاً قسمت إلى الأسلوب الموجه، والأسلوب الإقناعي، وأسلوب المشاركة، والأسلوب التفويضي)

- إما القسم الثاني من الاسئلة في استثمارة الاستبيان فيتعلق براس المال الفكري، والتي تضمنت (١٥) سؤالاً، غطت كافة جوانب راس المال الفكري من (راس المال البشري، راس المال الهيكلي، راس المال ألعلاقاتي).

ب- وقد صيغت الإجابات على مقياس ليكرت الخماسي، إذ أعطيت خمس خيارات هي:

( اتفق بشدة - اتفق - محايد - لا اتفق - لا اتفق بشدة).

جدول رقم (٣) مقياس ليكرت للإجابة على فقرات الأسئلة

| التصنيف | اتفق بشدة | اتفق | محايد | لا اتفق | لا اتفق بشدة |
|---------|-----------|------|-------|---------|--------------|
| الدرجة  | ٥         | ٤    | ٣     | ٢       | ١            |

وتم حساب مدى المقياس الخماسي المستخدم في البحث كما يلي:

$$\text{حساب المدى} = (١-٥) / ٥ = ٠,٨٠$$

- من ١,٠٠ إلى ١,٨٠ يمثل بدرجة قليلة جداً.

- من ١,٨٠ إلى ٢,٦٠ يمثل بدرجة قليلة.

- من ٢,٦٠ إلى ٣,٤٠ يمثل درجة متوسطة.

- من ٣,٤٠ إلى ٤,٢٠ يمثل بدرجة كافية.

- من ٤,٢٠ إلى ٥,٠٠ يمثل بدرجة كافية جداً.



#### خامسا: صدق الاستبانة:

يقصد بصدق الاستبان أن تقيس أسئلة الاستبان فيما وضعت لقياسه، وقد قام الباحث بالتأكد من صدق الاستبان من خلال:

##### أ- صدق المحكمين " الصدق الظاهري ":

قبل اعتماد استمارة الاستبان من قبل الباحث، ما تضمنته من أسئلة كان لابد من اختيار صدق المقاييس، وقياس ثبات استمارة الاستبان.

##### ١- اختبار صدق المقياس:

الأداة الصادقة هي الأداة التي تقيس ما صممت من أجل قياس هو المقصود بصدق الأداة هو صدق النتائج التي يتم جمعها، أو التوصل إليها باستخدام تلك الأداة، من أجل اختبار صدق استمارة الاستبان، فقد تم عرض استمارة الاستبان المخصصة للبحث الميداني على الأساتذة والخبراء المختصين في مجال موضوع الدراسة، والاستفادة بارئهم بمدى وضوح، وترابط فقرات الاستمارة، ونوعية الأسئلة، وتوافقها مع موضوع الدراسة.

فبعد إعداد استمارة الاستبان في صورتها المبدئية، تم عرضها على السادة المحكمين، وذلك للتحقق من:

أ- مناسبة الأداة للهدف الذي صممت من أجله.

ب- سلامة صياغة المفردات، ووضوحها.

ج- حذف، أو إضافة ما يراه السادة المحكمون مناسباً، من مفردات، أو تعديلها، وفي ضوء الملاحظات التي أبداها السادة المحكمون، أجريت التعديلات اللازمة، لتأخذ الاستبان صورتها النهائية، وقد تضمنت تعديل، أو حذف، أو إضافة فقرات جديدة.

##### ٢- قياس ثبات استمارة الاستقصاء:

للتأكد من قياس ثبات استمارة الاستبان، حيث تم اختيار عدد (٤٠) مفردة من داخل قطاع التعليم الاساسي محل الدراسة، عينة عشوائية، وتم توزيع عدد (٤٠) استمارة استبان تجريبية عليهم، وبعد مرور اسبوع، تم توزيع استمارة استبان تجريبية اخرى، على نفس العدد من الافراد لقياس ثبات المقياس على الاجابات، وبعد اجراء معامل الارتباط سبيرمان، بين اجابات عينة الدراسة في التوزيع الاول والثاني، وجد ان درجة الترابط بينهما ٠,٨٠، وهو ارتباط قوي، يدل على تجانس اجابات الافراد وثبات المقياس، في استمارتي الاستبان الاولى والثانية ونسبة مقبولة في العلوم الاجتماعية، باعتبار ان اقل نسبة مقبولة ٠,٦٠. Tull, (١٩٨٧).

#### سادسا: صدق الاتساق الداخلي:

يقصد بصدق الاتساق الداخلي، مدي اتساق كل فقرة من فقرات الاستبان مع المحور الذي تنتمي اليه هذه الفقرة، ويتم حساب صدق الاتساق الداخلي لفقرات الاستبان بحساب معاملات الارتباط بين كل فقرة والدرجة الكلية للمحور التابع لها هذه الفقرة وذلك علي النحو التالي.

##### صدق الاتساق الداخلي لأبعاد القيادة الموقفية:

يتضح من الجدول (٥-٣) أن قيم معاملات الارتباط بين كل عبارة من عبارات كل محور من محاور الدراسة والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه الفقرة قيم أكبر من القيمة الجدولية عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، وبالتالي نستنتج من ذلك أن هذه المحاور وما تحويه من فقرات تحقق أهداف القياس المرجوة في

الاستبانة ، حيث تراوحت قيم معاملات الارتباط ما بين (٠,٤٩٥ - ٠,٥٥٤) للمحور الأول، وبين (٠,٤٣٧-٠,٦٧٥) للمحور الثاني، وبين (٠,٤٣٣-٠,٦١١) للمحور الثالث، وبين (٠,٣٨٢-٠,٦٠٤) للمحور الرابع وجميع قيم معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) مما يدل على صدق اتساق الداخلي للاستبيان.

## جدول رقم (٣-٥)

صدق الاتساق الداخلي لأبعاد المقياس القيادة الموقفية

| أسلوب التفويض (المفوض) |          | أسلوب المشاركة (المساند) |          | أسلوب الإقناع (التدريبي) |          | أسلوب الموجه (الأمر) |          |
|------------------------|----------|--------------------------|----------|--------------------------|----------|----------------------|----------|
| معامل الارتباط         | العبارات | معامل الارتباط           | العبارات | معامل الارتباط           | العبارات | معامل الارتباط       | العبارات |
| ٠,٦٠٤**                | ١        | ٠,٤٣١**                  | ١        | ٠,٥٠٥**                  | ١        | ٠,٥٣٢**              | ١        |
| ٠,٥٥٤**                | ٢        | ٠,٥٢٠**                  | ٢        | ٠,٤٣٧**                  | ٢        | ٠,٥٢٤**              | ٢        |
| ٠,٥٤٩**                | ٣        | ٠,٦١١**                  | ٣        | ٠,٦٦٢**                  | ٣        | ٠,٥٣٤**              | ٣        |
| ٠,٣٨٢**                | ٤        | ٠,٤٣٣**                  | ٤        | ٠,٦٥٧**                  | ٤        | ٠,٤٩٥**              | ٤        |
| ٠,٥٥٧**                | ٥        | ٠,٥٨٥**                  | ٥        | ٠,٦٧٥**                  | ٥        | ٠,٥٥٤**              | ٥        |

## صدق الاتساق الداخلي لأبعاد راس المال الفكري:

يتضح من الجدول (٣-٦) أن قيم معاملات الارتباط بين كل عبارة من عبارات كل محور من محاور الدراسة والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه الفقرة قيم أكبر من القيمة الجدولية عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، وبالتالي نستنتج من ذلك أن هذه المحاور وما تحويه من فقرات تحقق أهداف القياس المرجوة في الاستبانة، حيث تراوحت قيم معاملات الارتباط ما بين (٠,٤٣٣ - ٠,٦٧٢) للمحور الأول، وبين (٠,٥١٠ - ٠,٧١٠) للمحور الثاني، وبين (٠,٤٧٠ - ٠,٧١٤) للمحور الثالث، وجميع قيم معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) مما يدل على صدق اتساق الداخلي للاستبيان.

## جدول رقم (٣-٦)

صدق الاتساق الداخلي لأبعاد المقياس راس المال الفكري

| رأس المال العلاقاتي |          | رأس المال الهيكلي |          | رأس المال البشري |          |
|---------------------|----------|-------------------|----------|------------------|----------|
| معامل الارتباط      | العبارات | معامل الارتباط    | العبارات | معامل الارتباط   | العبارات |
| ٠,٥٧٨**             | ١        | ٠,٤٩٨**           | ١        | ٠,٥٧٩**          | ١        |
| ٠,٤٧٠**             | ٢        | ٠,٥١٠**           | ٢        | ٠,٤٣٣**          | ٢        |
| ٠,٦٣٦**             | ٣        | ٠,٧١٠**           | ٣        | ٠,٦٤٩**          | ٣        |
| ٠,٧١٤**             | ٤        | ٠,٥٩٤**           | ٤        | ٠,٦٧٢**          | ٤        |
| ٠,٦٤٥**             | ٥        | ٠,٦١٨**           | ٥        | ٠,٦٥٧**          | ٥        |

#### اختبار ثبات الاستبيان:

يقصد بثبات الاستبيان أن يعطي الاستبيان نفس النتائج لو تم إعادة توزيع الاستبيان علي أكثر من مرة تحت نفس الظروف والشروط نفسها، أو بعبارة أخرى يعني الاستقرار في نتائج الاستبيان وعدم تغيرها بشكل كبير فيما لو تم إعادة توزيعها علي الافراد عدة مرات خلال فترات زمنية معينة وتم التحقق من ثبات الاستبيان بطريقة معامل الفا كرونباخ.

سابعاً: الأساليب الاحصائية:

قام الباحث باستخدام بعض الاساليب الاحصائية لتحليل نتائج الدراسة، وهي:

أ- النسب المئوية

ب- الانحراف المعياري، ومعامل الارتباط:

ج- المتوسط الحسابي: ويشمل مجموع مفردات عينة الدراسة - اجمالي العدد.

د- تحليل الانحدار الخطي البسيط.

هـ- نموذج الانحدار الخطي المتعدد.

و- تحليل التباين ANOVA.

#### المبحث الثالث: نتائج التحليل الوصفي لمتغيرات الدراسة:

المقدمة:

يتضمن هذا الفصل عرضاً لتحليل البيانات واختبار فروض الدراسة، وذلك من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة، واستعراض أبرز النتائج باستمرار الاستبيان التي تم التوصل إليها من خلال تحليل فقراتها، والوقوف على متغيرات الدراسة؛ لذا تم إجراء المعالجات الإحصائية للبيانات المتجمعة في استمارة الدراسة، ثم استخدام برامج الحزم الإحصائية (SPSS v ٢٠) للحصول على نتائج الدراسة، والتي سوف يتم عرضها وتحليلها في هذا الفصل.

أولاً: نتائج التحليل الوصفي للمتغير المستقل الاسلوب الموجه:

يظهر الجدول (٤-١) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والتكرارات لإجابات عينة البحث اتجاه بعد أسلوب الموجه (الأمر)، إذ يلحظ في هذا الجدول بأن الفقرة (٢) الخاصة (يتصرف مدير المدرسة بدون استشارة المعلمين والمدرسين) قد حصلت على أعلى المتوسطات الحسابية فقد بلغ (٤,١٦) وبانحراف معياري (١,٠١). في حين حصلت الفقرة (٤) الخاصة (يستجيب مدير المدرسة لمقترحات المعلمين والمدرسين بخصوص تحسين العمل وتطويره) على أدنى المتوسطات الحسابية بلغ (٢,٧٢) وبانحراف معياري بلغ (١,٢٥).

## الجدول (٤-١)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وأقل درجة وأعلى درجة والوزن النسبي والرتبة لبعده أسلوب الموجه (الأمر)

| م | العبارة  | م     | ±ع    | الترتيب | اتفق بشدة | اتفق | محايد | لا اتفق | لا اتفق بشدة |
|---|--|-------|-------|---------|-----------|------|-------|---------|--------------|
| ١ | يعمل مدير المدرسة على التوجيه والإرشاد والمراقبة باستمرار.                 | ٣,٩٤  | ١,٠٨  | ٣       | ١٤١       | ١٣٣  | ٤٠    | ٤٧      | ٧            |
| ٢ | يتصرف مدير المدرسة بدون استشارة المعلمين والمدرسين.                        | ٤,١٦  | ١,٠١  | ١       | ١٨٠       | ١١٤  | ٤٤    | ٢٤      | ٧            |
| ٣ | يمارس المركزية الشديدة بالعمل.   | ٣,٩   | ٠,٩٦  | ٤       | ١١٢       | ١٥٢  | ٧٥    | ٢١      | ٨            |
| ٤ | يستجيب مدير المدرسة لمقترحات المعلمين والمدرسين بخصوص تحسين العمل وتطويره. | ٢,٧٢  | ١,٢٥  | ٥       | ٤٧        | ٥٠   | ٨٧    | ١٢٠     | ٦٤           |
| ٥ | ينفذ قواعد الثواب والعقاب بحق التدريسيين المقصرين.                         | ٤,٠١  | ٠,٩٨  | ٢       | ١٤٥       | ١٢٦  | ٦٤    | ٣٠      | ٣            |
|   | المعدل العام   | ٣,٧٤٦ | ١,٠٥٦ |         | ١٢٥       | ١١٥  | ٦٢    | ٤٨      | ١٨           |

☆ المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج التحليل الإحصائي لبيانات الدراسة.

ووفقاً لما تقدم يتبين من معطيات الجدول (٤-١) إن المعدل العام للوسط الحسابي لبعده أسلوب الموجه (الأمر) كان (٣,٧٤٦) وبانحراف معياري (١,٠٥٦)، وكانت آراء المبحوثين حول دور القيادة الموقفية، في أسلوب الموجه (الأمر)، تتجه إلى اتفق ب  
ثانياً: نتائج التحليل الوصفي للمتغير تنمية رأس المال الفكري:  
يتكون متغير رأس المال الفكري من ثلاث أبعاد رئيسة وكالاتي:

## أ- التحليل الوصفي لبعده: رأس المال البشري:

يظهر الجدول رقم (٤-٦) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وأقل درجة وأعلى درجة لإجابات عينة البحث اتجاه بعد رأس المال البشري، إذ يلحظ في هذا الجدول بأن الفقرة (٢١) الخاصة (تمتلك المدرسة قيادة ذات رؤية واضحة) قد حصلت على أعلى المتوسطات الحسابية فقد بلغ (٤,٣٦) وبانحراف معياري (٠,٧٦). في حين حصلت الفقرة (٢٥) الخاصة (يكرس المعلمين أو المدرسين كل وقتهم لأغراض التعليم) على أدنى المتوسطات الحسابية بلغ (٤,١١) وبانحراف معياري بلغ (٠,٩٢).

## الجدول رقم (٦-٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وأقل درجة وأعلى درجة والوزن النسبي  
والرتبة لبعده رأس المال البشري

| م  | العبرة  | م    | ±ع    | الترتيب | اتفق بشدة | اتفق | محايد | لا اتفق | لا اتفق بشدة |
|----|---|------|-------|---------|-----------|------|-------|---------|--------------|
| ٢١ | تمتلك المدرسة قيادة ذات رؤية واضحة.                                     | ٤,٣٦ | ٠,٧٦  | ١       | ١٩١       | ١٣٧  | ٣٤    | ٤       | ٢            |
| ٢٢ | يعين المعلم أو المدرس بناءً على الكفاءة العلمية.                        | ٤,٢  | ٠,٩٤  | ٣       | ١٨٢       | ١١٢  | ٥٥    | ١٤      | ٥            |
| ٢٣ | تقدم المدرسة الدعم والمساندة الكاملة للمعلم أو المدرس.                  | ٤,٢  | ٠,٨٧  | ٣       | ١٦٩       | ١٣٠  | ٥٧    | ٩       | ٣            |
| ٢٤ | تشجع إدارة المدرسة المعلمين أو المدرسين بإقامة النشاطات لتنمية المواهب. | ٤,٢٣ | ٠,٧٢  | ٢       | ١٤٤       | ١٨٣  | ٣٦    | ٤       | ١            |
| ٢٥ | يكرس المعلمين أو المدرسين كل وقتهم في المدرسة لأغراض التعليم.           | ٤,١١ | ٠,٩٢  | ٥       | ١٥٢       | ١٣٨  | ٦١    | ١٠      | ٧            |
|    | المعدل العام  | ٤,٢٢ | ٠,٨٤٢ |         | ١٦٨       | ١٤٠  | ٤٩    | ٨       | ٤            |

☆ المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج التحليل الإحصائي لبيانات الدراسة.

ووفقاً لما تقدم يتبين من معطيات الجدول رقم (٦-٤) أن المعدل العام للوسط الحسابي لبعده رأس المال البشري كان (٤,٢٢) وبانحراف معياري (٠,٨٤٢) ، وكانت آراء المبحوثين حول راس المال البشري، وتوجه استجابات عينة البحث إلى اتفق بشدة وتراوحت أدنى الإجابات للفقرات بين (١) وكانت أقصى الإجابات بين (٥).

ب- التحليل الوصفي لبعده رأس المال الهيكلي:

يظهر الجدول رقم (٧-٤) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وأقل درجة وأعلى درجة لإجابات عينة البحث اتجاه بعد رأس المال الهيكلي، إذ يلحظ في هذا الجدول بأن الفقرة (٢٦) الخاصة ( هناك تنوع واضح في الاختصاصات العلمية المتاحة) وقد حصلت على أعلى المتوسطات الحسابية فقد بلغ (٤,٤٤) وبانحراف معياري (٠,٧١). في حين حصلت الفقرة (٢٨) الخاصة ( تعتمد إدارة المدرسة هيكل تنظيمي مرن ينسجم مع تطورات التعليم) على أدنى المتوسطات الحسابية بلغ (٤,٠٥) وبانحراف معياري بلغ (١,٠٥).

## الجدول رقم (٧-٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وأقل درجة وأعلى درجة والوزن النسبي والرتبة لبعد رأس المال الهيكلي

| م            | العبارة  | م     | ± ع   | الترتيب | اتفق بشدة | اتفق | محايد | لا اتفق | لا اتفق بشدة |
|--------------|--|-------|-------|---------|-----------|------|-------|---------|--------------|
| ٢٦           | هناك تنوع واضح في الاختصاصات العلمية المتاحة.                    | ٤,٤٤  | ٠,٧١  | ١       | ٢١٢       | ١٢٤  | ٢٨    | ٤       | ٠            |
| ٢٧           | تتميز أنظمة المعلومات في المدرسة بالدقة والحدثة.                 | ٤,٠٧  | ٠,٩٥  | ٤       | ١٦٣       | ٩٨   | ٨٩    | ١٦      | ٢            |
| ٢٨           | تعتمد إدارة المدرسة هيكل تنظيمي مرن ينسجم مع تطورات التعليم.     | ٤,٠٥  | ١,٠٥  | ٥       | ١٦٤       | ١١٢  | ٥٧    | ٢٦      | ٩            |
| ٢٩           | تتابع إدارة المدرسة معالجة الاختلاف بين الأداء الفعلي والموضوعي. | ٤,١٧  | ٠,٧٤  | ٢       | ١٣٠       | ١٨٧  | ٤٦    | ٣       | ٢            |
| ٣٠           | يتم تطوير العمليات الإدارية باستمرار للتقليل من الأخطاء بالعمل.  | ٤,٠٨  | ٠,٩٨  | ٣       | ١٥٩       | ١١٩  | ٦٤    | ٢١      | ٥            |
| المعدل العام |  | ٤,١٦٢ | ٠,٨٨٦ |         | ١٦٦       | ١٢٨  | ٥٧    | ١٤      | ٤            |

☆ المصدر: من أعداد الباحث بالاعتماد على نتائج التحليل الإحصائي لبيانات الدراسة.

ووفقاً لما تقدم يتبين من معطيات الجدول رقم (٧-٤) إن المعدل العام للوسط الحسابي لبعد رأس المال الهيكلي كان (٤,١٦٢) وبانحراف معياري (٠,٨٨٦) ، وكانت آراء المبحوثين حول رأس المال الهيكلي، وتوجه استجابات عينة البحث إلي اتفق بشدة وتراوحت أدنى الإجابات للفقرات بين (١) وكانت أقصى الإجابات بين (٥).

## ج- التحليل الوصفي لبعد رأس المال العلاقتي:

يظهر الجدول (٨-٤) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وأقل درجة وأعلى درجة لإجابات عينة البحث اتجاه بعد رأس المال العلاقتي، إذ يلحظ في هذا الجدول بأن الفقرة (٣٣) الخاصة (تقدم المدرسة مستوى أداء تعليمي ونتاج علمي متميز لإرضاء المستفيدين) قد حصلت على أعلى المتوسطات الحسابية فقد بلغ (٤,٢٥) وبانحراف معياري (٠,٩٢) في حين حصلت الفقرة (٣٢) الخاصة (تحتفظ المدرسة بعلاقات وطيدة مع المدارس الأخرى) على أدنى المتوسطات الحسابية بلغ (٤,١٣) وبانحراف معياري بلغ (٠,٩٣).

## الجدول رقم (٨-٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وأقل درجة وأعلى درجة والوزن النسبي والرتبة لبعده رأس المال العلاقتي

| م  | العبارة   | م     | ±ع    | الترتيب | اتفق بشدة | اتفق | محايد | لا اتفق | لا اتفق بشدة |
|----|---|-------|-------|---------|-----------|------|-------|---------|--------------|
| ٣١ | تقدم المدرسة الخبرة التي يحتاجه أصحاب المصلحة الخارجية.                                     | ٤,١٨  | ٠,٩٦  | ٣       | ١٧٥       | ١٢٤  | ٤٤    | ١٩      | ٦            |
| ٣٢ | تحتفظ المدرسة بعلاقات وطيدة مع المدارس الأخرى.  | ٤,١٣  | ٠,٩٣  | ٥       | ١٦٧       | ١١٢  | ٧١    | ١٦      | ٢            |
| ٣٣ | تقدم المدرسة مستوى أداء تعليمي ونتاج علمي متميز لإرضاء المستفيدين.                          | ٤,٢٥  | ٠,٩٢  | ١       | ١٩٣       | ١٠٤  | ٥٧    | ٩       | ٥            |
| ٣٤ | تشجع إدارة المدرسة على إقامة العلاقات على مستوى التعليم مع المدارس الأخرى لتبادل المعلومات. | ٤,١٨  | ٠,٩٦  | ٣       | ١٤٢       | ١٦٩  | ٥٠    | ٥       | ٢            |
| ٣٥ | تحرص المدرسة على تكوين صورة ايجابية لدى المجتمع من خلال مستوى أداء تعليمي متميز وكفوء.      | ٤,١٩  | ٠,٨٩  | ٢       | ١٧٩       | ١٠٦  | ٧٠    | ١٢      | ١            |
|    | المعدل العام  | ٤,١٨٦ | ٠,٩٣٢ |         | ١٧١       | ١٢٣  | ٥٨    | ١٢      | ٣            |

☆ المصدر: من أعداد الباحث بالاعتماد على نتائج التحليل الإحصائي.

ووفقاً لما تقدم يتبين من معطيات الجدول رقم (٨-٤) إن المعدل العام للوسط الحسابي لبعده رأس المال العلاقتي كان (٤,١٨٦) وبانحراف معياري (٠,٩٣٢)، وكانت آراء المبحوثين حول رأس المال العلاقتي، وتوجه استجابات عينة البحث ألي اتفق بشدة وتراوحت أدنى الإجابات للفقرات بين (١) وكانت أقصى الإجابات بين (٥).

ويمكن أن نلخص مستويات هذه الأبعاد في ضوء الجدول الآتي:

الجدول رقم (٩-٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وأقل درجة وأعلى درجة والوزن النسبي والرتبة لمتغير رأس المال الفكري

| م | العبرة                                     | م     | ع±    | الترتيب | اتفق بشدة | اتفق | محايد | لا اتفق | لا اتفق بشدة |
|---|--|-------|-------|---------|-----------|------|-------|---------|--------------|
| ١ | رأس المال البشري                           | ٤,٢٢  | ٠,٨٤٢ | ١       | ١٦٨       | ١٤٠  | ٤٩    | ٨       | ٤            |
| ٢ | راس المال الهيكلية                         | ٤,١٦٢ | ٠,٨٨٦ | ٣       | ١٦٦       | ١٢٨  | ٥٧    | ١٤      | ٤            |
| ٣ | رأس المال أعلقاتي                          | ٤,١٨٦ | ٠,٩٣٢ | ٢       | ١٧١       | ١٢٣  | ٥٨    | ١٢      | ٣            |
|   | المعدل العام لمتغير تنمية رأس المال الفكري | ٤,١٩  | ٠,٨٩  |         | ١٦٨       | ١٣٠  | ٥٥    | ١١      | ٤            |

ويلاحظ من خلال بيانات الجدول أعلاه بأن بعد (رأس المال البشري) قد حصل على المرتبة الأولى بمتوسط (٤,٢٢) حسب إجابات عينة البحث، أما أقل بعد فقد كان من نصيب بعد (رأس المال الهيكلية) بمتوسط (٤,١٦٢) حسب إجابات عينة البحث، وبصورة عامة كان المتوسط الحسابي العام لمتغير رأس المال الفكري (٤,١٩) وبانحراف معياري عام بلغ (٠,٨٩). والشكل (٢-٤) يوضح المتوسطات الحسابية لكل بعد من أبعاد متغير رأس المال الفكري. وتنتج استجابات عينة البحث إلى اتفق بشدة وتراوحت أدنى الإجابات للفقرات بين (١) وكانت أقصى الإجابات بين (٥).

ثالثاً: نتائج اختبار فروض الدراسة:

يعد اختبار الفروض أحد الوسائل التي تقيد في تحليل البيانات والتخطيط والتنبؤ واتخاذ القرار، ولاختبار صحة الفرضية الرئيسية الأولى للدراسة تم استخدام معامل الارتباط (بيرسون) SPSS لمعرفة العلاقة بين متغيرات (القيادة الموقفية) و متغير (رأس المال الفكري). كما تم استخدام الانحدار البسيط والانحدار الخطي المتعدد لمعرفة الأثر بين متغير (القيادة الموقفية) على المتغير التابع (رأس المال الفكري).

الفرض الرئيسي الأول:

أولاً: توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الأسلوب الموجه وتنمية رأس المال الفكري.

تتضمن هذه الفقرة اختبار صحة الفرضية الأولى التي تنص على:

"توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الأسلوب الموجه وتنمية رأس المال الفكري"

تركز هذه الفقرة على اختبار صحة الفرضية الأولى المنبثقة من الفرضية الرئيسية الأولى والتي تنص على وجود علاقة معنوية ذات دلالة إحصائية بين الأسلوب الموجه وتنمية رأس المال الفكري"، ويشير الجدول (١٠-٤) إلى أنه لا توجد علاقة ارتباط معنوية بين الأسلوب الموجه وتنمية رأس المال الفكري في معظم القطاعات الثلاثة المبحوثة حيث تراوحت قيم معامل الارتباط ما بين (٠,٠١٣) إلى (٠,١٦٣) وجميعها غير داله عند مستوي (٠,٠٥) وهذه النتيجة تعني أنه لا توجد علاقة بين الأسلوب الموجه وتنمية رأس المال الفكري.



كانت قيمة معامل الارتباط بين الأسلوب الموجه وبعد راس المال الهيكلية في قطاع بغداد هي القيمة الأعلى (٠,١٦٣) وهي غير دالة عند مستوي (٠,٠٥) مقارنة بالقطاعات ذي قار وبابل. وبهذه النتائج يتم رفض الفرضية الفرعية الأولى المنبثقة عن الفرضية الرئيسية الأولى.

#### الجدول (١٠-٤)

#### نتائج علاقة الارتباط بين الأسلوب الموجه وتنمية راس المال الفكري

| المتغيرات      | القطاعات | راس المال البشري | راس المال الهيكلية | راس المال العلاقتي |
|----------------|----------|------------------|--------------------|--------------------|
| الأسلوب الموجه | بغداد    | ٠,٠٩٠            | ٠,١٦٣              | ٠,٠٣٣              |
|                | ذي قار   | ٠,٠١٣            | ٠,٠٥٨              | ٠,٠١٦              |
|                | بابل     | ٠,١٢١            | ٠,٠٨١              | ٠,٠٢٧              |

\*.٠٠٠ Correlation is significant at the (٢-tailed) level

#### المبحث الرابع : النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

- ١- اتضح من خلال المراجعة النظرية أنه وبالرغم من التباين الظاهر في مفهوم القيادة الموقفية وإبعادها وتصنيفاتها ويعود ذلك أساساً إلى اختلاف البيانات التي انطلق منها الباحثون في تجسيد رؤياهم حول القيادة الموقفية إلا أنها لم تصل إلى حد التناقض في اغلب الحالات الأمر الذي يعكس رغبة الباحثين الجادة إلى الوصول إلى جوهر المفهوم.
- ٢- من خلال الواقع العملي يمكن الوصول إلى إن إبعاد الاسلوب الموجه تتفاعل بنسب متفاوتة مع إبعاد راس المال الفكري وهذه النسب تتأثر بدرجة كبيرة بالظروف المتغيرة للمؤسسات التعليمية بمعنى انه قد تتقدم إبعاد أخرى من متغير الاسلوب الموجه في قطاع تعليمي آخر وهذا محكوم أصلاً بطبيعة كل قطاع وما يحيط به من ظروف.

التوصيات:

- ١- تقييم أداء إدارات المدارس في قطاع التعليم الأساسي وتحديد مدى الانحراف عن معايير الاسلوب الموجه، والسعي لسد الفجوة، من خلال تهيئة أليات العمل من منحهم الاستقلالية التامة في العمل، وتفويضهم الصلاحيات وتمكينهم بما يتناسب وضرورات مواجهة المواقف الطارئة.
- ٢- عدم خلق حالات الإحباط لدى القيادات، والعمل على تقديم التشجيع والدعم المادي والمعنوي لغرض تحفيزهم لتقديم أعمال إبداعية

المراجع

- ١- سيد محمد جاد الرب ، موضوعات ادارية متقدمة وتطبيقاتها في منظمات الاعمال الدولية، دار النهضة، ٢٠٠٩ ، ص ٢٣٤.
- ٢-Sullivan , P , "Profiting from Intellectual Capital" , ,op, cit,P٨٩
- ٣-عبد الله الصعدي، أهمية تكوين رأس المال البشري في الوطن العربي، اقتصاديات الإمارات، العدد ٢١، ١٩٩٧، ص ٤٨.
- ٤-هاشم عبد الله الصالح ، رأس المال الفكري البديل لرأس المال النقدي ، الدمام ، جامعة الملك فيصل ٢٠٠٢، المجلة الاقتصادية ، ص ٢.
- ٥ -احمد علي صالح، أنماط التفكير الاستراتيجي وعلاقتها بعوامل المحافظة على رأس المال الفكري، دراسة ميدانية في عينة من شركات القطاع الصناعي الاشتراكي، رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص ٣٧.
- ٦- سيد محمد جاد الرب، إدارة الإبداع والتميز التنافسي، دار النهضة، ٢٠١٣، ص ٤٩٤.
- ٧- Grantham, Charles E.,**Maximizing human Capital**, People Soft, Inc., Vol.٧, No.٦, February,٢٠٠٢, p٢٧.
- ٨- سعد علي حمود العنزي، رأس المال الفكري، الثروة الحقيقية لمنظمات أعمال القرن الحادي والعشرين، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد (٨)، العدد (٢٥)، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠١، ص ٣٠.
- ٩- Paul R. Nail Geoff Mac Doanld , and David A Levy Others taking risks helps us , Proposal of a Four- Dimentional Model of Social Response Psychological Bulletin ١٢٦, no. ٣ :٢٠٠٠ : p ٥٥٤.
- ١٠- Rastagle, P.N.,Knowledge Management& and Intellectual capital-the New Virtuous reality of compitativeness, Human system management,vol.١٩, ٢٠٠٠, p٩.
- ١١ - احمد السيد وآخرون، دور القيادة في بناء الالتزام التنظيمي: دراسة تطبيقية بالقطاع الحكومي بدولة الكويت، ٢٠١٤، ص ٤٣٧
- ١٢- Moore ,D., McCabe ,G., Duckworth ,W, Sctove, S. "**The practice of Business Statistics: Using data for decisions**",٢٠٠٣.
- ١٣- Tull, Donald & Hawkins, Del. (١٩٨٧). " **Measurement and Method**. ٤th ed, Macaillan Publishing. Co'.

## الأوضاع الصحية في البحرين ١٨٩٢ - ١٩٣٩

### دراسة لواقعها والإجراءات الحكومية لمعالجتها

إ.د. عماد جاسم حسن

جامعة ذي قار/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ

[dr.amadgulf@gmail.com](mailto:dr.amadgulf@gmail.com)

الملخص:

يتناول موضوع البحث الأوضاع الصحية في البحرين خلال المدة ١٨٩٢-١٩٣٩ دراسة لواقعها والإجراءات الحكومية لمعالجتها وذلك لأهمية الجانب الصحي في حياة الناس وقد تضمن البحث أربعة محاور تطرق الأول منها الى الموقع الجغرافي واثره في الجانب الصحي ،اما المحور الثاني فقد تناول الأوضاع الصحية في البحرين قبل عام ١٨٩٢ مبينا السمات الأساسية لذلك الواقع خلال تلك المرحلة ،اما بخصوص المحور الثالث فقد تطرق الى الأوضاع الصحية بعد تأسيس الارشالية الامريكية في البحرين والتي عملت على ادخال الطب الحديث اليها،اما المحور الرابع فقد أوضح الإجراءات الحكومية الخاصة بالاهتمام بالواقع الصحي من خلال تشخيص الأسباب التي أدت الى انتشار الأوبئة والأمراض في البحرين وكذلك بيان المعالجات الخاصة لذلك الواقع من خلال جلب الأطباء وفتح العيادات الطبية وتخصيص المبالغ المالية واجراء الدراسات اللازمة لتحسين الواقع الصحي في البحرين .

#### ABSTRACT

The topic of the research deals with the health conditions in Bahrain during the period ١٨٩٢-١٩٣٩, as a study of its reality and government measures to address it, due to the importance of the health aspect in people's lives. As for the second axis, it dealt with the health conditions in Bahrain before ١٨٩٢, indicating the basic features of that reality during that stage. As for the third axis, it touched on the health conditions after the establishment of the American mission in Bahrain, which worked to introduce modern medicine to it. As for the fourth axis, it clarified the procedures The government concerned with paying attention to the health reality by diagnosing the causes that led to the spread of epidemics and diseases in Bahrain, as well as showing the special treatments for that reality by bringing doctors, opening medical clinics, allocating funds and conducting the necessary studies to improve the health reality in Bahrain.

## المقدمة :

مما لا شك فيه ان البحرين من أولى دول الخليج العربي التي اهتمت بالجانب الصحي منذ وقت مبكر وذلك لان الخدمات الصحية تعد من المتطلبات الأساسية لاي مجتمع واحدى حاجاته الضرورية لكونها تمس حياة الفرد وهي السبيل لايجاد مجتمع صحي خال من الأوبئة والامراض ،كما ان الاهتمام بالجانب الصحي يسهم بشكل كبير في تقدم المجتمع وتطوره .

تعرضت البحرين الى العديد من الأوبئة والامراض والتي كان السبب الرئيس لدخولها الى أراضيها موقعها الجغرافي الذي يتوسط الخليج العربي وبكونها محطة للسفن التجارية القادمة من الشرق الى الغرب او بالعكس ،فضلا عن ذلك فإن طبيعة اقتصادها المعتمد على الغوص وراء اللؤلؤ وصيد الأسماك والعمل البحري أدى الى تعرض سكانها الى شتى أنواع الامراض ،ولم تكن المعالجات الطبية بالمستوى الحديث وانما كانت تعتمد بشكل كبير على الطب الشعبي المتمثل بالاعشاب او الكيء او قراءة القران ،لكن مع تأسيس الارسالية الامريكية في البحرين بدأت مرحلة جديدة من تاريخها ولاسيما في المجال الطبي والتي شجعت بالوقت نفسه حكومة البحرين على اتخاذ عدة خطوات للاهتمام بذلك الجانب .

وعلى هذا الأساس جاء اختيارنا لموضوع البحث ((الأوضاع الصحية في البحرين ١٨٩٢-١٩٣٩ دراسة لواقعها والإجراءات الحكومية لمعالجتها)) ،وقد بدأ البحث في عام ١٨٩٢ وذلك لدخول العلاجات الطبية الحديثة الى البحرين من خلال الارسالية الامريكية التي تأسست في البحرين خلال ذلك العام ،اما بالنسبة الى توقف البحث في عام ١٩٣٩ فهو بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية والتي كان لها تأثير على مختلف الجوانب والمجالات لكل دول العالم ومن ثم تأثير ذلك الأوضاع الصحية في البحرين .

قسم البحث الى عدة محاور ،ركز المحور الأول على موقع البحرين الجغرافي واثره في الواقع الصحي لها ،وبين المحور اثر الموقع في المناخ ودرجات الحرارة والرطوبة وأيضا علاقات البحرين التجارية بسبب ذلك الموقع وعمل الأهالي بالغوص وراء اللؤلؤ ومن ثم كل تلك الأمور تعد عوامل مؤثرة في الجانب الصحي .اما بالنسبة الى المحور الثاني فقد تناول الواقع الصحي في البحرين قبل عام ١٨٩٢ والذي أوضح من خلاله الامراض والابوة التي تعرضت لها البحرين خلال تلك المدة وماهي طرق العلاج التي كانت تستخدم مع المرضى .وجاء المبحث الثالث بعنوان الأوضاع الصحية في البحرين بعد تأسيس الارسالية الامريكية فيها عام ١٨٩٢ والذي تضمن نقطتين الأولى تناولت تأسيس الارسالية الامريكية في البحرين والأسباب التي دفعتهم الى ذلك ،اما النقطة الثانية فقد تطرقت الى افتتاح مركز الارسالية وانطلاق نشاطها الصحي الذي كان بسيطاً في بداية الامر لكنه بمرور الوقت اخذ يتصاعد حتى تم افتتاح مستشفى في عام ١٩٠٠ ووصول عدد من الأطباء الى البحرين ومن ثم تطور نشاط الارسالية في المجال الصحي.

اما بخصوص المحور الرابع فقد تناول إجراءات حكومة البحرين الصحية حتى عام ١٩٣٩ والذي تضمن الخطوات والإجراءات التي اتخذتها حكومة البحرين من اجل معالجة الواقع الصحي لابناءها . اعتمد البحث على مجموعة كبيرة من المصادر المتنوعة يأتي في مقدمتها الوثائق غير المنشورة والتي واهمها سجلات حكومة الهند التي حوت على وثائق مهمة تتعلق بالأوضاع الصحية وانتشار الأوبئة والامراض في البحرين فضلا عن الإعلانات التي كانت تصدرها الحكومة البحرينية لمعالجة تلك الأوضاع ،الى جانب الحصول على بعض التقارير التي كتبها المسؤولين البريطانيين عن المنطقة ،وبالتالي استفاد البحث كثيرا من تلك الوثائق التي حملت معلومات مفصلة بذلك الخصوص ،كما تمت الاستفادة من وثائق

الإرسالية الأمريكية والتي ضمت معلومات مهمة سواء عن الواقع الصحي في البحرين أو عن الخدمات التي كانت تقدمها الإرسالية، وإلى جانب تلك الوثائق استفاد البحث من مجموعة من الرسائل والأطاريح الجامعية، فضلاً عن بعض كتب المذكرات وأيضاً الإفادة من العديد من المصادر التي تناولت تاريخ المنطقة بشكل عام أو تاريخ البحرين بالخصوص .

#### المحور الأول: موقع البحرين الجغرافي وأثره في الواقع الصحي

تقع البحرين في الجانب الغربي من الخليج العربي وإلى الغرب من شبة جزيرة قطر وإلى الشرق من ساحل الأحساء في المملكة العربية السعودية وهي عبارة عن مجموعة من الجزر يبلغ عددها ٣٣ جزيرة تقع في خليج كان يسمى (خليج سلوى) بالقرب من الساحل الغربي للخليج العربي<sup>(١)</sup>، وأهم تلك الجزر (البحرين، المحرق، ستره، أم نعسان، النبي صالح، أم الصبان)<sup>(٢)</sup> كما تقع البحرين بين دائرتي عرض ٢٥:٤٥ و ٢٦:٢٥ شمالاً وبين خطي طول ٥٠:٢٥ و ٥٠:٤٥ شرقاً<sup>(٣)</sup>.

ونتيجة لموقعها وسط الخليج العربي فقد عدت البحرين من المراكز التجارية الهامة في الخليج العربي، إذ قامت بدور كبير في إثراء حركة التجارة البحرية منذ القدم وكان بعض أهلها يمتلكون السفن التي تنقل التجارة من بلدان الخليج العربي إلى شبه القارة الهندية وبالعكس<sup>(٤)</sup>، وبالتالي فأنها اشتهرت كمركز تجاري مهم في الخليج العربي إلى جانب البصرة ومسقط وهرمز وبذلك كانت مرسى للسفن التجارية القادمة من بلاد الهند والصين<sup>(٥)</sup> ويستدل من ذلك أن العديد من الأفراد والجماعات كانوا يأتون من تلك المناطق سواء للعمل في البحرين أو المرور بها أثناء متاجرتهم مع المناطق الأخرى وبالتالي فإن أولئك الأشخاص يكونون مصدراً لنقل الأمراض والعدوى التي تنتشر في مناطقهم، وهذا يعني أن موقع البحرين الجغرافي المميز في الجانب الملاحي والتجاري قد يكون سبباً في بعض الأحيان بانتشار الأوبئة والأمراض فيها .

إلى جانب ذلك فإن مناخ البحرين يعد في بعض الأوقات مناخاً غير صحياً، إذ أن البحرين تمتاز بدرجات حرارة مرتفعة طوال العام كما أن الرطوبة تكون مرتفعة لاسيما بالصيف وتمتاز بقلّة سقوط الأمطار وهذا ما جعلها من المناطق الفقيرة بغطائها النباتي<sup>(٦)</sup> وبالتالي فإن تلك المميزات تؤثر في الجانب الصحي، وفي هذا الصدد ذكر لوريمر قانلا ((وبشكل عام كان المناخ في البحرين أفضل قليلاً من جو مسقط وبندر عباس وبالتأكيد يفوق شواطئ القطيف المجاورة ولكن مرض الروماتيزم شائع بشكل كبير، كما تكثر أمراض القلب والرئتين بسبب الرطوبة العالية))<sup>(٧)</sup>، وعليه فإن قساوة البيئة الطبيعية وفقّر تربتها جعلتهم يتجهون صوب البحر للإفادة منه فتعلموا الملاحة وركوب البحر وعاشوا على صيد الأسماك والتجارة وأصبحوا بحارة ماهرين من الدرجة الأولى، وصاروا ملاحين وصيادين وتجار وغواصين وراء اللآلئ وبذلك استطاعوا أن يعوضوا ما فقدوه في البر من خيرات<sup>(٨)</sup>.

ومن خلال ما تقدم، يمكن القول بأن مناخ البحرين متمثلاً بدرجات الحرارة العالية كان له أثراً كبيراً على نشاط السكان وأصبح عاملاً مساعداً للقيام بنشاط ملاحى ممثلاً بالغوص وراء اللؤلؤ والتجارة، لكن ذلك المناخ كانت له مضار صحية، إذ أن العمل في الغوص غالباً ما يعرض الغواصين لإصابات واعراض لكونها مهنة فيها الكثير من المخاطر أثناء عملية الغوص<sup>(٩)</sup> ومن بين أهم الأمراض التي كانت تصيب الغواصين أثناء مواسم الغوص على اللؤلؤ هي أمراض الجهاز التنفسي والصرع الحراري والتهابات الأذن وام زليغة وهو احد الأمراض الجلدية التي تصيب الغاصة، ومرض الطنان الذي يصيب الأذن ومرض أبو اقشاش الذي يؤدي إلى تساقط اسنانهم وظهور الطفح الجلدي على الفخذين، ويرجع سببه إلى سوء التغذية، فضلاً عن الأمراض التي يسببها استعمال مياه البحر المالحة<sup>(١٠)</sup> ومن الأخطار الأخرى

التي تواجه الغواصين والتي تسبب لهم الإصابة ببعض الامراض هو تعرضهم لما يعرف بالعاف أي (الماء البارد) وهو طبقة باردة تكون قريبة من قاع البحر يتعرض لها الغاصة اثناء البحث عن اللؤلؤ ويعد الدردور وهو تيار مائي قوي يصيب الغواصين عند نزولهم للبحر بتعب شديد ويرهقهم ويسبب أحيانا اصطدام أجسادهم بالسفينة محدثا إصابات بليغة وجروح خطيرة لديهم<sup>(١١)</sup>.

عرف عن مهنة الغوص وراء اللؤلؤ بأنها مهنة تشوبها المخاطر وذلك بسبب كثرة الاخطار والامراض التي تواجه العاملين فيها ومن تلك الاخطار التي يواجهها الغواصين هي وجود الأسماك والكائنات البحرية الخطرة التي تسبب الرعب في نفوس البحارة ،ويعد سمك القرش المعروف (الرجرجور) احد اخطر تلك الكائنات البحرية ،اذ كان يتبع ظل سفن الغوص داخل المغاص وينتظر نزول الغاصة حتى يفترسهم ،اذ أودت تلك الأسماك بأرواح الكثير من الغواصين واصابت اخرين في احسن الأحوال بإعاقات جسدية خطيرة ،اما سمك اللخمة وهي سمكة سامة احجامها مختلفة ومنها نوع يسمى (اطبيجي) يخشاها الغواصين خلال الغوص ،اذ انها تعتلي ظهر الغواص خلال انشغاله في جمع المحار ويوجد في ذيلها شوكة سامة وحين تضرب تكون اصابتها مميتة أحيانا ولكنها نادرة الحدوث ،وهناك نوع اخر من الأسماك يعرف ب(الدجاجة) ويكون هذا النوع من الأسماك ذو اشواك حادة وهي من الأسماك التي يخشاها الغواصين لخطورتها ،ومن الكائنات البحرية الخطرة أيضا ما يسمى ب(الدول) وهو كائن بحري يشبه الاخطبوط ذو لون ابيض ،وتؤدي ضربته الى احداث قروح في الجسم تستلزم أحيانا عودة المصاب الى اهله لعلاج<sup>(١٢)</sup>.

والى جانب تلك الامراض كان الغواصين من اكثر الفئات التي تتعرض الى الضرر او ما يطلق عيه (المس الشيطاني) في موسم الغوص ،لانهم يغوصون في الأعماق حسب تفسيرهم فيلمسون احد الجان المتشككين على حياة سمكة او صخرة فيتلبس الغواص ويخرج من القاع وقد تجبست يده ولسانه فلا يستطيع الكلام فيقوم احد البحارة بالقراءة عليه بآيات من القرآن الكريم حتى يشفى وبعضهم يشتد المرض عليه فيعالجونه بالأدوية الشعبية المتوفرة لديهم ،فاذا لم يتحسن يتم كيه بالنار ،فاذا لم ينفع هذا وذلك يقومون برفع النوف أي العلم الأسود فتأتي النشالة<sup>(١٣)</sup> وتعود به الى البلاد ،ونتيجة لإيمانهم الشديد بتلك المعتقدات ،فقد اشتهرت فيما بينهم أسماء لشياطين ومردة وأسماء لبعض الهيرات (مواقع الغوص) المسكونة التي يكثر فيها عدد الغاصة المتلبسين بالجان<sup>(١٤)</sup>.

وعلى قدر كبير من الأهمية، كانت بعض سفن الغوص الكبيرة تصطحب معها أحد قراء القرآن الكريم، بهدف معالجة بعض الغاصة نتيجة تعرضهم لبعض الامراض والمخاطر لاسيما الصرع الذي يصاب به بعض الغاصة من جراء ما يشاهدونه في قعر البحر من مناظر موحشة ومفزعة وهنا يأتي دور المطوع أي قارئ القرآن الكريم ليخفف من شدة المصروع عن طريق قراءة بعض الآيات او كتابة بعض التعاويذ<sup>(١٥)</sup>.

المحور الثاني: الواقع الصحي في البحرين قبل عام ١٨٩٢

عرف أبناء الخليج العربي بشكل عام وأبناء البحرين بشكل خاص منذ القدم عدة طرق للطب وتركيب الادوية وهو ما يطلق عليه بالطب الشعبي، ومما سهل عليهم معرفة اسرار تلك المهنة توارثها مع الأجيال ويكون العلاج من خلال ذلك الطب باستخدام الأعشاب والحشائش والنباتات او عن طريق الكي أو قراءة بعض السور والآيات او استخدام الحجامة<sup>(١٦)</sup>.

عاش سكان منطقة الخليج العربي عموماً واهل البحرين بشكل خاص من اجل تامين حياتهم على ارضهم واستطاعوا ان يتغلبوا على الكثير من الصعوبات والاطخار التي تواجههم ومنها انتشار الامراض والابوئة التي كانت لا تقاوم في الوقت الذي لم تكن تتوفر اللقاحات او العلاجات الطبية الحديثة وبذلك فقد عانى المجتمع البحريني في الماضي من العديد من الامراض التي كانت تحول دون تطوره<sup>(١٧)</sup>.

كانت الأوضاع الصحية في منطقة الخليج العربي تعاني من الإهمال والتدهور والتدني وكانت البحرين بوصفها احدى امارات الخليج العربي تعاني من نفس الظروف الصحية المتردية وذلك نتيجة الفقر والجهل والافتقار الى المؤسسات الصحية الحديثة، يضاف الى ذلك ما كانت تفرضه البيئة الطبيعية المتمثلة بالحرارة والرطوبة التي ساعدت على انتشار الامراض والابوئة<sup>(١٨)</sup>.

الواقع ان انعدام المؤسسات الصحية الحكومية والطب الحديث هذا لا يعني عدم وجود اشخاص لديهم خبرة في مجال معالجة بعض الامراض وكان ذلك الامر شائعاً ليس في البحرين فحسب بل في اغلب مناطق الخليج والعراق وهو ما يطلق عليه بالطب الشعبي او العلاج بالأعشاب<sup>(١٩)</sup> وكانت طريقة التداوي تعتمد على الطرق البدائية، فضلاً عن اعتماد السكان على العقاقير العشبية للتداوي، فمثلاً كانوا يستخدمون (السوس الأبيض) لعلاج الحمى بعد وضعه على حافة النهر ليلة الخميس، كما انهم كانوا يستخدمون خرزة صفراء اللون حول الرسغ للشفاء من اليرقان، وللسكتة الدماغية توضع حديدية ساخنة خلف الرقبة ولعلاج الجروح يوضع البارود على الجرح لشفائه ولإيقاف النزيف تحمل خرزة تسمى فص سليمان ولعلاج لدغة العقرب يوضع معدن خاص على المنطقة المصابة لسحب الدم، كما استخدموا السكين لعلاج الدم (الحجامة) ووخز الجسم بأبرة ساخنة لمعالجة عرق النسا، ولمعالجة بعض الامراض الجلدية فقد كانت تدهن بالدهن المقلي واكثر الامراض التي كانت شائعة هي الطاعون الذي يفتك بالآلاف من السكان وكذلك الجدري والكوليرا والحمى التيفوئيدية والداوننتري والبلهارزيا والزحار وامراض العيون وتكون الحصى في المثانة والكلى<sup>(٢٠)</sup>.

فضلاً عن ذلك، فقد استخدم أهالي البحرين طرقاً أخرى للعلاج يعتمد بعضها على الادعية الدينية وبعضها الآخر على الأعشاب الطبيعية ومن تلك العلاجات الكي بالنار في مواقع مختلفة من الجسم حسب حالة المريض، فقد يوصي المعالج الشعبي بكي المريض على ظهره او ساقيه او على جانبيه راسه من جهة الوجه، وأحياناً يتم العلاج بطريقة تدعى الفصد وهي جرح موضع من الجسم وترك الدم ينساب منه باعتبار ان الدم الذي يسيل هو الدم الفاسد دون ان يتم تشخيص الحالة بشكل صحيح<sup>(٢١)</sup>.

تعرض سكان البحرين الى عدة امراض كانت منتشرة في المنطقة ومنها السل والزهري والجدري والبلهارزيا وامراض الجهاز الهضمي، فضلاً عن امراض الرمد والسعال الديكي والجدري والحصبة<sup>(٢٢)</sup>، اما الامراض المعوية والتناسلية فقد كانت منتشرة في البحرين أيضاً، نظراً لتلوث الماء والجهل بمبادئ النظافة وسوء التغذية وانتشار الحشرات، فضلاً عن امراض المعدة والعيون كالرمد الحبيبي والترخوما والماء الأبيض وكانت هذه الامراض من الأسباب التي تؤدي الى فقدان البصر وترجع أسباب تلك الامراض الى الرمال المتحركة والمتطايرة في الهواء وانتشار الذباب وغيره من الحشرات واستعمال المياه الملوثة<sup>(٢٣)</sup> ومن الامراض الأخرى المنتشرة في البحرين هي امراض التهابات الاذن بسبب الغوص على اللؤلؤ وكذلك الامراض الجلدية والروماتيزم عند كبار السن<sup>(٢٤)</sup>.

كانت البحرين قد تعرضت خلال القرن التاسع عشر الى مجموعة من الأوبئة والامراض كان في مقدمتها انتشار مرض الكوليرا فيها عام ١٨٢١ وكذلك عودة هذا المرض اليها مرة أخرى في عام ١٨٧١ والذي حصد أرواح الكثير من ابناءها<sup>(٢٥)</sup>، كذلك تعرضت البحرين لمرض الطاعون في عام ١٨٣١ والذي

انتقل اليها من الهند وذلك لان البحرين كانت ترتبط بعلاقات تجارية كبيرة مع الهند خلال تلك المدة وبالتالي تسببت تلك القوافل التجارية بنقل المرض اليها<sup>(٢٦)</sup> وبذلك يلاحظ ان البحرين قد تعرضت الى موجات عدة من الأوبئة والامراض التي فتكت بسكانها ولم تكن تستخدم العلاجات الطبية الحديثة وانما كان الاعتماد بشكل رئيس على الطب الشعبي في معالجة تلك الامراض ،وبالتالي فان الطب الحديث لم يدخل الى البحرين الا بعد عام ١٨٩٢ بعد تأسيس الارشالية<sup>(٢٧)</sup> الامريكية فيها .

المحور الثالث: الأوضاع الصحية في البحرين بعد تأسيس الارشالية الامريكية ١٨٩٢

أولاً: تأسيس الإرسالية الأمريكية العربية:

مما لا شك فيه أن النشاط التبشيري يعد أحد الوسائل المهمة التي ارتكزت عليها الدول الاستعمارية لتنمية مصالحها في منطقة الخليج العربي، إذ إنها هدفت من ورائها توثيق أواصر العلاقة والصدقة مع سكان المنطقة وإبراز الوجهة المشرق للتبشير<sup>(٢٨)</sup>، وذلك من خلال الأنشطة الصحية والتعليمية التي تقوم بتقديمها البعثات التبشيرية للسكان مستغلة بذلك الظروف التي كانت عليها منطقة الخليج العربي<sup>(٢٩)</sup>. وبذلك فإن التبشير هو أحد الوسائل التي سلكتها الدول الاستعمارية وأقاموا لها المؤسسات الخاصة بها والتي كانت في بدايتها لأغراض دينية، لكنها سرعان ما استغلت واستخدمت لأغراض سياسية وفي الوقت الذي كانت فيه معظم القوى الغربية تتسابق وتتنافس للسيطرة على منطقة الخليج العربي في القرن التاسع عشر كان النشاط التبشيري يتهاياً لمواكبتها والتحالف معها<sup>(٣٠)</sup> ومن المبررات التي كان يستند عليها المبشرون للتبشير في منطقة الخليج العربي هي أن هذه المنطقة قبل الإسلام كانت متأثرة بالمسيحية ويجب إعادتها إلى ما كانت عليه ،كما رأوا في مكانة السيد المسيح في القرآن الكريم وسيلة ومدخلا لإقناع العرب المسلمين بالمسيحية<sup>(٣١)</sup> وكانت الإرساليات التبشيرية التي وصلت إلى تلك المنطقة تابعة للمذهب البروتستانتي<sup>(٣٢)</sup> الذي وضع أسسه وتعاليمه زعيم الإصلاح البروتستانتي مارتن لوثر (Martin Luther)<sup>(٣٣)</sup> والتي انسجمت معها فيما بعد كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بوصفهما دولا بروتستانتيين بالدرجة الأولى<sup>(٣٤)</sup>.

وبعد أن وضع المبشرون تفاصيل خطة العمل بدؤوا بالإعداد لتنفيذها وكانت المسألة الأساسية التي بدؤوا بها هي دراسة كل ما يتعلق بالمنطقة من معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية ودينية<sup>(٣٥)</sup>، وبعد اجتماعات طويلة ومكثفة في بداية عام ١٨٨٩ وفي إحدى كنائس مدينة نيويورك بولاية نيو جيرسي الأمريكية التابعة إلى هيئة الإرساليات الأجنبية لكنيسة الإصلاح الهولندية البروتستانتية في الولايات المتحدة الأمريكية ،صادق مجموعة من الأمريكيين المتحمسين على تأسيس منظمة سميت ب الإرسالية الأمريكية العربية (Arabian American Mission)<sup>(٣٦)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض المبشرين الأمريكيين قد وصلوا إلى شمال العراق وشمال ووسط إيران منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، إلا أن أي مبشر أمريكي لم يصل سواحل الخليج العربي إلا بعد تأسيس الإرسالية الأمريكية العربية<sup>(٣٧)</sup>.

ولم تكد تنتهي تلك الاجتماعات التي قادها الدكتور لانسنغك (dr.lansing) الذي كان أستاذا للغة العربية والعبرية في معهد اللاهوت وثلاثة من مساعديه وهم جيمس كانتين (Games cantine) وفليب فليبس (Philip Philips) وصموئيل زويمر (Samuel Zwemer)<sup>(٣٨)</sup> حتى اخذ هؤلاء



المبشرون يعملون على صياغة أهداف الإرسالية ووضع آليات عملها ومصادر تمويلها وتشكيل فرق العمل الخاصة بذلك<sup>(٣٩)</sup>.

ولغرض الاطلاع على البلاد التي سوف تباشر بها الإرسالية عملها، فقد قام جيمس كانتين وسموئيل زويمر برحلات إلى بلاد الشام وزيارة بعض مدن الخليج العربي، ومن خلال ذلك تمكن زويمر من تأليف سبعة عشر كتابا عن شبه الجزيرة العربية تحدث فيها عن زيارته ومشاهداته فيها ويعد كتاب الجزيرة العربية مهد الإسلام (Arabia, the cradle of Islam) من أهم تلك المؤلفات<sup>(٤٠)</sup>.

وبعد جمع تلك المعلومات والقيام بحملات التبرع المادية والعينية في بعض الكنائس الأمريكية، بدأت الإرسالية عملها باختيار مدينة البصرة في عام ١٨٩١ لتكون مركزا رئيسا لإعمال الإرسالية وقاعدة لعملياتها في منطقة الخليج العربي<sup>(٤١)</sup>.

الواقع، أن هنالك عاملا مهما قد ساعد الإرسالية الأمريكية العربية في عملها، إذ إنها استغلت الأوضاع السيئة التي كانت تعاني منها ليس منطقة الخليج العربي فحسب بل اغلب البلاد العربية، تلك الأوضاع المتمثلة بالفقر والتخلف والجهل والأوضاع الصحية المتردية، فضلا عن ذلك سيطرة البريطانيين على اغلب مناطق الخليج العربي<sup>(٤٢)</sup> ومعاناة سكان المنطقة من تلك الأوضاع في الوقت الذي جاءت به الإرسالية وهي ترفع شعارات التعليم وتقديم الخدمات الصحية، فأكسبها قبولا لدى سكان المنطقة ولو بنسبة معينة.

ثانيا: افتتاح مركز الإرسالية في البحرين ونشاطها الصحي

بعد أن قامت الإرسالية بافتتاح مركزها في البصرة، أخذت تعمل على توسيع نشاطها في المناطق الأخرى في الخليج العربي، إذ قام المبشرون الأمريكيون بزيارة بعض مدنه مبتدئين من مسقط ثم البحرين والإحساء والكويت، وكانت البحرين أولى مناطق الخليج العربي التي افتتحت فيها الإرسالية فرع لها عام ١٨٩٢<sup>(٤٣)</sup>.

ومن الواضح أن منطقة الخليج العربي بعامه والبحرين بخاصة لم ينل اهتمام الساسة الأمريكيين طوال القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى<sup>(٤٤)</sup> وان تلك المنطقة حظيت فقط ببعض الاهتمام من جانب بعض الأفراد والجماعات في المجالات التجارية والتبشيرية التي نالت حماية وزارة الخارجية الأمريكية لها على اعتبار أن أفرادها هم رعايا أمريكيون ولهم من الحقوق ما للمواطنين الأمريكيين في داخل الولايات المتحدة الأمريكية، فضلا عن حقهم في الأمن والحماية<sup>(٤٥)</sup> وهذا ما ينطبق على أعضاء الإرسالية الأمريكية العربية في مناطق الخليج العربي التي مثلت إبرز التنظيمات التي مارست نشاطا واضحا قبل الحرب العالمية الأولى<sup>(٤٦)</sup> ولذا فإن الوجود الأمريكي في هذه المنطقة كان متأخرا قياسا إلى القوى الاستعمارية الأخرى، ومع ذلك فأنها بدأت نشاطاتها بقوة واضحة استهدفت كسب قاعدة شعبية لها في تلك المناطق من خلال الخدمات التي قامت بتقديمها إلى سكان تلك المناطق تدفعها في ذلك أغراض أخرى كانت تطمح إلى تحقيقها، وكانت البحرين واحدة من تلك المناطق التي أعطتها الولايات المتحدة الأمريكية اهتماما واضحا باختيارها لتكون مقرا ومركزا لإرساليتها في الخليج العربي .

ويرجع اختيار البحرين لتكون مقرا للإرسالية الأمريكية العربية في منطقة الخليج العربي وذلك لموقعها الجغرافي المميز بكونها تقع وسط الخليج العربي أي في منتصف الطريق بين البصرة شمال الخليج العربي ومسقط في جنوبه، ولذلك فإن معظم المعلومات التي تغطي إمارات الخليج العربي كانت ترد من البحرين<sup>(٤٧)</sup>.

فضلا عن ذلك، فإن اختيار البحرين لتكون مركزا مهما لنشاط الإرسالية قد جاء بعد عدة زيارات قام بها القس صاموئيل زويمر الذي كتب عن زيارته الأولى للبحرين عام ١٨٩٢ قائلا ((أن العرب جميعا يكرمون الغرباء وبوجه العموم فإن عرب الساحل العربي لا بد أن يساورهم الشك عندما يأتيهم مسيحي حاملا الكتاب المقدس ولكنهم -أي أهل البحرين- استقبلوني بأقل مضايقة مما توقعت))<sup>(٤٨)</sup>.

الواقع أن صموئيل زويمر كان فطنا ويقظا لغرض التهيؤ والاستعداد للعمل في البحرين، إذ انه اخذ يجمع المعلومات عن البحرين بمختلف المجالات وعلى سبيل المثال في مجال المناخ الذي له اثر كبير في الجانب الصحي وفي ذلك ينقل لنا زويمر وصفا واضحا لمناخ البحرين، إذ قال ((ليس مناخ البحرين ردينا كما يصفه غالبا الرحالة الذين يمرون بها عرضا، إذ ليس هناك مكان في الخليج يمكن وصفه بأنه منتجع صحي ولكن ليس المناخ غير صحي في كل فصول السنة، ففي آذار ونيسان وتشرين الثاني وحتى كانون الأول فإن المناخ رائع جدا، إذ لأتزيد درجة الحرارة في الظل عن ٨٥ درجة فهرنهايت او تقل عن ٦٠ درجة فهرنهايت، وعندما تهب الرياح الشمالية في كانون الثاني وشباط يكون الجو باردا ويكون المرء بحاجة الى إشعال النار وهذه هي الأشهر الممطرة في السنة وتكون اقل صحية بخاصة للمواطنين الذين يسكنون في أكواخ الحصران، وعلى الرغم من أن الليالي تبقى باردة وان الحرارة تتلطف بنسائم البحر المسماة (البريح) وذلك حتى منتصف حزيران وهناك الندى الثقيل في المساء شيء شائع، حيث يجعل الجو مظلمًا -أي كثير الضباب- ويمتاز بأنه ثقيل الوطأة بخاصة عندما تتقدم نسائم البحر، أما نسائم اليابسة في الغرب والجنوب فتستمر بصورة غير منتظمة خلال موسم الصيف بأجمعه، أما الرياح السائدة في البحرين هي ريح الشمال التي تغير اتجاهها قليلا باتجاه الساحل، ويكون الهواء خلال هبوب الرياح جافا بصورة عامة والسماء غائمة، وفي الشتاء فانها تكون عالية، أما الرياح القوية الأخرى فتدعى -الكوس- وهي رياح شمالية شرقية وتهب بصورة غير منتظمة من كانون الأول ولغاية نيسان وهي في الغالب مصحوبة بالغيبار ويكون الجو فيها مظلمًا وكئيبا ومصحوبا بزخات قوية من المطر وانخفاض في درجات الحرارة))<sup>(٤٩)</sup>.

وهكذا يلاحظ بان زويمر أصبحت لديه معرفة واضحة بأجواء البحرين ليتعرف من خلالها على الأمراض التي تصيب سكانها وذلك لان اغلب الأمراض لها تعلق واضح وكبير في المناخ لاسيما عندما تكون الأجواء جافة أو رطبة.

وبعد أن تم تهيئة المستلزمات اللازمة لعمل الإرسالية الأمريكية العربية في البحرين افتتح فرع لها في بداية عام ١٨٩٢ وكان مقره في مدينة المنامة<sup>(٥٠)</sup>. وقد تألف أعضاء الإرسالية في البحرين من خمسة مبشرين اثنان منهم مصحوبين بزوجاتهم وسيدتان غير متزوجتين وكان اثنان من المبشرين بصفة طبيب، فضلا عن طبيب بصحبة زوجته، وهناك سبعة أشخاص من المساعدين الناطقين باللغة العربية الذين كانت مهمتهم تسهيل التعامل مع السكان المحليين والتعرف على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لنقلها إلى مركز الإرسالية<sup>(٥١)</sup>. وفي تلك الأثناء قام زويمر بافتتاح مكتبة في البحرين لبيع الكتب المختلفة لاسيما الكتاب المقدس، إذ تمكن من بيع أكثر من مائة نسخة من كتاب الإنجيل في ذلك العام<sup>(٥٢)</sup>.

والى جانب ذلك اهتمت الإرسالية منذ دخولها البحرين بالجانب الصحي، إذ عدت الخدمات الطبية من الوسائل الرئيسية التي جاءت بها الإرسالية الأمريكية العربية ليس في البحرين فحسب وإنما في منطقة الخليج العربي بشكل عام والتي سارت جنبا إلى جنب مع الخدمات التعليمية، ولم يكن دافعها في ذلك تحسين الواقع الصحي لتلك المناطق بقدر أن تكون مهمتها الأساسية نشر الديانة المسيحية، وقد استغلت الإرسالية الظروف التي كان يعاني منها المجتمع الخليجي خلال تلك المدة التي كانت فيها إمارات الخليج العربي تفتقر إلى الخدمات الطبية الحديثة والاعتماد على الطب الشعبي في معالجة الأمراض<sup>(٥٣)</sup> إذ كانت

تنتشر في البحرين العديد من الأمراض كالجدري والحصبة والسعال أديكي والتراخوما والسل والأمراض المعوية والتناسلية والملاريا والأنفلونزا وكذلك أمراض الحصى في الكليتين<sup>(٥٤)</sup>.

وبذلك يلاحظ أن الأوضاع والظروف كانت مهياة إلى دخول الإرسالية الأمريكية التي استخدمت الوسائل الطبية والخدمات الصحية طريقا لدخولها إلى منطقة الخليج العربي بعامه والبحرين بخاصة، لذا نجد زويمر يعد العلاج الطبي وسيلة مهمة للوصول إلى نفوس الناس<sup>(٥٥)</sup>، إذ انه يوصي المبشرين العاملين في الجزيرة العربية بالقول ((أن الطبيب المؤهل والجراح الممتاز يمتلكان ترخيصا يفتح أمامها الأبواب المغلقة ويغزوان أقى القلوب))<sup>(٥٦)</sup>.

الواقع، أن الإرسالية الأمريكية العربية في البحرين قد بدأت نشاطها في المجال الصحي في وقت مبكر، أي منذ افتتاح فرع لها عام ١٨٩٢<sup>(٥٧)</sup>، وذلك لان البحرين كانت خالية من وجود أطباء وفق النمط الحديث ماعدا الطب الشعبي، وهذا الأمر يوضحه زويمر في كتاباته بالقول ((في البحرين تتطور حركة التبشير ويلقى الأسقف فان - Van- برسم خطبا في الكنيسة أيام الأحد ومن الأفضل أن يكون في البحرين شخص يعمل طبيا ومبشرا في نفس الوقت وان يكون لديه حماس للحركة التبشيرية لان هناك خمسين ألف نسمة دون طبيب واحد بينهم))<sup>(٥٨)</sup>.

وبذلك فإن حاجة الناس إلى العلاج والاستطباب في حال مرضهم يدعوهم إلى البحث عنه في أي مكان وبأي ثمن وبكل الوسائل المتاحة لهم، وقد فطن المبشرون إلى هذه الظروف الملحة فاستغلوها سريعا وجعلوها هدفا من أهدافهم في الوصول بالناس إلى النصرانية كما يطمحون إليه<sup>(٥٩)</sup>. لذا يقول احد المبشرين حول هذا النشاط ((أن أهداف هذا النوع من الإرساليات هو إضفاء روح الشفقة الدينية على بعثات التنصير الحديثة وتأكيد حقيقة القرابة المشتركة بين أفراد الأسرة العالمية ثم تمهيد الطريق للإنجيل في الوصول إلى قلوب بني البشر وخيرا مراجعة الناس من الأمراض، ولقد كان العلاج الطبي الوسيلة الفعالة في المجتمعات الإسلامية لإقناع الناس والسلطات المحلية بوجود المبشرين لاسيما في البلاد المغلقة أمام التنصير العلني))<sup>(٦٠)</sup> كما أن زعماء الإرسالية كانوا يقولون ((حيث نجد بشرا نجا لآلما وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب وحيث تكون الحاجة الى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير))<sup>(٦١)</sup>.

وعلى هذا الأساس، اخذ نمو الخدمات الطبية والصحية في البحرين بالاتساع والتطور بشكل ملحوظ ويعود السبب في ذلك إلى توفر الأموال اللازمة لتغطية النفقات الخاصة بالنشاط الصحي، وأصبح باستطاعتهم شراء المستلزمات والأدوية التي يحتاجوا إليها لإسعاف المرضى وكانت تلك الأموال يأتي قسما منها من الكنيسة الإصلاحية في الولايات المتحدة الأمريكية، أما القسم الآخر فهي الأموال التي يدفعها المرضى لقاء الخدمات الطبية التي كانوا يحصلون عليها<sup>(٦٢)</sup>.

ووفقا لذلك بدأ تقديم الخدمات الطبية من خلال المستوصف الصحي الذي تم افتتاحه في مقر الإرسالية الأمريكية العربية في البحرين، واخذ الأهالي يترددون على ذلك المستوصف وكانت أعدادهم في تزايد لاسيما بعد انتشار وباء أبو الركب<sup>(٦٣)</sup> عام ١٨٩٤، ومع ذلك فإن تلك الأعداد لم تكن تشكل ضغطا على عمل المستوصف لان أعداد المراجعين كانت قليلة كما يوضحه الجدول الآتي :

## جدول رقم (٢)

أعداد المراجعين إلى مستوصف الإرسالية عام ١٨٩٤<sup>(٦٤)</sup>

| نوع العلاج   | عدد الحالات | الملاحظات                  |
|--------------|-------------|----------------------------|
| أمراض باطنية | ٣٨٠         | وكان من الحالات التي عولجت |
| جراحة        | ٣٨          | مرض ابو الركب              |
| أسنان        | ٣٣          |                            |
| أمراض أخرى   | ٢٩          |                            |

ويتضح من الجدول أعلاه قلة أعداد المراجعين إلى المستوصف، ويبدو أن السبب في ذلك أن الناس لم يكن لديهم ذلك الإيمان والقناعة بمراجعة الطب الحديث لاسيما في تلك المؤسسة الصحية التي كانت في بداية عملها ولم يمرض على وجودها في البحرين سوى أقل من عامين، وان هذه المدة لا تستطيع من خلالها تغيير عادات السكان التي تحتاج إلى مدة أطول لكي يستطيعوا أن يتعايشوا مع المتغيرات الجديدة التي حصلت في الجانب الصحي .

وخلال ذلك كانت قضية الحجر الصحي قد أثرت في مؤتمر الصحة الدولي الذي انعقد في باريس عام ١٨٩٤ وتقرر فيه انشاء مراكز للحجر الصحي في كل من المحمرة والكويت والبحرين وبوشهر ومسقط الى جانب المركز الرئيسي في الفاو وكذلك البصرة<sup>(٦٥)</sup> وقد وقفت بريطانيا والدولة العثمانية ضد ذلك القرار ، فالاولى كانت تخشى على نشاطها التجاري بسبب العرقلة المفروضة على سير السفن في الخليج العربي في حال تطبيقه ، والثانية عارضت القرار لاعتبارات مالية<sup>(٦٦)</sup>

ومع ذلك ، فقد سار نشاط الإرسالية الأمريكية العربية في البحرين خلال عامي ١٨٩٥-١٨٩٦ سيرا طبيعيا وكتب زويمر يصف الخدمة الطبية في الإرسالية عام ١٨٩٧ بالقول ((لم يكن النشاط الصحي واسعا خلال الربع الثاني من العام لسببين الأول المنافسة الطبية والثاني الكساد التجاري في البلاد ، أما الأول فسببه إبراهيم سعيد الذي سعى بعد تركه الخدمة في الإرسالية إلى العمل حكيما (طبيبا) ، والسبب الآخر هو صيام الأهالي في شهر رمضان بالإضافة إلى فصل الأمطار ، وعلى أية حال يمكننا أن نعلق المفتاح فوق الباب بعد فتحه دون أن نخشى شيئا لنستخدمه مستقبلا لفتح أبواب أخرى ))<sup>(٦٧)</sup>.

يتضح مما سبق، أن الإرسالية كانت مصممة في تادية واجباتها رغم العقبات التي تواجهها، بل أن لديهم رسالة وأنفقوا عليها الكثير من الأموال وبذلوا جهودا كبيرة من اجل تحقيقها، الأمر الذي أدى إلى استمرار عملهم ونشاطهم في البحرين رغم الظروف التي تعرضوا لها في بعض الأحيان.

وخلال ذلك انعقد مؤتمر الصحة الدولي الثاني في مدينة البندقية الإيطالية عام ١٨٩٧ وقد وقفت حكومة الهند البريطانية موقفا معارضا أيضا ضد افتتاح مركز للحجر الصحي في البحرين خشية ان يكون أداة لتحقيق أغراض سياسية من قبل العثمانيين ، خاصة وانهم كانوا يثيرون قضايا تتعلق بادعاءات السيادة في البحرين<sup>(٦٨)</sup> ، ومع ذلك حاول العثمانيون لأكثر من مرة اثاره موضوع انشاء مراكز للحجر الصحي في البحرين ، ففي شباط ١٨٩٧ رجع المجلس الصحي العثماني الى الاقتراحات الخاصة بأنشاء مراكز في

الكويت والقطيف والبحرين وقطر، كذلك اقترح حاكم الاحساء العثماني في تقرير له الى السلطات العثمانية بأحياء الاقتراح الخاص بإنشاء مركز صحي في البحرين وكان ذلك بالطبع على اعتبار ان البحرين كانت تقع ضمن الممتلكات العثمانية لكن هذا الاقتراح لم يلق الموافقة للمرة الثانية<sup>(٦٩)</sup>، وفي الوقت ذاته لم تكن بعض إجراءات الحجر الصحي مقبولة من لدن حاكم البحرين، فعلى اثر صدور الإجراءات الصحية لمؤتمر البندقية الدولي لعام ١٨٩٧، فقد رفض حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي المساعدات من الحكومة البريطانية وحاول ان يقيم إجراءات حجر صحي خاصة بأمارته<sup>(٧٠)</sup>

وعلى أية حال، استمر نشاط الإرسالية الأمريكية العربية في البحرين، واخذ الأطباء يتوافدون عليها للانخراط في تقديم الخدمات الصحية التابعة للإرسالية، ففي عام ١٨٩٩ وصل الدكتور (ورال) إلى البحرين وقام بتقديم خدماته الطبية، وكان معدل المرضى الذين يأتون للعلاج يوميا ما يقارب عشرة أشخاص<sup>(٧١)</sup>.

ومن جهة أخرى، وصل الدكتور شارون تومس ( Dr.sharon thomas ) وزوجته من البصرة في أيلول عام ١٩٠٠ للانضمام إلى الإرسالية الأمريكية العربية في البحرين<sup>(٧٢)</sup>، ويبدو أن المهمة الأساسية التي جاء من أجلها كانت التخطيط لبناء مستشفى في البحرين لاسيما بعد أن كان مستوصف الإرسالية غير قادر على استيعاب جميع المرضى وتقديم العلاج لهم بسبب ضخامة أعدادهم وكثرة الحالات التي يحتاج بعضها إلى الإقامة في المستشفى لإجراء العمليات الجراحية لهم<sup>(٧٣)</sup>.

وعلى هذا الأساس، يعد عام ١٩٠٠ البداية الحقيقية لإنشاء المستشفيات الحديثة في البحرين، إذ تم استئجار منزلا ليكون مقرا لمستشفى الإرسالية الأمريكية العربية في البحرين<sup>(٧٤)</sup>. ويتحدث زويمر عن ذلك بالقول ((استأجرنا منزلا واسعا لاستخدامه كمستشفى وجاء كل من الدكتور تومس وزوجته عام ١٩٠٠ من البصرة، وتوسع نطاق العمل الصحي لدرجة أصبح معها إنشاء مستشفى امرأ ضروريا، وبدأ العمل في غرف بينها فناء مكشوف مستخدمين أسرة من جريد النخيل))<sup>(٧٥)</sup>.

الواقع، أن الإرسالية لم تكن لديها نية للبقاء في ذلك المنزل بل كانت لديها رغبة في بناء مستشفى في البحرين، لكنهم كانوا بحاجة إلى الأموال اللازمة لذلك الغرض، وهذا الأمر ذكره زويمر بقوله ((وجئنا نداء لجمع تبرعات فاستجابت أسرة مازون في نيويورك وتبرعت بستة آلاف دولار بشرط أن يكون المستشفى تذكاريًا لإحياء اسم الدكتور ثيودور مازون وان يتم شراء قطعة ارض تكون ملكا للمستشفى))<sup>(٧٦)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك، فإن الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة يرى بأن الشيخ عيسى بن علي (١٨٦٩-١٩٣٢) حاكم البحرين آنذاك قد تبرع بقطعة الأرض اللازمة لبناء المستشفى<sup>(٧٧)</sup>.

وبذلك نلاحظ أن هنالك اختلافا في الآراء حول مسألة شراء قطعة الأرض من عدمها، ألا انه من المرجح أن الشيخ عيسى بن علي قد تبرع بقطعة الأرض الخاصة ببناء المستشفى، وفي الوقت نفسه أن تلك الأموال التي تبرعت بها عائلة ماسون قد تم صرفها لبناء المستشفى وليس على شراء قطعة الأرض . وعلى أية حال، وضع حجر الأساس للمستشفى في ١٩/أذار/ ١٩٠٢<sup>(٧٨)</sup> وأطلق عليه مستشفى ماسون التذكاري ( Masone memorial Hospital ) نسبة إلى تلك العائلة التي تبرعت بمبلغ من المال لغرض بناءه<sup>(٧٩)</sup> وقد واجهت الإرسالية اثناء البناء مشكلات كثيرة تحدث عنها شارون في مجلة الإرسالية والحلول التي اتخذت، إذ كتب قائلا ((استطيع ان اقول ان مبنى مستشفى البحرين قد قارب على الانتهاء على الرغم من انه لاتزال هناك حاجة الى بعض الاعمال، فبعض التجهيزات التي طلبت من لندن مثل طلاء المباني وطلاء الاخشاب والاقفال ولوحة الحروف الحديدية لاسم المستشفى كلها لم تصل بعد

وقمنا علاوة على ذلك بصنع ابواب ونوافذ المستشفى في البحرين بدلا من الهند ،اما السقوف فقد صنعت من الطين والجص بدلا من الحديد ،اذ وجدنا ان ذلك ارخص ثمنا ويمكن ان يعطي المبنى برودة جيدة اثناء الصيف كما اقمنا عدد من الشرفات المحيطة بالمبنى لدخول اشعة الشمس في أي وقت ،واستخدم لبناء المستشفى حجارة مرجانية قطعت من البحر واحضرت على ظهور الحمير كما تم جلب الجير من الجزر المجاورة))<sup>(٨٠)</sup> ، وتم افتتاح المستشفى في كانون الثاني عام ١٩٠٣ وأصبح الدكتور شارون تومس مديرا له<sup>(٨١)</sup> . وكان مبنى المستشفى يضم طابقين وله شرفا عريضة وكانت مساحة المبنى ١٠٠x٦٨م قدم وكانت مساحة الغرفة الكبيرة بقياس ٢٦x٣٦م قدم، وخصص فيه جناحان للنساء وغرفتان خاصتان بالرجال وتضمن عشرون سريرا في بداية تأسيسه<sup>(٨٢)</sup> . واخذ المستشفى يستقبل أعداد كبيرة من المرضى حيث أن الاستشارة الطبية والدواء كانت تعطى فقط للذين يحضرون صلاة الصبح التي كان يبدأ بها عملهم ولم يشترط على الحاضرين من أهل البحرين تأديتها<sup>(٨٣)</sup> .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن الإرسالية الأمريكية العربية ومنذ بداية نشاطها الصحي استطاعت أن تحقق نجاحا ملموسا<sup>(٨٤)</sup> ، وربما يعود السبب في ذلك إلى حاجة أهل البحرين إلى الطب الحديث لكثرة الأوبئة والأمراض التي كانت متفشية في بلادهم ، الأمر الذي ساعد في نجاح عمل الإرسالية في المجال الصحي .

وبنفس العام الذي افتتح فيه مستشفى ماسون التذكاري - أي عام ١٩٠٣ - شهدت البحرين انتشار ثلاثة أوبئة في أن واحد وهي الجدري والدفتريا والطاعون وكانت مواجهة تلك الأوبئة الثلاث من أصعب الأمور التي واجهت الإرسالية التي كانت قد بذلت جهودا كبيرة لمكافحتها ، ولكن ظهورها المفاجئ وانتشارها السريع أمام إمكانيات الإرسالية المحدودة لم تتيح لها فرصة القضاء عليها بسهولة أو منع خطرها ، وأدى ذلك إلى وفاة الكثير من أبناء البحرين ، وبسبب ذلك ابلغ طبيب الإرسالية الدكتور تومس المعتمد السياسي البريطاني في الخليج العربي جاسكن بالحالة في آيار ١٩٠٣ وبين له ان مرض الطاعون بالإضافة إلى أمراض أخرى انتشرت في البحرين وان الكثيرين قد ماتوا بسبب هذه الأمراض وفي نهاية ذلك العام بدأ خطر هذه الأوبئة يقل ويتلاشى مخلفا وراءه كثيرا من الشقاء والمتاعب والأحزان لأهل البحرين<sup>(٨٥)</sup> . وللتأكيد على ان اهداف الإرسالية ليست انسانية في تقديم العلاج للمصابين بل ان لها غايات أخرى ، يمكن الاستدلال من خلال ما ذكرته المبشرة اميلي زويمر عندما قالت ((وبسبب رقود بعض المرضى الطويل عندنا في المستشفى وجدنا فرصة لقراءة بعض مقاطع الانجيل والتحدث عن المسيحية مع المرضى))<sup>(٨٦)</sup> وهذا ما يدل على دورهم التبشيري اكثر من كونهم يقدمون الخدمات الطبية لاهل البحرين .

بالإضافة إلى ذلك ، تعرضت البحرين إلى مرض الكوليرا في عام ١٩٠٤ وقد عدد السكان الذين أصيبوا بهذا المرض في المنامة والمحرق - وهما من أكثر المناطق في البحرين اكتظاظا بالسكان - بثلاثة آلاف من أصل ثلاثين ألفا وقد مات منهم ألفان<sup>(٨٧)</sup> ، وهذا يعني أن الإرسالية قد فشلت في معالجة المرض رغم الجهود التي بذلت وربما يعود السبب في ذلك الى كثرة أعداد المراجعين مع قلة الإمكانيات المتوفرة للمستشفى .

وللتدليل على ما ذكر أنفا ، ذكرت الدكتورة لوسي باتر سون ( Lucy patterson ) التي وصلت الى البحرين عام ١٩٠٤ ((أن الأوضاع الصحية في حالة مضطربة ، وان المستشفى كان يعمل ليل نهار ويزدحم بالمرضى رغم الإمكانيات المحدودة)) ، وكانت الدكتورة باتر سون قد أجرت خلال أسبوعين عدة

عمليات جراحية ،كما ذكرت باثر سون أن الكثير من المرضى لم يأتوا الى مستشفى الإرسالية للعلاج الا بعد أن يصبح المريض في حالة متقدمة ويستقل المرض خطره <sup>(٨٨)</sup>.

ويبدو أن تردد المرضى في مراجعة المستشفى يرجع إلى الأسلوب الذي استخدمه أطباء الإرسالية لأغراض التبشير ،اذ ينقل شاهد عيان وهو محمد رؤوف الشبخلي <sup>(٨٩)</sup> الذي مر بالبحرين عام ١٩٠٤ وشاهد تلك الأساليب اذ يقول ((ذهينا الى مستشفى الأمريكان وقد صرفوا عليه المبالغ ويصرفون مبالغ أخرى مستمرة لإدارته ،ورأينا الممرضات هناك تخدم الأعراب ،وعندما يأتي المرضى كل صباح يدخلوهم إلى قاعة كبيرة يلقي عليهم فيها احد القسوس موعظة مسيحية ثم يقوم فيصلي ويتلوا الصلاة ،فيقف المساكين منتظرين انتهائها ثم يفتح لهم بابا من القاعة المذكورة تتصل بغرفة الطبيب ومن لا يدخل القاعة ويسمع الموعظة ليس له طريق إلى الطبيب))ويكمل الشبخلي مشاهداته في المستشفى بالقول ((وجدنا بطاقة الدواء ،قد كتب على ظهرها أقوال أنجيلية ،وجميع جدران القاعات والأروقة قد ملئت بالأقوال المتنوعة ،هذا هو المستشفى الذي ينشئه الأمريكان خدمة للإنسانية لايريدون على ذلك جزاء ولا شكورا إلا شيئا يسيرا وهو نبي الدين الإسلامي واعتناق المسيحية-النصرانية -وهذه هي الحرية التي ينادون بها)) <sup>(٩٠)</sup>.

الواقع ،أن الإرسالية الأمريكية العربية في البحرين كانت تواجه مشكلة انتشار الأوبئة فيها والتي تتسبب في الحاجة إلى كوادر ومستلزمات طبية حتى تستطيع من خلالها تقليل خطر تلك الأوبئة ،ويعد أن شهدت البحرين وباعين خلال عامي ١٩٠٣-١٩٠٤ فأن عام ١٩٠٥ شهد أيضا انتشار مرض الكوليرا ،ولمعالجته عملت الإرسالية الأمريكية العربية على تسخير كافة إمكانياتها لمكافحته ،الأمر الذي أدى إلى ازدياد أعداد المراجعين لمستشفى الإرسالية وهذا ما يوضحه الجدول الآتي :

#### جدول رقم (٣)

أعداد المراجعين للمستشفى وحالات الإصابة خلال العام ١٩٠٥ <sup>(٩١)</sup>

| نوع المرض    | عدد حالات الإصابة |
|--------------|-------------------|
| أمراض باطنية | ٤٥٠٠              |
| جراحة        | ٢٧٠٠              |
| أمراض أخرى   | ١٨٠٠              |
| المجموع      | ٩٠٠٠              |

يتضح من الجدول أعلاه، أن اغلب حالات الإصابة كانت أمراض باطنية والتي يمكن تفسيرها بأنها عبارة عن مرض الكوليرا ،وان تزايد تلك الأعداد تعطي انطباعا بان أهالي البحرين اخذوا يسايرون مبادئ الطب الحديث بعد أن كان اغلبهم لايقنعن بمراجعة تلك المؤسسات والاكتفاء بالاعتماد على الطب الشعبي المتعارف عليه آنذاك .

وفي تقرير أخر عن عام ١٩٠٥ ذكر زويمر بأن عدد المرضى قد وصل إلى (١٤٠٠٠) ألف مريض ،وادخل في ذلك العام ١٦٦ مريضا إلى المستشفى وأجريت إلى معظمهم عمليات جراحية ناجحة <sup>(٩٢)</sup>.

استمر نشاط الإرسالية الأمريكية العربية في الجانب الصحي ،ولمراعاة موضوع العادات والتقاليد التي تحكم أبناء البحرين لاسيما فيما يخص النساء قامت الإرسالية بجلب طبيبات لغرض معالجة النساء

خصوصا بعد إنشاء مستشفى خاص بالنساء، وبالإضافة إلى الدكتورة باتر سون وصلت الدكتورة فان برسوم (Van perseum) وأصبحت مديرة المستشفى والمسؤولة عن العيادة النسائية<sup>(٩٣)</sup>.

فضلا عن ذلك، فقد تم تعيين الدكتور ستانلي ماليري (c.stanley mylrea) عام ١٩٠٧ ليكون طبيبا في مستشفى ماسون التذكاري، وكان ماليري قد جلب معه زوجته التي كانت طبيبة أيضا، ومما يجدر ذكره بهذا الصدد أن ماليري قد وصف لنا الأوضاع الصحية في البحرين عند وصوله إليها وأثناء مدة خدمته فيها إذ قال ((تعاني البحرين بشكل كبير من الطقس الرطب، فالرطوبة تتضح من الأرض والقمامة متناثرة في كل مكان والذباب سيد الجو والفران ترتع في الشوارع، أما الكلاب فكانت تقتتل فيما بينها على أي طعام نتن تجده، وكانت هناك برك ضحلة راكدة خضراء ومليئة بالبعوض))<sup>(٩٤)</sup>. وفي ضوء ذلك فإن الأسباب والعوامل كانت مهياة لانتشار الأمراض والأوبئة في البحرين الأمر الذي يؤكد ماليري أيضا بقوله ((كانت الملاريا والتيفونيد والديزنتريا لاتواجه أي مقاومة، أما الجذري فكان مستوطنا والسل منتشرا، والبرص أمرا عاديا، وكانت الطفيليات كالديد المعوي والبلهارسيا تزيد من مصاعب الحياة))<sup>(٩٥)</sup>.

كذلك كان مرض الحمى التيفوئيدية منتشرا في البحرين، وقد تعرض ماليري نفسه بذلك المرض وهذا مادفع الإرسالية بالعمل لمواجهة تلك الأمراض، إذ إنها قامت في كانون الثاني ١٩٠٨ بتشكيل لجنة كانت برئاسة ماليري بالإضافة إلى جميع أطباء الإرسالية مهمتها دراسة الوضع الصحي في البحرين وإرسال تقرير إلى مجلس الأمناء في نيويورك بعد انتهاء عمل اللجنة، وقد خلصت تلك اللجنة في تقريرها إلى ضرورة الاهتمام بالنظافة بشكل عام وأيضا الالتزام بوضع ستائر على نوافذ البيوت<sup>(٩٦)</sup>.

ويبدو انه بسبب ذلك، أعطي موضوع النظافة قدرا كبيرا من الأهمية في البحرين، وقام مجلس البلدية فيها بذلك الأمر مما أدى إلى القضاء على مرض الطاعون<sup>(٩٧)</sup> كما أن حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي قد ساهم بشكل كبير في الاهتمام بالخدمات الطبية ودعم مستشفى الإرسالية بالأموال اللازمة لتوفير المستلزمات الطبية للمستشفى وفي ذلك ذكر ماليري ((وفي هذه الأيام كانت البحرين تحكم بواسطة الشيخ المشهور المشهور الشيخ عيسى آل خليفة، وكان شيئا كبيرا وقرأ بلحيته البيضاء وكنا أصدقاء وكنت دائما استدعى لمقدرتي المهنية، وكان كريما دائما راضيا عن خدماتي وكان يسهم بحقائق كثيرة من الروبيات الفضية لدعم إيرادات المستشفى التي لم تكن كبيرة في هذه الأيام))<sup>(٩٨)</sup>.

ويمكن القول، أن اهتمام الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين بالجانب الصحي قد جاء ضمن السياسة الإصلاحية التي مارسها والعمل على تنظيم شؤونها باستحداث دوائر تختص كل واحدة منها بمجال معين ساهمت بمجموعها في تطوير البحرين ورفع مستواها في المجالات كافة والتي كان من نتائجها تحسن المستوى الصحي لأبناء البحرين بل والقضاء على بعض الأمراض التي كانت متوطنة فيها .

وفي عام ١٩٠٩، أصبح ماليري مديرا إلى مستشفى ماسون التذكاري بعد مغادرة الدكتور شارون تومس إلى الهند واستمر في تقديم خدماته حتى نقل عام ١٩١١ إلى الكويت<sup>(٩٩)</sup>.

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ كان لها تأثير كبير ليس على البحرين فحسب وإنما على منطقة الخليج العربي بمجملها<sup>(١٠٠)</sup> حيث تأثر النشاط الصحي للإرسالية الأمريكية العربية في البحرين وذلك لان الأخيرة قد تأثرت بالعمليات العسكرية في الحرب، ولم يعد من السهل على الإرسالية الحصول على الأدوية والمستلزمات الطبية<sup>(١٠١)</sup>.

لكن ذلك لايعني توقف نشاط المبشرين، فبالرغم من ذلك في عام ١٩١٥ قيام بعض أفراد الإرسالية بزيارة قرى البحرين حيث أنهم قاموا بتجهيز بعض الخيام وجعلها عيادات متنقلة وتأجير بعض الحمير كوسائل نقل وتم اختيار أعضاء الرحلة مؤلفة من بائع للكتب المسيحية وموظف المستشفى وطباخ ومساعد جراح



وكانت تلك الرحلة بقيادة المبشر هول فان ،وكان هؤلاء يبذون عملهم من الساعة السابعة صباحا بقراءة شيئا من الكتاب المقدس لمدة ربع ساعة ثم بعد ذلك يقومون بعملهم ،ويبدو أنهم لم يلقوا ترحيبا من قبل سكان القرى ويستدل على ذلك عند وصولهم إلى قرية (جوا) قال لهم أهاليها انه لا يوجد مرضى في هذه القرية بل أنهم معارضون لوجودهم فيها ،ومع ذلك مكثت تلك الرحلة ثلاثة ايام يقرون خلالها مقاطع من الإنجيل على مجموعتهم الصغيرة<sup>(١٠٢)</sup> وهذا يعني أن المبشرين كانوا مستمرين بنشاطهم التبشيري رغم عزوف أهالي البحرين عن مراجعتهم لمعرفةم بالنوايا الحقيقية لنشاطهم .

وبعد انتهاء تلك الحرب عام ١٩١٨،عاد نشاط الإرسالية الأمريكية العربية في البحرين بشكل تدريجي وبخاصة عندما تعرضت الأخيرة الى انتشار وباء الانفلونزا الاسبانية عام ١٩١٩ والتي حصدت ما يقارب ١٥٠٠ فرد من ابناءها ،ألا أنه لم يحصل أي تطور في المجال الصحي حتى عام ١٩٢٤<sup>(١٠٣)</sup> خاصة عندما أصبحت البحرين في تلك المدة احد المراكز الطبية المهمة في منطقة الخليج العربي وكانت خدماتها تقدم لأكثر من جهة ،وذكر احد التقارير الموجودة في مستشفى الإرسالية عن عام ١٩٢٤ بالقول ((وصل عدد المرضى الخارجيين إلى ٣٣٠٠٠ ألف مريض وكان عدد المقيمين في المستشفى ٦٠٠ مريض وكنا نعالج ١٠٠ مريض يوميا ،وقد وصل المرضى من شرق ووسط الجزيرة العربية ونجد والإحساء وقطر وساحل القرصنة<sup>(١٠٤)</sup>،والباطنة الشرقية من عمان وجعلان وجاء عدد من المرضى من خارج البحرين لإجراء عمليات جراحية وهم من الدمام والقطيف وبوشهر ولنجة ومسقط والجبل والشارقة ودبي))<sup>(١٠٥)</sup>.

وفي عام ١٩٢٤ تعرضت البحرين الى مرض الطاعون وذكرت التقارير البريطانية ان الوباء قدم اليها من دبي خلال الأشهر الأولى من ذلك العام ،وأشارت التقديرات الى حدوث مايقارب ٤٠٠٠ حالة وفاة بسبب الوباء ،وكان من الممكن الحد من شراسة الوباء لكن السكان رفضوا لأسباب دينية التعاون في تطبيق الإجراءات الضرورية بحسب التقرير على الرغم من ان حاكم البحرين كان مستعدا لتوفير مستشفى يفصل بين الجنسين وتقديم عون مالي للأسر المحجورة في المستشفى ،الى جانب ذلك بين التقرير ان السلطات قررت اللجوء الى التطعيم المضاد للطاعون وأوضح (لكن كان من الصعوبة قبول السكان بأخذ التطعيم الى ان وصل انتشار الطاعون الى مستويات خطيرة ،وعندها اصبح التطعيم غير مجد كأداة وقائية وقمنا بتوزيع ٧٣٧ جرعة تطعيم في المستشفى ،إضافة الى تطعيم ٣١٤١ خارج المستشفى ،وكان للدكتور هولمز دور كبير في ذلك الامر)<sup>(١٠٦)</sup>،وهذا لا يعني ان أهالي البحرين قد اعتمدوا في التطبيب على مستشفى الإرسالية بشكل كامل وانما لم يتناسوا الطب الشعبي في معالجة مرضاهم ،اذ استمر العلاج بذلك النوع من الطب وبخاصة الأعشاب وينقل الأستاذ خالد البسام في احد مؤلفاته حادثة تؤكد ذلك ،اذ ذكر بأنه في منتصف العشرينيات من القرن العشرين أصيب احد أطباء الإرسالية الأمريكية وهو الطبيب ستورم بمرض الصفراء ،وبعد ان جرب أطباء الإرسالية جميع الادوية لعلاجها لكنها جميعها لم تشفيه واستمر المرض يزداد عليه ،وعندما ساءت حالته الصحية اقترح احد الموظفين البحرينيين في المستشفى ان يحضر له احد الأطباء الشعبيين البحرينيين فربما يشفيه من مرضه ،في بداية الامر رفض ستورم وزملائه الأطباء ذلك المقترح لكن بعد أيام تغيير الموقف عندما اخذت حالة ستورم تسوء شيئا فشيئا فوافق ستورم على ذلك المقترح ،وبعد ان حضر الطبيب الشعبي وكشف على حالة ستورم امر الممرضين ان يجلبوا له قطعة من شجر ((القرم))التي يأكل اوراقها الحمير وهي موجودة بالقرب من عين عذارى ،وخلال ساعات احضر له القرم ،وفي الحال قام بطحنه وطبخه على النار حتى اصبح محلولاً للشرب وبعدها قام بوضعه في ثلاث زجاجات واخبر ستورم بضرورة شرب كأس واحد في الصباح واخر في النهار وثالث في الليل

وهنا رفض ستورم الامتثال لأمر الطبيب الشعبي باعتبار ان ذلك الشراب كان مرا لا يطاق وهنا قدر ذلك الطبيب كلام ستورم وقال له هذه نصيحتي اشرب من العلاج لتشفى وخرج من المنزل وبعد عدة محاولات راح ستورم يتبع تعليمات الطبيب الشعبي في شرب العلاج، ولم ينته يومان حتى تحسنت حالته وبعد ذلك شفي بشكل تام من المرض، وبعد شفاء ستورم اكتشف أطباء المستشفى الأمريكي مدى جهلهم بالأهالي وامكانياتهم وقدراتهم ولذا صاروا يعتمدون في بعض الأحيان على الادوية الشعبية المحلية (١٠٧) وقد أوردنا هذه القصة للتدليل على ان اهل البحرين لم يكن اعتمادهم على مستشفى الارسالية في معالجة مرضاهم وكذلك للتدليل على ان وجود ذلك المستشفى لم يمنع من استمرار الطب الشعبي الذي اعتاد عليه اهل البحرين منذ القدم لكن ذلك لا يعني مسaire الطرق الحديثة في الطب .

الواقع، أن تلك الأوضاع وكثرة أعداد المراجعين للمستشفى دفعت الإرسالية الأمريكية العربية في البحرين بالإعداد لبناء مستشفى خاص للنساء والأطفال، وقد بين ذلك احد تقارير المستشفى الأمريكي في عام ١٩٢٥ والذي كان يتحدث عن عام ١٩٢٤ بالقول ((قررنا بناء مستشفى جديد للنساء والأطفال، وأعطانا عبد العزيز القصيبي مندوب حاكم نجد قطعة من الأرض لهذا الغرض عن طريق مساع حميدة قام بها الرائد ديلي ( Dily ) المقيم السياسي البريطاني، ووصلت التبرعات المحلية لهذا الغرض عشرون ألف روبية كما تبرع الشيخ حمد بن عيسى بن علي بخمسة آلاف روبية وتبرعت بنفس المبلغ الشركة النفطية بابكو )) (١٠٨).

ويبدو ان هنالك سببا آخر دفع الإرسالية للقيام بتلك الخطوة وهي تتعلق بالمجتمع البحريني الذي كان يرفض أن يتم معالجة الرجال والنساء في مستشفى واحدا وحتى قيام الأطباء بمعالجة النساء وذلك حسب العادات والتقاليد وأيضا أن الدين الإسلامي الذي يحرم تلك الأمور ألا في حدود ضيقة وفي الحالات الحرجة في حالة عدم وجود طبيبات، وقد ذكر تقرير للإرسالية بأن هذه الحالة هي التي دفعت المبشرين للتقدم بطلب لإقامة مستشفى للنساء والأطفال، وكان رد المجلس الموافقة على ذلك، كما انه قام بتخصيص مبلغ قدره خمسة آلاف دولار لبنائه (١٠٩).

وعلى قدر كبير من الأهمية، فإن الظروف الطبيعية أدت إلى قيام الإرسالية بتوسيع نشاطها الصحي في البحرين لاسيما بعد أن تعرضت منطقة الخليج العربي في عام ١٩٢٥ إلى إعصار مدمر راح ضحيته ما يقارب خمسة آلاف سفينة من بين خمسة وعشرون ألف سفينة كانت وسط الخليج العربي في الغوص على اللؤلؤ وقد مات غرقا كثير من البحارة في تلك السنة، ولحقت بالبحرين أضراراً كثيرة من جراء ذلك (١١٠).

ويبدو، أن ذلك الوضع دفع حاكم البحرين للتعاون مع مستشفى الإرسالية الأمريكية العربية لإيجاد حل للظروف غير الطبيعية التي يتعرض لها أهالي البحرين وكذلك مواكبة الظروف الاجتماعية للسكان الذين يعتمدون بدرجة كبيرة في معيشتهم على الغوص، فتم الاتفاق على إنشاء ما يشبه المستشفى العائم وتم أعداد مركب لهذا الغرض وجهاز ليكون مستشفى متواضع مهمته المرور على مغاصات اللؤلؤ لمتابعة الحالة الصحية وتقديم الخدمة الطبية لمن يكون في حاجة إليها، وزود هذا المستشفى بطبيب ومضمد وربان وبعض البحارة (١١١).

ومما يجدر ذكره، أن الطبيب تم جلبه من الهند وهو جراح يدعى بندر كار ( Bunder car ) وبأشر عمله بعد يوم واحد من وصوله إلى البحرين وذلك في شهر ايار ١٩٢٥، وتحت إشراف الدكتور هولمز ( R.Holmes ) (١١٢) الذي يعد رئيسه المباشر (١١٣). ومما تجدر الإشارة اليه ان بندر كار يعد اول طبيب تم تعيينه في تاريخ الخدمات الطبية في البحرين على المستوى الحكومي والذي جاء اليها على اثر نشر

اعلان لحكومة البحرين في احدى الجرائد الهندية عن حاجتها لطبيب للعمل لديها<sup>(١١٤)</sup> ويستدل من ذلك مدى اهتمام الحكومة البحرينية في تحسين الواقع الصحي لأبنائها.

وبالعودة إلى عمليات بناء المستشفى الذي قررت الإرسالية بناءه في البحرين عام ١٩٢٤ ، فقد أصبح المستشفى جاهزا للعمل واستقبال المرضى في عام ١٩٢٦ وأطلق عليه (مستشفى ماريون ويلز التذكاري) وكان فيه ملحق لسكن الممرضات واخذ المستشفى يقوم بعمليات التوليد التي أخذت تنمو بشكل تدريجي ثم جرى دمجها بدار رعاية الطفولة التي كانت لها عيادة خاصة في المستشفى<sup>(١١٥)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن مستشفى الرجال الذي كان يديره طبيب هندي انتقلت إدارته منذ عام ١٩٣٠ إلى الدكتور ديم ( Dame ) والدكتور لاركا ( Larka ) وهما من أعضاء الإرسالية الأمريكية العربية واخذ على عاتقهما تقديم الخدمات الطبية ، وفي عام ١٩٣٢ انضم الدكتور ويلز ثومس ( Wells Thoms ) إلى هيئة إدارة مستشفى ماريون ومراس دورا كبيرا في خدمة الناس المرضى ، وكان من نشاطات الهيئة الطبية للإرسالية خلال العام ذاته أنها قامت بحملات لمكافحة مرض الملاريا في البحرين والمناطق المحيطة بها وقد حققت نجاحا في ذلك الأمر<sup>(١١٦)</sup>.

فضلا عن ذلك ، فإن الإرسالية قامت باستقدام احد أطباء الأسنان لغرض الاستقرار في البحرين لاسيما وانه حتى عام ١٩٣٣ لم يكن يوجد فيها أي طبيب أسنان ، بل أن هناك طبيبا للأسنان يعمل بشكل متجول ومقره في مدينة البصرة ، وكان يقوم بزيارة البحرين من وقت لآخر لمعالجة بعض الحالات الصعبة ، وقد وافق ذلك الطبيب على أن ينتقل إلى البحرين بصفة دائمة في آب ١٩٣٦ وقامت شركة بابكو ببناء عيادة له في مدينة المنامة وحدد له راتب شهري تتولى إدارة الشركة دفعه ، كما خصص له سكن أمام مستشفى الإرسالية الأمريكية العربية<sup>(١١٧)</sup>.

وهكذا يلاحظ أن الهدف الأساس الذي جاءت من اجله الإرسالية وهو التبشير قد فشلت في تحقيقه لكنها بالمقابل قد نجحت في تقديم الخدمات الطبية لأهل البحرين وساهمت بشكل كبير في إيجاد الوعي الصحي فيها ونبهت الناس إلى أهمية الطب الحديث ودفعهم إلى زيارة مستشفيات الإرسالية واخذ الناس يتوافدون حتى من خارج المدن الرئيسية في البحرين للحصول على الخدمات الطبية<sup>(١١٨)</sup>. ويبدو أن كثرة أعداد المراجعين على مستشفى الإرسالية في الوقت الذي زاد فيه الوعي الصحي والحاجة الى المؤسسات الطبية الحديثة ، وأدى ذلك إلى اهتمام الحكومة البحرينية بالخدمات الصحية التي شهدت تحسنا ملحوظا منذ عام ١٩٣٧ ، اذ انتشرت العيادات الطبية الخارجية بصورة واضحة وخطط لبناء مستشفى الرجال والنساء بمنطقة النعيم ، كما بدأ العمل بإنشاء مستشفى عوالي من قبل شركة بابكو ، وأيضا القيام بدراسة شاملة وجذرية لمرض الملاريا ، حيث كلف الرائد أفريدي من سلك الخدمات الطبية الهندية ومعهد الملاريا بدلهي ، كما أنشأت عدة عيادات للأطفال مما جعل مجموع العيادات الطبية في البحرين ستة عيادات<sup>(١١٩)</sup>.

أما بالنسبة إلى الكادر والمؤسسات الصحية للإرسالية الأمريكية العربية في البحرين حتى عام ١٩٣٨ كانت عبارة عن مستشفيين ومستوصف وخمسة أطباء وأربعة ممرضات وستة مساعد ممرض وثمانون سريرا في كل مستشفى<sup>(١٢٠)</sup>.

وفي الوقت الذي كانت فيه الإرسالية تقدم خدماتها الطبية اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ التي أثرت بشكل واضح على نشاط الإرسالية الأمريكية العربية في البحرين ، ويعود السبب في ذلك إلى انقطاع الاتصال بين الإرسالية وإدارتها في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب مجريات الحرب والعمليات العسكرية وكذلك الشعور العدائي القومي لدى المواطنين العرب ضد كل ما هو غربي ، اذ واكب هذا الشعور

ظهرت الحركة القومية العربية والشعور الوطني المطالب بالاستقلال والتحرر من الاستعمار الغربي كما ظهرت القضية الفلسطينية التي أدت إلى تصاعد النظرة العدائية ضد الاستعمار<sup>(١٢١)</sup>. فضلا عن ذلك، يمكن القول أن ظهور المؤسسات الصحية والمستشفيات التي قامت ببنائها الحكومة البحرينية قد أثرت بشكل أو بآخر على نشاطات الإرسالية ومؤسساتها الصحية بما اثر بشكل واضح على نشاط الإرسالية في الجانب الصحي التي انحسر نشاطها ولم يبقى سوى على نطاق ضيق جدا.

المحور الرابع: إجراءات حكومة البحرين الصحية حتى عام ١٩٣٩

كانت أولى الإجراءات الطبية الحديثة التي اتخذت في البحرين قد تمثلت بالشروع بنظام الحجر الصحي وذلك عندما اصدر الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين (١٨٦٩-١٩٣٢) امرا في عام ١٩٠٩ ببناء محجرا صحيا في منطقة القضيبيية على الساحل وكان يطلق عليه (الكرنتيله او الكرنتينه)نسبة الى اللفظ الأجنبي للكلمة وذلك للحد من انتشار الأوبئة والأمراض في البحرين لاسيما من الأشخاص القادمين اليها والذين يحملون الامراض من بلادهم<sup>(١٢٢)</sup>.

على الرغم من أجواء الحرب العالمية الأولى لكن البحرين كانت تتبع فيها إجراءات صحية للسفن القادمة اليها وذكر كريستجي الذي وصلها عام ١٩١٦ اقادما من بمباي ،ذ قال ((وفي الصباح الباكر جاء الى الباخرة المسؤول الصحي بالمرفأ وانجز جميع الإجراءات المتعلقة بفحص أوراق الباخرة ،فهو يعد شخصية مهمة في حد ذاته ،اذ انيطت به جميع المهام في عمله فهو بمثابة المسؤول الصحي بالمرفأ وهو الطبيب المعالج في دار المعتمدية البريطانية عند الضرورة وهو الطبيب الخاص للشيخ وعائلته وهو مسؤول عن نوع من العيادة المجانية الا انه يمارس العلاج الخاص أحيانا من اجل زيادة دخله ويحصل على مردود مادي بمعالجة عرب المدن الذين لديهم أي استحياء ديني نحو الطب الغربي ولا يلجأون اليه الا في حالة الضرورة القصوى))<sup>(١٢٣)</sup>

الواقع ،ان مستشفى الإرسالية الأمريكية في البحرين لم يكن المؤسسة الوحيدة التي تهتم بالجانب الصحي وانما كان للحكومة البحرينية عدة خطوات واجراءات قد اتخذتها لمعالجة الأوضاع الصحية وبخاصة في حالة انتشار اوبئة والأمراض ومن ذلك قيامها بشراء سفينة من الكويت نوع (داو)وزودتها بالاجهزة الطبية اللازمة وجعلتها بمثابة مستشفى عائم لخدمة الغواصين وربما هذا الاجراء قد امتازت به البحرين عن باقي امارات الخليج العربي لاجل تحسين الواقع الصحي لابناءها،كما انها خصصت للجانب الصحي في ميزانية ذلك العام مبلغ مقداره (١٢٠٠٠)روبيه التي كان مقدارها الكلي (١٥٢٣٠٠٠)روبيه<sup>(١٢٤)</sup>،فضلا عن ذلك قامت الحكومة بأصدار البيانات والاعلانات التي تحذر فيها المواطنين وتوضح لهم مخاطر تلك الامراض وكيفية معالجتها ،ونتيجة لانتشار مرض الكوليرا في البحرين ،أعلنت الحكومة في ٢١ نيسان ١٩٢٧ عن مجموعة من التعليمات لاهالي البلاد لغرض الالتزام بها للوقاية من ذلك المرض او التخفيف منه وتضمنت التعليمات الاتي:<sup>(١٢٥)</sup>

- ١-حفظ جميع المأكولات من الذباب.
- ٢-المحافظة على تنظيف المطبخ في كل بيت مع أدوات الطبخ.
- ٣-عدم تناول المأكولات التي تباع في الشوارع.
- ٤-عدم استخدام المياه قبل تسخينها .
- ٥-الامتناع عن تناول الخضروات غير المطبوخة.
- ٦-شرب قليل من الليمون يوميا.

٧- إذا أصيب احد الأشخاص بالمرض او شعر بأعراض المرض عليه مراجعة الطبيب لاختذ العلاج. الى جانب ذلك وبسبب انتشار وباء الجدري في بلدتي المنامة والمحرق، أعلنت الحكومة في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٧ عن تعيين طبيب خاص لمعالجة الرجال وأيضاً طبيبة أخرى لمعالجة النساء وحددت أماكنهم وأوقات عملهم ويكون العلاج مجاناً وبدون مقابل<sup>(١٢٦)</sup>.

ومن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة في المجال الصحي قرارها في ١١ أب ١٩٢٩ بعدم السماح لأي شخص في النقل على المراكب القادمة من بمباي ما لم يكن حاملاً لشهادة الحجر الصحي التي تثبت عدم إصابته بالمرض، وكذلك عدم اخذ المياه من تلك السفن والمراكب القادمة من تلك المنطقة وذلك نتيجة لانتشار مرض الكوليرا فيها<sup>(١٢٧)</sup>، فضلاً عن ذلك تظهر احدى الوثائق التاريخية صدور اعلان من الحكومة البحرينية في ٧ كانون الثاني ١٩٣٠ والذي استند على معلومات كان قد أرسلها المقيم السياسي البريطاني في الخليج باليوز يحذر فيها من انتشار مرض الطاعون في مدينة البصرة وبالتالي يطلب من الحكومة البحرينية ان تتخذ إجراءات الحجر الصحي مع الأشخاص القادمين من تلك المدينة الى البحرين للحد من انتشاره<sup>(١٢٨)</sup>، فضلاً عن ذلك صدور اعلان اخر من الحكومة البحرينية في ٥ تموز من العام ذاته يلزم جميع المسافرين الى البصرة بضرورة ان يأخذوا اللقاح ضد مرض الطاعون قبل سفرهم<sup>(١٢٩)</sup>، وفي ٢٧ أب من العام ذاته أعلنت الحكومة انه في حالة وجود مريض على متن احدى السفن القادمة الى البحرين يجب على مالك السفينة ان يقوم بأصاله الى المستشفى او الى بيته وعدم تركه في الطريق وفي حال مخالفة تلك التعليمات يتم معاقبة مالك السفينة وجاء ذلك القرار من اجل الحفاظ على الصحة العامة<sup>(١٣٠)</sup>.

وعندما انتشر وباء الكوليرا عام ١٩٣١ صدر اعلان عن الحكومة البحرينية في ١٤ اب من العام ذاته منع بموجبه نزول أي شخص الى ارض البحرين ما لم يكن لديه شهادة تلقى ضد المرض وان الأشخاص الذين لايملكون شهادة التلقيح فلا يسمح لهم بالنزول فيها، كذلك ان الأشخاص الذين يسمح لهم بالدخول الى البحرين يجب عليهم امضاء خمسة أيام في الحجر الصحي للتأكد من سلامتهم، فضلاً عن ذلك فقد أشار الإعلان الى منع توريد الفواكه والخضروات من الموانئ التي تقع شمال الخليج العربي وبخاصة مدينة البصرة التي كان ينتشر فيها المرض، ولإجراءات احترازية منع الإعلان اهل البحرين استقلال السفن والمراكب القادمة من البصرة او الموانئ الأخرى القريبة منها والتي ينتشر فيها المرض، وبجانب ذلك زادت الحكومة مخصصات الصحة في ميزانية ذلك العام الى ٢٦٤٠٠ روبية وأيضاً تم تعيين قابلة هندية مدربة للقيام بعمليات الولادة في مدينة المحرق<sup>(١٣١)</sup>.

ولاجل تنظيم الأوضاع الصحية أعلنت الحكومة في ٣ أيار ١٩٣٢ بأن سيقوم الطبيب الحكومي بجولات تفتيشية الى محلات بيع الادوية (الصيدليات) مرة كل ستة اشهر وذلك لمنع بيع الادوية القديمة والتي تضر بصحة الانسان، وبالتالي فإن الحكومة دعت جميع أصحاب تلك المحال للتعاون مع طبيب الحكومة والسماح له بالتفتيش<sup>(١٣٢)</sup>. الى جانب ذلك صدر اعلان حكومي في ٥ أيار من العام ذاته بمنع جلب جميع المخدرات الى البحرين وهي كالاتي<sup>(١٣٣)</sup>

- ١- الاقيون على اختلاف انواعه سواء كان اخضر او معمول او محضر كدواء للعلاج به.
- ٢- المورفين والكوكائين والايكونين والهرويين وغيرهما من العقاقير.
- ٣- جميع الاملاح المستخرجة من ما ذكر في المادة الثانية.
- ٤- أي مزيج او أي محلول مستخرج من الحشيش الهندي.
- ٥- أي محلول سواء كان مركب او مزيج او أي مادة أخرى تحتوي على أي جزء من الهرويين.

ومن الأمور الأخرى للحفاظ على الصحة العامة أعلنت الحكومة في ٢٤ أيلول ١٩٣٢ منع استخدام الاكياس القديمة والمستخدمة لوضع الأشياء فيها مرة أخرى لان ذلك يشكل خطرا على الصحة العامة (١٣٤)

ونتيجة لازدياد حالات الوفيات بين النساء اثناء عمليات الولادة كونها كانت تتم بطرق بدائية قامت بلدية المنامة في أيلول ١٩٣٣ بأحضار قابلة متدربة لاهالي المنامة وما جاورها من المناطق ومن اجل اعلام الأهالي أصدرت في ٨ أيلول من العام ذاته حددت فيه مهام القابلة في كونها تعمل في الليل والنهار وانها تقدم طلبات أهالي المنامة على طلبات المناطق الأخرى، وحددت البلدية اجرة التوليد الرسمية مابين ٢٠ الى ٤٠ روبية، اما العوائل الفقيرة فتكون عمليات الولادة على نفقة البلدية، واشترطت البلدية على القابلة ضرورة استمرار علاج النساء اللواتي اصبن بالأم بعد الولادة الى حين شفائهن، وفي الوقت نفسه حظرت على القابلة علاج او توليد النساء المصابات بأمراض خطيرة، وبنجاح هذه الخطوة قامت بلدية المحرق بتعيين قابلة فيما بعد (١٣٥)

ومن الإجراءات الأخرى التي اتخذتها البحرين لمنع انتشار الأوبئة والأمراض وبخاصة عندما انتشر وباء الجدري في بوشهر عام ١٩٣٤، فقد أعلنت الحكومة في ٢٠ اذار من ذلك العام عن منع السفن والبواخر القادمة من ميناء بوشهر او الموانئ القريبة منه بالدخول الى موانئها ما لم يتم اجراء الحجر الصحي عليها للتأكد من سلامة ركابها (١٣٦)، وفي السياق ذاته أعلنت الحكومة أيضا في ٢٢ نيسان ١٩٣٤ بأنه سيتم المباشرة بالتطعيم ضد الجدري في المستشفى الحكومي ويكون ذلك يوم الأربعاء من كل أسبوع (١٣٧)، وفي العام ذاته تعرضت البحرين لانتشار مرض الملاريا، وعلى اثر ذلك تشكلت (اللجنة الاستشارية لمكافحة الملاريا) التي ضمت كل من الشيخ محمد بن عيسى ال خليفة رئيس بلدية المنامة والشيخ عبدالله بن عيسى ال خليفة رئيس بلدية المحرق والشيخ سلمان بن حمد ال خليفة ولي العهد والوكيل السياسي البريطاني في البحرين باليوزومدير الكمارك في البحرين ومحمد خليل مدير الطابو والدكتور هوامر طبيب المستشفى الحكومي، وفي ١٩ آب ١٩٣٤ اجتمعت تلك اللجنة وقررت الاتي: (١٣٨)

١- ان يطلب من بلديتي المنامة والمحرق ان يحضروا خرائط لحدودهما وان يدخلوا في تلك الخرائط جميع الابار والمستنقعات والأماكن الأخرى التي ممكن ان تكون محلا لتوليد البعوض، وينبغي ان يجري في كل جلسة للجنة عمل قائمة من قبل البلدية بالاعمال التي تمت من ردم او تطهير لتلك الأماكن وتأشير ذلك في الخارطة في كل جلسة .

٢- يطلب من البلديتين على حد الإمكان تعيين اشخاص محترفين ليقوموا بجولات على البيوت ويشرحوا للناس بأن الماء الموضوع في الحبوب(جمع كلمة حب وتعني وعاء لحفظ ماء الشرب وتبريده في الصيف) ينبغي اخلائه مرة في الأسبوع وتنظيفه حتى لايساعد في تكاثر البعوض ويساهم في هلاكه، فضلا عن ذلك يجب على المفتشون القيام بتفتيش (الحبوب) التي بداخل البيوت للتأكد من نظافتها.

وفي السياق ذاته اقترح الشيخ محمد بن عيسى ال خليفة في ٥ أيلول من العام ذاته بضرورة توجيه الحكومة للمعلمين في المدارس للقيام بارشاد الطلبة وإعطاء الدروس التوضيحية لكيفية معالجة مرض الملاريا وشرح الأسباب التي تؤدي الى تكاثره لغرض الوقاية منها (١٣٩).

فضلا عن ذلك، ارسل المستشار البريطاني في البحرين بلجريف كتابا الى رئيس بلدية المنامة في ١١ تشرين الثاني ١٩٣٥ أشار فيه الى الأسباب التي تؤدي الى انتشار مرض الملاريا وكيفية معالجته، حيث أوضح فيه ان مرض الملاريا ينتشر بسبب لسعات البعوض وبالتالي يجب القضاء على البعوض والذي يتولد في البرك والمستنقعات التي يوجد فيها الماء الأسن، كذلك ان البعوض يتولد في جرات المياه

المربوطة في البيوت والتي لا يتم تنظيفها وغسلها او تفريغها بشكل تام من المياه ،وبذلك فإنه على إدارة البلدية ان تتباحث في هذه الأمور بالتشاور مع الأطباء وهم كل من (هولمز-بندركار) لاخذ ارائهم للتخلص من المرض او تقليل اعداد المصابين به<sup>(١٤٠)</sup>.

ونتيجة لذلك صدرت في البحرين نشرة توضيحية تعريفية عن اضرار البعوض وكيفية التخلص منه وأسباب تكاثره ،اذ اشارت تلك النشرة في بدايتها الى شعار جاء بعنوان ((لاتدع البعوضة تسعك))،اذ انها عدت لسعة البعوض السبب الرئيس في حصول المرض وانها تسبب إصابة الشخص الحمى ،فضلا عن ذلك بين المنشور الأماكن التي يتواجد فيها البعوض وهي الابار والجداول الراكدة وشواطئ الترع وفي المستنقعات التي على شواطئ الأنهار وفي الشواطئ الرملية وكذلك في الصفائح الفارغة التي فيها قليل من الماء ،مقابل ذلك فإن النشرة بينت كيفية التخلص من الأماكن التي يتولد فيها البعوض من خلال ردم تلك المستنقعات والبرك الصغيرة وان تظهر الصفائح الفارغة مع القيام برش مادة زيت البترول (الكيروسين)في تلك الأماكن ،والقيام بحرق كمية قليلة من مسحوق (كينيج)او الكيرزول في الغرف بشكل بطيء ويتم فتح باب الغرفة لغرض خروج البعوض والحشرات منها ،كما نصحت النشرة بضرورة استخدام الناموسيات(الكله)-وهي مصنوعة من خيوط رقيقة جدا تستخدم اثناء النوم في الليل-ويجب ان تحكم بشكل جيد منعا لدخول البعوض فيها ،كذلك بالإمكان استخدام شبكات مصنوعة من سلك ضيق ووضعها على أبواب ونوافذ الغرف ،واختتمت تلك النشرة بعبارة ((اذا لسعتك بعوضة فلا تحك جسمك لانك ان فعلت أحدثت قروحا ،لاتحك بل ضع دهانا مكان السعة))<sup>(١٤١)</sup>

امام تلك التحديات التي تواجه الواقع الصحي في البحرين ،صدر الشيخ حمد بن عيسى ال خليفة في ١٨ نيسان ١٩٣٦ امرا بصرف مبلغ ٥٠٠٠ روبية الى بلدية المنامة لغرض ردم ودفن المستنقعات الموجودة فيها<sup>(١٤٢)</sup>. ولم يكتف حاكم البحرين بذلك الاجراء فحسب بل ارسل في ١٦ تشرين الثاني من العام ذاته رسالة الى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي يوضح فيها أهمية الشروع ببناء مستشفى في البحرين لاسيما مع تزايد عدد سكان البحرين والذين بلغ عددهم حسب ما جاء في الرسالة (١٥٠٠٠٠) نسمة في الوقت الذي لم يكن فيه بالبحرين سوى مستشفين وهما لا يكفيان لمعالجة المرضى ،ولغرض تحسين الواقع الصحي فإن حاكم البحرين اقترح ان يتم انشاء مستشفى جديد وتعهده بتخصيص المبلغ اللازم لبنائه<sup>(١٤٣)</sup>

مقابل ذلك وافق المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي على ذلك المقترح والذي أثنى على تلك الفكرة وامتدحها وأشار الى أهمية تحسين الوضع الصحي في البحرين واقترح أيضا ان يتم ارسال طبيبه الخاص (روني)الى البحرين للتعرف على تفاصيل أكثر عن المشروع وحجم المستشفى ولوازمه<sup>(١٤٤)</sup>

الواقع ان الحكومة البحرينية استخدمت عدة أساليب لأجل تحسين الواقع الصحي ،ومن تلك الأساليب لجوئها الى الاهتمام بالجانب التوعوي والارشادي من خلال اصدار النشرات التعليمية والتثقيفية بخصوص أسباب انتشار الامراض وطرق الوقاية منها ،اذ أصدرت في عام ١٩٣٧ نشرة اطلق عليها (النشرة الصحية... الملاريا والجدي)وتضمنت مقدمة تلك النشرة على ان الدوائر الصحية لحكومة البحرين متخذة جميع الوسائل لسلامة الأهالي ووقايتهم من الامراض الفتاكة وبالتالي فان على الأهالي الالتزام بالارشادات الصحية الواردة في تلك النشرة لمنع انتشار الامراض والقضاء عليها ،وبدأت تلك النشرة بشعارها الاتي((درهم وقاية خير من قطار علاج))،وبما ان النشرة مخصصة لمرض الملاريا والجدي فأنها ابتدأت الحديث عن مرض الملاريا مبينة أسباب حدوثه والتي اشارت اليها بأنها تتكون من خلال وجود الطفيليات التي تدعى(بلاسيديا)في دم المصاب<sup>(١٤٥)</sup>،كذلك الإشارة الى اعراض المرض المتمثلة في

الشعور بالبرودة الشديدة في كل أجزاء الجسم ثم يعقبها شعور بالحرارة الجافة ثم تعرق، وعند خروج المريض من تلك الاعراض فإنه يشعر بضعف عام ووجاع في المفاصل وصداع في الرأس وفقدان للشهية<sup>(١٤٦)</sup>، وفي حالة عدم العلاج يأخذ الطحال بالتضخم ثم الكبد وبعد بضعة أشهر يعجز الجسم في الدفاع عن المرض، كما اشارت تلك النشرة الصحية الى أسباب حصول المرض وطرق انتقاله والأماكن التي يتواجد فيها وأوضحت أيضا طرق مواجهته ومنها مايسمى (املاح الكينين) والتي يجب على كل شخص يسكن في منطقة موبوءة ان يأخذ غراما من تلك الاملاح لمرتين في الأسبوع، اما بخصوص الأطفال فتعطى لهم كمية اقل وبنفس الكيفية<sup>(١٤٧)</sup>

اما بخصوص مرض الجدري، فقد اشارت تلك النشرة الى انه مرض فتاك وسريع العدوى وان التلقيح منه يكسب الشخص حماية لمدة خمس سنوات وبالتالي فإن الواجب الوطني والإنساني يحتم على كل فرد ان يلقح نفسه واطفاله ويعطى ذلك التلقيح مجانا في المستشفى الحكومي، وكذلك يجب تجديد التلقيح كل خمس سنوات وتضمنت النشرة عدة شعارات بخصوص ذلك المرض منها (الجدري مرض مميت) و(الجدري مرض مسبب لحمى) و(الجدري مرض مشوه للبشرة)<sup>(١٤٨)</sup>

لم يكن الجانب التوعوي او الأسلوب الارشادي هو الاجراء الذي استخدمته الحكومة البحرينية فحسب بل كانت لها إجراءات أخرى قامت بها منها عندما انتشر مرض الكوليرا في عام ١٩٣٧ استقدمت احد الأطباء الأخصاص الأجانب لغرض ان يقوم بزيارات ميدانية الى مدن البحرين وقراها ليطلع بصورة مباشرة على أوضاعها ويأخذ المعلومات الكاملة حول الأسباب التي تؤدي الى تكاثر المرض والوصول الى طرق المعالجة الناجحة<sup>(١٤٩)</sup>، كما قامت الحكومة في ١٩ تموز من العام ذاته بتكليف احد الأطباء ليقوم بزيارة سوق الخميس وبعض القرى وحسب جدول تم اعداده لذلك الغرض وقد حددت الأماكن التي يتواجد فيها الطبيب اثناء زيارته لتلك القرى لمعالجة المرضى<sup>(١٥٠)</sup>

وفي العام ذاته، شهدت الخدمات الصحية في البحرين تحسنا ملحوظا بل عد ذلك العام نقلة نوعية في المجال الصحي بسبب الإجراءات التي اتخذت خلالها ومنها انتشار العيادات الطبية الخارجية بصورة ملحوظة وكذلك التخطيط لبناء مستشفى في منطقة النعيم وأيضا البدء بإنشاء مستشفى عوالي من قبل شركة بابكو، كذلك انشاء عيادة للبلدية جنوب شرقي المنامة وخصصت بيت بالقرب منها لرعاية الحوامل والولادة، كما أسس مستشفى صغير كمعزل للنساء المصابات بأمراض معدية في منطقة النعيم بالمنامة وفي السياق ذاته أنشئت عدة عيادات للأطفال، وفي نفس العام أيضا تم الانتهاء من الدراسة الكاملة لإنشاء مستشفى للرجال والنساء يتسع لمائة وعشرين سريرا واختير له موقع بالقرب من شاطئ النعيم، كذلك كلفت الحكومة الرائد (افريدي) الذي يعمل في سلك الخدمات الطبية الهندية ومعهد الملاريا بدلهي للقيام بمسح عام لمرض الملاريا في البحرين وقد جاء في تقريره ان نسبة الإصابة في القرى اكثر من المدن، اذ بلغت نسبة الإصابة في المدن ٣٠% بينما كانت في القرى ٧٠%، كما تطرق في تقريره الى ان مصادر توالد البعوض الناقل للملاريا هي المستنقعات والابار الارتوازية والعيون والمياه الراكدة والابار الموجودة في البيوت والجرار التي يوضع فيها الماء في البيوت، ووضع في تقريره عدة طرق لمعالجة أسباب انتشار الملاريا ومنها وضع النفط الخام في تلك المستنقعات وصيانة مصادر المياه وردم المستنقعات وتنظيف المجاري وتكثير الأسماك في القنوات والعيون والابار المكشوفة<sup>(١٥١)</sup>.

ويعد عام ١٩٣٨ هو بداية إقامة مستشفى النعيم وتم تعيين الدكتور دافن بورت (Davan port) رئيسا لاطباء حكومة البحرين<sup>(١٥٢)</sup>



وفي ٢٤ أيار ١٩٣٩ اصدر الشيخ حمد بن عيسى ال خليفة اعلانا الى أهالي البحرين بخصوص الحذر من انتشار البعوض الذي يحمل مرض الملاريا ولاسيما الأشخاص الذين تكون بسايتهم بين مدينتي المحرق والمنامة او التي تبعد عن حدود المدينتين بمقدار نصف ميل وجاء في الإعلان ذاته الى ان الحكومة ستقوم بتوزيع النفط الخام مجانا الى المواطنين للقيام برشه في المياه الراكدة لغرض التخلص من البعوض والحد من انتشار مرض الملاريا<sup>(١٥٣)</sup>

وفي السياق ذاته تم تشكيل لجنة لمتابعة مكافحة مرض الملاريا ضمت بعض أعضاء مجلس بلدية المنامة وبعض الأطباء الذين تم استقدامهم من الهند لغرض وضع الحلول واتخاذ الإجراءات اللازمة، كما تم تخصيص مبلغ ٦٠٠٠ روبية من ميزانية الحكومة لمقاومة المرض والقيام بدفن الأرض المنخفضة الواقعة جنوب المنامة خلف مستشفى الارسالية الامريكية لأنها تشكل مكانا يتجمع فيه الماء ويصبح مستنقعات تكون بؤرا ومقرا للحشرات والبعوض<sup>(١٥٤)</sup>.

وفي العام ذاته عينت الحكومة الدكتورة مكدروال (Mcderruall) واسندت اليها مسؤولية قسم النساء بالمستشفى، كما عينت الانسة هاربولتل (Harbottle) رئيسة للمرضات وكان عدد الموظفين ثلاثين موظفا وأربعة أطباء وبلغت الميزانية التي خصصت للصحة في ذلك العام (١٣٦٠٠٠) روبية، كما افتتحت بالوقت ذاته عيادات طبية في كل من البديع وكرزكان والرافع الشرقي وسترة<sup>(١٥٥)</sup>.

#### الخاتمة:

اتضح من خلال البحث النتائج الآتية:

١-عانت البحرين مثل بقية امارات الخليج العربي من ظروف صحية سيئة نتيجة انعدام الطب الحديث والاعتماد على الطب الشعبي الذي تم استخدامه بأشكال ووسائل متعددة والذي كان يعتمد بشكل كبير على الخبرة والتجربة، الامر الذي أدى الى وفيات كبيرة عند تعرض البحرين الى موجات الأوبئة التي يتكرر بأستمرارها حدوثها سابقا.

٢-اتضح من خلال البحث ان وجود الارسالية الامريكية في البحرين ساهم ولو بشكل قليل في تحسين المستوى الصحي من خلال الإجراءات الصحية الحديثة التي استخدمها أطباء الارسالية، وعلى الرغم من عدم تجاوب الأهالي مع ذلك النوع من الطب الا انهم اخذوا بمرور الوقت يفتتعون بأهمية الطب الحديث في معالجة الامراض والوبئة التي كانت تنتشر في البحرين بين مدة وأخرى.

٣-ان وجود المستشفى الذي اقامته الارسالية في البحرين ساهم بشكل كبير الى تشجيع الحكومة البحرينية في اتخاذ عدة خطوات لتحسين الواقع الصحي لابناءها من خلال استخدام الأساليب الطبية الحديثة المتاحة آنذاك وكذلك العمل على البدء بمشاريع بناء المستشفيات وجلب الأطباء، كذلك الاهتمام بتشخيص الأسباب التي تؤدي الى انتشار الأوبئة والامراض .

٤-اخذ اهتمام الحكومة البحرينية يتصاعد في الاهتمام بالجانب الصحي واعطاه أولوية من خلال الأموال والمبالغ التي كانت تخصصها الحكومة لذلك المجال رغبة منها في معالجة الواقع الصحي وحماية ابناءها من خطر الإصابة بتلك الامراض والوبئة والعمل على الاهتمام بالجانب الإعلامي من خلال توعية المجتمع الى مسببات تلك الامراض وكيفية معالجتها.

٥-يتضح مما سبق انه رغم الظروف الصحية الصعبة والانتشار المتكرر للأوبئة والامراض في البحرين وقلة الكوادر الطبية والمستشفيات لكن ذلك لم يمنع الحكومة من القيام ببعض الإجراءات التي حاولت من خلالها الحد من انتشار تلك الامراض مستخدمة كل الوسائل المتاحة ولم تألوا جهدا في توفير بعض

المستلزمات او الكوادر الطبية من الخارج لاجراء الدراسات الخاصة في البحث والتقصي عن أسباب انتشار تلك الامراض ووضع الحلول الناجعة لها متبعة في ذلك الوسيلة العلمية الأهم وهي اجتثاث الامراض بالتخلص من مسبباتها وهذا لايعني ان البحرين قد وصلت الى مراحل متقدمة في المجال الصحي آنذاك ولكن على اقل تقدير انها اتخذت خطوات ساهمت كثيرا في تحسين الواقع الصحي في البلاد واستت للمراحل اللاحقة ببناء المستشفيات الحديثة واتباع النظم الصحية المتطورة .

هو امش البحث

(١)سالم سعدون المبادر ،جزر الخليج العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية ،دار الحرية للطباعة ،بغداد،١٩٨١،ص١٣٨.

(٢)المصدر نفسه ،ص١٥١.

(٣)عماد جاسم حسن ،نشاط البحرين الملاحي ١٧٨٣-١٩١٤،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ،جامعة البصرة ،٢٠٠٥،ص١٠.

(٤)علي أبا حسين ،العلاقات التاريخية بين البحرين والهند ،البحرين ،١٩٩٦،ص١٠٩.

(٥)عماد جاسم حسن ،المصدر السابق،ص١٣.

(٦)Belgrave.J.H.wellcome to Bahrain,London,١٩٧٠,p.١٢.

(٧)ج.ج.لوريمر ،دليل الخليج ،القسم الجغرافي ،ج٣،ترجمة مكتب امير دولة قطر،دب،ص٧٦٥.

(٨)محمد متولي ،حوض الخليج العربي ،ج١،مكتبة الانجلو المصرية ،١٩٧٥،ص٢٠.

(٩)عماد جاسم حسن،المصدر السابق،ص٤٧-٤٨.

(١٠)طلال الرميضي ،اعلام الغوص عند العوازم خلال قرن(١٨٥٠-١٩٥٠)بأمانة الكويت ،دار الكتاب الحديث،الكويت،٢٠٠١،ص٦٤-٦٥،كذلك ينظر:الن فلبيرز،أبناء السندباد ،ترجمة نايف خرما،مطبعة حكومة الكويت ،الكويت،١٩٨٢،ص٥١١-٥١٢.

(١١)خالد فهد الجارالله ،تاريخ الخدمات الصحية في الكويت من النشأة حتى الاستقلال ،مركز البحوث والدراسات الكويتية ،الكويت،١٩٩٦،ص٤٠.

(١٢)جمعة خليفة احمد بن ثالث الحميري،رحلة الغوص واللؤلؤ،منشورات حكومة دبي ،دبي،٢٠١١،ص١٧٢-١٧٣.

(١٣)التشالة:اسم يطلق على سفينة شراعية تشبه اليوم من الامام ومن الخلف متوسطة الحجم ،كانت تستدم في معظم مناطق الخليج العربي لنقل الصخور من اجل بناء المنازل:محمد علي البستكي،السفن الشراعية في منطقة الخليج العربي،دبي،ص٣١.

(١٤)جمعة خليفة احمد بن ثالث الحميري،المصدر السابق،ص١٦٩-١٧٠.

(١٥)مسلم هادي عبدالله ،النشاطات الصحية الأجنبية البريطانية والأمريكية في الكويت ١٩٠٤-١٩٥١،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية التربية للعلوم الإنسانية،جامعة البصرة،٢٠١٤،ص٣٠.

(١٦)زينب عباس عيسى ،الطب الشعبي في البحرين ،مجلة الثقافة الشعبية ،العدد ١٢،مج٤،البحرين ،٢٠١١،ص٨٥.

- (١٧) عبدالعزيز حسين ،محاضرات عن المجتمع العربي بالكويت ،ط٢، دار قرطاس ،الكويت، ١٩٩٤، ص٤٥ .
- (١٨) عماد جاسم حسن ،دراسات في تاريخ مدينة سوق الشيوخ الحديث والمعاصر ،دار الفيحاء للنشر ،بيروت، ٢٠١٧، ص١٧٨ .
- (١٩) زينب عباس عيسى ،المصدر السابق، ص٨٧ .
- (٢٠) عماد جاسم حسن،دراسات في تاريخ مدينة سوق الشيوخ الحديث والمعاصر، ص١٧٩ .
- (٢١) المصدر نفسه ، ص١٨٠ .
- (٢٢) مسلم هادي عبدالله ، المصدر السابق ، ص١٧ .
- (٢٣) سي.ام.كرستجي،ارض النخيل -رحلة من بومباي الى البصرة والعودة اليها ١٩١٦-١٩١٧،ترجمة منذر الخور،مطبوعات بانوراما الخليج،البحرين، ١٩٩٦، ص٤٤ .
- (٢٤) مسلم هادي عبدالله،المصدر السابق، ص١٧ .
- (٢٥) لوريمر ،دليل الخليج ،القسم التاريخي، ج٦، ص٣٦٤٧ .
- (٢٦) صحيفة الوطن ،العدد ١١٢٩٦، في ١٣ اذار ٢٠٢٠ .
- (٢٧) الإرسالية :مصطلح مأخوذ في الأصل من القاموس الديني المسيحي خاصة ،ويعني قيام طائفة دينية بإرسال ممثلين او مندوبين عنها لنشر معتقداتهم وإنشاء مؤسساتهم بين أناس يجهلون بالأساس حقيقة أهدافهم وأغراضهم :محمد شفيق غربال ،الموسوعة العربية الميسرة ،دار الشعب ومؤسسة فرانلكين للطباعة والنشر ،القاهرة ، ١٩٧٢، ص٣٥٧ .
- (٢٨) التبشير :مصطلح ديني مسيحي يقصد به نشر الإنجيل بين مجموعة من البشر في محاولة لتبشيرهم ،والمبشرون هم الذين يجندون أنفسهم للقيام بتلك المهمة وذلك عن طريق الدعوة إلى النصرانية صراحة او عن طريق الخدمات الصحية والتعليمية ودس الأفكار التبشيرية فيها :عبد الرحمن حسن جنكة الميداني ،أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير -الاستشراق -الاستعمار) دراسة وتحليل وتوجيه ،سلسلة أعداء الإسلام (٣)، ط٨، دار القلم ،دمشق ، ٢٠٠٠، ص٥٣ .
- (٢٩) محمود شاكر ،موسوعة الخليج العربي ، ج٢، دار أسامة للنشر والتوزيع ،عمان ، ٢٠٠٥، ص٥٣٨ .
- (٣٠) عبد المالك خلف التميمي ،التبشير في منطقة الخليج العربي-دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي ،الكويت ، ١٩٨٨، ص١ .
- (٣١) دافيد ارنولد ،الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية ،ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي ،عالم المعرفة ،الكويت ، ١٩٩٨، ص٣٢-٣٣ .
- (٣٢) البروتستانتية :هي مجموعة العقائد الدينية والكنسية المنبثقة عن حركة الإصلاح الديني في أوروبا ،وهي لغويا مشتقة من كلمة لاتينية الأصل تعني الاحتجاج او الاعتراض ( protestantism) وهي بمعناها الواسع تطلق على الذين لاينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية وتتطوي البروتستانتية على أفكار تحررية في الأمور الدنيوية والدينية ،وكذلك إعطاء الفرد حرية التقدير والحكم على الأمور وفي التسامح الديني ،واهم طوائفها هم (اللوثريون ،الاصطلاحيون ،الانكليكان ،المنهجيون ،المعمدانيون ،الإنجيليون )وان القاسم المشترك الأساس بين كل هذه الطوائف هو إيمانهم المطلق بأولوية الكتاب المقدس على التقليد الكنسي كمصدر للوحي وكتعاليم للعقيدة والسلوك :محمد شفيق غربال ،المصدر السابق، ص٣٥٧ .
- (٣٣) مارتن لوثر: هو من مواليد ١٤٨٣ في بلدة ايزلين بألمانيا ،نال شهادة البكالوريوس والماجستير في العلوم من جامعة ارمون عام ١٥٠٥ ودرس القانون ،ثم تحول عنه ودخل ديراً للرهبان الاوغسطينيين

رسم كاهنا عام ١٥٠٧ بعدها حصل على شهادة الدكتوراه في اللاهوت عام ١٥١٢، واتخذ من الكتاب المقدس مصدرا رئيسا لأرائه واخذ يضع الخطط لإصلاح الكنيسة وطرق العبادة فيها، ومن مؤلفاته رسائل الإصلاح، أصول التعليم المسيحي، كما انه عارض الكنيسة الكاثوليكية واحتج على قضية بيع صكوك الغفران، قام بترجمة الكتاب المقدس الى اللغة الألمانية، ويعرف المذهب الذي يستند إلى تعاليمه باللوثرية التي دعت إلى ضرب هيمنة البابوية، توفي عام ١٥٤٦: فارس فرنك نصوري، حركة الإصلاح الديني والانشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية ١٥١٧-١٥٣٤، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٧، ص ٥٧-٧٦.

(٣٤) الكسندر ادموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم التكريتي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٢، ص ٢٣٠.

(٣٥) عبد المالك خلف التميمي، المصدر السابق، ص ١٩.

(٣٦) خالد البسام، ثرثرة فوق دجلة -حكايات التبشير المسيحي في العراق ١٩٠٠-١٩٣٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٥.

(٣٧) Clifton.j.phillips, protestant, America and the pagan world, garvord, ١٩٦٨, P.P. ١٥٢

(٣٨) صموئيل زويمر: مبشر أمريكي من أصل هولندي، ولد عام ١٨٦٧ وتخرج من معهد نيويورك اللاهوتي، انظم إلى الإرسالية الأمريكية العربية وأصبح عضوا بارزا فيها، مارس أعماله الميدانية التبشيرية في البصرة ثم في البحرين وبعد ذلك الكويت وكان له دور كبير في البحرين وله عدة مؤلفات، توفي عام ١٩٥٢: عبد الرحمن عميرة، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وخلال الاستشراق، دار الجبل، بيروت، د.ت، ص ١٦، وللمزيد ينظر: ناصر بن إبراهيم بن عبدالله، صميل زويمرحياته وجهوده التنصيرية، العبيكان، الرياض، ٢٠١٧.

John.A.Denovo, American interest and policies in the Middle

East, (٣٩)

١٩٠٠-١٩٣٩, the University of Minnesota press, Minneapolis, ١٩٦٣, P. ١٠.

(٤٠) فاطمة حسن الصايغ، الساحل المتصالح في كتابات المنصرين في كتاب علي بن بطي، ندوة كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ٨-١٩٩٦/١٩، ص ٣١٠-٣١١.

(٤١) عبد المالك خلف التميمي، المصدر السابق، ص ١٧.

(٤٢) خالد البسام، المصدر السابق، ص ٧.

(٤٣) S.M.Zwemer, Arabia-the cradle of Islam, London, ١٩٠٠, P.P. ٣٦٠-٣٦٤

(٤٤) مما تجدر الإشارة إليه أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت لها علاقات صداقة مع حاكم مسقط سعيد بن سلطان وتوقيع اتفاقية تجارية في ١٨ أيلول ١٨٣٣، وكان من نتائج تلك الاتفاقية تعيين هنري مارشال قنصلا في مسقط لإدارة شؤونها التجارية مع الخليج العربي، وكان نشاطها تجاريا بحثا

Regnald Coupland, East Africa and its Invaders from the earlist.

To the death of seyyid said in ١٨٥٦, Oxford, the clarendon press, ١٩٦١, P. ٣٦٢. كذلك ينظر: طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني -الأمريكي على نفط الخليج العربي وموقف العرب في الخليج منه ١٩٢٨-١٩٣٩، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢، ص ٣٢.

- (٤٥) جمال محمود حجر ،القوى الكبرى في الشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرون ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،١٩٨٩، ص١٣٣-١٣٤ .
- (٤٦) طارق نافع الحمداني ،تاريخ البحرين السياسي والاجتماعي والثقافي ،الوراق للنشر ،بيروت ،٢٠١١، ص١١٨ .
- (٤٧) ت.أ. أنتوني ،وثائق التاريخ الحديث للبحرين في المصادر الأمريكية ١٩٠٠-١٩٣٨ سجلات تاريخية للبعثة العربية نيوبرونسفيك -نيوجرسي،مجلة الوثيقة ،مركز الوثائق التاريخية ،البحرين ،العدد٦،السنة ١٩٨٥، ص٣، ٨٩ .
- (٤٨) عبد المالك خلف التميمي ،المصدر السابق ،ص٢٢ .
- (٤٩) S.M.Zwemer, Op.Cit., p. ١٠٦-١٠٧ .
- (٥٠) ج.ج. لوريمر ،دليل الخليج، القسم التاريخي ،ج٦، مطابع علي بن علي ،د.ت، ص٣٤٣٩ .
- (٥١) S.M.zwemer, the Mohammed an world of to-Day, new york, ١٩٠٦، p.٩٠ .
- (٥٢) عماد جاسم حسن ،نشاط الارسالية الامريكية العربية في البحرين ١٨٩٢-١٩٣٩، مركز ابن ميثم البحراني للدراسات والتراث، بيروت، ٢٠١٨، ص٢١ .
- (٥٣) جون فان ايس ،أقدم أصدقائي العرب، ترجمة خليل عمو، مطبعة بغداد، ١٩٤٩، ص٣٤١ .
- (٥٤) C.stanley Mylrea, Kuwait before oil ,unpuslshed Manuscript, p.٢٢ .
- (٥٥) فاطمة حسن الصايغ ،المصدر السابق، ص٣٠٧ .
- (٥٦) بونداريفسكي ،سياستان إزاء العالم العربي ،ترجمة دار التقدم ،موسكو، ١٩٧٥، ص٢٢٤ .
- (٥٧) عبد المالك خلف التميمي ،المصدر السابق، ص٤٦-٤٧ .
- (٥٨) S.M.Zwemer, Arabia, p.٣٥٨ .
- (٥٩) إبراهيم عكاشة ،ملاح عن النشاط التصيري في الوطن العربي ،جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ،١٤٠٧ هـ ،ص٢٧ .
- (٦٠) عبد العزيز الفهد ،التصوير الطبي الخفي في البلاد الإسلامية ،الرياض ،دار القاسم ،١٤٢٦ هـ ،ص٢٧ .
- (٦١) عمر فروخ ومصطفى الخالدي ،التبشير والاستعمار في البلاد العربية ،لبنان ،المكتبة العصرية، ١٩٧٣، ط٥، ص٥٩ .
- (٦٢) عماد جاسم حسن ،نشاط الارسالية الامريكية العربية في البحرين، ص٤٢ .
- (٦٣) وباء ابو الركب: حمى الضنك او مايسمى بالدنج وهي عدوى فيروسية تنتقل الى الانسان عن طريق لدغة بعوضة انثى من جنس الزاعجة مصابة بالعدوى ،وتظهر اعراض المرض خلال مدة تتراوح بين ٣ ايام الى ١٤ يوم بعد اللدغة لمعدية ،والجدير بالذكر ان هذا المرض يشبه الانفلونزا ويصيب المراحل العمرية كافة .مسلم هادي عبدالله ،المصدر السابق، ص١٨ .
- (٦٤) Source ,Neglected Arabia, oct, ١٨٩٤, p.٥ .
- (٦٥) الكسندر ادموف ،المصدر السابق، ص١٢٠ .
- (٦٦) طارق نافع الحمداني،المصدر السابق، ص١٤٧ .

S.M.Zwemer,Arabia,p.٣٦١.

(٦٧)

(٦٨)لوريمر ،دليل الخليج،القسم التاريخي،ج٦،ص٣٦٦٥.

(٦٩)طارق نافع الحمداني،المصدر السابق،ص١٤٨.

(٧٠)لوريمر ،دليل الخليج،القسم التاريخي،ج١،ص٥٠٧.

(٧١)عبد المالك خلف التميمي ،المصدر السابق،ص٤٨.

(٧٢)المصدر نفسه،ص٢٢.

.M.Zwemer,Arabia,p.٣٦٣.

(٧٣)

(٧٤)عبدالله بن خالد آل خليفة ،أضواء على نشأة وتطور الخدمات الصحية بالبحرين ،البحرين احد أهم المراكز الصحية في المنطقة منذ أوائل القرن ،الكتاب السنوي الثالث،مركز الوثائق التاريخية ،البحرين ،١٩٨٤،ص٨١.

S.M.Zwemer,Arabia,p.٣٦٣.

(٧٥)

Ibid.

(٧٦)

(٧٧)عبدالله بن خالد آل خليفة ،المصدر السابق،ص٨١.

(٧٨)ج.ج.لوريمر ،القسم التاريخي ،ج٦،ص٣٤٤١.

(٧٩)إيمان عليوي سلومي ،المصدر السابق،ص٨٦.

(٨٠)خالد البسام ،صدمة الاحتكاك ،ص٥٦.

(٨١)ج.ج.لوريمر ،القسم التاريخي ،ج٦،ص٣٤٤١.

(٨٢)عبدالله بن خالد آل خليفة ،المصدر السابق،ص٨١.

(٨٣)إبراهيم خلف العبيدي ،الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤-١٩٧١،مطبعة الأندلس ،بغداد ،١٩٧٦،ص٤٨.

(٨٤)محمد الخزاعي ،مئة عام على الإرسالية الأمريكية في البحرين ،مجلة البحرين الثقافية ،العدد ٢٤،البحرين ،٢٠٠٠،ص٢٣.

(٨٥)عبد المالك خلف التميمي ،المصدر السابق،٤٩-٥٠.

(٨٦)خالد البسام ،صدمة الاحتكاك،ص٤٢.

(٨٧)طارق نافع الحمداني ،المصدر السابق،ص١٤٤.

(٨٨)عبد المالك خلف التميمي ،المصدر السابق،ص٥١.

(٨٩)وهو خريج الكلية العسكرية في استانبول وبعد تخرجه عام ١٩٠٢ عاد إلى بغداد وتم تعيينه برتبة ملازم ثان لإحدى السرايا العثمانية الموجودة في منطقة الإحساء ،وفي طريق سفره إلى هناك توقف في

البحرين ثم أكمل مسيرته إلى مكان عمله :طارق نافع الحمداني ،المصدر السابق،ص٦٣.

(٩٠)محمد رؤوف الشخيلي ،مرآة الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها ،البصرة ،١٩٧٢،ص٢٣٢.

(٩١)عبد المالك خلف التميمي ،المصدر السابق،ص٥١.

S.M.Zwemer,Arabia,p.٣٦٣.

(٩٢)

(٩٣) عماد جاسم حسن، نشاط الارسالية الامريكية العربية في البحرين، ص٥٥.  
C.Stanley Maylrea, Op.cit, p١٤. (٩٤)

(  
Ibid, p.١٥.

(٩٥)

Ibid, p.١٧.

(٩٦)

(٩٧) ت.أ. أنتوني، المصدر السابق، ص٩٦.

(٩٨) C.Stanley Maylrea , Op.Cit., p.٣٣.

Ibid, p.١٨. (٩٩)

(  
Muhamad.G.Rumaihi, Bahrain-socil and political chane since  
(١٠٠)

The first war ,Kuwait, ١٩٧٥, p.١٧٥.

(١٠١) عماد جاسم حسن، نشاط الارسالية الامريكية العربية في البحرين، ص٥٨

(١٠٢) إبراهيم بن مسعود المالكي، المصدر السابق، ص١٦٨.

(١٠٣) المصدر نفسه.

(١٠٤) ويقصد به الساحل المتصالح أو إمارات الساحل العماني، إلا أن الغربيين يطلقون عليه ساحل  
القرصنة. الباحث.

Paul.W.Harrison, Doctor in Arabia ,New York , ١٩٤٠, p.٨٤.

(١٠٥)

(١٠٦) الوسط، البحرين، العدد ٤٤٣٦، في ٢٩ تشرين الأول ٢٠١٤.

(١٠٧) خالد البسام، حكايات من البحرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص١٩.

(١٠٨) خالد بن عبدالله آل خليفة، المصدر السابق، ص٨٦.

(١٠٩) علي أبا حسين، مقتطفات من تاريخ الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة، مجلة الوثيقة، مركز

الوثائق التاريخية، البحرين، العدد ٢٠٠٣، ٤٣، ص١٣٤.

(١١٠) المصدر نفسه، ص١٣٥.

(١١١) عبدالله بن خالد آل خليفة، المصدر السابق، ص٨٤.

(١١٢) كان هولمز يشرف على مستشفى فكتوريا التذكاري الذي انشأ أصلاً في عام ١٩٠٥ بهدف تقديم

الخدمات الطبية إلى موظفي الوكالة السياسية البريطانية في البحرين ومن واجباته انه عمل على إدارة

مستشفى المحرق الذي انشأ في عام ١٩٢٤: مؤيد عاصي سلمان، السياسة البريطانية في البحرين ١٩١٩-

١٩٣٣، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٧، ص٨٨.

(١١٣) بندر كار، الدكتور بندر كار و٣٠ عاماً في البحرين، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية، البحرين

، العدد ١٣، ١٩٨٨، ص١٥٨.

(١١٤) خليل بن محمد المريخي، ذاكرة التاريخ، مركز عيسى الثقافي، البحرين، ٢٠١٥، ص٣٠٧.

- (١١٥) عبد المالك خلف التميمي ،المصدر السابق،ص٥٢.
- (١١٦)المصدر نفسه.
- (١١٧)علي أبا حسين ،المصدر السابق،ص١٣٧.
- (١١٨)طارق نافع الحمداني ،المصدر السابق،ص١٥٢.
- (١١٩)عبدالله بن خالد آل خليفة ،المصدر السابق،ص٨٦.
- (١٢٠) H.Storm,Wither-Arabia ,New york, ١٩٣٨,p.١١٠.
- (١٢١)عبد المالك خلف التميمي ،المصدر السابق،ص٥٢.
- (١٢٢) مريم بوجيري،الطاعون الأشد فتكا في تاريخ الامراض بالبحرين والتمامة الأكثر تأثرا،الوطن في ١٦ آب ٢٠٢٠ على الرابط <https://alwatannews.net/article/>
- (١٢٣) سي. ام.كريستجي،المصدر السابق،ص٨١.
- (١٢٤) علي أبا حسين ،مقتطفات من تاريخ الشيخ حمد بن عيسى بن علي ال خليفة، ص١٣٥.
- (١٢٥) I.O.R/R/١٥/٢/١٢٢٧. Copyright for this page, 'File ٦/١٧ I Bahrain Government Proclamations, Notices (Public), etc.' [٣٣ر]
- (٦٥/٣٢٦http://www.qdl.qa/en/archive/٨١٠٥٥/vdc\_١٠٠٠٣٨٧٥٥٩٧٤,٠x٠٠٠٠٤٢),, مكنبة قطر الرقمية،إعلانات وبيانات حكومة البحرين ١٩٢٦-١٩٢٩،ص٦٦.
- (١٢٦)المصدر نفسه،ص٨٢.
- (١٢٧)المصدر نفسه،ص٢٥٤.
- (١٢٨)سجلات حكومة الهند ،٦٢،٢/٧،١٠٦٠،١٥/٢/١٠٦٠،٢/٧،٦٢،IRO/R/١٥/٢/١٠٦٠،٢/٧،٦٢،
- الرقمية مكنبة قطر [http://www.qdl.qa/archive/٨١٠٥٥/vdc\\_١٠٠٠٢٥٧٩٢٥٧٨,٠x٠٠٠٠٧c](http://www.qdl.qa/archive/٨١٠٥٥/vdc_١٠٠٠٢٥٧٩٢٥٧٨,٠x٠٠٠٠٧c)
- (١٢٩)سجلات حكومة الهند ،٦٧،٢/٧،١٠٦٠،١٥/٢/١٠٦٠،٢/٧،٦٧،IRO/R/١٥/٢/١٠٦٠،٢/٧،٦٧،
- الرقمية مكنبة قطر [http://www.qdl.qa/archive/٨١٠٥٥/vdc\\_١٠٠٠٢٥٧٩٢٥٧٨,٠x٠٠٠٠٨٦](http://www.qdl.qa/archive/٨١٠٥٥/vdc_١٠٠٠٢٥٧٩٢٥٧٨,٠x٠٠٠٠٨٦)
- (١٣٠) مكنبة قطر الرقمية،إعلانات وبيانات حكومة البحرين ١٩٢٩-١٩٣٣،ص٦٧.
- (١٣١) سجلات حكومة الهند ،٨٣،٢/٧،١٠٦٠،١٥/٢/١٠٦٠،٢/٧،٨٣،IRO/R/١٥/٢/١٠٦٠،٢/٧،٨٣،
- الرقمية مكنبة قطر [http://www.qdl.qa/archive/٨١٠٥٥/vdc\\_١٠٠٠٢٥٧٩٢٥٧٨,٠x٠٠٠٠a٦](http://www.qdl.qa/archive/٨١٠٥٥/vdc_١٠٠٠٢٥٧٩٢٥٧٨,٠x٠٠٠٠a٦)
- كذلك ينظر علي أبا حسين ،المصدر السابق،ص١٣٥.
- (١٣٢) مكنبة قطر الرقمية ،إعلانات وبيانات حكومة البحرين ١٩٢٩-١٩٣٣،ص٢٣٥.
- (١٣٣)المصدر نفسه،ص٢٥٩.
- (١٣٤)المصدر نفسه،ص٣٣٥.
- (١٣٥)خالد البسام ،حكايات من البحرين ،ص١١٤.
- (١٣٦) سجلات حكومة الهند ،١٣٦،٢/٧،١٠٦٠،١٥/٢/١٠٦٠،٢/٧،١٣٦،IRO/R/١٥/٢/١٠٦٠،٢/٧،١٣٦،
- الرقمية مكنبة قطر [http://www.qdl.qa/archive/٨١٠٥٥/vdc\\_١٠٠٠٢٥٧٩٢٥٧٩,٠x٠٠٠٠٤٨](http://www.qdl.qa/archive/٨١٠٥٥/vdc_١٠٠٠٢٥٧٩٢٥٧٩,٠x٠٠٠٠٤٨)
- (١٣٧) سجلات حكومة الهند ،١٤٢،٢/٧،١٠٦٠،١٥/٢/١٠٦٠،٢/٧،١٤٢،IRO/R/١٥/٢/١٠٦٠،٢/٧،١٤٢،



- مكتبة قطر الرقمية :  
[http://www.qdl.qa/archive/81055/vdc\\_100020792079,0x000055](http://www.qdl.qa/archive/81055/vdc_100020792079,0x000055) العربية  
 (١٣٨) سجلات حكومة الهند
- مكتبة قطر الرقمية:  
[http://www.qdl.qa/archive/81055/vdc\\_100020792079,0x000060](http://www.qdl.qa/archive/81055/vdc_100020792079,0x000060) العربية  
 (١٣٩) سجلات حكومة الهند
- مكتبة قطر الرقمية:  
[http://www.qdl.qa/archive/81055/vdc\\_100020792079,0x000060](http://www.qdl.qa/archive/81055/vdc_100020792079,0x000060) العربية  
 (١٤٠) مكتبة قطر الرقمية، سجلات حكومة الهند، احتياطات مكافحة الملاريا، ص ١٤، على الرابط  
[http://www.qdl.qa/en/archive/81055/vdc\\_100029400207,0x00000e](http://www.qdl.qa/en/archive/81055/vdc_100029400207,0x00000e)
- (١٤١) المصدر نفسه، ص ٢٤.  
 (١٤٢) المصدر نفسه، ص ٢٦.  
 (١٤٣) مكتبة قطر الرقمية، سجلات حكومة الهند، ملف بعنوان المستشفى الحكومي، ص ٩، على الرابط  
[http://www.qdl.qa/en/archive/81055/vdc\\_100020591341,0x000009](http://www.qdl.qa/en/archive/81055/vdc_100020591341,0x000009)
- (١٤٤) المصدر نفسه، ص ٣٦.  
 (١٤٥) مكتبة قطر الرقمية، سجلات حكومة الهند، احتياطات مكافحة الملاريا، ص ٤٠، على الرابط  
[http://www.qdl.qa/en/archive/81055/vdc\\_100029400207,0x00000e](http://www.qdl.qa/en/archive/81055/vdc_100029400207,0x00000e)
- (١٤٦) المصدر نفسه، ص ٣٩.  
 (١٤٧) المصدر نفسه، ص ٣٢.  
 (١٤٨) المصدر نفسه، ص ٣١.  
 (١٤٩) المصدر نفسه، ص ١٠٠.  
 (١٥٠) مكتبة قطر الرقمية، سجلات حكومة الهند، إعلانات حكومة البحرين ١٩٣٥-١٩٤٠، ص ١٤٩، على  
 الرابط [http://www.qdl.qa/en/archive/81055/vdc\\_1000336110035,0x000095](http://www.qdl.qa/en/archive/81055/vdc_1000336110035,0x000095)
- (١٥١) علي أبا حسين، المصدر السابق، ص ١٣٦.  
 (١٥٢) المصدر نفسه، ص ١٣٧.  
 (١٥٣) المصدر نفسه.  
 (١٥٤) مكتبة قطر الرقمية، سجلات حكومة الهند، إجراءات حكومة البحرين لمكافحة الملاريا، ص ٢٢.  
 (١٥٥) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

المصادر:

أولاً: الوثائق غير المنشورة (سجلات حكومة الهند):

- India Office Records and Private Papers , ٢٣ Jan ١٩٣٩-٢٠ Oct ١٩٤٧,  
 OR/R/١٥/٢/١٠٦٢,  
 -India Office Records and Private Papers, ٣١ Dec ١٩٣٤-٢١ Dec ١٩٣٨,  
 R/١٥/٢/١٠٦١

- India Office Records and Private Papers, ١٥ Jan ١٩٣٥-١٨ Apr ١٩٤٠,  
R/١٥/٢/١٢٢٩
- India Office Records and Private Papers, ٧ May ١٩٢٦-٨ Oct ١٩٢٩,  
/R/١٥/٢/١٢٢٧
- India Office Records and Private Papers, ١٤ Sep ١٩٢٩-٢ Oct ١٩٣٣,  
R/١٥/٢/١٢٢٨
- India Office Records and Private Papers, ٩ Oct ١٩٣٠-٢٠ Aug ١٩٤١,  
R/١٥/٢/١٢٥٨
- India Office Records and Private Papers, ٢٩ Sep ١٩٢٨-٢ May ١٩٤٩,  
R/١٥/٢/١٠٧٣
- India Office Records and Private Papers, ١٤ May ١٩٣٥-١٧ Jan ١٩٤٩,  
/R/١٥/٢/١٠٦٤
- ثانيا: الرسائل والاطاريح:
- عماد جاسم حسن ،نشاط البحرين الملاحي ١٧٨٣-١٩١٤،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ،جامعة البصرة ،٢٠٠٥.
- فارس فرنك نصوري ،حركة الإصلاح الديني والانشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية ١٥١٧-١٥٣٤ ،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب ،جامعة البصرة ،٢٠٠٧.
- مسلم هادي عبدالله ،النشاطات الصحية الأجنبية البريطانية والأمريكية في الكويت ١٩٠٤-١٩٥١،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية التربية للعلوم الإنسانية،جامعة البصرة،٢٠١٤.
- مؤيد عاصي سلمان ،السياسة البريطانية في البحرين ١٩١٩-١٩٣٣،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب ،جامعة البصرة ،١٩٩٧.
- ثالثا:الكتب العربية والمعربة:
- إبراهيم خلف العبيدي ،الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤-١٩٧١،مطبعة الأندلس ،بغداد ،١٩٧٦
- إبراهيم عكاشة ،ملاح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ،جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ،١٤٠٧ هـ.
- الكسندر ادموف ،ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ،ترجمة هاشم التكريتي ،منشورات مركز دراسات الخليج العربي ،جامعة البصرة ،١٩٨٢.
- الن فليبرز ،أبناء السندباد ،ترجمة نايف خرما،مطبعة حكومة الكويت ،الكويت،١٩٨٢
- بونداريفسكي ،سياستان إزاء العالم العربي ،ترجمة دار التقدم ،موسكو،١٩٧٥.
- جمال محمود حجر ،القوى الكبرى في الشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرون ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،١٩٨٩.
- جمعة خليفة احمد بن ثالث الحميري،رحلة الغوص واللؤلؤ،منشورات حكومة دبي ،دبي،٢٠١١
- ج.ج.لوريمر ،دليل الخليج ،القسم الجغرافي ،ج٣،ج٦،ترجمة مكتب امير دولة قطر،د.ت.
- جون فان ايس ،أقدم أصدقائي العرب،ترجمة خليل عمو،مطبعة بغداد ،١٩٤٩.
- خالد البسام ،ثرثرة فوق دجلة -حكايات التبشير المسيحي في العراق ١٩٠٠-١٩٣٥،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،٢٠٠٤

- خالد البسام، حكايات من البحرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١.
- خالد فهد الجارالله، تاريخ الخدمات الصحية في الكويت من النشأة حتى الاستقلال، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ١٩٩٦.
- خليل بن محمد المريخي، ذاكرة التاريخ، مركز عيسى الثقافي، البحرين، ٢٠١٥.
- دافيد ارنولد، الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨.
- سالم سعدون المبادر، جزر الخليج العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار الحرية للطباعة، بغداد.
- سي.ام.كرستي، ارض النخيل -رحلة من بومباي الى البصرة والعودة اليها ١٩١٦-١٩١٧، ترجمة مندر الخور، مطبوعات بانوراما الخليج، البحرين، ١٩٩٦.
- طارق نافع الحمداني، تاريخ البحرين السياسي والاجتماعي والثقافي، الوراق للنشر، بيروت، ٢٠١١.
- طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني -الأمريكي على نفط الخليج العربي وموقف العرب في الخليج منه ١٩٢٨-١٩٣٩، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢.
- طلال الرميضي، اعلام الغوص عند العوازم خلال قرن (١٨٥٠-١٩٥٠) بأمانة الكويت، دار الكتاب الحديث، الكويت، ٢٠٠١.
- عبد الرحمن حسن جنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوابيها (التبشير -الاستشراق -الاستعمار) دراسة وتحليل وتوجيه، سلسلة أعداء الإسلام (٣)، ط٨، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠.
- عبد الرحمن عميرة، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وخلال الاستشراق، دار الجبل، بيروت، د.ت.
- عبد العزيز الفهد، التصير الطبي الخفي في البلاد الإسلامية، الرياض، دار القاسم، ١٤٢٦ هـ.
- عبدالعزيز حسين، محاضرات عن المجتمع العربي بالكويت، ط٢، دار قرطاس، الكويت، ١٩٩٤.
- عبد المالك خلف التميمي، التبشير في منطقة الخليج العربي-دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي، الكويت، ١٩٨٨.
- عبدالله بن خالد آل خليفة، أضواء على نشأة وتطور الخدمات الصحية بالبحرين، البحرين احد أهم المراكز الصحية في المنطقة منذ أوائل القرن، الكتاب السنوي الثالث، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، ١٩٨٤.
- علي أبا حسين، العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، البحرين، ١٩٩٦.
- عماد جاسم حسن، دراسات في تاريخ مدينة سوق الشيوخ الحديث والمعاصر، دار الفيحاء للنشر، بيروت، ٢٠١٧.
- عماد جاسم حسن، نشاط الارسالية الامريكية العربية في البحرين ١٨٩٢-١٩٣٩، مركز ابن ميثم البحراني للدراسات والتراث، بيروت، ٢٠١٨.
- عمر فروخ ومصطفى الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، لبنان، المكتبة العصرية، ١٩٧٣، ط٥.
- محمد رؤوف الشخيلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، البصرة، ١٩٧٢.
- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٢.
- محمد علي البستكي، السفن الشراعية في منطقة الخليج العربي، دبي، د.ت.
- محمد متولي، حوض الخليج العربي، ج١، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥.

- محمود شاکر ،موسوعة الخليج العربي ،ج٢،دار أسامة للنشر والتوزيع ،عمان ،٢٠٠٥ .  
- ناصر بن إبراهيم بن عبدالله ،صميل زويمر حياته وجهوده التنصيرية ،العبيكان ،الرياض،٢٠١٧ .  
رابعاً:الكتب الأجنبية :  
Belgrave.J.H.wellcome to Bahrain,London, ١٩٧٠-  
Clifton.j.phillips ,protestant,America and the pagan  
world,garvord, ١٩٦٨.  
- C.stanley Mylrea,Kuwait before oil ,unpublished Manuscript  
- John.A.Denovo,American interest and policies in the Middle East,  
١٩٦٣, the University of Minnesota press, Minneapolis, ١٩٣٩-١٩٠٠  
- S.M.Zwemer,Arabia-the cradle of Islam ,London , ١٩٠٠  
- Regnald Coupland ,East Africa and its Invaders from the earlist  
To the death of seyyid said in ١٨٥٦,Oxford,the clarendon  
press, ١٩٦١.  
خامساً:البحوث المنشورة:  
- بندر كار،الدكتور بندر كار و٣٠عاما في البحرين ،مجلة الوثيقة ،مركز الوثائق التاريخية ،البحرين  
،العدد١٣، ١٩٨٨.  
- ت.أ.أنطوني ،وثائق التاريخ الحديث للبحرين في المصادر الأمريكية ١٩٠٠-١٩٣٨ سجلات تاريخية  
للبعثة العربية نيويورك-نيوجرسي،مجلة الوثيقة ،مركز الوثائق التاريخية ،البحرين ،العدد٦،السنة  
١٩٨٥،٣  
- زينب عباس عيسى ،الطب الشعبي في البحرين ،مجلة الثقافة الشعبية ،العدد ١٢،مج٤،البحرين ،٢٠١١.  
- علي أبا حسين ،مقتطفات من تاريخ الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة ،مجلة الوثيقة ،مركز الوثائق  
التاريخية ،البحرين ،العدد ٢٠٠٣،٤٣  
- محمد الخزاعي ،مئة عام على الإرسالية الأمريكية في البحرين ،مجلة البحرين الثقافية ،العدد  
٢٤،البحرين ،٢٠٠٠.  
سادساً:الصحف:  
- الوسط ،البحرين ،العدد ٤٤٣٦،في ٢٩ تشرين الأول ٢٠١٤.  
- صحيفة الوطن ،العدد ١١٢٩٦،في ١٣ اذار ٢٠٢٠

## التأثيرات السياسية للرؤيا والتنبؤ

### خلال العصر الأموي والعباسي

أ.م.د. مرتضى جليل جعلان

جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الانسانية

E-mail: mortada gleel Jalan@utq.edu.iq

الملخص

تشكل الرؤيا والتنبؤ أهمية كبيرة في أدبيات العرب قبل وبعد الإسلام، إذ شغلت فكر الكثير من المفكرين والباحثين، وأن أهمية الرؤى عند العرب يمكن أن نلمسه من خلال فعل التعبير والأخبار. وهي محاولة لكشف أخبار المستقبل من خلال معرفة مصير المرئيين أو التنبؤ بما يحدث والكشف عن المستور الغائب الذي تعرفه سوى السماء، لذا كانت الرؤيا هي القناة التي تربط بين عالمين دنيوي وأخروي، ومن جهة ثانية بين عالمين حاضر معلوم ومستقبل مجهول، كما تنبأ العرب من خلال التنجيم وهو علم يتعرف منه على الاستدلال بالتشكيلات الفلكية من أوضاعها وهي أوضاع الأفلاك والكواكب من المقابلة والمقارنة والتثليث والتسديس والتربيع على الحوادث الواقعة في عالم الكون من أحوال الجو والمعادن والنبات والحيوان، أي هو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، ومن كل ذلك أصبح للتنبؤ والرؤيا تأثيرات سياسية على مصدر القرار في الدولة الإسلامية، وأصبحت لهذه التنبؤات والرؤيا أثراً واضحاً في اتخاذ القرارات السياسية أو البناء عليها لقناعة الكثير من الخلفاء بمصادقية هذه التنبؤات السياسية، أو القناعة بها بعد مصادقة إحداهما. فأصبح لها أثراً واضحاً خلال العصر الأموي والعباسي.

Abstract

Vision and prediction are of great importance in the literature of the Arabs before and after Islam, as they occupied the minds of many thinkers and researchers, and that the importance of visions for Arabs can be seen through the act of expression and news. It is an attempt to reveal the news of the future by knowing the fate of the visible or predicting what is happening and revealing the hidden that you know only the sky, so the vision was the channel that connects the worldly and the other worlds, and on the other hand, between two worlds, a known present and an unknown future, as the Arabs prophesied through Astrology is a science from which one learns the inference of astronomical formations from their conditions, namely, the positions of the celestial bodies and the planets from opposition, comparison, triangulation, sexting and squaring to the events occurring in the world of the universe from the conditions of the atmosphere, minerals, plants and animals. Political decision-making in the Islamic state, and these predictions and visions had a clear impact on making political decisions or building on them, due to the conviction of

many caliphs of the credibility of these political predictions, or their conviction after the approval of one of them. It had a clear impact during the Amawy and Abbassy periods.

#### المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

للرؤيا والتنبؤات تأثيرات كبيرة في حياة الإنسان بشكل عام ، التي ارتبطت بالاعتقادات والادراكات التي يلقيها الله سبحانه بقلوب البشر، والرؤيا ما يرى في المنام وجمعه رؤى، وقد يطلق لفظ الرؤى على أحلام اليقظة والفرق بين الرؤيا والرؤية إنّ الرؤيا مختصة بما يكون في النوم ، على حين ان الرؤية مختصة بما يكون في اليقظة، فالرؤيا بالخيال والرؤية في العين والرأي بالقلب.

كما ارتبطت التنبؤات بعلم الفلك ، الذي يُعد من العلوم التي اهتم بها العرب، إذ يُعد التنجيم ومعرفة الغيب والوقوف على ما يخفيه المستقبل من العلوم ذات التأثير على عامة وخاصة الناس، فالفلك علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة، كما عرف بأنه علم يُراد منه أحوال الأجرام السماوية البسيطة العلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها وتقديراتها وأبعادها، وكانت للشعوب القديمة معرفة بعلم الفلك والتنجيم إلا أنهم لم تكن لديهم دراسات فلكية منظمة وإنما كانت لديهم معلومات بدائية وذلك من خلال النظر الى السماء ومتابعة الأجرام السماوية، فأصبح لديهم خبرة بالنقويم الشمسي والقمري وتحديد المواسم والأعياد، إلا أن علم الفلك شهد تطوراً في العصر الإسلامي، فقد كانت له بداية في العصر الأموي إلا انه ازداد بشكل كبير خلال العصر العباسي، وذلك بسبب اهتمام الخلفاء العباسيين بعلم الفلك والتنجيم، الذي اخذ يؤثر بشكل ملحوظ على القرارات السياسية والإدارية في الدولة.

#### التنبؤ

هو معرفة الغيب والوقوف على ما يخفيه المستقبل<sup>(١)</sup>، كقوله تبارك وتعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم)<sup>(٢)</sup>.

ووعى على التنجيم السلف المباشر لعلم الفلك واعتبر كأقدم العلوم قاطبة وان علم التنجيم قد لعب دوراً هاماً وأساسياً في التاريخ التطوري للحضارة الانسانية في عصورها الباكرا وترك تأثيراً محسوساً في جميع انحاء العالم، ويطلق على التنبؤ بالتنجيم اسم علم النجوم وعلم صناعة النجوم وعلم الأحكام والنجامة وقد عرف ابن سينا التنجيم (انه علم تخميني الغرض منه الاستدلال من اشكال النجوم والكواكب بقياس بعضها الى بعض وبقياستها الى درج البروج وبقياص جملة ذلك الى الأرض على ما يكون من احوال وادوار العالم والملك والممالك والبلدان والمواليد والتحويل والتساير والاختيارات والمسائل)<sup>(٣)</sup>.

كان التنجيم سيد العلم القديم فقد مارسه بسرية في اعماق الهياكل والمعابد والمؤسسات الدينية كهنة مختصون وسرعان ما اصبحت طبقتهم هيئة متميزة وكانت هذه المهنة مريحة وذات فائدة فهم يتصورون رؤى ونبوءات رابطين حظوظ الولادة بمادة النبوءات معتبرين النجوم العليا فوق رؤوسهم في السماء وكلاء ومستشارين للقوى العظمى الخفية والذين شاهدها تعبر السماوات ليلاً فصاروا يحددون حظوظ الدول والناس واقدار الشعوب بالقوة والرغبة للأرواح الجبارة التي تسكن تلك النجوم وتحكم تلك الاقدار

لذلك كان الكون مثبتاً بتدبير الهي وان حركات النجوم لا تسير بالصدفة بل تخضع لإرادة ورغبة الالهة (٤)

ولقد برهنت الملاحظات المتعلقة بالنجوم نتيجة الارصاد المستمرة على نجاحها في التنبؤ عن وقت بدء العمليات الزراعية ومرافقتها حتى ان السومريون وهم أقدم سكان بلاد وادي الرافدين في التاريخ قد أملاوا بالتنبؤ عما لا يمكن التنبؤ به بالأسلوب نفسه (٥).

### الرؤيا:

الرؤيا تأتي من الجذر اللغوي رأى، (والرؤيا ما رأيته في منامك وهي الرؤى ورأيت عنك رؤى حسنة حلمتها، رأى الرجل اذا كثرت رؤاه بوزن رعاه وهي احلامه ، جمع الرؤيا (٦)، وتأتي بمعنى: النظر بالقلب والرؤية بالعين والمرأة والرياء والرؤيا في المنام والرئي الجن والفكر والنظر والراني الاعتقاد (٧) ورأيت ريا حسنة والري ما رأت العين من حال حسنة من المتاع واللباس) (٨).

والرؤية هي البصر بالعين التي تعد المدخل الأساس للصورة في الدماغ، اما النظر فهو الفكر وكأن الرؤيا هي حاصل جمع هاتين الدالتين والرؤيا هي انعكاس للواقع او قراءة ثانية له كما ان علاقتهما بالرؤي هو الجن يبرزها كملكة رفيعة المستوى تكشف عن المستقبل المجهول حيث ارتبط الجن في الذهنية الغربية قبل الاسلام بمعرفة خير السماء ونقله للكهنة (٩)، (وتركت العرب الهمزة من الرؤيا قالوا الرويا طلباً للخفة فإذا كان من شأنهم تحويل الواو الى ياء قالوا (لا تقصص ريك)، وقال غيره: تجمع الرؤيا روى كما يقال عليا وعلي) (١٠)، والرؤيا هي (النظر بالعين وبالقلب) (١١).

وان اهمية الرؤيا عند العرب يمكن ان تلمسه من خلال فعل التعبير والايخبار عنها بكلمة رأيت وبتسمية ما يراه الانسان في نومه باسم (الرؤيا) (١٢).

والرؤيا الصحيحة اقسام منها يلقيه الله سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام ومنها مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها ومنها التقاء الروح النائم بأرواح الموتى من اهله وأقاربه واصحابه وغيرهم ومنها عروج روحه الى الله سبحانه وتعالى وخطا بهالة ومنها دخول روحه الى الجنة ومشاهدتها وغير ذلك فالتقاء ارواح الاحياء والموتى نوع من انواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات (١٣).

### التنجيم:

والتنجيم (هو ما يدعيه اهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في المستقبل كأخبارهم بأوقات هبوب الرياح ومجيء الأمطار وظهور الحر والبرد وتغير الاسعار وما كان في معانيها من الأمور، يزعمون انهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقتترانها ويدعون لها تأثيراً في السفليات وانها تتصرف على احكامها وتجري على قضايا موجبها) (١٤).

وهو علم يتعرف منه على الاستدلال بالتشكلات الفلكية من اوضاعها وهي اوضاع الافلاك والكواكب من المقابلة والمقارنة والتثليث والتسديس والتربيع (١٥)، على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد من احوال الجو والمعادن والنبات والحيوان (١٦).

ولقد كانت الشعوب والقبائل التي ادخلها المسلمون تحت حكم الاسلام خليطاً من اصحاب عقائد شتى واديان متنوعة وثقافات مختلفة فالفرس كانوا على الديانة المجوسية التي بنيت على تعظيم الانوار وعلى مبدأ جعل مبدأ موجودات هذا العالم من اختلاط النور بالظلمة وعلى الاتجاه الى الشمس عند السجود ونحو ذلك (١٧)، كما كانت المدارس الفلسفية التي تحل ثقافة اليونان والتي تضم ادياناً مختلفة من يهود ونصارى

وصابئة ومجوس وغيرهم منتشرة بين هذه الشعوب كمدرسة الرها ومدرسة نصيبين وفران ومدرسة الاسكندرية<sup>(١٨)</sup>.

وهذه الاديان والاتجاهات المختلفة اثرت تأثيرا كبيرا في ثقافة شعوبها مما جعل التنجيم جزءا من ثقافة هذه الشعوب وبالتالي جعل نقل هذه الثقافة الى المسلمين وسيلة لنشر التنجيم بينهم.

#### أسباب اهتمام العرب بعلم الفلك والتنجيم:

إن معرفة العرب قبل الاسلام كانت مقتصرة على رصد الكواكب وحركاتها وعلاقتها بالكسوف والخسوف والطالع والمستقبل وبعض الأمور الاخرى التي كانت تتعلق بحياة الفرد وكذلك علاقتها بالحرب والسلم والظواهر الطبيعية وكان هذا يدعى بعلم التنجيم الذي اصبح له عناية كبيرة في العصر العباسي من قبل الخلفاء العباسيين بالرغم من ان الدين الاسلامي نهى عنه وبين فساد الاعتقاد فيه<sup>(١٩)</sup>.  
كقوله تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)<sup>(٢٠)</sup>.

كما ان ارتباط بعض احكام الدين الاسلامي بالظواهر الفلكية جعلت العرب يهتمون بعلم الفلك اهتماماً كبيراً فافتضى معرفة المواقع الجغرافية للبلدان وحركة الشمس في البروج وذلك لاختلاف مواقيت الصلاة من بلد الى اخر ومن يوم الى اخر وكذلك معرفة سمت القبلة اذ انه من مستلزمات الصلاة معرفة القبلة ومعرفة التوجه الى القبلة وكان من الضروري معرفة حساب حركات النيرين واستعمال الازياج لغرض معرفة صلاة الخسوف والكسوف<sup>(٢١)</sup>.

كما كان هدف العرب المسلمون من دراسة علم الفلك هو تفسير الآيات القرآنية تفسيراً علمياً موضوعياً فيما يتعلق بالشمس والقمر والنجوم<sup>(٢٢)</sup>.

وكذلك ان احكام الصوم والفطر تستند على رؤية الهلال وان أول الصوم اليومي يحسب من الفجر الثاني فأن هذا حمل الفلكيين على حل المسائل المتصلة بشروط رؤية الهلال كما ان الآيات القرآنية التي انزلت في منفعة الاجرام السماوية وحركاتها لكل الناس داعية البشر الى التفكير والتأمل بالخالق الكريم<sup>(٢٣)</sup>.

كقوله تعالى (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)<sup>(٢٤)</sup>.

يضاف الى ذلك ان علم الفلك يساعد الانسان في الوصول الى البرهان المتين بوحدة الخالق وعظمة قوته<sup>(٢٥)</sup> اذ ان الظواهر الفلكية تدل على عظمة الخالق كقوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)<sup>(٢٦)</sup>.

ومن عظمة الخالق ايضاً وجود الحياة على الأرض والكواكب كقوله تعالى (تسبح له السماوات والأرض وما فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفهمون تسبيحهم)<sup>(٢٧)</sup>.

رؤيا نبي الله محمد (ص) في مسألة تولي بني أمية الخلافة، فقيل ان النبي محمد (ص) رأى في منامه ان بني أمية وولد الحكم من بني أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فسائه ذلك، وقيل رأى بني أمية ينزلون على منبره نزول القردة، فأهتّم لذلك وما استجمع ضاحكاً من يومئذ حتى مات<sup>(٢٨)</sup>.

فنزلت الآية الكريمة (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس)<sup>(٢٩)</sup>، وقد استغلت هذه الرؤية للرسول محمد (ص) سياسياً من قبل الأمويين الذين حاولوا استثمارها ووضع العديد من الاحاديث والروايات التي تقلل من تأثير احاديث الرسول محمد (ص) في عامة المسلمين، كما انها قد استثمرت سياسياً من قبل بني



العباس اثناء دعوتهم للخروج ضد الدولة الأموية ومن ثم اسقاطها وتعزيز الشعور الرافض لدى المسلمين للأمويين من خلال احاديث رؤيا الرسول محمد (ص) في بني أمية.

ومن اجل مواجهة رؤيا الرسول محمد (ص) التي رآها في تولي بني أمية الخلافة وكان غاضباً حزيناً من تلك الرؤيا هو ما وضعه الامويين من احاديث من اجل تحسين صورة معاوية بن ابي سفيان ودفع الشبهات عنه. فعن ابن عباس قال: (ما رأيت رجلاً أخلق كملك من معاوية)<sup>(٣٠)</sup>.

وقال ايضاً: (لا تذكروا معاوية الا بخير فأني سمعت رسول الله (ص) يقول عنه اللهم أهد به)، وقال: (لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي من فضله)<sup>(٣١)</sup>.

وقال الوالد الدرداء وهو من الصحابة في جمع من أهل الشام الا ان معاوية أشبه بالرسول (ص) في إقامة الصلاة<sup>(٣٢)</sup>.

وما ذكرت هذه الاحاديث والأقوال الا من اجل التعظيم او التقليل من اهمية رؤيا الرسول محمد (ص) في بني أمية.

كما ان الحجاج بن يوسف الثقفي كان يسأل المنجمون عن مكانه فيقولون يزيد بن المهلب، وقد أثرت هذه التنبؤات في سياسة الحجاج بن يوسف الثقفي، فقد روى<sup>(٣٣)</sup> لما مات المهلب كان قد استخلف ولده يزيد ابن ثلاثين سنة يومئذ فعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج بن يوسف الثقفي وولى مكانه في خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي وصار يزيد في يد الحجاج وكان الحجاج زوج اخته هند بنت المهلب وكان الحجاج يكره يزيد لما يرى فيه من النجاسة فيخشى منه ان يحل مكانه فلما مات الحجاج ولى يزيداً مكانه<sup>(٣٤)</sup>.

وعند موت الحجاج ذكر انه اخذه السل وهجره الرقاد فلما احتضر قال المنجم عنده (هل ترى ملكاً يموت؟ قال أرى ملكاً يموت اسمه كليب، قال انا والله الكليب بذلك سمتني أمي، قال المنجم انت والله تموت كذلك دلت عليه النجوم، قال له الحجاج لأقدمك أمامي فأمره فضرب عنقه)<sup>(٣٥)</sup>، ومات الحجاج في ولاية الوليد بن عبد الملك بن مروان وقد بلغ من العمر ثلاثاً وخمسين سنة سنة ٩٦ هـ، ومن خلال هذه الروايات ان للمنجمين أثراً واضحاً في اتخاذ القرارات السياسية والإدارية لدى الحجاج بن يوسف الثقفي.

وقد سؤل رسول الله (ص) عن رؤياه في بني أمية وعن قوله تبارك وتعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن، فقال أني رأيت اثني عشر رجلاً من أمة الضلالة يصعدون منبري وينزلون يردون امتي على اديبارهم القهقري فيهم رجلين من جيف قريش مختلفين... وسمعته يقول: (ان بني ابي العاص اذا بلغوا ثلاثين رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً وعبادة الله خولاً وما الله دولا)<sup>(٣٦)</sup>.

وعندما شرع الخليفة ابو جعفر المنصور في بناء مدينة بغداد / ١٤٥ هـ أخذ برأي المنجم نوبخت في اختيار موقع المدينة الجديد قبل وضع الأساس ما ضرب اللين والعظام<sup>(٣٧)</sup>، وعند عزمه الانتقال الى قصره جمع المنجمين لاختيار وقت لينتقل فيه اليه فاختراروا له وقتاً من الليل فلما حضر الوقت خرج على حمار من الموقع الذي كان ينزله الى قصره والطرق خالية والناس ساكنون فلمل سار الى سوق يحيى رأى رجلاً قائماً يقول:

**تدبر النجوم وليس يدري ورب النجم يفعل ما يريد**

فاستوحش ووقف ودعا بالرجل فقال له: أعد ما قلته فأعاده فقال له: ما أردت بهذا؟ قال: والله ما أردت به من معنى من المعاني ولكنه شيء عرض لي وجاء على لساني في هذا الوقت فأمر له بدنانير ومضى وقد تتغص علي سروره<sup>(٣٨)</sup>.

وقد تنبأ بن نوبخت عند اختيار الموقع لمدينة بغداد فأخبره بما تدل عليه النجوم من طول بقاءها وكثرة عماراتها وفقر الناس الى ما فيها ثم قال للخليفة ابو جعفر المنصور: واخبرك خاة اخرى أسرك بها يا أمير المؤمنين، قال: وما هي؟ قلت نجد في أدلة النجوم انه لا يموت فيها خليفة ابداً حتف أنفه: فتبسم وقال: الحمد لله على ذلك هذا من فضل ربي يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم<sup>(٤٩)</sup>.

فقلب الخليفة ابو جعفر المنصور اطمأن من قول ابن نوبخت المنجم وما تنبأ به فيما تدل عليه النجوم كمن طول بقاء المدينة وكثرة عمرانها فقد شرع في البدء في بناء مدينة بغداد<sup>(٤٠)</sup>.

ومن التنبؤات التي وظفت توظيفاً سياسياً ما اشيع عند العباسيين ان هنالك مولوداً سيولد لبني العباس اسمه موسى بن محمد سيقتل أبوه ويخلع من الخلافة وتسفك الدماء بسببه<sup>(٤١)</sup>.

فيذكر ان المنصور جلس ذات يوم ودخل بني هاشم من أهله فقال لهم وهو مستبشر: أما علمتم ان محمد المهدي ولد البارحة له ولد ذكر وقد سميناه موسى، فلما سمع القوم ذلك وجموا وكأنما حدث في وجوههم الرماد وسكنوا ولم يحيروا جواباً، فنظر اليهم المنصور فقال لهم: هذا موضع دعاء وتهنئة وأراكم قد سكرم ثم استرجع وقال لهم: فأني بكم لما اخبرتكم بتسميتي اياه موسى اعتمتم به لأن المولود المسمى موسى بن محمد هو الذي على رأسه تختلف الكلمة وتسفك الدماء وتتهب الخرائب ويضطرب الملك ويقتل ابوه وهو المخلوع من الخلافة وليس هو ذا ولا هذا زمانه والله ان جد هذا المولود لم يولد بعد قال: فدعوا له وهنوه وهنوا المهدي وكان هذا موسى الهادي.

اما الرشيد<sup>(٤٢)</sup> وهذا يبين بشكل واضح وجلي مدى ايمان القوم بالتنبؤات وكيف انهم اغتموا لذلك ويقينا امها كانت ستؤثر فيهم وبسياساتهم مع الخلافة لولا التوضيح من قبل الخليفة ابو جعفر المنصور بأن هذا ليس بزمانه بعد.

وتنبأ المنجمون للخليفة ابو جعفر المنصور اثناء الصراع بينه وبين محمد ذوي النفس الزكية واخيه ابراهيم بأن الغلبة ستكون له، فيذكر ابو جعفر المنصور لما اتصل به محمد ذوي النفس الزكية اشفق منه فجعل الحارث يقول له: يا أمير المؤمنين ما يزعجك منه فو الله لو ملك الأرض ما ليث الا تسعين يوماً<sup>(٤٣)</sup>، وهذا ما شجع المنصور للتصدي لمحمد ذوي النفس الزكية واخيه ابراهيم فكانت لهذه التنبؤات الأثر الواضح في ذلك بعد ان هم ابو جعفر المنصور في التراجع لملاقاته، فكانت استفادة ابو جعفر المنصور للمنجمين وما يصدر عنهم من نبوءات وما رافق ذلك من أثر على سير الحياة السياسية في الدولة العباسية لها دون ادنى شك، ويؤكد لنا ذلك ما قام به المنجم ابن نوبخت وتشجيعه للخليفة المنصور على مواصلة القتال ضد ابراهيم بن عبد الله اخ محمد ذو النفس الزكية في البصرة سنة ١٤٥ هـ، اذ ان المنصور لما بلغه هزيمة جيشه في بادئ الأمر عزم على الهرب حتى جاءه المنجم ابن نوبخت وقال له: (يا أمير المؤمنين الظفر لك وسيقتل ابراهيم وان لم تصدقني فأحبسني فان لم يكن لك الأمر كما ذكرت فأقتلني)<sup>(٤٤)</sup>. فبات المنصور وهو طائر اللب فلما كان الصباح اتي برأس ابراهيم<sup>(٤٥)</sup>، وقد قطع المنصور لأبن نوبخت المنجم الفتي جريب بنهر جوبر<sup>(٤٦)</sup>.

ولما اراد الخليفة ابو جعفر المنصور بناء عاصمة جديدة للخلافة كانت لتنبؤات المنجمين اثرأ في ذلك في اختيار الموقع والوقت الذي يبدأ به العمل والانتقال اليها من خلال الوقت الذي يختاره المنجم ابن نوبخت<sup>(٤٧)</sup>، فأخذ سهل بن نوبخت يأخذ طالع الموقع الذي تم اختياره لمدينة بغداد فأخبر المنصور بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وفقر الناس الى ما فيها وان لا يموت فيها خليفة حتف انفه فتبسم المنصور وقال الحمد لله هذا من فضل ربي الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم<sup>(٤٨)</sup>.

ويذكر ابن طاووس<sup>(٤٩)</sup> قال: (بعضهم حكم المنجمون في سنة ستة وسبعون ومائة ان في ليلة واحدة يموت ملك كريم ويولد ملك حكيم، فمات موسى الهادي وقام الرشيد وولد المأمون) وما ذكره الحاكم في ترجمة الخليفة هارون الرشيد قال: حدثني عبد الرحمن بن احمد بن حمويه قال: سمعت ابي يقول، سمعت جماعة من مشايخنا المعمرين بنيشابور يذكرون وورود هارون الرشيد أمير المؤمنين نيشابور ومقامه بها وذلك انه لما خرج من بغداد وكان الفضل بن الربيع وزيره وصار الى الري وكان بها جماعة من المنجمين فجمعهم وسألهم النظر في أمر خروجه وما يستقبله فيه بقية عمره، فنظروا وحكموا انه يهلك بخراسان بقرية يقال لها سناباد فسألهم عنها فقالوا له: هي من قرى بهيق فتتحى عنها ولم يدخل بهيق<sup>(٥٠)</sup>، وهنا نجد ان ايمان الخليفة هارون الرشيد بما اوعز به المنجمون من أمر هلاكه قد أثر في سفرة وانه قد تحى من دخول احدى المدن التي ذكرها المنجمون في نبوءتهم.

وقد عدل الخليفة هارون الرشيد الى ناحية جرجان على ان يكزن قدومه الى نيشابور على طريق جرجان ثم انه ورد نيشابور وأقام بها وبعث منها العساكر والقضاة وأصحاب الرد الى النواحي ثم خرج من نيشابور الى طوس ونزل قرية حميد الطوسي التي يقال لها سناباد فسأل عن اسم القرية فقال له سناباد فمرض وعلم انها تربته ووظف نفسه على ان يموت بها وانه لا مرد لقضاء الله عز وجل<sup>(٥١)</sup>، فهذه النبوءة جعلت الخليفة يغير طريق دخوله مع عسكره الى مدينة نيشابور والتي ذكرتها النبوءة انها نهاية عمره.

وللبرامكة في زمن الخليفة هارون الرشيد ايمان كبير بالتنبؤات وما يجلبه المنجمين لهم من اخبار فيذكر ابن قيم الجوزية<sup>(٥٢)</sup> في ذلك (وأنظر ما كان أقوى تعلق بني برمك بالنجوم حتى في ساعات أكلهم وركوبهم وعامة افعالهم)، وكان التوظيف السياسي للتنبؤات واضحاً بشكل كبير في زمن الخليفة المأمون خصوصاً في حربه مع اخيه الأمين (١٩٣ - ١٩٨ هـ) اذ كان وزيره الفضل بن سهل ينظر في النجوم وكان يجيد المعرفة بها وبأحكامها فرأى ان الغلبة للمأمون والعاقبة له، وعندما علم المأمون بهذه التنبؤات وطن نفسه على محاربة الأمين ومناجزته<sup>(٥٣)</sup>.

وقال عبد الله بن سهل بن نوبخت المنجم كان المأمون قد رأى الى أمير المؤمنين منخشين متخفين من خوف المنصور ومن جاء بعده من بني العباس ورأى العوام قد خفت عنهم أمورهم بالاخثناء فظنوا بهم ما يظنون من الانبياء فأراد معاقبة العامة مع هذا الفعل ثم فكر انه اذا فعل هذا بالعوام زادهم اعداء به وانما الرأي ان تقدم ادهم وتظهر لهم اماماً<sup>(٥٤)</sup>.

وقد ظل المأمون يعامل العلويين معاملة تتفق ما كان يعتقدون في فضل علي بن ابي طالب الى ان خرج في سنة (٢٠٧ هـ) ببلاد اليمن عبد الرحمن بن احمد بن علي بن ابي طالب، فأمر المأمون بمنع العلويين من الدخول عليه وحتم عليهم لبس السواد<sup>(٥٥)</sup>، ففضلاً عن ما كان يقصده المأمون من وراء نقل البيعة للإمام الرضا (ع) فإنه اخبره بأن البيعة لا تتم في هذا الوقت فهده المأمون بالقتل ان لم تقع البيعة في ذلك الوقت بالذات لأنه سوف يعتبر انه هو الذي أفسد عليه ما كان يدبره<sup>(٥٦)</sup>.

وقد تنبأ احد المنجمين للمأمون بمكان وفاته بأرض يقال لها عين البديون، ولما نزل المأمون سنة (٢٠١٨ هـ) بها وهي من بلاد الروم اشتد به المرض فسأل عن اسم ذلك الموقع فقيل له القشيرة فأحضر عدد من الأدلة وقيل لهم فسروا هذا الاسم وهو القشيرة فقيل في تفسيره مد رجلك فلما سمعها اضطرب من هذا الفأل فقال سلوهم ما اسم الموضع بالعربية فقالوا الرقة وكان قد علم منذ يوم مولده انه يموت في موضع يقال له الرقة وكان المأمون وبسبب هذه النبوءة نيراً ما كان يحاول الابتعاد عن دخول هذه المدينة<sup>(٥٧)</sup>.

ويروى انه بينما كان الخليفة المأمون مستغرقاً في نومه اذ به يرى في منامه رؤية وحلماً عجبياً فوجد نفسه في بلاد اليونان يتجه باتجاه رجل ابيض الوجه وكريم المكانة وقد كان ارسطو ودار بينهم حوار يحض فيه ارسطو المأمون على جمع كتب الفلسفة والحكمة من كل الامصار وان يقرأها ويدرسها جيداً<sup>(٥٨)</sup>.

ومنذ تلك الرؤية انطلق المأمون في رحلته الطويلة فبدأ بجمع الكتب من كل مكان يمكن ان يصل اليه فقد أرسل الخليفة كتاب الى ملك صقلية طلب منه مكتبة بلده كلها التي كانت غنية بكتب الفلسفة والعلوم<sup>(٥٩)</sup>.

وقد خاطب الامبراطور البيزنطي كي يبعث علماء من عنده الترجمة ما في امبراطوريته من كتب، وكلف مجموعة من المترجمين احضارها<sup>(٦٠)</sup> وزاد ايضا من ارسال البعثات العلمية الى بلاد الروم وغيره للحصول على الكتب ويحضر المترجمين والعلماء للعمل على ترجمة الكتب اليونانية والرومانية الى العربية<sup>(٦١)</sup>، فكانت لهذه الرؤيا الاثر الواضح في تعزيز النهج السياسي والعلمي للخليفة المأمون مع البلدان الاخرى من خلال تعزيز المكاسب العلمية.

ويذكر انه في عهد الخليفة المعتصم بالله انه قد مر بأحد المنجمين وسأله عن طالعه وما قد يجري له فقال له المنجم (... انه يوجب لك الخلافة وانت تفتح الآفاق وتزيل الممالك ويعظم جيشك وتبني لك بلاداً عظيمة ويكون من شأنك كذا ومن امرك كذا وقص عليه جميع ما هو عليه في ايام خلافته، فقال له المعتصم بالله: فهذا السعود فهل علي من نحوس قال لا لكنك اذا ملكت فارقت وطنك وكثرت اسفارك فقال له فهل غير هذا قال نعم ما شيء انحس عليك من شيء واحد فقال ما هو قال يكون المتولون عليك في ايام ملكك اصولهم دنية سفلة فيغلبون عليك ويكونون اكابر اهل مملكتك...<sup>(٦٢)</sup>.

وكانت لهذه النبوءة بما سيحدث للخليفة المعتصم الاثر الكبير في الاحداث السياسية التي توالفت على حكمه وخير دليل على ايمان الخليفة المعتصم بهذه التنبؤات انه وبعد تولي الخلافة تحققت نبوءات هذا المنجم وعندما مر المعتصم بذلك الجسر تذكره فأرسل طلبة فقيل انه قد مات منذ وقت قريب<sup>(٦٣)</sup>.

وروى ابن الجوزي عن بعض خدم الخليفة المعتضد بالله قال: كان الخليفة المعتضد يوماً نائماً عند القائلة، ونحن تحت سريره فاستيقظ مذعوراً ثم صرخ بنا فجئنا اليه فقال: ويحكم اذهبوا الى دجلة فأول سفينة تجدها فارغة منحدره فأتوني بها بملاحها واحتفظوا بالسفينة، فذهبنا سراعاً فوجدنا ملاحاً في سفينة فارغة منحدره فأتينا به الى الخليفة فلما رأى الملاح الخليفة كاد ان يتلف فصاح به الخليفة صيحة عظيمة فكادت روح الملاح تخرج فقال له الخليفة: ويحك يا ملعون أصدقتني عن قصتك مع المرأة التي قتلتها اليوم والا ضربت عنقك، قال فنلثم ثم قال: يا أمير المؤمنين كنت اليوم سحراً في مشرعتي الفلانية فنزلت امرأة لم ارى مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلي كثيرة وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها فشددت فاها وغرقتها واخذت جميع ما كان عليها من الحلي والقماش وخشيت ان ارجع به الى منزلي فيشتهر خبرها فأردت الذهاب به الى واسط فلقيني هؤلاء الخدم فأخذوني، فقال: واين حليها؟ قال: في بيت السفينة تحت البواري فأمر الخليفة بإحضار الحلي، فقال له خدمه: يا أمير المؤمنين من اين علمت هذا قال رأيت في نومي تلك الساعة شيخاً ابيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي يا احمد يا احمد خذ أول ملاح ينحدر الساعة فأقبض عليه وقرره عن خبر المرأة وسلبها فأقم عليه الحد<sup>(٦٤)</sup>.

وفي هذه الرواية نجد ان الخليفة المعتضد بالله قد آمن بالرؤيا في منامه واتخذ قراره فيها وكأنها واقعة حتماً.

ومن جهة اخرى نجد في سنة (٢٩٢ هـ) عندما عزم الخليفة المكتفي بالله على الخروج لقتال القرامطة، جمع وزيره القاسم بن عبيد الله عند ذلك من قدر عليه من المنجمين وفيهم زعيمهم ابو الحسن العاصي وكلهم أوجب عليه بأن يشيروا على الخليفة ان لا يخرج فإنه ان خرج لم يرجع وبخروجه تزول دولته

وبهذه تشهد النجوم التي يقضي بها طالع مولده واخافوا الوزير من الهلاك ان خرج معه، وقد كان المكتفي أمر الوزير بالخروج معه، فلم يجد بدأ من متابعتة فخرج وفي قلبه ما فيه واقام المكتفي بالرقعة حتى اخذ اعداء الله جميعاً ثم جاء الخبر من مصر بموت خماووية بن احمد بن طولون<sup>(٦٥)</sup>، ثم لما عام امر القاسم بن عبيد الله بإحضار رئيس المنجمين وصفعه الصفع الكثير بعد ان وقفه ووبخه على عظيم كذبه وافترائه وتبرأ منه ومن كل من يقول برأيه<sup>(٦٦)</sup>.

كما ترك الايمان بالنتجيم أثراً كبيراً على الاوضاع السياسية في حقبة خلافة الخليفة القاهر بالله (٣٢٠ هـ) فيذكر ان الحسن بن هارون<sup>(٦٧)</sup>، احتال من جهة منجم كان لسيما حتى لفته ان يقول لسيما من جهة النجوم انه يخاف عليه من القاهر ويحذره منه واعطى الحسن بن هارون هذا المنجم مائتي دينار فملاً عينه حتى مكن في نفس سيما الخوف من القاهر وكان سيما يقبل منه ويستحسن اصابته فاجتمع سيما مع الحجرية<sup>(٦٨)</sup> والساجية وانتقوا على كبس دار الخليفة القاهر بالله وفعلاً تمكنوا من القبض عليه وحبسته<sup>(٦٩)</sup>.

ويظهر ان الخليفة المهدي العباسي (٢٥٥-٢٥٦ هـ)<sup>(٧٠)</sup>، والتي كانت بقيادة علي بن محمد بن عبد الرحيم الذي ادعى النسب الذي ادعى النسب العلوي وكان يصرف بصاحب الزنج الذي سار الى البصرة وعظم أمره وبث اصحابه يمينا وشمالاً ولم يزل يتفاقم حتى ملك الابلية<sup>(٧١)</sup> وعبادان والبصرة فأوكل الى الموفق يا لله مهمة القضاء وعليه<sup>(٧٢)</sup> وكان الموفق بالله قد اصطحب معه في عسكرة عدد من المنجمين ليتشيره في بعض الأمور المتعلقة بشؤون الحرب او لرفع معنويات الجنود لتحقيق النصر، وهذا بين ان للمنجمين أثراً كبيراً في رفع معنويات العساكر من خلال بثهم التنبؤات والتي من شأنها ان تحقق الطمأنينة لديهم ولإيمانهم الكبير بما يقولون.

وفي زمن الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ هـ- ٣٢٠ هـ) ذكرت المصادر ان احد المنجمين قد تنبأ له عن نتيجة المعركة مع مؤنس الخادم<sup>(٧٣)</sup>، فقال المقتدر أي وقت هذا فقال وقت الزوال فهم عن ذلك المقتدر بعدم الخروج لكن خيل مؤنس الخادم قد اشرفت عليه فكان آخر العهد به ذلك الوقت<sup>(٧٤)</sup> فمن الواضح بشكل كبير مدى تأثير النبوءة التي تنبأ بها المنجم وقد اثرت في قراره تأثيراً كبيراً مما جعله يرغب في ترك المعركة او المواجهة قبل وقوعها لكن خيل مؤنس الخادم قد اقبلت عليه<sup>(٧٥)</sup>.

#### الخاتمة

من خلال كتابة البحث تم التوصل الى عدد من النتائج:

إن علم الفلك والنتجيم والرؤيا ليست ظواهر جديدة او طارئة على المجتمع الإسلامي وإنما هي علوم كانت موجودة منذ القدم في ربوع حضارة وادي الرافدين وغيرها من الحضارات وكان لها وجود ايضاً عند العرب في الجاهلية.

وقد أصبح لها تطور كبير في العصر الإسلامي وكانت بداياته في العصر الأموي إلا انه أصبح لها تطوراً وافراً في العصر العباسي وذلك بسبب حب الخلفاء وشدهم بالعلوم وترجمة الكتب ولاسيما علوم الفلك والنتجيم وكان لها دور بارز في زمن الخليفة أبو جعفر المنصور الذي قرب المنجمين والفلكيين وكان يستشيرهم في اغلب أموره وكذلك ما كان للمأمون من دور واضح ايضاً.

وأصبحت للرؤيا والتنبؤ أثر واضح في اتخاذ العديد من القرارات السياسية او تجنبها تبعاً لطبيعة تلك التنبؤات والرؤيا والنتجيم.

اعتمد الخلفاء ولاسيما الخلفاء العباسيين كثيراً في ترجمة الكتب التي ترتبط وتتعلق بأحوال النتجيم والكواكب والتنبؤات وزاد اهتمامهم بها.

أصبح الرأي بهذه التنبؤات والرؤيا تشكل اليقين في أعمال وقرارات العديد من الخلفاء العباسيين.

### الهوامش

- ١ عاشور، سعيد عبد الفتاح وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، (د.م)، ١٩٨٥، ص ١١٠.
- ٢ سورة النجم، الآية: ١- ٢.
- ٣ ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، ط ١، القسطنطينية، ١٢٩٨ هـ، ص ٧٥.
- ٤ عيود مناقرة، علم التنجيم اسراره واوامه- منشورات دار علاء الدين، ط ١، دمشق- سوريا، ٢٠٠٠، ص ٢١.
- ٥ المصدر نفسه، ص ٢٢.
- ٦ ابن منظور، لسان العرب، ١٤ / ٢٩١.
- ٧ الفراهيدي، العين، ج ٨، ص ٣٠٨.
- ٨ المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣٠٧.
- ٩ ينظر: علي غاتم، بينة الرسول في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٦، ص ٢٠٠.
- ١٠ الازهري، تهذيب اللغة، ١٥ / ٢٢٨.
- ١١ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١٢٨٥.
- ١٢ ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١٩٤.
- ١٣ ابن القيم، الروح، ص ٢٩.
- ١٤ عبد المجيد بن سالم بن عبد الله، التنجيم والمنجمون وحكمهم في الاسلام، مكتبة الصديق، الطائف، ١٩٩٤، ص ٢٣٢.
- ١٥ المصدر نفسه، ص ٢٣٢.
- ١٦ المصدر نفسه، ص ٢٣٣.
- ١٧ الملك والنحل، ١ / ٢٣٦.
- ١٨ المصدر نفسه، ١ / ٢٣٧.
- ١٩ عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٨٨.
- ٢٠ سورة الاعراف، الآية ١٨٨.
- ٢١ الفراهيدي، تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقته بالأقطار العربية، ص ٦.
- ٢٢ محمد كاظم، المدخل الى حضارة العصر العباسي، دار الزهرة، ص ٣٧٥.
- ٢٣ عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٨٧.
- ٢٤ سورة البقرة، الآية ١٨٤.
- ٢٥ الكروي، ابراهيم سلمان، الحضارة العربية الإسلامية، ص ٣١٢.
- ٢٦ سورة يس، الآية ٣٨.
- ٢٧ سورة الاسراء، الآية ٤٤.
- ٢٨ العسقلاني، كتاب الفتوح، ص ٥٨٥.
- ٢٩ سورة الاسراء، آية ٦٠.
- ٣٠ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٨٩.
- ٣١ الترمذي، سنن الترمذي، ص ٣٥١، الذهبي، سيد اعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٢٦.
- ٣٢ المصدر نفسه، ج ١١، ص ٣٩٠.
- ٣٣ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤٣٨.
- ٣٤ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٢٧.
- ٣٥ المقدسي، المبدأ والتاريخ، ج ٦، ص ٣٩.
- ٣٦ اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج ١، ص ١٦٨.
- ٣٧ اليعقوبي، البلدان، ص ٢٥.
- ٣٨ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٢١٧.
- ٣٩ المصدر نفسه، ص ٢١٨.

- ٤٠ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦٠.
- ٤١ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٢٢.
- ٤٢ المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ٣١٠.
- ٤٣ الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ١٤٩، ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٥٣٣.
- ٤٤ ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٧٩.
- ٤٥ الطبري، تاريخ، ج ٦، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٩، ص ٤.
- ٤٦ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٩، ص ٤٢.
- ٤٧ الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٢٦٢، اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ٢٣٥.
- ٤٨ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٨٨.
- ٤٩ المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٨، ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١٠٤.
- ٥٠ المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٩.
- ٥١ الحاكم، تاريخ نيشابور، ج ٣، ص ١٨٦.
- ٥٢ ابن طاووس، فرج الهموم، ص ١٨٦.
- ٥٣ المصدر نفسه، ص ١٨٧.
- ٥٤ مفتاح السعادة، ج ٣، ص ٧٨.
- ٥٥ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٤، ص ٤١، اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٦٠٥.
- ٥٦ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج ٢، ص ٩٢.
- ٥٧ المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٥.
- ٥٨ السيد جعفر مرتضى، حياة الامام الرضا (ع)، ص ٢٢٨.
- ٥٩ لمزيد من المعلومات ينظر: المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣٤، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٩.
- ٦٠ العث، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص ٥٩.
- ٦١ المصدر نفسه، ص ٦٠.
- ٦٢ عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٨٥.
- ٦٣ العذاري، تاريخ علم الفلك في العراق، ص ٦.
- ٦٤ التنوفي، نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ٢١١٢.
- ٦٥ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢، ص ٢٤٩، الذهبي، جسر اعلام، ج ٣، ص ٤٤٧.
- ٦٦ ابن قيم الجوزية، مفتاح السعادة، ج ٣، ص ٦٤.
- ٦٧ سكوية، تجارب الأمم، ج ٥، ص ٣٢٨.
- ٦٨ ينظر: التنوفي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١٨٩.
- ٦٩ ابن الأثير، الناهل، ج ٨، ص ٢٧٩، ابو الفداء، تاريخ ابو الفداء، ج ٢، ص ٨٠.
- ٧٠ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٢، ص ١٨٨.
- ٧١ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٢٠٥.
- ٧٢ الطبري، تاريخ، ج ٧، ص ٥٤٣.
- ٧٣ القلقشندي، مآثر الانافة، ج ٧، ص ٢٥٠.
- ٧٤ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٤٧٩.
- ٧٥ السحوري، مروج الذهب، ج ٤، ص ٢٣٠، ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٤١، الزركلي، الاعلام، ج ٧، ص ٣٣٥.

#### المصادر

- ٠ القرآن الكريم
- ٠ ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت ١٩٩٢).
- ٠ الأزهري، محمد بن احمد بن منصور، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض، دار احياء التراث العربي (بيروت ٢٠٠١).

- ابن اعثم الكوفي ، ابو محمد احمد الكوفي ، كتاب الفتوح ، ط١ ، تحقيق علي شيري ، ( لبنان \_ د \_ ت )  
الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة ، سنن الترمذي ، تعليق عزت عبد الوهاب ، مطبعة الفجر ( مصر \_  
١٩٦٥ )
- التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي ، نشوار المحاضرة ، ط٢ ، دار صادر ( بيروت \_ ١٩٩٥ )  
الجهشياري ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس ، الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة مصطفى البابي  
( مصر \_ ١٩٧٨ ) .
- الخطيب البغدادي ، احمد بن علي ، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت \_ د \_ ت )  
ابن خلكان ، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد ، وفيات الاعيان ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ،  
بيروت \_ ١٩٨٦ )
- الذهبي ، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن قايماز ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق محمد الايباري ،  
مطبعة دار المعارف ( القاهرة \_ د \_ ت )
- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منبغ الازهري ، الطبقات الكبرى ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، ٢٠٠١  
السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر الشافعي ، تاريخ الخلفاء ، مكتبة البابي الحلبي ، ط٢ ، ( القاهرة  
\_ ١٩٧٤ )
- الصفدي ، خليل ابيك ، الوافي بالوفيات ، باعثناء عباس ديرنبغ ، مطبعة وزارة المعارف ( اسطنبول \_  
١٩٤٩ )
- الطبري ، ابي جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري ، تحقيق نخبة من العلماء ، مؤسسة الاعلمي ( بيروت \_  
١٩٨٣ ) . ابن العريف ، ابو العباس ، مفتاح السعادة وتحقيق طرف السعادة ، تحقيق عصمت عبد اللطيف ، ( القاهرة  
\_ د \_ ت )
- ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين ، مقاتل الطالبين ، تحقيق كاظم المظفر ، المكتبة الحيدرية ( نجف  
\_ ١٩٦٥ )
- الفراهيدي ، الخليل بن احمد ، العين ، تحقيق محمد المخزومي ، دار مكتبة الهلال ( د \_ ت )  
الفيروز ابادي ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، تحقيق محمد نعيم ( د م ) ٢٠٠٥  
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر بن ايوب ، الروح ، دار الكتب العلمية ( بيروت \_ ٢٠٠٣ )  
القلقشندي ، احمد بن علي بن احمد الغزاري ، مآثر الانافة ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، مطبعة الكويت ،  
ط٢ ( الكويت \_ ١٩٨٥ )
- ابن كثير ، اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ( دت )  
المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد علي محي الدين ، دار  
الرجال ( القاهرة \_ ١٩٨٣ )
- المقدسي ، المطهر بن طاهر ، البدا والتاريخ ، تحقيق عليان هوار ، ( باريس \_ ١٨٩٩ )  
مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب ، تجارب الامم ، تحقيق سيد كسوي حسن ، دار الكتب العلمية ، ( القاهرة  
\_ ٢٠٠٣ )
- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي الاتصاري ، لسان العرب ، دار صادر ، ( بيروت \_ ٢٠١٠ )  
اليقوبي ، احمد بن يعقوب بن واضح ، البلدان ، ط١ ، ( النجف الاشرف \_ ١٩١٨ )  
اليافعي ، عبد الله اسعد بن سليمان ، مرآة الزمان وعبرة اليقضان ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية  
( بيروت \_ ١٩٩٧ )
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ، معجم البلدان ، دار المامون ( القاهرة \_ ١٩٣٧ )



- . حسن ، ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ط٢ . دار الجيل ، ( بيروت \_ ١٩٧٣ )  
. السيد جعفر مرتضى ، حياة الامام الرضا ، دار التبليغ الاسلامي ( بيروت \_ دت )
- . الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت \_ ٢٠٠٢ )  
. السامرائي ، خليل ابراهيم ، دراسات في الفكر العربي ، جامعة الموصل ، ( الموصل \_ ١٩٨٣ )  
. عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ( د م \_ ١٩٨٥ )
- . عبد الرحمن ، حكمت نجيب ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، القاهرة ( د م ) ( د ت )  
. عبد المجيد ، بن سالم بن عبد الله ، التنجيم والمنجمون وحكمهم في الاسلام ، مكتبة الصديق ، الطائف \_ ١٩٩٤ )  
. عبود ، مناقرة ، علم التنجيم اسراره واوهامه ، منشورات دار علاء الدين ، ط١ ، دمشق ، ( سوريا \_ ٢٠٠٠ )
- . عزاوي ، عباس ، تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقته بالاقطار الاسلامية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي  
( بغداد \_ ١٩٥٨ )  
. العش ، يوسف ، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، دار الفكر العربي ، ( دمشق \_ دت )  
. عفيفي ، محمد الصادق ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مكتبة الخانجي ، ( القاهرة \_ ١٩٧٦ )  
. الكروي ، ابراهيم سلمان ، الحضارة العربية الاسلامية ، مركز الاسكندرية للكتاب ، ( مصر - ١٩٨٣ )  
. مكي و محمد كاظم ، المدخل الى حضارة العصر العباسي ، ( د م ) ( دت )

## المؤسسات السياسية والإدارية في النظام القانوني في الجزائر

الباحث غزوان عباس فاضل مصطفى الخزعلي

الباحث نور غازي جاسم محمد الخزاعي

المشرف أ.د. إبراهيم موسى زادة

### ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان المؤسسات السياسية والإدارية في الجزائر ويعتبر النظام الرئاسي من أهم نماذج الحكم الحديث ، وقد ظهر هذا النظام في الولايات المتحدة الأمريكية وظل نموذجًا لحكمها منذ نشأتها ، وفي أغلب الأحيان أصبح بديلاً للأنظمة الملكية بالنسبة للحكم. الدول التي اعتمدها في دساتيرها. يقوم النظام الرئاسي على ركيزتين. الركيزة الأولى تتمثل في فردية السلطة التنفيذية ، بحيث يتم اختصارها إلى جهاز رئيس الدولة ، الذي لا يشترك فيه طرف آخر. الركيزة الثانية تتمثل في الفصل الصارم بين السلطات والتوازن بينها ، بحيث تكون كل سلطة مستقلة عن الأخرى في أداء مهامها، لا يمثل النظام بالضرورة أداة للديمقراطية الحديثة الناجحة في جميع الحالات ، وحتى في ظل النجاح النسبي لهذا النظام في الولايات المتحدة ، فإن هذا لا يعني نجاحه في جميع البلدان التي تبنته. بل يعتمد الأمر على المناخ السياسي والاجتماعي لكل دولة لدرجة أن بعض الدول التي تبنت هذا النوع من نظام الحكم لم تقفل فقط في تنفيذه ، بل وصلت إلى نتائج عكسية أيضاً ، لأنها فشلت في تجسيد مبادئه وأسسها. في شكله الصحيح، لا يعتبر النظام الرئاسي مرادفاً لقيم ومبادئ الديمقراطية الحقيقية في جميع الأحوال.

### أولاً: مقدمة الدراسة:

إن الخطة هي الإطار البناء وهي اللبنة التي يوضع بها أساس البناء البحثي فلا بد من عرضها عرضاً من جوانب شتى نحاول بها أن نتعرض لجل ما في الموضوع من أمور عدة ومحاولة تسليط الضوء علي التكيف القانوني للتزوير المعني من بيان ماهيته وضوابطه ووجه نظر المشرع القانوني له وما نص عليه في القوانين العربية .

لقد عرفت الجزائر المستقلة تأسيس المؤسسات السياسية وشؤون الدولة وقد نشأت هذه المؤسسات من رحم مختلف دساتير الجزائر ١٩٦٣، والدستور الصادر عام ١٩٧٦، والدستور الصادر عام ١٩٨٩، والدستور الصادر عام ١٩٩٦، والدستور الجزائري الصادر عام ٢٠٠٨، ودستور عام ٢٠١٦، والدستور الجزائري الصادر عام ٢٠٢٠م. والتي نظمت الحياة السياسية والاجتماعية والجوانب الاقتصادية والثقافية للمجتمع ، وبالتالي فإن ظهور هذه المؤسسات كان مسألة تنظيم عمل المؤسسات الدستورية.

ويمكن التمييز بين الدساتير الجزائرية إلى قسمين من حيث طبيعة النظام السياسي المرحلة الأولى تبدأ مباشرة بتقرير الجزائر عام ١٩٦٢م إلى هدف التحول الديمقراطي في الجزائر ١٩٦٢م -١٩٨٩م ويسمى في أدبيات السياسة الأحادية الحزبية النظام المغلق ، أو المرحلة الثانية ، والتي تبدأ بعد إقرار التعددية الحزبية من خلال دستور عام ١٩٨٩م حتى الآن ويسمى التعددية الحزبية أو السياسية.

وهكذا يمكن القول أن التنظيم المؤسسي السياسي والإداري في الجزائر تأثر بشكل مباشر بطبيعة النظام السياسي وحتى طبيعة الحكم ، وظهر ذلك من خلال الصلاحيات الكبيرة الممنوحة للمؤسسة التنفيذية ،

وخاصة هيئة الرئاسة ، على حساب المؤسسات الأخرى (تشريعي وقضائي) سيطرت على مجرى الشؤون الداخلية وحتى الخارجية منها ، وسيطر على شؤون الدولة الجزائرية من خلال التشريع والتنظيم. يعتبر مؤتمر الصومال مؤسس النواة الأولى للدولة الجزائرية كمنظمة وانبثقت منها مؤسستان هما: المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، CNRA ، والذي كان يعتبر ممثلاً للشعب ، أي كسلطة تشريعية. ولجنة التنسيق والتنفيذ التي انبثقت عنها الحكومة الجزائرية المؤقتة والتي كانت لها مهام تنفيذية وتنسيق العمل وتنفيذ قرارات المجلس ، ثم ابتداء من عام ١٩٥٩م تم إنشاء القيادة العامة لأركان جيش التحرير الوطني ، والتي يكون لها الدور الرئيسي الأمر الذي أدى بها إلى التنافس مع الحكومة المؤقتة.

ثانيا: مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة بالسؤال الآتي:

ما هي المؤسسات السياسية والإدارية في النظام القانوني في الجزائر؟  
وتتفرع الإشكالية في بعض الأسئلة الفرعية التي سوف تبدي لنا أثناء البحث.

ثالثا: فرضية الدراسة:

الفرضية الأساسية: وهي بيان المؤسسات السياسية والإدارية.

رابعا: أهمية الدراسة:

- إمكانية أخذ الدروس من نتائج هذه الدراسة وتطبيقها في مناطق أخرى من العالم وخاصة الوطن العربي
- تزايد اهتمام الباحثين ومتخذي القرار بدراسة المؤسسات السياسية والإدارية في ظل ظاهرة العولمة واتجاه الدول نحو تبني مفاهيم عالمية وخاصة اللامركزية الإدارية.
- محاولة الوصول إلى مقترح رؤية موحدة للمؤسسات السياسية والإدارية في الجزائر.
- مراعاة العوامل البيئية التي تحكمها ظروفها وإمكانياتها.

خامسا: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف أهمها ما يلي:

١. بيان المؤسسات السياسية في الجزائر.
٢. بيان المؤسسات الإدارية على المستوى الوطني.
٣. التعرف على المفاهيم الجديدة حول المؤسسات في الجزائر، والتي تعزز قدرة الوحدات المحلية على ذلك.

سادسا: حدود الدراسة:

القانون الجزائري والجزائر بصفة عامة من مؤسساتها وسلطاتها التنفيذية والتشريعية.

منهجية البحث:

سوف نقسم بحثنا هذا إلى مبحثين رئيسيين يبدأ بالتمهيد ومن ثم يقسم كل مبحث إلى مطلبين رئيسيين ومن ثم يقسم كل مطلب إلى فروع.

المبحث الأول

تعريف البلاد ونظام القانونية

تمهيد:

تعتبر دراسة المؤسسات السياسية من أهم التحديات التي تواجه السياسة السلوكية وتأكيد الرؤية التي تعتبر السياسة نشاطًا منظمًا تمثل فيه مؤسسات الدولة المركز صلاحياتها وقدرتها على التحكم في السلوك السياسي وصياغته.

وعلى عكس المدرسة التقليدية ، ترى المدرسة التنموية والمدرسة الحديثة أهمية تسليط الضوء على عمليات الاعتماد والتأثير المتبادل والواضح ، أو بعبارة أخرى ، فكرة الاستقلال ، وكذلك دوافع الفاعلين السياسيين والنظرة التقليدية للدولة ومؤسساتها كمتغير تابع لفكرة الاستقلال ضرورية لإثبات أن هذه المؤسسات هي أكثر من مجرد مرآة للتأثير بل إن القوى الاجتماعية هي التي تؤثر عليها لأن أجهزتها (التشريعية والتنفيذية والقضائية) هي مجالات نزاع.

وإنه يحتوي على قوى اجتماعية مختلفة من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، هو تعريف المباني والمنظمات والتجمعات كما أنها تتمتع بنوع من الاستقلالية والتماسك ، لذلك لها دور فعلي في الواقع العملي.

ويمنح مفهوم التماسك هذه المؤسسات دوراً في صنع القرار ، وزاد الاهتمام أكثر في ظل انتشار ظاهرة المشاركة السياسية مما يجعلنا نتساءل عن الأسباب التي تجعل البعض أنظمة تزداد فيها المشاركة السياسية بينما يعاني البعض الآخر من الجمود والانغلاق ويتجه المساق إلى البحث عن طبيعة وخصوصيات تطور المؤسسات السياسية في الجزائر على وجه الخصوص، بعد التجربة الديمقراطية ، حيث أصبح التحول الديمقراطي مطلبًا لعمليات التنمية والتحديث لرفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي وجعل المواطنين أكثر قدرة على المشاركة في الإدارة شؤونهم ، لا سيما من خلال المؤسسة التشريعية ، التي تعتبر من أهم تلك المؤسسات التي تضع القواعد اللعبة الديمقراطية ومن هنا نسأل:

- ١- لماذا كل هذه التغييرات التي ميزت الحياة الدستورية في الجزائر؟
  - ٢- هل كان بناء الدولة الحديثة بعد الاستعمار مصحوبا فعلا ببناء مؤسسات سياسية قادرة على ذلك؟
  - ٣- هل حققت هذه المراحل المتتالية تطوير وتحديث النظام السياسي؟
- ما هي طبيعة هذه المؤسسات في التجربة الجزائرية و ما هي خصوصياتها؟

## المطلب الأول

### تعريف البلاد

### الفرع الأول

### تعريف البلاد

### تعريف الدولة:

هي مجتمع منظم (مجموعة من الأشخاص) يقتصر على منطقة معينة وله الحق في إصدار قواعد قانونية أقلت من العقوبات (السيادة) وخضع لسلطة أعلى.

وفقاً لعلماء السياسة والاجتماع ، فإن "المؤسسة تتمتع بالحق في استخدام السلطات العليا والقمع إنها مجموعة إقليمية ذات سيادة ، وثقهم أركانها الأربعة على أنها الشعب ، والمنطقة ، والحكومة ، والسيادة.

**المجلس الوطني للثورة الجزائرية:** يعتبر ممثلاً للشعب وتعبيراً عن إرادته وسيادته.

ويحدد ويوجه سياسة الجبهة، بلغ عدد أعضائها في المؤتمر الأول للجبهة ٤٣ عضواً ١٧١ عضواً دائم ، وبقية الأعضاء مؤقتون ، وقد زاد هذا العدد خلال المؤتمر الثاني في القاهرة قبل عام ١٩٥٧م إلى خمسون عضواً . لكن المؤتمر الثالث الذي عقد في طرابلس كان أهم نتيجته على القرارات التي اتخذتها ، حيث

تمت الموافقة على مبدأ تعيين المستشارين الوطنيين ، بالإضافة إلى إعادة الاستدعاء الطبيعية المؤقتة للمؤسسات الوطنية والحاجة إلى الاقتراح العام كوسيلة لتشكيل السلطة التشريعية بعد الاستقلال كما أقر كذلك بإمكانية الاحتفاظ بأعضائه في انتظار المؤتمر التالي للجهة.

وتنص المادة ٢٨ من قانون الجبهة على ما يلي: ان يكون ثلثي أعضاء المجلس على الأقل داخل التراب الوطني. بالنسبة للمادة ٨ من قانون المؤسسات المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، من المسلم به أن: المجلس تعبير عن السيادة الوطنية في زمن الحرب. لها دور السلطة التأسيسية والتشريعية ومراقبة الحكومية. أما المادة ١٠ من ذات القانون فهي تمنحه الثقة في الحكومة وهي مسؤول أمامه<sup>٢</sup>.

أما المادة ٣٣ فتعطي للمجلس صالحيه المصادقة على بأغلبية ٦/١ على الاتفاقيات الدولية التي تيرمها الحكومة المؤقتة<sup>٣</sup>

## الفرع الثاني

### بعض المفاهيم الأخرى.

#### السياسية أو التوازن بين الشعب والأمة والدولة:

المفهوم الحديث للأمة (السياسية) ، الذي انتشر بعد الثورتين الفرنسية والأمريكية ، لا يقدر أي شيء أدنى. بالنظر إلى الخصوصيات الثقافية والعرقية، فهي تعتبر الأمة كل مجموعة سكانية تعيش على أرض محددة.

- وجهة النظر هذه لا تفقد مفهوم الأمة في بعدها التاريخي كونها معقدة.
- لا يجب الخلط بين الدولة كمؤسسة سياسية شرعية والأمة كظاهرة أو حقيقة بل هي منظمة اجتماعية ليس لها تنظيم قانوني ، بل هي مجموعة من الأشخاص تحققت وحدتهم من خلال تطور تاريخي طويل على أساس مجموعة الجنس، اللغة، العرق التاريخي... (وجهة النظر الألمانية)

أم أن وحدة الأسرة والحي (وحدة الوطن) هي النظرة الشخصية أو المصالح الاقتصادية والاجتماعية ، وجهة نظر مادية، وبالتالي فهم في نظام اجتماعي واحد.

**تعريف الحكومة:** تم استخدام المصطلحين بشكل مترادف في المدرسة التقليدية والمدرسة حديث.

وأحدهما رأى فيه جهازاً سياسياً حكومياً في المجتمع ، بينما رأى الآخر أنه أغراض إدارية عملية حكومية، متجاهلة أن الحكومة هي جهاز أو هيئة تضم بعض المواطنين، بينما تقوم الدولة على جميع أفراد الشعب والمواطنين، ومن هنا تصبح الحكومة هي الجهاز الذي تستخدمه الدولة في تحقيق أغراضها، حيث تمنحها الدولة بعض الصلاحيات (السلطات العامة).

لأن الحكومات مترابطة بينما تستمر الدولة في الحفاظ على كيانها، القومية هي شعور التعريف (ماكس ويبر) يعبر عن تطابق بُعد الدولة في معناها التنظيمي (الكيان القانوني) مجموعة الوكالات الحكومية والأمة في معناها هي السكان الذين يعيشون في منطقة معينة وتحت السيطرة.

#### الدستور:

هو مجموعة القواعد والمعايير القانونية التي تحدد شكل الدولة ونظامها السياسي بشكل عام تفاصيلها بحيث توضح الكيانات العضوية والوظيفية للمؤسسات الرسمية للدولة ، وكذلك علاقتها من قبل المحكوم عليهم<sup>٤</sup>.

أو إنه مرتبط بالإيديولوجية الغربية الليبرالية السائدة في القرن السابع عشر التي تؤكد على الحقوق

البشر.

وكل دستور يقوم على هذه الأيديولوجية لا يحترم حريات المجتمع وأفراده ولا يؤكد مبدأ الفصل بين السلطات وكأنه غير موجود وإقامة الدولة وإقامة نظامها يكون فقط من خلال التمييز. والفصل بين السلطة وصاحبها الأصلي كجسم عضوي يمارس هذه القوة لإحساس الجماعة وليس لحسابه الشخصي الذي أدى إلى قيام النظام. أما المعنى الدقيق فهو ترسيخ التعايش السلمي بين القوة والحرية. لذلك فإن هذه القواعد تصف وتوضح الشعور بالحاجة والرغبة لدى الجهات الفاعلة ويمكن تجاوزها وتعديلها أو قم بإلغائها إذا تعارضت مع الغرض الذي وجدت من أجله ، لذلك نحن بحاجة ماسة لدراسة الواقع من خلال الموقع الفعلي لدور الممثل.

### المطلب الثاني

#### تعريف القانونية.

يتم التعبير عن القانون العام بعبارة "القانون الوضعي"، الذي يقابله في اللغة الفرنسية بعبارة *Droit Positif*، أي مجموع القواعد القانونية المعمول بها في بلد معين وفي وقت محدد. يتمثل القانون الوضعي الجزائري في مجموعة القواعد القانونية السرية السارية حالياً في الجزائر. لا أحد: المعنى العام لكلمة قانون" فهو يعني مجموعة القواعد القانونية التي تحكم سلوك الأفراد في المجتمع وتنظم علاقاتهم في المجتمع بطريقة ملزمة. وتحرص الدولة على تطبيقها سواء كانت مكتوبة أو غير مكتوبة بصرف النظر عن مصدر هذه القواعد".

ويتم التعبير عن القانون بمعناه العام بعبارة "الوضعي"، الذي يقابله في اللغة الفرنسية بعبارة *Droit Positif*، أي مجموع القواعد القانونية المعمول بها في بلد معين وفي وقت محدد. يتمثل القانون الوضعي الجزائري في مجموعة القواعد القانونية السرية السارية حالياً في الجزائر.

#### المعنى الخاص لكلمة قانون:

يجب التمييز بين حالتين عند التعامل مع المعنى المحدد للقانون: الحالة الأولى: تستخدم كلمة "قانون" بمعنى التشريع ، ويتم تمثيل معنى ذلك في مجموعة من القواعد القانونية المكتوبة التي وضعتها السلطة التشريعية لتنظيم موضوع معين في مجال معين من الحياة الاجتماعية ، من أجل مثال قانون مهنة المحاماة ، قانون التوثيق ... إلخ.

الحالة الثانية: تستخدم كلمة قانون بمعنى الكود ، أي على فرع من فروع القانون ، ويقصد بها مجموعة النصوص القانونية التي تنظم فرعاً من فروع القانون ، على سبيل المثال يقال: على سبيل المثال ، *Code Civil* ، *Code Commercial* ، إلخ.

#### تعريف القانون في الفقه:

اعتمد فقهاء القانون على ثلاثة معايير أساسية لتعريف القانون ، وهي المعيار الموضوعي ، ومعيار العقوبة ، وأخيراً معيار خصائص القاعدة القانونية.

#### الغرض أساس تعريف القانون:

هذا الاتجاه عرف القانون بأنه "مجموعة من القواعد الملزمة التي تنظم علاقات الأفراد في المجتمع بطريقة عادلة تضمن حريات الأفراد وتحقق الصالح العام".

#### ما يلي معيب في هذا التعريف:

إن فكرة الصالح العام ليست ثابتة ومحددة ، بل هي فكرة نسبية ومتغيرة.

الغرض من القانون فكرة قابلة للنقاش ، ومحاولة حصرها في تعريف القانون ستؤدي إلى الجدل والتناقض.

### العقوبة أساس تعريف القانون:

ووضعت مجموعة أخرى تعريفاً للقانون علي أساس العقوبة ، فاعتبروا أن "القانون هو مجموعة من القواعد العامة الإلزامية التي تبتثق من إرادة الدولة وتنظم سلوك الأشخاص الخاضعين لهذه الحالة أو هؤلاء. تشارك في تشكيلها "

وهذا التعريف يشوبه نواقص تجعله يستثنيه جمهور الفقه ، وذلك للأسباب الآتية:

ليست كل القواعد القانونية نابعة من الدين.

القاعدة القانونية موجودة قبل تدخل العقوبة ، فالأخيرة لا تتدخل إلا في حالة مخالفة الأفراد للقاعدة.

أهمية القانون ودور القانون في ضبط نشاط الأشخاص.

### تدخل القانون للسيطرة على نشاط الأفراد في ضوء العقيدة الفردية:

يمثل هذا النهج، فلاسفة القرن الثامن عشر ، ومن بينهم إي كانط ، وجي جي روسو ، وأسميث.

تؤمن هذه العقيدة بأن الفرد هو المحور الرئيسي لوجود القانون. وفق هذا النهج ، لا يستمد الفرد وجوده وحقوقه من المجتمع ، بل المجتمع الذي يستمد وجوده من الفرد ، فالأخير مستقل وله حقوق طبيعية لا يمنحها له القانون ، بل هم موجودة قبل وجود القانون نفسه.

إن دور القانون ، وفقاً لهذا النهج ، هو حماية الحرية للأفراد من خلال وضع القواعد لوضع حد للتناقضات بين الحريات الشعبية والتدخل فيما بينها. يفرض القانون على الأفراد أحكاماً تقتضي عدم الإضرار بالآخرين ، ولكن دون التدخل لفرض منطق التكافل الاجتماعي.

ساهم هذا المذهب في تقديس الحرية الفردية للإنسان وتحريره من الأنظمة الاستبدادية التي سادت أوروبا في العصور الوسطى (Période Médiévale) ، مما أدى إلى تشجيع النشاط الفردي وتحرير روح الإبداع والابتكار لديهم.

يكمن ضعف هذا الاتجاه في حقيقة أنه ينكر حقوق المجتمع على الفرد ، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى غلبة المصلحة الخاصة على حساب المصلحة العامة ، حيث أن المبالغة في تجميد الحريات الفردية تؤدي حتماً إلى الطبقة. التفاوت في المجتمع حيث يتم فرض مجموعات قليلة. إنه ينطبق على غالبية المجتمع.

### تدخل القانون للسيطرة على نشاط الأشخاص بموجب العقيدة الاشتراكية:

يمثل هذا الاتجاه كثير من الفلاسفة كماركس ، وتؤمن هذه العقيدة بأن المجتمع هو المحور الأساسي لوجود القانون ، ولا يرى الفرد إلا كجزء من المجتمع ، حيث يكون هذا الفرد متضامناً مع أفراد آخرين. من أجل تحقيق المصلحة العامة ، أي اعتبار الإنسان كائناً اجتماعياً بالفطرة ، وبالتالي لا توجد مصلحة الفرد ولا تتحقق إلا من خلال مصلحة الجماعة<sup>١</sup>.

يتسع دور القانون في إطار هذه العقيدة إلى جميع مجالات الحياة الاجتماعية، اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، من أجل منع الظلم والاستغلال الذي قد تفرضه الأقلية المالكة للمال على الأغلبية التي تمثل الطبقة. من العمال.

وتتميز وظيفة الدولة من منظور هذه العقيدة بالشمولية ، حيث يتعدى دورها الحفاظ على النظام وحكم الأمن ، إلى التوسع في توجيه النشاط الاقتصادي والحد من حرية الأفراد في هذا المجال بالقدر الكافي. لتحقيق العدالة الاجتماعية.

تتمثل مزايا هذا النهج في انه يساعد على استبدال الأقوياء على الضعيف، ويطمح إلى التوزيع العادل للثروة من خلال تدخل الدولة في مختلف المجالات، وفرض القانون على مبدأ الملكية الجماعية للضعفاء. وسائل الإنتاج.<sup>٧</sup>

لا يخلو هذا النظام من مساوئ، حيث يؤدي إلى استبدال السلطة العامة، مما يجعل القانون وسيلة لسحق حرية الأفراد وتجريدها من مقاومتها الأخلاقية الأساسية، حيث غالبًا ما توصف الأنظمة الاشتراكية بالديكتاتورية والسلطوية.، وهذا من شأنه أن يعكس سلبيًا على روح الابتكار والإبداع لدى الفرد. سباته ولا مبالاته، بسبب قلة الحوافز الشخصية، ولا يمكن أن يترك، سوى تأثير سلبي على المصلحة العامة.<sup>٨</sup>

### المبحث الثاني

#### تعريف السلطات الثلاث

تعتبر السلطة في الفقه الدستوري من أهم ركائز الدولة من حيث الاختصاصات والمسؤوليات المنوطة بها، ومن المعروف أن الدولة الحديثة والمعاصرة تؤدي وظائفها من خلال ثلاث سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية.<sup>٩</sup>

فالمشاركة السياسية من ركائز الديمقراطية إنها تعبير عن مطالب الشعب وآرائه كمصدر رئيسي للسلطة والسيادة في الداخل.

وتنص المادة ٦ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواطن على ما يلي:<sup>١٠</sup>  
أن القانون هو تعبير عن الإرادة العامة، فلكل مواطن الحق في المساهمة بشكل شخصي من خلال ممثلهم في تشكيلها.

وفي السياق ذاته، ينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على ما يلي:  
أن الحق في ان يشارك في إدارة الشؤون العامة لبلده سواء بشكل مباشر أو يكون له ممثلين للاختيار بحرية.

وتبعًا لذلك، تبنت غالبية الدول الديمقراطية هذا النظام الديمقراطي التمثيلية أو التمثيلية التي ظهرت كبديل للديمقراطية المباشرة.<sup>١١</sup>

وهو نظام يمارس فيها الشعب السلطة من خلال نواب أو نواب يعبرون عن إرادتهم، ومن وجهة النظر هذه.

و يعتبر حضور مجلس النواب المنتخب من قبل الشعب أهم ركيزة يقوم عليها النظام التمثيلي، لافتًا إلى أن بعض دساتير الدول اختارت طريقة وسطية وهي الديمقراطية شبه المباشرة.<sup>١٢</sup>  
بمعنى وجود برلمان منتخب بالإشارة إلى الشعب ذي السيادة في القضايا المهمة، وعليه ظهرت شروط الاستفتاء والحل الشعبي والحق في هذه الدساتير، وعليه يقبل الشعب النائب ويقبل رئيس الجمهورية.<sup>١٣</sup>

#### المطلب الأول

##### الهيئات السياسية المستقلة.

##### الهيئة العليا لمراقبة الانتخابات:

وهي الهيئة الدستورية المسؤولة عن مراقبة الانتخابات في الجزائر. تأسست في ٦ مارس ٢٠١٦ في إطار الإصلاح الانتخابي. يقع مقرها الرئيسي في الجزائر العاصمة.

تتكون الهيئة من ٤١٠ أعضاء، نصفهم من كبار القضاة والنصف الآخر من المجتمع المدني، ويتم اختيارهم من بين أكثر الشخصيات تأثيراً في الحياة الاجتماعية العامة. تشكيل يتعامل مع الإدارة والإعلام والقوى السياسية.



**السلطة التشريعية:**

يعتبر التشريع الاختصاص الأول للبرلمان ، لكن هذا لا يعني أن الأخير يمارس هذه السلطة بعيداً عن رئيس الجمهورية. بل هناك وسائل قانونية تمنحه كل الضمانات للتدخل في العمل التشريعي ومشاركة السلطة التشريعية في جميع مراحل سن القوانين باستثناء التصويت فقط ، وفي بعض الحالات يشرع رئيس الجمهورية محل البرلمان ( خلال عطلة مجلس النواب ، وفي غيابه). وهذا يؤكد المكانة الدستورية والسياسية التي يتمتع بها رئيس الجمهورية في النظام السياسي الجزائري على حساب جميع المؤسسات الدستورية الأخرى ، وكذلك كيفية إقامة العلاقة بين السلطات التي تسود دائماً لصالح السلطة التنفيذية في البلاد. على حساب السلطين التشريعية والقضائية ، رغم أن جميع الدساتير الجزائرية في مرحلة التعددية.<sup>١٤</sup>

السلطة القضائية هي السلطة التي يشار إليها باسم الدولة ، وهي تتحقق من تطبيق القانون وتتأكد من عدم انتهاك القانون ، حيث يتم التحقق من ذلك من قبل مجموعة من المحاكم مرتبة حسب التسلسل الهرمي القضائي ، بما في ذلك المحكمة الابتدائية ومحكمة الاستئناف ومحكمة النقض والعديد من المحاكم الأخرى. هذه المحاكم هي المسؤولة عن التحقق من تطبيق القانون وإصدار حكم بشأن ما إذا كان قد تم انتهاك القانون أم لا ، ومن ثم إحالة هذا القرار إلى ما يسمى السلطة التنفيذية. على سبيل المثال؛ في الولايات المتحدة يرأسها المحكمة الفيدرالية العليا ، ومحاكم الاستئناف ، والمحاكم الدنيا المحلية ، حيث تعتبر المحاكم الأعلى أعلى من محاكم الاستئناف ولها الحق في إلغاء الحكم وتعديله. السلطة التنفيذية هي السلطة المسؤولة عن تطبيق القانون ، وهي الحكومة ممثلة بالوزراء ورئيسها ، والوزارات العاملة في الدولة التي تتبعهم ، بما في ذلك وزارة الداخلية ودوائرها ؛ مثل الشرطة والدفاع المدني والقوات المسلحة ، على سبيل المثال في الولايات المتحدة ، يتكون الفرع التنفيذي من:

أولاً ، رئيس الدولة ، وهو القائد العام للقوات المسلحة في الولايات المتحدة. يحكم الرئيس لمدة أربع سنوات ولا يجوز انتخابه أكثر من مرتين. ثانياً ، يتكون من نائب الرئيس الذي يدعم الرئيس بشكل أساسي ويمكن أن يصبح رئيساً في حالة عجز الرئيس عن القيام بواجباته وواجباته ويمكن أن يخدم عدداً غير محدد من السنوات وحتى مع اختلاف الرئيس. ثالثاً ، يتكون من مجلس الوزراء الذي يعمل كمستشار للرئيس ويضم كبار المسؤولين الحكوميين. يتم ترشيح أعضائها من قبل الرئيس ، ويجب أن تتم الموافقة عليهم بتصويت مجلس الشيوخ والإدارات الحكومية المختلفة الأخرى. في الولايات المتحدة ، الرئيس هو رئيس الفرع التنفيذي للحكومة ، والذي يضم أيضاً نائب الرئيس وأعضاء مجلس الوزراء والإدارات الحكومية. يتمتع رئيس الولايات المتحدة بسلطة وضع قوانين معينة ، مثل الأوامر التنفيذية. ومع ذلك ، فهي تخضع للمراجعة من قبل الفرع القضائي للحكومة ، الذي لديه سلطة إعلان عدم دستوريته. من الضروري مراعاة الاختلافات بين الدول فيما يتعلق بهذه السلطات الثلاث وتداخل عملها والفصل بينها. على سبيل المثال ، نجد أن القوانين في الاتحادات والكونفدراليات تختلف في آلية تشريعاتها عن بعض الدول الأخرى.

**المطلب الثاني****الهيئات الإدارية المستقلة.**

أولاً: أوقات ظهور سلطات الإدارية ظهور سلطات إدارية مستقلة بفكرة الضرورة ، أي إلى أي مدى يحتاج نظام معين إلى ذلك النموذج ، لذلك يقول شوفالي أن الضرورة خلقت النموذج التكميلي ، فكل نظام ينتمي إليه مبررات عديدة كلها تدور حول فكرة الضرورة.

بدخول الجزائر اقتصاد السوق ، اضطرت الدولة لتأمين المجال الاقتصادي زيادة تحرير منطقة إدارية مستقلة ومحاولة إصلاح النظام وإدارة الزوار وإنشاء السلطات إدارة مستقلة تهتم بالسيطرة الاقتصادية على النشاط الاقتصادي والحريات ، فهي ضرورية بدلاً من الانسحاب نظراً لحاجة السوق.<sup>١٥</sup> لقد ظهر مفهوم السلطات الإدارية المستقلة لأول مرة في الجزائر بإنشاء المجلس العالي للأعلام بموجب قانون رقم ٩٠-٠٧ ونصت المادة ٥٩ من هذا القانون علي "يحدث مجلس أعلي للأعلام وهو سلطة إدارية مستقلة..."<sup>١٦</sup>

شهد القضاء الإداري في الجزائر تطورات ملحوظة ، خاصة عندما يتدخل مجلس الدولة من خلال مستشاريه المتميزين في عملية اقتراح النصوص والأفكار التي من شأنها تحسين العمل القضائي في المجال الإداري. تقييم عمل محاكم الاستئناف الإدارية والمحاكم الإدارية ، والذي من خلاله يُفهم أن الجزائر عازمة على إنشاء محاكم استئناف إدارية ، وهذا ما يعتبر تحدياً جديداً لقضاة مجلس الدولة من أجل المساهمة في تخفيف العبء القضائي عليهم نتيجة كثرة المنازعات المعروضة عليهم ، خاصة تلك المتعلقة بالطعون المرفوعة ضد أحكام المحاكم الإدارية. لذلك تسلط هذه الدراسة الضوء على أهم النصوص التي يجب تعديلها لتنماشى مع آفاق الإصلاح القضائي في الجزائر.

شهد القضاء الإداري في الجزائر تطورات ملحوظة ، خاصة عندما تدخل مجلس الدولة من خلال مستشاريه المتميزين في عملية اقتراح النصوص والأفكار التي من شأنها تحسين العمل القضائي في المجال الإداري. تقييم عمل محاكم الاستئناف الإدارية والمحاكم الإدارية ، والذي من خلاله يُفهم أن الجزائر عازمة على إنشاء محاكم استئناف إدارية ، وهذا يعتبر تحدياً جديداً لقضاة مجلس الدولة من أجل المساهمة في تقليص العبء القضائي عليهم نتيجة كثرة المنازعات المعروضة عليهم وخاصة تلك المتعلقة بالطعون على أحكام المحاكم الإدارية. لذلك تسلط هذه الدراسة الضوء على أهم النصوص التي يجب تعديلها لتنماشى مع آفاق الإصلاح القضائي في الجزائر.<sup>١٧</sup>

### المجلس العالي للقضاء:

ان من أهم ضمانات تحقيق مبدأ استقلال القضاء أنشاء المجلس العالي للقضاء فهو بحسب اختصاصاته يضمن اللي حد كبير حماية مبدأ الحيادة في مواجهة السلطة التنفيذية بما له من اختصاصات في كل ما يتعلق بالمسار المهني للقضاة وذلك في القانون العضوي ٠٤-١٢-١٨

وصدور القانون العضوي رقم ١١-٠٤ بشأن القانون الأساسي للقضاء.<sup>١٩</sup>

### القضاء الإداري:

تختص محكمة الاستئناف الإدارية بالفصل في استئناف الأحكام والأوامر الصادرة عن المحاكم الإدارية. كما تختص بالفصل في القضايا الموكلة إليها بموجب أحكام خاصة. كما تختص محكمة الاستئناف الإدارية بالفصل في استئناف الأحكام والأوامر الصادرة عن المحاكم الإدارية.

وعرفت الجزائر نظام القضاء الإداري طوال فترة الاحتلال الفرنسي ، بالتميز الذي مارسه الإدارة الاستعمارية ضد الشعب الجزائري ، وحرمانه من حقوقه وحرياته الأساسية. عند الاستقلال ، اعتمدت الجزائر على النظام القضائي الانفرادي نتيجة ثورة التحرير التي قلبت الأوضاع التي كانت سائدة في فترة الاحتلال ، مع الاحتفاظ بغرف إدارية على مستوى المجالس القضائية والمحكمة العليا مختصة بالنظر في القضايا الإدارية. ، وتطبيق قانون الإجراءات المدنية في الإجراءات ، والقانون الإداري في الموضوع. بعد دستور ٢٨ نوفمبر ١٩٩٦ ، عادت الجزائر مرة أخرى إلى القضاء الإداري ، مع إنشاء مجلس الدولة

والمحاكم الإدارية ، لكن هذا النظام كان قاصرا من عدة جوانب ، ولهذا قمنا بهذه الدراسة ، بالطبع ليس لتحليل هذا النظام لأن المكان لا يستوعب ذلك بل لتوضيح أهم هذه النواقص وإعطاء حلول عملية لها.

#### هيئة حقوق الإنسان:

الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان منظمة غير حكومية مستقلة تنشط في الجزائر. تأسست عام ١٩٨٥ من قبل مجموعة من الحقوقيين برئاسة علي يحيى عبد النور أول رئيس للرابطة وهو حاليًا رئيسها الفخري.<sup>٢٠</sup>

#### المحكمة الدستورية:

على الرغم من احتفاظ المؤسس الدستوري بظهور المجلس الدستوري في المحكمة الدستورية ، من حيث التكوين وبعض الشروط المطلوبة للأعضاء بالإضافة إلى دور رئيس المحكمة الدستورية في إطار تشكيل المحكمة الدستورية ، أو في شروط الصلاحيات ، وخاصة إبقاء نفس هيئات الإخطار سارية المفعول أمام المجلس الدستوري ، وعدم توسيعها وعدم منح المحكمة الدستورية صلاحية الإخطار التلقائي ، كل هذا يجعلها مؤسسة رقابية لا تختلف كثيراً عن المجلس الدستوري ، كما أدخل المؤسس الدستوري في التعديل الدستوري عام ٢٠٢٠ التعديلات السابقة بخصوص الرقابة على دستورية القوانين. لا يمكن التأكيد على أن المحكمة الدستورية هيئة رقابية مختلفة عن المجلس الدستوري ، لكن هذه التعديلات تدخل في إطار إصلاح نظام الرقابة على دستورية القوانين من أجل تحقيق رقابة فعالة.<sup>٢١</sup>

#### السلطة المحلية:

يسعى تنظيم الإدارة المحلية في الجزائر دائما إلى تحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها. تهدف إلى تلبية احتياجات أفراد المجتمع المحلي ، ولهذا الغرض تبذل الجهود وتستخدم الموارد (المادية والبشرية). كما أنها تحتل الصدارة من حيث كونها صانعة للتنمية المحلية ، وهذا هو سبب إنشائها وتأسيسها. في الدولة الموحدة كما في الدولة الجزائرية ، تتميز العلاقة بين الحكومات المركزية والأقاليم بالوضوح في تقاسم السلطات من خلال الدستور أو تفويض الصلاحيات من خلال التشريعات والقوانين ، ويمكن التمييز بين مفهومين لتلك العلاقة بين الحكومة المركزية والأقاليم أو الولايات ، أي الإدارة المحلية والحكومة المحلية والإدارة المحلية تختار الدولة الحديثة دائما أفضل طريقة في التنظيم الإداري لمناطقها ، وذلك للاستجابة لمتطلبات أهلها وتقريب الخدمات إليهم بما يخدم احتياجاتهم اليومية من الصحة والتعليم والمياه والكهرباء. وغيرها ، ولتحقيق هذا الغرض قد تبدأ في تبني تنظيم إداري مركزي في البداية ، حتى لو توسع وتطوير المتطلبات المحلية لشعبها ، فقد لجأت إلى اللامركزية من أجل تخفيف عبء الإدارة عن السلطة المركزية ، وتكرس نفسها لمهام سياسية واقتصادية أكثر إلحاحًا ، من خلال تفويض بعض صلاحياتها لمجالس محلية منتخبة. قبل الخوض في مفهوم الإدارة المحلية لا بد من التوقف عند بعض المفاهيم المرتبطة بها ، ومن أهمها:

**المركزية:** وهي تركز اتخاذ القرار والحسم في الأمور المتعلقة بالشؤون المحلية في يد الإدارة المركزية بالعاصمة ، وتلجأ الدول إلى مبدأ المركزية في الفترات التي تلي الاستقلال أو التشكيل بشكل عام ، كاستراتيجية لتوسيع نفوذهم وتشديد سيطرتهم على جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. للسكان على المستوى المحلي<sup>٢٢</sup>

#### الخاتمة:

اقتضت الظروف السياسية التي مرت بها الجزائر بعد الحراك الشعبي الذي انطلق في ٢٢ شباط / فبراير ٢٠١٩ تغييرات شاملة ، في مقدمتها التعديل الدستوري لعام ٢٠٢٠ ، الذي اعتمد المحكمة الدستورية بدلا من المجلس الدستوري ، وهو ما يعني التحول عن السياسة السياسية. للرقابة القضائية في مجال الرقابة على الدستورية. القوانين.

### النتائج:

وفي نهاية بحثنا نستنتج الآتي:

١. يبدأ ظهور القانون في أي دولة بوجود عدة قضايا قد تكون مثيرة للجدل وقد تكون مشاكل تواجهها الشعوب مما استدعى وجود هذه القوانين.
٢. من هنا يتطلب إطلاق هذه القوانين وتطبيقها على الشعوب الكثير من الضوابط الرقابية والشكليات التي تحكم صياغتها وشرعيتها ، وقد أصبحت واجبا وجود سلطة محددة تعمل على منع العبث بالقوانين من أي منظمة أو أشخاص ذوي نفوذ.
٣. السلطة التشريعية هي السلطة المسؤولة عن سن القوانين وسنّها ومن هنا جاء اسمها.
٤. إنها السلطة المستمدة من سلطة الشعب.
٥. يختلف اسم المشرع باختلاف الولاية ، ولكنه يتضمن نفس روح قانون العمل. على سبيل المثال ، في الولايات المتحدة ، نجد الكونجرس ، الذي يتكون من جزأين ؛ أولاً ، مجلس الشيوخ ، الذي يتألف من عضوين منتخبين من كل ولاية ، بمجموع ١٠٠ عضو ، ومدة مدتها ست سنوات ، ولا يوجد حد لعدد الجلسات التي يمكن للعضو أن يخدمها ، وثانياً ، مجلس النواب عدد النواب ، والذي يضم ٤٣٥ نائبا منتخبا موزعين على الولايات الخمسين بما يتناسب مع عدد سكانها ، ولا يوجد حد لعدد الفترات التي يمكن للفرد أن يخدمها.

### التوصيات:

- ١- يجب زيادة الوعي لدي الشعب والتعريف بمؤسسات الدولة.
- ٢- زيادة الوعي المجتمعي من خلال الندوات التثقيفية.
- ٣- الفصل بين السلطات ووضع الأطر والتشريعات التي تبعث علي استقلال القضاء.

### المراجع والمصادر:

#### أولا: الكتب والرسائل العلمية:

- ١- إسماعيل بوقرة ، قوانين السلطة التنفيذية المقيدة لأعمال السلطة التشريعية في الدستور الجزائري ، مجلة القانون والعلوم السياسية ، جامعة خنشلة ، المجلد ٢ ، العدد ١ ، يناير ٢٠١٥
- ٢- د. سام سليمان دله - مبادئ القانون الدستوري و النظم السياسية - منشورات جامعة حلب ، كلية الحقوق ، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية ٢٠٠٥
- ٣- رحماوي أحمد السعيد - التعبير عن الإرادة العامة للنشر، الدستور الجزائري - مذكرة ماجستير في القانون ، فرع الدولة و المؤسسات العمومية ، جامعة الجزائر ، كلية الحقوق ، السنة الجامعية ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧م.
- ٤- د. مولود منصور - بحوث في القانون الدستوري - موفر للنشر ، الجزائر ٢٠١٠
- ٥- الرياض الدماركي ، "المسؤولية السياسية والجناحية للسلطة التنفيذية في ضوء التعديل الدستوري ١٩٩٦" ، مجلة الفقه القضائي ، جامعة بسكرة ، العدد ٤ ، آذار ٢٠٠٨

- ٦- فريجه حسين ، التشريعية بالسلطة التنفيذية ، هل تحتاج إلى إعادة نظر؟ ، مجلة المنتدى القانوني، جامعة بسكرة، العدد ٦، نيسان ٢٠٠٩
- ٧- ناصر لباد، القانون الإداري، التنظيم الإداري، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دون دار نشر، الجزائر، عام ٢٠٠١م ص ١٠١.
- ٨- قانون رقم ٩٠-٠٧ مؤرخ في ٠٣ أفريل ١٩٩٠ .

#### ثانيا: القوانين:

- ١- القانون العضوي رقم ١١-٠٤ المؤرخ في ٢١ رجب ١٤٢٥ الموافق ٨ سبتمبر ٢٠٠٤ يتعلق بتشكيل المجلس العالي للقضاء وعمله وصلاحياته. الجريدة الرسمية عدد ٣٧ الصادرة في ٨ سبتمبر ٢٠٠٨ .
- ٢- القانون العضوي رقم ١١-٠٤ المؤرخ في ٢١ رجب ١٤٢٥ الموافق ٨ سبتمبر ٢٠٠٤ يتعلق بتشكيل المجلس العالي للقضاء وعمله وصلاحياته. الجريدة الرسمية عدد ٣٧ الصادرة في ٨ سبتمبر ٢٠٠٨ .

#### ثالثا: المجالات العلمية:

- ١- مجلة الدراسات القانونية والسياسية الصادرة في ٥-٦-٢٠٢٢ الوسائل القانونية لتدخل السلطة التنفيذية في العمل التشريعي في النظام لسياسي الجزائري في الحالات العادية من خلال دستور ٢٠٢٠
- ٢- مجلة الفكر القانوني والسياسي ١٢-٥-٢٠٢٢ إصلاح النظام القضائي الإداري الجزائري على ضوء دستور ٢٠٢٠ " التحديات و الآفاق.
- ٣- محاضرات مقياس المؤسسات السياسية والإدارية في الجزائر موجهة لطلبة السنة أولى ماستر علوم سياسية تخصص: سياسات عامة، من إعداد الأستاذ الدكتور كاس عبد القادر.
- ٤- محاضرات مقياس المؤسسات السياسية والإدارية في الجزائر موجهة لطلبة سنة ثانية علوم سياسية إعداد: الحاج أحمد محمد ياسين.
- ٥- عبد الغني بسيوني عبد الله، التنظيم الإداري، دار منشأة المعارف، القاهرة، سنة ٢٠٠٤.
- ٦- حمد محمود الطعمانة و سمير محمد عبد الوهاب "الحكم المحلي في الوطن العربي واتجاهات التطوير"، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، بحوث ودراسات، الأردن، ٢٠٠٥ .
- ٧- المحكمة الدستورية في الجزائر بين التنظيم والاختصاص، رسالة ماجستير، الطالبة سارة عماري، جامعة الوادي، سنة ٢٠٢١.
- ٨- ناجي عبد النور، "دور الإدارة المحلية في تقديم الخدمات العامة": تجربة البلديات الجزائرية، دفاثر السياسة والقانون، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد الأول، جوان ٢٠٠٩.

#### رابعا: مواقع الأترنت:

- ١- <https://www.almrsal.com/post/٨٣٥٥٨٣>
- ٢- <https://www.meemapps.com/term/jurisdiction>
- ٣- <https://mawdoo٣.com>

<sup>١</sup> محاضرات مقياس المؤسسات السياسية و الإدارية في الجزائر موجهة لطلبة السنة أولى ماستر علوم سياسية تخصص: سياسات عامة، من إعداد الأستاذ الدكتور كاس عبد القادر.  
<sup>٢</sup> عبد الغني بسيوني عبد الله، التنظيم الإداري، دار منشأة المعارف، القاهرة، سنة ٢٠٠٤.  
<sup>٣</sup> محاضرات مقياس المؤسسات السياسية والإدارية في الجزائر موجهة لطلبة سنة ثانية علوم سياسية إعداد: الحاج أحمد محمد ياسين.

<sup>٤</sup> د. مولود منصور - بحوث في القانون الدستوري - بدون دار نشر، الجزائر ٢٠١٠ ص ١٠٠.  
<sup>٥</sup> د. مولود منصور، مرجع سابق،

<sup>٦</sup> <https://www.meemapps.com/term/jurisdiction>

<sup>٧</sup> <https://mawdoo3.com>

<sup>٨</sup> <https://mawdoo3.com>

<sup>٩</sup> إسماعيل بوقرة ، قوانين السلطة التنفيذية المقيدة لأعمال السلطة التشريعية في الدستور الجزائري ، مجلة القانون والعلوم السياسية ، جامعة خنشلة ، المجلد ٢ ، العدد ١ ، يناير ٢٠١٥ ، ص ٨

<sup>١٠</sup> راجع المادة ٦ من الإعلان لحقوق الإنسان و المواطن المؤرخ في ٢٦ أوت ١٧٨٩.

<sup>١١</sup> راجع الفقرة الأولى من المادة ٢١ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ

١٩٤٨ ديسمبر ١٠

<sup>١٢</sup> د. سام سليمان دله - مبادئ القانون الدستوري و النظم السياسية، منشورات جامعة حلب، كلية الحقوق،

مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية ٢٠٠٥ ص ٢٧٠

<sup>١٣</sup> السعيد - التعبير عن الإرادة العامة في النظام الدستوري الجزائري - مذكرة ماجستير في القانون ، فرع الدولة و المؤسسات العمومية ، جامعة الجزائر ، كلية الحقوق ، السنة الجامعية ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ ، ص ١

<sup>١٤</sup> مجلة الدراسات القانونية والسياسية ٥-٦-٢٠٢٢ الوسائل القانونية لتدخل السلطة التنفيذية في العمل التشريعي في النظام لسياسي الجزائري في الحالات العادية من خلال دستور ٢٠٢٠

<sup>١٥</sup> ناصر لباد، القانون الإداري، التنظيم الإداري، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دون دار نشر، الجزائر، عام ٢٠٠١م ص ١٠١.

<sup>١٦</sup> قانون رقم ٩٠-٠٧ مؤرخ في ٠٣ أفريل ١٩٩٠.

<sup>١٧</sup> مجلة الفكر القانوني والسياسي ١٢-٥-٢٠٢٢ إصلاح النظام القضائي الإداري الجزائري على ضوء دستور ٢٠٢٠ " التحديات و الأفاق

<sup>١٨</sup> القانون العضوي رقم ١١-٠٤ المؤرخ في ٢١ رجب ١٤٢٥ الموافق ٨ سبتمبر ٢٠٠٤ يتعلق بتشكيل المجلس الأعلى للقضاء وعمله وصلاحياته. الجريدة الرسمية عدد ٣٧ الصادرة في ٨ سبتمبر ٢٠٠٨ ص ٢٣.

<sup>١٩</sup> القانون العضوي رقم ١١-٠٤ المؤرخ في ٢١ رجب ١٤٢٥ الموافق ٨ سبتمبر ٢٠٠٤ يتعلق بتشكيل المجلس الأعلى للقضاء وعمله وصلاحياته. الجريدة الرسمية عدد ٣٧ الصادرة في ٨ سبتمبر ٢٠٠٨ ص ١٣.

٢٠ ناجي عبد النور، " دور الإدارة المحلية في تقديم الخدمات العامة " :تجربة البلديات الجزائرية ،دقاتر السياسة والقانون، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ،العدد الأول، جوان ٢٠٠٩، ص١٥٣.

٢١ المحكمة الدستورية في الجزائر بين التنظيم والاختصاص، رسالة ماجستير، الطالبة سارة عماري، جامعة الوادي، سنة ٢٠٢١.

٢٢ حمد محمود الطعمانة و سمير محمد عبد الوهاب، "الحكم المحلي في الوطن العربي واتجاهات التطوير"، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، بحوث ودراسات،الأردن، ٢٠٠٥، ص١١-١٢



## فاعلية استخدام إستراتيجية الكرسي الساخن في التحصيل الدراسي وتنمية الدافعية للتعلم

الباحث عثمان زكريا يحيى

المشرف د. ليال الرفاعي

جامعة الجنان / كلية التربية قسم مناهج وطرائق التدريس

١٠٢٠٤٣٥٥@students.jinan.edu.lba

### ABSTRACT

The current study aimed to find out the effect of using the hot chair strategy on the achievement and the development of learning motivation among the fifth grade students of mathematics in Nineveh Governorate - Iraq. The study used the semi-experimental approach of the experimental research group that studied according to the hot chair strategy, and a control group that studied in the traditional way, where ٤١ students were randomly assigned to the two groups. The equivalence of the two groups was confirmed through the use of: intelligence test, calculating math scores for the fourth grade, verifying the chronological age in months, knowing the level of academic achievement of parents and the pre-test of motivation. The results showed that there were statistically significant differences between the experimental group and the control group at the level of academic achievement and the development of motivation to learn. And achieving a level of excellence among the students of the experimental group compared to those of the control group in mathematics grades. The results also showed a high level of student interaction within the classroom with his peers and with the teacher, breaking the deadlock and boredom, and a high level of passion for mathematics.

الملخص باللغة العربية

هدفت الدراسة الحالية إلى معرفة أثر استخدام إستراتيجية الكرسي الساخن في التحصيل وتنمية الدافعية للتعلم لدى تلاميذ الصف الخامس الإبتدائي لمادة الرياضيات بمحافظة نينوى - العراق. استخدمت الدراسة المنهج شبه التجريبي لمجموعة البحث التجريبية التي درّست وفق إستراتيجية الكرسي الساخن، ومجموعة ضابطة درست بالطريقة التقليدية حيث تم الاختيار بطريقة التعيين العشوائي بواقع ٤١ تلميذاً للمجموعتين. تمّ التأكد من التكافؤ المجموعتين من خلال استخدام كل من: إختبار الذكاء، إحتساب درجات مادة الرياضيات للصف الرابع، التحقق من العمر الزمني بالشهور، معرفة مستوى التحصيل الدراسي للآباء والأمهات والإختبار القبلي للدافعية. أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة على مستوى التحصيل الدراسي وتنمية الدافعية للتعلم. وتحقيق مستوى



تفوق لدى تلاميذ المجموعة التجريبية مقارنة" بذوي المجموعة الضابطة في درجات مادة الرياضيات. كما أظهرت النتائج إرتفاع مستوى تعامل المتعلم داخل الصف مع أقرانه ومع المعلم، وكسر الجمود والملل وإرتفاع مستوى الشغف تجتته مادة الرياضيات.

الكلمات المفتاحية : إستراتيجية الكرسي الساخن - التحصيل الدراسي - الدافعية للتعلم - صف الخامس الإبتدائي.

القسم الأول للدراسة: الجانب النظري

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة

مقدمة الدراسة

إعتمد التدريس في الكثير من المدارس والأكاديميات العلمية على أسلوب التلقين لفترة طويلة، حيث يذهب الطالب إلى تلك المراكز ليتعلم المنهاج الدراسي المعتمد من طرف واحد وهو المعلم، ولا دور له إلا التدوين وتسجيل الملاحظات دون المشاركة الفعالة مع المعلم وإتاحة الفرصة لاستخدام المهارات والعمل الجماعي لتلقي المعلومات حيث يتم التعلم باعتماد تقنية الحفظ بعد التلقين ومن ثم تفرغها في أوراق الإمتحانات دون التأكد من أنّ المعلومات والمحتوى قد تمّ فهمه بالمستوى المطلوب (الربيعي محمد، ٢٠١٥).

على مستوى آخر، تُعدّ مادة الرياضيات من المواد المهمة في المدارس، فهي تبدأ من المرحلة الإبتدائية بإكتساب الأعداد والأرقام وتعلم كيفية جمعها وقسمتها وضربها وطرحها، إنتهاءً بالمعادلات الرياضية المعقدة كحساب الأحجام والأطوال والأعماق وصولاً " للعمليات الحسابية الفيزيائية من السرعة والإحتكاك والقذف وغيرها من المهارات الرياضية الصعبة. ويلاحظ أنّ الكثير من الطلاب يثبتون عند مرحلة معينة من تعلم المهارات الرياضية بسبب مواجهة صعوبات في الفهم ربما تكون بسبب أسلوب المعلم في التدريس أو لأسباب أخرى تخصّ الطالب وقدراته العقلية والفكرية (أسامة وآخرون، ٢٠٠٧).

تُعد المرحلة الإبتدائية هي المرحلة الأولى من مراحل التعليم التي تؤسس الطفل على طريقة التفكير بشكل سليم وصحيح. كما تضمن إكسابه الحدّ الأدنى من المهارات والمعارف والخبرات التي تهمّه للحياة، وتهيئته لممارسة دوره كشخص مُنتج داخل نطاق التعليم النظامي. (مدونة التربية والتوظيف ، ٢٠٢٠).

المرحلة الإبتدائية هي الركيزة الرئيسية التي يُعتمد عليها في إعداد الناشئين. وهي المرحلة التي يتم بها تزويد الأطفال بالإتجاهات السليمة والعقيدة الصحيحة والخبرات والمهارات الحياتية والشخصية والثقافية. ولهذه المرحلة العديد من الأهداف أهمها ترسيخ السلوكيات الإيجابية في نفس الطفل، ورعايته من خلال التربية المتكاملة سواء كان ذلك في الخلق، أو الجسم أو العقل، أو اللغة و تعويد الطالب على ممارسة الفضائل وآداب السلوك و تطوير المهارات الأساسية الخاصة الحركية منها، والعديدة واللغوية وإعطاء الطالب القدر الكافي من المعلومات بمختلف المجالات والموضوعات وتنمية الذوق الإبداعي من خلال زيادة التقدير للأعمال اليدوية وتنمية الوعي من أجل أن يُدرك وإجباته وحقوقه في حدود سنّه وغرس حب الوطن في قلب الطفل و توليد الرغبة لدى الطالب في الحصول على العلم النافع، والقيام بالأعمال الصالحة وتدريب الطالب على الاستقادة من وقت الفراغ و تهيئة المتعلم للمراحل القادمة في حياته (مدونة التربية والتوظيف ، ٢٠٢٠).

يعتمد التدريس داخل العديد من المدارس حالياً" على مجموعة من الإستراتيجيات الجديدة في مجال التعليم. وأصبح التعلم النشط الذي يقوم ببناءه على هذه الاستراتيجيات، فلسفة تربوية تعتمد على إيجابية المتعلم في الموقف التعليمي. كلّ ذلك هو بقصد تفعيل دور المتعلم، وجعله يشارك إيجابياً: في الموقف

التعليمي، بالإضافة إلى ذلك ، يتعلم من خلال العمل والبحث والتجريب من أجل رفع مستوى الاعتماد على الذات لدى المتعلم في الحصول على المعلومات واكتساب المهارات وتشكيل القيم والمواقف ، دون التركيز على مهارات الحفظ والتلقين ، بل على التطوير والتفكير والقدرة على التكيف وحلّ المشكلات التي سيواجهها. "ويعتمد النّعلم النشط على مجموعة من المتغيرات المعاصرة على المستويين العالمي والمحلي، وهو تلبية لهذه المتغيرات". (بيت DZ موسوعة المعلومات، ٢٠١٧).

على مستوى الدراسة الحالية، نسعى إلى معرفة مدى نجاح وأثر استخدام إحدى الطرق التعليمية النشطة في إكتساب المهارات العلمية الخاصة بمادة الرياضيات وهي إستراتيجية الكرسي الساخن. إشكالية الدراسة وأسئلتها

يجتهد التربويون والباحثون في تنمية مناهج التعليم والتعلم، وفي تطوير تقنيات وأساليب وإستراتيجيات التعلم والتدريس. إذ يسعى المعنيون إلى تصميم وتخطيط وتنظيم مواقف تعليمية تساهم في رفع مستوى التحصيل الدراسي للطلاب، وفي تنمية الدافعية للتعلم والتفاعل بين المعلم والمتعلم. كما أنهم يسعون إلى تطوير مستوى تفكير الطالب ، وتنمية قدراته المعرفية والإدراكية والتجريبية استناداً إلى ما يمتلكه من قدرات وذكاءات متعددة. وينصح الكثير منهم بضرورة استخدام طرق وتقنيات تعليمية حديثة ونشطة من قبل المعلم من أجل حتّ الطلاب على تعلم مادة الرياضيات وعدم التذمّر منها ومن حضور حصتها؛ فالبعض منهم يعتبرونها مادة صعبة ولا يوجد لديهم الرغبة للمشاركة مع المعلم والتفاعل معه. وهذا واقع يعاني منه المعلمون أيضاً" يتمثل في وجود انخفاض مستوى التحصيل الدراسي لبعض الطلاب لديهم، الأمر الذي أثر سلباً" على الدافعية في المشاركة والتفاعل الصفي. إذا"، توجد صعوبات على مستوى كل من المعلم والمتعلم. وهذا ما أثبتته نتائج العديد من الدراسات العربية المتمثلة بوجود مستوى توجّه سلبي نحو تعلم مادة الرياضيات، نذكر منها دراسة شحادة وأبو الفتوح (٢٠١٦) ودراسة التمار (٢٠٢١). خلصت نتائج هذه الدراسة الأخيرة إلى وجود مستوى منخفض للغاية " في مستويات طلاب المرحلة الابتدائية بمادة الرياضيات. لذلك من الضروري البحث في تقنيات واستراتيجيات التعليم لدفع الطلاب الى تحصيلها علمياً" والمشاركة الفعالة مع المعلم لاكتسابها وكسر حاجز الخوف منها.

ومن الواجب أن تواكب مادة الرياضيات التغييرات التي تحدث في المجتمع ، خاصة" البلدان العربية وتحديداً" العراق الذي لا يختلف أحوال طلابه على مستوى مادة وتتمثل الرياضيات في انخفاض درجات التحصيل العلمي والدافعية والمشاركة الصفية. إذ شخّص الباحث ذلك واقعياً أثناء تدريس الرياضيات في المرحلة الابتدائية لعدة سنوات وخاصة الصف الخامس الابتدائي

استناداً إلى ما سبق ذكره، قرر الباحث إجراء الدراسة الحالية بإعتماد إستراتيجية الكرسي الساخن لعلها تسهم في رفع مستوى التحصيل الدراسي ومستوى الدافعية للتعلم في مادة الرياضيات. وبناء" على ما سبق، يتحدّد سؤال الدراسة الأساسي فيما يلي:

● هل لإستراتيجية الكرسي الساخن فاعلية في رفع مستوى التحصيل الدراسي وفي تنمية الدافعية للتعلم لدى الطلاب في الصف الخامس الإبتدائية؟

يتقرّع من السؤال الأساسي أسئلة فرعية:

● هل توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) في متوسط درجات إختبار التحصيل

الدراسي لتلاميذ المجموعة التجريبية التي درست وفق إستراتيجية الكرسي الساخن ومتوسط

درجات تلاميذ المجموعة الضابطة التي درست وفق الطريقة الإعتيادية ؟

- هل توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات التلاميذ في تطبيق الدافعية للتعلم القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية التي درست وفق إستراتيجية الكرسي الساخن.
- هل توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات التلاميذ في تطبيق الدافعية للتعلم القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة التي درست وفق الطريقة الاعتيادية ؟
- هل توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات تنمية الدافعية للتعلم عند تلاميذ المجموعة التجريبية التي درست وفق إستراتيجية الكرسي الساخن ومتوسط درجات التنمية عند تلاميذ المجموعة الضابطة التي تدرس وفق الطريقة الاعتيادية؟

فروض الدراسة

للإجابة عن أسئلة البحث تم صياغة الفرضيات التالية:

- 1- توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) في متوسط درجات اختبار التحصيل الدراسي لتلاميذ المجموعة التجريبية التي درست وفق إستراتيجية الكرسي الساخن ومتوسط درجات تلاميذ المجموعة الضابطة التي درست وفق الطريقة الاعتيادية.
- 2- توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات التلاميذ في تطبيق الدافعية للتعلم القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية التي درست وفق إستراتيجية الكرسي الساخن.
- 3- توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات التلاميذ في تطبيق الدافعية للتعلم القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة التي درست وفق الطريقة الاعتيادية .
- 4- توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات تنمية الدافعية للتعلم عند تلاميذ المجموعة التجريبية التي درست وفق استراتيجيات التعليم الكرسي الساخن ومتوسط درجات التنمية عند تلاميذ المجموعة الضابطة التي درست وفق الطريقة الاعتيادية.

أهداف الدراسة:

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على:

- 1- فاعلية إستراتيجية الكرسي الساخن في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة الرياضيات.
- 2- فاعلية إستراتيجية الكرسي الساخن في تنمية الدافعية للتعلم في مادة الرياضيات لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي.

أهمية الدراسة:

يُعدّ نظام التعليم أحد مقومات المجتمعات المتقدمة والذي تقع عليه مسؤولية توفير المعلومات للطلبة بشكل يضمن بقاء المعلومات وتقييمها. لكوننا نعيش اليوم في عصر ترنقي فيه الأمم وتقدم ما تعززه من التطور التكنولوجي الهائل والمتسارع في كافة مجالات العلوم المختلفة، كان لا بد لهذا النظام من البحث عن وسائل وطرائق تعلم حديثة داخل نظامه لتطوير وتحسين عملية التعلم وخلق جيل قادر على مواجهة هذا التحدي والتعامل مع معطياته. (الهابس و الكندري، ٢٠٠٠: ١٧٧)

تتلخص أهمية البحث الحالي فيما يلي:

- 1- أهمية الرياضيات في حياة التلاميذ، فهو منهج حياة يؤسس على قواعد راسخة بينة من الأصول والمبادئ.
- 2- أهمية مواكبة معلم الرياضيات للتطور في استخدام الأساليب والأساليب الحديثة.

٣- أهمية المرحلة الابتدائية، لا نها مرحلة تكوين شخصية التلميذ ومبعث نشاطهم وحيويتهم وقبالهم على الحياة.

٤- أهمية استراتيجية الكرسي التي تركز على المتعلمين في العملية التدريسية بدلاً من المعلم.

٥- لا توجد دراسة عراقية على حد علم الباحث تناولت تأثير استراتيجية الكرسي الساخن في تحصيل و تنمية الدافعية للتعلم في مادة الرياضيات لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي.

٦- يعد إنطلاقة للباحثين في إجراء دراسات مماثلة

تحديد المصطلحات:

أ - الفاعلية: يعرفها زيتون (٢٠٠٣) بأنها "القدرة على تحقيق الأهداف لتحقيق النتائج المرجوة، والوصول إليها قدر الامكان" (زيتون، ٢٠٠٣: ٥٤).

ويعرفها الباحث إجرائياً: تتحدّد مستوى الفاعلية بدرجة التقدّم الذي يحصل لدى الطلاب على مستوى التحصيل الدراسي والدافعية للتعلم عبر قياس الدرجات الحاصلة على اختبار التحصيل الدراسي واختبار الدافعية للتعلم بعد استخدام استراتيجية الكرسي الساخن.

ب- الإستراتيجية: يعرفها الخوالدة (٢٠٠٣) بأنها "مجموعة من الإجراءات التطبيقية التي يختارها المعلم ، في ضوء المبادئ والفرضيات ، وتكون ملائمة مع محتوى المادة العلمية ، وحاجات الطلاب ، لتحقيق الاهداف التربوية المنشودة في زمن محدد" (الخوالدة ، ٢٠٠٣: ٢٥) .

يعرفها الباحث إجرائياً: هي مجموعة الإجراءات والعمليات التي يقوم بها المعلم داخل غرفة الصف لعرض محتوى الدرس من خلال مجموعة من الخصائص البصرية والسمعية والمكتوبة.

ج - إستراتيجية الكرسي الساخن: عرفها الشمري (٢٠١١) إنها إحدى استراتيجيات التعلم النشط القائمة على بناء الأسئلة وتنمية القراءة وتبادل الأفكار بين الطلاب لتنشيط موضوع معين في اذهان المتعلمين. (الشمري، ٢٠١١: ٤٦)

يعرفها الباحث إجرائياً: هي مجموعة خطوات منظمة ومخططة مبنية على التعاون من متعلمي المجموعة التجريبية خلال تلميذ جالس على كرسي حيث يتم توجيه عدد من الأسئلة عليه ليجيب عنها بجو من النقاش والتفاعل الايجابي. وهي تساهم في تحقيق الانجاز والتحصيل والتقدم لدى المتعلمين مع التكرار في تحقيق الأهداف التعليمية عند استخدام استراتيجية الكرسي الساخن في الدرجة التي يحصلون عليها في اختبار التحصيل اختبار الدافع لتعلم مادة الرياضيات.

د - التحصيل الدراسي :يعرفها Webster(١٩٩٨): "المهارات والمعرفة التي يكتسبها المتعلمين نتيجة لدراسة موضوع تعليمي معين". (Webster, ١٩٩٨: ١٩)

يعرفه الباحث إجرائياً بأنه: الدرجات التي يكتسبها المتعلمين في الاختبار التحصيلي لمادة الرياضيات الذي أعده الباحث لتحقيق اهداف البحث والمشتتلة في مدرستهم على تذكر المعلومات الرياضية واستيعابها فضلا عن تطبيقها عبر حل المسائل.

هـ- الدافعية للتعلم: عرفها الزغول (٢٠٠٣): بأنها حالة من الاستثارة الداخلية التي تحرك المتعلم لاستغلال أقصى طاقته للوصول نحو الغاية أو الهدف في الموقف التعليمي. (الزغول، ٢٠٠٣: ٤١)

يعرفها الباحث إجرائياً بأنها" استعداد نفسي يعبر عن الحالة الأنفعالية لتلاميذ الصف الخامس في تقبلهم ورغبتهم لدراسة المادة وتقاس بالاجابة على فقرات مقياس الدافعية المعد لأغراض البحث الحالي. صعوبات الدراسة:

واجه الباحث بعض الصعوبات منها عدم وجود مصادر كافية للدراسة العلمية وقلة الدراسات السابقة المرتبطة كلياً أو جزئياً بموضوع الدراسة . كما واجه الباحث بعض الصعوبات عند الدخول الى المدارس لانه لا بد من إذن من مديرية التربية للدخول على المدارس وتنفيذ التجربة وتم الحصول على كتاب تسهيل المهمة للوصول الى عينة البحث وتنفيذ التجربة.

الفصل الثاني: الإطار النظري للدراسة

المبحث الأول: إستراتيجية الكرسي الساخن

تُعد إستراتيجية الكرسي الساخن أو المقعد الساخن من الاستراتيجيات الحديثة في التعليم والتدريس والتي تستند الى النظرية ألبنائية، التي يكون فيها للتلميذ دور اساس ونشط وللمعلم دور الميسر لموضوع النقاش والمقيم لمستويات التلاميذ، والتي يمكن استعمالها في اي موضوع مهما كان، وتُعد من الطرائق النشطة والفعالة ولا سيما عندما يحتاج المعلم الى ترسيخ قيم أو معتقدات معينة، فضلاً عن انها تنمي كثيراً من المهارات المهمة التي يحتاج اليها المتعلم داخل الصف التي يمكن استخدامها للحصول على تعلم نشط. (زاير واخرون، ٢٠١٤ : ٢٤٢).

وتُعد هذه الاستراتيجية واحدة من استراتيجيات التعلم أنشط الاتجاه الذي يدعو ان يكون التلميذ مشاركاً فعالاً في عملية التعلم، والتأكيد على نشاط التلميذ وموقفه الايجابي في عملية التعلم على عكس الاتجاه الذي يكرس سلبية المتعلم في عمليات التعلم ويقيده دوره على مجرد التلقي فحسب ألا وهو الاتجاه التقليدي، ويمكن استخدام هذه الاستراتيجية في تدريس كثير من الموضوعات والمواد الدراسية في الحالات التي يراد منها تثبيت قيم وصوغ الاسئلة وبناء الادلة والحجج وتنمية القدرة على ادارة النقاش أو عندما يريد التفصيل في موضوع معين وتقصي افكار الاخرين حوله فضلاً عن تنمية مهارات القراءة. (عطية، ٢٠١٦ : ٣٨٨)

وتُعد هذه الاستراتيجية احدى الاستراتيجيات النشطة التي تُعين التلاميذ فهم المشكلات والمواقف التي تواجههم وحلها، وتعلم بعض مهارات التحدث ومهارات التفكير الاستنتاجي والتحليلي بالتجربة، واعطاء

التلاميذ جميعهم فرصة بالجلوس على هذا الكرسي واداء الادوار. (Wilhelm, ٢٠٠٢: ٨٣)

القواعد المنظمة لاستراتيجية الكرسي الساخن :

١- أخبار التلميذ عندما يجلس في الكرسي الساخن بانه سوف يسأل ثلاثة اسئلة ومن حقه الاجابة أو التمرير، بعد ذلك ينتقل ويأتي تلميذ اخر... وهكذا.

٢ - يعتمد عليها في الدرس لترسيخ القيم والمبادئ والمعتقدات.

٣- يستخدم فيها دائماً الاسئلة المفتوحة بعد اعطاء مقدمة... ثم لماذا؟ (الشمري، ٢٠١١: ٤٧)

أهداف استراتيجية الكرسي الساخن :

١ - تساعد في تنمية مهارات القراءة وبناء الاسئلة.

٢ - تساعد في تعليم التلاميذ صياغة الاسئلة وتوجيهها.

٣ - تشجع التلاميذ وتحفزهم على اداء الادوار .

٤ - تساعد التلاميذ على العمل الجماعي معاً وتبادل الافكار بينهم.

٥ - تساعد المعلم عندما يريد التفصيل في موضوع معين. (امبو سعدي وهدى، ٢٠١٦: ٥٥٠)

خطوات التدريس وفق استراتيجية الكرسي الساخن:

ياخذ التدريس باستراتيجية الكرسي الساخن احدى الخطوات الاتية :-

□ وضع مقاعد الجلوس في حلقة واحدة حيث يجلس كل تلميذ على كرسي:

ترتّب المقاعد التي يجلس عليها التلاميذ في حلقة واحدة يتوسطهم الكرسي الساخن الذي يجلس عليه احد التلاميذ، وعلى المعلم ان يعرف التلاميذ بإجراءات هذه الاستراتيجية قبل البدء بتطبيق هذه الاستراتيجية وما ينبغي ان يقوم به التلميذ الذي يتطوع للجلوس على الكرسي الساخن وفي الوقت نفسه يوضح للتلاميذ الاخرين الذين يجلسون في الحلقة فعله في عملية المناقشة والحوار.

□ وضع المقاعد في اكثر من حلقة تدار من التلاميذ:

يتم توزيع المقاعد بين مجموعات في هذا الوضع إذ تنظم كل مجموعة في حلقة يتوسطها الكرسي الساخن اي ان الحلقات تتعدد والكراسي الساخنة ايضاً تتعدد ويمكن ان يستخدم هذا الوضع عندما يكون عدد التلاميذ كبيراً، وايضا عندما تسمح قاعدة الدرس بذلك لإعطاء اكبر فرصة لجميع التلاميذ بالجلوس على الكرسي الساخن واداء دوره المطلوب الذي يعالج الموقف التعليمي أو المهمة المطلوبة.

تقييم التعليم وفق استراتيجية الكرسي الساخن:

تتحدّد أولى عيوب استخدام وتطبيق استراتيجية الكرسي الساخن مع المتعلمين في أنها تحتاج إلى جهد وتعب كبير من قبل المعلم لإعدادها وتنظيمها حتى يتحقق الهدف التعليمي المنشود في الحصة التعليمية. بذلك يقضي المعلم وقت طويل في الاعداد لها وتطبيقها. لذلك لا يستخدمها إلا المعلم المتميز بالنشاط والدافعية والميل الى استخدام طرق التعليم الناشط مع طلابه. أضف إلى ذلك مدى وجود قابلية لدى المؤسسة التعليمية ومن ضمنها المعلم الى قبول تطبيق مثل هذه الاستراتيجيات الناشطة في التعليم ومستوى تقبلها لتطبيق هذه الافكار الحديثة في العملية التعليمية. أما على مستوى الطلاب، قد تعزّز هذه الاستراتيجية لدى بعض الطلاب مشاعر الأنانية والاستعلاء وحب الظهور والسيطرة بدرجة كبيرة أمام رفاقهم الطلبة.

(ابراهيم، ٢٠١٧: ٩١)

المبحث الثاني: التحصيل الدراسي

اهتمت المؤسسات التعليمية والتربوية بالتحصيل وذلك لاعتباره مؤشراً على تقدمها نحو تحقيق الأهداف التعليمية ، حيث تعكس المخرجات التعليمية التي تسعى إليها المؤسسات بالإضافة إلى حرصها على تحقيق مستوى عالٍ من التحصيل ، لأن مستوى التحصيل يدل على كفاية المؤسسات وقدرتها على تحقيق أهدافها. ويحدد إلى حد كبير القيمة الاجتماعية والاقتصادية للفرد ، حيث أنه مؤشر على القيمة الاجتماعية والطموح الوظيفي الذي يطمح الفرد إلى تحقيقه. (الظاهر وآخرون، ٢٠٠٢: ٥٠)

يُعد التحصيل الدراسي للمتعلمين من المفاهيم الأكثر استخداماً في مجال التربية وعلم النفس التربوي على وجه الخصوص ، لما له من أهمية في تقييم الأداء الدراسي للطلاب ، حيث يُنظر إليه على أنه اختبار أساسي يتم في ضوئه تحديد المستوى الأكاديمي للطلاب ، ويمكن الحكم على حجم الإنتاج التعليمي نوعاً وكماً. (الجلالي، ٢٠١١: ٢٢).

ان التحصيل هو درجة اكتساب التي يحققها الفرد أو مستوى النجاح الذي يحققه أو يصل إليه في مادة دراسية أو مجال تعليمي أو تربوي معين، فالاختبارات التي يطبقها المدرس على طلابه على مدار العام الدراسي يفترض أنها تقيس التحصيل الدراسي أو الأكاديمي (إسماعيلي، ٢٠١١: ٥٩)

العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي:

قسم (نصر الله ٢٠١٠) العوامل المؤثرة في التحصيل للمتعلم إلى قسمين رئيسيين هما:

(أ)- العوامل التربوية:

وهي كل مايتعلق بعملية التعلم ، و تتلخص بالتالي:

(١) المادة الدراسية : صعوبة المادة وسهولتها ، ومحتوى المادة ، ومستوى التنظيم ، ترابط المادة بحياة الطالب.

(٢) المعلم: طريقة التدريس، والنشاطات التي يقوم بها ، ومراعاة للفروق الفردية بين المتعلمين ، ووسائل التقويم ، وطريقة التعامل.

(٣) ظروف الدراسة : الإدارة المدرسية ، حجم الصفوف ، وتوفر الكتب الدراسية والوسائل التعليمية وغيرها.

(ب)- العوامل الشخصية:

وهي تخص المتعلم وأسرته وطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه ، ويمكن تلخيصها بما يأتي:

(١) العوامل الصحية : وتشمل صحة المتعلمين الجسدية والنفسية ، ومستوى قدرتهم العقلية ، واتجاهاتهم وميولهم واستعداداتهم ودافعيتهم وثقتهم بنفسهم

(٢) العوامل الاسرية والاجتماعية : وتشمل المستويات التعليمية للاباء والامهات ، ومدى الترابط الاسري ، والوضع الاقتصادي للأسرة (نصر الله ، ٢٠١٠ : ٥ - ١٢).

قياس التحصيل الدراسي:

يتم قياس التحصيل الدراسي استناداً الى ما تحصل عليه ادارة المدرسة من صورة تحصيلية شاملة عن الطالب يمكن توجيهه تعليمياً نحو الدراسة المناسبة ومعرفة المستوى التحصيلي للطالب في مختلف المواد الدراسية تساعد في التنبؤ بالمستويات التحصيلية في مراحل التعليم التاليه ويُعد هذا أساس من أسس التوجيه التعليمي ، والواقع أن الاختبارات التحصيلية لها قيمتها التربوية في معاونة المربين في توجيه الطلاب نحو أنواع الدراسة المتفقة مع مستويات التحصيل. (السبيعي ، ٢٠٠٨ : ٩٢)

جوانب التحصيل الدراسي:

أربعة جوانب للتحصيل الدراسي وهي :

- ١- التذكر واستعمال الحقائق: تهتم بنوع التحصيل الذي تسعى الاختبارات التحصيلية إلى قياسه عند الطلبة.
- ٢- المهارات العملية: تهتم بالقدرة على تطبيق المعرفة مع التركيز على حل المشكلة والمهارات البحثية.
- ٣- المهارات الشخصية والاجتماعية: تهتم بقدرة الطالب على التواصل والاتصال مع الآخرين، والحقائق الشخصية كالمبادرة والاعتماد على النفس والاستعداد القيادي وغيرها.
- ٤- الدافعية والثقة بالنفس: تهتم بتصور الطالب لذاته وقدرته، العيسوي، (٢١٨ : ٢٠٠٣)

المبحث الثالث: الدافعية للتعلم

مفهوم الدافعية

يُشير مفهوم الدافعية إلى مجموعة من الظروف الداخلية والخارجية التي تُحرك الفرد من أجل استعادة التوازن الذي اختل، حيث يُشير الدافع إلى نزعة للوصول إلى هدف معين، وهذا الهدف قد يكون لإرضاء حاجات ورغبات داخلية يرغب الفرد في الحصول عليها، ويؤدي في الوقت نفسه إلى إشباع الدافع، وأما الحاجة فهي حالة تنشأ لدى الكائن الحي لتحقيق الشروط البيولوجية أو السيكلوجية اللازمة المؤدية لحفظ بقاء الفرد (قطامي و عدس، ٢٠٠٢: ١٩٥).

وظائف الدافعية وفوائدها:

تُسهم الدافعية في تسهيل فهمنا لبعض الحقائق المحيرة في السلوك الإنساني، وهي مهمة لتفسير عمليات التعزيز وتحديد المعززات وتوجيه السلوك نحو هدف معين، والمساعدة في التغييرات التي تطرأ على عملية ضبط المثير (تحكم المثيرات بالسلوك) والمثابرة على سلوك معين حتى يتم إنجازه. ويُشير علاونة

واخرون (٢٠٠٥) أننا على سبيل المثال نتصرف عادة أثناء حياتنا اليومية وكأننا نتقدم نحو مكان ما (أي أن سلوك الإنسان هادف) فقد جلس على طاولة وقتاً معيناً، وبتناول ورقة وقلماً ونكتب صفحة أو أكثر ونضعها في مغلف ثم نضع عليها طابعاً بريدياً ونرسلها بالبريد، لا شك أن كل هذه الأفعال قد حدثت ونُظمت بسبب وجود هدف عند الإنسان، ولولا الدافع العالي لتحقيق هذا الهدف لما حدث ذلك كله، وأن الدافعية تلعب الدور الأهم في مثابة الإنسان على إنجاز عمل ما، وربما كانت المثابة من أفضل المقاييس المستخدمة في تقدير مستوى الدافعية عند هذا الإنسان، إن الدافعية بهذا المعنى تحقق أربع وظائف رئيسية، فالدافعية تستثير السلوك. فالدافعية هي التي تحث الإنسان على القيام بسلوك معين، مع أنها قد لا تكون السبب في حدوث ذلك السلوك (علاونة واخرون، ٢٠٠٥: ٢٠٤-٢٠٥).

النظريات المفسرة لدافعية التعلم

اختلفت وتنوعت النظريات المفسرة لمفهوم الدافعية. كما اختلفت التسميات الخاصة بها، فهي تُعرف بالدافع أو الباعث أو الطاقة الداخلية المُحرّكة. وأشار علماء النفس إلى أهميتها في عملية الاكتساب والنمو والتطور على مختلف مجالات الشخصية، والنجاح في التغلب على الصعوبات الحياتية ومواجهة المشاكل. وبعد تنفيذ قراءات متعددة من قبل الباحث على مستوى هذا المتغير، نورد النظريات المفسرة للدافعية.

١- نظرية فرويد:

تعرف هذه النظرية بنظرية التحليل النفسي والتي أسسها فرويد. وفسر الدافعية بأنها استثارة داخلية تستغل أقصى طاقات الانسان بهدف إشباع دوافع المعرفة من أجل تحقيق الذات. وفسرت السلوك الانساني بأنه محكوم بالغرائز أهمها غريزة الجنس وغريزة العدوان، ومقيّد بالدوافع اللاشعورية الكامنة التي تكوّنت جذورها من المواقف الحاصلة في الطفولة المبكرة من حياة الانسان. (البكري، ٢٠٠٥: ٨٤)

٢- نظرية ماسلو:

تُعرف هذه النظرية بنظرية الحاجات الانسانية حيث فسرت الدافعية على أنها السعي نحو التطور والنمو واعتماد القرارات الشخصية على اساس الحرية. فالدافعية حسب هذه النظرية هي حاجة داخلية تحرك الطلاب للتعلم باستغلال طاقاته وامكانياته. وهي تنادي بالعمل على التركيز على الطلاب وشخصيته وذكاءاته الخاصة من أجل مساعدته على التعلم والتحصيل الدراسي لتحقيق التعلم. وتعتمد النظرية الانسانية على مبدأ الرغبة الذاتية الموجودة لدى الفرد للنمو والتطور وتحقيق الذات. لذلك تنادي بالاهتمام بالدافعية الداخلية لدى الطلاب والعمل على تقويتها لديه لتأمين التفوق والنجاح في العملية التعليمية ولتحقيق اقصى معدلات النضج والنمو الانساني. (النشواتي، ٢٠٠٣: ٤٤)

٣- نظرية واينر:

تسمى بنظرية العزو، وهي إحدى النظريات المعرفية. اهتمت بتقديم شرح تفصيلي عن مفهوم الدافعية من خلال تبريراتهم وأفكارهم الداخلية حول خبرات النجاح والفشل. وربط عالم النفس واينر نظريته بالتحصيل الدراسي والدافعية للتعلم حيث اوضح وجود أربعة تفسيرات للطلاب على مستوى النجاح والفشل الدراسي ومواقف الانجاز وهي: الجهد والقدرة ومستوى صعوبة المهمة التعليمية ودرجة الحظ. وربط واينر الجهد والقدرة بمستوى الدافعية الداخلية الموجودة لدى الشخص. بينما أوعز المهمة والحظ إلى العوامل الخارجية البيئية. وأشار إلى أن القدرة هي ثابتة نسبياً لدى الفرد وتشكل الدافعية لديه، بينما الجهد يختلف باختلاف الموقف والمثير. وقد أثبتت نتائج الدراسات السابقة أن الطلبة الذين يفسرون سبب فشلهم إلى عوامل داخلية ثابتة وهي القدرة والجهد، هم أكثر تأثراً بالفشل وبدرجة مرتفعة وتنتابهم المشاعر السلبية كاليأس والاحباط وتراجع معلات ثقتهم بنفسهم، على عكس الطلاب الذين يعززون فشلهم الدراسي



إلى أسباب خارجية غير داخلية وغير ثابتة كعدم الدراسة وعدم بذل جهد للتحويل. كما أن الطلبة الذين يعززون فشلهم الدراسي وضعف مستوى تحصيلهم العلمي الى ضعف الحظ وإلى عوامل متعلقة بالمعلم او بالمنهاج الدراسي، لا يبذلون الجهد الكافي للنجاح والتفوق مقارنة" بأقرانهم الذي يحددون مستوى النجاح والفشل بالجهد الشخصي والاجتهاد. (النشواتي، ٢٠٠٣: ٤٥)

٤- نظرية هنري موراى (Muray):

يطلق عليها نظرية الحاجات الانسانية حيث تعتبرها الطاقة المحركة للسلوك الانساني. وهي النقطة الأولى لانطلاق النظريات المفسرة للدافعية. وفسترت أن مستوى الدافعية الموجود لدى الأفراد هو مختلف ومتنوع من حيث الدرجة والشدة التي تقاس من خلال اجتهادات الفرد للقيام بالنشاط ولتنفيذ الأعمال الصعبة والشاقة. هذا يدل على وجود حاجة ودافعية قوية لدى الفرد للإنجاز والعمل والمثابرة، وقدرة عالية على تنظيم الأفكار وترتيبها للوصول الى الهدف المنشود والتغلب على الصعاب لتحقيق النجاح والتفوق في حياته الخاصة. (سعادة واخرون، ٢٠١٨: ٧٨)

نشير إلى أن الطلاب الذي لديه دافع قوي للتعلم والاكساب المعرفي، سوف يحصل على تحصيل دراسي مرتفع. وكل ما ارتفع مستوى الدافعية للتعلم، كل ما زادت إمكانياته وقدراته على البحث والدراسة والمشاركة والاهتمام في الحصة الدراسية. فهي بمثابة باعث داخلي يدفعه لبذل الجهد بهدف التحصيل الدراسي.

٥- نظرية ماكيلاند:

فسر ماكيلاند الدافعية من زاوية الشعور بالسعادة والفرح الذي يحصل عليه الفرد عند تحقيق النجاح أو الوصول الى الهدف المنشود. إذا تم تفسيرها على مستوى الانفعالات الايجابية التي يعيشها الفرد بعد تنفيذ مواقف الانجاز. بالتالي، أن أي فشل قد يسبب لديه شعوراً بالإخفاق الأمر الذي يدفعه الى تقايد في المرة المقبلة بسبب المشاعر السلبية التي خبرها. ولاقت هذه النظرية قبولا" واسعا" من قبل التربويين لأنها ساهمت في فهم وتوضيح الدوافع الكامنة لدى الطلاب نحو التعلم والنجاح في التعليم، وفي التركيز على طبيعة الدافعية وأساليب قياسها وتحديدها. (الرابغي، ٢٠١٥: ٧٨)

القسم الثاني للدراسة: الجانب الميداني

الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة

منهج الدراسة

اعتمد الباحث على المنهج الشبه التجريبي؛ لأنه يتلاءم مع طبيعة الدراسة وهدفها، الذي يحقق الهدف الدراسي، وهو أحد أنواع البحوث في التربية وأكثرها صدقاً، إذ تتضح معالم الطريقة العلمية فيه بصورة جلية.

مجتمع الدراسة

قد تحدد مجتمع البحث بتلاميذ الصف الخامس الابتدائي المستمرين بالدوام في المدارس الحكومية في مركز محافظة نينوى- المديرية العامة للتربية للعام الدراسي (٢٠٢٢-٢٠٢٣) والبالغ عددهم (١١٩٤٠١) تلميذ وتلميذة وان عدد تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مدينة الموصل ٥٥،٠٨٣ تلميذاً موزعين على مدارس مركز الموصل والبالغ عددها (٤٤٩) مدرسة.

عينة الدراسة

تعتمد الباحث اختيار مدرسة قبة الصخرة الابتدائية وزار الباحث المدرسة بموجب كتاب تسهيل المهمة الصادر من المديرية العامة لتربية نينوى ملحق(١) لتسهيل مهمته، ضمت المدرسة (٣) شعب وبطريقة

السحب العشوائي أختار الباحث عشوائياً شعبة (أ) لتمثل المجموعة التجريبية، وشعبة (ب) لتمثل المجموعة الضابطة، تكونت عينة البحث من (٤١) تلميذاً موزعة على الشعبتين، احتوت شعبة (أ) على (٢٠) تلميذاً لتمثل المجموعة التجريبية التي تدرس وفق إستراتيجية الكرسي الساخن، و(٢١) تلميذاً في شعبة (ب) لتمثل المجموعة الضابطة التي تدرس وفق الطريقة الاعتيادية، استبعد الباحث (١) من تلاميذ المجموعة التجريبية بسبب الرسوب في المرحلة الدراسية.

بذلك يكون عدد التلاميذ في المجموعة الأولى التجريبية (٢٠) تلميذاً، وعدد التلاميذ في المجموعة الثانية الضابطة (٢٠) تلميذاً، وبذلك يكون عدد عينة البحث في صورتها النهائية (٤٠) طالباً في المجموعتين.

يتناول هذا المخطط عرضاً للإجراءات المتبعة التي قام بها الباحث لتحقيق اهداف البحث



الفصل الثاني: نتائج الدراسة وتفسيرها

الفرضية الأولى:

نص الفرضية: توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) في متوسط درجات اختبار التحصيل الدراسي البعدي لمتعلمي المجموعة التجريبية التي درست وفق إستراتيجية الكرسي الساخن ومُتوسط درجات متعلمي المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة التقليدية "

للتحقق من هذه الفرضية إستخرج الباحث الوسط الحسابي والانحراف المعياري لدى تلاميذ المجموعة التجريبية والضابطة ثم طُبق الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين. أدرجت النتائج في الجدول (١٢) وكالاتي:

| الاحتمالية                   | القيمة التائية |          | الانحراف المعياري | المتوسط الحسابي | عدد التلاميذ | المجموعة  |
|------------------------------|----------------|----------|-------------------|-----------------|--------------|-----------|
|                              | الجدولية       | المحسوبة |                   |                 |              |           |
| دال لصالح المجموعة التجريبية | ٢,٠٢٤          | ٥,٩٦٨    | ٣,٠١٤             | ١٦,٤٢١          | ٢٠           | التجريبية |
| التجريبية                    |                |          | ٢,٤٣١             | ١١,٢٥٤          | ٢٠           | الضابطة   |

جدول (١٢) يبين نتيجة الاختبار التائي للمجموعتين (التجريبية والضابطة) في اختبار التحصيل الدراسي البعدي

يتضح من الجدول أعلاه وجود فرق ذات دلالة إحصائية بين نتائج مجموعتي البحث في اختبار التحصيل الدراسي البعدي ولصالح المجموعة. بذلك تم قبول الفرضية نظراً "لتحقق صحتها. يعزو الباحث أن من أسباب تفوق نتائج المجموعة التجريبية على الضابطة هو إستخدام إستراتيجية الكرسي الساخن. وهي تأتي كإستجابة لاحتياجات المتعلمين ومتطلبات مستوياتهم وإستعداداتهم وميولهم. وهذا ما يتوجب على المعلمين استخدامها والسعي إلى تبسيط المحتوى وتدريبه عند منحه للطلاب. فضلاً عن ضرورة توفير الموارد التدريسية، وأنشطة التعلم الحديثة لتحقيق أقصى قدر من فرص التعلم للمتعلمين كلهم في الصف الدراسي. يتم ذلك بإستخدام إستراتيجية الكرسي الساخن كما تم تنفيذه على مستوى الدراسة الحالية. إضافة" الى إن استخدام هذه الإستراتيجيات الحديثة في التدريس، تعد عاملاً مساعداً على تحقيق تفوق الطلاب لأنهم أكثر تقبلاً وميلاً إلى خطوات تدريس هذه النماذج الحديثة. إن تغيير نمط التدريس من الطريقة التقليدية إلى إستراتيجية الكرسي الساخن دفع الطلاب إلى تقصي جوانب النموذج الجديد وإلى التشوق لمتابعة الدرس والمشاركة مع المعلم. كل ذلك زاد من فهم الطلاب بصورة أفضل من الطريقة التقليدية.

الفرضية الثانية:

نص الفرضية: " توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات التلاميذ في إختبارات الدافعية للتعلم القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية التي درست وفق إستراتيجية الكرسي الساخن. تم اعتماد اختبار T لعينتين مترابطتان، للتعرف على دلالة الفرق بين اختبار الدافعية للتعلم القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية التي درست وفق إستراتيجية التعليم الكرسي الساخن والجدول (١٣) يبين ذلك.

| الاختبار | عدد التلاميذ | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | القيمة التائية |          | الاحتمالية                |
|----------|--------------|-----------------|-------------------|----------------|----------|---------------------------|
|          |              |                 |                   | المحسوبة       | الجدولية |                           |
| القبلي   | ٢٠           | ٤٩,٩٧١          | ٧,١٥١             | ١٠,٢٥٤         | ٢,٠٩٣    | دال لصالح الاختبار البعدي |
|          |              |                 |                   |                |          |                           |

جدول (١٣) يبين المتوسط الحسابي والقيمة التائية لدرجات المجموعة التجريبية لاختبار الدافعية للتعلم يتبين من الجدول (١٣) توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات الطلاب في اختبار الدافعية للتعلم القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية. التي درست باستراتيجية الكرسي الساخن ولصالح الاختبار البعدي .

ويعزو الباحث الى أن هذا التطور في الدافعية للتعلم، بين الاختبار القبلي والبعدي لمصلحة الاختبار البعدي، الى فاعلية استراتيجية التعليم الكرسي الساخن في التعليم لمادة الرياضيات. إذ ساهم في تنمية مستوى الدافعية للمتعلمين بفاعلية الوحدات التعليمية المستخدمة وفق ما احتوته من تنظيم للوحدات التعليمية بطريقة يسهل إستيعابها وتماشيا" مع البنى المعرفية التي يمتلكونها واضعة" بعين الإعتبار الفروقات الفردية الموجودة فيما بينهم.

الفرضية الثالثة:

نص الفرضية: " توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات التلاميذ في اختبار الدافعية للتعلم القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة التي درست وفق الطريقة التقليدية. تم اعتماد اختبار T لعينتين مترابطتان ، لمعرفة دلالة الفروق بين اختبار الدافعية للتعلم القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة التي درست وفق إستراتيجية التعليم الكرسي الساخن والجدول (١٤) يبين ذلك .

| الاختبار | عدد التلاميذ | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | القيمة التائية |          | الاحتمالية |
|----------|--------------|-----------------|-------------------|----------------|----------|------------|
|          |              |                 |                   | المحسوبة       | الجدولية |            |
| القبلي   | ٢٠           | ٤٨,٢٠٢          | ٧,٠٣٢             | ١,٨٥١          | ٢,٠٩٣    | غير دال    |
|          |              |                 |                   |                |          |            |

جدول (١٤) يبين المتوسط الحسابي والقيمة التائية لدرجات المجموعة الضابطة لاختبار الدافعية للتعلم يتبين من الجدول (١٤) ما يدل على انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الاختبار القبلي والاختبار البعدي في اختبار الدافعية للتعلم للمجموعة الضابطة أي لا تُقبل الفرضية الصفرية ونصوغ الفرضية البديلة التالية: " لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات التلاميذ في اختبار دافعية التعلم القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة والتي تمت الدراسة فيها بالطريقة التقليدية .

يُعزى السبب وراء عدم وجود فروق بين متوسط درجات الاختبارين القبلي والبعدي في اختبار الدافعية للتعلم لدى طلاب المجموعة الضابطة التي درست وفق الطريقة التقليدية، يعود الى أن التلاميذ غالباً ما

يكونوا مستمعين للمعلم دون اي مشاركة، فالمعلم كان هو محور العملية التعليمية وليس المتعلم، على عكس استراتيجية الكرسي الساخن التي تم استخدامها في تدريس المجموعة التجريبية والتي حفزت التلاميذ على قابليتهم في الدافعية للتعلم من خلال المناقشة داخل غرفة الدرس باستخدام طرق مختلفة للوصول إلى النتيجة.

الفرضية الرابعة:

نص الفرضية : " توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) في اختبار الدافعية بين متوسط درجات تنمية تلاميذ المجموعة التجريبية التي درست باستراتيجية الكرسي الساخن ومتوسط درجات تنمية تلاميذ المجموعة الضابطة التي تدرس وفق الطريقة التقليدية" وللتحقق من هذه الفرضية استخرج الباحث الوسط الحسابي والانحراف المعياري لتلاميذ المجموعة التجريبية والضابطة ثم طبق الاختبار (t-test) لعينتين مستقلتين ودرجت النتائج في الجدول(١٥) وكالاتي:-

| مستوى الدلالة | القيمة التائية |          | الانحراف المعياري | الفرق  | المتوسط الحسابي البعدي | المتوسط الحسابي القبلي | عدد التلاميذ | المجموعة  |
|---------------|----------------|----------|-------------------|--------|------------------------|------------------------|--------------|-----------|
|               | الجدولية       | المحسوبة |                   |        |                        |                        |              |           |
| دال           | ٢٠٠٢٤          | ١٧,٢٤٣   | ٢,٢٤١             | ١١,٢٣٨ | ٦١,٢٥٤                 | ٤٩,٩٧١                 | ٢٠           | التجريبية |
| لصالح التجربة |                |          | ٠,٨٤١             | ٢,٠٠٩  | ٥٠,٢١١                 | ٤٨,٢٠٢                 | ٢٠           | الضابطة   |

جدول (١٥) يبين نتائج الاختبار (t-test) للمجموعتين التجريبية والضابطة في اختبار الدافعية للتعلم البعدي

يتضح من الجدول على وجود فروق ذو دلالة إحصائية بين نتائج مجموعتي البحث في درجات تنمية الدافعية للتعلم ولصالح المجموعة التجريبية وبذلك يتم قبول الفرضية الصفرية . يرى الباحث أن سبب حدوث الفروق المعنوية الى أن إستراتيجية الكرسي الساخن تضمنت عدة إستراتيجيات متنوعة مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ وتحقيق مبدأ العدالة والمساواة بينهم عند توزيع المهام مما يؤدي الى رفع مستوى الدافعية للتعلم. توفر استراتيجية التعليم الكرسي الساخن الفرصة للتلاميذ في ممارسة التفكير بمفردهم او بشكل مجاميع وتبادل الآراء والأفكار التلاميذ. وتعد استراتيجية الكرسي الساخن إحدى الإستراتيجيات الحديثة التي حفزت التلاميذ على الاندماج والعمل بشوق ومتعة وحب التعاون وتبادل الأفكار مما أدى الى زيادة في مستوى الدافعية لديهم، وقيام كل تلميذ بالدور المناط بها وتحقيق الجراءة والثقة بالنفس والشجاعة عند إبداء الرأي واحترام آراء الآخرين. إن استخدام إستراتيجية الكرسي الساخن ساهم في تحقيق مستوى تفاعل إيجابي لدى التلاميذ الذين انخرطوا في مجموعات تعاونية أثناء عملية التدريس واثاحة الفرصة لطرح الأفكار وتحقيق التعلم .

#### الاستنتاجات (Conclusions):

في ضوء نتائج البحث توصل الباحث إلى الاستنتاجات الآتية:

- ١- أثبتت نتائج البحث أفضلية استراتيجية الكرسي الساخن بالنسبة لتحصيل مادة الرياضيات لتلاميذ الصف الخامس الابتدائي مقارنة بالطريقة التقليدية

- ٢- أثبتت نتائج البحث أفضلية استراتيجية الكرسي الساخن في تنمية الدافعية للتعلم لتلاميذ الصف الخامس الابتدائي مقارنة بالطريقة التقليدية
- ٣- أثبتت نتائج البحث أن هناك فروق معنوية ذو دلالة احصائية بين الاختبار القبلي والاختبار البعدي للمجموعة التجريبية التي تمت دراستها بطريقة استراتيجية الكرسي الساخن في تنمية الدافعية للتعلم لمتعلمي الصف الخامس الابتدائي ولصالح الاختبار البعدي.
- ٤- أثبتت نتائج البحث عدم وجود فروق معنوية ذو دلالة احصائية بين الاختبار القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة التي تمت دراستها وفق الطريقة التقليدية في تنمية الدافعية للتعلم لتلاميذ الصف الخامس الابتدائي .

#### التوصيات (Recommendations):

بناء على ما تقدم ذكره يوصي الباحث بما يلي:

- ١- توجيه معلمي الرياضيات لاعتماد استراتيجية الكرسي الساخن في تدريس الرياضيات بالمدارس الابتدائية.
- ٢- قيام مديرية الإعداد والتدريب في المديرية العامة للتربية بدورات تدريب لمعلمين ومعلمي مادة الرياضيات ، لتدريبهم على استخدام النماذج والاستراتيجيات الحديثة في التدريس ومنها استراتيجية الكرسي الساخن .
- ٣- الإيعاز إلى الإشراف التربوي لمادة الرياضيات بتوجيه أنظار معلمهم نحو التركيز على دافعية التعلم والاهتمام بالأنشطة التي تنمي الدافعية للتعلم .
- ٤- نشر ثقافة الحوار في مدارسنا ( وهو من أهم مبادئ استراتيجية الكرسي الساخن ) مما يساعدنا في التغلب على العديد من المشكلات الدراسية ، إضافة إلى الاهتمام بالمتعلمين وإبراز دورهم بشكل أكبر .
- ٥- جعل التلميذ المحور الرئيسي في العملية التعليمية وإعطائه الدور الأكبر في المناقشة والاستفسار وفي البحث عن الإجابات والحلول واستنباط الأفكار الأكثر إبداعية وتوظيفها بنحو صحيح.

#### المصادر والمراجع

- ١- المصادر العربية
١. الربيعي ، محمد (٢٠١٥) : "أساسة التفنين والحفظ في نظام التعليم العراقي" ، جريدة المدى ، العدد ٣٥١٦ ، العراق.
٢. اسامة واخرون ، ٢٠٠٧: "صعوبات التعلم : النظرية والممارسة " ط٢ ، دار الميسرة ، عمان.
٣. مدونة التربية والتوظيف . (٢٠٢٠). التعليم الإبتدائي وأهميته. تم الاسترداد من مدونة التربية والتوظيف : [https://www.edudzens.com/٢٠٢٠/٠٤/blog-post\\_٧١.html](https://www.edudzens.com/٢٠٢٠/٠٤/blog-post_٧١.html)
٤. بيت DZ موسوعة المعلومات ، (٢٠١٧) ماهي استراتيجية الكرسي الساخن . تم الاسترداد من موسوعة بيت DZ للمعلومات :

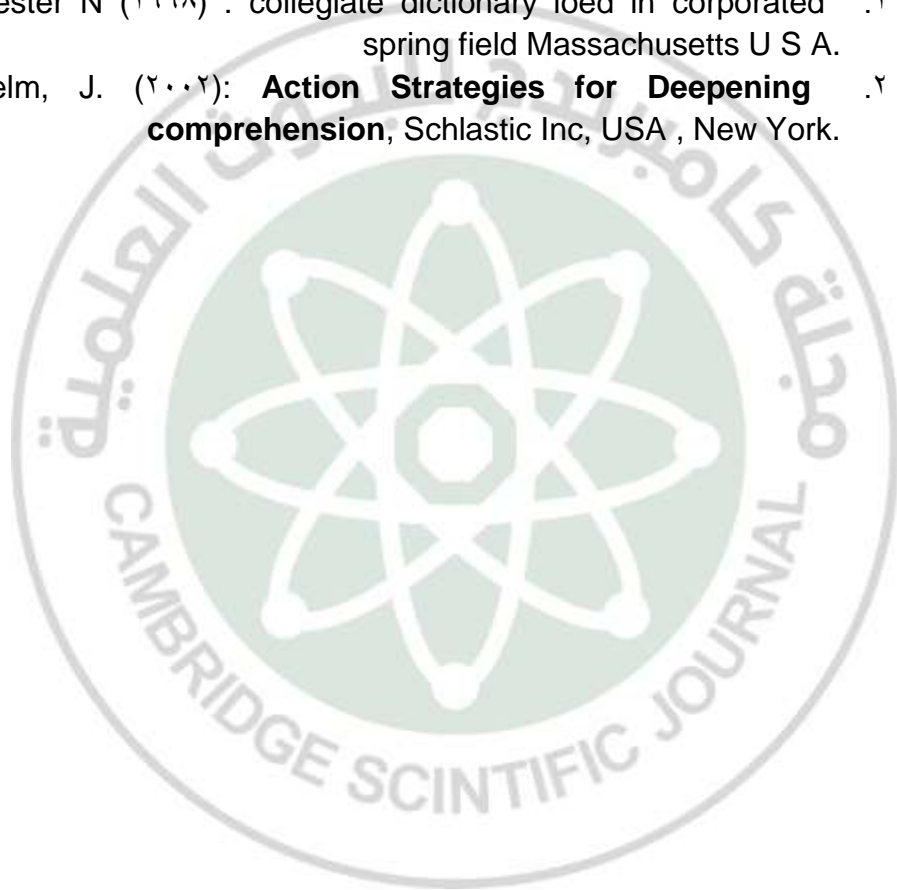
<https://baytdz.com/%D٩%٨٥%D٨%AV-%D٩%٨٧%D٩%٨A-%D٨%AV%D٨%B٣%D٨%AA%D٨%B١%D٨%AV%D٨%AA%D٩%٨A%D٨%AC%D٩%٨A%D٨%A٩-%D٨%AV%D٩%٨٤%D٩%٨٣%D٨%B١%D٨%B٣%D٩%٨A-%D٨%AV%D٩%٨٤%D٨%B٣%D٨%AV%D٨%AE%D٩%٨٦>

٥. شحادة، فواز حسن إبراهيم و أبو الفتوح مختار القراميطي. (٢٠١٦). مستوى تحصيل طلبة المملكة العربية السعودية في الرياضيات والعلوم وفق نتائج الدراسات الدولية TIMSS مقارنة" بالدول الأخرى من وجهة نظر المعلمين والمشرفين ، مجلة كلية التربية، جامعة الإسكندرية ،المجلد،١،العدد،١٦٩، مصر .
٦. التمار، جاسم محمد (٢٠٢١): أسباب تدني تحصيل الرياضيات لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية ومقترحات علاجها من وجهة نظر موجهي الرياضيات بدولة الكويت ، مجلة كلية التربية، جامعة الإسكندرية المجلد ٣١، العدد ٣، مصر .
٧. الهابس، عبد الله عبد العزيز،و الكندري عبد الله عبد الرحمن (٢٠٠٠): الأسس العلمية لتصميم وحدة تعليمية عبر الإنترنت، المجلة التربوية، العدد (٥٧) ، جامعة ، الكويت.
٨. زيتون، عايش محمود (٢٠٠٢) : أساليب تدريس العلوم، ط٤، دار الشروق، عمان.
٩. الخوالدة ، محمد محمود (٢٠٠٣) : طرائق التدريس العامة ، ط١ ، وزارة التربية والتعليم، تعز ، اليمن -
١٠. الشمري، ماشي بن محمد،(٢٠١١): ١٠١ استراتيجيات في التعلم النشط ، ط١، الادارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة حائل، السعودية.
١١. عطية، محسن علي، (٢٠١٦): التعلم انماط ونماذج حديثة، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
١٢. امبو سعدي، عبد الله بن خميس وهدى بنت علي الحوسنية (٢٠١٦): استراتيجيات التعلم النشط ١٨٠ استراتيجية، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان.
١٣. ابراهيم رشيد (٢٠١٧): استراتيجيات الكرسي الساخن ودور المعلم الميسر للطلبة من خلال اختيار الطلبة لتيسير نجاح النقاش، دار الفكر، القاهرة، مصر.
١٤. الظاهر، زكريا محمد وآخرون. (٢٠٠٢). مبادئ القياس والتقويم في التربية، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
١٥. الجاللي، لمعان مصطفى (٢٠١١) : التحصيل الدراسي، ب ط، دار الميسرة، عمان.
١٦. اسماعيلي ، يامنه عبد القادر (٢٠١١) : انماط التفكير ومستويات التحصيل الدراسي ، ط١ ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن.
١٧. نصر الله، عمر عبد الرحيم (٢٠١٠): تدني مستوى التحصيل والانجاز الدراسي اسبابه وعلاجه، ط١، دار وائل للنشر، عمان.
١٨. السبيعي، معيوف، (٢٠٠٨) : تعليم التفكير في مناهج التربية الإسلامية، ط١، دار اليازوردي العلمية، عمان.
١٩. العيسوي، عبد الرحمن محمد، (٢٠٠٣)، الاختبارات والمقاييس النفسية والعقلية، ط١، منشأة المعارف بالإسكندرية.
٢٠. قطامي، يوسف ، قطامي، نايفة(٢٠٠٠): سيكولوجية التعلم الصفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
٢١. علاونة، عدنان ، شفيق، الجراح، عبد الناصر، أبو غزالة، معاوية، (٢٠٠٥): الدافعية في علم النفس التربوي: النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان، الأردن.

٢٢. البكري امل عجور نادية. (٢٠٠٥): علم النفس المدرسي، دار المعترف للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان.
٢٣. النشواتي ،عبد المجيد (٢٠٠٣). علم النفس التربوي، ط ٤، دار الفرقان، عمان ، الأردن .
٢٤. سعادة، جودت احمد وآخرون. (٢٠١٨): التعلم النشط بين النظرية والتطبيق، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن.
٢٥. الرايغي، خالد محمد . (٢٠١٥): عادات العقل ودافعية الإنجاز، ط١، مركز دبيونو لتعليم التفكير، عمان الأردن.
- ٢- المصادر الأجنبية

١. Webster N (١٩٩٨) : collegiate dictionary loed in corporated spring field Massachusetts U S A.

٢. Wilhelm, J. (٢٠٠٢): **Action Strategies for Deepening comprehension**, Schlastic Inc, USA , New York.





## الأقلية الامازيغية في الجزائر

فضيلة حسين راضي

fadylahussain@gmail.com

أ. د عبد الرسول شهيد عجمي

abdalrasoolshaheed@gmail.com

جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الانسانية

### الملخص

تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على الاقلية الامازيغية كأحد مكونات الشعب الجزائري ونضالها من اجل الدفاع عن الهوية والثقافة للحصول على الاعتراف الرسمي بالهوية الامازيغية اذ شكل الامازيغ سكان القارة الافريقية الاوائل، يرجع أصلهم الى العصور الحجرية الاولى وحتى الفتح الاسلامي. اقترن اول ظهور رسمي للهوية الامازيغية في منظومة الدولة الجزائرية المستقلة بإقرار دستور ١٩٩٦ ، توج الاعتراف الرسمي بالهوية الامازيغية في الجزائر باستجابة السلطات العليا في الدولة لمطالب ترقية اللغة الامازيغية الى لغة رسمية على غرار اللغة العربية وهو ما انعكس من خلال التعديل الدستوري المؤرخ في السادس من آذار ٢٠١٦ الذي اقر اللغة الامازيغية كلغة رسمية في البلاد.

### **Abstract**

This study aims to shed light on the Amazigh minority as one of the components of the Algerian meteor and its struggle to defend identity and culture in order to obtain official recognition of the Amazigh identity As the Berbers formed the first inhabitants of the Africa continent, and their origin goes back to the first stone ages until the Islamic conquest. The first official appearance of the Amazigh identity was associated with the state system.

The independent Algerian state approved the ١٩٩٦ constitution, as the official recognition of the Amazigh identity culminated in the response of the supreme authority in the state to the demands of promoting the Amazigh language into a language. It is official, similar to the Arabic language, which was reflected in the ministerial amendment dated March ٦, ٢٠١٦, which approved the Amazigh language as the official language of the state.

**المقدمة**

عُد تاريخ الاقلية الامازيغية مرحلة مميزة من تاريخ الجزائر بوصفهم السكان الأصليون لشمال افريقيا منذ آلاف السنين وعرفت هذه البلاد في التراث الامازيغي تامزغا "ولغتهم عرفت بتمازيغت" و امازيغ تعني الانسان الحر، اعتنق الامازيغ عدة ديانات قبل الاسلام منها الوثنية واليهودية ثم الاسلامية بعد الفتح الاسلامي خلال القرن الثامن الميلادي، كان من بينهم شخصيات عرفها التاريخ منهم طارق بن زياد عباس بن فرناس ابن بطوطة عبد الكريم الخطابي، عرفوا بالبربر حيث يرجع اصل هذه التسمية الى الرومان الذين أطلقوا تلك التسمية على القبائل التي تنتشر في الشمال الافريقي، اذ اطلقت تلك التسمية على كل ما هو غير روماني ثم تطور الاسم حتى أصبح يُطلق على الأجانب بصورة عامة. عرفهم العرب ايضاً بالبربر غير أنهم لم يقصدوا بهذه التسمية التقليل من شأنهم أو وصفهم بالجهل او الهمجية إنما هو تمجيداً لمقاومتهم للحكم الروماني.

اما فيما يخص أصل الامازيغ فهناك من يرى ان أصلهم يعود الى أوربا نظراً لوجود مؤشرات لغوية وبشرية تشير الى ان الانسان الامازيغي له صلة بالجنس الوندالي الذي تعود أصوله الى المانيا حالياً التي سبق وأن استعمرت شمال أفريقيا ويستند هذا الرأي لوجود تشابه لغوي بين الامازيغية والوندال الجرمانية فضلاً عن التشابه بين بعض الملامح الامازيغية والأوربية مثل لون الشعر والعيون. بينما يؤكد اتجاه آخر على الأصل المحلي للامازيغ وتعتمد وجه النظر في هذا الاتجاه على بعض الكشوفات الانثروبولوجية فقد تم العثور على أول انسان في التاريخ في بعض مناطق أفريقيا وعليه فإن الإنسان الامازيغي حسب. هذا الرأي لم يأتي نحو شمال أفريقيا مهاجراً بل وجد فيها منذ البداية. قسم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث مع خاتمة: تتاول المبحث الاول الاصل والتسمية، بينما تطرق المبحث الثاني الى تصنيفات شعب البربر واللغة الامازيغية حتى الاستقلال فضلاً عن التطرق الى الديانة عند الامازيغ، فيما تتاول المبحث الثالث الحركة الوطنية في الجزائر والظهير البربري والحركة الوطنية الجزائرية.

**المبحث الأول: أصل الامازيغ**

يعد الامازيغ من السكان الأوائل للقارة الأفريقية حيث يتواجدون في مختلف أنحاءها ويتركزون في الشمال الافريقي ، ويرجع أصلهم الى العصور الحجرية الأولى وحتى الفتح الاسلامي الا ان زيادة عددهم على مر السنين خلق نوعاً من التباين بين الامازيغ بحد ذاتهم، كان تركيز الباحثين باسم امازيغ أو "بربر" وهو الاسم الشائع لدى الباحثين والمؤرخين حيث يرى البعض ان كلمة امازيغ ترجع في جذورها الى " مزغ " أي أغار وغزى وهي مرادفة لكلمة مسك أي أمسك بمعنى رَسَخَ ، والمسك هو الجلد في اللغة العربية وبذلك تكون كلمة امازيغ تعني القوة والشجاعة. (١)

كما يُقال بأن أفريقيش بن قيس أحد ملوك التباينة لما غزا المغرب وافريقيا رأى هذا الجيل وسمع رطانتهم ( ووعى اختلافهم تعجب وقال : " ما أكثر بربرتكم "، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة كما أرجع بعض علماء الانثروبولوجيا أصول الامازيغ الى شعوب البحر المتوسط وهناك رأي آخر أرجعهم الى اصول مشرقية عربية حميرية هاجروا بسبب عوامل الجفاف والحروب نحو شمال أفريقيا ما يعني ان هنالك مجموعة من التصورات بأن البربر هم أبناء سام بن نوح ، وكانت الجزيرة العربية موطن الساميين مُغطاة بالثلوج في شمالها فكانت اليمن بلاد اليمن والخير ومهد أبناء سام مختلطين أبناء عمومتهم أبناء حام فلما انحسرت الثلوج وأشدت الحرارة وقحلت البلاد هاجر

السكان مع وانتقل الفرع السامي من البربر الى أفريقيا واستوطنوها (٢) وعندما نتحدث عن أصل الأمازيغ يمكن ان تذكر ثلاثة اتجاهات أساسية:

١. الاتجاه الأمازيغي أو المتمدن: يجتهد هذا الاتجاه لدحض فرضية الأصل العربي للأمازيغ أيا كان الثمن وبكل الوسائل.
٢. الاتجاه العروبي: لا يرى هذا الاتجاه الهوية الاثنية للسكان المغاربة الأولين الا في المشرق العربي أي فرضية الأصل العربي للأمازيغ.
٣. الاتجاه المعتدل: يرى هذا الاتجاه ان معطى الهوية مُعطى مُتحرك وليس استاتيكيًا ، وبالتالي فإن المغرب أكتسب هويته عبر فترات تاريخية متتالية انصهرت خلالها ثقافات الشعوب الأصلية " الأمازيغية والافرنجية والافريقية واليهودية والزنجية والمتوسطية الفينيقية والرومانية ثم العربية الشرقية.

ان تكون الشعب الأمازيغي او بالأحرى مُختلف المجموعات الأمازيغية، ظل قضية شائكة ، لأن الموضوع طرح منذ البداية طرحاً سيئاً وما يمكن تسميته بالنظريات " الإشهارية " جعلته يستند تقليدياً على الغزو والنزوح والفتوحات والاحتلال وبالتدرج ذهب الباحثون في كل اتجاه شرقاً نحو الفرس ، الى سوريا وبلاد كنعان ، نحو الهند وبلاد العرب الجنوبية ( اليمن والى اسيا الصغرى وحتى شمال أوربا وشبه الجزيرة الأيبيرية وجزر البحر المتوسط وشبه الجزيرة الايطالية (٣)

من الصعب ان نجد بلد لم يقل الباحثون بأن الأمازيغ لم يقدموا منه، في الواقع ينبغي فحص مُعطيات الانثروبولوجيا فهذا العلم لا يسمح فقط بتحديد أصالة الأمازيغ ضمن سكان الجنوب المتوسطي بل يسمح ايضاً بتبيان مجموعات الأمازيغ في الربع الشمالي الغربي من أفريقيا وعلى وجه التركيز على مُعطيات الثقافة أكثر من معطيات الطبيعة، ومن بينها استمرار اللغة الامازيغية (٤)

هناك آراء غريبة ترى ان البربر من سكان فلسطين وكان ملكهم جالوت أي انهم جاؤوا الى المغرب من مهد الحضارات ، وآراء اخرى تقول انهم من أوربا الشرقية ، ويستندون الى السمات العامة لملامح الرجل البربري ، فهم يعرفون البربر أو الأمازيغ بأنهم : جنس أبيض يتواجدون في سبوا بمصر وشمال أفريقيا ، وترى فرضية أخرى ان البربر من أصول مشرقية وقد تمت الهجرة من بلاد الحضارات الى المغرب لتعمير الارض ، هجرات تمت من بلاد اليمن ويستند اصحاب هذه الفرضيات إلى التقارب اللساني بين اللهجات الأمازيغية الحالية وخاصة الشاوية المتداولة في الجزائر ( مناطق الشرق الجزائري واللهجة اليمنية المتداولة في اليمن الحالي وفي منطقة حضر موت على وجه التحديد وكذلك لوجود الصلات اللغوية بين اليمنيين حالياً في عمان وعند الإيباضيين في الجزائر كما يحتجون بمسألة الفنون والعادات وخاصة الرقص الذي يرونه جداً متقارب بين المنطقتين (٥)

ويقول المؤرخ الفرنسي ج كامب في حديثه عن أصل الامازيغ " بالرغم من عدم وجود جنس بربري ولم يوجد قط يُسلم علماء الانثروبولوجيا اليوم ان للسكان البيض في شمال غرب افريقيا سواء الناطقين منهم بالبربرية او الذين استعربوا لغةً وتقليداً، أصل واحد أساسي فهم ينحدرون في غالبيتهم من المجموعات المتوسطية القديمة التي جاءت من المشرق في الألف الثامن -او حتى قبله وانتشرت ببطء في المغرب الكبير (٦)

### دلالة تسمية الأمازيغ بالبربر:

بداية لابد من الاشارة الى ان التسمية الاكثر شيوعاً للدلالة على الامازيغ في شمال أفريقيا " البربر " أما عن دلالة هذه التسمية فهناك من يرجع كلمة بربر الى النظرة الاستعمارية للإغريق حيث سموا كل

ناطق بغير الإغريقية " بارباروس" وهنالك من يرجعه الى الكلمة الرومانية اللاتينية " برابرة" كتعبير قذحي عن الشعوب التي توجد خارج الحضارة أو لكونهم رُحلاً لم يسبق ان جمعهم كيان سياسي لتشكيل دولة بالمفهوم القديم للدولة عند الإغريق أو الرومان، ان "كلمة" البربر " في اللغة تعني حسب رأي المؤرخين الخلط في الكلام مع غضب ونفور ، وعليه فإن لفظة " باربار " تدل في جميع اللغات على الرطانة والجلية والضوضاء او على الجهل والقسوة والهمجية<sup>(٧)</sup>.

كما ذهب كثير من المؤرخين الأوربيين الى ان البربر كانوا دائماً يميلون الى التمرد وبالتالي الى التخلص من كل من يسعى الى احكام قبضته عليهم الأمر الذي نتج عنه تتابع الثورات والفتن وعدم التفكير في بناء كيان حضاري واسع متمدن يشمل كل قبائل البربر ما دفع الى تسميتهم بالبربر ، الا ان هنالك رأي طرح عام ١٩٩٥ يذهب الى ان البربر هو اسم عربي قديم لا علاقة له بكلمة Varvaras اليونانية ولا كلمة Barbarus اللاتينية وكلمة " البربر " ذات الطابع البدوي الصحراوي ، اكتسبت قيمتها التاريخية منذ مجيء العرب المسلمين حيث صارت منذ ذلك الزمن علماً مميزاً يطلقه الناس جميعاً على سكان شمال أفريقيا بعيداً تماماً عن معاني الاستنقاص الموجودة في اللغتين اليونانية واللاتينية<sup>(٨)</sup> ، وأياً كان المبرر فان كلمة بربر قد تطور معناها لتصبح اسم علم يشير الى شعوب شمال أفريقيا أي البلاد الممتدة من المحيط الأطلسي الى حدود مصر الغربية ومن البحر المتوسط الى جنوب الصحراء الكبرى ، مما حمل بعض المؤرخين الى تركيز النقاش حول الشعب الذي تواجد بأرضه على ما يزيد عن ٣٣ قرناً وحافظ على لغته وثقافته وعاداته أمام اكتساح فينيقي وإغريقي وفارسي و روماني وبيزنطي وعربي وأوربي والشعب الذي انحدر منه ملوك وكتاب ورجال دين عظام القديس أوغسطس و الروائي أبوليوس لا يمكن ان تُلصق به كلمة البرابرة ( Barbares ) بمفهومها القذحي ومهما يكن من أمر فإن الكلمة قد تطور مفهومها لتدل على شعب أصيل تميز بواقعه ونبوغه وتواضعه الى جانب تمرده والدفاع عن عطس والروائي أبوليوس لا يمكن ان تُلصق به كلمة البرابرة Barbares ( بمفهومها القذحي ومهما يكن من أمر فإن الكلمة قد تطور مفهومها لتدل على شعب أصيل تميز بواقعه ونبوغه وتواضعه الى جانب تمرده والدفاع عن حريته<sup>(٩)</sup>.

### المبحث الثاني: تصنيفات شعب البربر

هناك من يقسم المغرب الكبير الى ثلاث ممالك مع حلول القرن الثالث: الموريون في المغرب الأقصى، المازاسيلي غرب الجزائر والماسيلي على طول الشريط الممتد جنوب قسنطينة بالجزائر الى شواطئ قابس بتونس ثم الى طرابلس بليبيا، وتبقى التسميات التي عُرف بها البربر كثيرة ومتعددة منها: -

- الأمازيغ: يتكلم البربر تمازيغت ، أي اللغة الأمازيغية ، وتعني لفظة " أمازيغ " الرجل الحرّ النبيل ، اذ تؤكد المصادر اليونانية واللاتينية ان اسم أمازيغ قديم جداً ، كان معروفاً في العهد الفينيقي ، وقد ذكر الإدريسي مرسى على المحيط الأطلسي ترد عليه مراكب الأندلس يُسمّى "مرسى ماريغن " أو مراغان " - التحنو الذين سُجل ظهورهم في الثلث الأخير من الألف الرابعة ق . م وظل أسمهم يتردد في الوثائق المصرية حتى عهد رمسيس الثالث ( ١١٩٨ - ١١٦٦ ) ق. م كانوا يتميزون ببشرتهم السمراء ويعيشون غرب مصر ناحية الدلتا . - التمحوا الذين سُجل ظهورهم في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد وهم من ذوي البشرة البيضاء والعيون الزرق وكان لهم امتداد داخل الواحات الليبية<sup>(١٠)</sup>
- الليبو اول ظهور لهم في عهد رمسيس الثاني ( ١٢٩٨ - ١٢٣٢ ) ويُذكر انهم كانوا منتشرين في برقة في ليبيا وعندما آلت المنطقة الى الاغريق اطلقوا هذا الاسم على كل شمال افريقيا الى الغرب من مصر المشواش يمتد انتشارهم غرباً الى الجنوب التونسي الحالي هذا فضلاً عن الجيتول الذين كانوا

من القبائل الأمازيغية القديمة التي كانت تنتشر في الممتلكات القرطاجية ومملكة لوميديا التي كانت تمتد جنوباً حتى اطراف الصحراء من الشمال ، اما المجموعة الأخيرة فهم المور حيث سمي أمازيغ الجزء الغربي بالمور و هم سكان الجزء الشمال الغربي من أفريقيا من طنجة الى نهر الملوية، رغم كل ما ذكر من اسماء الا أن اصحاب النزعة الأمازيغية يفضلون مناداتهم بالأمازيغ. (١١)

### اللغة الأمازيغية وانتشارها وتطورها من الاستعمار الى الاستقلال:

تنتشر اللغة الأمازيغية مع انتشار وتوزيع الأمازيغ المحافظين عليها على شكل لهجات محلية خاصة بكل منطقة مشكلين مجموع إثنولوجية كان هذا في الشمال الأفريقي من بحيرة سبوة في مصر الى غرب وشمال غرب ليبيا وفي تونس نجد بربر جربة والشيني والدويرات ، اما في الجزائر فنجد بربر القبائل الذين يحملون لهجة تختلف عن الشاوية في الشرق الجزائري وميزاب الذين يقتربون من بربر جربة في تونس بشكل كبير نظراً للمذهب الديني الذي يجمعهم كما نجد في الجزائر بربر الأطلس البليدي في حين نجد غرب الجزائر بربر الشلوح في جزء من تلمسان بني سنوس والنعامية عسلة والبيص بو سمغون حيث تغلب اللغة العربية من حيث الاستعمال عندهم، اما بربر الطوارق الذين ينتشرون في الصحراء الكبرى في ليبيا والجزائر ، في حين نجد بربر صنهاجة يتواجدون في الجزائر وموريتانيا والسنغال. (١٢)

اما في المغرب فنجد البربر ينتشرون في مناطق جغرافية مختلفة حيث الريفيين في الشمال وبعظهم في الجزائر ( غرب تلمسان ) والشلوح في الأطلس الكبير ووادي سو ، اما قبائل زيان فتسكن جبال الأطلس الاوسط في حين نجد بربر زناتة في شمال المغرب وغرب الجزائر. (١٣) يعد البعد اللغوي هو اساس المشكلة الامازيغية ذلك ان الامازيغ والعرب بالرغم من أنهما عرقين مختلفين الا ان ما يجمعهما أكثر مما يفرقهما حيث يجمعهما الدين الاسلامي ، كما ان لطول مدة الاندماج والمصاهرة بين العرب والامازيغ في المغرب العربي اصبح من الصعوبة التمييز بشكل واضح بين العرق الأمازيغي والعربي على الاقل من حيث الشكل الخارجي لكن المظهر الاساسي للتعبير عن التمايز بين العرب والامازيغ هو استمرار تمسك الامازيغ بلغتهم حتى الوقت الحالي. (١٤) وفي هذا الاطار تبرز اهمية اللغة ، ذلك ان المجتمع اللغوي يظل اقدم اشكال المجتمعات الانسانية فاللغة هي روح المجتمع ووعاء ثقافته وأداته الرئيسية للتعبير عن حضارته، وعليه فالعامل اللغوي يعتبر أهم عوامل الشعور الفردي والجماعي بالانتماء والولاء ، وفي هذا الاطار برز هناك اتجاهين، الأول يرى ان اللغة وسيلة التفاهم والاندماج الاجتماعي وعامل مهم نحو التجانس القومي لأن اللغة الواحدة تؤدي الى وحدة الرأي كما ان التلاحم المكاني والتوحد اللغوي يشكلان الاساس الصلب لأي حركة قومية، اما الاتجاه الثاني الذي برز خلال التسعينات والذي واكب انهيار الاتحاد السوفيتي الذي يرى امكانية تطبيق التعددية اللغوية وحقوق الشعوب في حماية لغتها وثقافتها وهذا ما نصت عليه الاتفاقيات الدولية ومنها اعلان الامم المتحدة الخاص بالأقليات عام ١٩٩٢ (١٥)

استمر الامازيغ في الحفاظ على لغتهم تبعاً لعدة عوامل لعل أبرزها العامل الجغرافي حيث يسكن الامازيغ في اماكن جبلية يصعب الوصول اليها الأمر الذي سمح باحتفاظ وتوارث اللغة الامازيغية اذ استمرت اللغة الامازيغية لغة حية لطبيعة النظام الاجتماعي الامازيغي فضلاً عن الأسباب الجغرافية حيث شكلت البيئة الجبلية معازل طبيعية ضد أي استعمار او غزو لغوي او ثقافي ، وخلال المراحل التاريخية التي سبقت استقلال الجزائر لم تشكل اللغة الامازيغية مشكلة بذاتها ، فعند دخول الاسلام الى المغرب العربي وانتشار اللغة العربية وما رافقها من تعريب لدواوين الحكومة واصبحت اللغة العربية هي الترفي الاجتماعي مع ذلك كانت الامازيغية لغة التحدث التي يتعلمها اطفال الامازيغ في منازلهم ذلك هي الترفي

الاجتماعي مع ذلك كانت الامازيغية لغة التحدث التي يتعلمها اطفال الامازيغ في منازلهم ذلك ان العرب لم يُحاربوا لغات البلاد التي خضعت لسلطانهم في الواقع أن مشكلة اللغة الامازيغية قد اوجدها المستعمر الفرنسي الذي أوجب التعلم باللغة الفرنسية لإيجاد طبقة مواليه له في المغرب العربي وعلى وجه الخصوص في الاماكن التي يسكنها الامازيغ بعد ان الغى التعليم باللغة العربية وأقر التدريس باللغة الامازيغية.<sup>(١٦)</sup>

باللغة الفرنسية والامازيغية في تلك المناطق مما أوجد الازدواجية اللغوية التي أوجدت طبقة فرانكفونية تقلدت المناصب الادارية والتعليمية والعسكرية في وقت كان فيه اتقان اللغة الفرنسية هو وسيلة الترقى الاجتماعي وهذا الوضع استمر بعد الاستقلال اذ كان للغة الفرنسية مكانة متميزة كونها لغة التداول الاساسية ، الا ان دساتير ما بعد الاستقلال في المغرب والجزائر نصت على ان تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية كما طبقت سياسة التعريب أي تعريب لغة الادارة الرسمية واستبعاد دور اللغة الفرنسية كمحدد للارتقاء الاجتماعي.<sup>(١٧)</sup>

وخلال تلك المرحلة التي أعقبت الاستقلال والتعريب بدأت النخب ذات الطابع الفرنسي والامازيغ تشعر بأن تلك السياسة تستهدفها فبدأت بالتحرك للمطالبة بحقوقها اللغوية والثقافية وعلى ضرورة أن ينص الدستور على الهوية الامازيغية للجزائر واستمرت المطالبة مع فترة التسعينات مع تأثير الاهتمام الدولي بالحقوق الثقافية للأقليات بدأت النظم الحاكمة بالتجاوب مع المطالبين واعتبار اللغة الامازيغية لغة وطنية وإمكانية تدريسها في المرحل التعليمية وعليه فقد دار صراع الحرف المستخدم في الكتابة الامازيغية عام ٢٠٠٣ ذلك انها كانت لغة شفوية مثل صراع دعاة الحرف العربي الذي مثلته تيار القومية والحركة الاسلامية وبين دعاة الكتابة بالحرف اللاتيني الذي مثلته جزء من الحركة الامازيغية الفرانكوفوني وبين دعاة الكتابة بحرف التيفناغ كحل وسط.<sup>(١٨)</sup>

وفقاً لتيار القومية العربية فإنه يعتبر اللغة الامازيغية لهجة وليست لغة وانها احدى اللهجات العربية لوجود تشابهها بينها وبين اللغة العربية في التركيب اللغوي والقواعد النحوية ، تأتي محاولة اثبات ان اللغة الامازيغية أصلها لغة عربية في محاولة لإثبات أن أصول الأمازيغ أصول عربية من شبه الجزيرة العربية كما يتقبل توجه القومية العربية ان تكون اللغة الامازيغية لغة وطنية في مناطقها وليس لغة رسمية للدولة كما انه ينتقد محاولات الامازيغ لتطوير لغة مشتركة بين الناطقين بهذه اللغة في محاولة منهم لإيجاد لغة أمازيغية موحدة ويطلق دعاة القومية على هذا التوجه ( الأمازيغية المعيارية) والتي عبر عنها بأنها توحيد قسري للمكون الثقافي الأمازيغي تمهيداً لعزله عن المكونات الاخرى وجعله هوية قائمة بذاتها وهذا ما يهدد عروبة المغرب العربي.<sup>(١٩)</sup>

### الديانة عند الامازيغ:

عرف الامازيغيون في منطقة تامازغا او شمال افريقيا او المغرب الكبير مجموعة من المعتقدات والديانات مثل : الوثنية واليهودية والمسيحية والاسلام وقد تمثل الامازيغ هذه الديانات والمعتقدات عن التأثير بالشعوب المجاورة او الغازية او الفاتحة مع التأثير فيها عقائدياً ودينيّاً ولم يقف الامازيغ عند حد التأثير والتأثر بل ساهموا في إثراء الحركات الدينية وإغنائها مع مجموعة من اللاهوتيين والمفكرين ورجال الدين الامازيغ مثل اريوس Arius واغيسطينوس Augustine كان الامازيغ اكثر تمسكاً بعقائدهم وديانتهم أكثر من الذين نشرها كما هو الحال مع الديانات السماوية الثلاث المعتقدات الوثنية عند الامازيغ / لعله من المؤكد ان للأمازيغ مثل الشعوب البدائية معتقداتهم الدينية والوثنية الخاصة بهم فقد كانت طقوسهم السحرية تعبر عن تفكيرهم الاسطوري الساذج المرتبط بالطبيعة ارتباطاً وثيقاً أي ان

الإنسان الأمازيغي كان انساناً طقسياً يمارس شعائره الدينية الاسطورية عبر السحر والقربان والايمان بالقوى الخارقة وعبادة الحيوانات والطبيعة ، ولما كان الأمازيغ يسكنون تامازغا او شمال افريقيا المحاذية للبحر كان من الطبيعي ان يتشربوا بمعتقدات الشعوب المجاورة لهم لذا فقد تأثروا بالمعتقدات الفارسية والفينيقية والمصرية واليونانية والرومانية والصقلية كما أثروا بدورهم بالشعوب .<sup>(٢٠)</sup>

**الأمازيغ والديانة اليهودية:**

كانت الديانة اليهودية هي أولى ديانة سماوية تعرف عليها الأمازيغ بعد مرحلة الوثنية وقد اعتنقوا هذه الديانة لسنين عديدة ومن باب العلم فقد هاجر اليهود الى تامازغا في القرن الثالث ق م بعد خراب اورشليم كما هاجروا اليها مع الفينيقيين لأغراض اقتصادية ، وحينما دخل المسلمون شمال افريقيا وجدوا مجموعة من القبائل تدين باليهودية كقبيلة جراءة في الجزائر وقبائل نفوسة في تونس ومدبونة وغيائة وقندلاوة وفزاز في المغرب الاقصى كما قيل بأن جنود طارق بن زياد الأمازيغي كان اليهود من بينهم مما يعني أن اليهود في شمال افريقيا من اصول بربرية او يونانية او ايطالية ، كما ان الفاتحون للمغرب كانوا تجاراً من يهود اليمن ومصر وقد استقروا بالقيروان وكانوا على اليهودية البابلية ، والواقع أن اليهود تمكنوا من معايشة البربر المسالمين في أجزاء كبيرة من المغرب واستطاعوا ان يجلبوا الى دينهم عدداً من البربر ، وعليه فقد اعتنق الأمازيغيون الديانة اليهود .<sup>(٢١)</sup>

### **الأمازيغ والإسلام:**

لم يدخل الاسلام شمال أفريقيا الا مع الفتوحات الاسلامية التي استمرت حتى عهد الامويين ، اذ نُشِرَ الاسلام في شمال أفريقيا حيث فتحت برقة وطرابلس الا انه استصعب فتح بلاد البربر لقوة شكيمة الأمازيغيين وصعوبة اخضاعهم وسرعة نقلهم مزاجهم ووعورة بلادهم ومخافة من تعصب الولاة في معاملة البربر عن طريق المغالاة في الضرائب وسوء التصرف مع كبراء القوم وأسيادهم ومهما يكن من أمر فقد اعتنق البربر الاسلام عن حُب واقتناع ووجدوا فيه ضالتهم للخلاص من الاستعباد كما كان في عهد الرومان والبيزنطيين فاندمجوا مع المجتمع الاسلامي الكبير بكل سهولة ومرونة وصاروا دعاة له في كل زمان ومكان .<sup>(٢٢)</sup>

### **المبحث الثالث: الظهير البربري والحركة الوطنية الجزائرية.**

يرى روم لاندو في كتابه { تاريخ المغرب في القرن العشرين } بأن المارشال ليوتي ( المقيم العام الفرنسي في المغرب ) قال عام ١٩١٦ : لقد وجدنا في المغرب دولة وشعباً واضحي المعالم : نظام سياسي واضح ونظام قضائي هام ويعلق روم لاندو " ليس هناك عنصر بربري واحد بالمعنى الذي نفهمه عندما نتحدث عن العنصر العربي : فبربر الصحراء هم الأمازيغ وبربر جبال الأطلس هم الشلوح بينما لا يفهم بربري من الأطلس الأوسط شلوحياً من السوس لكن العرب تيربروا كما تعرب البربر وان الشعبين العرب والبربر لهما وحدة وحضارة لا يمكن ان تُنكر ، وقد ظلت دينامية الاسلام - يقول لاندو هي المحرك لمعظم الثورات والحركات الإصلاحية في المغرب. خطط المارشال ليتي لصيغة تقصّل العرب عن البربر، لكن الظهير (المرسوم) البربري ظهر عام ١٩٣٠ في عهد المقيم العام الفرنسي في المغرب لوسيان سان: وهو عبارة عن مجموعة من الاوامر والتعليمات الادارية لمنح البربر صفة الخصوصية بخلق (النزعة البربرية) من اجل التمهيد لفصل العرب عن البربر وكان الهدف هو وضع القبائل البربرية في صراع مع السلطان والمخزن وكان السبيل الى ذلك، تشجيع النزعة البربرية لتظل في دورانها في دائرة مغلقة.<sup>(٢٣)</sup>

لم يمض وقت طويل على صدور المرسوم الفرنسي (الظهير البربري ) حتى فتحت مدارس بربرية خاصة لنشر فكرة الانعزالية البربرية، اذ كان من الخطر حسب وجهة نظر فرنسا ان يُسمح بأنشاء كتائب

مغربية موحدة يتكلمون لغة واحدة ، بل يجب ان تقيد الى الحد الاقصى فقد يُستخدم هؤلاء البربر ضد المخزن نفسه اذ ان هذه المدارس البربرية خُطط لها ان تكون خلايا للسياسة الفرنسية وادوات للدعاية بدلاً ان تكون مراكز تربوية بالمعنى الصحيح فقد دعي المعلمون الى اعتبار انفسهم وكلاء لضباط القيادة الفرنسية ومتعاونين معها ، كانت القوانين القبلية نافذة في المناطق البربرية منذ زمن طويل تم ادخل الفرنسيون الجماعة القضائية - لكن هذه لم تصل الى مصاف المحاكم القانونية فقد كانت مجالس تحكيم فقط وكان القانون العشائري يُستخدم الشريعة الاسلامية ، اما الظهير البربري فقد طوّر سلطة الجماعة وجعل منها سلّطة قضائية فعلية. (٢٤)

أن الهدف من صياغة الظهير البربري لم يكن كما اعلن عنه لإظهار الاحترام للتقاليد البربرية القبلية بل نجد في محضر هذا المرسوم " لا مانع من تفويض وحدة التنظيم القضائي في المنطقة الفرنسية اذا كانت المسألة تقوية جماعة البربر. (٢٥)

يتضح من هذا المحضر الفائدة السياسية في احداث الشقاق بعد تقوية البربر نظراً للدور الذي قد يدعون للقيام به بوصفهم جماعة تقف يوماً ما في وجه الجماعة الاخرى ، ولهذا لم يكن غريباً ان يعتبر المغاربة الظهير الفرنسي بأنه ( تدخل فرنسي في اسس الاسلام ) فقد اعترف الظهير باختصاص الجماعة القضائي وأنشأ محاكم خاصة للنظر في جميع القضايا المدنية دون استثناء وفق العرف والعبادات البربرية ، كما انتعشت الحركة التبشيرية الكاثوليكية في ربيع ١٩٣٠ فعُد الظهير البربري خطوة للقضاء على الاسلام مما جعل الجماهير يختمون صلواتهم في المساجد بالدعاء التالي " يا ارحم الراحمين جنبنا طرق المصير الشريرة اللهم لا تفرق بيننا وبين إخواننا البربر " ، انشئت لجان للدفاع عن المسلمين في القاهرة وبرلين وجاوة وارسلت برقيات الاحتجاج وقد حملت بعض الصحف اليسارية الفرنسية على الظهير ، لكن اغلب الصحف الفرنسية رأت في الاضطرابات والاحتجاجات - عملاً تقوم به عصابة صغيرة من أهل الشر الذين يحملون شهادات التعليم الابتدائي الذين يزعمون انهم احفاد غاندي وسعد كانت الجزائر في طليعة دول شمال افريقيا التي كانت ضحية الفكر الأوربي المسيحي اذ استغلت فرنسا العنصر الأمازيغي في التركيبة السكانية للجزائر وتدخلت بقوة على المستوى الفكري والديني والسياسي ثم عملت بذكاء على بسط نفوذها بواسطة اذكاء النعرة القبلية في نفوس اهل المنطقة وتشجيعهم على بناء منظومة حياة تمردية انفصالية تلقى الدعم والمساندة المادية والقانونية انطلاقاً من جوهر السياسة الاحتلالية القائلة " ان سكان إمبراطوريتنا من الافريقيين على انواع منهم البربر وهم اقرب السكان الينا ومنهم العرب وهم اقل الناس استعداداً للتقدم ، في ٢٣ / آيار ١٩٣١ في اجتماع لرجال الكنيسة الكاثوليكية للاحتفال بأسعد مناسباتهم في الجزائر اذ استطاعوا بجهودهم وبشتى الوسائل إخراج الف وسبعمائة مسلم جزائري من الاسلام وادخالهم في النصرانية ، اما الجزائريون فقد اعتبروا ذلك اليوم يوم حداد بل من اشد الايام شؤماً وسواداً ، حزن اهالي الجزائر وتألّموا من جراء انتشار خبر هذا الاحتفال ، استعرض رجال الكنيسة عضلاتهم التنصيرية على مسرح الاحتفال في تنصير اطفال الجزائر امام حضور غير للأوربيين الاجانب الذين لم يصدقوا تنصير الجزائريين لمعرفةهم بقوة تمسك الجزائري بعقيدته الاسلامية كانت علامات اللمز لا تقارق الاجانب وخاصة ضحكاتهم المُنقّدة للباس هؤلاء الاطفال الذين وقعوا في شباك النصرانية كان الظهير البربري هو جزء من السياسة الاستعمارية الفرنسية لإخضاع الشعب الجزائري الا انها فشلت بعد ان عمل الوطنيون للتصدي لهذه السياسة بالمظاهرات والاحتجاجات التي لم تضعف رغم المطاردة والاعتقال ، اذ ان ما تعرض له الشعب العربي من دسائس ومناورات استعمارية لا يمثل سوى جزء صغير بالمقارنة مع الظهير الذي استهدف وحدة الامة. (٢٦)



**الخاتمة**

الأمازيغية مسألة ضاربة في عمق المجتمع الجزائري بتاريخها الأصيل الذي مكنها بأن تحظى بخصوصية ثقافية في الوجدان الشعبي ، فالأمازيغية تمتاز بماض عريق عايش مختلف الحضارات الفينيقية ، والبيزنطية والرومانية ، وقاوم مختلف محاولات طمس الهوية والشخصية الامازيغية التي تعرض لها ، والتي كانت حدثها أكثر من طرف الاحتلال الفرنسي ، الأمر الذي أثبت جسارته ومدى تمسكه بهويته وثقافته وأحقيته في التمتع بتراثه الثقافي الذي يترجم تاريخه العريق ، لكن مع هذا الزخم الثقافي لم ينل حظه في جزائر الاستقلال ، نتيجة سياسة التتكر الرسمي ! المسألة الهوية الامازيغية، ومحاولة تجاوزها وتهميش دورها في كيان الدولة الجزائرية والنظر اليها كحاجز ثقافي يعيق الأيدلوجية السياسية المتبعة من قبل الدولة آنذاك، وهو ما قدّم سبباً وجيهاً لبروز الحركات النضالية المدافعة. الثقافة الامازيغية والمنادية برد الاعتبار لها، والتي عجلت في بروز أزمة هوية شائكة انتقلت فيها عن مطالب حركات النضال من المطالب الثقافية الى المطالب السياسية الى الاعتراف بالهوية الوطنية.

**قائمة المصادر**

١. فضيلة شبابحة ، الحركة الأمازيغية في ظل الحراك العربي الجزائر إتمودجا ، الجندي للنشر ٢٠١٨ ، ص ٣٣ - ٣٥ . - حماة سالم، تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١، ص ٣٠.
٢. عز الدين المناصرة، المسألة الأمازيغية، دار الشروق، الاردن، ١٩٩٠، ص ٢٢. ؛ عبد اللطيف هسوف ، الأمازيغ قصة شعب دار الساقى ، ٢٠١٦ ، ص ١٢ .
٣. نجلاء نجاحي، مسيرة الامازيغ في الجزائر: بين البناء الثقافي والمشروع السياسي والفعل التربوي، مجلة العلامة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد، الخامس، ديسمبر، ٢٠١٧، ص ٣٦٩ .
٤. العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الاصول والهوية، التوخي للطباعة والنشر، ٢٠١٠، ص ١٩-٢٠.
٥. صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغية، ط ٢، دار هومة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٣، ص ٢٢-٢٣.
٦. العربي عقون، المصدر السابق، ص ٢٣ - ٢٤.
٧. ناصر الدين سعيديوني ، المسألة الثقافية في الجزائر ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ٢٠٢١ ، ص ٣٨ .) ؛ عبد الطيف هسوف ، المصدر السابق ، ص ٣١ .
٨. عبد الرحمن بن محمد الخضر مي، تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية، دار الساقى، ٢٠١٢، ص ٣٩.
٩. بوزياني الدراجي ، القبائل الامازيغية ادوارها ومواطنها ، ج ١ ، دار الكتاب العربي .، ٢٠٠٧ ، ص ١٦٥ ،
١٠. فضيلة شبابحة ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .
١١. محمد شفيق ، ثلاثة وثلاثون قرناً من تاريخ الامازيغ ، الرباط ، ١٩٨٨ ، ص ٨٧ .
١٢. عبد اللطيف هسوف ، المصدر السابق ص ٣٧٣٥ ) - موليس يخضرة ، التفكير في الثقافات ، ٢٠١٦ ، ص ٢٣٩ .
١٣. بوزياني الدراجي .، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .
١٤. احمد بوكوس ، الامازيغية والسياسة اللغوية والثقافة بالمغرب ،مركز طارق بن زياد ، الرباط ، ٢٠٠٣ ، ص ٧١ .
- ١٥.

١٦. عبد الرحمن محمد الحضرمي ، المصدر السابق، ص ١٠٢ - ١٠٤ .
١٧. طلعت رضوان ، منقون مع الاصول الاسلامية ، القاهرة ، مركز المحروسة للنشر ، ٢٠١٥ ، ص ٤٨ .
١٨. حنان ابو الضياء جواسيس الجيل الرابع من الحروب ، كنوز للنشر والتوزيع ، ٢٠١٥ ، ص ٤٣ .
١٩. محمد علي داهش ، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر ، مركز الكتاب الاكاديمي ، ٢٠١٨ ، ص ٧٢ .
٢٠. فؤاد محمد أزرقي ، جزائريات صنعن التاريخ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٤ .
٢١. رشيد ابو حجة ، حركة الاخوان المسلمين وعلاقتها بالسلطة ، مركز الكتاب الاكاديمي ، ٢٠١٨ ، ص ١٣٢ .
٢٢. ابراهيم صاوي، قياس التبعية في الوطن العربي مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩، ص ١٣٠؛ د. أيناك محمد البهيجي، تاريخ دولة الاندلس مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٧، ص ١٠٨ .
٢٣. سعدي عثمان ، المصدر السابق ، ص ١٢١ .
٢٤. سعد الدين إبراهيم ، هموم الاقليات في العالم العربي، الجزء الاول، دار ابن رشد ، ٢٠١٨ ، ص ٢٥٢ .  
مناصرة عز الدين - المسألة الأمازيغية في المغرب والجزائر: اشكالية التعددية اللغوية ، دار الشروق ١٩٩٠ ، ص ٩٩ .
٢٥. محمد السماك، الأقليات بين العروبة والإسلام، دار العلم للملايين، ١٩٩٠، ص ٦٨ .
٢٦. أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية، دار الأمة، ٢٠١١، ص ٧١ .

## الموت العبثي في خطاب رعد زامل الشعري

أ.م.د. كاظم فاخر حاجم الخفاجي

الباحثة ديار حبيب موحان

جامعة ذي قار- كلية الآداب

الملخص

يُعد الموت من مواضيع الأدب العربي عامة والشعر خاصة لاسيما عند الشعراء المعاصرين فقد حمل شعرهم اشكالا مختلفة ودلالات متنوعة لهذا المفهوم فهو الذي يخرج الشاعر من دائرة الواقع المأزوم إلى دائرة الخيال، الكثير من حالات الاغتراب لدى الفرد العراقي مقترنة بالحروب وآثاره على المجتمع ورفض ذلك المجتمع له رفضاً داخلياً.

### Abstract

Death is one of the topics of Arabic literature in general, and poetry in particular, especially among contemporary poets. Their poetry carried different forms and various connotations for this concept. It is what brings the poet out of the circle of crisis reality into the circle of imagination. Many cases of alienation in the Iraqi individual are associated with wars and its effects on society and that society's rejection of him. internal rejection.

المقدمة

يُعد الموت من مواضيع الأدب العربي عامة والشعر خاصة لاسيما عند الشعراء المعاصرين فقد حمل شعرهم اشكالا مختلفة ودلالات متنوعة لهذا المفهوم فهو الذي يخرج الشاعر من دائرة الواقع المأزوم إلى دائرة الخيال.

الكثير من حالات الاغتراب لدى الفرد العراقي مقترنة بالحروب وآثاره على المجتمع ورفض ذلك المجتمع له رفضاً داخلياً وقد احتل الحرب في العراق مساحة غير عادية واصبحت له اثار اجتماعية وسياسية واقتصادية ولكن على الرغم من ذلك لم يحظ بدراسة رسمية ، نقدية وبيان ما بين السطور وعدم ظهور تيارات فكرية وأدبية في الثقافة العربية فهل هذا خلل في المجتمع ام المثقف نفسه ؟ أصبح للموت في التسعينات سمة مميزة له وانطبع على الشعر العراقي الحث في تلك الفترة التشاؤم والقلق واصبح ظاهرة عامة للشعر، فالشعر هو من يرينا جوهر الاشياء ويذهب باللغة بعيداً عن وجهها المباشر.

الكثير منا يتساءل عن سبب كثرة الموت في العراق الا وهو الحرب وراء كل هذا والاجابة عن هذه التساؤلات يقودنا إلى فهم حقيقة الاوضاع في العراق وما يجري فيه وما يخطط له بالسر وبالعلن فيجب ان يكون العراقيين موحدين اقوياء ولكن ما نشاهده هو نهب لخيرات الوطن وفي مقدمتها النفط وفي مقابل هذا عاش ابناء الوطن معاناة ومأساة سياسية واقتصادية وحالة من التخلف رغم وجود هذه الثروات. الفرد في هذا الوطن وهدور الحياة مقهوراً فيلجأ إلى عالم مستقل وقد أطلق محمد الماغوط<sup>(١)</sup> على الوطن أسم الموت<sup>(٢)</sup>.

أصبح العراق كجثة هامدة ينهشها الذئب المتوحشة فالسياسة فيه تستمد التعليمات من خارج حدوده فماتت الزراعة فيه واندثرت الصناعة وتفشت فيه الامراض الوبائية التي اكلت اجساد مجتمعه، والموت الذي تحدث عنه الشاعر رعد زامل هو القتل دون سبب (الحرب) موت متعدد الاشكال ، يقول الشاعر المغترب عقيل علي قبل وفاته ((كل الذين في المنافي لم يعانون مثلما عانينا ، غربة الداخل اقسى ... عشنا المنفى في الداخل ... فأنا لاجئ في وطني))<sup>(٣)</sup>.

### الموت في خطاب رعد زامل الشعري:

يعد موضوع الموت احد بواعث الاغتراب فلا بد من الكشف عن رؤية الشاعر رعد زامل للموت عبر خطابه الشعري فقد انطلق من وجهة نظر خاصة لأنه انساناً عراقياً اختلت ارضه وشاهدت عدة حروب كانت سبباً في اظهار الموت بأشكال متعددة تنافي شكل الموت المتعارف عليه حيث الاحتلال وضياع الوطن وفقدان الاصدقاء والاعتراب.

الموت الانساني والحياة جزء من جدلية الكون فلا يمكن تصور الموت بدون الانسان والحياة، ورؤية الشاعر للموت رؤية مخالفة فحياة الشاعر مكونة من قيم لها ثلاث زوايا هي : وضع العراق المأزوم والشعر والموت مرتبط بوضعية العراق السياسية والاقتصادية وانهيارات الواقع فهو مرتبط بموقف الشاعر الاتي والفلسفي بحكم الظروف المحيطة به التي تعدّ جزءاً من وعيه واحساسه ، مما جاء خطابه يفوح برائحة الموت وقد جاءت قصائده مملوءة بالموت وهي عبارة عن عامل مدمر يقضي كل شيء جميل في حياته فقد اخذ اصدقائه واحبائه.

يرى الشعراء المعاصرين للموت ليست واحدة وإنما تختلف باختلاف الظروف المحيطة بهم فقد نفذ رعد زامل إلى ما وراء الاشياء التي حوله بتجاوز حدود المكان والزمان واللجوء إلى الطبيعة لخلق عالم جديد افتراضي.

خطاب رعد زامل هنا بمثابة احتجاج على الواقع اللامعقول والمرفوض لأنه خارج النسق، وضع الحروب والقتل في التسعينات والذي ترك اثره على الجيل الجديد فما يزال اثره إلى وقتنا هذا.

خطاب رعد زامل هنا مرتبط بوعي الذات المفكرة وظاهرة نادرة في تراثنا الثقافي واغترابه يدل على وجود فجوة بين الكاتب والمجتمع.

وقد جعل الشاعر فلسفة الموت والاعتراب تخرج من حالتها النفسية إلى تقديم واقع جديد بدلاً من هذا الواقع المشؤوم وذلك بواسطة الخطاب الادبي الذي يقول فيه:

لماذا إلى الموت

نمضي ...

قطيعاً وراء القطيع ؟

ايا صاحبي

فرقتنا الأعاصير

فيا صاحبي

لا تسأل عن مصير الحمام

وعن إنقطاع الرسائل

إنما الأرض

زنزانة فيها أسير؟<sup>(٤)</sup>

القصيدية هي صورة مقربة من الموت الذي يمضي اليه أهلنا في العراق وسببه جحيم الحرب وأعاصيره فالموت أرحم مما تصنعه الحرب.

وإنني لم اقل بأن الشاعر هو من مضى مع هذا القطيع فاذا فعلت فقد نزعت احساس الشاعر من القصيدة وانما هي نظرة الشاعر عن كئيب وما خلفته الحرب في نفس رعد زامل، ونفس كل عراقي فالشاعر قد رأى وسمع قلبه مع العراقيين لا محالة وبذلك فقد ركب خطر الحرب ، تعبيراً عن القمع والقهر الذي يعيشه الفرد داخل مجتمعه وبذلك يكون اغترابه وليد القمع السياسي والاخلاقي والتربوي والاقتصادي<sup>(٥)</sup>. وهو يصف أنثروبولوجيا للإنسان أي تحدي الحياة والموت وهذا التحدث لا متأمل فيه على الرغم من انه صورة واقعية للحظة الوجود ووصف دقيق للواقع العراقي ذكر الشاعر فيه ترهيب وتخويف من الموت. فالخوف هنا اساس الغربة واحساسه بالاغتراب<sup>(٦)</sup>.

يتحدث الشاعر لصديقه ويتساءل لماذا أبناء العراق يتسابقون إلى الموت ويؤكد بأن صديقه مثله تائه في الغربة، فيقول:

### لماذا إلى الموت نمضي<sup>(٧)</sup>

كلمات الشاعر ترانيم عن غربة العالم ونبذ لهذا الزمن الباطل والعمر فيه محدود فقد استخدم اسلوب الجمع (نمضي - فرقتنا) حتى لا يميز نفسه عن اخوانه العراقيين وهو في موضع استفهام للوضع الغالب عليهم وتأكيداً على عدم انزاله عن شعبه بالفضل والتضحية والمعاناة فضلاً عن ذلك تأكيد ان هذا الموت والتفرقة شبيه بالأعاصير فالأعاصير كالفاجعة فالموت هنا موت الغربة وموت الاحبة والاصدقاء والطبيعة لان ((النفس الانسانية المليئة بالتناقضات هي من تكون اشد غربة))<sup>(٨)</sup>.

ينتقل رعد زامل في هذه القصيدة من الموت إلى الحياة وليس من الحياة إلى الموت حيث الارض والزنازة ((إنما الأرض زنازة والمواطن فيها أسير)) فيرسم صورة الحياة البائسة ذات اليأس ، فالأرض طبيعة صامتة<sup>(٩)</sup> ، وبعد الاستفهام يصرح ويؤكد ب (أن) الحياة تشعره بالابتعاد والضجر فهو كالأسير وبذلك يتعاضد الشكل مع المعنى ف (الزنازة) السجن وهو مكان غير محبب للفرد وبذلك يكون ارتباطه بها سلبي فهو فاقد لملاذ هنا المكان (وطنه) وهيمنة الموت فيه.

أصبحت الأرض مقبرة لهؤلاء الموتى فهي كالزنازة وما زال المواطن اسير فيها إلى أن يشاء الله فقد اسرت احلامنا فالحياة لديه صغيرة ومحدودة ذات شعور مرعب حيث التعجب وعلامات الصمت (...). أي تعجب لما يحدث ولا داعي للتعجب لان الذي حدث في العراق في هذا الزمن الميت اخلاقيا وافندة مما لم يشهده عالم آخر وقد نلتمس عزراً للتعجب بأن ذاته متعجبة من حصول هذا الدمار في العراق مقارنة بالبلدان الاخرى، فالأرض هنا هي معادل دلالي ومقابلة للزنازة - الواحدة متممة للأخرى وقدم الأرض على الزنازة للمعنى انها رمز لاغتراب الشاعر المصاحبة للوحدة والموت.

نلاحظ أنّ الزنازة هي رمز العذاب والاحساس بالغربة ، فهي مكان بحبس به حريات الفرد وله حدود وحواجز لا يستطيع من يداخلها الخروج الا بتخطيم هذه الحدود والحواجز<sup>(١٠)</sup>. فالشاعر هنا يستقطب مكونات البيئة (الأرض والزنازة) بما يناسب حياة العراقيين من فقد وإغتراب، وقد تغير معنى الزنازة (السجن) اليوم عن معناه في الماضي وأصبح في الحاضر ذات تجربة جماعية أصابت شعوباً وأعرافاً بكاملها بعدما كانت ذات تجربة شخصية بفعل الاستعمار الحديث على الشعوب بأكملها<sup>(١١)</sup>.

وقد اطلق الشاعر ماض بن يونس<sup>(١٢)</sup> على الارض اسم المقبرة والسجن أيضا اذ يقول:

وحدي هنا .... في الظلام الدامس

## الملم شتات جثتي

في ذلك الشير / القبر / السجن / المجتمع الغريب<sup>(١٣)</sup>

يبدأ الشاعر النص بالسؤال وينتهي بالتعجب لأنه ينتهي نهاية محزنة ومخيبة للأمل وخيبة الأمل واليأس مفروض على الشاعر بفعل ما يحيط به من ظروف، فموت الشاعر نفسي داخلي يؤكد الموت برحيله إلى الزنزانة مما يعطي للموت الاستمرارية فهو المهيم على النص وليس هناك دلالة للخير والحياة. لقد عالج رعد زامل هنا الموضوع (الموت) بطريقته الخاصة عبر فلسفة الحياة والموت فنجده يلجأ إلى الطبيعة (الأعاصير - الأرض ، الحمام) فقد اتخذ منها فناع ليقارن مصيره بمصير الحمام وحالتها عند موتها فسوف تنقطع الرسائل.

هنا لا يتحدث عن موت الجسد فقط وإنما فضلاً عن ذلك فهو يتحدث عن موت الغربة والفقد ففي بداية حديثه كان عن موت الجسد (القتل والحرب) عندما يقول ((لماذا إلى الموت نمضي ... قطعاً وراء القطيع ؟)).

فقد ذكر لفظة (الموت) بعد ذلك ينتقل ليتحدث عن موت الغربة (انقطاع الرسائل) أي أنه انتقل إلى موته الممزوج بالاغتراب وصوته المفجع بالقسوة ، بمعنى ان بداية الخطاب هنا كان عن الآخر الذي هو العراق والثاني كان لذاته.

الموت هو موضوع القصيدة ومركز اشعاعها الدلالي يمتد بدلالة مفرداته اللغوية المباشرة من البداية ليسيتر على القصيدة كلها وبداية هذا الموت يبدأ مع لحظة بداية التاريخ المعاصر أي بداية حرب التسعينات فهي لحظة كاشفة عن هذا الموت والقتل والترهيب والخوف المدمر والمرعب وقد كشفت هذه الحرب عما كان مضمرأ وكامناً في اللاوعي الجمعي أي بعبارة أخرى كشفت عن الغطاء المضمّر والكامن وجعلته على السطح فحولت الخوف العراقي المضمّر إلى معلن ، كشفت للعراقيون زيف السياسة الغبية وخواء ادعاءاتهم بالمساواة مما بعث الاكئاب والحزن والخوف الكامن في نفوس ابناء العراق، وهذا الموت ((الحرب والقتل)) قد شاهده ابناء العراق بعينهم المجردة وعاشوا احداثها وقائعها.

قدم رعد زامل هذا النص وهو يكشف عن ابعاد امكانية تحقيق الأمل في هذه الأرض، باستدعاء رموز الطبيعة (الحمام - الأرض) ليبث الحياة في قصيدته<sup>(١٤)</sup>.

أما من ناحية الصورة الشعرية فلا بد من الإشارة إلى استعمال العطف في الجمل المعبرة عن الطبيعة (وعن انقطاع .... والمواطن فيها أسيراً) كذلك وجود أسلوب الاستفهام والتعجب وهي أساليب إنشائية نتيجة تداخل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الباعث على اغتراب الشاعر.

وقد توسط لفظ (المواطن) بين الزنزانة والأسر وهما لفظتان تدلان على الحزن وخيبة الأمل ليكسب هذه اللفظة دلالة إغترابية فتكون بمثابة عينه (المواطن) تشع منها الدلالة لتكثيف توجه الشاعر وحبه واحساسه المرهف لشعبه فيكون (المواطن) البؤرة الدلالية لتحريك مشاعر القار كمقصد استهدفه الشعر.

بعد ذلك يتحدث عن الواقع الثقافي لاسيما للشعراء برموز جديدة معبرة عن موت الثقافة والتطور مسداً تلك المعاني في قصيدته التي يقول فيها :

ليس من الفجيعة

أن تلقى الوردة

حتفها في أول الربيع

ولكن الفجيعة ...

أن تذبج الوردة

ثم لا شيء

يبير سفك دمها

سوى العطر

كما أنه من السعادة أن

يلقى حتفه الشاعر ولا شيء أيضاً ، يبير سفك دمه

سوى الكلمات<sup>(١٥)</sup>

بداية خطابه يؤكد بأن ليس في هذا الزمن فقط ظهرت الفجيرة وانما هي في كل وقت وفي كل زمن في العراق فهناك قتل وذبح ، وقد بين الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ان يكون اول الكلام دال على ما يناسب حال المنكلم وحتى ولو كانت اشارة يلمحها القارئ<sup>(١٦)</sup>. فكانت البداية نفي وفجيرة بما يلائم اغتراب الشاعر واحساسه بالألم ويستخدم لذلك رمز سقوط الورد في بداية الربيع وليس هو الشاعر الوحيد الذي استخدم فصول السنة كرمز للتعبير من خلجات ذاته فقد افرد الشعراء قديماً لهذه الفصول قصائد عديدة فهم البحري وأبي تمام وكان لهم ولع خاص يذكر هذه الفصول ولكل فصل تعبيراً خاص به وقد استخدمها شاعرنا رعد زامل بأسلوب يختلف عن القديم حتى في قصائد اخرى له قد ذكرتها في موضع اخر من لبحث لكي يلائم ذلك الشاعر واحساسه الداخلي ويقول الدكتور حسين عبود في كتابه ((تجليات الطبيعة)) [لا يوجد اختلاف بين شاعر وآخر في التعبير عن الربيع عيد الطبيعة حيث الازهار وزمان الحب الجميل] لكن شاعرنا تفرد عن هؤلاء الشعراء ولم يعالج هذا الموضوع معالجة الموروث الشعري فقد صاغ (الربيع) بأسلوب والفاظ مختلفة ليثير مشاعر القارئ ، فكل شاعر معجمه الشعري<sup>(١٧)</sup>.

رصد رعد زامل هنا بعض الظواهر السلبية اتجاه الثقافة والركود الثقافي فقد هيمنت ازمة المثقف في العراق ولم يبق إلا التراث فالوضع الراهن جعل الشاعر والمثقف يشعر بالاغتراب عن مجتمعه وهذا الركود يهدد مستقبلنا فأى تغيير في الحياة سواء كان نحو التطور والرقى او كان نحو الأسوء نتوقع ان تكون هناك ثقافة تحجب الاخر بحيث لا تتألف قيم الشاعر مع الوضع المتوتر ، ولا سيما تهميش الطاقات الابداعية ومحاربتها بموجات الصراع السياسي وخاصة نفي المثقفين في الخارج واستغلال مفاهيم ثقافية لخدمة مصالح سياسية معينة<sup>(١٨)</sup>.

وذكر الشاعر للفظه (الحمام) دليل الحزن والاسى فصوتها رقيق ذات نغمات حزينة تخيل للسامع وكأنها تبكي<sup>(١٩)</sup>.

وهذا التشابه يطابق الاحساس الداخلي للشاعر من ألم وبكاء وفراق ((فهذه النظرة للحمامة تتكرر في الشعر العربي الحديث))<sup>(٢٠)</sup> خطاب الشاعر وكأنما يتساءل لمن تكتب، ومن يقرأ؟ فهو تأكيد على غياب الضمير الجمعي خصوصاً في الاحداث السياسية والثقافية وحالات الركود هذا تشويه شامل للحياة فليس هناك حضور للفرد العراقي في ساحة السياسة والثقافة.

أصبح مجتمعنا مجتمع مادي ما عدا النخبة المثقفة المهتمين بالكتب والدليل على ذلك بعض طلاب الجامعات بمجرد تخرجه يهجر القراءة والاطلاع وكذلك المعلم في المدارس يقتصر على الكتاب المقرر له متى ما حفظه الطالب انتهى دوره وهكذا. وضعنا هذا مؤسف بالحقيقة على الرغم من أن الاطلاع على الكتب يطور وينمي شخصية الفرد.

ينتقل بعد ذلك إلى تقابل ايجابي ولكن على شكل تمني ((من السعادة أن يلقي حتفه الشاعر ....)) لتوليد دلالة ايجابية فقد استخدم الفعل المضارع (يلغى ، ويلقاه) وكرره اي انه يتحدث عن زمن المستقبل الذي

يتأمل فيه خيراً فهي كالمفتاح للأمل فكيف نتهمة بالتشاؤم ؟ وسرعان ما يعود إلى نقطة البداية حيث الذبح والموت وكأنه يبحث عن ما يخلصه وهو وشعبه من هذا الوضع.

استعمل أيضاً في هذه القصيدة مكونات البيئة (الربيع) وقد قابل الورد مع سفك الدماء وهذا التقابل ضدي - وقد أولت الدراسات الحديثة أهمية بالغة للعلاقات التقابلية الضدية لأنها تكشف الدلالة وتخلق جماليات فنية<sup>(٢١)</sup>. فالورد هو رمز الربيع وهو فصل الازدهار كما هو متعارف لكنها هنا عنصر سلبي فهو رمز للموت ونقيض الحياة ((أن تلقى الورد حثها في الربيع)) والذي يحبك النص (الفجيرة) ويجمع بين الطرفين المختلفين (الورد - سفك الدماء) فيجعل النص متجانس ذات بنية عميقة.

### الفجيرة

الربيع والورد والعطر

رمز الموت والكلمات

يبدو التضاد ((هو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده سواء كان للمكان أو الحال أو التجربة))<sup>(٢٢)</sup> واضح حيث الحياة والموت في البداية يعني وقوع الفاجعة (سفك الدماء) محقق واكيد ثم ينتقل إلى ما هو نظيره حيث الامل المرموز له (السعادة، الضحك، البريق)، محاولة من الشاعر لتخفيف الألم والغربة وحدة الموت وهو منتظر لذلك اليوم وبعدها يعود لتجديد الحزن والوحشة (سفك الدماء) وضياح صوت الشاعر ، فالربيع الذي تحدث عنه الشاعر ليس هو الربيع الذي عرفه الشعراء قديماً حيث الجمال وحب الطبيعة وانما هو ربيع تتساقط فيه الورود أي انه جعل الفاظ ملائمة لما في ذاته من حزن والم وهذا دليل على ابداع الشاعر فلم يقلد ما كان متوارث في القصائد الشعرية من الفاظ وتراكيب وانما جاء بصورة مخالفة لذلك ليكون اكثر وقعاً في نفس المتلقي مما يزيد من اثارة الالفاظ.

نلاحظ أنّ موت الشاعر هو موت لكلماته ((ولا شيء أيضاً يبرر سفك دمه سوى الكلمات)) أي موت داخل نفسه.

نود الإشارة إلى أنّ شاعرنا قد اغفل التطور الثقافي اليوم او قد يكون خطابه مقتصر على التسعينات وقت الارهاب الذي اصاب العراق في الصميم فقد بدأ هذا التطور بـ (مؤتمر القمة للدول العربية) فبدأ الاهتمام بالجانب الثقافي لان العراقيون على الرغم من الاوضاع فهم محبون للموسيقى والسلام فكيف يكون لهم فترة ركود والدليل على ذلك التواصل الاجتماعي والانفتاح الفكري والثقافي ، ولكنني اتفق مع الشاعر رعد زامل بعدم وجود اسواق ثقافية. وحتى وان وجدت فهي ذات روح سياسية ومذهبية وليست لها أي علاقة بهموم الشعب فنشاطات الثقافة اليوم نشاطات فردية وليست على مستوى الدولة لان دستور العراق يخلو من كلمة ثقافة.



يواصل رعد زامل العنف والموت الممارس ازاء الشعب العراقي ويذكر لك في قصيدته التي يقول فيها

:

كم آخر القصب

الذي لا يشبه القصبا

أبكي على

نهر يتيم لم يجد

غير الثرى<sup>(٢٣)</sup> أمأ

ولا غير العراق

أبا ....

أبكي على شجر

إذا مرت عليه الحرب

أمسى عمره حطباً

آه ....

من الموت

الذي في كفه عرب

وهم سيف بحده يذبح العربا<sup>(٢٤)</sup>

تبدو ذات الشاعر في زمن كثر فيه اليتيم والبكاء والموت حيث جمع بين المكان والزمان (الزمان) متمثلاً بمكان (القصب) اي الاهوار والزمن زمن البكاء والشدة والحيرة اي وقت الحروب والثورات وكل ذلك لإحساس الذات بعدم الجدوى والنجاة لانتشار القتل والدمار وانتهاك حرية الفرد.

يبدو أنّ ذات الشاعر عاجزة عن تغيير الواقع فيقابل ذلك بـ (البكاء) يلزمه احساس اخر وهو الموت المتمثل بالبح فضلاً عن ما يرسمه الشاعر من لوحة تعبيرية تجسد ذلك الشعور العدمي عندما يقول ((من آخر القصب الذي لا يشبه القصبا)) فهنا يكشف عن البنية النفسية العميقة لذلك الوضع في الاهوار مما يشف عن شعور الذات الحزينة والباكية لليتم والثرى، فالموجودات في آلة انهيار حتى اصبح الشجر حطباً من شدة الحرب وقد تبين وصفه للأهوار بـ (القصب) اي بيان للمناطق الريفية فيه تحديداً بشعور الذات لتمييز هذا المكان واستفحال الظلم ازاء هذا المكان وتهميش اهله وناسه. لان ذات الشاعر تستعير مكانها المتعلقة به لمقاومة اغترابها.

نرى أنّ انتماء الشاعر، انتماء قومي ووطني في نفس الوقت فضلاً عن ذكر فروع هذا الانتماء بالأيقونة المتمثلة بـ (القصب - النهر).

ذات الشاعر متواصلة في ذكر الاهوار تأكيداً لهويته العراقية فقد ذكر ذلك اكثر من مرة وفي قصائد عديدة له، هذا العمل يفجر غنائية النكرار الشجي وربط الصيغ فيعد المدخل للكتابة الغنائية واستحضار / العوالم الداخلية فالذي يمارس البوح هو أقرب من روح الشعر<sup>(٢٥)</sup>.

ويؤكد رعد زامل أن حقوق هذا الشعب وكفاحهم مهدورة بقوله ((وهم سيف بحده يذبح العربا)) وهذا الاحساس محيط يمتلك الذات الشاعرة ويجمد الزمن فهو ينتهي دون ان يحققوا حريتهم.

ثمّة شعور بالموت العبثي (المتعمد) مما يضيف الخناق والشعور بالاغتراب لدى ذلت الشاعر واحساسها باليتيم مما اصاب الذات المأساة والحزن.

بما أن رمز الحرب مرتبط بعدم الاستقرار مما يعكس حالة الاضطراب لدى الذات فيجعلها ذات شعور بائس واحساس بالتلاشي مع مرور الزمن فهو يتأسف لما مضى ويحمل مخاوف للمستقبل والشك في استمرار الحياة وسيطرة الموت.

وفي البداية ترفض الذات التخلي عن مكانها ووطنها (الأهور) الذي يعنقه بالقصب رغم الظلم والاستبداد ، فالذات متمسكة بمدينتها ولأجلها احس بالاغتراب شأنه شأن شعراء الحداثة في علاقتهم بمدينتهم ، فالشاعر هو الوجه السياسي والحضاري لمدينته<sup>(٢٦)</sup> حيث أنه هنا يؤكد موقفه الجدلي اتجاه المدينة أي ما بين احساسه بالاغتراب والوحدة وما بين دفاعه عن مدينته وهويته وانتمائه وهو لا يتحدث عن الحلم الذي يسعى اليه في ارض العراق وانما يتحدث عن واقع متمثلاً ب (القصب) فروح الشاعر هنا ذات واعية ورؤيا معاصرة للوضع الراهن مستمداً لغته من افكار الواقع.

وينعي المكان بعد ان اصبح مكان للحرب والبشر فيه حطباً لها أي العبت بالهوية الروحية للفرد العراقي. يأتي الفراغ المنقوت يقطع الخطاب الشعري ليعبر عن مأساة الشاعر متدبراً لحالة وطنه ويفصل الشاعر عن هذا الواقع المأزوم المملوء بالغبرة والجملة التي تأتي بعده تكون جامعة لكل أحاسيس الاغتراب فتأتي العاصفة بعد الهدوء وهذا الصمت يعترض الجمل أيضاً فهو نوع من الجمالية وتعبيراً عن موقف تافه.

أيضاً هذا الصمت يدفع القارئ للتفتيش عن الدلالات الخفية والمعاني الغائبة خلق هذا الصمت ، وبهذا يحقق احد شروط التلقي المحدثة لأنه حامل رسالة ذات شفرات قابلة للتفكيك<sup>(٢٧)</sup>. وهذا الصمت ذات - أيديولوجية حاضرة في النص في صورة غيابية بليغة<sup>(٢٨)</sup>.

ولا أغفل عن الأهات التي كررها الشاعر فهو يتأوه مع مشاهد القتل والدمار اي من حال شعبه لأنه قادر على نظم افكاره فالأهات تخفف من الاحساس بالألم ثلما يخفف الانين الم المروع وايضاً تأكيد على ان هذا الوضع لم ينتهي فيحاول توصيل ذلك للمتلقي اي انه يضرب على الوتر الحساس لاستنهاض هم شعبه.

فقصائد الشاعر رعد زامل التي تحدث فيها عن الموت هي جميعها تدور حول معاناة الفرد العراقي والقتل العبثي وموت الثقافة العربية فكان حديثه عن فترة التسعينات وما شاهده من حروب وانتهاك وقمع ضد الشعب العراقي مما يحمل أهمية ذلك فقد اصبحت اثار تلك الحرب اشد من الحرب نفسها في وقتنا هذا.

وفي تجسيده لمأساة الشعب العراقي وكان شاعرنا مسكون بحس سارتر في الانفعال لمعاناة الشعب. ولغة الشاعر جزلة مبتعد عن التقليد في الكتابة فقد عاين الظلم الممارس اتجاه المواطن العراقي ولاسيما الاغتياالات والفوضى وانعدام الامان وشيوع الذعر في الشارع العراقي واثارة الحوف في صفوف المعارضين للحكومة اما البناء الموسيقي للقصيد نجدتها تلتزم حرف الألف وهو (قصباً - حطباً - عرباً) وهو من حروف الوصل والحرف الذي يأتي بعد الروي<sup>(٢٩)</sup> وهذا مخالف لمعنى النص الدال على الحزن والتشتت والحرب فيقول القرطاجني بخصوص القافية ((إذا دلت على امر كريبه اورثت النفس ضيقاً وتبرما وإذا دلت على امر طيب اورثتها امرأ طيباً))<sup>(٣٠)</sup>. وذلك لان الشاعر من الشعراء المحدثين الذين تمردوا على الرتابة بشكل لا يمس القيمة الجمالية للشعر.

ألفاظ الشاعر واضحة فقد انتقى الالفاظ لبيان المضمون بتحقيق الانسجام بينهما واكثر من استعمال اساليب الاستفهام والتعجب لما لها من دلالة توحى بالتركيز عليها فالشاعر كثير الارتباط بالتراث سواء كان مكان او اسم شخص أيضاً استخدم التقابل بين ما هو قدم وما هو حديث ليوصل لنا صورة النفس المغتربة التي تعاني الالم والحزن ويكون اكثر تأثير في القارئ.

خطاب رعد زامل ذاتي يعبر عن وضع العراق وقد وجد الشاعر هذا الخطاب متنفساً له عن خلجات النفس وما فيها من توتر واحباط.

وصورة الخطاب متجانسة ذات دلالات نفسية وفكرية فهي تعتمد على الصراع بين ذات الشاعر والواقع المرير وفي نفس الوقت لم يهمل التفاصيل الدقيقة والصوت والثنائيات الضدية (الموت والحياة) وكلها صور ابداعية تتراوح بين ما هو قديم وما هو حديث وكل الرموز التي استخدمها دالة على الاغتراب بوعي للوضع الراهن لقد منح الالفاظ دلالات جديدة لم نجدها في الشعر القديم فمثلاً الربيع ((ان تلقي الوردة حنقها في اول الربيع)) حيث الجفاف مما يثير الدهشة في نفس القارئ (والارض زلزلة) والمعروف هي مصدر الانبات وهذه الالفاظ مشحونة بالدلالة النفسية للشاعر ومخيلته مما اضاف للمفردات انفعالية وقوة وايحاء وقد وجد هذا عند (نازك الملائكة - بدر شاكر السياب - علي الشرقي) فلغة الشاعر ذات دلالات متعددة.

### الهوامش:

- (١) محمد الماغوط : شاعر وأديب سوري من شعراء القصيدة الحرة.
- (٢) مقال <https://mifacebook.com> photos
- (٣) مقال ، بقلم : سماح عادل ، ٢٢ اكتوبر ٢٠١٧ <https://kitabab.com> cultural
- (٤) فصل في المرايا : ٢٢.
- (٥) ينظر: المظاهر الإغترابية في الشخصية العربية ، علي وطفه : ٢٤٢.
- (٦) ينظر: الاغتراب المكاني المتخف في روايات سعد محمد رحيم بعد ٢٠٠٣ م ، تأليف : كريم أميدي وآخرون : ٩.
- (٧) فصل في المرايا: ٢٢.
- (٨) ينظر: الاغتراب ومتاهة الذات في مسرح يسرى الجندي (الهلالية نموذجاً)) د. شيرين جلال محمد احمد : ٤٢١.
- (٩) ينظر: تجليات الطبيعة في الشعر العراقي الحديث ، أ.د. حسين عبود حميد الهلالي : ٣٧.
- (١٠) ينظر: الاغتراب في رواية "ريح يوسف" لعلاوة كوسه ، اعداد سارة عبد اللاوي وآخرون : ٣٤.
- (١١) ينظر: صياغة الاغتراب النفسي في ضوء سياسة الابعاد الاسرائيلية : ١٥. لم يذكر اسم المؤلف.
- (١٢) شاعر مغربي صاحب قصيدة (سجن ابو غريب) و(حتى يهدأ الغبار).
- (١٣) المنظور الاجتماعي في قصيدة بن يونس بعد عودتي من مراسم جنازتي ، وديع العبيدي ، الحوار المتحدة.
- (١٤) ينظر: تجليات الانبعاث والموت في الطللية والتموزية طلبية لبيدين ربيعة وتموزية السياب أنموذجاً (دراسة مقارنة)، ليلي نعيم عطية الخفاجي : ١٤.
- (١٥) تنويه: ٦٧.
- (١٦) ينظر: انوار الربيع في انواع البديع ، صدر الدين المدني وآخرون : ٥.
- (١٧) تجليات الطبيعة في الشعر العراقي الحديث ، د. حسين عبود : ١٦٩.
- (١٨) الواقع الثقافي في عراق ما بعد التدمير ، مقال ، بقلم : مهدي الدوري ، شبكة النبا المعلوماتية.
- (١٩) ينظر: تجليات الطبيعة في الشعر العراقي الحديث ، د. حسن عبود : ١١٤.
- (٢٠) المصدر نفسه : ١٤٥.
- (٢١) ينظر: التقابل البلاغي في شعر علي ابن الجهم ، ملخص مجلة الكوفة ، بقلم : محمد حسين وآخرون.
- (٢٢) ينظر: التضاد في اللغة العربية والاندنوسية (دراسة مقارنة) ، احمد أفندي : ٣٤.
- (٢٣) الثرى : الأرض والتراب الندي.
- (٢٤) ترانيم على ضفاف الكحلاء : ١٨٧.

- (٢٥) ينظر: اساليب السرد في الرواية العربية ، صرح فضل : ١٠٧ .  
 (٢٦) ينظر: المدينة في الشعر العربي المعاصر ، مختار أبو غالي : ٧٧ .  
 (٢٧) ينظر: النقد والحداثة ، عبد السلام مسدي : ٢٨ - ٢٩ .  
 (٢٨) ينظر: النقد والأيديولوجية ، تيري إيغلتن ، ت : فخري صالح : ١٧٨ - ١٧٩ .  
 (٢٩) الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية ، محمود درويش ، اعداد : داحم أسية : ٧٦ .  
 (٣٠) منهاج البغاء، للقرطاجني : ٧٦ .

### المصادر:-

- انوار الربيع في انواع البديع ، صدر الدين المدني وآخرون، انوار الربيع في انواع البديع، السيد علي صدر الدين ابن معصوم المدني، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٩م، الجزء الثالث.
- اساليب السرد في الرواية العربية ، د. صلاح فضل، ط ١ ، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا ، ٢٠٠٣م.
- الاغتراب ومناهة الذات في مشرح يسري الجندي الهلالية نموذجاً ، شيرين جلال محمد احمد ، كلية التربية ، جامعة طنطا ، مجلة كلية دار العلوم ، الدراسات الادبية والبلاغية ، المجلد ٣٦ ، العدد ١١٦ ، يناير ، ٢٠١٩م <<https://mkda.journals.ekb.eg>
- الاغتراب المكاني لدى المثقف في روايات سعد محمد رحيم بعد ٢٠٠٣م ، تاليف : كريم اميدي ومحمد جواد وناصر زراع - وسيد حيدر ، افاق الحضارة الاسلامية، اكااديمية العلوم الانسانية ، الدراسات الثقافية ، مجلة علمية سنوية ، ٢٠٢٢م ، العدد ١ .  
[Huttps://www.afagh.incs.ac.ir](https://www.afagh.incs.ac.ir)
- الاغتراب في رواية "ريح يوسف" لعلاوة كوسه، اعداد الطالبين: سارة اللوي - فطيمة عربية، ادب حديث ومعاصر، رسالة مجاستير، كلية الاداب، ٢٠١٩/٦/٢٣ ، ٢٠١٧ - ٢٠١٩م.
- التضاد في اللغة العربية والاندونيسية (دارسة تقابلية) احمد افندي ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة شريف هداية الله الاسلامية ، بحث ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- التقابل البلاغي في شعر علي بن الجهم ، بقلم : محمد حسين عبد صكر ، مرضية اباد ، ياسين طاهر عايز ، اداب الكوفة ، مجلدا ١ ، ج ١ ، ٢٠٢١م ، كانون الاول.
- View<<https://journaluokufaedu.iq>
- المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، علي وطفه مجلة عالمك الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مجلة ٢٧، العدد ٢، اكتوبر/ديسمبر، الكويت، ١٩٩٨م.
- المدينة في الشعر العربي المعاصر ، د. مختار علي ابو غالي ، ٢١ اكتوبر ، ٢٠١٤م.
- المنظور الاجتماعي في قصيدة بن يونس ماض بعد عودتي من جنازتي، وديع العبيدي، ٢٠١٦/١٢/٢٤م، الحوار المتمدن. <<https://m.ahewar.org>>[Ahewar.org.s.sap](https://m.ahewar.org)
- النقد والحداثة ، عبد السلام مسدي ، ط ١ ، دار الطليعة ، ١٩٨٣م.
- النقد والأيديولوجية، تيري إيغلتن، ترجمة: فخري صالح ، ط ١ ، دار رؤية للنشر والطباعة ، القاهرة ، مصر ، ٢٠١٦م.
- الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية "محمود درويش" ، اعداد : راحم اسيه ، اشراف : أ.د. العربي عميش ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة حسينية بن بوعلي ، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م.

- تجليات الطبيعة في الشعر العراقي الحديث ، أ.د. حسين عبود حميد الهلالي ، ط١، دار الفنون والاداب ، ٢٠٢١م.
- تجليات الانبعاث والموت في الطللية والتموزية ظللية لبيد بن ربيعة وتموزية السياب انموذجاً (دراسة مقارنة) ، جامعة اهل البيت ن بحث علمي ، للباحثة : ليلي نعيم عطية الخفاجي، العدد ١٢ ، الادب العربي، ٢٠٢٣م. [abu.edu.iq.articles<research>https://abu.edu.iq](https://abu.edu.iq/articles<research>https://abu.edu.iq).
- صياغة الاغتراب النفسي في ضوء سياسة الابعاد الاسرائيلية ، د. عدوية السوالمه، ١٩٩٢م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م.
- مقال [photos<https://mifacebook.com](https://mifacebook.com)
- مقال ، بقلم : سماح عادل ، ٢٢ اكتوبر ٢٠١٧ [cultural>https://kitabat.com](https://kitabat.com)
- مقال، الواقع الثقافي في عراق ما بعد التدمير ، مقال ، بقلم : مهند الدوري ، شبكة النبا المعلوماتية.





# **CAMBREDGE**

## **Refereed scientific journal**

Published by Cambridge Center  
for Research and Conference

### **CJSP**

ISSN-2536-0027

### **2023**

[www.camb\\_magazine.com](http://www.camb_magazine.com)